

2274

.8752

.329

Pt. 1, v. 2

2274.8752.329
al-Shantarīni
Al-dhakhīrah

pt. 1, v. 2

DATE ISSUED

DATE DUE

DATE ISSUED

DATE DUE

JUN 15 2001

JUN 15 2001

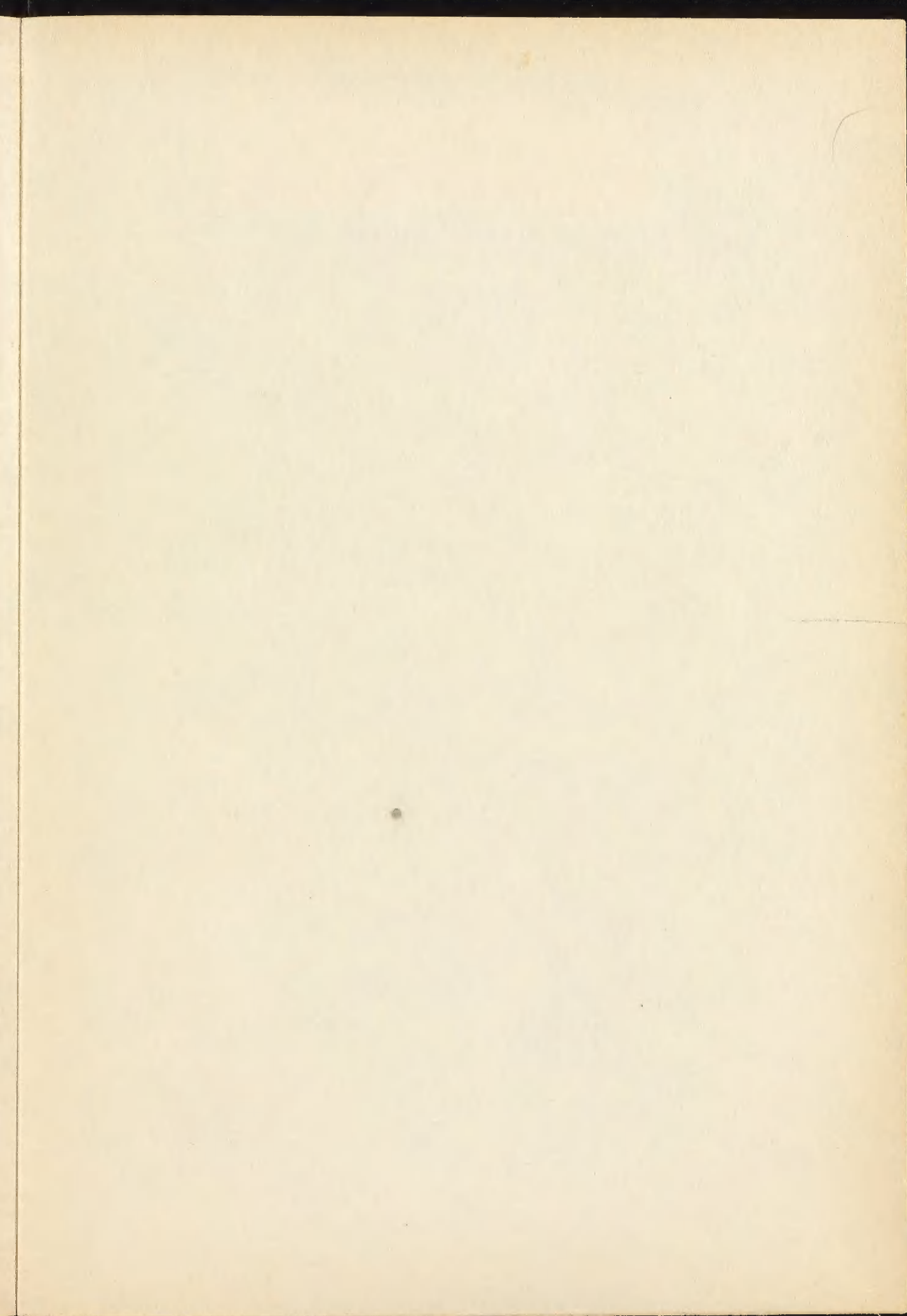
[REDACTED]

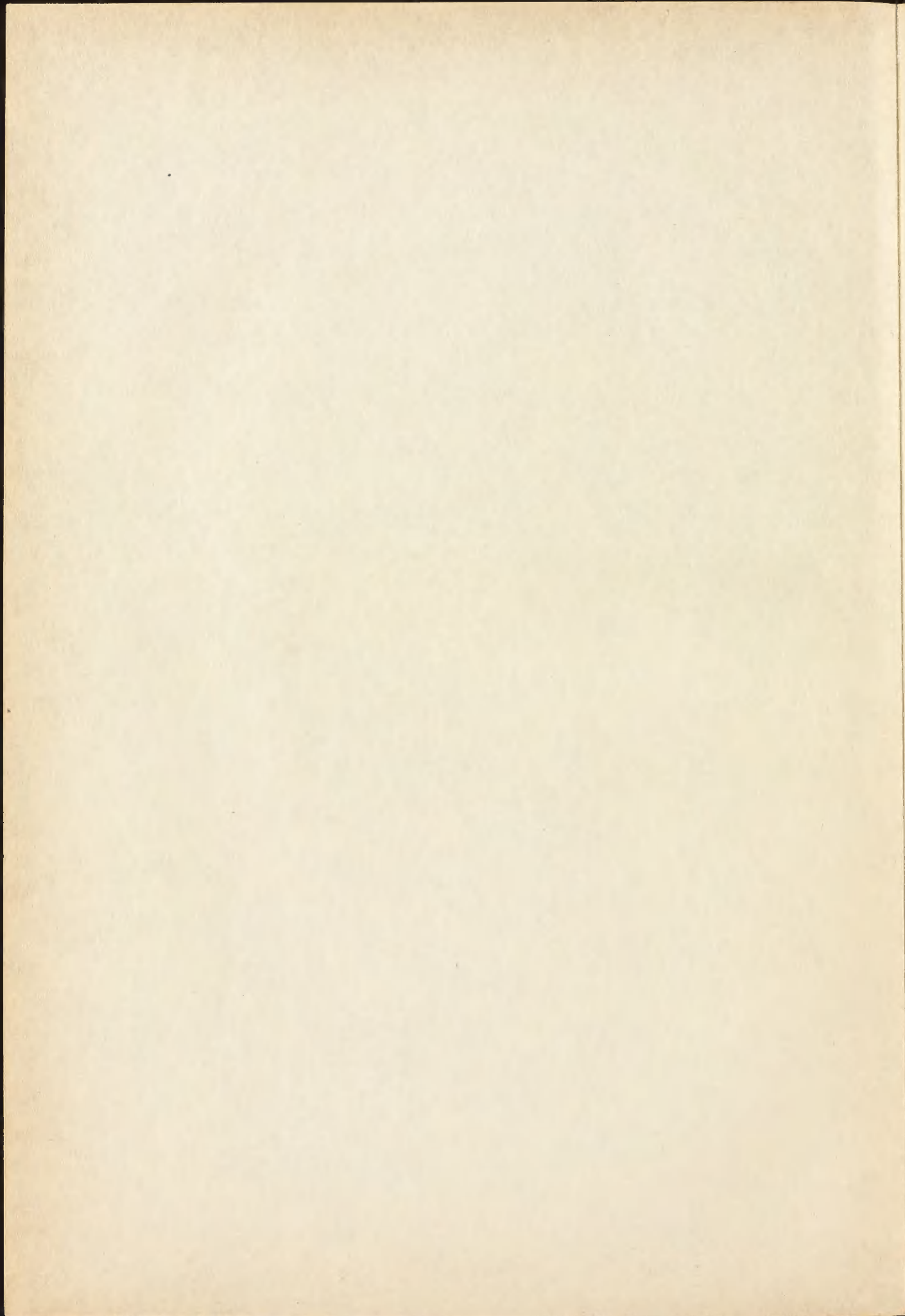
[REDACTED]

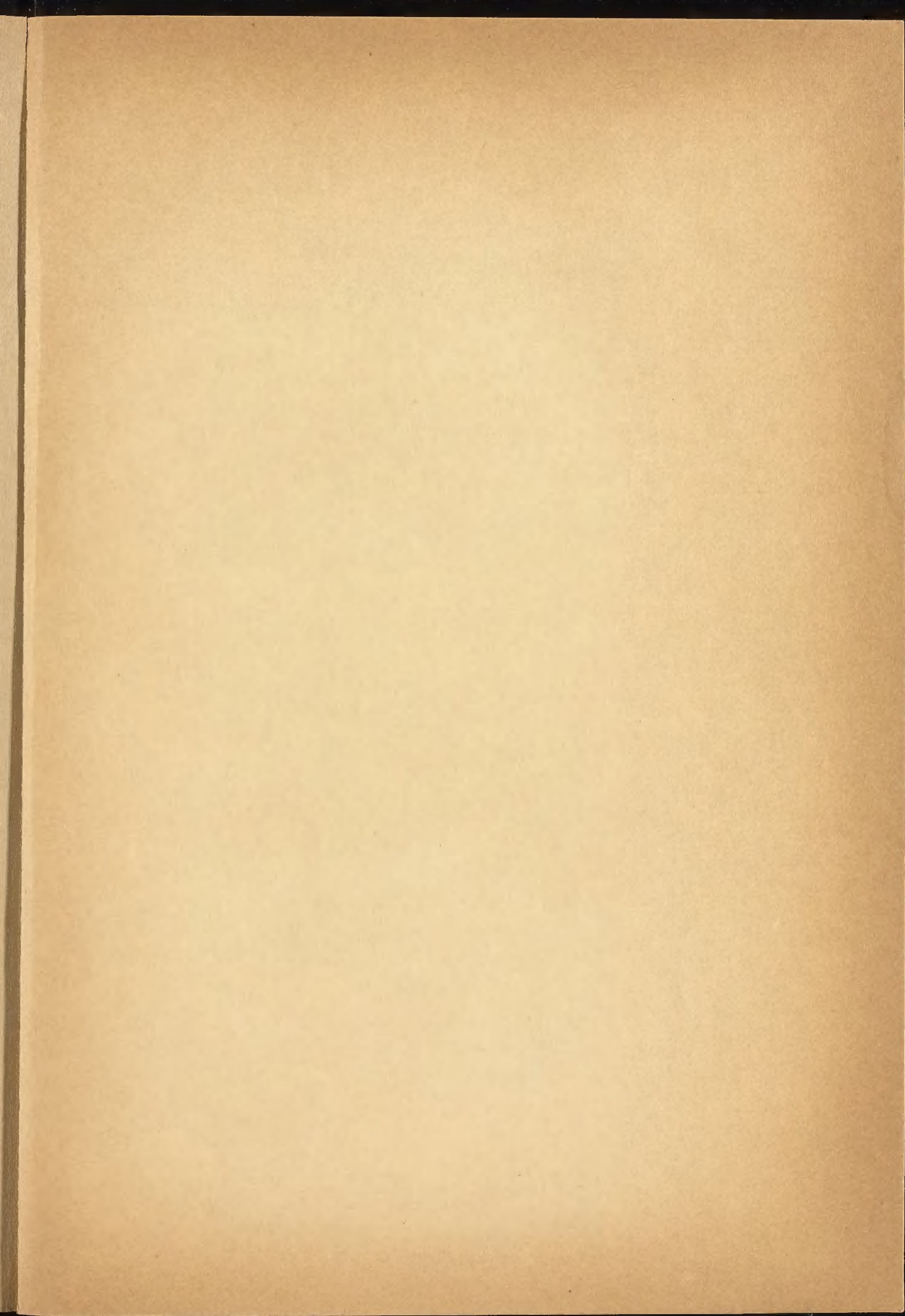
PRINCETON U.



a32101 006164477b







جامعة فؤاد الأول
كلية الآداب
مطبوع رقم ٢٦

الذخيرة في مناقب الملك الناصر

تأليف

أبي الحسن علي بن بركات الشاذلي
المتوفى سنة ٥٤٢ هـ

القسم الأول — المجلد الثاني

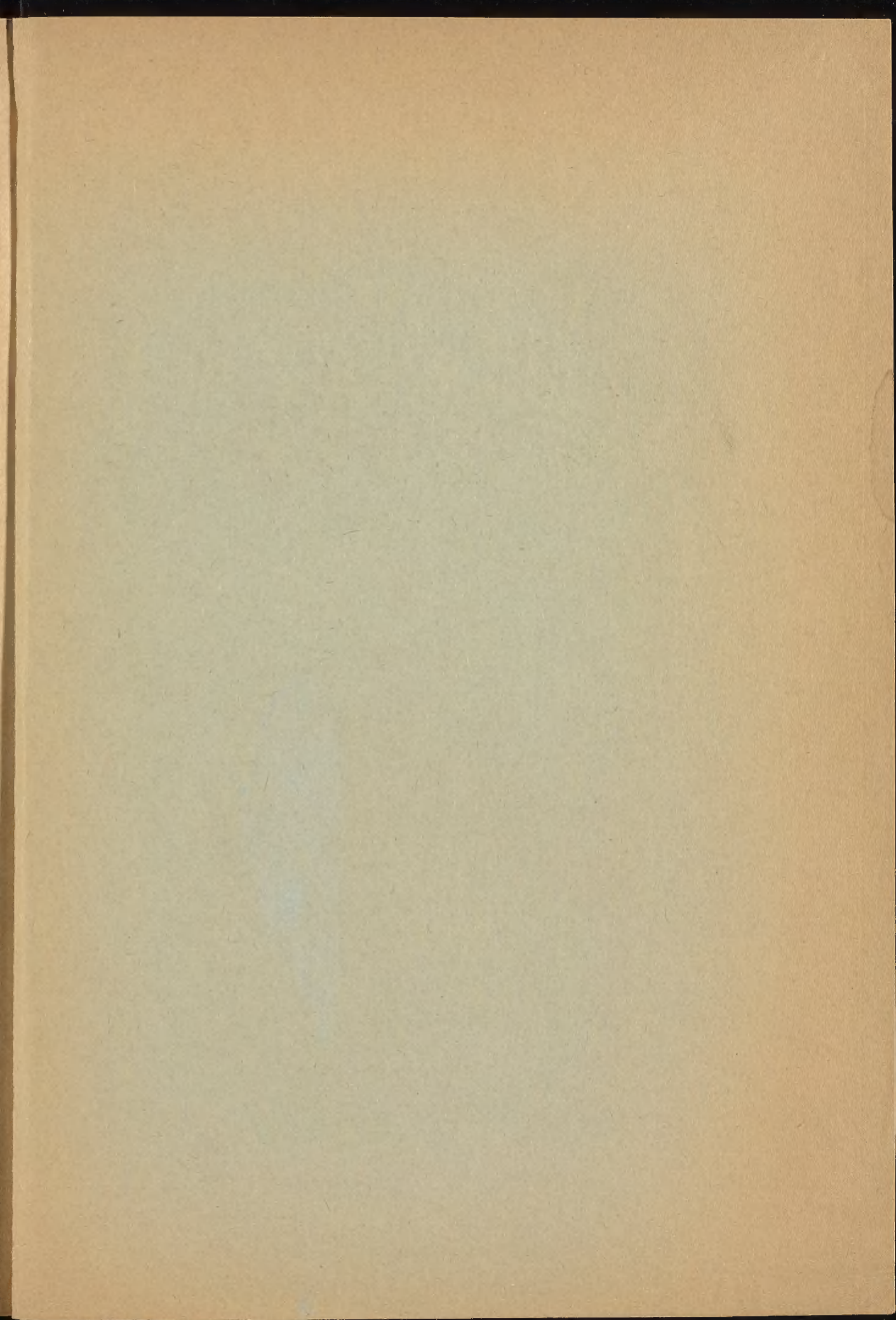
٧٠٢

١٢٠

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦١ هـ — ١٩٤٢ م



Abu al-Hasan 'Alī ibn Bassām al-Shantari

جامعة فؤاد الأول

كلية الآداب

مطبع رقم ٢٦

الذخيرة في سائر النكاحات

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنري

المتوفى سنة ٥٤٢ هـ

القسم الأول — المجلد الثاني

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦١ هـ — ١٩٤٢ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا هو المجلد الثاني من القسم الأول من كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لأبي الحسن علي بن بسّام . وهو القسم الذي ذكر فيه المؤلف ، كما قال في مقدمته : « أهل حضرة قرطبة وما يصاحبها من بلاد متوسطة الأندلس » ، وهم كما عدّهم المؤلف ، أربعة وثلاثون من الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء .

وودنا أن لم يطل انتظار الأدباء لهذا المجلد بعد نشرنا المجلد الأول ، ولكن مصاعب التصحيح وأزمات الوقت الحاضر جاوزت كل تقدير ؛ فنحن نعتذر إلى الأدباء الذين طال تنظرهم ، ونرجو أن تكون مبادرتنا بإخراج المجلد الثالث وافية بالإبطاء الذي عرض لنا في إخراج هذا المجلد .

وقد ذكرنا في مقدمة المجلد الأول أسماء من تولوا مقابلة النسخ وتصحيحها وتهيئة النص ، وأسماء من وكل إليهم المراجعة والإشراف . فأما الآولون فقد دأبوا على عملهم كما كانوا ، إلا أن العضو الذي منعه السفر عن العمل في المجلد الأول قد عاد فشارك زملاءه في هذا المجلد . وأما الآخرون فقد اضطر اثنان منهم إلى التنحي عن العمل إلى حين . وإن لم يبعدا عن العاملين بتأييدهما وتسديدهما ، والمرجو أن يعودا إلى

2274
8752
329
pt. 1 v. 2

(د)

المشاركة في إخراج هذا الكتاب الكبير عمّا قليل . وإنما نذكر هذا
إشفافاً من أن نحمل من لم يعملوا في هذا المجلد تبعاً ما عسى أن يكون
قد وقع فيه من قصوراً أو زلل .

وقد اعتزم قسم اللغة العربية أن يوجه إلى نشر الكتب العربية
ما تستحقه من عناية ليكمل بهذا واجبه في إحياء الثقافة العربية ، فأزعم
أن يضيف إلى كتاب النخبة كتباً أخرى من الأممات في الأدب
العربي ، وتقسم رجاله العمل فيها ليهيئوها للنشر القريب . وهو يرجو
أن ييسر له إخراجها على أحسن وجه حين تواتيه الفرصة .

والله نسأل أن يرزقنا السداد في الفكر والقول والعمل ، وهو
حسبنا ونعم الوكيل

عبد الحميد العبادي عبد الوهاب عزام

القاهرة في { ذى الحجة ١٣٦١
ديسمبر ١٩٤٢

(١) فصل في ذكر الأديب أبي بكر عبادة بن ماء السماء ، وإثبات جملة من شعره (٢) مع ما يتعلق به (٣) من ذكره .

قال ابن بسّام (٤) : هو عبادة بن عبد الله الأنصاري من ذرية سعد بن عبادة ، وقيل له ابن ماء السماء لجدهم الأول . ولحق بقرطبة الدولة العاصرية والحمودية ومدح رجالها (٤) . وكان أبو بكر في ذلك العصر شيخ الصناعة ، وإمام الجماعة ، سلك إلى الشعر مسلكا سهلا ، فقالت له غرائب مَرَجًا وأهلا . وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها ، غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العقود ، فأقام عبادة هذا منادها ، وقوم ميلها وسنادها ، فكانها لم تسمع بالأندلس إلا منه ، ولا أخذت إلا عنه ، واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته ، وذهب بكثير من حسناته .

وهي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب ، تُشَقُّ على (٥) سماعها مضمونات الجيوب ، بل القلوب . وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأقننا واخترع طريقتها — فيما بلغني — محمد بن حمود (٦) القبري (٧) الضريير . وكان يصنعها على أشطار الأشعار ، غير أن أكثرها (٨) على الأعاريض (٨) المهمة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المرز كز ويضع عليه (٩) الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان . وقيل إن ابن عبد ربّه صاحب

(١) يستمر خرم مخطوطة لب الذي أشرنا إليه في صفحة ٤٠٩ من المجلد الأول .

(٢) هـ : شعره ونثره (٣) هـ في ر وفي ت ، ب « بذكره » والتصحيح من هـ

(٤—٤) هـ في ب ، ت (٥) هـ : عند

(٦) ت ، ب : حمود (٧) هـ : القبري

(٨—٨) هـ في هـ (٩) ب ، ت : عليها

كتاب «العقد» أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات^(١) عندنا . ثم نشأ^(٢) يوسف بن هارون الرّماذى فكان أول من أكثر فيها من التّضمين فى المراكيز ، يضمن كل موقف يقف عليه فى المركز خاصّة . فاستمر على ذلك شعراء عصرنا ككرم بن سعيد وابنى أبى الحسن . ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التّغيير^(٣) ، وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف فى الأغصان فيضمّنها ، كما اعتمد الرّماذى مواضع الوقف فى المركز^(٤) .

وأوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان^(٥) إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب ، وقد أثبت من شعر عبادة فى هذا الفصل ومن سائر كلامه ما يدل على تقدّمه وإقدامه .

(٥) جملة من شعره فى أوصاف شتى^(٥)

١٠

(٦) أخبرنى الفقيه أبو بكر ابن العربى^(٦) عن الفقيه أبى عبد الله الحميدى قال : أخبرنى الفقيه أبو محمد على بن أحمد بن حزم أن أبا بكر عبادة كان حيّا فى صفر سنة إحدى وعشرين وأربعمائة^(٧) ، وكان البرد المشهور^(٨) فى ذلك الوقت^(٩) الذى لم ير مثله ، فقال عبادة :

ياعبرة أهديت لمعتبر عشيّة الأربعاء من صفر ١٥

(١) هـ فى ب ، ت (٢-٢) هـ فى ر ، هـ

(٣) فى ت ، ب كلمة تشبه التصيير ولعل الصواب ما أثبتناه

(٤) ب ، ت : كتابنا هذا (٥-٥) هـ فى ب ، ت

(٦-٦) هـ فى ر ، هـ وعبارتها « حكى أبو عبد الله الحميدى »

(٧) هـ فى ر ، هـ (٨) ت ، ب : المشهور خبره

(٩) هـ فى ب ، ت : التاريخ

أرسل مِلء الأكَفِّ من بَرَدٍ جلامداً تنهَمي على البَشْرِ
فيالها آيةٌ ومَوْعِظَةٌ فيها نَذِيرٌ لِكُلِّ مُزْدَجِرٍ!
كاد^(١) يُذِيبُ القُلُوبَ مَنْظَرُها ولو أُعِيرَتْ قِساوَةُ الحَجَرِ

قال الحميدى^(٢) : وذكر أبو عامر ابن شهيد أن عبادة هذا مات في سؤال

- سنة تسع عشرة بمالقة ضاعت^(٣) له مائة مِثقال فاعْتَمَ عليها وكانت سبب وفاته .
^(٤) فلا أدري من وهمٍ منهما ، وأبو محمد بن حزم أعلم^(٥) وأحفظ للتقييد ، والله أعلم .

وقال :

لا تَشْكُوفْ إذا عَثُرَ تَ إلى خَلِيطِ سوءِ حالِكَ
فَيُريكَ ألواناً^(٦) من الِإِذْلالِ لم تَخْطُرْ بِبِالِكَ
إِيَّاكَ أَنْ تَذْري يَمِينُكَ ما يدورُ على شِمَالِكَ
واضْبِرْ على نُوبِ الزَّمانِ وإن رَمَتْ بِكَ في المِهالِكَ
وإلى الذى أغْنى وأقْنى أَضْرَعُ وسَلَهُ صلاحَ حالِكَ

وقال يتغزل :

إذا رُمْتُ قُطْفَ الوردِ ساورني الصَّدغُ بعُقْرِبِ سِخْرِ في فُؤادِي له لَدَغُ
غزالٌ بجِسمي فِترَةٌ من جفونه وفي أَدْمعي من لَوْنِ وجنته صَنِغُ
زيارته أَخْفى خَفاءَ من الشَّها ودونَ فراغِي من مَحَبَّته القَرغُ

وقال :

ما مرَّ يومٌ علىَّ لم أركِ إلّا وجدتُ الضميرَ صَوْرَكَ

(١) هـ : كان (٢) ب ، ت : أبو عبد الله الحميدى

(٣) هـ : وذكر ابن حزم أنه ضاعت ... (٤) ب ، ت : قال فلا أدري ...

(٥) ب ، ت : أعلم بالتواريخ (٦) هـ : أبوايا ...

ولا مَيِّتِي وَأَنْتِ ^(١) لَسْتَ مَعِي إِلَّا مَيِّتُ الْقِطَاةِ فِي ^(٢) الشَّرِكِ
أَمَّا أَنَا فَالْبَعَادُ غَيْرِي وَأَنْتِ خَوْفُ الرَّقِيبِ غَيْرِكِ
يَا لَعَبَّةَ صُورَتِ لِسْفِكَ دَمِي غَطَّيْتُ بِفَضْلِ ^(٣) النَّقَابِ مَحْجِرِكِ
وَقَدْ رُوِيَتْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ ^(٤) لِابْنِ الْقِطَّانِ . وَأُنْشِدُ ^(٥) لَهُ أَبُو عَامِرُ بْنُ مَسْلَمَةَ فِي
كِتَابِهِ قَالَ : أَنْشَدَنِي ^(٦) أَبُو بَكْرٍ عُبَادَةُ لِنَفْسِهِ :

اجْلُ الْمُدَامَةِ فَهِيَ خَيْرُ عَمْرٍوسِ تَجْلُو كُرُوبَ النَّفْسِ بِالتَّنْفِيسِ
وَأَسْتَغْنِمُ اللَّذَاتِ فِي عَهْدِ الصَّبَا وَأَوَانِهِ ، لَا عِطَرَ بَعْدَ عَمْرٍوسِ
قَالَ : وَأُنْشَدَنِي أَيْضًا لَهُ :

أَشْرَبَ فَعَهْدُ الشَّبَابِ مُغْتَنِمٌ وَفُرْصَةٌ فِي فَوَاتِهَا نَدَمٌ
وَعَاطِنِيهَا بِكَفِّ ذِي غَيْدٍ أَلْخَاطِلُ فِي النَّفُوسِ تَحْتَكُمُ
كَأَنَّهَا صَارُمُ الْأَمِيرِ وَقَدْ خَضَّبَ حَدِيدُهُ مِنْ عِدَاهُ دَمٌ
وَاحْدُ بَتْدَ كَارِهِ الْكُؤُوسِ ^(٧) فَمَا يَلْدُ نُقْلًا سَوَى ثَنَاهُ فَمٌ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَلِيلَةُ السَّرُورِ كَانَ لَهَا حُسْنُ سَاقٍ بِحُسْنِ خَلْخَالِ ^(٨)
قَصِيرَةٍ أَقْصَرَ الْغَرَامُ بِهَا كَأَنَّهَا مُسْتَهْلٌ شَوَالِ
نَاوَلَنِي الْكَاسَ بِدُرُهَا بَيْدٍ عُتَابُهَا مِنْ طَرِيفِ ^(٩) أَنْقَالِ

(١) هـ ، ب ، ت : إِذْ لَسْتَ أَنْتِ مَعِي (٢) ب ، ت : بِالْمَرْكَ

(٣) هـ ، ب ، ت : يَبْعُضُ (٤) هـ ، ب ، ت : هَذِهِ الْقِطَاةُ

(٥-٥) ب ، ت : ثَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْوَزِيرِ أَبِي عَامِرِ بْنِ مَسْلَمَةَ قَالَ : أَنْشَدَنِي . . .

(٦) هـ : الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ (٧) هـ : النَّفُوسِ

(٨) كَذَا فِي ر وَفِي ب ، ت : بِحُسْنِ سَاقٍ كَحُسْنِ خَلْخَالِ

(٩) ب ، ت : ظَرِيفِ

يَعْلُنِّي رِيْقَةَ الْحَيَاةِ فَمَّ قَضَى بِتَعْطِيلِ كُلِّ عِلَالٍ
وقال أيضاً :

سَقَى اللَّهُ أَيَّامِي بِقُرْطُبَةِ الْمَنَى سرورًا [كردى شى مر] شرابه^(١)
وَكَمْ مُزِجَتْ لِي الرَّاحُ بِالرَّيْقِ مِنْ يَدَيَّ أَعْرَى يُرِنِّي الْحُسْنَ مِلءَ رِيَابِهِ
أَوَانَ عِذَارِي لَمْ يُرْعَ بِمَشْيِيهِ شبابي ، ولم يوحش مطار غرابه
تُعَلَّنِي فِيهِ الْأَمَانِي بِوَعْدِهَا وهيات أن أروى بورذ سربه!
سَلِّ الْقَتَمَ الْبَادِي مِنَ السَّجْفِ دَانِفًا لتعذيب قلبي : هل دمي من خضابه؟
وقال أيضاً :

فَهَلْ تَرَى أَحْسَنَ مِنْ أَكْوَسٍ^(٢) يقبل الثغر عليها اليدا؟^(٣)
يَقُولُ لِلسَّاقِ : اغْتَبِقْ لِي بِهَا وَخُذْ لُجَيْنًا وَأَعِذْ عَسْجَدًا ١٠
أُغْرِقْ فِيهَا الِهْمُّ لَكِنْ طَفَا حَبَابُهَا مِنْ فَوْقِهَا مُزِيدًا
كَأَنْتُمْ شَيْبَهَا^(٤) شَارِبٌ أَمْسَكْهَا فِي كَفِّهِ سَرْمَدًا
وهذا البيت أراه اخترع^(٥) معناه .

وله من أخرى في القاسم بن حمود :

١٥ مَاضِيَعُ اللَّهِ مُلْكًا أَنْتَ رَاعِيهِ وَلَا أَبَاحَ ذِمَارًا أَنْتَ حَامِيهِ

(١) هذا البيت ناقص في م ، و ، ورسم الشطر الثاني في الأصلين : ت لب كما أثبتناه

على اضطرابه . وهذه القطوعة متقدمة في ب ، ت على القطوعة السابقة (٢) ب ، ت : كؤس

(٣) هذا البيت ناقص في م ، و وهو آخر المجلد الأول الذي تحت يدينا من نسخة ب

(٤) ت : شبا ، و : شبيها (٥) ت : من معانيه المخترعة وألفاظه البتدعة

(٦) هذا البيت والثلاثة الأبيات التالية له ناقصة في و ، والبيت الثالث منها ساقط

لله درك من مولى عوارفه
تهديه، والناس قد ضلوا، كواكب من
مكفلاً برضاه همة أنفاً^(١)
كانت خلافتنا في الغرب مظلمة
سياسة أبرأت بالرفق في مهل
وحكمة خضعت هام الملوك لها
مؤيد جاءت الدنيا إلى يده^(٢)
جلت أيديه حتى إن^(٣) أنفسنا
للم يبق في الأرض إلا من تواليه
آرائه في سماء من معاليه
ترى إلى الغرض الأقصى^(٤) فتضميه
كان أيماننا فيها لياليه
داء الخلاف وقد أعني مداويه
عزاً فلا حرّ موجود بواديه
عفواً ولبتته من قرب أمانيه
وما ملكناه جزء من أياديه^(٥)

وقال يتنزل من قصيدة :

متجبر لا يطيبه بالرضا
دارت دوائر صدغه فكأنما
رشاً توحش من ملاقة الوري
فلذاك صار خياله لي زائراً
ولقد هممت به ورمت حرامه
وحبته حب الأكارم رغبة
أحد ولا يجرى الوفاء بباله^(٦)
حامت على تقبيل^(٧) نقطة خاله
حتى توحش من لقاء خياله
إذ كنت في الهجران من أشكاله
فخاني الإجلال دون حلاله
في خلقه لا رغبة في ماله

وهذا ينظر إلى قول المتنبي :

(٢) ت : الأعلى

(١) ت : أنف

(٣) هذا البيت والذي يليه ساقطان في (٤) هـ في ر

(٥) يلي هذا البيت بيت مضطرب لا يوجد إلا في ت

(٦) لا يوجد هذا البيت إلا في نسخة ت

(٧) ر : تحليل

وأغيدَ يهوى نفسه كلُّ عاقلٍ عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كلُّ فاسِقٍ ^(١)

^(٢) وقال عبادة في الحجاب ابن أبي عامر :

لنا حاجبٌ حازَ المعاليَ بأشْرَها فأصْبَحَ في أخلاقِهِ واحدَ الخَلْقِ

فلا يَغْتَرِزُ مِنْهُ الجَهولُ بِبِشْرِهِ مُعْظَمُ هَوَلٍ ^(٣) الرَّعْدِ في أثرِ البرقِ

قال عبادة : أولَ شعرٍ قلتهُ أني وقفتُ على هَدَفِ الرَّميِ بِعُدْوَةِ النَّهرِ بقرطبة

وَتَمَّ غِلْمَانُ ^(٤) من أبناء العبيد ^(٥) ينتضلون قتلتي :

وما راعني إلا سِهَامٌ رواشِقٌ إلى هَدَفٍ يَنْحُوهُ كلُّ يَدَيَّ ظَلَمِي

أقاموه كي يرمُوا إليه فلم يكنْ لهم غَرَضٌ حاشي فؤادي في الرَّميِ

وهو القائل في ميمون بن الغانية ^(٥) وكان وسيماً :

١٠ قرَّ المدينةَ كيفَ مِنْكَ خلاصٌ أو أينَ عَنْكَ إلى سِوَاكَ مَنَاصُ ؟

ما أَنتَ إلا دُرَّةُ الحُسْنِ التي قَلْبِي عليها في الهوى غَوَاصُ

والشاذنُ الأَحْوَى الذي في طَرْفِهِ سِحْرٌ يُصَادُ بِسَهْمِهِ القَنَاصُ

أَمْنَ جَفَوْنَكَ مِنْ مَغَبَّةٍ ما جَنَّتْ فينا فليسَ على المِلاحِ قِصاصُ

واضْرِفْ قِيادِي حيثُ شئتَ فَإِنَّهُ لَكَ مُسَمِّحٌ وعلى الوريِّ مُعْتَصُ

وقال عبادة من قصيدة يمدح ابن حمود :

١٥

أَبْسَلُ عَلَيْكَ الماءُ حَتَّى يَشُوبَهُ دَمٌ، والكَرْيَ حَتَّى يَقْضَ المضَاجِعُ ؟

أَجْمَّ جِياداً أَدَمَنَ ^(٦) الغَزْؤُ نَهْكَها فَنها حَسِيرٌ في الجِهادِ وظالِعُ

(١) راجع ديوان المتنبي (ج ١ ص ٤٦٨)

(٢) في القطع الخمس التالية تقديم وتأخير في ت (٣) ت : هذا

(٤-٤) هـ في ت (٥) هـ : ميسور القابلة — ت : ميسور بن القيلة

(٦) ت : لا ذمن — هـ : أحسر

وَأَغِيدُ سُبُوحًا تَشْتَكِيكَ جَفُونُهَا كَمَا تَشْتَكِي نُجْلَ الْعَيْنِ الْبَر_اقِعُ
وَسَكَنَ عَجَاجَ الرَّكْضِ ^(١) شَيْئًا فَقَلَمًا يُرَى الْجَوُّ مِمَّا هَجَّتْهُ وَهُوَ نَاصِعُ ^(٢)
وَأَنَسَ قُصُورًا طَالَ إِحْشَاؤها بِهِ فَقَدْ أَشْفَقْتُ مِمَّا صَنَعْتَ الْمَصَانِعُ
وَهَلْ ضَرَّكَ الْبَاغِي بِسَهْمٍ مَكِيدَةٍ وَأَنْتَ بِوَاقٍ عِصْمَةِ اللَّهِ دَارِعُ؟
وَأَيُّ يَدٍ تَنْوِي قِرَاعَكَ بَعْدَمَا رَأَيْنَا يَدَ الْجَبَّارِ عَنْكَ تَقَارِعُ؟

وهذه المعاني كلها مُتَدَاوِلَةٌ ۖ وَالْفَاظُهَا مُتَنَاقِلَةٌ ۖ وَإِنْ كَانَ قَدْ تَشَبَّثَ بِهَا مَعَانٍ
أُخْرَى، فَهِيَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ، مِنْهَا قَوْلُ الْمُتَنَبِّي ^(٣) :

فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغَيِّرُهُ وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاحِمُهُ
وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورُهُ وَمَلَّ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاطِمُهُ
وَقَالَ عُبَادَةُ فِيهِ مِنْ أُخْرَى :

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا بْنَ رَسُولِهِ وَوَلَّيْهِ الْخِطَصَ بَعْدَ خَلِيلِهِ
وَمِنْهَا :

وَلَهُ مِنَ السَّعْدِ الْمُتَاحِ مُعَدَّلٌ يُغْنِي أَخَا ^(٤) التَّنْجِيمِ عَنْ تَعْدِيلِهِ
وَهَذَا كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّي ^(٥) :

يُقَرَّرُ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يُوَدُّهُ وَيَقْضَى لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يُنْجِمُهُ
وَأَيُّنُ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ شَرَفٍ :

وَنُجُومُ آمَالِي طَوَالِيعُ بِالْمَنَى وَالسَّعْدُ يَسْتَفْنِي عَنِ التَّقْوِيمِ

(١) ت : النقم (٢) ه : ساطع

(٣) راجع الديوان (ج ٢ ص ٢٤٠) (٤) ر : أخو

(٥) راجع الديوان (ج ٢ ص ٢٥٣)

وفيها يقول عبادة :

كَمْ يَبْعَثُ الْبَاغُونَ رُسُلَهُمْ إِلَى مَنْ كُتِبَ مِنْ زُرْقِهِ وَنُصُولِهِ
وَزَعَّ الْإِلَهِ بِبِأْسِهِ وَعِقَابِهِ مَا لَمْ يَزَعْ بِالنَّصِّ مِنْ تَنْزِيلِهِ
هَذَا عَلَى نَاصِرِ الدِّينِ الَّذِي نَظَّمَتْ لَهُ غُرُورُ السَّنَا بِحُجُولِهِ^(١)

وهذا البيت الثالث منها كقول المتنبي^(٢) :

وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِقِيَّةُ عِنْدَهُ^(٣) وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَنَازِيرُ الْعَرُومُ

وكرره في موضع آخر فقال^(٤) :

وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بَعَثَتْهُ وَغُنَوَانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتَامُ
حُرُوفٍ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ : جَوَادٌ وَرَمَحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامُ

وقال المعري^(٥) :

وَلَا قَوْلٌ إِلَّا الضَّرْبُ وَالطَّعْنُ عِنْدَنَا وَلَا رُسُلٌ إِلَّا ذَابِلٌ وَحُسَامُ

ومعنى البيت الرابع منها نظمته من قول الحسن بن أبي الحسن البصري :
يَزْعُ اللَّهُ بِالْسلطان ما لا يَزْعُ بالقرآن .

وكان عبادة يظهر التشيع في شعره ، من ذلك قوله في يحيى بن حمود :

فَهَا أَنْذَا يَا ابْنَ النُّبُوَّةِ نَافَتْ^(٦) مِنْ الْقَوْلِ أَرْيَا غَيْرَ مَا يَنْفُتُ الصَّلُّ
وَعِنْدِي صَرِيحٌ فِي وَلَائِكَ مُعْرِقٌ تَشِيعُهُ مَحْضٌ وَيَبِيعُهُ بَتْلُ
وَوَالِي أَبِي قَيْسٍ أَبَاكَ عَلَى الْعَلَا فَنَخِمْ فِي قَلْبِ ابْنِ هِنْدٍ^(٧) لَهُ غِلُّ

(١) هذا البيت لا يوجد إلا في ت (٢) راجع الديوان (ج ٢ ص ٢٥٠)

(٣) ر ، ت : بيننا (٤) راجع الديوان (ج ٢ ص ٢٨٣)

(٥) راجع سقط الزند (ج ١ ص ١٢٨) ، وهذا البيت ناقص في ت

(٦) هذه القطعة مؤخرة في نسخة ت عن القطعة التالية (٧) ر : ابن هندية غل

وله من أخرى في علي بن حمود الحسني :

أطاعتك القلوبُ ومن عصيَّ وحزبُ الله حزْبُك يا عليُّ ؟
فكلُّ من ادَّعى معك المعالي كذوبٌ مثل ما كذب الدَّعيُّ ^(١)
أبا لك أن تهاضَ علاك عهدُ هشاشي وجدُّ هاشمي
وما سميتَ باسم أبيك إلا ليحيا بالسَّمي له السَّمي
فإن قال الفخورُ : أبي فلانُ فحسبُك أن تقول : أبي النَّبي

قوله : « عهدُ هشاشي » قد تقدَّمت الإشارةُ به ، والوجه الذي قاله بسببه في أخبار الخليفة سليمان المفتتح باسمه هذا الديوان .

وله من أخرى يرثيه ^(٢) ويهني أخاه القاسم بالخلافة ^(٣) .

صلى على الملك الشهيد ملكه وسقاه في ظل الجنان الكوثرُ
مولي دهنه عبيده وغضنفرُ تركته أيدي العفر وهو مغفرُ ^(٣)
كانت تهيبه الأسود فغاله في قصره مُستضعفٌ مُستحقرُ
لم يثن عزُّ الملك عنه منونه فسمت له من حيث لم يك يحذرُ
ختلته سرا والقبائل دُرْعُ تحميه لكن المنايا حُسْرُ ^(٤)
ولو أنها رامته جهراً لاثنتُ والبيضُ تفرعُ والقنا تتكسرُ ^(٥)

ثم خرج إلى المدح فقال :

ما غاب بدرُ التَّم إلا ريتما جلَّ اللُّجى عنا الصباحُ الأزهرُ
إن يهوَ من أفق الخلافة نيرُ يهدي السبيلَ قد تَلَّاه نيرُ
بالقاسم المأمون أفرخَ روعنا فالقسمُ وافي والنصيبُ موفرُ

(١) لم يرد هذا البيت إلا في ت (٢-٢) ز في ت

(٣) لم يرد هذا البيت إلا في ت (٤) ت : جُسْر

(٥) لم يرد هذا البيت إلا في ت

قوله : « ختلتُهُ سرًّا . . . » البيت مع الذي يليه معنى قد ^(١) كُفِّ رِواؤه مما ابتدِل ، وأَسِنَ ماؤه مما علَّ به ونُهِّل ، ومنه قول المهلبي يرثي جعفرًا المتوكل :

جاءت منيته والعينُ هادئةٌ هلا أثنى المنايا والقنا قصدا
نخرا فوق سرير الملك مُنجدلاً لم يحمه ملكه لما انقضى الأمد
ومنه قول الأسدي أيضا يرثيه : « وألم بهذا المعنى فيه :

هكذا فلتكن منايا الكرام بين ناي ومزهر ومُدام
بين كأسين أردياه جميعاً كأس لذاته وكأس الحام ^(٢)
لم يُزل نفسه رسول المنايا بصنوف الأوجاع والأسقام
هابه مُعلناً فذب إليه في كسور الدجى بحد الحسام
وأخذ هذا المعنى عبد الكريم التميمي فقال يرثي صاحب خراج الغرب :
وكان تناول دواء فمات بسببه :

منايا سدَدَت الطُّرُق عنها ولم تدع لها من ثنايا شاهقٍ مُتطلعا ^(٣)
فلما رأت سورَ المهابة دونها عليك ولما لم تجد لك مطمعا
ترقت بأسبابٍ لطافٍ ولم تكذ تواجهُ موفورَ الجلالة أروعا
بجاءتك في سرِّ الدَّواء خفية على حين لم تحذر لداء توقعا
وقد أخذ أيضاً هذا المعنى بعض أهل وقتنا وهو أبو محمد عبد المجيد بن عبدون ، فقال من قصيدة يرثي بها الوزير أبا المطرف ابن الدبائع الكاتب :

(١) عبارة ت : معنى قد طوى ونصر (٢) لم يرد هذا البيت إلا في ت وهو

وفي النص : أورتاه (٣) لم يرد هذا البيت إلا في ت

ثَارَتْ إِلَيْهِ الْمَنَايَا مِنْ مَكَامِهَا سِرًّا عَلَى غَفْلَةِ الْحُرَّاسِ وَالسَّمَرِ
أَوَّلَى لَهْنٍ وَأَوَّلَى لَوْ هَمَّ مَنْ بِهِ وَالْمَنْعُ ذَوْرَاحَةً وَالذَّفْعُ ذَوْحَذَرٍ
وَفِي آيَاتٍ غَيْرِ هَذِهِ هِيَ ثَابِتَةٌ فِي مَوْضِعِهَا مِنْ هَذَا الْجُمُوعِ . وَلِلَّهِ دَرْ صَرِيحِ
الْفَوَانِي فَإِنَّهُ أَخَذَ عَلَيْهِمْ ثَنَائَا الْبَدِيعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمْ بَعْدُ كَمَا تَرَى ،
حَيْثُ يَقُولُ ^(١) :

أَلَمْ تَعْجَبْ لَهُ أَنْ الْمَنَايَا فَتَكُنْ بِهِ وَهَنْ لَه جُنُودُ ؟
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ ^(٢) :

تَخُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ !

ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنْ وَلَايَةِ الْقَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ قُرْطُبَةَ إِلَى انْقِضَاءِ الْأَمْرِ
بِانْقِطَاعِ دَوْلَتِهِ وَتَغَلُّبِ الْقَاضِي ابْنِ عَبَّادٍ عَلَيْهَا . ١٠

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : بُويعَ الْقَاسِمُ بْنُ حَمُودٍ بِقُرْطُبَةَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْأَحَدِ ، بَعْدَ
سِتِّ لَيَالٍ مِنْ مَقْتَلِ أَخِيهِ عَلِيٍّ ^(٣) ، وَأَحْسَنَ تَلَقَّى النَّاسِ وَأَجْمَلَ مَوَاعِيدِهِمْ ،
وَأَخْرَجَ النَّدَاءَ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ بِأَمَانٍ ^(٤) الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ، وَبَرَاءَةِ الذِّمَّةِ مِمَّنْ تَسَوَّرَ
عَلَى أَحَدٍ ، وَفَرَزَ الْفِتْيَةَ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ ^(٥) فَتَكُوا بِأَخِيهِ فَأَقْرَؤُا بِجَرِيمَتِهِمْ ^(٦) ،
وَنَفَوْا عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ ^(٧) الْمَوَاطَأَتِ ^(٨) وَالتَّدْلِيسِ ، فَقَتَلَهُمُ الْقَاسِمُ لَوْقَتِهِ ، وَأَطْفَأَ
النَّارَ ^(٩) بُولَايَتِهِ . وَتَنَسَّمَ النَّاسُ رُوحَ الرَّفْقِ ، وَبَاشَرُوا ظِلَّ الْأَمْنِ ، وَأَطْمَأْنَنَتْ

(١) راجع ديوان مسلم بن الوليد (س ١٢٠) (٢) راجع الديوان (ج ٢ ص ٤٦)

(٣) ت : من مقتل أخيه علي بها

(٤) ت : بإقرار الأحمر والأسود وتخلى الناس لشأنهم وبرائة ...

(٥) ر ، ت : التي فتكت (٦) ه : بجرمهم (٧) ه : الجميع

(٨) ه ، ت : المواطأة (٩) ه : النائرة

- بهم الدار . وأمر بإسقاط^(١) التقرية ، وأظهر البراءة منها ، وأقصى السعاة وطردهم ، وأقر القاضي والحكام والخدمة^(٢) على منازلهم . وزاد كلف القاسم في اتخاذ السودان ، وقوّدهم على أعماله ، إلى أن ضعف أمره ، وتسلب^(٣) البرابرة عليه حتى احتفروه . فكاتب منذر بن يحيى في السرّ يثنه شأنهم ، ويستنهضه لتقويمهم ، فلم يكن فيه فضل لذلك . وكان يحيى بن أخيه عليّ بالعدوة ، وأخوه إدريس بمالقة ، فلما قُتل أبوها عليّ اتفقا لأوّل وقتيهما على ضبط مالقة^(٤) ، إلا أنهما أظهرتا مبايعة عمهما القاسم ،^(٥) إلى أن أنكشف له يحيى^(٦) . وانتقل إلى مالقة ، وجعل أخاه بالعدوة ليقرب هو من أذى عمه القاسم^(٥) ، فخل بالأندلس لأوّل^(٧) جواز يحيى شواظ من نار ، وأضرّ ما سعيّرا ، واستخفّ بعمه ، وضمّ^(٨) الرجال وسعى لتبديد شمل عمه ، وشكا القاسم أمره إلى البرابرة فتناقلوا عنه^(٩) ، وأحبوا التضريب^(١٠) بينهما . ولم يزل أمر يحيى يقوى ، وأمر القاسم يضعف ، إلى أن فرّ^(١١) من قرطبة إلى عمله بإشبيلية في خمسة فوارس ، وذلك لثمان خلت

(١) ت : بإسقاط رسم التقرية (٢) هـ : الخدم (٣) هـ ، ت : تسلط

(٤) ت : ضبط مالقه وشدّ سلطانها (٥-٥) هـ في هـ

(٦) ت : إلى أن انكشف له يحيى من أوّل سنة عشر وأربعمائة

(٧) هـ : لأجل — ت لأوّل وقت جواز

(٨) ت : استضم (٩) ت : عليه

(١٠) هـ : التثيت

(١١) عبارة ت : فلم يجد مخرجا مما وقع فيه إلا الهرب من دار الخلافة والانتقال إلى عمله بإشبيلية وكان يكثر الندم على ما دخل فيه من سلطانهم إلى أن عيل صبره ففر إلى إشبيلية ليلة السبت لثمان خلت لربيع الآخر سنة اثنى عشرة في خمسة فوارس من خاصته ، اتخذ الليل جلا ولم يعلم بخبره إلا عند الصباح .

لربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وأربعمائة. فضبط^(١) البربر قصر قرطبة إلى أن لحق يحيى بن أخيه بعد خطوب ، فبُوع يحيى في التاريخ ، واجتمع عليه الفريقان : الأندلس^(٢) والبرابرة من أهل قرطبة وأعمالها خاصة . وكانت أم يحيى لبونة بنت محمد بن الأمير حسن بن القاسم^(٣) ، فعُرِف يحيى بكرم الولادة لما جاء هاشميّ الأيوبي^(٤) ، رابع أربعة من أبناء القرشيات من خلائف الإسلام : أولهم جدّه الأكبر عليّ ابن أبي طالب ، وابنه الحسن بن علي^(٥) ، ثم الأمير محمد بن هارون . فعُرِف يحيى بهذه الفضيلة ، وسلك سبيل والده في التحقّق بالفروسية والحبّ لركض الخيل والخروج للقتل^(٦) ، وتنكّب ما سوى ذلك من مذموم أخلاق أبيه ومكروه سيرته^(٧) ، فجانب العصبية وآثر النصفة ، وطلب السلامة ، فطاب خبره^(٨) . إلا أن العُجب والكبر شانا خصاله^(٩) ، إلى أن خلط وتبلّد . وتمرّست به عفاريت زناة فضيقت عليه في التكليف^(١٠) ، حتى أقصر بعد ما قصر ، وتولّى^(١١) دون أن يُعذر ، وركب ما عاب مثله على عمّه . فصارت^(١٢) عاقبة أمره خسرًا .

^(١١) وكتب له أحمد بن برد ، وقرّب جعفر بن محمد بن فتح وأبا عمر بن

(١-١) هـ في ت (٢) ت : حسن بن القاسم الملقب بعنون

(٣) ت : الطرفين (٤) ز في ت ، هـ : رضى الله عنهما

(٥-٥) هـ في ر ، هـ (٦) ر : خيره (٧) في ت ، ب : خصاله هذه

(٨) هـ : المطالب (٩) ت : تدلى (١٠) هـ : وكانت

(١١-١١) عبارة ت ، لب في هذه الفقرة هي : وأقر يحيى أصحاب الخطط على صراحتهم وحسن رأيه في أحمد بن برد ، وعول عليه في كتابته واستخلص من الأندلسيين صحة جعفر بن محمد بن فتح ، والفقيه الأديب أبي عمر ابن موسى بن محمد اليماني الوراق صاحب محمد ابن عبد الله بن النبهاني

(١٢) هنا ينتهى خرم لب الذى أشرنا إليه في ص ١

موسى اليماني الوراق^(١) وولاه خطة الوزارة فكادت الجبال تنهد لهذه العظيمة ، وجمع مَرَكِبُهَا به^(٢) ، وأبدع في الكبر والخزوانة . وقدم أيضاً إلى الوزارة محمد بن الفرّضى الكاتب . فكان أعدى من الجرب على دولته ، وارْتَقَبَ أهل اللب^(٣) حُلُولَ المِخْنَةِ ، قَدْماً^(٤) استعاذوا بالله من وزارة السفلة . ووصل جعفر بن فتنح صاحبه الأقدم إبراهيم بن الإفليحي كبير الأدباء بقرطبة إلى^(٥) الخليفة ، ورغبه في الإحسان إليه ، فذاكره وحدّثه ونوّه به . وسما في أيامه أبو بكر بن ذكوان^(٥) وأبو العباس أحمد بن أبي حاتم أخوه ، وأنهضهما إلى الوزارة عَقِبَ وفاة الشيخ أبي العباس ابن ذكوان^(٥) . وغرب شأواً أبي بكر منهم . فجاء أخوذيّاً نسيجاً وحده في فضله وعلمه وعفته . وعدل برُوع الظرف بآب عمه أبي العباس إلى الاشتهار بالمجون ، فجاء فيه طرْفاً لَيْسَتْ وراءه غاية . يَصُورُ ١٠ القلوب برقة ظرفه وحرارة نادرته . لا يكاد أحد يُمَكِّنُه من أذنه إلا أخذ بفؤاده رقة وحلاوة . ويشوبها ببعض الهزل عند انبعاث النّادرة . له في ذلك أخبار مشهورة . من أشهرها ما تفاكّه الناس به في تلك الدولة من قطعة له مَجُونِيَّةٌ . نَبَسَ^(٦) بها بديهة في بعض خلواته وقد أكثروا عليه تهنئة^(٧) بالوزارة فقال :

١٥

أنا مشغول بعزفي^(٨) وبضربي للحجارة

(٢) ت ، لب : عقلاء الناس عند ذلك

(١) ت : بهذا الوضيع

(٤) ت ، لب : بالخليفة يحيى

(٣) ت ، لب : قديماً

(٦) هـ : نبغ

(٥-٥) هـ في هـ : هـ

(٨) ر : عزى ، ت : برى ، هـ : بطرفى

(٧) هـ : يهثونه

إِنَّمَا يَصْلُحُ مِثْلِي أَنْ يُرَى رَاكِبَ جَارَةٍ
أَوْ يُرَى فِي جَوْفِ خَانٍ لَا بِسَاءَ نِصْفَ غِرَارَةٍ
قَدْ نَضَا عَنِّي ثِيَابِي حَتَّى الْكَأْسِ الْمُدَارَةِ

وَمُلَحُّهُ فِي الْأَدَبِ غَزِيرَةٌ شَاهِدَةٌ لَهُ بِقُوَّةِ^(١) الطَّبَعِ وَخِفَةِ الرُّوحِ . ثُمَّ لَمْ
يُبْعِدْ أَنْ أَقْصَرَ بَعْدُ عَنِ الْهَزْلِ عَلَى^(٢) حِينَ الدَّكَاةِ ، فَاعْتَدَلَتْ حَالُهُ ، وَهَبَّتْ لَهُ
رِيحٌ بَعْدَ حِينَ أَحْظَتْهُ^(٣) عَنِ الْعِلْيَةِ مِنْ نَمَطِهِ .

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ :

ثُمَّ^(٤) فَرَّ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ عَنْ قَرْطُبَةَ أَيْضًا ، وَجِيءَ بِعَمِّهِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَصُرِفَ

(١) هـ : برقة (٢) هـ في ر ، هـ

(٣) هـ : حطته — ت ، لب : أحطته

(٤) ورد هذا الخبر مفصلاً في ت ، لب وهذه عبارتهما « ثم فر يحيى بن علي أيضاً عن
قَرْطُبَةَ إِلَى مَالِقَةَ أَمَامَ الْبَرَابَرَةِ » وَجِيءَ بِعَمِّهِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَى قَرْطُبَةَ كَرْتَهُ الْأُخْرَى الَّتِي أَعْقَبَ
ابْنَ أَخِيهِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ ، فَتَكَنَّفَ سَرِيرُهُ أَعْمَارُ النَّاسِ مِنَ الْبَرَابَرَةِ
وَخَرَجُوا لِقَاتِلِهِمْ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ عَلَى نِظَامٍ مَسْرُودٍ ، فَانْهَزَمُوا وَقَتَلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا ۖ فَارْتَحَلُوا عَنْ
قَرْطُبَةَ وَحَلَوْا بِقُلْسَانَةٍ وَشَدُونَةٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْكُورِ . وَانْتَبَذَتْ مِنَ الْهَزِيمَةِ طَائِفَةٌ مِنْ صَعَالِيكِ
الْقِبَائِلِ وَالْأَلْفِافِ الْبَطُونِ ، وَالتَّقَوُا بِالْقَاسِمِ يَرْجُونَ بِهِ كَرَةَ الدَّوْلَةِ ، فَدَعَوْهُ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى
إِشْبِيلِيَّةَ ۖ وَكَانَ خَلْفَ بِهَا وَلَدُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ مَعَ وَزِيرِهِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِصٍ ، فَسَارَ بِجَمَاعَتِهِ تِلْكَ
يَوْمَئِذٍ ، وَإِذَا بِخَبْرِ هَزِيمَتِهِ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا ، نَغَافَ أَهْلُهَا مَعْرَةً مِنْ مَعِهِ ، فَوَثَبُوا عَلَى وَلَدِهِ وَأَصْحَابِهِ
وَحَصَرُوهُمْ بِدَارِ الْإِمَارَةِ ۖ وَأَحَاطُوا بِهِ وَوَقَعَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ . فَوَافَى الْقَاسِمُ بَابَ إِشْبِيلِيَّةَ بِمَنْ
مَعَهُ ۖ وَلَا طِفْهَمَ فِي الْقَوْلِ ، وَطَبَعَ خَدَيْتَهُمْ فَلَمْ يَصْغَوْا (لب : يصعدوا) إِلَيْهِ ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى
وَلَدِهِ وَرِجَالِهِ ، فَارْضَى الْقَاسِمُ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ بِإِسْلَامِهِمْ جَمِيعًا إِلَيْهِ مَوْفُورِينَ بِمَالِهِ وَأَهْلَهُ ، فَعَاقَدَهُ عَلَى
ذَلِكَ ، فَفَرَّجَ ابْنَهُ وَوَلَدَهُ مُحَمَّدٌ وَأَهْلَهُ ، وَدَخَلَ بِهِمْ إِلَى شَرِيشٍ . وَلَمْ يَدْعُ مَعَ ذَلِكَ السَّعْيَ فِي الْفِتْنَةِ
عَلَى ابْنِ أَخِيهِ يَحْيَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ . وَكَانَتْ آفَةُ الْقَاسِمِ بِإِشْبِيلِيَّةَ مِنْ قَبْلِ ثَقَّتِهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْرِي بْنِ =

- إلى الخلافة بها كرامة ثانية « فانبعثت من ذلك فتنة عاثت في الناس معها »
 فجلس القاسم على سرير الملك بقصر قرطبة كرامة أخرى في ذي القعدة سنة
 ثلاث عشرة فبان الاختلال ، إلى أن اتفق الناس على خلعه في جمادى من العام
 الداخل ، فارتفعت بزواله عن قرطبة دولة آل حمود بعد وقعة للبرابرة على أهلها
 بالمرج باد فيها جماعة منهم . ثم انصرفت الكرة على البرابرة فقتلوا قتلاً ذريعاً .
 وارتحلوا عن قرطبة وجاء القاسم مفلولاً إلى إشبيلية . وكان خلف بها ولده
 محمد بن القاسم فوثب أهل إشبيلية عليه . وجاء القاسم بعد الناس يقاتلون
 ابنه بالقصر ، فرضى القاسم منهم بإسلامه مع من معه ، فعاهدوه على ذلك .
 وخرج ابنه وأهله ورحل بهم إلى شريش . وملك إشبيلية القاضي محمد بن
 إسماعيل بن عباد ، فخارب يحيى عمه القاسم بشريش ، وحاصره إلى أن حمله
 مقيداً أسيراً إلى مالقة في خبر طويل .

== دوناس اليفرنى ، فندم زعيمهم القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد ، وأطمعه في إمارة البلد بعد دفع
 القاسم عنه ، فاغتر بقول ابن عباد وعاقده على ذلك ، فأعان أهل إشبيلية على قتال محمد بن القاسم ،
 فلم يك لأصحابه بعد نظام « وخرجوا عن البلد » وملكه أهله . فوثبهم ابن عباد زعيمهم بالغادر
 محمد بن زيرى ، فخرج وصفت إشبيلية من البرابرة . وآلت حال القاسم بعد مع ابن أخيه يحيى
 إلى أن حاربه بشريش ، وحاصره عشرين يوماً ، كانت بينهم فيها حروب صعبة ، قتل الله فيها
 من الفريقين أمة . وأجلت الحرب عن قهر يحيى لعنه القاسم « وحمله مقيداً إلى مالقة أسيراً »
 وقبض على حرته أميرة القرشية وسائر حرمة وولده وأسبابه ، بعد نهب وامتياز لجماعتهم
 لم يقدر يحيى على تخليصهم منه لتلظى الحرب . وكان يحيى أولاً في حلف مع محمد ولد عمه
 القاسم ، فدلّه على إشبيلية حارس لابن عباد ، فلما انحلت الحرب وقع يحيى على نكت لعنه
 القاسم « فقبض على ابنه محمد وقيدته وبعث به إلى قصبة مالقة ، وحينئذ صمد إلى شريش
 لعنه فبلغ فيه ما وصفناه .

فَصَلُّ فِي ذِكْرِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي حَفْصِ بْنِ بُرْدِ الْأَصْغَرِ ،
وإيرادِ جملةٍ من نظمه ونثره ، مع ما يتصل
من قصّةٍ وخبرٍ بذكره .

قال ابن بسّام :

كان أبو حفص ابن بُرْدِ الْأَصْغَرِ في وقته فَلكَ البلاغةِ الدَّائِرُ ، ومثلها السَّائِرُ ،
نَفَثَ^(١) فيها بِسْحَرِهِ ، وأقام من أودها بناصع نظمه وبارع نثره « وله إليها طروق^(٢) »
وفي عُروقتها الصالحة^(٣) عُروق ، إذ كان جدّه أبو حفص الأكبر — على ما تقدّم
ذِكْرُهُ — واسطة السِّلَكِ « وقُطِبَ رَحَى الْمَلِكِ^(٤) بِالْحَضْرَةِ الْعُظْمَى^(٥) قُرْطُبَةَ^(٥) » ،
وقد فخر أبو حفص هذا بذلك في كتابه الموسوم بـ « سرّ الأدب وسبك الذهب »
١٠ من أرجوزة يقول فيها :

يا طالبَ الدُّنْيَا بِأَقْصَى الْجَهْدِ^(٦)
إِسْعَ بِجَدِّ مِنْكَ لَا بِكَدِّ

(١) عبارة هـ : ينفث فيها بسحره ويوردها بناصع نظمه ...

(٢) ت ، لب : في عقدها

(٣) هـ : طريق (٢) هـ ، = (٣) هـ : الصالحات

(٤—٤) هـ في ر ، هـ

(٥) ز في ت ، لب : وقد تقدم من أخباره المأثورة ورسائله الممهورة في أخبار سليمان
وغیره من ملوك أبي عامر وبني مروان أول ما يشهد أن آل برد جمهور كتابة ومحور خطابة

(٦) هذا الشطر والذي يليه ناقصان في ر ، هـ

مَنْ شَاءَ خُبِرَى فَأَنَا ابْنُ بُرْدٍ
 حَدُّ حُسَامِي قِطْعَةٌ مِنْ حَدِّي
 وَأَرْفَعُ النَّاسَ بِنَاءَ جَدِّي
 مَنْ نَظَّمَ الْأَلْفَاظَ نَظَّمَ الْعُقْدَ
 وَنَقَدَ الْكَلَامَ حَقَّ النَّقْدِ
 وَكَفَّ بِالْأَقْلَامِ أَيْدِيَ الْأُسْدِ
 بِهِ اسْتِضَاءَ فِي الْخُطُوبِ الرُّبْدِ
 كُلُّ إِمَامٍ وَوَلِيٍّ عَهْدِ

فُصول مُقْتَضِبَةٌ مِنْ كِتَابِهِ الْمَذْكُورِ :

- قال في صدره : ^(١) أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى — وَهُوَ الْحَمْدُ — جَعَلَنَا أَهْلَ ١٠
 بَيْتٍ أَشْرَبَ حُبِّ صِنَاعَةِ الْكَلَامِ نَفْسَهُمْ ، وَشَغَلَ بِطَلَبِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ
 قُلُوبَهُمْ ، فَغَدَاْنَا بِالْبَحْثِ عَنِ الْأُصُولِ ، عَلَى حَسَبِ مَا وَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا مِنَ
 الْمَعْرِفَةِ ، وَمَهَّلَ عَلَيْنَا مِنَ الْحُزُونَةِ ، حَتَّى عَرَفْنَا الْمَقْسُومَ لَنَا مِنْهَا فَتَفَقَّهْنَاهُ ،
 وَفَهَّمْنَا الْمُنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا فَأَحْكَمْنَاهُ ، ثُمَّ أَنْعَطَفْنَا عَلَى الْفُرُوعِ فَذَهَبْنَا مَعَ فُنُونِهَا
 وَاسْتَكْتَرْنَا مِنْ عُيُونِهَا . ثُمَّ إِنَّا لَمَّا رَأَيْنَا أَنَّ الْأُصُولَ قَدْ اخْتَرْنَا هَذَا كَيْفَ الْمُنَابِتِ ١٥
 طَبِيبَةِ الْمَفَارِسِ ، وَأَنَّ الْفُرُوعَ قَدْ لَوَيْنَاهَا ^(٢) لَدُنْهُ الْأَفْنَانِ عَذْبَةً ، تَرَامَتْ
 بِنَا آمَالُنَا إِلَى أَنْ نَجْتَنِي مِنْ زَهْرِيهَا وَنَطْعَمَ مِنْ ثَمَرَتِهَا ^(٣) ، وَنَمُدَّ يَدًا إِلَى غَرْسِ
 قَدْ أَبْرَزْنَاهُ حَتَّى بَلَغَ إِيَّاهُ ، فَنَقْطِفَ مِنْ خِيَارِهِ ، وَنَتَأَنَّقَ فِي اخْتِيَارِهِ . وَأَصْبَحْنَا

(٢) فِي الْأَصْلَيْنِ : نَوَيْنَاهَا

(١-١) هـ فِي ر ، و

بَعْدُ نَرْمِي أَغْرَاضَ^(١) الْكَلَامِ بِأَسْهُمِ أَزْرَها التَّسْديدُ ۖ وَنَعْقِلُ مَنَاطِمَ الْقَوْلِ
بِأَلْسُنٍ بَرِيٍّ مِنْهَا التَّعْقِيدُ ، وَنُذِيبُ^(٢) مِنَ الْمُشْهُورِ جَدَّاءِ الْنُطَافِ ۖ وَنُجْمِدُ^(٣)
مِنَ الْمَنْظُومِ جَوَاهِرَ الْأَصْدَافِ . وَكَانَ جَدِّي أَحْمَدُ بْنُ بُرْدٍ — رَحِمَهُ اللَّهُ —
بِطُولِ مُمَارَسَتِهِ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِرَحَاءِ اللَّبِّبِ وَالتَّهَمَةِ فِي الطَّلَبِ ۖ وَدَعَا الزَّمَانَ
وَإِقْبَالَ السُّلْطَانِ ۖ وَمَسَافَةِ الْعُمَرِ^(٤) الْمُمْتَدَّةِ لَهُ ، قَدْ اقْتَعَدَ سَنَامَهَا ، وَرَفَعَ أَعْلَامَهَا ،
وَأَصْبَحَ إِمَامَهَا وَزَيْنَ أَيَّامَهَا ، وَرَكِبَ وَسْطَ مَسَاقِيهَا ، وَأَحْرَزَ قَصَبَ سِبَاقِهَا .

وَفِي فَضْلِ مِنْهَا :

١٠ (٥) فَإِنِّي وَافَقْتُ أَوَّلَ مُعَالَجَتِي لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ آخِرَ أَيَّامِهِ وَأَوَّانَ بَتَاتِ عُمَرِهِ
وَانْصِرَامِهِ ۖ خَلَا أَنَّهُ — عَفَا اللَّهُ عَنْهُ — وَلَمَّا يَحُلُّ الْمَقْدُورُ بِهِ^(٥) ، قَدْ كَانَ
أَقْبَسَنِي مَصَابِيحَ مِنْ وَصَايَاهُ فِيهَا ، وَوَطَّأَ لِي مَرَكَبَ مِنْ دَلَالِلِهِ إِلَيْهَا ، وَضَرَبَ لِي
ضَوْوِي^(٦) مِنْ هِدَايَاتِهِ نَحْوَهَا ، أَفَادَ اللَّهُ بِهَا نَفْعًا ، وَأَوْسَعَ مَعَهَا إِزْشَادًا . ثُمَّ إِنَّ
الْأَيَّامَ أَثَرُ مُصَابِيهِ بَوْبَعَدَ ذَهَابِهِ بَاكَرَتْنِي صُرُوفُهَا ، وَشَغَلَتْنِي بِرَفْعِ خُرُوفِهَا
وَمُكَابَدَةِ ضَيْقِهَا ، وَسُوقُ الْأَدَبِ قَدْ كَسَدَتْ ، وَجَمْرَةُ السُّلْطَانِ قَدْ هَمَدَتْ ، وَالْعِيَّ
أَمَضَى مِنَ الْبَيَّانِ ، وَالْإِسَاءَةُ أَحْمَدُ^(٧) مِنَ الْإِحْسَانِ ، وَأَوَّلَامُنَا يَوْمِيذٍ فِي غُطْلَةٍ ۖ
١٥ وَحَا بِرْمَا فِي غُطْلَةٍ^(٨) ، وَكُتُبُنَا تَحْتَ مَوْجِدَةٍ^(٩) ، وَحِينَئِذٍ قُلْتُ :

قَرَعْنَا بِالْكِتَابَةِ بَابَ حَظٍّ لِنَدْخُلَهُ فَرَادَ لَنَا انْفِلَاقًا

(١) مـ في ر (٢) ت ، لب : ورتب . مـ : نسيل

(٣) مـ : انجيل (٤) ت ، لب : مناقبه الغر

(٥—٥) مـ في ر ، مـ (٦) ر : طوى من مداداته

(٧) ت ، لب : أدهى (٨) ت ، لب : غفلة

(٩) مـ : في رقد

فَلَمْ تَبْلُغْ بِلَاغَتِنَا مُنَاهَا^(١) وَلَا مَدَّ الْمَدَادُ لَنَا ارْتِقَا
وَلَا رَاحَتْ تُقَرِّطُ بِالْأَمَانِي قَرَاتِيسُ أَجْدَانَاهَا مَسَاقَا
وَقَلَّتِ الْمَطَالِبُ مِنْ حُدَاهَا لَنَا أَقْلَامَنَا سَاقَا فَسَاقَا
فَلَا هَطَلَتْ عَلَى الْآدَابِ مَزْنٌ وَلَا بَرِحَتْ أَهْلُهَا مَحَاقَا
وَعَوَّضْنَا بِمَا نَذَرِيهِ جَهْلًا لَعَلَّ السُّوقَ مُدْرَكَةٌ نَفَاقَا

- (٢) فَمَارَلْنَا مَعَ الْخُطُوبِ مُسَاجِلِينَ ، وَلِصُرُوفِ الْأَيَّامِ مُنَاصِلِينَ ، فَيَوْمٌ لَنَا
وَيَوْمٌ عَلَيْنَا^(٢) ، حَتَّى^(٣) إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ رَسْمًا ، وَيُعِيدَ لَهَا
دَوْلَةً وَاسْمًا ، وَيَرْفَعَ سَائِرَ الْعُلُومِ مِنَ التَّخُومِ إِلَى النُّجُومِ ، وَفَنُونَ الْآدَابِ مِنَ
الْتَرَابِ إِلَى السَّحَابِ ، طَرَفَ جَفْنِ السَّعْدِ الْبَاهِتِ ، وَارْتَدَّ نَفْسُ الْجَدِّ الْخَافِتِ ،
وَلَقِيَ عَثْرَةَ الْعِلْمِ مُقِيلَهَا ، وَدَوْلَةَ الْجَهْلِ مُدِيلَهَا ، وَنَخْوَةَ الْبَاطِلِ مُزِيلَهَا^(٤) وَرَسُومَ^(٥)
الْغِبَاوَةِ مُجِيلَهَا . وَقَدَاحَ الْبَلَاغَةِ مُجِيلَهَا ؛ وَرُفِعَتْ لِي سُجُوفُ الْأَمَانِي عَنِ الْمَلِكِ
الْيَمَانِي . غُرَّةَ كِنْدَةَ الَّتِي تَضَحَكُ عَنْهَا ، وَهَضْبَةَ تُجِيبُ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا ،
أَبِي الْأَخْوَصِ مَعْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ كَمَا أَيَّدَ الْحَقُّ ، وَصَدَّقَهُ وَعْدُهُ كَمَا أَحْيَى
الصَّدْقَ ، فَوَصَلَتْ بِهِ سَبِي^(٥) ، وَلَوَيْتُ بِقُوَى أَطْنَابِهِ طُنْبِي . وَرَأَيْتُ بِهِ^(٦) لِلْعِلْمِ
جَبَلًا مَوْطُودًا ، وَلِلدِّيَانَةِ ظَلَالًا مَمْدُودًا ، وَلِلتَّقْوَى حَبَلًا مَشْدُودًا ، وَلِلْعِلْمِ بَحْرًا
طَمُوحًا ، وَلِلْآدَبِ^(٧) رَوْضًا مُجُودًا مَرُوحًا . وَلَمْ يَزَلْ^(٨) مُنْذُ اعْتَصَمْتُ

(١) لب : ثواء : وه نواء (٢-٢) نه في ر ، ه

(٣) ر ، ه وفي فعل منها : حق ... (٤) ه ، لب ، ت : ورسم

(٥) ه : لسبي

(٦) نه في ه ، ت ، لب (٧) ه ، ت ، لب : وللاآداب

(٨) ت ، لب : ولم يزل — لازلت به التعل — منذ

بِحُرْمَتِهِ^(١) وَاعْتَزَيْتُ إِلَى خِدْمَتِهِ ، يُقْبَلُ عَلَيَّ فِي مَجَالِسِهِ الْمَأْنُوسَةِ بِاللَّحْظِ
وَاللَّفْظِ ، وَيُكْسِبُنِي بِمَنَازَعَةِ الْأَدَبِ شَرَفَ الْمَرْتَبَةِ وَالْحِظَ ، فَأَتَمَّرُنُ عَلَى تَثْقِيهِ
وَتَقْوِيهِ ، وَأَتَضَمَّرُ عَنْ رِيَاضَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ ، وَتَلَذُّنِي^(٢) هَيْبَتِهِ كَمَالِهِ وَرَوْعَةُ جَلَالِهِ
إِلَى شَحْذِ سَجَايَايَ وَجَمْعِ قُوَايَ^(٣) ، وَاجْتِنَابِ الْخَطَلِ فِي إِيْوَانِهِ ، وَالزَّلَلِ
فِي مَيْدَانِهِ^(٤) ، فَلَا تَرَى شَيْئًا أَشْبَهَ بِهِ فِي التَّفَضُّلِ وَبِي فِي التَّقَبُّلِ مِنْ قَوْلِ حَبِيبٍ :

نَزَمِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ^(٥)

وَالْبَلَاغَةُ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ أَرْقَ مَا اسْتَرْقَ ، وَأَلْطَفَ مَا عَرَفَ ،
وَأَيْسَرَ مَا بِهِ حَاضِرٌ^(٥) ، وَأَقْلَ مَا أَمَلَّ ، وَأَوْهَنَ مَا خَزَنَ ، وَأَدْنَى مَا اقْتَنَى ،
فَلَهُ كَلَفٌ بِانْتِقَادِهَا شَدِيدٌ ، وَصَوْتُ فِي مَعْرِفَةِ نُقَادِهَا بَعِيدٌ . وَقَدْ خَلَصَ بِيَمِينِهِ
الْعَالِيَةِ جَوْهَرُ الْكَلَامِ مِنْ أَخْبَائِهِ ، وَمُمَرَّ الْقَوْلِ مِنْ أَنْكَائِهِ ، فِي غَيْرِ مَا كِتَابٍ
مُنْتَمٍ إِلَى الْبَلَاغَةِ مُعَلِّمٌ فِي الْكِتَابَةِ ، فَجَاءَ بِالصَّوَابِ حَاسِرًا ، وَبَيَّانِ الْحَقِيقَةِ
سَافِرًا ، وَفِي هَذَا النِّقْدِ سَقَطَ الْعِشَاءُ بِمَنْ سَقَطَ عَلَى السَّرْحَانِ ، وَفِيهِ أَسَاءَ مَنْ أَحْسَنَ
بِنَفْسِهِ الظَّنَّ فِي الْإِحْسَانِ^(٦) .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَوَلَّجْتُ إِلَى صَنْعَةِ هَذَا الْكِتَابِ لِيَرَى — أَيَّدَهُ اللَّهُ —
كَيْفَ نَبَتَ كَلَامِي عَلَى سَقْيِهِ ، وَمَا أَوْدَعَ تَرْبَةً قَبُولِي مِنْ غَرَسِهِ . فَإِنِّي
ضَمَنْتُهُ ، فِي فُنُونِ الْبَلَاغَةِ وَفُصُولِ الْكِتَابَةِ ، سُلْطَانِيَّاتٍ وَإِخْوَانِيَّاتٍ .
وَكُلُّ مَا أَوْرَدْتُهُ^(٧) مِمَّا وَلَدَتْهُ^(٧) ، وَمَا وَضَعْتُهُ مِمَّا صَنَعْتُهُ ، لَمْ أَغْلِهِ لِغَيْرِي ،
وَلَا خُنْتُ فِيهِ أَمَانَةَ سَوَايَ ؛ إِلَّا أَنِّي طَرَزْتُهُ بِأَبْوَابٍ مِنْ بَيُوتِ الشُّعْرِ الْمَحْتَوِيَةِ

(١) ت ، لب : بعصيته

(٣-٢) نه في ه ، ر

(٥) لب ، ت : ما حضر

(٧-٧) نه في ر

(٢) ت ، لب : وتلزمي

(٤) راجع ديوان أبي تمام ص ٥١

(٦) لب ، ت : الإنسان

على الحكم البوالغ ، والجارية تجرى الأمثال السوائر ، لشعراء مجيدين وعلماء
مُفِيدِينَ^(١) ، قَدَرَكُوا مِنَ الْمَعَانِي أَوْطَأَهَا مَرَكِبًا ، وَوَرَدُوا لِلْأَلْفَاظِ أَعْدَبَهَا
مَشْرَبًا ، وَتَخَطَّوْا فِي نَظْمِهِمُ الْخُشُونَةَ إِلَى اللَّدُونَةِ ، وَالتَّكَلُّفَ إِلَى التَّلَطُّفِ ،
وَخَاضُوا جُسُومَ الْحُكْمِ إِلَى الْأَرْوَاحِ ، وَخَرَجُوا بِحُسْنِ التَّخْلِصِ مِنَ الْإِتْبَاسِ
إِلَى الْإِيضَاحِ ، لَثَلَا تَبَايَنَ طَبَقَةُ مَنُورَةٍ طَبَقَةَ مَنُظُومَةٍ ، وَلَا تَبَعُدَ مَرْتَبَةُ
جَامِدَةٍ^(٢) مِنْ مَرْتَبَةِ ذَائِبَةٍ^(٣) وَلِيَأْتِيَ فِي أَزْدِوَاجِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَامْتِزَاجِ
الْمَاءِ بِالْعُقَارِ ।

فُصُولٌ لَهُ فِي التَّحْمِيدَاتِ

فصل :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا وَقَهَرُ^(٤) ، وَبَطَنَ وَظَهَرَ ، وَبِحِكْمَتِهِ^(٥) قَدَّرَ وَأَمَرَ^(٦) ، ١٠
وَبِعِذْلِهِ قَدَّمَ وَأَخَّرَ .

فصل آخر :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ الْقُرْآنَ^(٧) خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ، الْحُجُوبِ
عَنِ الْأَبْصَارِ ، وَالْفَائِتِ إِحَاطَةَ الْأَفْكَارِ ، تَعَالَى^(٨) فِي الْحُجُبِ الْعَلَا ، وَاطَّلَعَ عَلَى
النَّجْوَى ، وَعَلِمَ السِّرَّ وَأَخْفَى ، خَلَقَ^(٩) الْخَلْقَ لِلْفَنَاءِ ، ثُمَّ يُعِيدُهُمُ لِلْبَقَاءِ . ١٠

(٢) وه : مرتبة قاصية إلى مرتبة دانية

(١) نه في لب ، ت

(٤) ت ، لب ، وه : فقهر

(٣) نه في ت ، لب

(٦) نه في ت ، لب ، وه

(٥) وه : وبعلمه . ت : وبحكمه

(٨) ت ، لب : تواري

(٧-٧) نه في ر

(٩) نه في ت ، لب

فصل ١

الحمد لله اللطيف الخبير، العالم بذات الصدور، الذي يطلع على^(١) الإصرار، ويعلم خفي^(٢) الأسرار، ويتوقفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار.

فصل ١

الحمد لله جالي الكرب السود، وقاتح المبهمة المسدود، الذي أقال العثرات، وأدال من الحسرات، وانتاش من البأساء، وأعقب بالنعماء، وأراح من جهد البلاء.

فصل :

الحمد لله وأصل الحبل بعد انقطاعه، وملائم الشمل^(٣) بعد انصداعه، المصبح بنا من ليالي^(٤) الخطوب، والماسحي^(٥) عنا غياهب الكرب، والناظم لما انتثر من الألفة، والجامع لما انتثر من الكلمة.

فصل :

الحمد لله الكائن قبل المكان، والموجود في عدم الزمان، الحي الذي لا يدركه الموت، والدائم الذي لا يلحقه الفوت، والفرد الذي ليس له نظير، والصمد دون ولي ولا ظهير، وارث الأرض ومن قطنها، والسماء ومن سكنها، مميّت كل حي وباعثه، ومحي كل ميّت ومنشره.

(٢) لب : الشعب ، ت : الشعب

(١-١) هـ في هـ

(٤) هـ : المجاحي

(٣) ت ، لب : ليل

فَصَلِّ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعَوَالِمِ ^(١) عَلَى تَنَافُرٍ ^(٢) فِي الصِّفَاتِ شَدِيدٍ ، وَتَبَايُنٍ فِي
التَّرَكِيبَاتِ بَعِيدٍ ، فَمِنْ صَلَاحٍ كَالْفَخَّارِ ، وَمِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَمِنْ
جَوَاهِرٍ رُوحَانِيَّةٍ ^(٣) وَأَنْوَارٍ ، وَكُلُّ عَالَمٍ مِنْهَا نَاطِقٌ بِأَنَّهُ خَالِقٌ ، وَشَهِيدٌ
بِأَنَّهُ وَاحِدٌ .

فَصَلِّ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ عَثَرْتَ الْجُدُودَ ، وَهَوَتْ السُّعُودُ ، الْمَرْجُوُّ لِلْإِدَالَةِ ،
وَالْمَدْعُوُّ فِي الْإِقَالَةِ ، وَالْقَادِرُ عَلَى تَعْجِيلِ الْإِنْتِصَارِ ، وَالْآخِذِ لِلْإِسْلَامِ
بِمُنْهَمِ النَّارِ ^(٤) .

فَصَلِّ :

١٠

أَمَّا بَعْدُ ، فَمَا أُتِيَتْ ^(٥) الْبَصَائِرُ مِنْ تَعْلِيلٍ ، وَلَا الْأَعْدَادُ مِنْ تَقْلِيلٍ ،
وَلَا الْقُلُوبُ مِنْ خَوَرٍ ، وَلَا السَّوَاعِدُ مِنْ قِصَرٍ ، وَلَا السُّيُوفُ مِنْ كَهَمٍ ، وَلَا
الرِّمَاحُ مِنْ جَذَمٍ ، وَلَا الْحِيَادُ مِنْ لُؤْمٍ أَعْرَاقٍ ، وَلَا الصُّفُوفُ مِنْ سُوءٍ اتِّسَاقٍ .
وَلَكِنَّ النَّصَرَ تَعَذَّرَ ، وَالْوَقْتُ الْمَقْدُورَ حَضَرَ ، وَلَمْ يَكُنْ لِمَتَمِضِي سَيُوفٍ لَمْ
يُرِدِ اللَّهُ مَضَاءَهَا ، وَلَا لَتَبَقَى نَفُوسٌ لَمْ يُرِدِ ^(٦) اللَّهُ بَقَاءَهَا . وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
أَحْسَنُ النَّاسِ وَأَجْمَلُ التَّعَزَّى ^(٧) « إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ
مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ » ^(٨) .

(٢) ت : تغاير

(١) ت ، لب ، ه : العالم

(٤) ر ، ت ، لب : النار

(٣) ه ، ت ، لب : روحانيات

(٦) ه : لم ير

(٥) ر : أوتيت

(٨) سورة آل عمران آية (١٣٩)

(٧) ر : التقوى

فصل :

الحمد لله مؤلف الآراء، وجامع الأهواء، على ما أُنعمَ من سيفِ الفتنَةِ،
وأطفأ من نارِ الإحْنة، وأصلحَ الفاسِد، وألّف^(١) الشَّارِد، ونشَرَ الأَمْن،
وأحيا الحق، وجمعَ الشَّمْل، ووَصَلَ^(٢) الحَبْل، وَرَجَعَ الكلمةَ إلى أَجْمَلِ نِظَام.
وَأَنعمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَتَمَّ إِنْعَام.

فصل :

الحمد لله الذي صَيَّرَ أَعْدَاءَنَا فِي أَعْدَادِنَا، وَأَضْدَادَنَا مِنْ أَعْضَادِنَا،
وَالشُّيُوفَ الْمَسْلُوكَةَ عَلَيْنَا مَسْلُوكَةً دُونَنَا، وَالْجُيُوشَ الْمُجَهَّزَةَ إِلَيْنَا مُجَهَّزَةً عَنَّا،
حَمَدَ مَنْ لَا يَسْتَغْرِبُ لَهُ صُنْعًا، وَلَا يَرَى مِنْ آيَاتِهِ بَدْعًا، وَلَا يُطِيقُ لِنِعْمِهِ
عَدًّا، وَلَا يَحُدُّ لآلَائِهِ حَدًّا.

وَلَهُ فَضُولٌ فِي شُكْرِ النِّعَمِ

فصل :

إِنَّ لِلنِّعَمِ عِيُونًا إِذَا كُحِلْنَ بِالشُّكْرِ أَرَيْنَ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ السَّبِيلَ^(٣) الَّتِي
يَأْتِي الْمَزِيدُ مِنْهَا، وَتَنْحَدِرُ الْمَوَادُّ عَلَيْهَا، وَالْمُنَاهِجُ الَّتِي تُفْضِي^(٤) بِهَا إِلَى دَارِ
إِقَامَتِهَا، وَتُبْلِغُهَا مَأْمَنَهَا وَمُلْقَى عَصَاهَا.

(٢) ت، لب : واصل

(١) ت، لب : عطف

(٤) ت، لب : يفضي

(٣) و، ت، لب : السبل

فصل :

أَمَّا بَعْدَ ، فَإِنَّ زَهْرَ النِّعْمَةِ إِذَا تَفَتَّحَ بِوَابِلِ^(١) الشُّكْرِ رَأَتْ فِيهِ^(٢) قُرَّتَهَا الْعَيْنُ ، وَأَخَذَتْ مِنْهُ^(٣) حَاجَتَهَا النَّفْسُ .

فصل :

نِعْمَ حَاضِنُ النِّعْمَةِ الشُّكْرُ ، يَغْذُوهَا فَتُنْمَى ، وَيَحْرُسُهَا فَتُحْمَى ، وَيُلْطِفُهَا
فَتَلْقَى عَصَاهَا ، وَيَعْطِفُهَا^(٤) فَتُعْطَى جَنَاهَا . وَلِبِئْسَ^(٥) الْجَارُ لَهَا الْكُفْرُ ،
يُطِيرُهَا عَنْ مَوْضِعِهَا^(٦) ، وَيُنْفِرُهَا عَنْ مَشْرِعِهَا ، وَيُبْقِي صَاحِبَهَا سَلِيْبًا^(٧)
مِنْ لِبَاسِهَا ، وَحِشًّا مِنْ إِيْنِاسِهَا .

فصل :

مَنْ رَبَّى النِّعْمَةَ فِي حِجْرِ الشُّكْرِ ، وَأَرْضَعَهَا ثَدْيَ الْحَمْدِ ، وَكَفَلَهَا بِأَدَاءِ
الْحَقِّ ، رَأَى فِي شَخْصِهَا النَّمَاءَ ، وَتَعَرَّفَ مِنْ عُمرِهَا الْبَقَاءَ ، وَأَمِنَ عَلَيْهَا
التَّحَوُّلَ وَالْإِتِّوَاءَ .

فصل :

الشُّكْرُ حَرَمٌ لِلْمِنَّةِ ، وَأَمَانٌ بِيَدِ النِّعْمَةِ . إِذَا أَقْبَلَ بَابُ النِّعْمَةِ

(١) لب ، ت ، وه : غب وابل (٢) ت ، لب : فيها

(٣) ت ، لب : منها (٤) ر : يقطفها

(٥) وه ، لب : لبس (٦) لب : يطير بها عن موقعها

(٧) في ر « ملبساً » وفي سائر الاصول « سليماً »

فالشُّكْرُ مِفْتَاحُهُ ^(١). الشُّكْرُ عُودَةٌ عَلَى الْعَارِفَةِ، وَتِمِيمَةٌ فِي جِدِّ النَّعْمَةِ.
مَنْ شَكَرَ النَّعْمَةَ اتَّحَفَ بِهَا، وَمَنْ كَفَرَهَا عَرَى مِنْهَا.
الْكُفْرُ غُرَابٌ يَنْعَبُ عَلَى مَنَازِلِ النِّعَمِ. الشُّكْرُ بِيَدِ النَّعْمَةِ أَمَانٌ
وَعَلَى وَجْهِ الْعَارِفَةِ صِوَانٌ. مَهْرُ النَّعْمَةِ الشُّكْرُ، وَطَلَقُهَا الْكُفْرُ.

فَقَرَّ ^(٢) فِي وَصْفِ الْقَلَمِ وَالْمِدَادِ وَالْكِتَابِ

الْكِتَابُ مِنْ حِلْيَةِ ^(٣) الْمَلَائِكَةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ
مَا تَفْعَلُونَ» ^(٤). الْمِدَادُ كَالْبَحْرِ وَالْقَلَمُ كَالْغَوَاصِّ، وَاللِّفْظُ ^(٥) كَالْجَوْهَرِ،
وَالْقِرْطَاسُ كَالسَّلَكِ. الدَّوَاةُ كَالْقَلْبِ، وَالْقَلَمُ كَالْخَاطِرِ، وَالصَّحِيفَةُ كَاللِّسَانِ. الْعَقْلُ
أَبٌ، وَالْعِلْمُ أُمٌّ، وَالْفِكْرُ ابْنٌ، وَالْقَلَمُ خَادِمٌ. مَا أَعْجَبَ شَأْنَ الْقَلَمِ، يَشْرَبُ ظُلْمَةً
وَيَلْفِظُ نُورًا! قَدْ يَكُونُ قَلَمُ الْكَاتِبِ أَمْضَى مِنْ سِنَانٍ ^(٦) الْمُحَارِبِ. الْقَلَمُ سَهْمٌ
تُنْفَذُ بِهِ الْقَاتِلُ، وَشَفَرَةٌ تُطَبَّقُ بِهَا الْمَفَاصِلُ. إِذَا أَخَذَ الْكِتَابُ شِكْمَهُمْ لِلْكَلامِ
وَاخْتَرَطُوا ظُبَاتِ الْأَقْلَامِ، فَكَمْ مِنْ عَرْشٍ يُثَلُّ، وَدَمٍ يُطَلُّ، وَجَبَّارٍ يُذَلُّ،
وَجَيْشٍ يُقَلُّ! ^(٧) وَلَوْ لَا الْقَلَمُ ^(٧) مَا عَبَّثَ كِتَابٌ، ^(٨) وَلَا سُرِّيَتْ ^(٨) مَقَانِبٌ.
وَلَا انْتَضَيْتْ سِيُوفٌ، وَلَا اِزْدَلَفَتْ صُفُوفٌ. عَلَى غَيْثِ الْقَلَمِ يَتَفَتَّحُ زَهْرُ الْكَلِمِ.
مَا أَضْوَعُ الْقَلَمُ لِحَلِيِّ الْحِكْمِ! قَاتِلَ اللَّهِ الْقَلَمُ، كَيْفَ يَقْلُ السِّنَانُ وَهُوَ يُكْسِرُ
بِالْأَسْنَانِ! فَسَادُ الْقَلَمِ خَدَرٌ فِي أَعْضَاءِ الْخَطِّ. قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ: وَهَذَا مُحْلُولٌ مِنْ
قَوْلِ الْقَاتِلِ حَيْثُ يَقُولُ:

(١) ت، لب: مفتاحها (٢) هـ في ر

(٣) هـ، ت، لب: حلى (٤) سورة الاقطار: آية ١١، ١٢

(٥) هـ: الألفاظ (٦) ر: سن

(٧-٧) هـ في هـ، ت، لب (٨-٨) هـ في هـ

مَنْ خَطَّ يَوْمًا بَيْرَيقَهُ فَسَدَتْ أَصَابَ أَعْضَاءَ خَطِّهِ خَدَرٌ
رَدَاءَةُ الْخَطِّ فَذَى فِي عَيْنِ الْقَارِي .

فُصُولٌ لَهُ تَنْخَرُطُ فِي سِلْكِ^(١) الْأَمَانِ

- (٢) إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَنَاجَى الْمُسْلِمُونَ بِهِ ، وَوَجَّهُوا بِصَارِئِهِمْ إِلَيْهِ ، وَصَحَّحُوا
نِيَّاتِهِمْ فِيهِ ، وَلَمْ يَلُوهُمْ لَوْ عَنَّهُ ، وَلَا لَقَتَهُمْ لَافِتٌ دُونَهُ ، مَا قَرَّبَ مِنْ رِضَا اللَّهِ .
وَأَبْعَدَ مِنْ سَخَطِهِ ، وَعَمِلَ فِيهِ بِأَمْرِهِ ، وَاحْتَسِبَ فِيهِ خِلَافَةَ رَسُولِهِ فِي أُمَّتِهِ ، مِنْ
الْإِضْلَاحِ بَيْنَ الْمُتَحَارِبِينَ وَتَحْذِيرِهِمْ [مَا] فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ ، وَتَارِيثِ نَارِ الشَّحْنَاءِ ،
وَتَوْكِيدِ مِرَرِ الْحُقُودِ ، وَإِقْطَاطِ عُيُونِ الْحُرُوبِ مِنْ فِسَادِ الدِّينِ ، وَوَهْنِ الْيَقِينِ
وَذَهَابِ الرَّجَالِ ، وَفَقَادِ الْأَمْوَالِ ، وَاجْتِيَاكِ النَّعْمِ ، وَاسْتِنْزَالِ النَّقَمِ . قَالَ تَعَالَى :
« لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِضْلَاحٍ .
بَيْنَ النَّاسِ . » (٣) وَقَالَ : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ،
فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ » (٤) .

فصل :

- إِنَّ الْحَرْبَ مَشْكَالَةٌ لِلنَّفُوسِ ، مَثَلْفَةٌ لِلْأَمْوَالِ ، [مَجْلِبَةٌ] لِلنَّدَامَةِ فِي الْعَوَاقِبِ .
تَلَذُّ مَبَادِيهَا لِلْأَشْرَارِ وَتُنْجِي كَلَالَ كُلِّ عَاقِبَتِهَا عَلَى الْأَخْيَارِ . وَقَلَمًا تَقْدَحُ شَعْلَهَا
وَيُغْلِي^(٥) مِرْجَلَهَا إِلَّا فَرَّاشُ الشَّرِّ وَذُو بَابِ الطَّمَعِ ، مِمَّنْ لَا يَخْفِلُ بَعَارٌ وَلَا يَسْتَحْيِي
مِنْ فِرَارٍ ، فَإِنْ هَلَكَ لَمْ يُفْقَدْ ، وَإِنْ نَجَا لَمْ يُحْمَدِ . ثُمَّ تَرْتَكِضُ جَمَاهِيرُ النَّاسِ
وَأُولُو الذِّكْرِ ، وَالْأَعَاظُ أخطَارًا ، وَالْأَحَاسِنُ آثَارًا ، فِي لُجَجٍ تَبْعُدُ عَنْهَا السَّوَاحِلُ ،

(١) و ، ت ، ب : كتب (٢) لا يوجد هذا الفصل والفصول الثلاثة التالية له

في مخطوطتي ر ، و (٣) سورة النساء : آية ١١٤

(٤) سورة الحجرات : آية ٩ (٥) في الأصلين : يبق

وَيُنَوِّهُونَ بِفَوَاحِ تَهْدُّ عَنْهَا السَّكَوَاهِلُ ۖ فَأَصَحَّ النَّاسِ لُبًّا ، وَأَبْعَدُهُمْ نَظْرًا
وَأَخْيَرُهُمْ أَحْسَابًا ، مَنْ ^(١) حَضَّ عَلَى الصَّلْحِ ، وَنُسِبَ إِلَى إِبْرَاءِ الْجُرْحِ ، وَلَمْ يَأْلُ
إِرْشَادًا وَتَبْصِيرًا ، وَمِنْ سُوءِ الْعَوَاقِبِ تَخْوِيفًا وَتَحْذِيرًا ، وَبَادَرَ نَارَ الْفِتْنَةِ بِالْإِطْفَاءِ ۖ
وَعُصِبَ الْمُتَحَازِينَ ^(٢) بِالْإِرْخَاءِ ، وَشَوَّكَتِ الْحَرْبُ بِالْخَضْدِ ، فَحَقَّنَ الدَّمَ ۖ وَحَمَى
الْحُرْمَ ، وَأَوْطَنَ النَّعْمَ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ آنَ أَنْ تُوقِظُوا سَوَاهِي الْعُقُولِ ، وَأَنْ تُرِيحُوا عَوَازِبَ
الْأَحْلَامِ ، فَتَسْلُؤُوا السَّخَائِمَ ، وَتُعْمِدُوا الصَّوَارِمَ ۖ وَتُعِيدُوا السَّهَامَ فِي كِنَانِهَا ،
وَتَقْفُوا الْأَسِنَّةَ فِي مَرَاكِزِهَا ، وَتُسْلِمُوا الْخِيُولَ فِي مَرَابِضِهَا ، وَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
الْقَادِرَ عَلَيْكُمْ وَالْآخِذَ بِنِوَاصِيكُمْ] ^(٣) أَقْلَهَا اسْتِثْصَالَ أَمَارٍ ^(٤) النِّعَمَ عَلَيْكُمْ ،
وَسَطَوَاتُ أَبْرَزُهَا تَحَكُّمُ أَيْدِي الْبَلَاءِ فِيكُمْ ، فَكَمْ صَالٍ بِنَارِكُمْ لَمْ يَشْرِكْكُمْ
فِي قَدْحِهَا ۖ وَشَقِيَّ بَفِتْنَتِكُمْ وَلَمْ يَغْمِسْ مَعَكُمْ يَدًا فِيهَا ، وَمَوْفُورٍ سَعِيَّتُمْ
لِدَهَابِ وَفَرِهِ ، وَمَسْتُورٍ أَعْنَتُمْ عَلَى انْكِشَافِ سِتْرِهِ ، فَلَا الْعِظَةَ تَسْمَعُونَ ،
وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ تُرْعُونَ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَتَجْرَعَنَّ الْخُطْبَانُ ، وَلَتَقْرَعَنَّ الْأَسْنَانُ ۖ
وَلَتَحَاوِلُنَّ الْأَوْبَةَ وَلَا مَابَ لَكُمْ ، وَالتَّوْبَةَ وَلَا قَبُولَ مِنْكُمْ .

فَصَلِّ

بَايَعَ الْإِمَامَ عَبْدَ اللَّهِ فَلَانَ بِانْشِرَاحِ صَدْرٍ وَطِيبِ نَفْسٍ وَنَصَاحَةِ جَيْبٍ
وَسَلَامَةِ غَيْبٍ ، بَيْعَةَ رِضًا وَاخْتِيَارًا ، لَا بَيْعَةَ إِكْرَاهٍ وَإِجْبَارٍ ، عَلَى السَّمْعِ
وَالطَّاعَةِ ، وَالْمُؤَاوَزَةِ وَالنُّصْرَةِ ، وَالْوَفَاءِ وَالنَّصِيحَةِ ، فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ۖ وَالْجَهْرِ

(١) بالأصلين « ومن » (٢) لب : المتحازين

(٣) سقط ، كأنه قال « له غضبات » أو مافى معناها مما يتسق والسياق أو يستقيم به الكلام .

(٤) غير واضحة تمامًا بالأصول وتقرأ كأنها أسار .

وَالنِّيَّةُ وَالْعَمَلُ عَلَى مَوَالَاةِ مَنْ وَالَاهُ وَمُعَادَاةِ مَنْ عَادَاهُ ، مِنْ بَعِيدٍ وَقَرِيبٍ ، وَغَرِيبٍ وَنَسِيبٍ . وَيُقَسِّمُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ وَالْقِيَامِ بِشُرُوطِ بَيْعَتِهِ ، بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَالْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَيُعْطِيهِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ وَذِمَّةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْمُقَرَّبِينَ وَعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ .

ومتى خلعت رِبْقَةً بِخَيْرٍ أَوْ غَدْرٍ ، أَوْ طَوَيْتَ كَشْحًا عَلَى نَكْثٍ أَوْ حِنْثٍ ، فَعَلَيْكَ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِيَطْحَاءِ مَكَّةَ مِنْ مُسْتَقَرِّكَ ثَلَاثِينَ حِجَّةً نَذْرًا وَاجِبًا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا الْوَفَاءَ بِهِ . وَكُلُّ زَوْجَةٍ لَكَ مَهْدَرَةٍ ، أَوْ تَنْكِحَهَا إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً فَطَالِقٌ تَحْتَكَ طَلَاقُ الْحَرْجِ ثَلَاثًا . وَكُلُّ أُمَّةٍ ^(١) أَوْ عَبْدٍ لَكَ أَوْ تَمْلِكُهُ فَأَحْرَارُ لَوْجِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ . [وَكُلُّ] مَالٍ لَكَ مِنْ صَامِتٍ أَوْ نَاطِقٍ ١٠ أَوْ تَمْلِكُهُ إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً غَيْرَ عَشْرَةِ دَنَانِيرٍ أَوْ قَدَرَهَا فَصَدَقَةٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَقَدْ بَرَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْكَ وَرَسُولُهُ وَمَلَائِكَتُهُ . وَاللَّهُ بِجَمِيعِ مَا انْعَقَدَ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ شَهِيدٌ ، وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا وَعَلَى الْأَعْمَالِ وَالنِّيَّاتِ مُثْبِتًا .

[فَصْل]

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْغَلْبَةَ لَنَا وَالظُّهُورَ عَلَيْكَ جَلْبَاكَ إِلَيْنَا عَلَى قَدَمِكَ ^(٢) ١٥ دُونَ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ يَمْنَعَانِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمِكَ . وَلَكِنَّا ، بِمَا وَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا مِنَ الْإِشْرَافِ عَلَى سَرَائِرِ ^(٣) الرِّيَاسَةِ وَالْحِفْظِ لِشَرَائِعِ السِّيَاسَةِ ، تَأْمَنُنَا مِنْ سَاسِ جِهَتِكَ قَبْلَنَا فَوَجَدْنَا يَدَ ^(٤) سِيَاسَتِهِ خَرْقَاءَ ، وَعَيْنَ حَزَامَتِهِ ^(٥) عَوْرَاءَ ،

(١) فِي الْأَصُولِ : وَكُلُّ أُمَّةٍ أَوْ حُرَّةٍ عَبْدٌ لَكَ ...

(٢) هـ فِي هـ (٣) هـ : أَسْرَارُ (٤) هـ فِي لَب

(٥) هـ : حَرَامَتُهُ

وقدّم مُدَارَاتِهِ شَلَاءً ، لَأَنَّهُ مَالٌ عَنْ تَرْغِيْبِكَ فَلَمْ تَرْجُهُ ، وَعَنْ تَرْهِيْبِكَ فَلَمْ تَخْشَهُ ، فَأَدَّتْكَ حَاجَتُكَ إِلَى طَلَابِ الطَّعْمِ الدِّنِّيَّةِ ، وَقَلَّةُ مَهَابَتِكَ إِلَى التَّهْلَاكِ عَلَى الْمَعَاصِي الْوَبِيَّةِ ^(١) . وَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ نُظَيْرَ فَضْلٍ سِيرِنَا فِيكَ ، وَنَعْتَبَرُ بِالنَّظَرِ فِي أَمْرِكَ ، فَهَمَدْنَا لَكَ التَّرْغِيْبَ لِتَأْنَسَ إِلَيْهِ ، وَظَلَلْنَا لَكَ التَّرْهِيْبَ لِتَفَرِّقَ مِنْهُ . فَإِنْ سَوَّتَ الْحَالَتَانِ طَبْعَكَ ، وَدَاوَى الثِّقَافُ وَالنَّارُ عَوْدَكَ ، فَذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَيَبْظَاهِرُهُ حُسْنُ السِّيَاسَةِ فِيكَ ؛ وَأَمَّا اللَّهُ لَكَ مَبْسُوطٌ مِنَّا ، وَمَوَائِيْقُهُ بِالْوَفَاءِ لَكَ مَعْقُودَةٌ عَلَيْنَا ۖ وَأَنْتَ إِلَى جِهَتِكَ مَصْرُوفٌ ، وَبِعَفْوِنَا وَالْعَافِيَةِ مِنَّا مَكْنُوفٌ ، إِلَّا أَنْ تَطِيشَ الصَّنِيعَةَ عِنْدَكَ ، فَتَخْلَعَ الرِّبْقَةَ وَتَمْرُقَ مِنَ الطَّاعَةِ ، فَلَسْنَا ^(٢) بِأَوَّلِ مَنْ مُبْعَى عَلَيْهِ ، وَلَسْتَ بِأَوَّلِ مَنْ بَدَتْ ^(٣) لَنَا مَقَاتِلُهُ مِنْ أَشْكَالِكَ إِنْ بَغَيْتَ ، وَانْفَتَحَتْ لَنَا أَبْوَابُ اسْتِثْصَالِهِ مِنْ أَمْثَالِكَ إِنْ طَلِبْتَ .

أَمَّا غَرِيبٌ ^(٤) الصَّنِيعَةِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكُمْ سَأَلْتُمْ الْأَمَانَ أَوَّانَ تَلَمَّظْتَ ^(٥) السُّيُوفُ إِلَيْكُمْ ۖ وَحَامَتِ الْمَنَایَا عَلَيْكُمْ ، وَهَمَّتْ حَظَائِرُ الْخِذْلَانِ أَنْ تُفَرِّجَ لَنَا عَنْكُمْ ، وَأَيْدِي الْعِصْيَانِ أَنْ تُتَحَفَّنَا بِكُمْ . وَلَوْ كَلْنَا لَكُمْ بِصَاعَكُمْ ، وَلَمْ نَزْعَ فِيكُمْ ذِمَّةَ اصْطِنَاعِكُمْ ، لَصَاقَ عَنْكُمْ ^(٦) مَلْبَسُ الْفُفْرَانِ ، وَلَمْ يَنْسِدِلْ عَلَيْكُمْ سِتْرُ الْأَمَانِ . وَلَكِنَّا عَلِمْنَا أَنَّ كَهُولَكُمْ الْخُلُوفَ عَنْكُمْ ^(٧) وَذَوَى أَسْنَانِكُمْ ^(٨) الْمَعَاصِينَ ^(٩) لَكُمْ ، مِمَّنْ يَهَابُ

(١) في الأصول كلمة أقرب قراءة لها ما أثبتناه

(٢) نه في ت ، لب (٣) نه ، ت ، لب : تراوت

(٤) ت ، لب « أمان آخر » (٥) نه « تلاطم » (٦) لب : عليكم ملتي

(٧-٧) نه في ر (٨) ت ، لب « المعالين »

وَسَمَّ الْخُلَعَانِ . وَيَخَافُ سَطْوَ السُّلْطَانِ ، وَأَنَّهُمْ لَا يُرَاسِلُونَكُمْ فِي مَيِّدَانٍ مَّقْصِيَةٍ . وَلَا يُزَاحِمُونَكُمْ مَنَهْلَ حَيْرَةٍ ^(١) ، وَلَا يُمَاشُونَكُمْ إِلَى مَوْقِفٍ وَدَاعٍ نِعْمَةٍ . وَلَوْلَا تَحَرُّجُنَا ^(٢) أَنْ نَقْطَعَ أَعْضَادَهُمْ ^(٣) بِكُمْ ، وَرَجَاؤُنَا أَنْ يَكُونَ الْعَفْوُ عَلَى ^(٤) الْمُقْدِرَةِ تَأْدِيًّا لَكُمْ ، لَشَرِبْتُ دِمَاءَكُمْ سِبَاعُ الْكُمَاةِ ، وَأَكَلْتُ لُحُومَكُمْ ضِبَاعُ الْفَلَائَةِ . وَقَدْ أُعْطِينَا كُمْ بِتَأْمِينِنَا إِيَّاكُمْ عَهْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَذِمَّتَهُ ، وَنَحْنُ لَا نَخْفَرُهَا • أَيَّامَ حَيَاتِنَا إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَكُمْ كَرَّةٌ ، وَلَقَدَرْتُمْ ضَرَّةً ، فَيَوْمَئِذٍ لَا إِعْذَارَ لَكُمْ . وَلَا إِقْصَارَ عَنْكُمْ ، حَتَّى تَخْصِدَ كُمْ طُبَاةُ السُّيُوفِ . وَتَقْقِضَ دُيُونُ أَنْفُسِكُمْ غُرْمَاءَ الْحُتُوفِ .

وفي العتاب :

- أَظْلَمَ لِي جَوْضُ صَفَائِكَ . وَتَوَعَّرْتُ عَلَى أَرْضِ إِخَائِكَ . وَأَرَاكَ جَلْدَ الضَّمِيرِ عَلَى الْعِتَابِ ، غَيْرَ نَاقِعِ الْغُلَّةِ مِنَ الْجَفَاءِ . فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَقْسَى ^(٥) مُهْجَةَ ذَلِكَ الْوَدِّ ، وَأَذْوَى ^(٦) زَهْرَةَ ذَلِكَ الْعَهْدِ ؟ عَهْدِي بِكَ وَصَلْتُنَا تَفَرَّقَ مِنْ اسْمِ الْقَطِيعَةِ . وَمَوَدَّتُنَا تُسَلُّ عَنْ صِفَةِ الْعِتَابِ وَلِسْبَةِ الْجَفَاءِ ؛ وَالْيَوْمَ هِيَ آنَسُ بِذَلِكَ مِنَ الرَّضِيعِ بِالثَّدْيِ ، وَالْخَلِيعِ بِالْكَأْسِ ^(٧) . وَهَذِهِ ثُقْرَةٌ إِنْ لَمْ تَخْرُسْهَا الْمُرَاجِعَةُ ، وَتَذُكَّ ^(٨) فِيهَا عُيُونُ الْاسْتِبْصَارِ ، تَوَجَّهَتْ مِنْهَا ^(٩) الْحِيلُ عَلَى هَذَمِ مَا بَيْنَيْنَا ، وَنَقَضَ مَا اقْتَنَيْنَا ، وَتَلَكَ نَاعِيَةُ الصَّفَاءِ ، وَالصَّارِخَةُ ^(١٠) بِمَوْتِ الْإِخَاءِ .

(٢) « تَجَوَّجْنَا »

(١) ت « حرة »

(٤) و « عند »

(٣) و « ت » ، لب « أَعْضَادُهُمْ »

(٦) و « ت » ، لب : وَأَذْبَلِ

(٥) و « ت » ، لب « أَقْسَى »

(٨) و « تَذَكُّوْا »

(٧) ر : بِالنَّاسِ

(١٠) و « : وَالصَّامِتَةُ »

(٩) ت « لب « مَنَّا »

لا أُسْتَبَدُّ^(١) — أَعَزَّكَ اللهُ — مِنَ الْكِتَابِ إِلَيْكَ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ الْقَلَمِ،
وَأَنْزَوْتَ أَحْشَاءَ الْقِرْطَاسِ . وَأُخْرِسَ فَمُ الْفِكْرِ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي أَحَدِهَا إِسْمَاعُ
لِي عَلَى مُكَاتَبَتِكَ ، وَلَا بَشَاشَةٌ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ مُخَاطَبَتِكَ ، لِقَوَارِصِ^(٢) عِتَابِكَ ،
وَقَوَارِعِ مَلَامِكَ ، الَّتِي قَدْ أَكَلَتْ أَقْلَامَكَ ، وَأَغَصَّتْ كُتُبَكَ . وَأَضْجَرَتْ
رُسُلَكَ . وَضَمِيرِي طَاوٍ لَمْ يَطْعَمْ تَجَنُّيًا عَلَيْكَ . وَنَفْسِي وَادِعَةٌ لَمْ تَجْنِ ذَنْبًا
إِلَيْكَ ، وَعَقْدِي مُسْتَحْكِمٌ^(٣) لَمْ يَمْسَسْهُ وَهْنٌ فَيْكَ . وَأَنَا الْآنَ عَلَى طَرَفٍ مِنْ
إِخَائِكَ^(٤) مَعَكَ ، فَإِنَّمَا أَنْ تَبْهَرَنِي بِحُجَّةٍ فَأَنْتَصَلَ عِنْدَكَ ، وَإِنَّمَا أَنْ تَفِيَّ^(٥) بِحَقِيقَةِ
فَأَسْتَدِيمُ خُلَّتِكَ ، وَإِنَّمَا أَنْ تَأْزِمَ^(٦) عَلَى فَاسِكَ وَأَقْطَعَ حَبْلِي مِنْكَ . كَثِيرًا مَا يَكُونُ
عِتَابُ الْمُتَصَافِيَيْنِ حِيلَةً تُسَبِّرُ الْمُوَدَّةَ بِهَا ، وَتُسْتَشَارُ دَفَائِنُ^(٧) الْأُخُوَّةِ عَنْهَا ، كَمَا
يُعْرَضُ الذَّهَبُ عَلَى اللَّهَبِ ، وَتُصَفَّقُ^(٨) الْمُدَامُ بِالْفَدَامِ . وَقَدْ يَخْلُصُ الْوُدُّ عَلَى
الْعُتْبِ خَلَاصُ^(٩) الذَّهَبِ عَلَى السَّبْكِ . فَأَمَّا إِذَا أُعِيدَ وَأُبْدِيَ ، وَرُدِّدَ وَوُؤِلِيَ ، فَإِنَّهُ
يُفْسَدُ غَرَسَ الْإِخَاءِ كَمَا يُفْسَدُ الزَّرْعُ تَوَالِي الْمَاءِ .

فصول في الاستزارة :

اليَوْمَ يَوْمٌ بَكَتْ أَمْطَارُهُ ، وَخَجِكَتْ أَرْهَارُهُ . وَتَقَنَّنَتْ شَمْسُهُ ، وَتَعَطَّرَ
نَسِيمُهُ . وَعِنْدَنَا بُلْبُلٌ هَزَجَ ، وَسَاقٍ غَنَجَ . وَسُلَافَتَانِ سُلَافَةٌ إِخْوَانُ وَسُلَافَةٌ
دِنَانٌ ؛ قَدْ تَشَا كَلَّتَا^(١٠) فِي الطَّبَاعِ ، وَازْدَوَجَتَا فِي إِثَارَةِ الشَّرُورِ ؛ فَاخْرِقْ إِلَيْنَا

(١) كذا في جميع الأصول ولعلها انتبذ

(٢) عوارض (٣) وه : « مستوثق »

(٤) وه : على ظن مع الإخاء معك (٥) وه : تلقى

(٦) وه : « تلزم على يأسك » (٧) وه ، ت ، لب : « دقائق »

(٨) وه : يصنى (٩) وه : خلوص (١٠) وه : تشاركنا

سُرَادِقَ الدَّجَى تَجِدُ^(١) مَرَأَى لَمْ يُحَسِّنْ إِلَّا لَكَ ، وَلَا^(٢) يَتِمُّ إِلَّا بِكَ .
الزِّيَارَةُ فِي اللَّيْلِ أَخْفَى ۖ وَبِالزَّائِرِ وَالْمَزُورِ أَخْفَى ۖ وَقَدْ سُدِّلَ حِجَابُهُ ، وَوَقَعَ
غُرَابُهُ ، وَتَبَرَّقَعَتْ نُجُومُهُ بَغْيُومِهِ ۖ وَتَلَفَعَتْ كَوَاكِبُهُ بِسَحَابِهِ ؛ فَاهْتِكُ إِلَيْنَا
سِتْرَهُ ، وَخُضْ نَحْوَنَا بِحَرِّهِ ؛ وَلَكَ الْأَمَانُ مِنْ عَيْنٍ وَاشِ تَرَكَ ، وَشَخْصٍ رَقِيبٍ
يَلْقَاكَ . الْبَدْرُ صِنُوكَ ، فَإِنْ طَلَعَتْ مَعَهُ عَلَى دُعْرِ الْخَافِقَانِ ، وَالشَّمْسُ تَرُبُّكَ ،
فَإِنْ صَاحَبَتْهَا إِلَى اسْتِرَابِ الثَّقَلَانِ ؛ فَاجْعَلْ لِيَالِيَ السَّرَارِ مَوَاقِيتَ الْأَزْدِيَارِ ،
وَأَيَّامَ الْانْكَسَافِ سَاعَاتِ الْإِتْلَافِ .

لَمْ نَلْتَقِ مِنْذُ عَرَيْنَا مَرَكَبَ اللَّهِ ، وَأَخْلَيْنَا رُبْعَ الْأَنْسِ ، وَقَصَصْنَا جَنَاحَ
الطَّرَبِ ۖ وَعَبَسْنَا فِي وُجُوهِ اللَّذَاتِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَخْفَ إِلَى مَجْلِسٍ قَدْ
نُسِخَتْ فِيهِ الرِّيَاحِينَ بِالْدَّوَاوِينِ ، وَالْمَجَامِرُ بِالْحَايِرِ ، وَالْأَطْبَاقُ بِالْأَوْرَاقِ ۖ
وَتَنَازَعُ الْمَدَامُ بِنِزَاعِ الْكَلَامِ ، وَاسْتِمَاعُ الْأَوْتَارِ بِاسْتِمَاعِ الْأَخْبَارِ ، وَسَجْعُ
الْبَلَابِلِ بِسَجْعِ الرِّسَالِ ، كَانَ أَشْحَدَ لَذَنِكَ ، وَأَصْقَلَ لِفِكْرِكَ ، وَأَنْسَ
لِخَاطِرِكَ ، وَأَطْيَبَ لِنَفْسِكَ ، وَأَفْرَجَ لِهَمِّكَ ، وَأَرْشَدَ لِرَأْيِكَ .

نَحْنُ مِنْ مَنَزِلِ أَبِي فُلَانٍ بِحَيْثُ نَلْتَمِسُ^(٤) سَنَاكَ ، وَنَتَنَسَّمُ رِيَاكَ ؛ وَقَدْ
رَاعَنَا الْيَوْمُ بِكَفْهَرَارِ وَجْهِهِ ۖ وَمَا ذَرَّ مِنْ كَافُورٍ ثُلُجِهِ ، فَادَّرَعْنَا لَهُ بِالسُّتُورِ ،
وَأَنَعَمْنَا بَيْنَ جُيُوبِ السُّرُورِ ، وَرَفَعْنَا لِبَنَاتِ الزُّنَادِ رَايَاتِ حُمْرَاءَ ۖ وَأَجْرَيْنَا
لِبَنَاتِ الْكُرُومِ خَيْلًا شَقْرَاءَ ، وَأَحْبَبْنَا أَنْ تَشْهَدَ جَيْشَ الشِّتَاءِ كَيْفَ يَهْزَمُ ،
وَأَنْفَاسَ الْبَرْدِ كَيْفَ تُكَظَّمُ .

(١) ت ، لب « تجلى »

(٢) و ، لا

(٣) لب : ولم

(٤) و ، ت ، لب « نلتمج »

فصول قصار في مدح الإخاء

بيننا خصائص ودادة كأنها وشائج ولادة . رعيت به السعدان ،
وأخذت من ريب دهرى به الأمان .

جلى من مطلبى ما أظلم على ، وأشعل من همى ما خمد لى . أمضى لسانى
وبل ريق ، وأشاد باسمى ، وأعلى قدري . لا والحجر اليماني والسبع المثاني ،
لا جعلت سواه قصدي ، ولا استكفيت غيره عظم أمرى . ناصرى إذا
تكاثرت الخطوب على ، ومجبرى إذا أئخت^(١) الأيام جانبى . هو ذخري
المعد ، وركني الأشد ، وسلاحى الأحد . خزانه سر^(٢) لا إقليد لها ،
ولا لصوص حيلة فيها . آراؤه كالمرآي إذا جليت ، والسيف إذا انتصيت ؛
يحسن عشرة الجار ، ويسبي عشرة الدرهم والدينار . ١٠

وله في ضد ذلك :

خلت عنه يدي ، وخذت قلاه خلدى . بيض الأنوق من رفيه أمكن ،
وصفا المشرق من خده ألين . منزور النوال ، رث الفعّال . أحاديث وعده لا
تعود ينفع ، ولا هي من غرب ولا نبع . مطحلب الوجه ، مهران ماء الحياء .
مظلم الخلق ، دبورى الرياح ، مقشعر الوجه . طاشت عنده الصنعة ، وضاعت
فيه الهدى . على وجهه من التعبيس قل ضاع مفتاحه ، وليل مات صباحه . غنى
من الجهل ، مفلس من العقل . تتضاءل النعم لديه ، وتقبح محاسن الإحسان
عليه . لم ينظم عليه قط خرز ثناء . ولا استحق أن يلبس بزة مدح . غربال
حديث ، إذا وعى سراً فطر منه . أجال قدحا غير قامر . ورعى بسهم غير

(٢) مد ف ت ، لب

(١) ه : « نحت »

صَائِب . كَبِدُ الزَّمَانِ عَلَيْهِ قَاسِيَةٌ ۖ وَنِعْمُ اللَّهُ لَهُ نَاسِيَةٌ . شَرُّ بُقْعَةٍ (١) لِفَرَسٍ
الْمُودَّةِ وَبَذَرِ الْإِخَاءِ . قَصِيرُ الْوَفَاءِ لِلْإِخْوَانِ ، عَوْنٌ عَلَيْهِمْ مَعَ الزَّمَانِ . هُوَ كَدْرُ
الدُّنْيَا وَسَقَمُ الْحَيَاةِ . رَقَدْتُ مِلءَ عَيْنِي فِي فَرْشِ الْقَلْبِ لَهُ ، وَشَرِبْتُ زُلَّالَ مَاءِ
الْعَزَاءِ عَنْهُ . مُرَبِّ لِأَطْفَالِ الْإِحْنِ ، مُخَيِّ لِأَمْوَاتِ الدَّمَنِ .

وهذه أيضاً جملة من شعره في أوصاف شتى

النسيب وما يناسبه :

قال : (٢)

لَمَّا بَدَا فِي لَازُورٍ دِيَّ الْحَرِيرِ وَقَدْ بَهَرَ
كَبُرْتُ مِنْ فَرْطِ الْجَمَا لِي وَقُلْتُ : مَا هَذَا بَشَرُ
فَأَجَابَنِي : لَا تُنْكِرَنَّ ثَوْبَ السَّمَاءِ عَلَى الْقَمَرِ

١٠

وهذا كقول ابن الرومي (٣) :

يَا ثَوْبَهُ الْأَزْرَقَ الَّذِي قَدْ فَاقَ الْعِرَاقَ فِي السَّنَاءِ
كَأَنَّهُ فِيهِ بَذَرٌ تَمَّ يَشُقُّ فِي زُرْقَةِ السَّمَاءِ

وابن المعتز أيضاً القائل (٤) :

وَبَنَفْسِي الثَّوْبَ قَتَلُ مُحِبِّهِ مِنْ دَابِهِ
الآن صِرْتُ الْبَذَرُ حَيٌّ نَ لَيْسَتْ ثَوْبَ سَحَابِهِ

١٥

ورأى ابن بُرْدٍ غلاماً قد بَيَّضَ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ أَفْقِنَا فِي لِبَاسٍ (٥) الْبَيَاضِ

عند الحزن فقال :

(٢) المقطوعات التالية مختلفة الترتيب في النسخ

(١) ر : نبعة

(٣) لا يوجد البيتان في ديوانه المطبوع (٤) لا يوجد البيتان في ديوانه المطبوع

(٥) هـ : «لبس» — ت ، لب : «لبسة»

أَجَلُ جُفُونِكَ فِي ذَا الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ وَلَمْ عَلَى النَّأْيِ مِنْهُ حَادِثَ الزَّمَنِ
وَاعْجَبَ لِصِدِّيقٍ فِي مَرَأَةٍ قَدْ جُمِعَا : شَخْصِ الشُّرُورِ عَلَيْهِ لِبْسَةُ الْحَزَنِ

وَفِي لِبَاسِ أَهْلِ أَقْفِنَا الْبَيَاضَ عَلَى الْمَتَوَقَّى يَقُولُ الْحُلَوَانِي :

لَئِنْ كَانَ الْبَيَاضُ لِبَاسَ حُزْنٍ بِأَنْدَلُسٍ فَذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ
أَلَمْ تَرَنِي لَبِسْتُ بَيَاضَ شَيْبِي ^(١) لَأَنِّي قَدْ حَزَنْتُ عَلَى الشَّبَابِ ؟

وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِنَا وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمٍ
الْمُحَدِّثُ بِقَرْطَبَةِ ^(٢) فَقَالَ :

قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ فَرَوَّعَهَا شَيْبٌ عَلَى فَوْدِي مُنْتَشِرٌ :
مَا شَأْنُ تِلْكَ ^(٣) الْبَيْضِ ؟ قُلْتُ لَهَا : مَاتَ الشَّبَابُ فَبَيَّضَ الشَّعْرُ

وَقَالَ ابْنُ بُرْدٍ :

أَقْبَلَ فِي ثَوْبٍ لَا زَوْرِدٍ قَدْ أَفْرَغَ التَّبَرُّ ^(٤) مِنْ عَلَيْهِ
كَانَهُ الْبَدْرُ فِي سَمَاءٍ قَدْ طَرَّرَ الْبَرْقُ جَانِبَيْهِ

وَقَالَ أَيْضًا :

بِأَبِي طَائِرٍ حُسْنٍ لَا قِطَّ حَبِّ الْقُلُوبِ
كَلَّمَا اهْتَرَّ جَنَاحُ الصَّدِّ هَزَّتْ بِالْوَجِيبِ

يَتَغَنَّى بِلِسَانٍ مُعَرَّبٍ فَوْقَ قَضِيبٍ :
أَعْطَى الْمَلِكُ مُحِبُّ فَازَ مِثْقَى بِنَصِيبِ

وَيَنْظَرُ مِنْ هَذَا بَعْضُ النَّظَرِ قَوْلَ أَبِي نُوَّاسٍ ^(٥) :

(١) ت : شيب (٢) ه : نه في ت ، ب

(٣) ه : ذاك البياض (٤) ر : أفرغ

(٥) راجع ديوانه ص ٣٦٢

وَمَا أَنَا^(١) — إِنْ عَمَرْتُ أَرَى جِنَانًا
مُقْنَعَةً بِثُوبِ الْحُسْنِ تَرَعَى
وَقَالَ ابْنُ بُرْدٍ أَيْضًا :

كَيْفَ لَا أَعْشَقُ ظَنِيًّا
إِنَّمَا الشَّمْرَةُ فِيهِ
وَهَذَا كَقَوْلِ ابْنِ فَتْوَح :

قَدْ قَصِيبٌ وَبَدْرٌ دِيَجُورٍ
نَازِلٌ صَبْرِي وَأَيُّ مُصْطَبِرٍ
كَأَنَّمَا نُورُهُ وَسَمَرَتُهُ
وَقَالَ ابْنُ بُرْدٍ :

بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي
أَبَدًا تَأْتِي بَعْتِي
بَيْنَنَا فِي الْحُبِّ قُرْبَى :

وَهَذَا كَقَوْلِ ابْنِ الرُّومِي .

يَا عَلِيلًا جَعَلَ الْعَلَّةَ مِفْتَاحًا لِسُقْمِي
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ عَلِيلٌ
وَأَخَذَهُ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيءٍ فَقَالَ^(٣) :

الْمُدْنَفَانِ مِنَ الْبَرِيَّةِ كُلُّهَا :
وَالْمُشْرِقَاتُ النَّيِّرَاتُ ثَلَاثَةٌ :

جِسْمِي وَطَرْفُ بَابِي أَحْوَرُ
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَجَعْفَرُ

(٢) هـ ، ت ، لب : الملاحظ

(١) م : ومالي

(٣) راجع ديوانه « تبين المعاني » ص ٣٦٤

وقال ابن بُرْد :

يا كَثِيرَ الجَفَاءِ لِي وَمُضِيْعًا وَسَائِلِي
طَالَ حُجِّي وَلَمْ تَفُزْ مِنْكَ نَفْسِي بِطَائِلِ
أَنْتَ لِي هَاجِرٌ وَإِنْ كُنْتُ فِي ثَوْبٍ وَاحِلِ
أَنْتَ أَمْرَزْتَ مِنْهَا كَانَ أَحْلَى مِنْهَا هِلِي^(١)
سَوْفَ أَبْكِيكَ، لَاسْتِحَالَةَ تِلْكَ الشَّمَائِلِ،
يَجْفُونَ قَرِيحَةً وَدُمُوعَ هَوَائِلِ

وقال أيضاً :

يَا مَنْ بَفِيهِ يَغْبِقُ الْعَنْبَرُ وَمَنْ لَمَاهُ^(٢) سَكَّرَ مُسْكِرُ
صَحَّ الْهَوَى مِنْهَا وَلَكِنِّي أَعْجَبُ مِنْ بَعْدِ لَنَا يُقَدَّرُ
كَأَنَّكَ فِي فَلَكٍ دَائِرِ فَأَنْتَ تَخْفَى وَأَنَا أَظْهَرُ

وقال أيضاً :

صَبَّ ذَكَتُ فِي فُؤَادِهِ الْحَرَقُ يَغْرَقُ فِي دَمْعِهِ وَيَخْتَرِقُ
لَدَدَهُ فِي دُجَى صَبَابَتِهِ وَجْهُهُ بِمَاءِ الشَّبَابِ مُؤْتَلِقُ
لَمَّا رَمَتْهُ الْعُيُونُ ظَالِمَةً وَاثَّرَتْ فِي بَحَالِهِ الْحَدَقُ
أَلْبَسَ مِنْ نَسَجِ شَعْرِهِ زَرْدًا صِيغَتْ لَهُ مِنْ زُمُرْدٍ حَلَقُ

وقال في مثله :

هُوَ فِي الْحَسَنِ كَالْجَوَا دِ بَرِيحِ الصَّبَا حُدَى
زَيْنَ إِذْ جَاءَ سَابِقًا بَعِذَارِي زُمُرْدِ

(٢) ر : لَمَاهُ

(١) ر : مَنَاهِلِ

وقال أيضاً :

وَجْهٌ لِمِضْبَاحِ السَّمَاءِ مُبَاهَى يُبْدِي الشَّبَابُ عَلَيْهِ ^(١) رَشْحَ مِيَاهِ
رَقَمَ الْعِذَارُ غِلَالَتِيهِ بِأَحْرَفِ مَعْنَى الْهَوَى فِي طَيْهَا مُتَنَاهَى
نَادَى عَلَيْهِ الْحُسْنُ حِينَ لَقِيَتْهُ : هَذَا الْمُنْعَمُ فِي طِرَازِ اللَّهِ
وهذا كقول المتنبي ^(٢) :

فَدَعَاكَ حُسْدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَا
خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الْعُيُونِ كَلَامَهُ كَالْخَطِّ يَمَلَأُ مِسْمَعِي مَنْ أَبْصَرَا
وقال ابن بُرْد :

أَعْنَبَرٌ فِي فَمِهِ فُتَّتَا أَمْ صَارِمٌ مِنْ لَحْظِهِ أَصْلِنَا ؟
يَا شَارِبًا ^(٣) أَلْتَمَنِي شَارِبًا قَدْ هَمَّ فِيهِ الْأَسُّ أَنْ يَنْبُتَا
انْظُرْ إِلَى الذَّاهِبِ مِنْ لَيْلِنَا وَامْرُؤٌ بِمَاءِ الذَّهَبِ الْمُنْبَتَا
كَأَنَّهُ ^(٤) ذَهَبَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مِنْهَا ^(٥) إِلَى مُعَارَضَةِ ابْنِ الْمُعْتَزِ فِي قَوْلِهِ :

قَدْ صَادَ قَلْبِي قَمَرُ يَسْحَرُ مِنْهُ النَّظَرُ
بَوْجِنَةٍ كَأَنَّمَا يُقْدَحُ مِنْهَا الشَّرُّ
وَشَارِبٍ قَدْ نَمَّ ^(٦) أَوْ هَمَّ عَلَيْهِ الشَّعْرُ
ضَعِيفَةً أَجْفَانُهُ وَالْقَلْبُ مِنْهُ حَجَرُ
كَأَنَّمَا مُقْلَتُهُ مِنْ فَعْلِهِ تَعْتَدِرُ
الْحُسْنُ فِيهِ كَامِلُ وَفِي الْوَرَى مُحْتَصَرُ

(١) نه في ر (٢) انظر ديوان المتنبي (ج ١ ص ٣٦٧)

(٣) قه : يا شادنا (٤-٤) ت ، لب : كأنه ذهب بقوله : قد هم فيه الأس أن يبتا :

(٥) راجع ديوانه (ص ٨٢) (٦) ت ، لب : قد هم أو نم

وليس يدُ ابن بُرْدٍ فيه ^(١) عن مَرَمَاهِ بِقَاصِرَةٍ ، ولا صَفَقَتُهُ حِينَ جَارَاهُ
بِخَاسِرَةٍ ، بل سَاوَاهُ وَزَادَ ، وَأَجَادَ مَا أَرَادَ . أَلَا تَرَى قَوْلَ ابْنِ الْمُعْتَزِلِ عَلَى تَقْدِيمِهِ
« قَدْ نَمَّ أَوْ هَمَّ ^(٢) عَلَيْهِ الشَّعْرُ » لَا يَكَادُ يُخْرِجُ عَنْ لَفْظِ الْعَامَّةِ ، وَابْنُ بُرْدٍ
جَمَعَ فِي بَيْتِهِ بَيْنَ بَايَيْنٍ مِنْ أَبْوَابِ الْبَدِيعِ : فَجَانَسَ بَيْنَ الشَّارِبِ وَالشَّارِبِ ،
وَأَنْبَأَ أَنَّ مَحْبُوبَهُ فِي آخِرِ دَرَجَةٍ مِنَ الْمُرُودَةِ ^(٣) وَأَوَّلِ دَرَجَةٍ مِنَ اللَّحْيَةِ ، بِإِشَارَةٍ
عَدْبَةٍ ، وَعِبَارَةٍ حُلُوءٍ رَطْبَةٍ ، دُونَ تَطْوِيلٍ وَلَا تَثْقِيلٍ ^(٤) ؟ وَقَوْلُ ابْنِ بُرْدٍ :
« وَامْرُؤُجُ بِمَاءِ الذَّهَبِ الْمُنْبَتِّ » — يَعْنِي بِذَلِكَ الْفِضَّةَ ، وَالْمُنْبَتُّ مُوَلَّدٌ
لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ^(٥) — يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ الصَّنَوْبَرِيِّ :

وَلَيْلَةٍ كَالرَّفْرِفِ الْمُعْلَمِ مَخْفُوفَةٍ الظَّلْمَاءِ بِالْأَنْجُمِ
تَعَلَّقَ الْفَجْرُ بِأَرْجَائِهَا تَعَلَّقَ الْأَشْقَرُ بِالْأُدْهَمِ
عَدَلْتُ فِيهَا بَيْنَ خَمْرَيْنِ مِنْ خَمْرِ الْعِنَاقِيدِ وَخَمْرِ الْقَمِ
تَنَاوَلُ الْجَامَ يَدِي مِنْ يَدِ مَوْشِيَةِ الرَّاحَةِ وَالْمِعْصَمِ
شَبَّهْتُ ذُؤَبَ الرَّاحِ فِي جَامِهَا بِذُؤَبِ دِينَارٍ عَلَى دِرْهَمِ

١٠

وَإِنْ كَانَ الصَّنَوْبَرِيُّ أَرَادَ غَيْرَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ بُرْدٍ ، لِأَنَّهُ أَمَرَ مَحْبُوبَهُ أَنْ
يَمْرُجَ لَهُ مُدَامَةً صَفْرَاءَ بِمَاءِ زُلَالٍ ، وَالصَّنَوْبَرِيُّ شَبَّهَ ذُؤَبَ الرَّاحِ فِي كَأْسِهَا
بِذُؤَبِ الذَّهَبِ ، وَشَبَّهَ ^(٦) الْكَأْسَ بِالْدَّرْهِمِ ، فَعَلِمَ ابْنُ بُرْدٍ الْإِشَارَةَ وَأَنَّ الْخَمْرَ إِذَا
اصْفَرَّتْ شَبَّهَتْ بِالذَّهَبِ ^(٦) ، وَالْمُنْبَتُّ إِذَا ذُؤَبَ أَشْبَهَ الْمَاءَ فَنَاسَبَ قَوْلُ

١٥

(١) هـ في هـ ، ت ، لب (٢) ر : هـ أَوْ هـ

(٣) ر : المردة ، ت ، لب : المرودية (٤) ر : تثقيل

(٥-٥) هـ : ولفظه المنبت والمنبوت مولدة ليس من قول العرب — هـ في ت ، لب

(٦-٦) هـ في ت ، لب

الصَّنَوْبَرِيَّ عَلَى هَذِهِ الْإِشَارَةِ . وَقَدْ نَحَا هَذَا النَحْوَ ^(١) بَعْضُ أَهْلِ أَفْقِنَا ^(٢) وَهُوَ أَبُو عَلِيٍّ حَسَّانُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَعْرُوفُ بِالسَّنَاطِ فَقَالَ .

أَدِرْ كَأَسِيكَ ^(٣) يَا قَمَرَ النَّدَى فَقَدْ نَامَ الْخَلِيُّ عَنِ الشَّجِيِّ
كَفَى بِكَ وَالْمُدَامَةِ لِي صَبَاحًا يُفَرِّقُ ^(٤) عَسْكَرَ اللَّيْلِ الدَّجِيِّ
فَخُذْ ذَهَبًا وَرَدَّ لَهُ ^(٥) لُجَيْنًا تَكُنْ فِي النَّقْدِ ^(٦) أَرْبَحَ صَيْرَفِي
وَقَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ « وَالْقَلْبُ مِنْهُ حَجَرٌ » الْبَيْتَ كَقَوْلِ الْمَأْمُونِ ^(٧) الْحَارِثِيُّ :
..... فَقُلْتُ لَهَا يَا قَلْبَهَا أَحَدِيدُ أَنْتَ أُمُّ حَجَرٍ ؟ ^(٨)

وبعدّه :

إِذَا مَرَضْنَا ^(٩) أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُذْنِبُونَ فَنَاتِيكُمْ فَنَعْتَدِرُ ^(١٠)
وَقَالَ ابْنُ بُرْدٍ :

بِخِدَاعِ عَالُوهُ وَبِهَجْرِ وَصَالُوهُ
لَمْ يُبَالُوا يَوْمَ صَدِّ أَيْ وَجَدِ حَمَلُوهُ
أَخْرَجُوهُ عَنْ ^(١١) مَحَلِّ لِلتَّسَلَّى دَخَلُوهُ
بَلَّغُوا فِيهِ الْأَعَادِي كُلَّ شَيْءٍ أَمَلُوهُ ^(١٢)
رُبَّ سِترٍ لِلتَّصَابِي فَوْقَهُ قَدْ سَدَلُوهُ ^(١٣)

(١-١) هـ في ت ، لب (٢) هـ : أبو الحسن على

(٣) ت ، لب : نجميك (٤) لب : مفرق

(٥) هـ : لنا (٦) ت ، لب : « في الناس »

(٧) هـ : السامري الحارثي (٨) رسم البيت في الأصول هو :

فقلت لها يا قلبها أحديد أنت أم حجر

فظاهر أن الشطر الأول منه ناقص (٩) هـ ، هـ : مرضتم

(١٠) ت ، لب : ونعتذر (١١) هـ : من

(١٢) هـ : أي شيء (١٣) ت ، لب : أسدلوه

وَسَنَا نَارَ مُحْيَا^(١) فِي الدُّجَى قَدْ أَشْعَلُوهُ
كُلَّمَا سَقَوْهُ^(٢) كَأْسًا إِنْزَرَ كَأْسٍ قَتَلُوهُ
وَهَلَالٍ بَشَرِيٍّ بِنُجُومٍ كَلَّوهُ
فِي بَيْمٍ مِنْ ظَلَامٍ بِسَنَاهُ حَجَّلُوهُ
نَشَطُوهُ ثُمَّ لَمَّا لَانَ عِطْفًا أُخْجَلُوهُ^(٣)
عَدَلُوهُ عَنْ وَصَالِي حَسَدًا ثُمَّ وَلَّوهُ
إِنَّمَا حُبِّي فِيكُمْ مِثْلُ مَا^(٤) قَدْ سَأَلُوهُ

وذكرت بهذه القطعة قطعة على وزنها ورويها، ويتعلق بها خبر من سمي
الأخبار وشرها. قالوا كان^(٥) الأمين محمد بن هارون يوماً على بركة ماء^(٦)
وقد عضه ببغداد الحصار، وأخذت عليه الأقطار، إذ دخل عليه غلامه كوثر
الخادم الوسيم، وكان له من حبه جزء مقسوم. وقد أصابه سهم خرق حجاب
قلبه فخر لحينه، فجزع عليه الأمين جزعاً كان دونه الجنون، ثم قال:

قَتَلُوا قُرَّةَ عَيْنِي وَمِنْ أَجْلِ قَتَلُوهُ
يَاهِلَالِ الدَّجْنِ قُلْ لِي مَا لِقَوِي جَهْلُوهُ؟
طَلَعَ الْبَدْرُ نَهَارًا فَلِذَا لَمْ يَعْرِفُوهُ
أَخَذَ اللَّهُ لِقَلْبِي مِنْ أَنَاسٍ خَرَقُوهُ^(٧)

وذكر بعض الرواة أن أبا محمد التيمي زاد في هذه الأبيات فقال:

- (١) هـ : حمى (٢) هـ : ساقوه
(٣) هـ : نبطوه (٤) هـ ، ت ، لب : مثلاً قد أرسلوه
(٥) ت ، لب : بينا (٦) ر : بردى بياض — في هـ — ت ، لب : بردماء
(٧) هـ : أحرقوه ، ت ، لب : حرقوه — وهذا البيت منسوب في ت ، لب إلى
التيمي ضمن البيتين التاليين

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ فَضْلًا عَلَيْهِمْ حَسَدُوهُ
مِثْلَمَا قَدْ حَسَدَ الْقَا ثُمَّ بِالْمَلِكِ أَخُوهُ
وفي غلامه كوثري قول ، وقد نظر إلى طلوع البدر ، وهو ^(١) يشرب ، على
الفسطاط :

• وَصَفَ الْبَدْرُ حُسْنَ وَجْهِكَ حَتَّى خَلْتُ أُنَى ، وَمَا أَرَاكَ ، أَرَاكَ
وَإِذَا مَا تَنَفَّسَ النَّرْجِسُ الْغَضُّ ^(٢) تَوَهَّمَتْهُ نَسِيمَ شَذَاكَ
خَدَعُ اللَّغْنَى تَعْلُنِي فِيكَ ^(٣) بِإِشْرَاقِ ذَا وَنَكْهَةِ ذَاكَ
لَا قِيمَنَ مَا حَيَّيْتُ عَلَى الشُّكْرِ ^(٤) لِهَذَا وَذَلِكَ إِذْ حَكِيَاكَ
وهو القائل فيه حين يئس ^(٢) مِنْ نَفْسِهِ :

١٠ يَا كُوثَرِي ^(٣) حَاصِرَنِي طَاهِرُ إِنِّي عَلَى مَا نَابَنِي صَابِرُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلْكِي إِلَّا الَّذِي تَرَاهُ وَالْجَسْرَانِ وَالْمَاطِرُ ^(٤)
وقال ابن بُرْد :

أَسْمَرُ فِي اللَّوْنِ وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَفَ الصُّبْحُ عَلَى الْإِفْتِضَاحِ
يَا عَجَبِي مِنْ شَادِنِ أَهْيَفٍ يُطَارِدُ الْخَيْلَ وَيَثْنِي الرُّمَاحَ
١٥ إِذَا مَشَى وَالْجَيْشُ ^(٥) قُدَّامَهُ صَاحَ عَلَيْهِ حُسْنُهُ : لَا بَرَّاحُ !
وذَكَرْتُ بِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلَ مُحَمَّدِ بْنِ هَانِي ^(٦) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ ^(٧) فَيَتَطَرَّفُ
الْمَغْزَى إِلَيْهِ :

(١) ه ، ت ، لب : وهو يشرب وعلى الفسطاط نرجس

(٢) ت ، لب : أيس (٣) ر ، ه : ياكوثر

(٤) ه : الناظر (٥) ت ، لب : والجند — ه الحسن

(٦) راجع تبين المعاني (ص ٨١) (٧) ه : فيه

قَرُّ لَهُمْ قَدْ قَلَدُوهُ صَارِمًا وَلَوْ انْصَفُوهُ قَلَدُوهُ كَوَّكِبًا
جَاهُوا بِهِ مِنْ بَعْدِ أَنْ حَسَدُوا لَهُ مِنْ رَدِّهِ ^(١) جَيْشًا لثَلَا يُغْلَبَا
وَكَأَنَّمَا طَبَعُوا لَهُ مِنْ لَحْظِهِ سَيْفًا رَقِيقَ الشَّفَرَتَيْنِ مُشْطَبَا
خَالَسَتْهُ نَظَرًا وَكَانَ مُورَدًّا فَاحْمَرَّ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَلَهَّبَا
هَذَا طِرَازُ مَا الْعُيُونُ كَتَبْنَهُ لَكِنَّهُ قَبْلَ الْعُيُونِ تَكْتَبَا
صِفَةٌ تَحَيَّرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضِهَا حَتَّى غَدَا التَّوْرِيدُ فِيهَا مُذْهَبَا
وقال ^(٢) ابنُ بُرْدٍ :

زِدْتُكَ ذُلًّا فَرِدْتَ تِيهَا وَاخْطَأَ ذَلٌّ مَنْ يَلِيهَا
لَيْتَكَ حُمِلَتْ بَعْضَ مَا بِي فَذُقْتَ مَا ذُقْتُ مِنْكَ فِيهَا
يَا شَاعِرَ الْحُسْنِ بِي تَرَفَّقْ لَا تَقْتُلْنِي بِهِ بِدِيهَا

ومن شعره في سائر الأوصاف :

قال :

وَيَوْمَ تَفَنَّنَ فِي طَيْبِهِ وَجَاءَتْ مَوَاقِيْتُهُ بِالْعَجَبِ
تَجَلَّى الصَّبَاحُ بِهِ عَنْ حَيَا قَدْ اسْقَى وَعَنْ زَهْرٍ قَدْ شَرِبَ
وَمَا زِلْتُ أَحْسِبُ فِيهِ السَّحَا بَ وَنَارُ بَوَارِقِهَا تَلْتَهَبُ
بِحَاثِي تَوْضُعُ فِي سَيْرِهَا وَقَدْ قَرَعْتُ بِسَيَاطِ الدَّهَبِ
يناسبُ مَعْنَى الْبَيْتِ الثَّانِي مِنْهَا قَوْلُ ابْنِ حَمْدِيسٍ الصَّقَلِيِّ ^(٣) :

(٢) هذه الأبيات الثلاثة ناقصة في م

(١) ت ، لب : طرفه

(٣) راجع ديوانه ص ٧٥

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرَشُفَ شَمْسُ الضُّحَى ^(١) رِيْقَ الْفَوَادِي مِنْ ثُغُورِ الْأَقَاخِ
(٢) ومعنى البيت الأخير من قول الآخر (٢) :

حَتَّى إِذَا مَارَعَ الْآلَ الضُّحَى ^(١) حَسِبَتْهُ سَلَسِلًا مِنَ الذَّهَبِ
وقد قال بعض أهل عصرنا وهو أبو بكر ابن بقي فذهب به مذهبا عجيبا
وَوَلَدَ مَعْنَى غَرِيبَا :

يَا لَكَ مِنْ بَرَقٍ وَمِنْ دِيمَةٍ خِلْتُهُمَا فِي لَيْلِي الْعَاتِمِ
سَوَاطِنَ الْمَسْجِدِ تُوْمِي بِهِ كَفَّ النَّجَاشِي إِلَى حَاتِمِ
وقال ابن بُرْد :

رُضَابُكَ رَى لِمَنْ قَدْ عَطِشَ وَقُرْبُكَ أَنْسَ لِمَنْ قَدْ وَحِشَ
وَكَمْ لَيْلَةٍ جُلْتُمَا ^(٣) فَانْجَلَتْ إِلَى مُدْنَفٍ زُرْتُهُ فَانْتَعَشَ
وَقَدْ فَتَحَ الْأَفُقُ لِلنَّاطِرِينَ م عَنْ شَهْلَةَ الشُّبْحِ هُدْبُ الْغَبَشِ
وينظر هذا إلى قول المعري ^(٤) :

وَصُبْحٌ قَدْ فَلَيْنَا اللَّيْلَ عَنْهُ كَمَا يُفْلَى عَنِ النَّارِ الرَّمَادُ
وقال ابن بُرْد :

عَارِضٌ أَقْبَلَ فِي جُنْحِ الدُّجَى يَتَهَادَى كَتَهَادَى ذِي الْوَجَى
أَتَلَقْتُ رِيحَ الصَّبَا لَوْلَاهُ فَانْحَى ^(٥) يُوقِدُ عَنْهُ الشَّرْجَا ^(٦)
وَكَأَنَّ الرَّعْدَ حَادِي مُضْعَبٍ كَلَّمَا صَالَ عَلَيْهِ وَسَجَا

(١-١) م في م (٢-٢) عبارة ت ، لب : «وقوله بخاتي توضع

في سيرها البيت يشبه قول الآخر من أناشيد أبي علي البغدادي

(٣) م : جيتنا — لب : جيتها — : جيتها (٤) راجع سقط الزند (م ٧٠)

(٥) م ، ، لب : فانتحي (٦) م ، ت ، لب : سرجا

وَكَأَنَّ الْبَرْقَ كَأْسٌ سُكِبَتْ فِي لَهَاةِ الْمُزْنِ حَتَّى لَهَجَا
وَكَأَنَّ الْجَوْ مَيْدَانٌ وَغَيٌّ رَفَعَتْ فِيهِ الْمَذَاكِي رَهَجًا
ومعنى البيت الثاني من هذا كقول ابن المعتز^(١) وهو من أحسن ما قيل

في الصُّبح :

وَالصُّبْحُ يَتَلَوُ الْمُشْتَرَى فَكَأَنَّهُ عُرْيَانٌ يَمْشِي فِي الدُّجَى بِسِرَاجٍ

وَقَالَ تَمِيمُ بْنُ الْمَعِزِّ :

وَكَأَنَّ الصَّبَاحَ فِي الْأَفْقِ بَازٍ وَالْدُّجَى بَيْنَ مِخْلَبَيْهِ غُرَابٌ

وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ^(٢) :

وَالصُّبْحُ يَلْمَحُ^(٣) مِنْ خِلَالِ سَحَابِهِ كَالْمَاءِ يَلْمَعُ مِنْ خِلَالِ الطُّحْلُبِ

وَقَالَ ابْنُ بُرْدٍ :

سَقَانِي وَجَفْنُ^(٤) اللَّيْلِ يَفْسِلُ كُحْلَهُ بِمَاءِ الصَّبَاحِ وَالنَّسِيمِ رَفِيقُ

مُدَامَا كَذُوبِ الْقَبْرِ أَمَا نِجَارُهَا فَضَخْمٌ وَأَمَا جِرْمُهَا فَرَفِيقُ

وَقَالَ أَيْضًا :

وَكَأَنَّ اللَّيْلَ حِينَ لَوَى هَارِبًا^(٥) وَالصُّبْحُ قَدْ لَاحَا

كَلَّةً سَوْدَاءَ حَرَقَهَا^(٦) عَامِدًا^(٧) أَسْرَجَ مِصْبَاحَا

وَقَالَ أَيْضًا :

تَأْمَلْ فَقَدْ شَقَّ الْبَهَارُ مُغْلَسًا كَمَا مِمَّةٌ عَنْ زَهْرِهِ الْخَضِلِ النَّدَى

(١) ديوان ابن المعتز (ص ٧٤) (٢) راجع الديوان (ج ٢ ص ١٣٤) والرواية

فيه : حتى تجلى الصبح في جنباته كالماء يلمع من خلال الطحلب

(٣) لب : يلمع (٤) ت ، لب : جنج

(٥) وه ، ت ، لب : فاهباً (٦) ت ، لب : أحرقتها (٧) ر : عامر

مَدَاهِنُ تَبْرِ فِي أَنَامِلٍ فِضَّةٍ عَلَى أَذْرُعٍ مَحْرُوطَةٍ ^(١) مِنْ زَبَرَجَدٍ ^(٢)
وقال :

سَقَى جَوْفَ الرُّصَافَةِ مُسْتَهْلًا تَوَلَّفُ شَمْلَهُ أَيْدَى الرِّيَّاحِ
مَحَلًّا مَا مَشَيْتُ إِلَيْهِ إِلَّا مَشَى فِي ابْتِهَاجِي وَارْتِيَاجِي
كَأَنَّ تَرْتَنَّمَ الْأَطْيَارِ فِيهِ أَغَانِ فَوْقَ أَوْتَارِ فِصَاحِ
كَأَنَّ تَنَنَّى الْأَشْجَارِ فِيهِ عَذَارَى قَدْ شَرِبْنَ سُلَافَ رَاحِ
كَأَنَّ الْجَدُولَ الْمُنْسَابَ نَصْلًا صَقِيلُ الْمَتْنِ هُزَّ إِلَى كِفَاحِ
كَأَنَّ رِيَاضَهُ أَبْرَادُ وَشْيٍ تَعَطَّفُ فَوْقَ أَعْطَافِ مِلَاحِ

وقال :

يَا نِعْمَةَ مَنْ عَشَى ^(٣) غَابَ حَاسِدُهُ وَصَحَّ فِيهِ اجْتِمَاعُ دُونَ تَشْتِيتِ
رُحْنًا إِلَى النَّهْرِ وَالْأَرْوَاحُ لَاعِبَةٌ بِمَوْجِهِ بَيْنَ إِحْيَاءٍ وَتَمْوِيتِ ^(٤)
وَلَا حَ فِي الْمَاءِ مِنْهُ مَنْظَرٌ حَسَنٌ حَبَسْتُ مِنِّي عَلَيْهِ طَرْفَ مَبْهُوتِ
كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ صَافِي الْأَجِينِ وَقَدْ ذَابَتْ عَلَى مَتْنِهِ زُرْقُ الْيَوَاقِيتِ

وقال يَصِفُ كَلَفَ الْبَذْرِ :

وَالْبَذْرُ كَالْمِرْآةِ غَيْرَ صَقْلَهَا عَبَثُ الْعَذَارَى فِيهِ بِالْأَنْفَاسِ
وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسٌ بِضَوْءِ صَبَاحِهِ مِثْلَ التِّبَاسِ النَّقْسِ بِالْقِرْطَاسِ
وَرَأَيْتُ ابْنَ بُرْدٍ قَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ ^(٥) فِيهِ لِأَحَدٍ شَيْئًا ، وَابْنُ

(١) وه : مخضرة

(٢) وه ، ت ، لب : زمرد

(٣) ر : عيمى

(٤) هذا البيت ناقص في ت ، لب

(٥) ت ، لب : لم ير

المعتر قال^(١)

جَرَى^(٢) فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفِرْنْدُ كَأَنَّمَا تَنْفَسَ فِيهِ الْقَيْنُ وَهُوَ ضَعِيلُ
^(٣) قَالَ أَبُو الْحَسَنِ وَإِذْ قَدْ اتَّهَيْنَا إِلَى ذِكْرِ الْبَدْرِ فَتُلْمَعُ بِشَيْءٍ مِمَّا
 قِيلَ فِيهِ^(٤)

قال ابن المعتر^(٥) :

انْظُرْ إِلَيْهِ كَزَوْرَقٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ
 وَسَمِعَ ابْنُ الرُّومِيِّ هَذَا التَّشْبِيهَ فَقَالَ : أَنَا^(٦) لَمْ أَرَقَطُ زَوْرَقًا مِنْ فِضَّةٍ ، وَإِنَّمَا
 أَصِفُ مَا شَاهَدْتُهُ ، وَأَشْبَهُ بِمَا عَايَنْتُهُ . قَالَ^(٧) :

مَا أَنَسَ^(٨) لَا أَنَسَ خَبَّازًا مَرَزْتُ بِهِ يَذْخُو الرُّقَاقَةَ وَشَكَ اللَّعْنَ بِالْبَصْرِ
 مَا بَيْنَ رُؤْيَيْهَا فِي كَفِّهِ كُرَّةٌ وَبَيْنَ رُؤْيَيْهَا قَوْزَاءُ كَالْقَمَرِ
 إِلَّا بِمِقْدَارٍ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ
 يَقُولُ^(٩) الْمَرْيُّ^(١٠) :

وَلَا حَ هِلَالٌ مَثْلُ نُونٍ أَجَادَهَا بِذَوْبِ النَّضَارِ الْكَاتِبُ ابْنُ هِلَالٍ^(١١)

(١) وه ، ت ، لب : القائل في وصف الفرند

(٢) راجع الديوان ج ١ : ١٢٤ (٣-٣) وه في ر ، وه

(٤) ر في ت ، لب : من مقطوعات وأبيات لها موقع بهذا الموضع لمحدثين متقدمين

(٥) راجع الديوان (٢ : ١١٦)

ومعاصرين

(٦) ت ، لب : إلتالم تر (٧) راجع اختيارات الديوان (ص ٣٤١)

(٨) ر : لَا أَنَسَ (٩-٩) وه في ت ، لب

(١٠) راجع سقط الزند (١٤ : ١٤٤) والرواية فيه : بجارى النضار است (١١)

وقال (١) :

وَكأنَّ الهلالَ يهوى الثُّرَيَّا فهُما للوداعِ مُعْتَنِقَانِ

وقال ابن المعتز :

■ مثل القلّامة قد قُدّت من الظفر ■

وقال أبو المغيرة ابن حزم :

لَمَّا رَأَيْتُ الهِلَالَ مُنْطَوِيًّا فِي غُرَّةِ الفجرِ قَارَنَ الزُّهْرَةَ
شَبّهتُهُ والعِيَانُ يَشْهَدُ لِي بِصَوْلجانٍ أَوْ فِي لِيضِ كُرَّةِ

وله (٢) :

قَلْبِي وَقَلْبُكَ لَا مَحَالَةَ وَاحِدُ شَهِدَتْ بِذَلِكَ بَيْنَنَا الْأَلْحَاطُ
فَتَعَالَ فَلْنَفِظِ الحُسُودَ بَوَصْلِنَا ١٠ إِنَّ الحُسُودَ بِمِثْلِ ذَاكَ يُفَاطُ

وله إلى مَنْ ودَّعَهُ ، وأودَّعَهُ مِنَ الجَوَى ما أودَّعَهُ :

يَا مَنْ حُرِمْتُ وَصَالَهُ أَوْ مَا تَرَى هَذِي النَّوَى قَدْ صَعَّرَتْ لِي خَدَّهَا ؟
زَوَّدَ جُفُونِي مِنْ جَمَالِكَ نَظْرَةً فَاللهُ يَعْلَمُ إِنْ رَأَيْتُكَ بَعْدَهَا

قال ابن بُرْدٍ : وَلَمَّا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ رَيْبِ صَنِيعَةُ أَبِي الْأَخْوَصِ وَأَبِي عُتْبَةَ ،

وَوَرَدَ الخَبْرُ قُرْطُبَةَ ، سَأَلَنِي أَبُو عَامِرٍ ابْنُ شَهِيدٍ رِثَاءَهُ وَوَصَفَ عِلَّتَهُ ، وَكَانَتْ الْعِلَّةُ ١٥
الكُبْرَى ، فَقُلْتُ :

سَيَرُوحُ الْمَرْءُ إِنْ لَمْ يَغْتَدِ وَالتَّمْنَايَا لِلْفَتَى فِي مَرَصِدِ
مَاتَ مَنْ كُنَّا نَرَاهُ أَبَدًا بَارِئِ النَّفْسِ عَلِيلِ الجَسَدِ
بَحْرٌ سَقَمَ مَاجٍ فِي أَعْطَانِهِ فَرَمَى فِي جِلْدِهِ بِالزَّبَدِ

(١) راجع سقط الزند (ج ١ ص ٩٢)

(٢) أي لابن برد : وهذه المقطوعات التالية حتى آخر الترجمة لم ترد في غير نسختي ت ، لب

كَانَ مِثْلَ السَّيْفِ إِلَّا أَنَّهُ حَمَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَصَدَى
وَكَأَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يُحْمَ الْأَذَى لَأَنَّهُ مِنْهَا بِشْنَى زَرَدٍ
يَنْتَنِي الْإِخْوَانُ عَنْهُ جَانِبًا وَيَفُلُّ الدَّهْرُ قَصْدَ الْعُودِ
وَتَرَى الْمُشْفِقَ عَنْهَا يَنْزَوِي وَتَرَى الْآنِفَ مِنْهَا يَفْتَدِي^(١)

• فصل في ذكر الأديب أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي
واجتلاب جملة من أشعاره مع ما يتشبهت بها من أخباره .

كان أبو مروان^(٢) هذا أحد مُحَاةٍ سَرَحَ الكلام وحَمَلَةِ أَلْوِيَةِ الأَقلام ،
من أهل بيتٍ اشتهروا بالشعر^(٣) اشتهارَ المنازلِ بالبدر . أَرَامَ^(٤) طَرَأُوا عَلَى قَرْطَبَةِ
قَبْلَ افْتِرَاقِ الْجَمَاعَةِ ، وَانْتِشَارِ^(٥) شَمْلِ الطَّاعَةِ ، وَأَنَاخُوا فِي ظِلِّهَا ، وَلَحِقُوا بِسُرَوَاتِ
أَهْلِهَا ، وَأَبُو مُضَرَّ أَبُوهُ زِيَادَةُ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ التَّمِيمِيِّ^(٦) هُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَى بَيْتَ
شَرَفِهِمْ ، وَرَفَعَ بِالْأَنْدَلُسِ صَوْتَهُ^(٧) بِنَبَاهَةِ سَلَفِهِمْ .

قال ابن حبان :

وكان أبو مضر ، نديمٌ محمد بن أبي عامر ، أمتع الناس حديثاً ومُشَاهِدَةً ، وَأَنْصَحَهُمْ

(١) بعد هذه الأبيات يوجد في نسخة ت ، لب ثلاث رسائل طوال لابن برد الأولى
في السيف والقلم ، والثانية في النخلة ، والثالثة سماها البديعة في تفضيل أهب الشاء على مايفترش
من الغطاء ، وقد نص من أوردتها أن ابن بسام أغفلها ، وآثرنا اثباتها بآخر هذا المجلد لفائدتها .
(٢) وردت ترجمة الطنبلي وخبر مقتله موجزين في نفع الطيب ج ١ ص ٧٩٨ ملخصين

عن النخيرة (٣) ت ، لب ، « بالثر »

(٤) ت ، لب ، « وأرام » (٥) ت ، لب ، « وانتشار »

(٦) ت ، لب : التميمي الطنبلي (٧) هـ : « صوت نباهة »

ظرفاً ، وأخذتهم ^(١) شحذاً وملاطفةً ، وأخذهم بقلوب الملوك الحيلة ^(٢) وأنظمتهم
لشمل الإفادة ^(٣) والنجعة ، وأبخلهم بدرهم وكسرة ، وأذهبهم عن حريم نسب ^(٤)
ونعمة . له في كل ذلك أخبارٌ بديعة ، من رجلٍ شديد الخلافة ، طريف ^(٥) الخلوة ^(٦) ،
يضحك من حصر ولا يضحك هو إذا ندر ^(٧) ، رفيع الطبقة في صنعة الشعر .
كثير الإصابة في البديهة ^(٨) والروية . انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسام :

وشعر أبي مضر ليس من نمط ^(٩) هذا المجموع لتقدم زمانه . فأما ابنه
أبو مروان هذا فكان من أهل الحديث والرواية ، ^(١٠) ورُحِّلَ إلى المشرق ^(١١) ،
وسمع من جماعة ^(١٢) من المحدثين بمصر والحجاز . وقتل بقرطبة سنة
سبع وخمسين وأربع مائة . ولمقتله خير طن ابن حيان به ولم يمنعه من سرد قصصه ^(١٣)
استبشاعه . وحسبك من شر سماعة . ونلغ منه بلعة .

قال ابن حيان :

وذلك أنه عدا عليه ^(١٤) نساؤه بتدبير ابن سوِّد خلف ^(١٥) له . حملهن
على ذلك لشدة تقديره على نفسه وعليهن في المعيشة ، وحبسهن مع ذلك عن

(١) ر : وأخذهم — ه ، ت ، لب : « وأخذهم بأبواب الشد والملاطفة »

(٢) ت ، لب : والحيلة (٣) ه ، ت ، لب : إفادة ونجعة

(٤) ت ، لب : نسب (٥) ه ، ت : طريف

(٦) ه ، ت ، لب : « الحلقة » (٧) ر : « قدر »

(٨) ت ، لب : « البديهة » (٩) ه ، ت ، لب : « شرط »

(١٠ — ١١) ه في ه (١٢) ت ، لب : « جماعة المحدثين »

(١٣) ز في ه ، ت ، لب : زعموا (١٤) ه في ه

التماس الحيلة لتوسعة الضيقة . فقد كان في ذلك ، مع انسداد السّر عليه ، وسعة ريفه ^(١) بالحضرة ^(٢) ، وبعد نجعته لا بتغاء الفائدة ، إلى استناده لراتب هلالى واسع كان يجريه السلطان عليه عوناً ^(٣) على صيانتته ، ويأبى إلا التزى بالقل والاعتزاء إلى المسغبة ، عجباً لمن عرفه أو سمع به . يصدق زعم الجاحظ في نواذر كتابه في البخلاء ويزيد عليها ؛ فحمل عنه في ذلك أشياء يكاد النظر يحيلها ، حتى لأفضى ^(٤) به تقديره على أهله أن وكلهن إلى أنفسهن في أكثر مؤنهن ، وقاتهن بأمداد من غلث ^(٥) الحبّتين القمح ^(٦) والشعير ، يستدعيها لهن من مستقبل ^(٧) غلته مياومة ، ويكلفهن استطحانها بأيديهن . وقد ^(٨) استوحش منهن واعتزلهن ، وانفرد بنفسه لئله ونهاره ، لا مؤنس له سوى غلام حزور من ولده . متوف الخلقه ، ضعيف العقل ، لا أم له ، يدعى عبد الرحمن ، آواه إليه من جميع ولده وأقصى سائرهم في قعر داره ، وصير بينه وبينهن عدة أبواب موصدة . فأصبح بمكانه ^(٩) ذلك في ربيع الآخر من ^(١٠) العام المؤرخ ^(١١) قتيلاً فوق فراشه ، مضرّجاً بدمه ، مبعوجاً بالخناجر في وریده ^(١٢) ولبته ^(١٣) وأعلى جسده ، مغزّعاً لمن عاين مضرّعه ، قد أعلن نساؤه بالنوح ^(١٤) عليه يزعم أنه طرّق

(١) : درية — ت ، لب : « ربه » (٢) و ، ت ، لب : « بالحاضرة »

(٣) و ، ت ، لب : « ربه » (٤) و ، ت ، لب : « ربه »

(٥) و : غلة — ت ، لب : « علف » (٦) و ، ت ، لب : « الب »

(٧) و : « مستقبل » (٨) و ، ت ، لب : « وهو قد استوحش »

(٩) و : « في مكانه » (١٠) — (١١) و ، ت ، لب : « وهو قد استوحش »

(١٢) و : « وریده » (١٣) و ، ت ، لب : « ولبته »

(١٤) و : « بالنوح »

بمكانه ^(١) مفرداً عنهن . وأخبرن أن ابنه زيادة الله المسمى باسم جده لم يكن عنده علم ^(٢) حتى جئن إليه وأخبرنه بما جرى على أبيه ، فهب مستعجلاً للروع مغالطاً بالدمع ^(٣) ، سائلاً عن أبيه سؤاله بالشئ الذي هو جاهله ، بلسان تحيل ^(٤) يُنبئ عن دهنه ، وعين جود تدل على مخوه . وقد تكابس ^(٥) الناس عليه توجعاً لأبيه . وطلب موضع تسوّر عليه . أو نقب يولج منه إليه ، فلم يقف أحد على عين ولا أثر من ذلك . فعرف ابن جهور بما جرى ، فأوقع التهمة به ^(٦) واستبعد أن يطرق أبوه بتلك الداهية من يد أعنى المردة ^(٧) إذ كان من وطاعة الخلق ، ودمانة النفس ، وخلافة المنطق . واجتلاب المودة من جميع الخلق ، وطلب السلامة منهم . بحيث لا يحقد عليه ذوغائلة منهم ^(٨) ولا يفتاله صاحب فتكة ^(٩) . فأحاق به تهمة ^(١٠) وبُحث عن الأمر ^(١١) فشملت الريبة ^(١٢) أهله . واستنفهم ^(١٣) الفليم عبد الرحمن فوصف أنه شاهد المخنة ، وأخبر أن امرأته أم ولده زيادة الله وابنتها ، ابنتي القتيل ، تولين شأنه بسكينة الذي كان يُحاول به النسخ ^(١٤) حتى برد ^(١٥) . فسجنوا ودفن أبو مروان اليوم الثاني من

(١) ت ، لب : « مكان تفرد عنهن » (٢) هـ في هـ

(٣) ت ، لب : مغالطاً بالدمع داعياً بويله سائلاً ...

(٤) هـ : خبل - ت ، لب : جهل (٥) هـ ، ت : تكابر

(٦-٦) عبارة هـ : « واستبعد أن يطرق أباه بتلك الداهية من يراعى المودة »

(٧) هـ في هـ ، ت ، لب (٨) هـ : « فتك »

(٩-٩) ت ، لب : « فأحاق به تهمة وأمر صاحب المدينة بالتوكيل به والكشف

على داهية أبيه المصاب والوقوف على صور محنته فلم يوقف على أثر امتحان فشملت الريبة ... »

(١٠) ت ، لب : واستنفهم صاحب المدينة الفليم ابنه

(١١) ت ، لب : الشيخ (١٢) ز في ت ، لب : ولم يذكر =

مُصَابِهِ ، ولم يتخلف أحدٌ عن جنازته ممن سمعَ خبره . ^(١) لاشتهار ^(٢) فضله فيهم .
 واجتماع صالح الخلال له من الفقه والحديث والرواية والأدب والشعر ^(٣) واللغة
 والقرينة ، إلى دَمَانَةِ الخليفة واستقامة الطريقة ، والتزام الحقائق ، واكتمال
 الإيمان ، بقضائه لجميع فرائضه ، وعوده في نافلة الحج بعد تأدية فرضه ، كَلَى وَهِنٍ
 بجسده وتخلّف في ناضه ، رغبة في الاستكثار من الخير ، والتّرقى في ^(٤) المعرفة .
 وزيادة لمعان العلم ^(٥) وطلبه ^(٦) ولقاء رجاله . فأكثر الناس من تأيينه ،
 وأخلصوا الدّعاء على قاتليه ، واستبطأوا السلطان في إنفاذ ^(٧) الحدّ عليهم بالشبهة
 التي ظهرت . وأفتى الفقهاء بتطويل سجنهم بعد الضرب المبرح . وتوقّف
 ابن القطّان عن صدع ^(٨) الفتوى في القصة إلّا بعد إنعام ^(٩) النظر على
 عبد الرحمن ابنه ، والوقوف على جنس آفته : هل هي في جسده دون عقله ، أو
 في أحدهما ، أو كليهما ، فيعمل بحسب ذلك . ^(١٠) فإن كان مُمَيَّزاً عاقلًا فهو وليّ الدّمِ
 القائمُ بطلبه دون مَنْ تقدّم إلى ذلك ^(١١) من بنى أخى المقتول وأبناء ^(١٢) عمّه ،
^(١٣) وعندها ^(١٤) تستقيم له الفتوى في طلبه ^(١٥) . نخالفه صاحبه ابن عتّاب ،

== أن ابنه زيادة الله حضر ذلك ففحشت القصة . واضطر صاحب المدينة إلى هتك حجاب
 القتل في نسوانه . وبطش به يضرب أم ولده الفاجر (ت : الفاجرة) زيادة العمر . فدرأت
 عن نفسها المذاب بإقرارها بكيفية الحال وصفة الخنة المهولة

(١) ت ، لب : لاشتهاره بهم (٢) هـ في هـ

(٣-٣) هـ : في المعرفة وطلب العلم (٤) هـ في ت ، لب

(٥) ر ، هـ : بانفاذ (٦) ت ، لب : « صريح »

(٧) هـ : « إيمان » (٨-٨) هـ في هـ

(٩) هـ : وابني

(١٠-١٠) هـ في هـ (١١) ت ، لب : وعند ذلك

والنبي ^(١) حقّ الغليم ابنه ^(٢) ، ونجم الخلاف وبان الإشكال . فأخذ ابن جهور
 برأى ابن عتاب ، وانفصل الحفل عن ^(٣) الأخذ بالقسامة على المتهمين ^(٤) ،
 وسجن زيادة الله ^(٥) ابنه زماناً طويلاً ، ثم سرح فظلّ خاسئاً بين الناس ،
 يخال أنه طليق وهو من شنائهم ومقتهم ^(٦) في محابس موصدة . وطاح دم
 أبي مروان رحمه الله فلم يقرع فيه أحد بضغث ، ولا حبقت ^(٧) فيه عنز . وبلغت
 تركته قيمة وافرة في أثمان دفاتر ، وأثاث فاخر ، ومتاع رفيع ، من كسوة
 وفرش كثير الناس جملته . وأخذوا في مذمته لسوء ما كان يدّعيه من القل
 ويأخذ نفسه به من شظف المعيشة ^(٨) . وللغرائز المفطورة سلطان على النفوس
 لا يغالب بصدق نظر ولا قوة معرفة ، ومن أدّى حق الله في ماله فليس
 بشحيح فيما قتر ^(٩) من إنفاقه ؛ على أن المرء مسئول ^(١٠) عن يقوته من أهله ^(١١) .
 انتهى كلام ابن حيّان ^(١٢) .

-
- (١) وه : وأبى (٢) ت ، لب : ابنه عبد الرحمن (٣) وه ، ت ، لب : على
 (٤) ز في ت ، لب : على المتهمين بالدم ثلاثهم زيادة الله ابن القليل وأمه وأم ولده الأخرى
 (٥) وه ، ت ، لب : زيادة المر (٦) وه : « وحقرتهم »
 (٧) وه : « ولا خيفت » — ت ، لب : « وحقت »
 (٨) وه : العيش — ت ، لب : العيشة
 (٩) ت ، لب : قدر (١٠) ت ، لب : راع مسئول
 (١١) ز في ت ، لب ، وه : حيانا الله بالتوفيق وأقامنا على وضع الطريق بمنه
 (١٢) ت ، لب : انتهى ما لحصته في هذه الحادثة من كلام ابن حيان

قال ابن بسام :

(١) قوله عن ابن القتييل إذ جاء (١) سائلاً عن مُصيبته « سؤاله بالشئ »
الذى هو جاهله « حله » (٢) من قول خوات بن جُبَيْر (٣) ويتعلق به خبر : وهو أن
الأتراك لما (٣) قتلوا المتوكل جعفرًا بتدبير ابنه المنتصر ، وكان ذلك ليلاً ، فلما
وقعت الصيحة وارتفعت حضر المنتصر للخبر (٤) ، فجلس على كرسي وحف به
بُغا الصَّعير وجميع قتل أبيه . فجعل المنتصر يسأل ويقول . ما هذا الصياح
وما هذا الخبر ؟ (٥) سؤال جاهل به (٥) ، فكان كما قال خوات بن جُبَيْر :

وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله
فأقبلت في الساعين (٦) أسأل عنهم سؤالك بالشئ الذى أنت جاهله

فقال بُغا : إنَّ الفتح بن خاقان عدو الله قتل أمير المؤمنين . فقال : وما
فعلتم بالفتح ؟ قالوا : قتل وسفك دمه .

(٧) وخبر قتل المنتصر أباه (٧) جعفرًا أشهر من أن يُذكر ، وقد ألمعتُ من
ذلك بأعنة في أخبار الخليفة (٨) سليمان المُفتتح (٩) به هذا الديوان (١٠) . وكان

(١-١) ت ، لب : قول أبي مروان فيما تقدم من وصفه لابن هذا القتييل إذ جاء ...

(٢) ت ، لب : محلول

(٣-٣) ت ، لب : ويتعلق به خبر نورده على العادة من الزيادة في الإفادة . ذكر

أهل الأدب لما قتل الأتراك المتوكل ... (٤) و ، ت ، لب : للحين

(٥-٥) هـ في و (٦) ت ، لب : الناعين

(٧-٧) و : وخبر تدبير المنتصر وقتل أبيه جعفر ... — ت ، لب : وخبر قتل

المتوكل جعفر بتدبير ابنه المنتصر ... (٨) هـ في ت ، لب

(٩) ت ، لب : المستفتح باسمه (١٠) الذخيرة المجلد الأول ص ٢٦

البُحْتَرى ليلة قَتَله حاضراً فاخْتَفَى في طَيِّ الباب ، وهو القائلُ فيه من قصيدة يَرثِيهِ ^(١) :

وكان وليُّ العهد أَضْمَرَ غَدْرَهُ فمن عَجِبَ أَنْ وَلِيََّ العهدَ غادرُهُ
فلا مُلَى الباقي تَرَاثَ الذي مَضَى ولا حَمَلَتْ ذاك الدُّعاءَ مَنابِرُهُ
وكان كثيراً ما يرتاح في شعره إلى ذِكْرِهِ وذِكْرَ الفتحِ بنِ خاقان ^(٢) ، وهو
القائلُ فيهما ^(٣) :

مَضَى جَعْفَرُ والفتحُ بَيْنَ مُوسَدٍ وبين قَتِيلٍ في الدِّماءِ مُضَرَجٍ
أَطْلَبُ أَنْصاراً على الدَّهْرِ بعد ما ثَوَى مِنْهُما في التُّرْبِ أَوْسَى وخَزْرَجِي ^(٤)
وفيها أيضاً يقول ^(٥) :
تَدَارَكْنِي الإحسانُ مِنْكَ وَنَالِي على فاقَةٍ ذاكَ النَّدى والتَّطَوُّلُ ^(٦)
ودافعتَ عَنِّي حِينَ لا الفتحُ يُرْتَجَى لدَفْعِ الأَذَى ^(٦) عَنِّي ولا المُتَوَكَّلُ
وقال في غلامٍ له ^(٧) :
عَسَى آيِسٌ مِنْ رَجْعَةِ الوَصْلِ يُوصَلْ ودَهْرُهُ تَوَلَّى بالأَحَبَّةِ يُقْبَلُ ^(٨)

(١) راجع ديوانه (ج ١ ص ٢٩) والرواية فيه : أكان ولي العهد ...

(٢) ز في ت ، لب : وتأينهما

(٣) راجع ديوانه (ج ٢ ص ١٦٢) ورواية البيت الأول منهما فيه هي :

مَضَى جَعْفَرُ والفتحُ بَيْنَ مَرْمَلٍ وبين صبيغ في الدماء مضر ج

(٤) هذه المقطوعة متأخرة في ت ، لب عن المقطوعتين التاليتين

(٥) راجع ديوانه (ج ٣ ص ١٢٥) ورواية البيت في الديوان :

تَدَارَكْنِي الإحسانُ مِنْكَ وَمَسْنَى على حاجة ذاك الجدَى والتَّطَوُّلُ

ودافعتَ عَنِّي حِينَ لا الفتحُ يَبْتَغَى لدَفْعِ الذي أَخْمَى ولا المُتَوَكَّلُ

(٦) راجع ديوانه (ج ٢ ص ١٩٨) مع

(٦) هـ : الردى

اختلاف في الرواية : الوصل = البين — بنفسه = بأنسه — التعازى = التعادى —

(٨) هذا البيت ناقص في ر هـ

أَتَعْجَبُ لِمَا = فلا تعجب أن

أَيَا سَكَنًا^(١) فَاتَ الْفِرَاقُ بِنَفْسِهِ وَحَالَ التَّعَاذِي دُونَهُ وَالْتَزِيلُ
أَتَعْجَبُ لَمَّا لَمْ يَغْلُ جِسْمِي الضَّنَا وَلَمْ يَخْتَرِمْ نَفْسِي الْحِمَامُ الْمَعْجَلُ؟
فَقَبْلَكَ بَانَ الْفَتْحُ مِنِّي مُودَعًا وَفَارَقَنِي شَفَعًا لَهُ الْمُتَوَكِّلُ
فَمَا بَلَغَ الدَّمْعُ الَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي وَلَا فَعَلَ الْوَجْدُ الَّذِي خِلْتُ يَفْعَلُ
وَمَا كُلُّ نِيرَانِ الْجَوَى تُحْرِقُ الْحَشَا وَلَا كُلُّ أَدْوَاءِ الصَّبَابَةِ يَقْتُلُ
جَمَلَةٌ مَا أَخْرَجْتُهُ مِنْ أَشْعَارِ بَنِي الطُّبْنِيِّ^(٢)

^(٣) أَخْبَرَنِي الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْعَرَبِيِّ عَنِ الْفَقِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُمَيْدِيِّ، قَالَ:
أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْعَائِذِيُّ أَنَّ أَبَا مَرْوَانَ الطُّبْنِيَّ لَمَّا رَجَعَ مِنْ بِلَادِ الْمَشْرِقِ إِلَى
قُرْطُبَةٍ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ فِي مَجْلِسِ الْإِمْلَاءِ أَشَدُّ:

إِنِّي إِذَا حَضَرْتَنِي أَلْفُ مُحَبَّرَةٍ تَقُولُ أَشْدَدَنِي طَوْرًا وَأَخْبَرْتَنِي
يَا حَبِذَا أَلْسُنُ الْأَقْلَامِ نَاطِقَةٌ «هَذِي الْمَسْكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبَنِ»^(٣)
وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِ التَّعَالِيقِ بِحُطِّ بَعْضِ أَدْبَاءِ قُرْطُبَةٍ قَالَ: لَمَّا عَدَا أَبُو عَامِرٍ
أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي عَامِرٍ عَلَى الْخُدَيْلِيِّ^(٤) فِي مَجْلِسِهِ وَضَرَبَهُ ضَرْبًا مُوجِعًا وَأَقْرَأَ
بِذَلِكَ أَعْيُنَ مُطَالِبِيهِ، قَالَ أَبُو مَرْوَانَ الطُّبْنِيُّ فِيهِ:

شَكَرْتُ لِلْعَامِرِيِّ مَا صَنَعَا وَلَمْ أَقُلْ لِلْخُدَيْلِيِّ لَعَا
لَيْتُ عَرِينُ عَدَا^(٥) لِعِزَّتِهِ مُفْتَرِسًا فِي وَجَارِهِ ضَبْعَا
لَا بَرَحَتْ كَفَّهُ مُمَكِّنَةٌ مِنَ الْأَمَانِيِّ، فَنِعْمَ مَا صَنَعَا^(٦)
وَدِدْتُ لَوْ كُنْتُ شَاهِدًا لِهَمَا حَتَّى تَرَى الْعَيْنُ ذُلَّ مَنْ خَضَعَا^(٧)

(١) وه: ساكنا (٢-٢) وه في ت، ب (٣-٣) وه في ر، وه

(٤) وه: الجديلي في الخبر وفي الشعر. وفي موه عند إيراد الخبر (ج ١ ص ٧٩٨):

الجديلي، وفي الشعر: للخديلي (٥) وه: غدا بعزته

(٦) هذا البيت ناقص في ت، ب (٧) ت: قطعا

إِنْ طَالَ مِنْهُ سُجُودُهُ فَلَقَدْ طَالَ لَغَيْرِ السُّجُودِ مَا رَكَعَا
(١) وابنُ رَشِيقٍ القائلُ قبلَه :

كَمْ رَكَعَ رَكَعَ الصَّفْعَانِ تَحْتَ يَدَيَّ وَلَمْ يَقُلْ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمْدَهُ (٢)

قال ابن بسام : والعربُ تقول فلانٌ (٣) يُحِبُّ العَصَا (٤) وفلانٌ يَرْكَعُ (٥) لغيرِ

صَلَاةٍ إِذَا كُنُوا عَنْ غَيْرِ الْخُلُوةِ . وَمِنْ مَلِيحِ الْكِنَايَةِ لِبَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ •
يُخَاطَبُ امْرَأَتَهُ :

قُلْتُ التَّشْيِيعُ حُبُّ أَصْلَعِ هَاشِمٍ فَرَفَضِي إِنْ شِئْتَ أَوْ فَتَشْيِيعِي

قَالَتْ : أَصْلَعُ هَاشِمٍ ! وَتَنَفَّسَتْ ، بَابِي وَأُمِّي كُلُّ شَيْءٍ أَصْلَعٌ

وَلَمَّا صُنْتُ كِتَابِي هَذَا عَنْ شَيْنِ الْهَجَاءِ ، وَأَكْبَرْتُهُ أَنْ يَكُونَ مِثْدَانًا

لِلشُّفَهَاءِ ، أُجْرِيتُ هَاهُنَا طَرَفًا مِنْ مَلِيحِ التَّعْرِيفِ فِي إِيجَازِ الْقَرِيضِ ، مِمَّا لَا أَدَبَ ١٠

عَلَى قَائِلِيهِ ، وَلَا وَصْمَةَ أَعْظَمُ (٦) عَلَى مَنْ قِيلَ فِيهِ . وَالْهَجَاءُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ :

قِسْمٌ يُسَمُّونَهُ هَجْوَ الْأَشْرَافِ ، وَهُوَ مَا لَا يَبْلُغُ أَنْ يَكُونَ سَبَابًا مُقْذَعًا وَلَا هُجْرًا (٧)

مُسْتَبْشَعًا ، وَهُوَ طَائِفٌ قَدِيمٌ مِنَ الْأَوَائِلِ ، وَثَلَّ عَرْشَ الْقَبَائِلِ ، إِنَّمَا هُوَ تَوْبِيخٌ

وَتَعْيِيرٌ ، وَتَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، كَقَوْلِ النَّجَاشِيِّ فِي بَنِي الْعَجْلَانِ : شُهْرَةُ شِعْرِهِ تُغْنِي

عَنْ ذِكْرِهِ ، وَاسْتَعْدُوا (٨) عَلَيْهِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَأَنْشَدُوهُ قَوْلَ النَّجَاشِيِّ فِيهِمْ ١٥

فَدَرَأَ الْحَدَّ الشُّبُهَاتِ (٩) .

(١-٢) هـ في ت ، لب — هـ : الضبيان (٢-٢) هـ في هـ

(٣) هـ ، ت ، لب : يسجد (٤) ت ، لب : أعظم منه

(٥) هـ : هجوا (٦) هـ : وإنما استعدوا

(٧) هذا الخبر والذي يليه وردا مفصلين في ت ، لب

وفعلَ مثلَ ذلكَ بالزَّرقانِ حينَ شكا الحُطَيْيئةَ وسألهُ أنْ يُنْشِدَ ما قالَ فيه
فأنشدَ قولَه :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لُبُغَيَّيْهَا واقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
فسألَ عن ذلكَ كعبَ بنَ زهيرٍ فقالَ : واللهِ ما أودُّ بما قالَ له مُخَرَّ النِّعَمِ !
وقالَ حسانُ بنُ ثابتٍ : لم يَهْجُهُ وَإِنَّمَا سَلَحَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَكَلَ الشُّبْرُمَ ! فَهَمَّ عَمْرُ
بِعِقَابِهِ ثُمَّ اسْتَعْطَفَهُ بِشَعْرِهِ الْمَشْهُورِ .

وقد قالَ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ يوماً : احفظوا ^(١) أحسابكم يا بني أُمَيَّةَ ، فما
أودُّ أنْ يكونَ لي ما طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَأَنَّ الْأَعْشَى قَالَ فِيَّ :

تَبَيَّنُوا فِي الْمَشْتَى مِلَاءً بَطُونُكُمْ وَجَارَاتُكُمْ غَرْنِي يَبْتَنَ حَمَائِصَا
ولما سَمِعَ علقمةُ بنُ عُلائَةَ هذا البيتَ بكى وقالَ : أئِخْنُ فَعَلُ هَذَا بِجَارَاتِنَا ؟
ودعا عليه . فما ظَنُّكَ بِشَيْءٍ يُبْكِي عُلْقَمَةَ بْنَ عُلائَةَ ، وقد كانَ عندهم لو ضُرِبَ
بالسَّيْفِ ما قالَ حَسٌّ ^(٢) ! ؟ وقد كانَ الرَّاعِي يقولُ : هجوتُ جَماعَةً مِنَ الشَّعْراءِ
وما قلتُ فيهِمْ ^(٣) ما تَسْتَحْيِي الْعَذْرَاءُ مِنْ إِنْشَادِهِ ^(٤) فِي خِدْرِهَا
ولما قالَ جريرُ :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا
أطفأَ مِصْبَاحَهُ ^(٥) ونامَ . وقد كانَ باتَ لَيْلَتَهُ يَتَمَلَّلُ ، لَأَنَّهُ رَأَى أَنَّ قَدْ بَلَغَ
حاجَتَهُ وَشَفَى غَيْظَهُ . قالَ الرَّاعِي : نَخْرَجُ مِنَ الْبَصْرَةِ فما وَرَدْنَا ماءً مِنْ مِياهِ

(٢) ت ، لب : حسي

(١) ت ، لب : قوا

(٤) هـ ، ت ، لب : أن تنشده

(٣) ت ، لب : وما هجوت أحدا منهم

(٥) هـ : مصابحه

العرب إلا وسمعنا البيت قد سبقنا إليه ۝ حتى أتينا حاضر بني نمير فخرج إلينا النساء والصبيان يقولون : قبحكم الله وقبح ما جئتمونا به !

والقسم الثاني هو السباب الذي أحدثه جرير وطبقته ، وكان يقول : إذا هجوتم فأضحكوا . وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتاً ، ولا عيرت به قبيلة ، وهو الذي صنّاهذا^(١) المجموع عنه ، وأعفينا أن يكون فيه شيء منه ، فإن أبا منصور^٥ التّعالى كتب منه في يتيمة^(٢) ما شأنه وسمه^(٣) ، وبقى عليه إثمه . ومن مליح^(٤) التعريض لأهل أبقنا^(٥) ما قال بعضهم في غلام كان يصحب^(٦) رجلاً يعرف بالبعوضة :

أقول لشاردكم قولة ولكنّها رمزة غامضة
لزوم البعوض له دائماً يدلّ على أنّها حامضة

١٠

وأنشدت في مثله لبعض أهل^(٧) الوقت :

بني وبينك سر^(٨) لا أبوح به الكل يعلمه والله غافره

(١) ت ، لب : هذا الكتاب (٢) ه في ت ، لب

(٣) ه ، ت ، لب : اسمه

(٤) ذكر التعريض الآتي زيادة في ت ، لب وقد وقع فيها قبل التعريض الأول ۝ وعبارته هي :

« ومن مليح التعريض لأهل أبقنا قول بعضهم :

في بني الحيتان سر فيه للعالم [غاية]
يفهم القوم بشيء نسأل الله الكفاية

(٥) ه ، لب : لبعض أهل وقتنا (٦) ه : يجب

(٧) ت ، لب : وأنشدت لأبي الحسن (٨) ت ، لب : شيء

وحكى أبو عامر ابن شهيد عن^(١) نفسه قال : عاتبت بعض الإخوان عتاباً شديداً عن أمرٍ أوجع فيه قلبي ، وكان آخر الشعر الذى خاطبته به هذا البيت :

وإني على ما هاج صدرى وغازني ليأمنني من كان عني له سر
فكان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد ، ولم يزل يقلق^(٢) به حتى بكى إلى منه بالدموع .

وهذا الباب مُمتدُّ الأطناب^(٣) ويكفي ما مرَّ ويمرُّ منه في أضعاف هذا الكتاب^(٤) .

ومن شعر أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن زيادة الله الطنسي ، مما أخذته عنه ، قوله :

كم بالهوادج يوم البين من رشا
وكم برامة من ريم يفارقنا^(٥)
ونزجس كفرند السيف ساهرنى^(٥)
نادمته وشباب الليل مقتبل
في فتية كنجوم السعد أوجههم
نلهو برقاقة صفراء صافية
يهفو عليه وشاح جائل قلقاً
لهفان يثنيه عن توديعنا الفرق
معللاً بنسيم عرفه عبق
والنجم كف يحمينا بها^(٦) الأفق
في أوجه الحادثات الجون تأتلق
يكاد ينجاب من أضواها الغسق^(٧)

(١) هـ فى ت ، لب (٢) ت ، لب : يقول

(٣—٣) عبارة ت ، لب : وفيما صر منه كفاية

(٤) هـ : يفارقها (٥) هـ ، ت ، لب : ساومنى

(٦) هـ ، ت ، لب : به (٧) هـ ، ت ، لب : عن

يسعى^(١) بهامره هف كالغصن نعمة
ماء النعم عليه النور والورق
وأنشد أيضاً له :

يا ساليا عاشقيه وعاشقا كل تيه
ومن مداми ونقلي بوجنتيه وفيه
هلا جزيت فوادى ببعض مالك فيه ؟

وأنشدني أيضاً لنفسه :

عجبا أن يكون ساكن قلبي راتعا منه في بساتين حبي^(٢)
ويجازي على الوفاء بغدر جازني كيف شئت لا أترك الذر
حسبي الله ثم حسبي وحسبي ! بإذا^(٣) كان فرط حبك ذنبي

وهذا كقول أبي بكر ابن عمار :

لئن كان ذنبي للزمان محبتي فذلك شيء^(٤) لست منه أتوب
وقال العباس بن الأحنف^(٥) :
إن كان ذنبي في الزيادة فاعلمي إني على كسب الذنوب لجاهد

(١) ر : يسى

(٢) و ، ت ، لب : حب

(٣) ت ، لب : إن

(٤) ت ، لب : ذنب

(٥) راجع ديوانه ص ٤٨

فصل في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن مسعود وإثبات
جملة من أقواله^(١) في جده وأهزاله

وكان — رحمه الله — ظريفاً في أمره ، كثير الهزل في نظميه ونثره ،
وأراه فيما انتحاه ، تقيل منهاج سميّه وكنيّه محمد بن حجاج بالعراق ، فضاعت
ساحته ، وقصرت راحته ، وأعياه الصريح فمدق ، ولم يحسن الصهيل فهق .
ولما كان هذا المجموع كتاب أدب ، وعقداً يجمع الدرّ والمخشب ، رأيت
أن لا أخليه من ذكره ، وهذه فصول من نظميه ونثره .

فصل له من رُقعة خاطب بها ابنه إذ توجه إلى الغرب ، وقد بلغه خلع
عذار في البطالة والشرب .

قال فيها : ١٠

فاز^(٢) يا بُني من استشعر البر والتقوى ، واستمسك بالعمرة الوثقى ، واعتصم
بجبل القناعة والرضا ، وتحصن بالعفاف ، وتبلغ بالكفاف ، فلم^(٣) يزأج
الأفذار ، ولا غالب الليل والنهار .

ولشدّ يا بُني ما أوغلت في البلاد ، واستوطأت^(٤) في غربتك خُشونة
المهاد ، وتورطت موحش الجاهل ، وتوردت آجن المناهل . ١٥

تجاوزت في هذا وذلك ما به أمرت ولم تقنع من البعد بالدون

(١) هـ : من قوله في جده وهزله (٢) هـ في وهـ

(٣) هـ ، ت ، لب : ولم (٤) هـ : استوطنت

وَلَمْ تَتَذَكَّرْ شَوْقَ أُمِّ حَزِينَةٍ عَلَيْكَ وَشَيْخِ هَائِمِ الْقَلْبِ مَحْزُونِ
 بِمَاذَا يَفِي هَذَا وَذَلِكَ لَوْ حَوَتْ يَمِينُكَ مَا حَازَتْ خَزَائِنُ قَارُونِ؟
 فَأَخْبِرْنِي يَا تَاجِرَ الْبَحْرَيْنِ، وَسَمْسَارَ الْعِرَاقَيْنِ، وَدَلِيلَ الْحِجَازَيْنِ، وَخَرِيَّتَ
 الْفَلَاتَيْنِ، وَابْنَ عَظِيمِ الْقَرَيْتَيْنِ؛ أَتَعَسَّ بِكَ مِنْ خَرَّاجٍ وَلَا جِ، مَاضٍ
 عَلَى الشَّرَى وَالْإِدْلَاجِ ■ جَرَى عَلَى اللَّيْلِ الدَّاجِ، كَالسَّرَاجِ الْوَهَّاجِ ■ وَالْعَارِضِ
 الشَّجَّاجِ ... وَصِفْ لِي مَوْقِعَ الشَّمْسِ فِي الْعَيْنِ الْحَمِيَّةِ، وَكَيْفَ كَانَ مَخْلُصُكَ مِنَ
 تِلْكَ الْبِلَادِ الْوَبِيئَةِ^(١)، وَكَيْفَ رَأَيْتَ مَدِينَةَ يُونُسَ^(٢)، وَجَنَّةَ إِرَمَ^(٣) وَالْبُرْكَانَ
 الْمُونِسَ^(٤)، وَجَزِيرَةَ الْغَنَمِ وَالزَّوَايَةَ^(٥)، وَصَخْرَةَ الْعُقَابِ وَبُئْرَ الْهََاوِيَةِ، وَكَنِيسَةَ
 الْغُرَابِ وَهَوْلَ الْعُرْفِ، وَالْمَعْدِنَ وَذَلِكَ الْجُرْفِ ■ وَمَبِيزَ الْعَنْقَاءِ، وَالْفَلَاةَ
 الْخَرْقَاءَ يَوْمَ الْبُلْقَاءِ^(٦)، وَالتَّنْيَةَ الْخَلْقَاءَ، وَمَرْسَى^(٧) الزَّرْقَاءَ^(٨)، وَإِيوَانَ كَسْرَى،
 وَكَفَرْتُوَيْ، وَالْهَرْمِينَ وَالْمَنَارَ، وَجِبَلَ الْكَامِ وَالْغَارَ^(٩)، وَغَانَةَ السُّودَانَ ■ وَغَرَائِبَ
 الْبُلْدَانِ، وَفَيْفَاءَ بَنِي تَمِيمٍ ■ وَالْكَهْفَ وَالرَّقِيمَ، وَحُلُقَ وَادِي الْأَشْبُونَةِ^(١٠)، وَمَدِينَةَ
 جَبْيُونَةَ^(١١)؛ وَكَيْفَ كَانَ دَكُّكَ عَلَى الْمَجُوسِ، بِضُرُوبِ الشَّعْوَذَةِ وَالنَّامُوسِ؛
 وَاخْكِ^(١٢) لَنَا مِنْ لُغَاتِهِمْ أَحْسَنَهَا، وَمِنْ هَيْئَاتِهِمْ أَتَقَفَهَا.

(١) ر: الموبئة (٢-٢) نه في ت، لب — ر: والبركان

(٣) نه في ر، ت، لب (٤) ر: الزواية

(٥) نه في ت — ر: وفلاة يوم البلقاء

(٦-٦) ز في ر، ت، لب (٧) نه في ر

(٨) ه: وجلق ووادي الأشبونة (٩) ه: حبنوة

(١٠-١٠) نه في ت، لب واستأنف الكلام بقوله: وفي فصل منها

لقد اجترأت على الزمان وأهله^(١) ولقيت كل غريبة شنعاء
 «وخرجت منها كالشهاب ولم تزل منذ كنت خراجاً من العماء»^(٢)
 فقل الحمد لله، وعليك يا بني بالشجرة الجامعة واللبان^(٣)، من عيون ذوى
 الحسد والشنان^(٤). فأين منك الحية النضاض، وسليك بن السلكة
 والبراض؟ أو ما سمعت أن السفر الطويل، يرُدُّ خشبة البد إلى عويد قنديل؟
 صحَّ عندي أن العسل في تلك^(٥) الجهة ممكن غير مغال، ومنحط غير عال،
 فتناول إقامته وتركيبه، وأتقن صناعته وترى بيته^(٦). لقد أنسيت يا بني أن
 أبعث إليك بنسخة في تربيب^(٧) العسل المشروب، مطابقة للمرغوب،
 التقطتها معلنياً^(٨) عن فلان اليهودي كان انتخبها للمنصور ابن أبي عامر وأصحابه
 كعيسى بن سعيد وعبد الله بن مسلمة^(٩). ولست بحمد الله دونهم، فنجابتك
 قد ظهرت، والذرة قد ندرت^(١٠)، ومخايل السعوط طالعة، وآيات الفلاح ساطعة
 كما سُمي اللديع سكياً، وسمع^(١١) عن طهر الإوز قديماً. كانت تلك النسخة
 في طيها يا بني غاية، وفي لذتها نهاية؛ ولست تعدم في الجهة عوضاً منها
 فأبحث عنها، فخير المال يا بني ما هبط من الأنبوط، وصفي على القنوط.
 وقد صحَّ عندي عنك^(١٢) بعض ذلك، والألمعي ذو تنجيم. ولا تعدن هذا
 تعديداً عليك، ولا كرامة للشيطان الرجيم.

(١) هـ : وهوله (٢) هذا البيت لأبي تمام (راجع ديوانه ص ٢)

(٣) ر : اللوبان (٤) هـ في ر ، ت ، لب (٥) هـ ١ وتبويه

(٦) هـ ، ت ، لب : تربية (٧) هـ في ت ، لب

(٨-٨) هـ في ر ، هـ (٩) ت ، لب : برزت

(١٠) هـ ، ت ، لب : وحكى (١١) هـ في هـ

- فاشربْ عَلَى وُدِّي وَقِفْ صَافِنَا فَعَلَ الْمُحِبُّ الْوَاقِ الذَّاكِرَ
وَلَا تَكُنْ تَشْرَبُ إِلَّا عَلَى حُسْنِ أَغَانِي خَلْفِ الزَّامِرِ
وَزِدْ جَفَاءً لَا تَكُنْ نَاسِيًا فَهُوَ مِنَ الْمُسْتَطَرَفِ النَّادِرِ
وَخُذْ عَلَى الرِّيقِ مِنْ أَسْبَابِهِ جُورِشِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ
حَتَّى تَرَى أَمْلَسَ طَاوِي الْحَشَا قُرَّةَ عَيْنِ الشَّامِتِ السَّاحِرِ •
- (١) والبلدُ بِكَثْرَةِ الصَّيْدِ مَوْسُومٌ ، والحوتُ الطَّرِيُّ هُنَاكَ غَيْرُ مَعْدُومٍ ،
واللبرجان (٢) الذي عليه المَدَارُ مُوَافِقٌ ، والصَّاحِبُ مُشَاكِلٌ مُطَابِقٌ (١) .
وله من أَرْجُوزَةٍ مُزْدَوِجَةٍ (٣) خَاطَبَ بِهَا الْوَزِيرَ ابْنَ بَقْنَةَ (٤) عَلَى لِسَانِ جَارِيَةٍ
كَانَ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ ، وَضَاعَتْ حَالَهَا بَيْنَ (٥) يَدَيْهِ ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ مِنْهَا :
- إِنِّي بِاللَّهِ وَبِالْوَزِيرِ أَدْفَعُ مَا حَلَّ مِنَ الْمَحْذُورِ ١٠
وَهَبْتَنِي لِأَوْحَدٍ مُنْقَطِعِ فِي الْقُبْحِ وَالْفَقْرِ خَفِيُّ الْمَوْضِعِ
وَلَمْ يُبَيِّنْ (٦) لِي بِهَذَا الْعَيْبِ مِنْ فَقْرِهِ حَتَّى دَهَمَى بِالشَّيْبِ (٧)
عَيْبَانِ فِي الدَّرْهِمِ نَقْصٌ وَرَدِي وَوَاحِدٌ قَدْ كَانَ يَكْفِي لَوْ قَدْ (٨)
جَعَلْتَنِي (٩) أَسِيرَةً مَمْلُوكَةً لَطَلْعَةٍ حَائِلَةٍ ضَعُوكَةٍ
يُعْزَى عَلَى الْفَالِ إِلَى مَسْعُودِ وَهُوَ شَقِيٌّ لَيْسَ بِالْحَمُودِ ١٥

(١-١) هـ في هـ

(٢) كذا في هـ والكلمة في لب بدون إجماع ورسمها في ت « الرحان »

(٣) هـ في ت ، لب (٤) هـ : ابن بنية « ورسم الكلمة في ت ، لب غير واضح .

(٥) هـ ، ت ، لب : لديه (٦) هـ : تبين

(٧) هذا البيت والذي يليه ناقصان في ت ، لب (٨) هـ : قضى

(٩) هذا البيت ناقص في هـ ، هـ

كما ^(١) يُكَنَّى بِأَبِي الْبَيْضَاءِ أَسْوَدُ كَالسَّرْوَةِ فِي الظُّلَمَاءِ
وَكُنْتُ أَرْجُو مَعَهُ لِلرَّاحَةِ ^(٢) إِذَا ^(٣) بِهِ أَدْخَلَنِي فِي شُغْلٍ
وَقَالَ لِي إِنَّ كُنْتَ تَهْوِينِ التَّحَفَ فَانْتَبِهِ ^(٤) وَحَكَمِي ^(٥) الْأَصَابِعَ
أَلَا وَهَبْتَنِي لِشَخْصٍ تَاجِرٍ أَوْ لَيْتَنِي كُنْتُ لِبَعْضِ الْجُنْدِ
يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَلَا يُقَاسَى ^(٦) قَدْ كَسَدَتْ آدَابُهُ وَالشَّعْرُ
أَلْحَنُ فِي أَشْعَارِهِ مِنْ تَيْسٍ وَلَوْ تَرَاهُ سَائِرًا لِلشُّوقِ
^(٧) مُشَمَّرًا فِي الطِّينِ عَنْ سَاقِيهِ يَأْخُذُ فِي التَّغْيِيرِ ^(٨) وَالْإِزْهَادِ
فَمَرَّةً يُعْطَى وَأَلْفًا يُمْنَعُ

(١) ت، ب: كَانَ

(٢) و، ت، ب: بِالرَّاحَةِ

(٣) الأبيات الثلاثة التالية ناقصة في و

(٤) ما أُمْتَنَاهُ أَقْرَبُ الْقَرَاءَاتِ إِلَى رِسْمِ الْكَلِمَةِ فِي الْأَصْلَيْنِ

(٥) ب: وَحَكَمِي (٦) هَذَا الْبَيْتُ نَاقِصٌ فِي و، و

(٧) هَذَا الْبَيْتُ نَاقِصٌ فِي و، و

(٨) ر: التَّغْيِيرُ — و: التَّغْيِيرُ

- وَلَوْ تَرَىٰ يَازَا النَّدَىٰ مَثْوَاهُ لَقُلْتَ سُبْحَانَ الَّذِي بَلَاهُ ^(١)
 قِطْعُهُ لِبَيْدِ دَارِسِ الْآثَارِ قَدْ طُرِحَتْ حَوْلَ مَكَانِ النَّارِ
 إِلَى قُدُورٍ هِيَ أَقْصَى ^(٢) عَقْلِ لَمْ يَكُ فِيهَا قَطُّ غَيْرُ الْبَقْلِ
 وَقُدْسٍ ^(٣) مَعْلَقٍ مُّقَابِلِي أَوْدَعُ فِيهِ فِي الدُّجَى مَغَارِلِي
 وَطُوبَى ^(٤) بِمَوْضِعِ الرُّقَادِ كَأَنَّا مِنْ أَعْبَادِ الْعُبَادِ
 يَا شَوْقَنَا فِيهِ إِلَى قِنْدِيلٍ ^(٥) وَتَوَقْنَا أَيْضًا إِلَى مِنْدِيلٍ !
 هَذَا جَمِيعُ كُلِّ مَا فِي الْبَيْتِ بِلَا دَقِيقٍ يُرْتَجَى وَزَيْتِ
^(٦) وَقَدْ شَكَامُنْهُ لِبَعْضِ بَعْضِي . إِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْ نَيْابِ ^(٧) الْأَرْضِ
 غَيْرُ الَّذِي كَسَوْتَنِي بِمَالِقَةٍ ^(٨) فَمِنْ قَبْلِ اللَّيْلِ ^(٩) مِنْهُ طَالِقَةٍ
 فَلَا تَدْعُنِي غَرَضًا لِلْقُرَى فَقَدْ كَفَانِي عَدَمِي لِلْبُرَى
 لَا سِيَّمَا زِيَادَةً فِي التَّحَفَةِ ^(٩) أَنِّي حُبْلَى مُقَرَّبٍ ^(١٠) بِنُطْقَةٍ
 وَرُبَّمَا جِئْتُ لَهُ بِأَنْثَيْنِ لَكِنِّي يَحُوزُ قُرَّةَ الْعَيْنَيْنِ
 بِذَا وَذَا تَنْطَبِعُ الشُّنُونُ ^(١١) يَا لَيْتَهُ لَوْ أَنَّهُ قَبُونِ ^(١٢)
 كَيْسُ الْفَقِيرِ كُلُّهُ فِي طَرَفِهِ يَعُدُّ سُلْطَانَ الْهَوَى مِنْ ظَرْفِهِ ^(١٣)

(١) و ، ت ، لب : أبلاه (٢) كذا في الأصول

(٣) و : قدح (٤) ر : وطربة

(٥) و : القنديل (٦) هذا البيت والذي يليه ناقصان في ت ، لب

(٧) و : نبات (٨ — ٨) ر : فليت قبل القبل

(٩) ر : النحفة (١٠) و : مقرف — ت : مغرب

(١١) ر ، ت ، لب : الشئون (١٢) كذا بالأصل وفي و : فنون

(١٣) كذا في الأصول — وفي ر « طرفه » في الموضعين

وله من أخرى ١

وَلَمْ أَزَلْ فِي عُكَاظٍ أَصِيحُ فِي دُكَانِي^(١)
هَذَا الطَّيِّبُ الْمَدَاوِي هَذَا الْحَكِيمُ الْمَعَانِي
فَيَا لَعُونِي^(٢) وَكُتَيْبِي وَكُحْلِي الْأَضْبَهَانِي^(٣)
إِذَا تَكَحَّلْتَ مِنْهُ يَوْمًا فَلَسْتَ تَرَانِي
قُمْ يَا غُلَامُ فَنَادِ: عِلْمُ الدُّنَا عِلْمَانِ
فَالْعِلْمُ فِي الدِّينِ حَقٌّ كَالْعِلْمِ فِي الْأَبْدَانِ
هَذَا لِهَذَا قِوَامٌ كَالرُّوحِ لِلْجُمَانِ
أَنَا أَبْطُ بِحَذَقٍ نَفَانِغَ الصَّبِيَانِ
أَنَا أَشُقُّ بِلُطْفٍ مَنِيَّ عَلَى السَّرَطَانِ
أَنَا الْمُرَجَّى الْمُسَمَّى مُشَمَّرَ الْأَجْفَانِ
عِنْدِي سَنًا حَرَمِيَّ وَطَرَفُ سَلَكٍ وَرَانِ^(٥)
عِنْدِي حَمَامِي وَلُبْنِي فِي مِرْوَدٍ قَيَّرَوَانِي^(٤)
أَنَا دَلَلْتُ الْبَرََايَا عَلَى خَفِيِّ الْمَعَانِي
أَنَا تَكَلَّفْتُ صَيْدًا^(٦) ١٠ مَنَقَاءَ بِالْوَرَشَانِ
أَنَا بَعَثْتُ رَسُولًا لِلْفُرْسِ عَنْ تَرْجَمَانِ ١٥

(١) ر، هـ : دكان (٢) هـ : فيا لعوني

(٣) هـ : الأصفهاني (٤—٤) هذه الأبيات الثمانية ناقصة في ر، هـ

(٥) لعلها «زان» وهو نوع من الأدوية (انظر معجم النبات للدكتور أحمد عيسى بك)

(٦) ر : صبر

وَسُسْتُ مُنْزُودَ حَتَّى تَمَّتْ لَهُ الْهَرَمَانِ
(١) أَنَا رَأَيْتُ بَعْينِي تَسَافَدُ الْغُرَبَانَ
أَنَا أَدْرْتُ بِرَأْيِي (٢) نَاعُورَةَ الْخِذْلَانِ (٣)
لَكِنَّا لَمْ تَقْدَرْ لِلْحَيْنِ بِالْذَّوْرَانِ

وله من مُقَطَّعاتٍ انْدَرَجَتْ فِي رِسَائِلِهِ الْهَزْلِيَّةِ :

طُرَّةُ مِسْكٍ وَشَارِبُ أَخْضَرٍ وَتَغَرُّ دُرٍّ وَمُقْلَتَا جُودَزٍ
رِيمٌ إِذَا رُمْتُ أَنَّ أَكَلَّهُ كَلَّيْنِي مِنْ جُفُونِهِ خِنْجَرٌ
وَأِنْ تَعَرَّضْتُ مِنْ عَوَارِضِهِ لَثْمًا تَجَنَّى عَلَيَّ وَاسْتَكْبَرُ
كَأَنَّ خِيْلَانَهُ وَوَجَنَّتَهُ سَمَاءُ حُسْنٍ نُجُومُهَا تَزْهَرُ
طَرَزَ فِيهِ الْجَمَالُ مُبْتَدِعًا وَشَيْئًا بِلُطْفِ الْمُهَيِّمِ الْأَكْبَرِ
وَقَامَ فِي خَدِّهِ لِعَاشِقِهِ عُذْرٌ بِذَلِكَ الْعِذَارِ إِذْ عَذَّرُ
وَقَالَ أَيْضًا :

قُلْ لِلَّذِي دَلَّيْنِي (٤) حُبُّهُ أَفْسَدَتْ مَا أَصْلَحْتَهُ (٥) أَوْ لَا
لَمَّا بَدَا وَجْهُكَ فِي حُسْنِهِ كَالْبَدْرِ وَافَى السَّعْدِ وَاسْتَكْمَلَا (٦)
كَأَنَّمَا (٧) طَرَفُكَ مِنْ سِحْرِهِ مِنْ مُقْلِ الْحُورِ قَدْ اسْتَكْحَلَا

(١) هذا البيت ناقص في ر ، هـ

(٢) ت : « بعيني » ورسم الكلمة في لب أقرب إلى : « بعني »

(٣) في الأصون « الخذلان » ولعلها « الخذلان » أو « الجولان »

(٤) هـ : دهاني (٥) ر : أصلحت ما أفسدته

(٦) ت ، لب : فاستكملا (٧) هذا البيت ناقص في ر

أَطْمَعْتَنِي حَتَّى إِذَا قُلْتُ قَدْ
والله لو لا لَحَظَاتُ الْهَوَى
أَن ، حَرَمْتَ الصَّبَّ مَا أَمَلَا
لَكُنْتُ مِنْ ذَا الْعَالَمِ الْأَفْضَلَا
وقال :

١٠ جَنَّبُونَا سَجِيَّةَ الْعُشَاقِ
وَأَقِلُّوْا مِنَ الْبُكَاءِ عَلَى الرَّسِّ
وَدَعُونَا مِنَ الْهَوَى وَالتَّلَاقِ
مِ وَلَا تَأْسَفُوا غَدَاةَ الْفِرَاقِ
لِ وَلَا بِالْخُدُودِ وَالْأَحْدَاقِ
مِنْ دَجَاجِ مُسَمَّنَاتٍ عِتَاقِ
وَعَلَامَ انْسِكَابُ دَمْعِ الْمَآقِي ؟
تِ (٢) وَرَخِصِ الشَّوَا مَعَ الْبُرْثَاقِ
مِنْ رُضَابِ الْحَبِيبِ عِنْدَ الْعِنَاقِ (١)
وقال :

١٠ مَا زَارَنِي طَيْفُكَ يَا هُدَاهِ
فُتُورُ الْخَاطِطِ ذَاكَ الَّذِي
إِلَّا تَمَنَيْتُ بِأَلَّا يَرْوُرَ (٣)
أَعَارَ أَعْضَائِي هَذَا الْفُتُورُ
قَدْ فُوَادِي الْهَائِمِ الْمُسْتَطِيرُ
وَلَا تَطُولُ ؛ قُلْتُ : شَمْسُ الْقُدُورِ
فِي سَعَةِ مِثْلِ الدُّنَا وَالْبُحُورِ
وَتَجْعَلُ الْفَسْوَ مَكَانَ الْبُخُورِ
وَالطَّيِّبِ وَالزَّيْنِ شَهَادَاتُ زُورِ
فَهَلْ تَرَى يَا سَيِّدِي مِنْ فُطُورِ ؟ !
وَقَدْ كِ الْمَآسُ فَوْقَ النَّقَا
كَمْ قَائِلٍ : صِفْهَا لَنَا وَاخْتَصِرْ
قِيلَ وَزِدْ ؛ قُلْتُ لَهُمْ : إِنَّهَا
تَسْتَفْزِرُ الْحَيْفَةَ أَنْفَاسَهَا
لِلْكُحْلِ وَالْعُمَرَةِ فِي وَجْهِهَا
نَقَرَاءَ شَقَرَاءَ عَلَى سُمَرَةٍ

(١-١) هذه الأبيات السبعة ناقصة في ، و (٢) كذا بالأصول

(٣) لب : يحور — بت ، و : يحور

وله من أخرى في سليمان بن الحكم المستعين يقول فيها :

- هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي طُرْفَةٍ تُنْسِيكَ حُسْنًا طُرْفَ الْمُتَحِفِينَ ؟
 لَيْسَ عَلَى مُرْسِلِهَا نَحْوَكُمْ مِنْ حَرَجٍ إِنْ رَاحَ صِفَرُ الْيَمِينِ
 قَدْ أَبْدَعْتَ أَهْزَالَ أَشْعَارِهِ فِي الْعَالَمِ السَّحَرِ الْحَلَالِ الْمُبِينِ
 لَكِنَّهَا كَاسِدَةٌ هَهُنَا أَكْسَدُ مِنْهَا فِي قُرَى شُرَيْوُنْ ٥
 لَيْسَ عَلَى عَاتِقِهِ عُقْدَةٌ إِلَّا مِنَ الْبُرْدِ ، لِأَجْلِ الْيَمِينِ
 وَانْتَفَتَ عَنْفَقَتِي بَعْدَمَا شَبْتُ وَذَا مِنْ حُرْفَةِ الْمُمْلِقِينَ
 وَكُنْتُ ذَا هَدْيٍ وَسَمْتٍ إِلَى أَنْ لَفَنِي مَوْجُ الْخَنَا وَالْمُجُونِ (١)
 وَلَا بَدِيعٌ لَا وَلَا مُنْكَرٌ أَنْ يُفْسِدَ الدِّينَ صِلَاحُ الْبُطُونِ
 فَعَلْتُ فِي آخِرِ عُمْرِي كَمَا تَفْعَلُ شَاةُ الشَّوْءِ بِالْحَالِبِينَ ١٠
 أَصَبْتُ فِي نُسْكِ وَزُهْدِي الَّذِي أَصَابَهُ مُنْذِرُ فِي الْبُيُوتِ
 وَكَانَ صَوْتِي قَبْلُ ذَا فِتْنَةٍ تَسْتَنْزِلُ الطَّيْرَ بِحُسْنِ الرَّيْنِ (٢)
 وَقَدْ غَدَا نَاعُورَةٌ خَانَهَا الْمَا كَذَا الدَّهْرُ مُجِيجٌ خَوْونُ

وله فيه من أخرى يصف اللص الذي أخذه في طريق (٣) قرطبة :

- يَا ابْنَ خَيْرِ الْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ وَأَجَلَّ الْوُلَاةِ وَالْأَمْرَاءِ ١٥
 قَيَّضَ اللَّهُ لِي مِنْ ابْنَاءِ أَبِي الرَّ يَشِ غَلِيظَ الْفُؤَادِ ذَا كِبْرِيَاءِ
 لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مِنْ أَوْلَادِ (٤) جَالُو تَ وَلَكِنْ مِنْ فِرَاخِ الزَّنائِ

(١) ت ، لب : الجنون (٢) هذا البيت والذي يليه ناقصان في ، هـ

(٣) هـ ا في طريقه — ت ، لب ا في الطريق (٤) هـ ، ت ، لب : أبناء

قَالَ لِي : قُرْطُبِيَّ أَنْتَ تَحْيَا ٥
 مَا أَنَا — يَأْفِدِيْتُكُمْ أ — قُرْطُبِيَّ
 وَقُلِ الْحَقُّ ، وَالْفَصَاحَةُ خَلَّ
 الشَّعِيرَ الشَّعِيرَ دَغْنِي مِنَ الشَّعْرِ
 هَاتِ ذَاكَ النَّطَاقَ وَاخْلُصْ وَإِلَّا ٥
 وَأَرَادَ الْعَدُوُّ ذَنْجِي وَلَكِنْ
 فَعَلَانِي بِالْمُنْدُوَانِي حَتَّى اسْتَدَّ
 وَاعْتَرَانِي مَا لَسْتُ أَذْ كُرُّ لَكِنْ
 يَا صُبَابًا (٣) خَلَيْتُ فِي ذَلِكَ الْفَحْ
 وَهُوَ بَاقٍ هُنَاكَ مَا هَبَّتِ الرِّيحُ ١٠
 (٥) كَيْفَ أَحْتَالُ بِالتَّخْلُصِ مِنْ قِرْنِ
 لَوْ يَكُونُ الْحِرْمَانُ أَقْصَى خُرَاسَا
 إِنْ أَكُنْ ثَاوِيًا بِمَحْصٍ غَرِيبًا
 فَوْقَ رَأْسِي قِبَالَهُ عَهْدَاهِمِنْ
 فَلَقَدْ عِشْتُ بُرْهَةً نَاعِمَ الْبَا ١٥

تَ وَرَاقِبْتَ غَفْلَةَ الرُّقْبَاءِ ؟
 قَالَ : دَغْ ذَا فَلَيْسَ حِينَ انْتِمَاءِ
 لَيْسَ هَذَا بِمَوْضِعِ الْفُصْحَاءِ
 رَ ، أَنَا الْآنَ أَشْعَرُ الشَّعْرَاءِ
 لَمْ تُقَلِّبْ عَيْنِيكَ نَحْوَ السَّمَاءِ
 حَاطَ ذُو الْعَرْشِ صَبِيَّتِي وَنِسَائِي
 وَدَّ ظَهْرِي وَسَالَ مِنْ دِمَائِي
 ظَنَّ مَا شِئْتَ غَيْرَ (١) كَشَفِ الْغِطَاءَ (٢)
 صِ كَثِيفًا (٤) مُطَبَّقَ الْأَرْجَاءِ
 حُ وَلاَحَتْ كَوَاكِبُ الْجُوزَاءِ
 دِي (٦) ؟ أَنْبِثُونَا مَغْشَرَ الْأَوْلِيَاءِ
 نَ (٧) حَدَاهُ إِلَى دُونَ خُدَاهُ
 هَيْنًا بَيْنَكُمْ دَمِثَ الثَّوَاءِ
 زَمَنْ الْمُنْدَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ
 لِحِيًا (٨) [أَرَى] خَصِيبَ (٩) الْفِنَاءِ (٥)

(١) ر : عند (٢) هذا البيت ناقص في م

(٣) م : يا صباحا (٤) ت ، لب : كثيباً

(٥ — ٥) هذه الأبيات الخمسة لا توجد في م ، م

(٦) الكلمة مبتورة في لب ، وأقرب قراءة لها في ت ما أثبتناه

(٧) تقرأ في الأصلين كأنها « قراساي »

(٨) رسم الكلمة في الأصلين هكذا « لحماً » ولعل اللفظ « لحياً » أي سميناً

(٩) في الأصلين : الغناء

ومنها :

كُنْتُ يَمَّمْتُكُمْ أَرْجَى حَيَاةً فِي اتِّصَالِ بَيْكُمُ فَمَتُّ بَدَائِي^(١)
وَحَرَجْنَا كَمَا دَخَلْنَا بِلَا شَيْءٍ وَلَكِنْ رَبِحْتُ صَفْعَ قَفَائِي
مُدَّةً فِي ذَا الْمَكَانِ ذَا الْحَرْفِ لَمَّا مَدَّةُ صَفْعُ ظَالِمٍ بَاعْتِدَاءً^(٢)
وقال من أخرى :

لَا حَ عَلَى عَارِضِي الْقَتِيرِ فَحَلَّ مَا مِنْهُ^(٣) أَسْتَحِيرُ
وَكَانَ ذَا الدَّهْرِ قَدْ كَسَانِي بُرْدَ صَبَاً مَاؤُهُ تَمِيرُ
فَاعْتَضْتُ مِنْهُ رِدَاءَ شَيْبٍ وَاسْتَرْجَعُ الْمِنْحَةَ الْمَعِيرُ
أَبْيَضُ لَكِنَّهُ سَوَادٌ فِي الْقَلْبِ مُسْتَبْشَعٌ نَكِيرُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ لَا ارْتِدَاعٌ^(٤) وَالْعُمُرُ كَالْبَرْقِ يَسْتَطِيرُ
وَإِنْ تَمَادَيْتُ ذَا خُمَارٍ فَلَا خَيْرَ وَلَا فُطِيرُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالْمَصِيفِ يَغْلَى بِرَأْسِهِ الْحَرُّ وَالْحَرُورُ
لَمْ تَغْلُ حِينَ الشَّتَاءِ مِنْهُ بِالْبُرِّ فِي بَيْتِهِ الْقُدُورُ^(٥)
وَزَارَنِي زَائِدًا لَهْمِي مَنْ لَا يُسَمَّى إِذَا يَزُورُ
فَاجَأَنِي وَالْمَحَلُّ صِفْرٌ لِلْبَرْدِ فِي جَوْفِهِ^(٦) صَفِيرُ
وَالْفَأْرُ يَدْعُو وَحَقَّ صَوْمٍ فِي فِيهِ إِذْ خَانَهُ^(٧) الشُّحُورُ
لَهْفَانُ قَدْ أَرْمَعَ ارْتِحَالًا لَوْ يَسْتَطِيعُ الشَّقِيُّ^(٨) يَسِيرُ^(٩)

(١) ر ، ت ، لب : بداء (٢) ت ، لب : ذى اعتداء

(٣) ت ، لب : خل منه ما (٤) وه : ارتجاع

(٥ - ٥) لا توجد هذه الأبيات الثلاثة في ر ، وه (٦) ر : يومه (٧) وه : خاني

(٨) رسم الكلمة في ر ، وه « السقي » وفي ت ، لب : « السمي » ، ولعل ما أثبتناه

أقرب الاحتمالات (٩) ت ، لب ، وه : تدور

الشَّعْرُ قُوَّتِي وَقُوَّتُ فَأَرَى إِذَا سَبَى قَلْبُهُ الشَّعِيرُ
فَلَوْ تَرَانَا بِهِ حَيَارَى وَالْهَرُّ^(١) فِي قَبْضِنَا أُسِيرُ
أَبْصَرْتُهُ مُنْخَنًا طَرِيحًا ذَا وَبَرٍ مِنْهُ يَسْتَطِيرُ
وَالشَّيْخُ مِنْ بَيْنِ ذَا وَهَذَا وَهَذِهِ خَاسِيَةٌ حَسِيرُ
حَيْرَانٍ مِنْ دَهْشَةٍ كَأَنِّي قَلْبُوقُ^(٢) خَانَهُ الْغَدِيرُ

وله من أخرى :

أَمَغْنَى سُلَيْمَى اسْلَمَ سَقَاكَ الْحَيَا مَغْنَى وَإِنْ كَانَ مَا أَغْنَى وَقُوفٌ^(٣) عَلَى مَغْنَى
فَكَمْ قَدْ بَكَى فِي الدَّارِ قَيْسُ صَبَابَةٍ وَلَمْ يُقْضَ أَنْ يَقْضَى اللَّبَانَةُ مِنْ لُبْنَى

ومنها :

أَبَا الْقَاسِمِ اسْمَعْ مِنْ عُبَيْدِكَ طَرْفَةً ١٠
دَنْتَ لَيْلَةَ النَّيْرُوزِ مِنَّا وَلَمْ تَكُنْ
وَقَالَتْ حَجُولَى^(٤) سِرَّ إِلَى الشُّوقِ وَاحْتَفِلْ
وَقِفْ بِإِبْنِ^(٥) نَصْرِ وَاحْشُونَ ثُمَّ^(٦) قَفَّةً^(٧)
وَجَزْ بِالْفَتَى الْجَزَارِ وَاخْتَرَهُ^(٨) هَابِلًا
وَلَا بُدَّ مِنْ أَرْجَاةٍ صَعْتَرِيَّةٍ ١٥
فَقُلْتُ : وَأَيْنَ النَّقْدُ يَا ابْنَةَ عَزَّةٍ
أَبْشَكَهَا فَأَذِنَ لَهَا تَلِجُ الْأُذُنَا
لِتَرْضَى لَنَا فِيهَا مِنَ الْعَيْشِ بِالْأُذُنَى
وَلَا تَبْقِ فِيهَا مِنْ حَدَاثَتِهَا^(٩) فَنَّا
مِنْ اطْرَافِ^(١٠) مَا يَحْوِيهِ كَيْ تَذْهَبَ الشَّجْنَا
بَقْدَ^(١١) ابْنِ فَتَوَى أَبِي بَكْرِ الْمُضْنَى
وَأَيَّاكَ أَنْ تَنْسَى التَّوَابِلَ وَالْحَنَّا
لَقَدْ جِئْتَهَا بَلَقَاءً مُنْتَنَةً نَتْنَا

(١) وه ، ت ، لب : « القط » (٢) وه : قلابق (٣) وه : وقوفى فى

(٤) كذا بالأصول (٥) رسم السكلمتين فى ر : « خدار يعا منا » وفى

ت ، لب : « تحداريفها » أو ما هو قريب من ذلك ، وفى وه ما أثبتناه .

(٦) ت : يا ابن نصر (٧) ر : ثمر

(٨) وه ، ت : من اطراف (٩) وه : وأخبره سائلا

(١٠) كذا فى ر ، وه ، وفى ت ، لب : بعد ابن بقرى ، وفى : ابن ميمون

قَالَتْ : أَدِيبٌ شَاعِرٌ مُتَفَنٌّ حَوَى مِنْ حُظُوظِ الظَّرْفِ فِي زَعْمِهِ الْأُسْنَى
بِلَا قِطْعَةٍ ، هَذِي لَعْمُكَ هُجْنَةٌ فَسِرَ رَاشِدًا عَنَّا فَمَا لَكَ مِنْ مَعْنَى^(١)
لَنْ لَمْ تَجِيءَ بِالتَّيْنِ أَلْبَسْتَ شِيرَةً^(٢) وَبِالزَّيْتِ أَضْحَى سِجْنُكَ الْبَيْتَ وَالْدَّهْنَ
وَلَا يَنْكَسِرُ^(٣) بِاللَّهِ جَاهِي عِنْدَهَا وَخُذْ فِي الَّذِي أَحْتَاجُ شَعْرِي ذَا رَهْنًا
وَوَجَدْتُ لَابْنَ مَسْعُودٍ هَذَا غَيْرَ مَا قَصِيدَةٍ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَنْهَاءِ ۝ تَرْبِي عَلَى
حَصَى الدَّهْنَاءِ ۝ وَفِيَا مَرَّ مِنْهَا كِفَايَةٌ ۝ وَلَا يَتَسَّعُ هَذَا الْجَمُوعُ لَاسْتِقْصَاءِ الْغَايَةِ .

«مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ آخِرُ»

وكان أيضاً قبله بحضرة قرطبة محمد بن مسعود آخر يعرف بالبجاني ۝
وينتمي في غسان ، وكان شاعراً مجوّداً ، جَزَلَ المقاطع ، حَسَنَ المطاليع ، جيّدَ
الابتداع ، لطيفَ الاختراع^(٥) ، كثيرَ الفوَصِ على دَقِيقِ المعاني ، حَسَنَ
الاستخراج للأنفاظ الرائقة والتّصريف^(٦) لمُسْتَعْمَلِ الكلام ؛ وقُرِفَ^(٧) عند
المنصور بن أبي عامر بالوهن في دينه ، وسُجِنَ بالمطَبَّقِ مع الطَّلِيْقِ القُرَشِيِّ لِأَمْرِ
غريب اتَّفَقَ لَهُ ، والطَّلِيْقِ يَوْمئِذٍ غُلَامٌ وَسِيمٌ ، وكان ابنُ مسعود به كِلْفًا ۝ فقال^(٨)
فيه من قصيدة أولها :

غَدَوْتُ فِي الْجَبِّ^(٩) خِدْنًا لِبْنِ يَعْقُوبٍ وَكُنْتُ أَحْسَبُ هَذَا فِي التَّكَاذِيبِ ۝ ١٥

(١) ت ، لب : معنى (٢) وه : شهرة

(٣) وه : فلا تكسرن . (٤-٤) وه في ر ، ت

(٥) ز في ت ، لب : ورأيت له عدة أشعار

(٦) وه : والتصرف (٧) راجع الخبر في نفح الطيب ج ٢ ص ٢٦٤

(٨) ت ، لب : وهو القائل يومئذ فيه

(٩) وه ، ت ، لب : الحب

رَأَتْ عُدَاتِي تَعْذِيبي وَمَا شَعَرْتُ
رَأَمُوا بِعَادِي عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ سِجْنِي ، لَا أَبَا لَهُمْ ،
يَا ابْنَ الْخِلَافِ مِنْ مَرْوَانَ وَاحْزَنِي
وَفِيكَ مَا يَتَسَلَّى الْعَاشِقُونَ بِهِ
بَلَى لَقَدْ فُجِعَتْ نَفْسِي لِمُحْتَجِبٍ
قَدْ صَيَغَ مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءَ صَافِيَةٍ
وَالْتَفَّ بِالْيَاسَمِينِ الْغَضَّ بَيْنَهُمَا
مَا أَقْبَحَ الصَّبْرَ عِنْدِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ
يَا غَائِبًا قَدْ أَطَالَتْ كَفُّ غَيْبَتِهِ
تَعَجَّبُ^(١) الْقَطْرُ مِنْ عَيْنِي حِينَ هَمَّتْ
عِنْدِي اسْتَقَرَّتْ جُنُودُ الْكَرْبِ أَجْمَعُهَا
سِجْنٌ وَقِيدٌ وَأَعْدَاءُ مُنِيتُ بِهِمْ
فِي مَنْزِلٍ مِثْلِ ضَيْقِ الْقَبْرِ أَوْسَعُهُ
يَحْنُ عِنْدَ مُقَاسَاةِ الْبَلَاءِ بِهِ
وَلَوْ تَوَسَّدَ أَطْبَاقَ الثَّرَى جَسَدِي
وَكَانَ ابْنُ مُسْعُودٍ يَوْمئِذٍ بِالْمُطَبَّقِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْأَدْبَاءِ ، فَلَمْ يَزَلْ
الطَّلِيقُ يَأْخُذُ عَنْهُمْ ، وَيَسْتَمِدُّ مِنْهُمْ ، حَتَّى ثَرَى تَرْبُهُ ، وَطَلَعَ عُشْبُهُ ، وَسَمَا ذِكْرُهُ ،
وَطَارَ شِعْرُهُ . وَكَانَتْ أَشْعَارُهُ تَأْتِي ابْنَ أَبِي عَامِرٍ فِيهِمْ فِيهَا . وَانْطَلَقَ الطَّلِيقُ

من مُعْتَقَلِهِ وَبَقِيَ^(١) ابْنُ مَسْعُودٍ مَحْبُوساً إِلَى أَنْ انْطَلَقَ . وَلَيْسَ مِنْ طَبَقَةِ كِتَابِي
لِتَقْدَمَ زَمَانُهُ . وَإِنَّمَا جَرَّ حَدِيثَهُ حَدِيثُ سَمِيَّةِ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ ، وَكَذَلِكَ الطَّلِيْقُ
أَيْضاً مُتَقَدِّمُ الْأَوَانِ ، وَلَيْسَ مِنْ طَبَقَةِ هَذَا الدِّيَوَانِ .

^(٢) وَابْنُ مَسْعُودٍ هَذَا الْقَائِلُ فِي سِجْنِهِ « وَقَدْ انْطَلَقَ الطَّلِيْقُ عَنْهُ » وَقُرْبَ
ضِدِّهِ مِنْهُ :

وَلِي جَلِيسٌ قُرْبُهُ مَنِي	بُعْدُ الْأَمَانِي كُلِّهَا عَنِّي
قَدْ قَذِيتُ مِنْ لَحْظِهِ مُقْلَتِي	وَقُرَحْتُ مِنْ لَفْظِهِ اذْنِي
نَادَمَنِي فِي السَّجْنِ مَنْ قُرْبُهُ	أَشَدُّ فِي السَّجْنِ مِنَ السَّجْنِ
لَوْ أَنَّ خَلْقًا كَانَ ضِدَّالَهُ	زَادَ عَلَى يُوسُفَ فِي الْحُسْنِ
إِذَا اشْتَهَى قَطَعِي فِي حُجَّةٍ	سَلَطَ إِبْطِيئِهِ عَلَى ذَهْنِي
كَأَنَّهُ يَجْلِسُ مِنْ ذَا وَذَا	بَيْنَ كَنِيفَتَيْنِ مِنَ النَّتَنِ ^(٢)

وَالطَّلِيْقُ^(٣) الْقَائِلُ :

غُصْنٌ يَهْتَزُّ فِي دِعْصٍ نَقَا	يَجْتَنِي مِنْهُ فَوَادِي حُرَقَا
أَطْلَعَ الْحُسْنَ لَنَا مِنْ وَجْهِهِ	فَمَرَّ لَيْسَ يُرْسَى مُمَحِّقَا
وَرَنَّا عَنْ طَرْفِ رِيَمٍ أَحْوَرِ	لَحْظُهُ سَنَهَمَ لِقَلْبِي فَوْقَا
وَتَنَاهَى الْحُسْنَ فِيهِ إِنَّمَا	يَحْسُنُ الْفُصْنُ إِذَا مَا أَوْزَقَا
رُبَّ كَأْسٍ قَدْ كَسَتْ جُنْحَ الدَّجَى ^(٤)	تَوْبَ نُورٍ مِنْ سَنَاهَا يَبْقَا

(١) عبارة ت ، لب : وبقي ابن مسعود مدة محبوساً إلى أن انطلق سنة تسع وسبعين

وثلاثمائة ومات بعد مديدة (٢) مه في ت

(٣) القصيدتان التاليتان لا توجدان إلا في ت ، لب

(٤) لب : الربى

ظَلْتُ أَسْقِيهَا رَشًا فِي طَرَفِهِ
فَكَأَنَّ الْكَأْسَ فِي أُنْمُلِهِ
أَصْبَحَتْ شَمْسًا وَفُوهُ مَغْرِبًا
فَإِذَا مَا غَرَبْتُ فِي فَمِهِ
وهذا يُشَبِّه قول الآخر :

« وَمُدَامَ صَفْرَاءَ عَلَانِي بِهَا
« صَهْبَاءُ تَقْرُبُ إِنْ بَدَتْ مِنْ كَفِّهِ
رَشًا كَغَضَنِ الْبَانِ فِي حَرَكَاتِهِ
فِي فِيهِ ثُمَّ تَلَوَّحُ فِي وَجَنَاتِهِ »

وَعَمَامٍ هَطَلِ شَوْبُوبُهُ
فَكَأَنَّ الْأَرْضَ^(١) مِنْهُ مُطْبِقُ
خَلَعَ الْبَرْقُ عَلَى أَرْجَائِهِ
وَكَأَنَّ الْعَارِضَ الْجَوْنَ بِهِ
فِي لَيَالٍ ظَلَّ سَارَى نَجْمِهَا
وَقَدْ الْبَرْقُ لَنَا مِصْبَاحُهَا
وَشَدَا الرَّعْدُ حَنِينًا فَجَرَتْ
فَانْتَشَى شُرْبًا وَأَضْحَى مَائِلًا
وَعَدَتْ تَحْنُو لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ
وَكَأَنَّ الْوَرْدَ يَعْلُوهُ النَّدَى
وله من أخرى :

قَرِيَّ الْوَجْهِ أَبْدَى بَضْحَى
فَارَانِي سُبْحًا فِي ذَهَبِ
وَجْهِهِ خَطُّ الْغَوَالِي غَبْشًا
مِنْ عِدَارِيهِ كَمَا اصْفَرَّ الْعَشَا

(١) في الأصلين « الورد » والتصحيح عن الحلة السرياء ص ١١٧ .

(٢) في الحلة « خلتى »

ضُرِّجَتْ خَدَّاهُ حَتَّى خِلَتْهَا عَضَّ طَرْفِي فِيهِمَا أَوْ خَدَّشَا
وَحَوَتْ عَيْنَاهُ [خَمْرًا] لَمْ يَرُخْ صَاحِبًا مِنْ سُكْرِهِ صَاحِي الْحَشَا
فَكَانَ الشُّبَّاحُ فِي وَجْنَتِهِ ^(١) قَدْ سَقَاهُ طَرْفُهُ حَتَّى انْتَشَى
عَشِيَتْ عَيْنُ امْرِئٍ لَمْ تَكْتَحِلْ لِلْبُكَاءِ وَالشَّهْدِ فِيهِ بَعْثَا
جَدًّا فِي قَتْلِي حَتَّى خِلْتُهُ أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الدَّهْرِ ارْتَشَا ^(٢)
لَمْ يَزَلْ يُوشَى بِنَا حَتَّى غَدَا سَحَرُ عَيْنَيْهِ بِنَا فِيمَنْ وَشَى
ومنها :

أَيْنَ لِي مَلْجَأٌ إِذَا مَا طَرْفُهُ بِجُيُوشِ السَّحْرِ نَحْوِي جَيْشَا
وَنَصَتْ الْحَاطِظُ أَنْصَلَهَا فَنَنَائِي بَطْشُهَا أَنْ أَبْطَشَا
رَشَاءٌ إِمَّا مَشَى تَحْسَبُهُ غُصْنًا نَيْطَ بِهِضَبٍ فَاَنْتَشَى
تَقُلُ الْخَضِرُ بَرْدِي رَاجِحٌ مِثْلَمَا أَثْقَلَتِ الدَّلْوُ الرِّشَا
فَإِذَا مَا ظَلَّ يَوْمًا قَاعِـدًا خِلْتُهُ أُوْطِي مِنْهُ فُرْشَا
خَمَشْتُ الْحَاطِظُ عَيْنِي خَدَّهُ مِثْلَمَا بِاللَّحْظِ قَلْبِي خَمَشَا
تَقَشَّتْ عَيْنِي عَلَيْهِ أُسْطُرًا أَعْرَبَتْ عَمَّا بِقَلْبِي نُقْشَا
مُنِعْتُ ثُمَّ تَجَلَّتْ فَدَنْتُ رَبَّمَا أَرْدَاكَ مَا قَدْ نَعَشَا
أَنْتَ كَالْبَذْرِ يُرَى اللَّيْلُ بِهِ مُؤْنِسًا طَوْرًا وَطَوْرًا مُوحِشَا
كُنْ كَمَا شِئْتَ فَقَدْ شَاءَ الْهَوَى إِنَّهُ يُنْفِذُ فِينَا مَا يَشَا

(١) في الأصلين : وجنتيه (٢) في الأصلين « أريشا »

فصل في ذكر^(١) الأديب أبي مروان ابن حيّان ،
والإتيان^(٢) بفصول مُقتبسة^(٣) من كلامه سوى
ما مرّ ويمرّ منها في أثناء هذا الديوان

• ولما تحدّث بتاريخه في ملوك^(٥) الطوائف^(٤) بأقنينا استشرفت طائفة
منهم إلى مطالعة غرره ، وعدّوه من فرص العُمرِ وغرره ، واهتزوا لتطف زهره^(٦) ،
واستهدّوه إياه ، وأجزلوا على ذلك قرّاه ، وأن تسمع بالمتعبدى لا أن تراه ،
ليس^(٧) بعشك فادرجي ولا كرامة^(٧) ، لانه^(٨) وإن كان فيما قرع من هذا
الباب قد مرّ سحابه فصاب ، فإنه أخطأ التوفيق وما أصاب ، إذ جاء أكثر
كلامه كما قال ابن الرومي :

١٠ هما تقلّ فسهام منك مُرسلة وفوك قوسك والأعراض أغراض
وما تكلمت إلا قلت فاحشة كأن فكّيك للأعراض مقرّاض
ومن علم أن كلامه من عمله ، أقلّ^(٩) إلا فيما ينفعه ، ومن اعتقد أنه
مستول عمّا يقول ويكتب عليه ما يكتب ، لم يستفرغ الجهود في القول فضلا
عن أن يثلب^(١٠) ، والله درّ القائل :

(١) ت ، لب : في ذكر الشيخ الأديب الكامل ه ه ذكر الفيخ الأديب

(٢) ت ، لب : وإيراد (٣) ه ، ت ، لب : مقتضبة

(٤ — ٤) ت ، لب : ولما تحدّث في قص (ثم يبايع ينسج لكلمتين في لب) بتاريخ ابن

حيان وكان ذلك في مدة ملوك الطوائف (٥) ه : في مدة ملوك الطوائف

(٦) ز في ت ، لب : واهتزوا إلى مطالعة فقره

(٧ — ٧) ه في ه ، ت ، لب (٨) ه في ت ، لب

(٩) ت ، لب : قل (١٠) ر : يثبت

فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

ومع^(١) ذلك فقد كان سهماً لا ينمى^(٢) رَمِيهِ ، وبجراً لا ينكش^(٣) أَذِيَهُ ؛ لو ثَلَبَ الماءَ ما نَقَعَ ، أو تعرَّضَ لابنِ ذُكَاءٍ ما سَطَعَ^(٤) ، يتناولُ الأحسابَ قد^(٥) رَسَخَتْ فِي الثُّخُومِ ، وَأَنَافَتْ عَلَى النُّجُومِ ۖ فَيَضَعُ مَنَارَهَا ، وَيَطْمِسُ أُنُورَهَا ۖ بِلَفْظٍ أَحْسَنَ مِنْ لِقَاءِ الْحَبِيبِ غِبَّ الْمَوْعِدِ ، وَأَمَكْنَ مِنْ عُدْرِ^(٦) الطَّيِّبِ عِنْدَ الْعُودِ . فَرُبَّ شَايِخٍ بِأَنْفِهِ ، ثَانٍ مِنْ عِطْفِهِ ۖ قَدْ مَرَّ فِي كِتَابِهِ بِفَضْلِ جَرْدِهِ^(٧) لَوْضِعَ حَسْبِهِ ، وَخَلَدَهُ أُخْدُوثُهُ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ^(٨) ، فَيَرِدُهُ^(٩) وَرُودَ الظَّمَانِ الرَّتَقِ ، وَيَلْبَسُهُ لِبَسَ الْعُرْيَانِ الْخَلَقِ .

وقد أثبت في هذا الاختيار من ثمره^(١٠) ما هو شاهد على ما أجريت^(١١) من ذكره . وكانت وفاة هذا الشيخ الباقية^(١٢) سنة تسع وستين وأربع مائة . ١٠

فصول من كلامه في أوصاف شتى

فصل جعله مُفْتَتِحَ تَارِيخِهِ^(١٣) الكبير ، قال^(١٤) في صدره^(١٥) :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا فِي سَمَائِهِ ۖ وَتَفَرَّدَ بِبِقَائِهِ ۖ وَتَسَمَّى الْجَبَّارَ بِجَبَرُوتِهِ

(١) و : ت ، لب : وعلى ذلك (٢) ر : ينهى

(٣) و : ينكر (٤) ت ، لب : طلع (٥) و : التي قد

(٦) كذا في الأصول . وفي و : غدر الحبيب

(٧) ت ، لب : قد جرده (٨) ت ، لب : عقبه وولده (٩) و : فيورده

(١٠) و في و (١١) ر : اجترت

(١٢) و في ت ، لب (١٣) ت ، لب : كتابه

(١٤-١٤) و في ت ، لب :

وكبريائه^(١) ، فله الأسماء الحُسنى ، والمثل الأعلى ؛ خلق الإنسان علمه البيان ، وأجرى بيده فلك القلم العظيم الشان ، فعلمه ما لم يعلم ، وأشهده ما لم يحضر ؛ وكرر^(٢) عليه نبأ ما لم يلحق من القرون الماضية ، والأمم البائدة ؛ وأراه سبيل منقلبهم عن هذه الدنيا الفانية ، التي استعمرهم فيها قرناً بعد قرن ليلوهم فيما آتاهم ، فتهافتوا في شهودها ، وتهالكوا كالأذبة عليها ؛ لا الآخر بما انتهى إليه عن الأول معتبر ، ولا الغابر بما مرّ على الماضي مزدجر ، حكمة بالغة فما تغني النذر ، إذ كلُّ مُقدّر^(٣) كائن ، وكلُّ مرْبوب مُسخر .

وبعض لفظه ، في هذا الأصل محلّول ، من قول القائل حيث يقول :

تَرَحَّاً لِدَارٍ إِنَّمَا سُكَّانُهَا رُفُقٌ مُّحِبَّةٌ
دَارٌ غَرِيبٌ خَيْرُهَا وَتَرَى الشُّرُورَ^(٤) بِهَا مُرَبَّةً^(٥)
أَدْوَتْ وَغَابَ دَوَاؤُهَا عَنْ كُلِّ نَفْسٍ مُّسْتَطَبَّةٌ
وَصَفَتْ مُحِبَّةُ أَهْلِهَا مِنْهَا لَمَدَغَلَةٌ مَضَبَّةٌ^(٦)
لَمْ يَذَرِ فِيهَا حُلُوهَا مِنْ مَرَّهَا إِلَّا الْأَلْبَّةُ
فَتَهَاَفَتُوا فِي شَهْدِهَا وَتَهَالَكُوا مِثْلَ الْأَذْبَةِ

وله^(٧) من رُقعة :

وبعد ، فإنّي امرؤٌ يُسَرُّ لِيَطْلُبَ هذا الخبر ، واقتفاء هذا الأثر . أحرُسُ
شارده . وأقيدُ ناره . وأبيتُ بأبوابه ، وأنصبُ لطلابه ؛ فشغلتُ به دهرًا ،

(١) هـ في هـ ، ت ، لب (٢) هـ : وقص — ت ، لب : وكر

(٣) ت ، لب : مقدور (٤) إلى الأصول : السرور

(٥) لا يوجد هذا البيت إلا في ت ، لب (٦) هـ : بمدغلة مصبّة

(٧) هذه الرسالة والتي تليها لم توجد إلا في ت ، لب

وَفَجَرَتْ مِنْهُ نَهْرًا ، صَيَّرَ فِي تَرْبَا لِعَدْنَان^(١) ، وَزِمَامًا عَلَى الْحَدَثَانِ ؛ أَقْصَى أَنْبَاءَهُ ،
وَأَضْرَبُ أَمْثَالِهِ « وَأُحْصِيَ وَقَائِعُهُ ، وَاحْتَرَزُ مَوَاعِظُهُ . وَأَنْسَأَتْنِي الْمَدَّةُ إِلَى أَنْ
لَحِقْتُ بِيَدِي مُنْبَعَثَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْبَرَبَرِيَّةِ الشَّنْعَاءِ الْمُدْهَمَّةِ « الْمُرْتَقَةِ لِلْجَمَاعَةِ »
الْمَأْدَمَةِ لِلْمَمْلُوكَةِ الْمُؤَثَّلَةِ ، الْمَغْرِبَةِ الشَّأْوِ عَلَى جَمِيعِ مَا مَضَى مِنَ الْفِتَنِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛
فَقَاضَتْ أَهْوَاهَا تَعَاظُمًا أَذْهَبَنِي عَنْ تَقْيِيدِهَا « وَوَهَمَنِي إِلَّا تَخْلَصَ مِنْهَا . فَعَطَلْتُ^(٢) »
التَّارِيخَ إِلَى أَنْ خَلَا صَدْرُ مِنْهَا « نَفْسَ الْخِنَاقِ ، وَبَلَّلَ الرِّمَاقِ ؛ فَاسْتَأْنَفْتُ مِنْ
يَوْمِئِذٍ تَقْيِيدَ مَا اسْتَقْبَلَتْهُ مِنْ أَحْدَاثِهَا ؛ فَأَنْعَمْتُ الْبَحْثَ عَنْ ذَلِكَ عِنْدَ مَنْ بَقِيَ
يَوْمِئِذٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ لَدَيْنَا ، فَلَمْ أَظْفَرْ مِنْهُ إِلَّا بِمَا لَا قَدْرَ لَهُ ، لِزُهْدِ مَنْ
قَبْلَنَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي هَذَا الْفَنِّ ، وَنَفْيِهِمْ^(٣) لَهُ عَنْ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ . وَانْتَشَيْتُ خَائِبًا
خَجَلًا أَلُومُ نَفْسِي عَلَى التَّقْصِيرِ ، وَأَحْدُوها بِالْأَمَلِ ، وَأَعْذَرُ مَنْ قَالَ « هَمَمْتُ وَلَمْ
أَفْعَلْ » ؛ وَشَرَعْتُ فِي التَّفْنِيدِ غِبَّ ذَلِكَ التَّفْنِيدِ ، غَيْرَ مُخْلِ بِهِ « وَوَصَلْتُ الْقَوْلَ
فِيمَا فَاتَنِي قَبْلُ مِنْ ذِكْرِ انْبِعَاثِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ « وَأَخْبَارِ مُلُوكِهَا ، وَمَشْهُورِ خُرُوبِهَا ،
تَمَّا أَصَبْتُ بِهِ عِنْدِي تَذَكُّرَةً ، أَوْ أَخَذْتُهُ عَنْ ثِقَةٍ ، أَوْ وَصَلْتَنِي بِهِ مُشَاهَدَةً ،
أَوْ حَاشَتْهُ إِلَيَّ مُذَاكَرَةً ؛ حَتَّى نَظَّمْتُ أَخْبَارَهَا إِلَى وَقْتِي مُكْمَلَةً ، وَجِئْتُ بِهَا
عَلَى وَجْهِهَا ، وَأَوْرَدْتُهَا عَلَى سُبُوغِهَا ؛ نَاشِرًا مَطَاوِيهَا ، وَمُعْلِنًا بِخَوَافِهَا ، غَيْرَ
مُحَابٍ وَلَا خَائِفٍ فِي الصَّدَقِ^(٤) » عَلَيْهَا ، سَالِكًا سَبِيلَ مَنْ انْتَسَيْتُ بِهِ مِنْ مُسْتَأْخِرِي
أَصْحَابِ التَّارِيخِ بِالْمَشْرِقِ ، كَأَبِي مُحَمَّدٍ الْحِصْنِيِّ ، وَأَبِي بَكْرٍ ابْنِ الْقَوَاسِ الْقَاضِي ،
وَالْفَرَعَانِي ، وَنَظَائِرِهِمْ مِنْ أَعْلَامِ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ لَحِقُوا الْفِتْنَةَ الْحَادِثَةَ عِنْدَهُمْ بِالْمَشْرِقِ بَعْدَ

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « لِعَدْنَان » ، وَ « زِمَامًا » وَلَعَلَّ الصُّوَابَ مَا أَثْبَتْنَاهُ

(٢) ت : فَقَطَعْتُ (٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « نَفْهِمْ » وَلَفْظُ « لَهُ » سَقَطَ فِي ت

(٤) الْكَلِمَةُ مَبْتُورَةٌ الْآخَرُ فِي الْأَصْلَيْنِ وَلَعَلَّ مَا أَثْبَتْنَاهُ أَقْرَبُ الْإِحْتِمَالَاتِ إِلَى صَوَرَتِهَا

الثلثمائة من نصريهم بأخبار أمرائهم المتوثبين على المملكة عند وهن متقلدي
الخليفة فيهم . فلأمر ما اعتنوا بذكر أخبار الأعاجم هناك من الدينم والأثرالك ،
مع عدم الفائدة فيها ، وتفشى القار بوجوها ، وبُعْدُها عما كتبه من قبلهم من
أخبار ملوك العرب صدر الإسلام لفظاً ومعنى . وعقداً ومبنى ؛ حتى توسعوا
في ذكرها . وتناعوا في التثقيف عنها . وإن ذلك لا محالة كان لاستغرابهم
شأنها ، وإكبارهم بحجى الزمان بمثلها . وإشارتهم إلى أنها طرقت هادئة لما
بنته الدنيا ، مغيرة لحاسنها ، موهدة فيها ، مؤذنة بانقطاعها ، كي يكون البقاء
لمن تفرّد بجبروته ، ويدوم البهاء لمن لا تتسلط الغير على ملكوته .

فركت سنن من تقدمنى فيما جمعت من أخبار ملوك هذه الفتنة البرية ،
ونظمت وكشفت عنه . وأوعيت فيه ذكر دولهم المضطربة ، وسياساتهم المنفرة ،
وأستبأ كبار الأمراء المنزى في البلاد عليهم ، وسبب انتقاض دولهم ، حال
حال بأيديهم . ومشهور سيرتهم وأخبارهم ، وما جرى في مددهم وأغصارهم .
من الحروب والطوائل ، والوقائع والملاحم ؛ إلى ذكر مقاتل الأعلام والفرسان ،
ووفاة العلماء والأشراف ، حسب ما انتهت إليه معرفتى ، ونالته طائفتي .

وكنْتُ اعتقدت الاستئثار به لنفسي ، وخبأه لولدى ، والسن بفوائده
الجمّة على من تنكب إحادي به إلى ذمى ومنقصتي . طويت على ذلك كشحاً ،
وأمضيته^(١) عزماً ، إلى أن رأيت زفاهه إلى ذى خطبة سنّية^(٢) أثنى^(٣) على بُعد
الدار ، أكرم خاطب ، وأسنى ذى همّة ، الأمير المؤثّل الإمارة المأمون ذى
المجدين . الكريم الطرفين . يحيى بن ذى النون .

(١) فى الأصلين : « وأوحىته » ولعل الصواب ما أثبتناه (٢) لب : سنية

(٣) رسم الكلمة فى الأصلين : « أبني » وما أثبتناه أقرب الاحتمالات

وفي فضلٍ له من أخرى ، صَدْرُهَا

يا مولاي وسيدي قَظَائِي زَمَانِهِ ۥ وَغَلَابَ أَقْرَانِهِ ، الْمُتَوَقَّى فِي مُلْكِهِ مَن
صَرَّ اعْتِمَادُهُ عَلَيْهِ ۥ وَمَنْ هُنَا اللَّهُ جَلِيلَ الْفَتْحِ لَهُ ۥ وَعَلَى رَعِيَّتِهِ بِهِ ؛ وَلَا أَلْهَاءُ
طَمَحَانُ الشُّرُورِ بِجَلَالَتِهِ عَنْ تَحْقِيقِ التَّوَاضُعِ لِمَوْلِيهِ ۥ وَإِخْلَاصِ الْخُشُوعِ لَوَجْهِهِ ۥ
وَالْعِيَاذِ بِعِصْمَتِهِ ، مِنْ إِقْرَافِ مَا جَرَّ مِثْلُهُ عَلَى مُقْتَرِفِهِ ، وَسُؤَالِهِ تَسْوِيقَهُ إِيَّاهُ ۥ بِالنَّخْلِ ٥
له ، وَالْفُوزِ بِجَمِيلِ عَافِيَّتِهِ ، بِمَنِّهِ .

وَلَهُ مِنْ رُقْعَةٍ خَاطَبَ بِهَا ابْنَ عَبَّادٍ بظُهُورِهِ عَلَى ابْنِ ذِي النُّونِ :

لَوْ أَنَّ فَتْحًا اعْتَلَى عَنْ تَهْنِئَةٍ مَمْنُوحَةٍ بَارْتِفَاعٍ قَدَّرَ ، أَوْ جَلَالَةٍ صُنِعَ ، أَوْ فَرْطٍ
انْتِقَامٍ مُسْتَأْصِلَ ، أَوْ تَنَزُّلٍ ^(١) حُكْمٍ مِنَ الرَّحْمَنِ فَاصِلَ ، لَكَانَ فَتْحُهُ ^(٢)
هَذَا لَكَ ، عَلَى عَدُوِّ أَسْوَدِ الْكَبِيدِ ۥ مُظَاهِرِ الْبَغْيِ عَلَى الْحَسَدِ ، طَالَمَا ^(٣)
اسْتَحْيَيْتَهُ لَا مِنْ خَبَلٍ ، وَتَنَكَّبْتَهُ لَا عَنْ ^(٤) وَهْلٍ ؛ فَأَبَى لَهُ رَأْيُهُ الْفَائِلَ ، وَجَدَّهُ
الْعَاثِرَ ، وَحَيْنُهُ الْجُلُوبَ ، وَحِزْبُهُ الْمَكْبُوبَ ^(٥) ، إِلَّا اكْتِسَابَ الْعَارِ ، وَمِمَّا تَنَفَّ ^(٦)
مُحْصَدِ الْأَقْدَارِ ؛ فَجَمَعَ الْجَيْشَ ذَا الْأُلُوفِ ، وَتَجَشَّمَ الشَّقَّةَ ^(٧) الْعَنُوفَ ، ثُمَّ لَا يَرِزُ
الْعَدُوَّ الْغَائِظَ لَهُ إِلَّا التَّسَلُّطَ عَلَى ضَعْفَاءِ رَعِيَّتِهِ بِإِفْسَادِهِ لِأَقْوَاتِهِمْ ، وَنَيْلِهِ مِنْ
دِمَاءِ الْمَحَاوِيجِ ^(٨) مِنْهُمْ ۥ إِلَى التَّقَاطُ ^(٩) سِقَاطِ سُنْبُلِهِمْ ؛ فَكَمْ نَالَ فُسَاقُهُ ^(١٠) الَّذِينَ ١٥

(١) ت ، لب : ينزل (٢) ر : فتح

(٣) ت ، لب : طال والله ما استحييته (٤) و : من وجل

(٥) ر : عزبه المكتوب ولعلها خزيه أو حربه (٦) و : مماثلة

(٧) و : المشقة (٨) و : المجاريع

(٩) و : التقاط سلبهم (١٠) و : فرسانهم

أَرْسَلَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ دَمٍ أَرْمَلَةٍ غَرَنِي ، وَيَتِيمٍ ^(١) كَفَرْنَحِ الْحُبَارَى ، إِلَى مَنْ
أُصِيبَ فَوْقَهُمْ مِنْ عَابِرِ سَبِيلٍ وَضَارِبِ لِمَعِيشَةٍ ؛ مُؤَيِّمٍ نُسُوءٍ ، وَمُؤَيِّمٍ صَبِيئَةٍ ؛
أَضْحَوْا طُعْمَ ذِئَابٍ .

وفي فصلٍ منها :

حَتَّى ابْتَعَثَكَ ^(٢) امْتِعَاظُكَ تَحْتَ صِدْقِ الْعَزِيمَةِ ، وَمَهْلِ الرُّوِيَّةِ ، وَصَوَابِ ^(٣)
التَّدْبِيرِ ، وَتَقَدُّمِ الاسْتِخَارَةِ ^(٤) ؛ وَابْتَعَثَكَ تَعَالَى لِلسَّيْرِ ^(٥) إِلَيْهِ لَمَّا دَنَا مِنْكَ
قَبْلَ اكْتِمَالِكَ فِي الْاِحْتِشَادِ ، وَانْتِهَائِكَ فِي الْإِعْدَادِ ^(٦) ؛ وَيَسْرَكَ لِرُمِيهِ بِأَهْزَعِ
الْكِنَانَةِ وَمَظَنَّةِ النَّجَابَةِ وَطَلِيعَةِ السَّعَادَةِ ، الْحَاجِبِ سَرَاجِ الدَّوْلَةِ ^(٧) فَيَمُنُّ
حَضْرَكَ مِنْ خَاصَّةِ الْعِلْمَانِ ، لِلَّهِ دَرْهُمْ مِنْ مُحَاةٍ حَقَائِقُ ^(٨) ، وَمُذْرِكِي أَوْتَارٍ .
وَرَحْضَةَ عَارٍ ؛ اهْتَدَوْا بِقَمَرِهِمْ ^(٩) السَّارِي ، وَلَيْثِهِمُ الْعَادِي ، وَحَامِيهِمُ الْوَاقِي
الْعِبَادِي ^(١٠) ، مُقْتَفِيًا أَثَرَكَ فِي مُحَمَّدٍ مَوَاقِفِكَ ؛ طَرَفَ اللَّهِ عِيُونَ حَسَدَتِكَ ^(١١)

(١) وه ، ت ، لب : ويتيمة

(٢) وه : حتى ابتعث ، وعبارة ت : لب : حتى حرّك العدى امتعاضك

(٣) وه ، ت ، لب : صواب

(٤) ز في ت ، لب : وتقدم الاستخارة مستظهاً منهن بعدة ضربين عليه بالأسداد
وباعده عن السداد

(٥) وه ، ت ، لب : للسمو (٦) وه ، ت ، لب : الاعتداد

(٧) ز في ت ، لب : سراج الدولة سيد العرب أنعم الله به عليك فيمن ...

(٨) ر : دقائق (٩) وه : هز برم الشاري

(١٠) وه : المبادي (١١) ت ، لب : حسدك

فيه ۝ ومَتَّعَكَ بِمَا مَنَحَكَ مِنْ يُمْنٍ طَائِرِهِ وَسَعْدِهِ الَّذِينَ بِهِمَا انْقَضَ عَلَى عَدُوِّكَ
انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ السَّارِي ، نَحَسَفَ بِهِ وَبَجَمِعِهِ اخْفَلَ مَا كَانَ فِي عَدِيدِهِ ،
وَأَوْثَقَ مَا هُوَ بِمَجْنُونِهِ ۝ فَطَوَاهُ طَيِّ الرَّدَاءِ ۝ وَغَلَّ أَيْدَى كُمَاتِهِ عَنْ إِعْمَالِ الْقَنَاءِ ،
وَأَرْغَى ^(١) فَوْقَهُمْ سَقَبَ ^(٢) السَّمَاءِ ۝ فَاقْتَسَمَتْهُمْ أَيْدَى الْخُتُوفِ بَيْنَ حَرِّ الْحَدِيدِ
وَبَرْدِ الْمَاءِ ^(٣) ؛ أَوْلَى لَهُمْ فَأَوْلَى ! قِيلَ اللَّهُ مَعْدِرَةُ الْمُسْتَكْرِهِينَ مِنْهُمْ ، وَقَارَضَ ٥
سِوَاهُمْ بِطَاعَتِهِمْ لَظْلُومٍ فَرَّ عَنْهُمْ فِرَارَ الظَّلِيمِ ، وَأَسْلَمَ بَائِيًّا بِالْعَارِ الَّذِي قَدِمَا
تَحَامَاهُ ذَوُ ^(٤) النَّهْيِ ، وَرَأَوْا أَنَّ الْمَوْتَ مِنْهُ أَحَبُّ ، وَلَمْ يَقْرَأُوا بِمَعْدِرَةِ الْحَارِثِ
ابْنِ هِشَامٍ مَا الْفِرَارُ مِنْهُ أُخْرَى .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى يُعَاتِبُ صَاحِبَ الصَّلَاةِ ابْنَ زِيَادٍ :

^(٥) مِنْ كَلَامِهِمْ إِنَّ أَدَهَى الْمَكْرُوهِ مَا جَاءَ ^(٦) مِنْ تِلْقَاءِ الْمَحْبُوبِ ۝ ١٠
لَا سِيَّيَا إِنْ قَارَنَ قَادِحَ نَكْبَةٍ ، وَوَافَقَ كَارِثَ مُصِيبَةٍ ، فَزَادَهَا خَطْبًا ^(٧) ، وَأَشْعَلَهَا
نَفْحًا ^(٨) ، وَتِلْكَ دَاهِيَتِي ^(٩) الْعُظْمَى بِكَ ، إِذْ عَلِمْتُ عَظِيمَ مَخْنَتِي بِأَمْتِي الْفَاجِرَةِ ۝
الَّتِي فَلَّتْ غَرْبِي ، وَفَرَّتْ كِبْدِي ، وَنَظَّمْتُ أَشْتَاتَ الْمَصَائِبِ فِي سِلْكِي ؛ خَبَلًا
لِلْبَالِ ، وَثَلَمًا لِلْمَالِ ۝ الَّذِي ^(١٠) لَا تَنَامُ الْعَيْنُ عَلَى حِرَازَتِهِ وَتَنَامُ عَلَى الْإِنْكَالِ ^(١١) .

(٢) ر ، و ۝ سَقَف

(١) و ۝ أَرْخَى

(٣) من هنا لآخر الفصل هـ في و ، ت ، لب (٤) في الأصل : ذُو النَّهْيِ .

(٥) هذا الفصل يبدأ في ت ، لب : بهذه الزيادة : يَاسِيدِي الْمُعْتَلَى بِسُورَتِهِ ۝ الْمُعْتَدَى
بِاعْتِدَاءِ بَصِيرَتِهِ ؛ وَمَنْ أَحْبَبَهُ اللَّهُ التَّوْفِيقَ ، وَأَقَامَهُ عَلَى سِوَاءِ الطَّرِيقِ ، وَنَحَاهُ مِنْ مَعْتَبَةِ
الصَّدِيقِ ، إِنْ أَدَهَى الْمَكْرُوهَ ... وَيَبْدَأُ فِي و بِقَوْلِهِ « إِنْ أَدَهَى الْمَكْرُوهَ ... »

(٦) ت ، لب : مَا كَانَ (٧) ت ، لب : فَزَادَهَا خَطْبًا .

(٨) و ۝ لَفْحًا (٩) و ۝ الدَاهِيَةِ

(١٠ — ١١) و ۝ الَّذِي لَا يَنَامُ اللَّيْلُ عَنْ حِرَارَتِهِ وَيَنَامُ عَلَى الْإِنْكَالِ

وكان الظنُّ لِتَشْيَعِي فَيَكُ أَنْ تَأْخُذَ بِحِطِّكَ سِنْ مُشَارَكْتِي فَتَنْكِتَهَا ،
وَتَجَاوَزْتَ ^(١) إِلَى قَطْعِ آصِرَتِي وَتَذَكِّيَةِ لَوْعَتِي ^(٢) بِقِيَامِكَ دُونَ الْخَبِيثَتَيْنِ ^(٣)
النَّطِفَتَيْنِ ابْنَتَيْ قِبَاطِ ^(٤) الْحَنَاطِ ، جَارَتِي جَنِّي ، وَمُسَبِّتِي كَرَبِي ، اللَّهُجَتَيْنِ ^(٥)
بِأَذَاتِي ^(٦) وَإِمْدَادِ أُمِّي الْفَاجِرَةِ خَلِيلَتَيْهِمَا فِي غَيْبِهَا لِكُونَ بَيْتَيْهِمَا دَبْرَ بَيْتِي ^(٧)
فِي حَانِطٍ يَلِيهِمَا . فَلَمْ تَزَلْ تُنَاوِلُهُمَا مِنْهُ مَا تُسَلِّهُ ^(٨) فِي الْفَلَتَاتِ وَالْخَرَجَاتِ
السَّيِّئَاتِ حَتَّى اسْتَأْصَلْتَ مَتَاعَ الْبَيْتِ .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا :

وَقَدْ كَانَ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ ذَهَبَ إِلَى اعْتِقَالِهَا بِمَا لَاحَ مِنْ ظُلَامَتِي ، فَبَادَرْتُ ^(٩)
أَنْتَ وَاسْتَنْقَذْتَ وَزَكَّيْتَ ^(١٠) وَشَكَّكَتَ السُّلْطَانَ فِي صِدْقِ تَهْمَتِهِ ، فَهَلْ
سَبَقَكَ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْعِجَلَةِ ^(١١) قِيمُ شُرْعَةٍ ، أَوْ فَارِسُ مِنْبَرٍ ، أَوْ وَاغِظُ أُمَّةٍ ^(١٢) ؟
وَرَجُلُ الدَّوْلَةِ الَّذِي اعْتَمَدَتْهُ بِخَطَابِكَ ، وَثَنَيْتَ غَرْبَهُ عَنِ النَّظَرِ لِي ، قَدْ حَلَّ يَدَهُ

(١-١) وه : وتجاوزت إلى قطع سرقى وتوكية أوعيتي

(٢) نه في وه (٣) ت ، لب : نباط

(٤) ر : البهجتين — ت ، لب : التهجتين سرأً وعلانية بأذاي

(٥) وه : بإيذائي (٦) ت ، لب : داري

(٧) نه في وه — ت ، لب : تسله

(٨-٨) ت ، لب : فبادرته أنت غير مستثبت (ت: مثبت) في مآل من استنقذته،

ولا سائل عن باطن من زكيتك . وشككت...

(٩) وه : العلة

(١٠) ز في ت ، لب : أو وَاغِظُ أُمَّةً فَعَلِمَ الْآنَ أَنَّ قَدْ قَعْنِي قَعِ الْقَهْوَرِ ، وَدَحْرَتِي دَحْرِ

الْمَلِيقِ الْمَازُورِ « وَحَرَكْتَ عَلَى مِنْ اعْتِكَارِ الضَّمِيرِ » وَفَسَادِ التَّفْكِيرِ ، مَا لَمْ أَمْلِكْ مَعَهُ وَاللَّهِ عَنْ عَرْضِ
اسْمِكَ عَلَيْهِ « وَالنَّجْوَى بَيْتِي إِلَيْهِ ، وَرَجُلُ الدَّوْلَةِ ...

عن ذلك ، وأرسلني مُحَلِّي العِثَانِ في مِيدَانِ الحِصَامِ^(١) الرَّحِيبِ السَّاحَةِ ؛ وَكُنْتُ حَسِبْتُ أَنَّهُ مُنْحَرِفٌ عَنِّي فَلَدَلَكُ مَا انْتَحَيْتَهُ بِكِتَابِكَ ، وَحَسِبْتُ أَيْضًا لِسُغْلِ بَالِي أَنَّ سُرَاكَ تَحْتَ الظَّلَامِ خَفِيَ^(٢) عَلَيَّ^(٣) إِذْ تُحَدِّثُ وَتَغْزِلُ ، وَأَنَا عَنْكَ بِمَغْزِلٍ .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى خَاطِبَ بِهَا ذَا الْوَزَارَتَيْنِ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ عَبْدِ الْغَفُورِ :

- لَا أَبْثُكَ مِنْ ذِكْرِ حَالِي لَا نِثْلَالٍ^(٤) عَرَشِي ، وَانْفِلَالِ غَرْبِي ، بِمَا أَخْشَى تَنَاسِيكَ لَهُ ، أَوْ وَنَيْكَ فِي الْمَعُونَةِ عَلَيْهِ ، فَأَنْتَ طَوْدِي مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْهَضَابِ ، وَمُصَدِّقُ ظَلَمِي فِيمَا يَنْوِبُ مِنْ طَلَابِ ، الْمُوْحَى بِأَشْجَانِي إِلَى جَنَّاتِ الْمَلِكِ اللَّبَّابِ ، نِهَايَةِ الْأَمَالِ^(٥) الرَّغَابِ ، أَقْرَضَكَ اللَّهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ !

وَخَاطِبُهُ الْوَزِيرُ الْأَجَلُّ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ زَيْدُونَ بِرُقْعَةٍ يَقُولُ فِيهَا :

- وَالَّذِي^(٦) أَسْكُنُ إِلَيْهِ مِنْ حُسْنِ قَبُولِكَ ، وَجَمِيلِ تَأْوِيلِكَ ، أَقَابِلُ بِالْحَفِيرِ ، وَأَوَاجِهِ بِالثَّافَةِ الْيَسِيرِ . وَلَوْ^(٧) تَاخَفْتُكَ بِهَيْبَةِ عُمْرِي مَا رَأَيْتُ ذَلِكَ^(٨) كِفَاءً^(٩) لِقَدْرِكَ ، وَلَا وَفَاءً بِبِرِّكَ ، فَكَيْفَ مَادُونَهُ ؟ فَلكَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي لَا تُسَامَى ، وَالْجَلَالَةُ الَّتِي لَا تُوَازَى ، وَمَا شِئْتُ وَإِنْ جَلَّ إِلَّا وَحْتَقَرْتُ لَكَ ، مُسْتَضْعَرَّةً^(١٠) عِنْدَ مَحَلِّكَ . وَيَصِلُ مَعَ^(١١) مُوَصَّلِهِ^(١٢) مَا ثَبَتَ ذِكْرُهُ فِي الْمَدْرَجَةِ طَيِّبَةٍ ، وَأَنْتَ بِمَعَالِيكَ

(٢) هـ في هـ

(١) هـ في رـ

(٣) هـ : إلى — ت ، لب : عني (٤) هـ : لا نثيال

(٥) ت ، لب : الأمل — هـ : آمال (٦) هـ : والذي

(٧) ت ، لب : ويعلم الله تعالى لو تاحفتك (٨) هـ : في ذلك

(٩) ت ، لب : أن ذلك كفاء (١٠) هـ : مستقر

(١٢) ت ، لب : مع موصل كتابي هذا

(١١) هـ في هـ

تَتَفَضَّلُ^(١) بِقَبُولِهِ ، وَتَصِلُ أَجْمَلَ صِلَةٍ بِالتَّغَاضِي عَنْ وَتَاحَتِهِ ، وَالِاسْتِجَازَةِ^(٢) لِنَزَارَتِهِ . مُقْتَضِيًا بِذَلِكَ شُكْرِي وَحَمْدِي . وَمُسْتَبَدًّا مِنْهُمَا بِجَمِيعِ مَا عِنْدِي .

فَرَاغَهُ ابْنُ حَيَّانٍ بِرُقْعَةٍ يَقُولُ فِيهَا :

إِنَّ لِفَجَاتٍ^(٣) الْمَسَرَّاتِ الْبَاغِتَةِ^(٤) لَأَمَالِ النَّفُوسِ الْحَائِمَةِ ، صَدَمَاتٍ
تَذْهِلُ الْجَنَانَ . وَتَعْقِلُ اللِّسَانَ ؛ فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ . وَمِنْ بَاهِرِ
الصَّنْعِ مَا يُذْهِلُ^(٥) ، وَلَا كَيْثِلُ مَا فَاجَأَنِي^(٦) مِنْ فَضْلِكَ الْمُتَبَدِّرِ مِيقَاتُهُ ،
الْمُقْتَضَى الْمَزِيدُ فِيهِ عَلَى وَفَاقٍ مِنْ إِنْفَاضِ^(٧) الْأَزُودَةِ . وَخُمُودِ الْمَصَابِيحِ
الْمُعْطَلَةِ ، وَعَذَتْ^(٨) مِنَ الظُّنُونِ الْمَخُوفَةِ بِنَكْدِ السَّنَةِ . لَمْ يَشْغُلْكَ عَنْ جُودِكَ
شَاغِلٌ حَتَّى قَضَيْتَ نَذْرَكَ فِي لَوَّلٍ^(٩) وَقْتِهِ ، وَلَمْ تَرْضَ بَعَادَتِكَ الْمُتَكَلِّفَةَ^(١٠)
لِي بِشَأْنِ الدُّهْنِ ، حَتَّى تَحَمَّلْتَ عَنِّي ثِقَلَ الْقُوَّةِ ؛ فَلَمْ أَكْذِبْ شَيْمُ بَرَقِ الزَّيْتِ ،
حَتَّى نَلْتُ رَيْيقَهُ^(١١) ، حَاشِدًا لِأَحْمَالِ الْبُرِّ^(١٢) الَّتِي اسْتَحَقَبْتُ أَعْدَالَهُ أُوطَابَهُ^(١٣)
فَأَسَالَتْ^(١٤) غُرَّتَهُ . وَطَرَفَنِي^(١٥) قِطَارُ هَدْيَتِكَ الْفَاجِئَةِ^(١٦) غَدَاةً أَصْبَحْتُ

(١) م : متفضل (٢) ر : الاستجارة ، ت ، لب : الاستخارة ، ولعل الصواب ما أثبتناه

(٣) م : لنفحات (٤) ت ، لب : الباعنة — م : الباهشة

(٥) م : يزهد (٦) ت ، لب : فاجأني — م : فاجأني فضلك

(٧) م : انفاق

(٨) في ر ، ت ، لب : عنة (بالثناء المربوطة) وما أثبتناه قراءة م

(٩) ر : الأول وقته (١٠) م : المتكلفة

(١١) ت ، لب : ودقه — م : دونه (١٢) م في م

(١٣) م في ت ، لب : ر : « وأطابة » ولعلها أوطابه كما أثبتنا — وفي م : وطابه

(١٤) م ، ت ، لب : فادالت عزته (١٥) ر : طرفني (١٦) م : الفايحة

فيها^(١) مُنْقَضًا مِنَ الزَّادِ ، مُسْتَوْفِرًا لِلزَّيَادِ ؛ فَأَجَلْتُ عَيْنِي مِنْهَا فِي حَدِيقَةِ مَجْدٍ لَمْ يُصِبْهَا مَطَرٌ ، وَلَا تَكَلَّفَهَا^(٢) زَهْرٌ ، أَكْسَبْتُ فَرَحِي دَهْشًا ، وَأَحَالَتْ بَيَانِي بَلَهًا ، حَتَّى نُوِلْتُ كِتَابَكَ الْكَرِيمَ ، وَنَظَرْتُ فِي لَالَتِهِ الثُّومَ ، فَيَالِي^(٣) بِهِ مِنْ اهْتِزَازٍ لِدِكْرِكَ ، وَارْتِيَاكِ لَطَوَلِكِ ! فَجُوزَيْتَ أَوْفَى جَزَاءِ الْمُنْعِمِينَ . وَأَوْفَرَ قَرْضِ الْمُحْسِنِينَ ، بِمَا أَرَحْتَ مِنْ فِكْرِي بِكَشْفِكَ عَنِّي^(٤) فِي أَدِيمِ يَوْمٍ هَمٍّ غَامٍ^(٥) ، فَعَمَّتْ فِيهِ أَوْعِيَّتِي . وَأَفْنَهَتْ آيِنِي . مَعَ أَنَّكَ قَتَلْتَ^(٦) شُكْرِي ، فَلَا فَضْلَ فِيهِ لِمُقَابَلَةِ مَعْرُوفِكَ إِلَّا إِنْحَاضُ^(٧) الدُّعَاءِ لَكَ ، فِي حِرَاسَةِ مُهْجَتِكَ ، وَدَوَامِ نِعْمَتِكَ ، وَاسْتِبْصَارِ الْمَلِكِ الْأَعْلَى عَمِيدِ الْوَرَى مُسْتَكْفِيكَ ، فِي حُسْنِ رَأْيِهِ فَيْكَ . أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ عَيْنِ الْكَمَالِ . وَوَقَاكَ طَوَارِقَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ . وَحَفِظَ عَلَى زَمَانِنَا مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الْخِلَالِ ، وَأَنْهَضَكَ بِمَا التَزَمْتُهُ مِنْ إِحْنَاثٍ مَنْ أَقْسَمَ ٥
أَنَّ الْجُودَ فِي عَضْرِ نَا عَدَمٍ لَا يُنَالُ^(٨) .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى يُهْنِي بَعْضَ الْعَمَالِ بِخَلَاصِهِ مِنْ نَكْبَةٍ :
كِتَابِي عَنْ نَفْسٍ قَدْ أَشْرَقَ وَجْهُ صَبَاحِهَا . وَهَبَّتْ رِيحُ^(٩) ارْتِيَاكِهَا ، وَسَرَى
نَفْسُ الشُّرُورِ فِيهَا ، بِمَا طَلَعَ عَلَيْنَا مِنَ الْبِشَارَةِ^(١٠) السَّارَةِ بِخَلَاصِكَ ، وَجَمِيلِ
أَنْفِكَ كَلِّكَ وَمَنَاصِكَ ، عَلَى حِينِ بَلَفَتْ قُلُوبُ الْاَوْدَاءِ الْحَنَاجِرِ . وَكَادَتْ ١٥

(١) ر : فيه (٢) ت ، لب : تكلمها ورسم الكلمة في ر : « تكسها »

(٣) ت ، لب فتالتي (٤) هـ في ت ، لب

(٥) في الأصول : عام (٦) ت ، لب : قبلت

(٧) هـ ، ت ، لب : بالخاص (٨) ز في ت ، لب : بعنه وبعنه

(٩) هـ ، ت ، لب : رياح (١٠) هـ ، ت ، لب : البشائر

مَوَارِدُ الْحُزَنِ ^(١) لَا تَكُونُ لَهَا مَصَادِرُ ، فَإِنَّ الْأَيَّامَ عَمَّتْ فِيكَ بِإِسَاءَتِهَا إِلَيْكَ
كُلُّ مُنْتَسِبٍ إِلَى فَضْلٍ ، مُتَّسِمٌ بِاسْمِهِ نَبِلَ ^(٢) ، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ أَصَابَتْ فِيكَ
سَوَادَ نَاطِرِهَا الَّذِي تُضِيءُ بِهِ وَتَتَجَمَّلُ ، وَسَخَتْ مِنْكَ بِحُلَى جِيدِهَا الَّذِي يَحِقُّ
بِهِ أَنْ تَبْخَلَ ^(٣) ، فَذَلِكَ خُلُقُ لَهَا ^(٤) لَمْ تَزَلْ نَصَحْبُهَا ^(٥) عَلَيْهِ اضْطِرَّاراً
لَا اخْتِيَاراً . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَى وَوَقَى ^(٦) .

فَأَنْتَ أَعْلَمُ ^(٧) بِمَجَارِي الْأُمُورِ ، وَمَصَائِرِ الدُّهُورِ ، وَأَهْدَى إِلَى التَّسْلِيمِ
لِلْمَقْدُورِ ، فَلَمْ تُورِدِ الْأَيَّامُ عَلَيْكَ مِنْ حَوَادِثِهَا الْمَجْهُولِ ^(٨) النُّكْرَ ، وَلَا
وَرَدَّتْ ^(٩) بِالْفَتَكَةِ الْبِكْرِ ، وَلَا هَاضَتْ مِنْكَ بِمَا جَنَّتْهُ ، وَلَا هَدَّتْ مِنْ
رُكْنِكَ بِمَا أَتَتْهُ ، بَلْ صَادَفَتْ مِنْكَ الْإِبْرِيرَ الَّذِي لَا يَزِيدُهُ ^(١٠) السُّبْكُ إِلَّا
تَخْلِيصاً ، وَالْمُبَرِّزَ الَّذِي لَا يُعْقِبُهُ حُؤُولُ الْأَحْوَالِ نُكُوصاً ؛ تَتَلَقَّى الْخَطُوبَ بِصَدْرِ
وَسَاعٍ ، وَصَبْرٍ مُنْفَسِحِ الْبَاعِ ؛ وَتَسْبُرُ الدَّهْرَ بِمُسْتَبَارِهِ ، وَتَعْرِفُ مِنْ مَكْتُومِهِ ^(١١)
حَقِيقَةَ إِرَادِهِ وَإِصْدَارِهِ .

(١) ت ، لب : الحمد (٢) هـ في هـ — ر : نيل

(٣) هـ : تتحل (٤) هـ ، ت ، لب : منها

(٥) ت ، لب : لم تزل تصحبها (٦) ر : ووفى

(٧) هـ ، ت ، لب : أعرف (٨) ت ، لب : النكر

(٩) ت ، لب : وردت عليك (١٠) هـ : لم يزد

(١١) ت ، لب : مكنونه

وهذه فصول مقتضبة من كلامه ^(١) ، وكنيت عن أكثر من به صرح . وأعجمت باسم من به أعرب وأفصح ، رغبه بكتابي عن الشين ، وبنفسى عن أن أكون أحد الهاجيين ، إلا في بعض أخبار ملوك الطوائف ، لما تعلق ^(٢) بذكرهم من فنون المعارف .

وله ^(٣) إلى ابن عبد الغفور ، وقد أعاره سفرًا من تاريخه :

ليس يخفى عليك مكان هذه الصحف المستمالة من الصدور . المستعارة من النظير ، من أنفس مؤلفيها . وقلوب مصنفيها . فأبتك شأن الاهتمام بها . وناولتكم يوم التقينا السفير الحقيير ، ختام تاريخي المهجور ، سائلًا غلاك تصفحه كيما تُكذّب ما زور فيه على ، ولا محالة أن قد فعلت ، ورددت وجهدت . واستأخر صرفه إلى ، فحملت ذلك على نسيانك ، لتقسّم الأشغال لإخاطرك ،
 ١٠ و«لِمَنَاحِ الْقَلْقِ» بي ، ويومان من هجر الحبيب كثير ، ونفسي مُنْطَلِقَةً إلى حضوره حذرًا من أن يعدوك ، فلا أستميل فيه الحيرة . فتفضل بصرفه ، غانمًا حمدي إن شاء الله .

فصل :

نعي إلينا فلان ، وكان في غفلته ، وبعد فطنته ، وعباوة شأده . وفجاجة ١٥

(١) ت ، لب : من طويل كلامه في تاريخه

(٢) و : يتعلق

(٣) لم يرد هذا الفصل إلا في نسختي ت ، لب

(٤ — ٤) رسم هذه العبارة في ت : « لمناح القلوب » وفي لب : « ولنا القلوب »

ولعل الصواب ما أثبتناه

شَمَائِلُهُ . وَشَكَاسَةُ خَلَاتِقِهِ ، آيَةً مِنْ آيَاتِ خَالِقِهِ . مِنْ رَجُلٍ نَسَمَةٍ ^(١) رِيَبٌ ،
وَقَرَارَةٌ حَرْبٌ ؛ عَلَى لِسَانِهِ نَمَلَةٌ تَدِبُّ عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ ، لَا يُرَاعِي
لِأَحَدٍ ذِمَّةً ، فَصَارَ مَشْنُوءًا إِلَيْهِمْ وَمُرْهَقًا ^(٢) فِي دَيْنِهِ مَحْرُومًا ، لَمْ يَرْتَفِعْ لَهُ ^(٣)
حَالٌ . وَلَا فَارَقَهُ إِقْلَالٌ . وَلَا أُتِيحَ لَهُ مَرْفَقٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَرْتَشِيهِ . لِتَلْقَيْنِ خَضَمٍ
أَوْ تَوْهِينِ عَقْدٍ ، أَوْ دَفْعِ حَقٍّ بِمَشَاغِبَةٍ ، أَوْ بَهْتِ خَضَمٍ بِمُعَانَدَةٍ ، لَهُ فِي ذَلِكَ
نَوَادِرُ مَحْفُوظَةٍ . وَكَانَ مَعَ هَذِهِ الْمَسَاوِيِّ وَسِخَ الثِّيَابِ . زَمَرٌ ^(٤) الْمَرْوَةِ ،
مُكَحَّلَ الْأُظْفُورِ ^(٥) ، وَضِرَ الطَّوْقِ ، ذَانِي الْغَائِطِ مِنَ الْمَائِدَةِ ، لَا يَتَقَدَّرُ شَيْئًا
بِالْبَتَّةِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ لَاعَنَ زَوْجَهُ ^(٦) بِالْأَنْدَلُسِ فَأَرَى النَّاسَ الْعَمَلَ فِي الْعَبَانِ
بِالْعِيَانِ .

فصل ^(٧) : ١٠

وَكَانَ فَلَانٌ مِنَ الْبُخْلِ بِالْمَالِ . وَالْكَفِّ بِالْإِمْسَاكِ ، وَالتَّقْتِيرِ فِي الْإِنْفَاقِ .
بِمَنْزِلَةٍ بَدَّ فِيهَا مُلُوكَ عَصْرِهِ . لَمْ يَرْغَبْ قَطُّ فِي صَنِيعَةٍ ، وَلَا سَارَعَ إِلَى حَسَنَةٍ .
وَلَا جَادَ بِمَعْرُوفٍ ؛ فَمَا أَعْلَمَتْ إِلَى حَضْرَتِهِ مَطِيَّةٌ ، وَلَا عَرَّجَ إِلَيْهِ أَدِيبٌ وَلَا
شَاعِرٌ ، وَلَا امْتَدَحَهُ نَازِمٌ وَلَا نَائِرٌ ، وَلَا حَظَى أَحَدٌ مِنْهُمْ بِطَائِلٍ ، وَلَا اسْتَخْرِجَ
مِنْهُ دِرْهَمٌ فِي حَقٍّ وَلَا بَاطِلٍ ؛ فَأَصْبَحَ فِي اللُّؤْمِ قَرِيبَ دَهْرِهِ ، وَفَرِيدَ عَصْرِهِ .
لَا يَبْدُلُهُ فِيهِ مَلِكٌ وَلَا سُوقَةٌ . وَكَانَ فَرَطَ الثَّوَارِ بِصُقْعِ الْأَنْدَلُسِ فِي إِثَارِ الْفُرْقَةِ .
وَتَشْتَبِهَتْ كَلِمَةُ الْجَمَاعَةِ ؛ فَاقْتَطَعَ نَاحِيَةً . وَتَفَرَّدَ فِي الشَّقَاقِ ، وَصَارَ جُرْثُومَةً

(١) لب : بسمة — ر : خرب (٢) و : موهناً

(٣) ت ، لب : لم ترتفع له قط حال (٤) و : دفر

(٥) ت ، لب : الإظفر (٦) و : زوجته

(٧) لم يرد هذا الفصل إلا في نسختي ت ، لب

الخِلاف والتَّفَاق ، أدامه من بعده ■ وسَلَك سَنَنَه ، ^(١) فتركه الله في ضلاله ^(١) ولم يَرْضَ له عُقُوبَةُ الدُّنْيَا مَثُوبَةً ، لِمَا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ . مِنْ رَجُلٍ كَثُرَتْ جَبَابَتُهُ ، وَكُثِفَ جَمْعُهُ ، فَكُلَّمَا دَرَّتْ ضُرُوعُ وَرِقِهِ وَتَبَّرَهُ ، وَغَزُرَتْ اسْتِفَادَتُهُ ، زَادَ حِرْصُهُ ، وَتَضَاعَفَ جَشَعُهُ

كَالْحُوتِ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْقَمُهُ . يُصْبِحُ عَطْشَانٌ فِي الْبَحْرِ فَمَهُ ٥

فصل :

وَنُعَى إِلَيْنَا عَدُوٌّ نَفْسِهِ ، زَاوَى بْنُ زَيْرِيٍّ مُوقِدُ الْفِتْنَةِ بَعْدَ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ . وَرَدَّ النَّبَأُ بِمَهْلِكِهِ فِي الْقَيْرَوَانِ وَطَنِهِ ، بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ إِلَيْهَا حَامِلًا مَغْمُورًا بَيْنَ أَعَاظِمِ قَوْمِهِ ■ لَمْ يَرْتَفِعْ لَهُ ذِكْرٌ بَيْنَهُمْ . مَهْلِكُهُ كَانَ ^(٢) ■ زَعَمُوا ، مِنْ طَاعُونَةٍ أَصَابَتْهُ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْفَرِدِ بِإِهْلَاكِهِ ، الْكَفِيلِ بِقِصَاصِهِ ؛ فَلَقَدْ كَانَ فِي الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ، وَالِاسْتِحْلَالِ لِلْحَارِمِ وَالْقِسْوَةِ ، آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ . أَهَانَ اللَّهُ مَثْوَاهُ ■ وَلَا قَدَسَ صَدَاهُ !

فصل :

وَانْكَدَرَ عَلَى أَثَرِهِ مِنَ الظَّالِمَةِ الْمُسْرِفِينَ الْمُتَرَفِّينَ ^(٣) مِنَ السَّمَسَرَةِ إِلَى شَرَفِ الْمَنْزِلَةِ ، فَلَانَ الْكَاتِبُ الضَّعِيفُ الرَّأْيَ وَالْعَقْلَ ^(٤) . وَكَانَ قَدْ رَكَّضَ فِي ١٥ حَلْبَةِ كُتَابِ الرِّسَائِلِ ، وَقُلْدَ جُمْلَةً مِنْ تَذْيِيرِ الْأَعْمَالِ الْجَلَائِلِ ، مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ ، وَلَا قَدِيمِ أُبُوءَةٍ ، وَلَا إِحْكَامِ صِنَاعَةٍ . وَمِنْ اسْتِخْدَامِ مِثْلِهِ فِي شَيْءٍ

(١-١) في الأصلين ■ فترك من أصلاه « ولعل الصواب ما أثبتناه

(٢) هـ : كانوا زعموا

(٣) هـ في هـ ، ت ، لب

(٤) هـ في ت ، لب

من العمل ، حَذَرْتُ^(١) حُكْمَهُ الْمَلَلِ^(٢) والفلاسِفَةُ الأول ، لاجْتِمَاعِ الْحِلَالِ
الذَّمِيمَةِ فِيهِ .

فَصْل :

وَنُعِي إِلَيْنَا فَلَانُ صَدِيقُ فَلَان ، وَكَانَا أَخَصَّ^(٣) أَخَوَيْنِ ، فَرَقَ بَيْنَهُمَا مَنْ
عَافَى الْفَرَقْدَيْنِ . مِنْ^(٤) رَجُلٍ مُرْخِصٍ فِي السَّمَاعِ ، صَبَّ بِإِنْشَادِ الْأَغَانِي^(٥)
الْفَاتِنَةِ ، مُسَامِحٍ فِي النَّبِيذِ ، ظَنِينِ الْخُلُوةِ^(٦) عَهْرِهَا ، مُسِفٍّ إِلَى الرِّشْوَةِ ،
إِلَى شَكَاكِسَةِ خُلُقٍ^(٧) وَحِدَّةٍ يُكَدِّرَانِ صَفْوَهُ ، وَيُبْعِدَانِهِ عَنْ رِصَانَةِ طَبَقَتِهِ .

فَصْل^(٨) :

وَكَانَ فَلَانٌ مَعَ تَحَقُّقِهِ^(٩) يَعْلَمُ اللِّسَانَ ، فِي غَيْرِ وَرْدٍ وَلَا صَدَرٍ مِنَ الْبَيَانِ ،
مُقِلًّا مِنَ الْعِلْمِ^(١٠) ، مُقَلِّدًا ، بَرِيئًا مِنَ الْبَلَاغَةِ ، جَرِيئًا عَلَى الْخَطَابَةِ ، بِإِيرَادِ
مَاحِفِظِهِ مِنْ قَوْلٍ مَنْ قَبْلَهُ ، يُطِيلُ مَعَ ذَلِكَ فَيَخْرُجُ عَنْ الْغَرَضِ الْمُقْصُودِ . وَكَانَ
أَوَّلَ مَا قَامَ بِذَلِكَ الْمَقَامِ اخْتِصَارَ الْقَوْلِ ، لِيَتَخَلَّصَ^(١١) مِنْ مَازِقِ ضَنْكٍ لَمْ يَقُمْهُ قَبْلُ .
ثُمَّ اسْتَمَرَ^(١٢) فَازْدَادَ مَعَ الْمَرَانَةِ عِيًّا وَحُبْسَةً ، وَنَثَرَ الْفَاطِلَةَ وَلَمْ يُنْسَقِهَا ، وَطَمَسَ

(١) ت ، لب : كانت حذرت (٢) و : الملوكة

(٣) و ، ت ، لب : أحض أخوين (٤) و : ناهيك من رجل

(٥) و ، ت ، لب : الأغزال المقتنة (٦) ز في ت ، لب : حاط في بعض اللذة

(٧) و في و (٨) ت ، لب : فصل في بكى

(٩) و : تخلقه (١٠—١٠) و في و

(١١) و ، ت ، لب : ليخلص (١٢) ت ، لب : ثم استمر على ذلك

معانيه ولم يكشفها ، وأقلّ الابتداع ^(١) ، وحرف ^(٢) الحديث ^(٣) ، فشهد مقامه ^(٤) ألاّ حرّ بالواد ولا فارس للأعواد .

فصل :

وكان فلان غليظ الطبع ، خشن الجانب ، وخيم الخيم ، قدما جهم اللقاء ، يعتريه ضجر ^(٥) يحلّ به ، قلما ^(٥) ينجو الخصم منه من بادرة ^(٦) له في ذلك . أخبار شائعة . وكان فيما زاد من علته ^(٧) خطأ الطبيب لإصابة المقدار ^(٨) ، فبان عليه أثر خطأ العلاج .

قال ابن بسّام ^(٩) : وهذا محلول من قول ابن الرّومي .

والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة المقدار

١٠

فصل :

ونعى إلينا فلان ، وكان ^(١٠) جبّاراً مستكبراً ^(١١) ، زاهداً في اصطناع المعروف ، أحد ^(١١) الجبابرة القاسطين ^(١٢) ، المجترئين ^(١٣) على ردّ أحكام الدين ^(١٤) .

(١) هـ ، ت ، لب : الاتزاع (٢) ر : وعرف — هـ : وصدق — ت ، لب : وحذف ، ولعل الصواب ما أثبتناه

(٣) ز في ت ، لب : وأدق الكلام وأمال النظم لما يسرده

(٤) هـ : مكانه (٥ — ٥) هـ في ر

(٦) ر : باردة (٧) هـ : وكان فيما زاد عليه — ت ، لب : في عله

(٨) هـ : المقدور (٩) هـ في ت ، لب — هـ : قلت

(١٠ — ١٠) ت ، لب : وكان فظاً قاسياً ، ظنيماً جشعاً « مستكبراً قليل الرحمة ، نزر

الإسعاف .

(١١) ت ، لب : وكان أحد الجبابرة (١٢) هـ : القاسطين — ت ، لب : القاسطين على الرعية

(١٣) هـ : المجترئين (١٤) ت ، لب : الفريعة

وكانَ مَهْلِكُهُ ، زعموا ، من طَاعُونَةٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ بِيَعُضِ أَطْرَافِهِ ، فَتَجَاسَرَ عَلَى قَطْعِهَا ^(١) بِفَرْطِ جَهَالَتِهِ ^(٢) ، فَمَاتَ مُعَذَّبًا فِي الدُّنْيَا ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ .
فَصَل :

وَمَاتَ فُلَانٌ الْغَنِيُّ ^(٣) الْعَبَّامُ ، حُجَّةُ اللَّهِ فِي الرِّزْقِ وَغَيْظُ الْأَنَامِ ، فَهَضَّ بَرِيئًا مِنْ كُلِّ خَلَّةٍ جَمِيلَةٍ ^(٤) ، إِلَى عِيٍّ غَالِبٍ عَلَيْهِ ^(٥) ؛ وَكَانَ أَخُوهُ مِثْلَهُ فِي الْأَفْنِ وَالْجَهْلِ ^(٦) ، وَكَلَامَا مِمَّنْ اسْتَهْنَيْتَ بِهِ خُطَّةَ الْوَرَارَةِ بِحَمَلِهَا اسْمَهَا الْخَطِيرَ ^(٧) ، مِنْ غَيْرِ تَعَلُّقٍ بِفَضِيلَةٍ فِي حَدِيثٍ وَلَا قَدِيمٍ ، وَلَا مَعْرِفَةٍ بِشَيْءٍ مِنَ التَّعَالِيمِ .
فَصَل ^(٨) :

وَكَانَ فُلَانٌ مِنْ جَمْعِ الْخَطَامِ الدُّنْيَوِيِّ ، وَالْكَفِّ بِالْتَّرْقِيحِ ، مَا حُدِّثَ عَنْهُ فِيهِ بِكُلِّ قَبِيحٍ ، مَعَ انْطِلَاقِ يَدِهِ عَلَى الْأَوْقَافِ ، وَأَكْلِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمُعَافِ . أَخَذَ بِأَوْفَرِ حَظٍّ مِنَ الْفِلَاحَةِ ، وَضَرَبَ بِأَعْلَى سَهْمٍ وَأَفْوَزَ قِدْحٍ فِي التَّجَارَةِ . ثُمَّ تَجَاوَزَهَا ثَانِيًا عِنَانَهُ إِلَى الْاسْتِغْمَالِ وَالْعِمَارَةِ ؛ فَكَمَ زَوْجٍ مِنْ عَوَامِلِ الْبَقَرِ مَسُومَةٍ بِالْاِحْتِرَاقِ لِسَنَامِ الْأَرْضِيِّينَ ، مَحْمُولَةٍ عَلَى هَامِ عُتَاةِ الْجَبَابِرَةِ ، إِلَى عِدَّتِهَا مِنْ بَسَاتِينَ وَدَكَ كَيْنَ ، وَمَنَازِلِ مُغَلَّةٍ ، إِلَى أَعْجَلِ جَزِيَا مِنْهَا ، وَأَسْرَعَ دَوْرَانًا مَعَ السَّاعَاتِ ، مِنْ مَنَاسِجِ الْحَرِيرِ الْمُرْتَقِعَةِ ، يَحْوُكُهَا فِي طُرُزِهِ ،

(١-١) نه في وه — ت ، لب : لفرط (٢) وه ، ت ، لب : الغي

(٣) ز في ت ، لب : تدل على فضيلة (٤) نه في ت ، لب

(٥) ت ، لب : والجهالة (٦) ت ، لب : الخطير الأثير

(٧) هذا الفصل لم يرد في نسختي ه ، وه وفي مواضع منه اضطراب ظاهر

وَيُرْفَعُ لَهُ فِيهَا الشُّوقُ ، فَيَقْبِضُ الرِّيحَ ، وَلَا يَسْتَكِفُّ سُحْتَ الظَّلَمَةِ بِأَفْشِ
الْقُبْحِ كُلِّ الْقُبْحِ . كُلُّ هَذَا مِنْ دَاءِ الْفِتْنَةِ الْمُمِيرة ^(١) ، وَلَا يَزَالُ مَعَ ذَلِكَ
مُضَاعَ الْجَارِ .

فَصْل :

- وُنِعِيَ إِلَيْنَا فَلَانٌ ، وَكَانَ مَعَ ثَرَوَتِهِ مُضَاعَ الْجَارِ ، مَمْطُولٌ ^(٢) ٥
الْغَرِيمَ . « عَانَتِ الصَّدِيقُ » ^(٣) ، مُكْرَهًا إِلَى الْأَنَامِ ، مَعْضُوضًا بِأَنْيَابِ الْمَلَامِ ؛
مُقَدَّمًا فِي صُدُورِ الْأَمْثَالِ بِبَسْطَةِ الرِّزْقِ ، عَلَى ضَيْقِ الْبَاعِ فِي الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ ، وَالِاتِّسَاعِ
فِي الْجَهْلِ ، فَلَا يَحْفَظُ مِنَ الْفِقْهِ مَسْأَلَةً ، وَلَا يُوثِّقُ مِنَ الشَّرُوطِ عَقْدًا ، وَلَا يَتَخَلَّصُ
فِي التَّلَاوَةِ مِنْ سُورَةٍ ، وَلَا يُفِيضُ فِي الْأَدَبِ بِنَيْتِ شِعْرِ ، ثُمَّ يَأْوِي بِجَهْلِهِ إِلَى
حَرَاجِ صَدْرٍ وَغَالِبِ نَزَقٍ ، يُنَازِقُ ^(٤) الذُّبَابَ شِرَاسَةً ؛ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْجَهْلُولَ ١٠
أَنَّهُ قَاضٍ لِمَا نَاسَبَ الذَّاكُونَ ^(٥) ، وَأَوَّلُ مَنْ ظَفَرَ مِنْ قَلَانِسِهِمْ بِطَوِيلَةٍ ،
فَنَبَذَ مِسْحَاةَ الْفِلَاحَةِ ، وَأَعْجَبَتْهُ ^(٦) نَفْسُهُ الْغَثَاءُ نَحَالَ أَنَّهُ إِمَامُ الْأُمَّةِ الْمُسْتَظْهَرُ
عَلَى الْإِمَارَةِ ، فَارْتَقَى فِي الْعَنَى ^(٧) ذُرَى شَاهِقٍ زَلَّتْ مِنْهُ قَدَمُهُ ، فَهَوَى فِي الْحَضِيضِ
أَسْرَعَ مِنْ رُقِيَّتِهِ ^(٨) . غَرَّهُ ابْنُ ^(٩) عَمِّ الشَّهِيرِ الْبَطَالَةِ « السَّفِيهِ الْمَاجِنُ » ، مِنْ

(١) ت : المييدة (٢) وه : ممطل

(٣-٣) وه في وه — ت ، لب : عاتب

(٤) ز في ت ، لب : فلا تلقاه الخصوم أبداً إلا سريع التفضب ، سي : التناول ، ينازق...

(٥) وه : الدكاوكة

(٦) وه : وسولت له نفسه الغثاء أنه إمام ...

(٧) ر ، وه : العنى

(٨) وه : وقبه ، لب : رقه (٩) وه : غرّه عمه — ت ، لب : من عمه

رَجُلٍ حَرِدَ^(١) ، لم يكن قَطُّ من الجِدِّ في صَدَرٍ وَلَا وَرْدٍ ، دَنُّ شَرَابٍ ۖ وَزِيرُ
قِحَابٍ^(٢) ، دَفْتَرُهُ الدُّفُ ۖ وَتَسْبِيحُهُ السُّخْفُ ، وَأَنَسُهُ بَكَاسٍ وَقِيَنَةٌ ، وَدَرَسُهُ
لِنَمِيمَةٍ^(٣) وَغَيْبَةٍ ، وَقَضَمَهُ لُحُومُ الْغَافِلِينَ ۖ وَرَأْيُهُ رَأْيُ الْمُسْتَهْزِئِينَ . إِنَّمَا أَرْبُهُ
بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ ، وَهَمُّهُ غَيْبَتُهُ وَخُرْجُهُ ، وَبِطَانَتُهُ كُلُّ بَطَالٍ مَاجِنٍ وَمَأْفُونٍ^(٤)
عَائِبٍ ۖ يَرْضَوْنَ مِنْهُ بِالْكَسْرَةِ وَالْعِزِّ ، جَرِيئِينَ^(٥) عَلَى تَمْزِيقِ أَهْبٍ^(٦)
الْخَلْقِ ، يَتَجَسَّسُونَ لَهُ عَنْ أَخْبَارِهِمْ ، وَيَهْدُونَ إِلَيْهِ مَعَايِبَهُمْ ، بِهَا يَعْمُرُ مَجْلِسَهُ
وَيَنْفِي سَاعَاتِ كَسَلِهِ ، وَبِنَوَادِرِهَا^(٧) يَهْزُ مِزْهَرَهُ^(٨) وَتُرْسِلُ النِّعَمَ عَلَيْهِ رِيَّاحُ
ضُلُوعِهِ^(٩) . فَيَأْلَأُكَ مِنْ شَقِّ بِلَا فَضْلٍ ، وَإِرْهَامٍ مِنْ غَيْرِ هَظْلٍ ، يَقْطَعُ دَهْرَهُ
بِتَغْمِيرِهِ الْمَوَائِدَ ، وَتَعْطِيلِهِ الْمَسَاجِدَ !

فصل^(٩) : ١٠

وَنُعِجِّي إِلَيْنَا فَلَانَ الدَّغِلِ ، غَاظَلَهُ السَّلَّ ، كَالْأَفْعُوَانِ الصَّلِّ ؛ وَكَانَ أَحَدَ
أَعَاجِبِ الدُّنْيَا فِي الْفُجُورِ وَالْخُبْثِ ، وَالزَّهْوِ وَالْكِبَرِ ، وَالْعُتُوقِ وَالْجُرْأَةِ .
وَانْكَدَرَ إِثْرَ مَهْلِكِ الْجَبَّارِينَ الْمَذْكُورِينَ ؛ وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الظَّلَمَةِ الْمُتَرَقِّينَ^(١٠)
مِنَ السَّمْسَرَةِ صُدُورَ الْفِتْنَةِ ، يُجُوبُ الْبِلَادَ ابْتِغَاءَ الْمَعِيشَةِ ، وَلَا يُحَاشِي التَّرْقِيحَ

(١) هـ ، ت ، لب : د د (٢) هـ ، ت ، لب : و ثن صحاب

(٣) هـ : نعيمة (٤) هـ : مأبون

(٥) هـ ، ت ، لب : جرى (٦) هـ في هـ

(٧) هـ في هـ (٨—٨) عبارة هـ : ويرسل عليها رياح ضلوعه —

وعبارة ت ، لب : ويرسل للتغير عليه ربح ضلوعه

(٩) لم يرد هذا الفصل إلا في نسخت ت ، لب (١٠) في الأصلين : المسرفين

عن ارتكاب كل قبيح . ولم يكن إلا « كلاً » حتى فتحت له أبواب الرزق على عاميته وأفنه وأميته . وكان إذا كتب مضطراً يضحك من تأمله . له في ذلك نوادر محفوظة أُنسى بها من حجب الله تعالى في الرزق المقسوم ؛ لو كانت الأرزاق مقسومة على الحجب لم يرزق . وهذا من قول حبيب^(١) .

فصل :

وفلان أحد من انسدل عليه الستر في هذه الفتنة المبيرة^(٢) ، وكان على نباهة اسمه عاطلاً من الفضائل التعليمية^(٣) ، إلا أنه كان ذرب اللسان ، كثير النوادر ، ذا جواب حاضر ، وكان يلقب بالحنفي ، فعاتبه يوماً فتى^(٤) من قریش المروانيين بقرطبة فقال له : ما عندك من خبر السماء ؟ فقال : انقراض سلطان بني مروان ! فأفحمه .

فصل :

وصدر فلان مع أصحابه الرُّسل . وقد امتلأت حقائبه مما قمشه من السُّحت^(٥) بضروب الكدية والشَّخذ ، وبخل حتى بالزاد المأدوم في الطريق^(٦) . وضمن به على الرقيق . وأشرح عليه الجوالقات^(٧) تأميراً في توصيله للبيوت في حمارة^(٨)

(١) راجع ديوان أبي تمام صفحة ٢٥٤ ، والبيت :

ولو كانت الأقسام تجري على الحجب هلكن إذاً من جهلن البهائم

(٢) ر : المبيدة (٣) ت ، لب : المتعاطية — وه : التعليمية (٤) وه : رجل

(٥) ر : السفن (٦) وه في ت ، لب :

(٧) وه : الجوالقات (٨) وه : حرارة

الْقَيْظُ حَتَّى زَنِخَ^(١) ، إِلَى زِيَادَةِ مَسَاوٍ فِيهِ غَضَّتْ مِمَّنْ أَرْسَلَهُ وَصَرَفَهُ .
 قَالَ ابْنُ حَيَّانٍ : وَلَوْ لَا أَنْ أَكُونَ لَهُمْ مُغْتَابًا ، وَلِرُسُلٍ نَفَذُوا عَنِ الْبَيْضَةِ
 ثَلَاثًا ، لَشَرَحْتُ مِنْ مَسَاوِي أَخْبَارِ هَذَا الْوَفْدِ أَكْثَرَ يَمًّا وَصَفْتُهُ .
 قُلْتُ أَنَا ، صَاحِبَ الْكِتَابِ ، حَاشَاكَ أَبَا مَرْوَانَ مِنَ الثَّلْبِ وَالْإِغْتِيَابِ !
 فَصَل :

وَفُلَانٌ سَادَجُ الْكِتَابَةِ ، بَيْنُ الْجَهْلِ وَالتَّخَلُّفِ ، طَلَقُ الْإِسْكَانِ بِالْخَنَاءِ
 وَالْهَجْرِ ، أَحَدُ الْأَنْسَالِ مِنَ أُولَى النَّبَاهَةِ^(٢) ، مَثْلُوجُ^(٣) الْجَنَانِ ، فَذُمُّ الْخِلْقَةِ .
 طَوِيلُ الْحَيَّةِ^(٤) مُتَهَانِتٌ ، لَمْ يُرْهِفِ الْأَدَبُ طِبَاعَهُ ،^(٥) وَلَا اسْتَخْرَجَ مِنْهُ
 كَلِمَةً حَكِيمَةً .

فَصَل

١٠

وَمِنْ غَرَائِبِ هَذَا الدَّهْرِ الْفُفْلُ فِي اعْتِبَارِ تَحْوِيلِ^(٦) الْعَالَمِ ، وَالتَّنْوِيهِ
 بِمُضَاعِي^(٧) الْأَسَافِلِ ، أَنْ هَلَكْتَ^(٨) أَمْ عَجَّوزَ لَيْبَنِي كَوْتَرُ فَاهْتَبَلِ^(٩) بَنُوها

(١) ز : زخ — وه : رخ — ز ف ت ، لب : فكان أحرص الوفد —
 زعموا — على قش ذلك السحت « وأغوصهم على استخراجهم ، وأشرهم إلى التعريض بطلبه
 فلان منهم الولي اللؤم (؟) ، العاطل من كل حيلة جبيلة تدل على فضيلة ، فإنه حملت عنه في ذلك
 أخبار إلى زيادة ... (٢) ز ف ت ، لب : عظيم البطالة والباطل « ومن كل حيلة
 جبيلة عاطل « من رجل عيب اللسان « مثلوج الجنان ... (٣) ، ت ، لب : مثلوج
 (٤ — ٥) وه في وه — ت ، لب : رحمة

(٥) وه ، ت ، لب : تحول (٦) وه : بيني الأسافل — ت ، لب : بمنأى
 الأسافل (٧) ر : سلكت (٨) عبارة ت ، لب هي : فاهتبل بنوها في السبي
 لها ، وإنذار طبقات الناس لمهود جنازتها بأنفسهم ، والمضى على أعظم القرية بنعيها « فسارعت
 طبقاتهم لمهود جنازتها ...

في المشى^(١) على أعظم القرية إلى شهود جنازتها فجىء بسريها ، وابن جهور
الوزير يُقدّم حضارها^(٢) ، قد ائتمنى به كل ذي منزلة رفيعة ، ووقف على
جذعها إلى أن ووريت^(٣) ، ثم ضرب على قبرها قبة عالية تمهيداً^(٤) للمبيت
عليها طول أسبوعها^(٥) حسبما كانت الجبارة تفعله في الأعصر الخالية على
قبور الملوك الأعزة ؛ فقضى^(٦) العجب بمشاهدة هذه النادرة في امرأة من
نساء^(٧) حثالة العامة ، مرددة في الخمول ، لم يكن قط بينها وبين النباهة من
كلا طرفيها نسبة^(٨) ، ولا ظفرت ببعلٍ منير ولا ذرية نبية ؛ عهدى ببعلها
الشيخ مطرف ناجل هؤلاء الصبيان^(٩) من بينها قرناً^(١٠) حزنة أحد
سماسرة^(١١) البر بقرطبة يروح^(١٢) بها يومه الأطول كمش الإزار ، أعظم
أفراحه ظفروه بقوت يومه . وكان مع ذلك كثيراً ما ينتاب الخانات على قلبه
وقماء حاله فيروح^(١٣) نشوان العشيات يمسح الأرض بأسماله . وكان له تقدم
في ضرب القرقرة ، مُحكما لأفانين إيقاعها . فسبحان الكبير المتعال ، ناقل
الأحوال ، مُبدل العسر يسرا !

(١) و : بالمشى (٢) ز في ت ، لب : ماشياً على قدميه

(٣) ز في ت ، لب : وانقض جمعها (٤) و في و

(٥) ز في ت ، لب : ومدة زيارة قبرها (٦) و ، ت ، لب : فبق

(٧) و في ت ، لب (٨) ز في ت ، لب : في الدولة القريبة ولا البعيدة

(٩) و : الفتيان — ت ، لب : الجيل (١٠) و : قد تابنا أحد ...

(١١) ت ، لب : السماسرة (١٢) و : يدوخها — ت ، لب : يدوحها

(١٣) و ، ت ، لب : فيروح العشيات نشوان

فَصْلٌ (١) :

وتوفى فلان وما علم بموته نحوه ، وأخفى الدهر على أهل بيته ؛ على أنه كان خالفةً منهم تطبّعاً ، عاطلاً من كل خلة تدل على فضيلة ، وله أولاد سُخِفَ قاسموه الجهل شقّ الأبلّة .

فصل :

وتوفى فلان^(٢) فسيء عوام الناس لموته^(٣) إغفاف كان يبديه . وبشرٍ يشيعه ويستعمله . وينطوى من^(٤) أمثاله لأهل الدنيا على ضده ؛ إذ كان زاهداً في إسداء المعروف^(٥) ، شريهاً إلى الحطام الدنيوى ، عطلاً من جميع التعاليم المحظية ، لا يجيل في شئ منها قدحاً . ولا يقيم لسانه لحناً ؛ وكان قد عضه صرف الزمان^(٦) فأقعده إلى الأرض ، واضطره إلى التوكل على مسحاته . مرقحاً^(٧) معيشته بعمارة بستانه ، إلى أن عطف الدهر عليه بصحبة متولى^(٨) الإمارة المنتزين على الأفطار ؛ فحاض معهم ، وشاطر السلطان خطة المواريث ،

(١) لم يرد هذا الفصل إلا في نسخة ت ، لب

(٢) ت ، لب : وتوفى الوزير الحبيب ، أحد أعظم القرية قرطبة فسيء ...

(٣) و ، ت ، لب : يهلكه (٤) و ، ت ، لب : لأمثاله من أهل ...

(٥) ز في ت ، لب : راغباً عن اتخاذ الصنعة ، تاركاً للمواساة . شريهاً إلى حطام الدنيا

(٦) ت ، لب : صرف الزمان المتقلب بأهل بلده

(٧) و ، ت ، لب : مرقحاً

(٨) و : بصحبة متر من الأمراء — وعبارة ت ، لب : بصحبة متوفى السلاطين

المنتزين على الأفطار وسط الفتنة ، فحاض معهم وصار أخص من مارسها ، فشاطر السلطان ...

وَنَزَهَ الْعَمَلُ عَلَى (١) ذَلِكَ فَسَلَخَهَا نَيْفًا عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً ، مَرَى فِيهَا دَرَّهَا
مِنْ غَيْرِ تَعَقُّبٍ وَلَا تَوْقُعٍ عَزَلَةً ، إِلَى أَنْ تَوَلَّتْ ذَلِكَ مِنْهُ الْمَنِيَّةُ ، وَقَدْ اقْتَعَدَ
الثَّرَى مَطِيَّةً .

فصل (٢) :

- وتوفى الفقيه النبیه، السري المغفل، المجتمع على كمال خصاله، المتفق على كمال خلاله بقرطبة أبو القاسم سوار بن أحمد . ختام رجال المملكة بها . وسوار معصمها لدى أيام الزينة، وكان حليماً وقوراً ركيناً (٢) . مطلق البشر، حسن المشاركة، متودداً إلى الناس، وجيهاً إلى السلطان على انزوائه عنه، وقد أرادته أمراء التصرف فاستغفام خلقه واختياره . وكسوه أثواب الوزارة فنضاهها، ولم يعج عليها ولا ارتضاها، حتى سقط عنه اسمها . وكان على خصاله الجمة من أخف ١٠ الناس لاخبار بلده قرطبة وسير ملوكها المزوانية . وأخصام لنواديرهم وآثارهم وعيون أخبارهم، بفصاحة لسان، وخلاصة منطق . وحسن إيراد . يصور إليه الأئمة .

فصل :

- ١٥ ... مِنْ رَجُلٍ غَبَرْدَهْرًا (٣)، عَطَلًا لَا يَنْظُرُ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّعَالِيمِ (٤)، إِلَى أَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ دَرَسَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ، فَرَكَّضَ فِي حَلْبَةِ الْفُقَهَاءِ الْمَشَاوِرِينَ، وَقَدَّمَ لَعْلُو السَّنَ لَا لَعْلُو الدَّرَجَةِ، وَكَانَ فِي ذَاتِهِ كَرِيهَةُ الطَّلَعَةِ (٥)، بَازَّ الْهَيْئَةِ، دَرَنَ

(٢) لم يرد هذا الفصل إلا في نسختي ت ، لب

(٤) ت ، لب : دهره

(٦) و : النظر

(١) في و

(٣) ت : زكينا

(٥) ت ، لب : العلوم

الكُسوة ، هَزِيلَ الدَّابَّةِ^(١) ، مَوْصُوفًا بِالنَّهَمِ ، عَلَى ضَوْؤِ لَوْنِ جِسْمِهِ ، وَانْتِهَادِ قُوَّتِهِ ۖ
وَمُلَازِمَةِ الدَّرَبِ^(٢) لِمَعْدَتِهِ^(٣) .

فَصْل ١

وَفُلَانٌ^(٤) مَعْدِنٌ مِّنْ مَّعَادِنِ الْجَهْلِ وَالْأَفْنِ وَالْعِبَاوَةِ ۖ وَحُجَّةُ اللَّهِ^(٥) فِي
الرِّزْقِ ۖ وَاسْتَظْهَرَ لِمَا^(٦) رَأَى النَّاسَ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ وَطْأَةِ الْمَجَاعَةِ^(٧) بِمَا شَاءَ مِنْ
إِدْخَارِ الْقُوتِ وَالطَّعَامِ^(٨) ۖ فَاغْتَدَى عَلَى فَرْطِ الزَّلْزَلَةِ^(٩) وَالْمَجَاعَةِ أَرْسَى
مِنْ شَهْلَانٍ وَشِمَامٍ ۖ وَوَلَّى الْمَظَالِمَ صَدَرَ اكْتِهَالِهِ أَيَّامَ التَّخْلِيْطِ الْوَاقِعِ
بِمُنْبَعَثِ الْفِتْنَةِ :

وَمِنَ الْمَظَالِمِ أَنْ وَلِيَهُ ت عَلَى الْمَظَالِمِ يَا فَرَارَهُ !

(١) ز في ت ، لب : يمتحن نفسه في خدمة أهله مما ينزعه عنه كثير من العامة ۖ
تقتحمه عيون الناس ، ويحبسون نوادره ۖ وكان موصوفاً

(٢) في ر ، هـ : « الدرب » — وفي ت ، لب : « الضرب » ولعل الصواب ما أثبتناه

(٣) ز في ت ، لب : وطلبه لملاجها

(٤) ت ، لب : من رجل معدن ...

(٥) ت ، لب : وحجة من حجج الله تعالى في الرزق والخطوة

(٦) هـ ، ت ، لب : بما (٧) ر : المجاعة

(٨ — ٨) ت ، لب : وفور الزاد ۖ وكثرة الطعام ۖ ونفاصة البر ۖ وسعة الثروة فاغتنى ...

(٩) ت ، لب : في المجاعة بكثرة القوت والطعام أرسى من شهلان وثير بما يفوت

فصل :

وَمَضَى فَلَانَ فَأُذِرَجَ^(١) فِي جَنَنِهِ غَيْرَ فَقِيدٍ^(٢) ، لَمْ تَبْكْ عَلَيْهِ غَيْرُ نَفْسِهِ ، إِذْ
لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِ نَصِيبٌ فِي خَيْرِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ جَهْمَ الْمُحَيَّا ، بِاسِرِّ اللَّقَاءِ ، مُشْنَأً^(٣)
إِلَى الْوَرَى ، شَكِسَ الْجِبِلَّةَ ، كَرَّ الْخِلْقَةَ^(٤) .

فصل :

وَكَانَ حُجَّةَ اللَّهِ فِي الْقَسَمِ ، وَحِجَّتَهُ لِدَوَى الْفَهْمِ ، إِذْ كَانَ مِنَ الْعَامِيَةِ^(٥)
وَحَوْلِ الْأَصْلِ ، وَنَذَالَةِ الْفَرْعِ ، وَلُؤْمِ الْأَطْرَافِ ، وَدِخْلَةِ الْأَعْرَاقِ ، عَلَى ثَبَجٍ
عَظِيمٍ ، وَبِمَكَانٍ مُقْعِدٍ مُقِيمٍ ، وَعَفْوُ اللَّهِ لَا يَبْعُدُ عَمَّنْ جَاءَهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

فصل :

وَانْكَدَرَ بِإِثْرِ^(٦) وَفَاتِهِ ابْنُ بَاشَةَ^(٧) هَذَا أُمُّ الْقُصُورِ ، وَمُبَوَّرُ الْمَغْمُورِ ؛
وَكَانَ مِنَ التَّبَحُّجِ فِي اللَّوْثِ ، وَالْإِلْتِحَافِ لِلشُّوْمِ^(٨) ، مَعَ دَنَاءَةِ الْأَصْلِ

(١) ت ، لب : واندرج (٢) ر : فقير

(٣) في ر : تقرأ كأنها : « مسيرا » ، وفي ت ، لب : « مشنا » ، وفي هـ : « خشنا »

(٤) ز في هـ ، ت ، لب : سريع الضجر « شئ الطبيعة » متغفم المنطق ، لا يكاد

يبين الكلام « لا طريق للخير من وجه عليه ، ولا يتأدى بسبب إليه — (ز في ت ، لب
فقط) : وكان مع ذلك مصاحبا للظلمة من أمراء الفتنة ، خواصا في دولهم المدلومة « معينا على
مظالمهم الموقفة « قد رزق الحظ في شأنه « وبعد الصيت في جودة حوكه لأعماله ، فاكتسب
وثرى من المال « محوطا ببنيع الجاه ، مغلولا بوثق من الشح « لا يتسلط عليه حق ولا باطل «
ولا يمتريه (في الأصل : يمتنونه) مجتد ولا سائل « ولا حظي أحد منه بظائل .

(٥) ت ، لب : من الأمية والعامية (٦) هـ ، ت ، لب : إثر وفاته

(٧) ز في ت ، لب : المعروف بالأصغر (٨) هـ : بالشؤم

والفرع . وَتَنَسَّكَ السَّدَادُ . وَتَقِيلُ الْفَسَادُ ، عَلَى ثَبَجٍ عَظِيمٍ . بِيَدِهِ بَادَتْ
قُصُورُ بَنِي أُمَيَّةَ الرَّفِيعَةِ ، وَدَرَسَتْ أَمَارُهُمُ الْبَدِيعَةِ . وَحُطَّتْ أَعْلَامُهُمُ الْمَنِيعَةِ .
قَدَمَهُ ^(١) ابْنُ السَّقَاءِ مَدْبَرُ قُرْطَبَةَ ^(٢) لَجَمَعَ آلَاتٍ مَاتَهَدَمَ مِنَ الْقُصُورِ الْمُعْطَلَةِ ؛
فَاغْتَدَى عَلَيْهَا أَعْظَمَ آفَةٍ . يَبِيعُ أَشْيَاءَ جَلِيلَةَ الْقَدْرِ ، رَفِيعَةَ الْقِيَمَةِ فِي ^(٣)
طَرِيقِ الْأَمَانَةِ . وَلَمْ يَكُ مَأْمُونًا عَلَى بَاقَةٍ ^(٤) يَقُولُ ؛ فَعَاثَ فِيهَا عِيَاثُ ^(٥) النَّارِ
فِي يَبِيسَ ^(٦) الْعَرْفَجِ . وَبَاعَ آلَاتِهَا مِنْ رَفِيعِ الْمَرْمَرِ ، وَمُثَمِّنِ الْعَمَدِ . وَنُضَارِ
الْخَشَبِ ، وَخَالِصِ الثُّجَاسِ ، وَصَافِي الْحَدِيدِ وَالرَّصَاصِ ، بَيْعَ الْإِدْبَارِ . وَلَمْ
يَزَلْ ^(٧) يُنْفِقُ مَا غَلَّ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ فِي أَبْوَابِ الْبَاطِلِ . مُحَلَّتٌ عَنْهُ فِي
التَّبْذِيرِ ^(٨) نَوَادِرُ تَشْهَدُ أَنَّ الدَّارَ لَيْسَتْ بِدَارٍ مُثُوبَةٍ وَلَا جَزَاءٍ . وَكَانَتْ ^(٩)
رُسُلُ الْأَمْلَاقِ تَأْتِيهِ لِشِرَاءِ تِلْكَ الْآلَاتِ بِأَعْلَى الْأَمْنَانِ ^(١٠) قَبِيزُهَا هُوَ فِي أَنْوَاعِ

(١) ت ، لب : وصار من البديع أن قدمه

(٢) ز في ت ، لب : وقت النظر في جميع آلات

(٣) ت ، لب : على

(٤) ر : فاقة نعل

(٥) و : عيث

(٦) و : ييس

(٧) و ، ت ، لب : ولا يزال

(٨) : التذير — ت ، لب : التدير — و : التبيد

(٩) ت ، لب : وكان رسل أملاك الأندلس تأتيه كثيرا في ابتغاء ما لديه من تلك

الآلات بالأثمان النفيسة فيبيدوها

الضَلَالَاتُ ^(١) . وَأَغْيِظُ مِنْ ذَلِكَ لِأُولَى الْأَلْبَابِ تَسْلِيْطُهُ ^(٢) عَلَى هَدْمِ قُصُور
بَنَى أُمِّيَّةَ الْمُبْتَنَاءِ عَلَى أَسَاسِ الْعُلَا ، الْمُسَخَّرِ فِيهَا أَصْنَافُ الْوَرَى ، الْمُسَكِّمَةِ ^(٣)
الِاسْتِوَاءِ فِي حَقْبٍ مِنَ السَّنِينَ تَتَرَى ، حَتَّى اغْتَدَتْ ^(٤) بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ كَارِمَ ^(٥)
ذَاتِ الْعِمَادِ لَا يُخْشَى عَلَى أَرْكَانِهَا انْهِدَامٌ ، فَلَمَّا أَذِنَ تَعَالَى بِحَطِّ أَعْلَامِهَا ۖ وَطَمَسِ
آثَارِهَا ، أَتَانَحَ لَهَا هَذَا الْأَنْبِيَانِ الضَّعِيفِ الْقَوَى ، الْقَصِيرِ الْمَدَى ، كَاتِحَةِ الْجُرَذِ •
الْمُهَيَّنِ لِسَدِّ مَا رَبَّ ذِي الْأَنْبِيَاءِ الْبَدِيعَةِ ، فَدَكَّدَ كَهَا حَتَّى عَادَتْ كَوْمَ رَمَادٍ
وَمَصَائِدِ ضَبَابٍ ۖ وَلَمْ يُقْلَعْ عَنْهَا حَتَّى ^(٦) أَوْقَعَ النَّارَ عَلَى صُخُورِهَا ۖ وَصَيَّرَهَا
كِلْسًا لِكُلِّ مُرْتَادٍ . فَيَا لَهَا مَوْعِظَةً ^(٧) لِمَنْ بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ مِمَّنْ لَحِقَ هَذِهِ
الْبُقْعَةُ السَّعِيدَةُ بِدَوْلَةِ أُمْلَا كِهَا ؛ فَتَبَارَكَ مُنْزِلُ الْآيَاتِ ^(٨) ، وَمُصَرِّفُ الدُّوَلَاتِ
وَمُبَدِّلُ الْبُقْعَاتِ !

١٠

قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : إِلَى هَذَا الْمَكَانِ انْتَهَى مَا أَخْرَجْتُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ
مِنْ كَلَامِ ابْنِ حَيَّانٍ . وَكَانَ عِنْدَهُمْ بِقَرْطَبَةَ خَاتِمَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجُمْهُورُ الْمُحْسِنِينَ ۖ
عَلَى مَا تَرَاهُ رَكَبَ مِنْ إِيَّاهُمْ ، وَاحْتَقَبَ مِنْ ظُلْمٍ ۖ وَتَنَاوَلَ مِنْ عِرْضٍ ، وَأَطْبَقَ

(١) ز في ت ، لب : إلى أن استنفذها على طول المدة ، ثم فقر آخر مدته ، واختل
واعتل ، ووافته منيته وقد اغتدى مثلاً لمن عرفه وسمع به ؛ وأغيط من ذلك

(٢) ت ، لب ۖ وأغيط من ذلك لدوى الألباب تسليط الله تعالى له على هدم ...

(٣) و : المسكاملة في الاستواء (٤) و : غدت

(٥) ر : بإرم — ت ، لب : كذات العباد

(٦) ت ، لب : حتى قلع ضخم صخورها وأوقد النار عليها ...

(٧) و : من عظة (٨) ز في ت ، لب : ومجمل النقطات

مِنْ سَمَاءٍ عَلَى أَرْضٍ ، عُجْبًا بِاِفْتِنَانِهِ ، وَتَعْجِيبًا مِنْ بَيَانِهِ ، وَتَنْبِيهًا ^(١) عَلَى
مَشْهُورِ إِحْسَانِهِ ^(٢) . وَعَجَائِبُهُ أَكْثَرُ إِعْلَامًا ، وَأَشْهَرُ أَيَّامًا . وَأَكْثَرُ مَا وَجَدْتُ ^(٣)
مِنْ كَلَامِ هَذَا الشَّيْخِ الْبَاقِعَةِ ، فِي هَذَا الْبَابِ ، أَغْنَى الدَّمَّ ، أَحْفَى شَبَابَةَ
قَلَمِهِ ، وَخَلَّدَ ^(٤) أَوَائِدَ كَلِمِهِ . وَلَوْ وَجَدْتُ لَهُ فِي سِوَاهِ شَيْئًا أَسْتَشْهَدُ بِهِ عَلَى
فَضْلِهِ ، وَأَجْعَلُهُ ذَرِيعَةً إِلَى الثَّنَاءِ بِنُفْلِهِ . لَكُنْتُ لَهُ أَجْمَعُ . وَإِلَيْهِ أَسْرَعُ .
وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ سَلِمَ عَلَى ^(٥) لِسَانِهِ أَمِيرُ بَلَدِهِ أَكْبَرُ أَهْلِ زَمَانِهِ ،
أَبُو الْحَزْمِ ابْنُ جَهْوَرٍ . وَابْنُهُ بَعْدَهُ . فَجَرَى لَهَا بِأَيْمَنِ طَائِرٍ ^(٦) . وَلَمْ يَغْرِضْ
لِذِكْرِهَا ^(٧) إِلَّا بِخَيْرٍ ، وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ ذَلِكَ مَا دَلَّ عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَوَفَى بِشَرْطِ
الدِّيَّانِ .

١٠ فُصُولٌ مِنْ كَلَامِهِ فِي إِيجَازِ الْخَبَرِ عَنْ أَوْلِيَّةِ دَوْلَةِ بَنِي جَهْوَرٍ ^(٨) :

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَفِي مُنْتَصَفِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ ^(٩)
بَعْدَ خَلْعِ هِشَامٍ ^(١٠) الْمُعْتَدِّ وَمَقْتَلِ وَزِيرِهِ الْخَائِكَ ^(١١) ، اجْتَمَعَ الْمَلَأُ مِنْ أَهْلِ

(١) ت ، لب : وَتَنْبِيهًا عَلَى مَكَانِهِ مِنْ عُلُوِّ شَأْنِهِ وَمَشْهُورِ إِحْسَانِهِ

(٢) ه ، ت ، لب : وَجَدْتُهُ (٣) ت ، لب : وَحَلَّتْ

(٤) ه : مِنْ (٥) ر ، ت ، لب : أَكْثَرُ زَمَانِهِ

(٦ — ٦) ت ، لب : وَلَمْ يَذْكُرْهَا

(٧) ه : ابْنُ جَهْوَرٍ — ت ، لب : ابْنُ أَبِي جَهْوَرٍ

(٨) ت ، لب : اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةً

(٩) ه فِي ت ، لب

(١٠) ه ، ت ، لب : حَكَمَ الْخَائِكَ

قُرْطُبَةَ عَلَى تَقْدِيمِهِمْ^(١) لِأَبِي الْحَزْمِ بْنِ جَهْوَرٍ « وَعَدَدُوا مِنْ خِصَالِهِ^(٢) مَا لَمْ يَخْتَلَفُوا فِيهِ ، فَأَعْطَوْا^(٣) مِنْهُ قَوْسَ السِّيَاسَةِ بَارِيهَا ، وَوَلَّوْا مِنَ الْجَمَاعَةِ أَمِينَهَا^(٤) ، فَاخْتَرَعَ لَهُمْ لِأَوَّلِ وَقْتِهِ نَوْعًا مِنَ التَّشْدِيرِ حَمَلَهُمْ عَلَيْهِ فَاقْتَرَنَ صَلَاحُهُمْ بِهِ^(٥) ، وَأَجَادَ السِّيَاسَةَ فَانْسَدَلَ بِهِ السِّتْرُ عَلَى أَهْلِ قُرْطُبَةَ مُدَّتَهُ ، وَحَصَلَ كُلُّ مَا يَرْتَفِعُ مِنَ الْبَلَدِ^(٦) بَعْدَ إِعْطَاءِ مُقَاتِلَتِهِ^(٧) « وَصَيَّرَ ذَلِكَ بِأَيْدِي ثِقَاةٍ مِنْ^(٨) الْخِدْمَةِ ، مُشَارِفًا لَهُمْ بِضَبْطِهِ ، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ تَرَكَهُ بِأَيْدِيهِمْ مُتَقَفًا مَشْهُودًا عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَبْعَنَ وَجْهَهُ^(٩) تَصَرُّفَهُ ، لَا يَلْتَبِسُ بِشَيْءٍ مِنْهُ^(١٠) ، وَمَتَى سُئِلَ قَالَ : « لَيْسَ لِي عَطَا وَلَا مَنَعٌ ، هُوَ لِلْجَمَاعَةِ وَأَنَا أَمِينُهُمْ » ؛ وَإِذَا رَآهُ^(١١) أَمْرٌ ، أَوْ عَزَمَ عَلَى

(١) هـ : تقليد أمرم — ت ، لب : تقليد أمرم وتأمرم للشيخ أبي الحزم ...

(٢ — ٢) عبارة ت ، لب : ما لم يختلف فيه أحد منهم وأبى من ذلك فألحوا عليه حتى أسعفهم شارطا اشتراك الشيخين : محمد بن عباس وعبد العزيز بن حسن ابني عمه خاصة من بين الجماعة « فرأوا مشورتها دون تأمير « فرضى الناس بذلك « وخلصوا من دونهم من الرؤساء وحدوا له (٢) عقد الرياسة ، فأعطوا ...

(٣) ت ، لب : أمينها المأمون عليها

(٤) ز في ت ، لب : واقتصر من الجند على أعيانهم « وسدَّ باب البرابر جملة إلا من قد صار في البلد من بني يفرن الموثوق بهم « وأقصى من سواهم من فرق البرابرة من غير الجاش ، فنال منهم الرضا ، وملكهم عما قليل ، وأصبح في ذلك عجباً « وأجاد السياسة ...

(٥) ز في ت ، لب : في جميع أوقاته

(٦) ز في ت ، لب : فارسهم وراجلهم

(٧) ت ، لب : من أهل الخدمة

(٨) ت ، لب : وجهه يصرفه فيه

(٩) ز في ت ، لب : ولا يدخل داره

(١٠) ر : رثى به

تَدِير ، أَحْضَرَهُمْ ^(١) وَشَاوَرَهُمْ ؛ وَإِذَا خُوطِبَ بِكِتَابٍ لَا يَنْظُرُ فِيهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
بِاسْمِ الْوَزَرَاءِ . فَأَعْطَى السُّلْطَانُ قِسْطَهُ مِنَ النَّظَرِ ، وَلَمْ يَحُلْ مَعَ ذَلِكَ ^(٢) مِنْ
تَرْفِيجِهِ ^(٣) لِمَعِيشَتِهِ « حَتَّى تَضَاعَفَ ثَرَاؤُهُ ؛ وَصَارَ لَا تَقَعُ عَيْنُهُ عَلَى أَغْنَى مِنْهُ .
حَاطَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالْبُخْلِ الشَّدِيدِ وَالْمَنْعِ الْخَالِصِ ، الَّذِينَ لَوْلَاهُمَا وَجَدَ عَائِبُهُ
فِيهِ طَعْنًا ، وَلَكُمْلَ لَوْ أَنَّ بَشَرًا يَكْمُلُ . وَكَانَ مَعَ بَرَاعَتِهِ ، وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ ،
وَتَشْيِيدِهِ لِقَدِيمِهِ بِحَدِيثِهِ « مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَوَاضُعًا وَعِفَّةً ^(٤) » وَأَشْبَهُهُمْ ظَاهِرًا
بِبَاطِنِ ، وَأَوَّلًا بِآخِرِ ، لَمْ يَخْتَلِفْ لَهُ ^(٥) حَالٌ مِنَ الْفِتَاءِ ^(٦) إِلَى الْكُهُولَةِ ^(٧) .
وَاسْتَمَرَ فِي تَدِيرِ قُرْطُبَةَ فَأَنْجَحَ سَعْيُهُ بِصَلَاحِهَا ، وَلَمْ شَعْنُهَا فِي الْمُدَّةِ الْقَرِيبَةِ
وَأَثَمَرَ الثَّمَرَةَ الزَّكِيَّةَ ، وَدَبَّ دَيْبُ الشَّفَاءِ فِي السَّقَامِ ، فَنَعَشَ مِنْهَا الرُّفَاتَ ،
وَأَحْلَفَهَا رِدَاءَ الْأَمْنِ ^(٨) ، وَمَنَعَ عَنْهَا مَنْ كَانَ يَطْلُبُهَا مِنْ أُمَرَاءِ الْبَرَابَرَةِ ^(٩) .

(١) ت ، لب : أَحْضَرَهُمْ فَيَسْرِعُونَ إِلَيْهِ « فَإِذَا عَلِمُوا مَرَادَهُ فَوَضُوا إِلَيْهِ بِأَمْرِهِمْ ، وَإِذَا

خُوطِبَ ...

(٢) ت ، لب : مَعَ ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ لِنَفْسِهِ وَتَرْفِيعِهِ (ت : تَرْفِيعِهِ)

(٣) وه : تَرْفِيعِهِ

(٤) ز في ت ، لب : وَصَلَاحًا « وَأَقْنَامٌ ثَوْبًا

(٥) وه ، ت ، لب : به (٦) وه : الْفِتْوَى

(٧) ز في ت ، لب : وَلَمْ يُعَثِّرْ لَهُ قَطْعًا عَلَى حَالٍ يَدُلُّ عَلَى رِيَّةٍ ؛ جَلِيسَ كِتَابٍ مِنْذُ

دَرَجٍ ، وَنَجَى نَظْرًا مِنْذُ فَهَمٍ ، مُشَاهِدًا لِلْجَمَاعَةِ فِي مَسْجِدِهِ ، خَلِيفَةً الْأُمَمَةِ مَتَى تَخَلَّفُوا عَنْهُ ،
حَافِظًا لِكِتَابِ اللَّهِ قَائِمًا بِهِ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ ، مُتَقِنًا لِلتَّلَاوَةِ ، مُتَوَاضِعًا فِي رَفْعَتِهِ « مُشَارِكًا لِأَهْلِ

بَلَدِهِ ، يَزُورُ مَرْضَاهُمْ وَيَشَاهِدُ جَنَائِزَهُمْ

وَفِي فَصْلِ : وَاسْتَمَرَ ابْنُ جَهْوَرٍ ...

(٨) ت ، لب : الطَّمَأْنِينَةُ

(٩) وه ، لب : الْبَرَابِرُ التَّكْنِفِينَ لَهَا ، التَّوَزِعِينَ

الْمُتَوَزِّعِينَ أَسْلَابَهَا ^(١) ، بِخَفْضِ الْجَنَاحِ وَالرَّفْقِ فِي الْمَعَامَلَةِ ، حَتَّى حَصَلَ عَلَى سَلَمِهِمْ ۖ وَاسْتِدْرَارِ مَرَافِقِ بِلَادِهِمْ . وَدَرَأُ الْقَاسِطِينَ عَلَيْهِ ^(٢) مِنْ مُلُوكِ الْفِتْنَةِ ۖ حَتَّى حَفَظُوا حَضْرَتَهُ وَأَوْجَبُوا لَهَا حُرْمَةً ، بِمُكَابَدَتِهِ ^(٣) الشَّدَائِدَ حَتَّى أَلَانَهَا بِضُرُوبِ احْتِيَالِهِ ؛ فَرَخَتْ ^(٤) الْأَسْعَارُ ، وَصَاحَ الرَّخَاءُ بِالنَّاسِ هَلُمُّوا ^(٥) ، فَلَبَّوْهُ مِنْ كُلِّ صُقْعٍ ، فَظَهَرَ تَزْيِيدُ ^(٦) النَّاسِ بِقُرْطَبَةٍ مِنْ أَوَّلِ تَذْيِيرِهِ ^(٧) ، وَغَلَّتِ الدُّورُ ، وَحَرَّ كَوَا الْأَسْوَاقِ ، فَعَجِبَ ذُو التَّحْصِيلِ الَّذِي أَرَى اللَّهَ فِي صَلَاحِ ^(٨) النَّاسِ مِنَ الْقُوَّةِ وَلَمَّا تَعْتَدِلْ ^(٩) حَالُ ، أَوْ يَهْلِكْ عَدُوٌّ ، أَوْ تَقْوَ جَبَايَا ، وَأَمُّ اللَّهِ تَعَالَى يَبِينُ الْكَافِ وَالنُّونَ .

وَتُوفَّى أَبُو الْحَزْمِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ السَّادِسِ مِنْ مُحَرَّمِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ ^(١٠) ، وَوُلِّيَ ^(١١) ابْنُهُ أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ جَهَّورِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَهَّورِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّرِيِّ ١٠

(١) وه : أشلاءها

(٢) وه : عنها (٣) ر ، ت ، لب : مكابدته

(٤) وه : فرخست — ت ، لب : فرخيت

(٥) وه ، ت ، لب : أن هلموا (٦) ت ، لب : ترايد

(٧) وه ، ت ، لب : تذيبه لها — ز في ت ، لب : حتى ملأوا المساجد والأفنية ، وحركوا الأسواق ، وسمت أثمان الدور بها ، والابتناء لخرابها الفاشي ، أخذ بالهويني فاتصل البنيان بها ، وتعجب ذو التحصيل ...

(٨) ت ، لب : صلاح أحوال الناس

(٩) ت ، لب : تعدل

(١٠) ت ، لب : خمس وثلاثين وأربعمئة

(١١) ت ، لب : فصار الأمر إلى ابنه

مِنْ آلِ عَبْدِ^(١) ، نِهَایَةِ بَیُوتِ الشَّرَفِ الْأَثِیلِ بِقَرْطُبَةِ عَلَیَّ أَسِّ الدَّهْرِ
المَغْرِبِ شَاوُهُ فِي نَظْمِ قِلَادَةِ خَمْسَةِ كَكُوبِ الرُّمَحِ أَنْبُوبًا عَلَیَّ أَنْبُوبٍ ، هُمْ
مَا هُمْ ، تَنَاقَلُوا الْوِزَارَةَ وَالْكِتَابَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَامِسِهِمْ عُيَيْدِ اللَّهِ^(٢) ، وَلَمْ
تَنْقُلْهَا الْفِتْنَةُ إِلَى أَنْ وَرِثَهَا تَرْبُهَا^(٣) هَذَا الْوَالِي الْفَاضِلُ أَبُو الْوَلِيدِ ، وَلَمَّا
يَعْرِفُ الْبُؤْسَ يَوْمًا ، فَأَعَانَهُ ذَلِكَ^(٤) عَلَى الْحَسَبِ وَالْمُرُوءَةِ ، وَأَقَرَّ^(٥) لَوْقَتِهِ
• الْحُكَّامَ ، وَأُولَى الْمَرَاتِبِ عَلَى حَسَبِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ أَيَّامَ أَبِيهِ .

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَكَفْتُ مِمَّنْ جَادَتْهُ سَمَاءُ هَذَا الرَّئِيسِ^(٦) أَبِي الْوَلِيدِ
الثَّرَّةُ ، وَكَرُمَ فِيَّ فِعْلُهُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ، فَأَقْحَمَنِي فِي زُمَرَةٍ^(٧) الْعِصَابَةِ
الْمُبَرَّزَةِ الْخَصْلِ « مَعَ كَلَالِ الْحَدِّ وَضَعْفِ الْآلَةِ » وَاهْتَدَى لِمَكَانٍ خَلَّتِي وَقَدْ
ارْتَشَفَ الدَّهْرُ مُبْلَاتِي ، بَأَنَّ قَلْدِي إِمْلَاءً^(٨) الدَّكْرِ فِي دِيْوَانِ السُّلْطَانِ
المُطَابِقِ لِصِنَاعَتِي ، اللَّائِقِ بِتَحَرُّفِي ، بِرَاتِبٍ^(٩) وَاسِعٍ ، لَوْلَا مَا أَخَذَ عَلَيَّ كَتَمَ

(١) هـ : أبو الوليد محمد بن جهور بن عبيد الله السر من آل عبيدة — ت ، لب ١

أبو الوليد محمد بن جهور بن محمد بن جهور بن عبيدة السر من آل عبيدة ...

(٢) ت ، لب : عبيد الله ذي المنقبة الزائدة « خولهم الله الرياسة على تعاقب الأزمان

واختلاف الأعصار ، فلم تنقلها ...

(٣) ز في هـ : برمتها (٤) هـ في ر ، هـ

(٥) ت ، لب : وأقر أبو الوليد لأول ولايته الحكم ...

(٦) ت ، لب : الرئيس الفاضل

(٧) هـ : جملة (٨) هـ في ت ، لب

(٩) هـ : في راتب

ما أسداه لجهدت في وصفه^(١) . ثم اقتنى أبو الوليد آثار^(٢) أبيه في السياسة من^(٣) درة الحدود ما وجد إلى ذلك سبيلا ، والتأول في تعطيل الإقادة بالحديد البتة ، لعدم الإمام المجتمع عليه في الوقت ، والتربص لإدبار الفتنة ؛ فأصبح من^(٤) العجب العجيب تكاف^(٥) الناس في الأعم عن^(٥) التظالم والتسافك بخلاف ما كانوا عليه تحت الضبط الشديد ، وتجاوز الحدود ، بأيدي جبابرة أصحاب^(٦) الشرطة أيام الجماعة ، فلا يكاد يسمع لشرارهم من عهد ذلك إلا النادرة الفذة . وبرز أيضا أبو الوليد في فك العقل^(٧) السلطانية ، وأنفذ الحكم في المظالم الديوانية ، وعقار الغيب عن قرطبة^(٨) ، فأطلقها وردّها على أربابها ، وشمل العالم الدعة .

وأما عترة الأشراف الأموية فتقلب بهم الزمان ، وغير أخوالهم الحذنان .
وكان بقرطبة منهم طائفة غامضة الشخص^(٩) ، قد تطبّعوا بأخلاق العوام

(١) ز في ت ، لب : وإلى الله تعالى أفزع في إجمال المكافاة عنى برحمته

(٢-٢) عبارة ت ، لب : آثار أبيه أبي الحزم السياسية في درة ...

(٣) ت ، لب : في العجب (٤) هـ : وكف

(٥) ر : من (٦) هـ في هـ

(٧) كذا في الأصول ولعلها « المقد » .

(٨) ز في ت ، لب : عن قرطبة التي أحلتها الفتنة الغناء أشياء عظيمة القدر توقّف والده عنها ، فأطلقها ...

(٩) ز في ت ، لب : باذة الهيئة ، عادمة الأدب والمروءة ، متطبعة بأخلاق العوام الففل ، أكثرهم ...

أَكْثَرُهُمْ مِنْ وَلَدِ النَّاصِرِ مُعْصُومِينَ بِمُعْسَبٍ^(١) لَهُمْ مِنْ أَبْنَاءِ أُمَّائِهِمْ
فِي الْفِتْنَةِ يُدْعَى ابْنُ الْمَرْتَضَى ، أَبُوهُ كَانَ صَاحِبَ الْبَيْعَةِ بِالثَّغْرِ^(٢) ، فَخَالَطَهُ مِنْ
ذَلِكَ عَلَى سُكْرِ الشَّبَابِ^(٣) وَالْأَفْنِ وَالغَبَاوَةِ عَجَبٌ^(٤) ، عَقَدَ نَاصِيَتَهُ
بِالثَّرِيَّا ، فَأَصْبَحَ مِنْ طِمَاحٍ^(٥) هَمَّتْهُ فِي جَهْدٍ^(٦) ؛ يُرَاقِبُ النَّاسُ مِنْهُ فِتْنَةً
عَمِيَاءَ^(٧) ، وَيَمْشِي فِي النَّاسِ مُخْتَالًا ، أَصْعَرَ الْخَدَّ ، أَشْوَسَ^(٨) اللَّحْظَ ،
جَمِيلَ الرُّوَاءِ^(٩) وَالشَّارَةَ ■ عَالِيِ الْقُلُوسَةِ^(١٠) ، تَلَحَّظُهُ الْعُيُونُ ، وَكَانَ لَهُ
بَقَايَا مِنْ شَيْعِ الْمَرْوَانِيَّةِ ، فَبَلَغَ ابْنُ جَهْوَرٍ عَنْهُ مَا بَعَثَهُ عَلَى إِزْعَاجِهِ مِنْ^(١١)
قُرْطُبَةٍ ، فَاسْتَقَرَّ بِشَرْقِيٍّ الْأَنْدَلُسِ حَيْثُ اضْطَرَبَ أَبُوهُ الْمَرْتَضَى ، فَبَطَلَ
الْإِرْجَافُ بَعْدَهُ .

١٠ قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ^(١٢) كَثُرَ خَوْضُ أَهْلِ قُرْطُبَةٍ

(١) لب : يعسب

(٢) ت : بالثغرين — ز في ت ، لب : يومى إليه بالأصابع

(٣) ز في ت ، لب : وخيلاء القرب

(٤) ت ، لب : عجب وغطرسة

(٦) ت ، لب : في بلية

(٥) وه : طماع

(٨) ر : أجل

(٧) ر : عجباء

(١٠) وه ، ت ، لب : القلنسة

(٩) وه : الزى

(١١) ت ، لب : لإخراجه من البلد

(١٢) ت ، لب : ست وخمسين وأربعمائة

- في الذي رَأَوْهُ مِنْ تَنَافُسٍ وَلَدَيَّ^(١) أَبِي الْوَلِيدِ ابْنِ^(٢) جَهْوَرٍ فِي الْإِنْتِصَابِ^(٣) لِحِلَافَتِهِ ؛ عَبْدُ الرَّحْمَنِ كَبِيرُ جَمَاعَتِهِمْ ، وَأَخِيهِ عَبْدُ الْمَلِكِ أَشْجَعُهُمْ^(٤) ، فَوَدَّ وَأَصْلَبَهُمْ عَوْدًا . الَّذِي كَشَفَ عَنْ وُجُوهِهِمْ غُصَّةَ مُزْكِسِهِمْ ابْنِ السَّقَاءِ كَافِرٍ نِعْمَتِهِمْ ؛ فَاسْتَذَرَكْ لَهُمْ مَا كَانَ تَوَلَّى مِنْ سُلْطَانِهِمْ ، لِفَتْكَتِهِ بِهِ الَّتِي أُثْبِتَتْ أَوْتَادُ مُلْكِهِمْ ، ثُمَّ شَدَّ يَدَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَازَعَ أَخَاهُ كَبِيرَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنَ التَّفَرُّدِ بِهِ ؛ وَقَدْ كَانَ أَشَارَ عَلَى أُيُّهُمَا بَعْضُ حُلَفَائِهِ^(٥) مِنْ رُؤَسَاءِ الْأَنْدَلُسِ بِإِثَارِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْهُمَا . فَتَمَسَّكَ الشَّيْخُ بِحُظُّهُ مِنْ إِرْضَاءِ وَلَدِهِ الصَّغِيرِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَالَّ إِلَى قِسْمَةِ الرِّيَاسَةِ بَيْنَهُمَا حَيَاتِهِ ، غَيْرَ نَاصِبٍ لِأَحَدِهِمَا لِلْأَمْرِ^(٦) ، يَقْضَى^(٧) اللَّهُ بِهِ لِمَنْ يَشَاءُ بَعْدَهُ صَنِيعَ وَالِدِهِ فِيهِ ؛ فَمَتَّعَ نَفْسَهُ بِهِمَا فِي صَغِيرِ وَلَدِهِ وَأَنْشَدَ قَوْلَ ابْنِ الْجَزِيرِيِّ^(٨) :
- ١٠

وَإِذَا الْفَتَى فَقَدَ السَّبَابَ سَمَا لَهُ حُبُّ الْبَنِينَ وَلَا كَحُبِّ الْأَصْغَرِ
فَارْتَعَ وَلَدَيْهِ هَذِينَ فِي دُنْيَاهُ ، وَبَسَطَ أَيْدِيَهُمَا فِي سُلْطَانِهِ . فَطَفِقَ^(٩)
يَسْتَمِيلُ كُلُّهُمَا طَائِفَةً مِنَ الْجُنْدِ ، وَيَصْطَنِعُ مِنَ الرَّعِيَةِ فِرْقَةً .

(١) و : ولد (٢) ت ، لب : أبي الوليد محمد بن جهور

(٣) ت ، لب : الانتصاف (٤) و : أشجعهم

(٥) ر ، ت ، لب : خلفائه (٦) و : الأمر

(٧) و : ليقضى

(٨) لب ، ت : البحتري . ولم نعثر على هذا البيت في ديوان البحتري

(٩) ت ، لب : فطفقا

وَيَقْتَلِدُ^(١) مِنْ عَقِيدَةِ الْمَلِكِ فَلَذَّةٌ ، فَأَصْبَحَ الْأَمْرُ مُخْتَلِطًا ، وَالْأَرْبَابُ مُتَفَرِّقِينَ ،
وَالْمَخَافَةُ تَطْلُعُ مِنْ كُلِّ ثَنِيَّةٍ ، وَالْهَوَادِي تُؤْذِنُ بِالْأَعْجَازِ^(٢) ، ^(٣) وَاللَّهُ كُلَّ
يَوْمٍ فِي شَأْنٍ^(٤) . ثُمَّ خَافَ عَلَيْهِمَا ، فَجَعَلَ إِلَى أَكْبَرِهِمَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّظَرَ فِي أَمْرِ
الْحَبَايَةِ ، وَالْإِشْرَافَ عَلَى أَهْلِ الْخِدْمَةِ^(٥) ، وَالتَّوَقُّعَ فِي الصُّكُوكِ السُّلْطَانِيَّةِ
الْمَتَضَمِّنَةِ لِلْحَلِّ وَالْعَقْدِ ، وَالْإِطْرَاحِ وَالضَّمِّ ، وَجَمِيعِ أَبْوَابِ النِّفَقَاتِ . أُنْجَأَ
كُلٌّ ذَلِكَ إِلَى خَطِّهِ^(٦) ، وَأَمَضَاهُ تَحْتَ حُكْمِهِ . وَجَعَلَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ النَّظَرَ
فِي الْجُنْدِ ، وَالتَّوَلَّى لِعَرَضِهِمْ ، وَالْإِشْرَافَ عَلَى أَعْطِيَتِهِمْ ، وَالرُّكُوبَ فِيهِمْ
لَدَى الرَّوْعِ ، وَتَجَرِيدَهُمْ فِي الْبُعُوثِ ، وَالتَّقْوِيَةَ لِأَوْدِهِمْ ، وَجَمِيعَ مَا يَخْصُصُهُمْ ؛
فَرَضِيَا مِنْهُ^(٧) بِهَذَا التَّقْسِيمِ ، وَأَقَامَهُمَا بِهِ عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

١٠ قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ انْتَهَى مَا وَجَدْتُهُ^(٨) مِنْ أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ
الْجُيُورِيَّةِ^(٩) مِنْ كِتَابِ ابْنِ حَيَّانٍ^(١٠) وَقَدْ تَجَرَّدِي^(١١) لِلْفَرَاعِ مِنْ تَتْمِيمِ^(١٢) هَذَا
الدِّيَوَانِ ، وَاسْتَعْجَلْتُ لِإِخْرَاجِ^(١٣) هَذِهِ النُّسخَةِ الْمَقْرُورَةِ^(١٤) مِنْهُ ، وَأَعْيَانِي

(١) هـ : ويتقلد (٢) هـ : بالإزجاج

(٣-٣) هـ : ١ ولله في كل يوم شأن

(٤) ز في ت ، لب : ومشاهدتهم في مكان مجتمعهم

(٥) هـ ، ت ، لب : اختمه (٦) هـ في هـ

(٧) ت ، لب : ما لخصته

(٨-٨) هـ في هـ — ت ، لب : من كلام ابن حيان

(٩) هـ : تجریدی (١٠) ت ، لب : من إملاء

(١١) هـ : لاستخراج (١٢) هـ : المقروءة

تَتَّبَعُهُ لَأَثَارِهِمْ ، وَشَرَدَ عَلَى^(١) وَجُودُ لَفْظِهِ وَنَظْمِهِ^(٢) لِبَقِيَّةِ أَخْبَارِهِمْ . وَلَمْ أَجِدْ
بُدْأًا مِنْ نِظَامِهَا ،^(٣) لِتَجَيُّءِ أَخْبَارِهِمْ بِتَمَامِهَا^(٤) ؛ فَرَفَعْتُ الضُّحَى بِالْفَلَسِ ،
وَجَمَعْتُ بَيْنَ حَافِرِ الْعَيْرِ وَجَبْهَةِ الْفَرَسِ . عَلَى تَفَاهَةٍ^(٥) عِلْمِي ، وَغَبٍّ نُوْبِ
أَنْسَتَنِي أَسْمِي ، وَجَرَتْ مَجْرَى الرُّوحِ فِي جِسْمِي .

كَانَ عَبَادُ قَدِ خَامَرَ صَدْرَهُ مِنْ شَأْنِ ابْنِ السَّقَّاءِ مُدَبِّرِ دَوْلَةِ بَنِي جَهْوَرٍ
مَا لَا يَسْمَعُهُ بَوْحٌ وَلَا كَتَمٌ . وَلَا يَزِدُّهُ سَفَهٌُ وَلَا حِلْمٌ ، شَرَفًا بِحُسْنِ سِيرَتِهِ ،
وَفَرَقًا^(١) مِنْ اسْتِمْرَارِ مَرِيرَتِهِ ، وَحَسَدًا لَأَلِ جَهْوَرٍ فَيَمُنْ حَسَمَ عَنْهُمْ الْأَطْمَاعَ .
وَجَمَعَ دَوْلَتَهُمُ الشَّعَاعَ . فَقَدْ كَانَ ابْنُ السَّقَّاءِ هَذَا مِنَ الْإِسْتِقْلَالِ بِمَكَانِهِ ،
وَالضَّبْطِ لِسُلْطَانِهِ . وَالْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى مَيْدَانِهِ . بِحَيْثُ يُخَيِّفُ الْأَنْدَادَ . وَيَعِظُ^{١٠}
الْأَعْدَاءَ وَالْحُسَادَ . فَدَسَّ عَبَادُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جَهْوَرٍ مَنْ جَسَرَهُ عَلَى الْفَتْكِ ،
وَالِى ابْنِ السَّقَّاءِ مَنْ أَلْقَى فِي رُوعِهِ حُبَّ الْمُلْكِ ، وَكَلَاهُمَا رَاشٍ وَبَرَى ، حَتَّى
جَرَى الْقَدَرُ بَيْنَهُمَا بِمَا جَرَى . وَسَيَأْتِي الْخَبْرُ عَنْهُمَا مَشْرُوحَ الْأَسْبَابِ ،
فِي الْقِسْمِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

وَحَلَا لِعَبْدِ الْمَلِكِ الْجَوْءُ بَعْدَ ابْنِ السَّقَّاءِ ؛ فَأَعْرَضَ وَأَطَالَ ، وَطَلَبَ الطَّعْنَ^(٥) ١٥

(١-١) وه : وجوه لفظه في نثره ونظمه — ت ، لب : وشرد على نظامه لبقية ...

(٢-٢) ت ، لب : ليجيء خبرهم بتامه

(٣) ر : نياهة

(٤) ت ، لب : وعجزوا عن

(٥) ز في وه ، ت ، لب : وحده

والتَّزَال ؛ وأَعْجَبَهُ شَأْنُهُ وازْدَهَاه ، وأَمَرَهُ شَيْطَانُهُ ونَهَاها ؛ وَوَجَدَ عَبَادَ السَّبِيلِ إلى شَيْءٍ طَالَمَا كَانَ (١) شَرَّدَ كَرَاهٍ ، وَنَقَصَ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنْ لَذَّةِ دُنْيَاهُ ؛ (٢) مِنْ افْتِقَارِ بَنِي جَهْوَرٍ إِلَى نَصْرِهِ (٣) ، وَتَصَرُّفِهِمْ بَيْنَ نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ . وَانْقَبَضَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ لِأَوَّلِ اسْتِبْدَادِهِ بِالْأَمْرِ حُمَاتُهُ الَّذِينَ كَانَ ابْنُ السَّقَاءِ يَرْفَعُهُمْ بَرَفْعِهِ ، وَيَصْطَنِعُهُمْ بِحَذْفِهِ ، وَيُورِدُهُمْ مَاءَ سَمَاحَتِهِ وَبَذَلَهُ . وَيُلْحِفُهُمْ ظِلِّي تَوَاضِعِهِ وَعَدْلِهِ . وَقَدْ خَامَرَ نَفْسَ يَحْيَى بْنِ ذِي النُّونِ مِنَ الشَّغَفِ (٤) بِقُرْطُبَةٍ مَا هَوَّنَ عَلَيْهِ إِفْثَاقَ الْمَالِ ، وَاحْتِمَالَ الْأَثْقَالِ . وَتَكَلَّفَ الْحَلَّ وَالتَّرَحُّلَ (٥) ؛ فَهِيَ مِغْمَارُ خَيْلِهِ . وَمَذْرَجُ سَيْلِهِ ، وَحَدِيثُ نَفْسِهِ . وَهَمُّ يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ . وَخَلَّتِ السَّنُونُ ، وَغَالَتْ عَبَادًا لِلنُّونِ ؛ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى ابْنِهِ الْمُعْتَمِدِ سَنَةً إِحْدَى وَسِتِّينَ (٦) حَسْبًا (٧) يُذَكِّرُ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْمَجْمُوعِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٨) .

فَلَمَّا كَانَ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ بَعْدَهَا دَلَفَ ابْنُ ذِي النُّونِ إِلَى قُرْطُبَةٍ ، وَكَانَ لَا يُعِيْضُهَا شَرُّهُ ، وَلَا يَنَامُ عَنْهَا مَكْرُهُ ؛ وَقَدْ احْتَأَجَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ جَهْوَرٍ إِلَى اسْتِمْدَادٍ مِنَ الْمُعْتَمِدِ لِانْفِصَاصٍ مِنْ (٩) لَدَيْهِ ، وَعَجَزَ عَنْهُمَا كَانَ أُسْنِدَ مِنْ تَدْبِيرِ (١٠) قُرْطُبَةٍ إِلَيْهِ ، فَأَمَدَّهُ الْمُعْتَمِدُ بِجُمْهُورِ أَجْنَادِهِ (١١) عَلَى (١٢) أَكْبَرِ قَوَائِدِهِ ،

(١-١) هـ : طالما أسر ذكرناه

(٢-٢) هـ : من افتقار بني جهور لنصره

(٣) هـ ، ت ، لب : الشغف (٤) هـ : الارتحال

(٥-٥) هـ في ت ، لب هـ : على ما نوره

(٦) هـ : ما لديه (٧) هـ ، ت ، لب : أمر

(٨) هـ : أصحابه وأجناده (٩-١٠) هـ : مع

- وقد تقدّم إليهم بمراده ، ونهّج إليهم سبيل إصداره وإيراده ؛ فوافوا قرطبة ونزلوا برَبَضِهَا^(١) الشرقي ، وأقاموا بها أياماً يحْمُونَ حِمَاهَا وأُعِينُهُمْ تَزْدَحْمُ عليه ، ويذُبُّونَ عن جنّاهَا وأَفَوَاهُهُمْ تَتَحَلَّبُ إليه . فلَمَّا سَمِعَ ابنُ ذِي النُّونِ سفره واجتواه ، وقضى من غزو قرطبة وطّره وما قضاه أخذ في الرَّحِيلِ عنها .
- فما انقشعت سُدُفَةُ لَيْلِهِ ، ولا تَمَزَّقَ غُبَارُ سَنَابِكِ خَيْلِهِ ، حتّى هَتَكَ الْعَبَادِيُّونَ الْحَرِيمَ ، وركبوا الأَمَرَ الْعَظِيمَ ؛ بَاتُوا^(٢) مُتَحَدِّثِينَ بِالْقُفُولِ . ثُمَّ غَلَسُوا مُظْهِرِينَ لِلرَّحِيلِ ؛ وَعَبْدُ الْمَلِكِ مَتَأَهَّبٌ لِتَشْيِيعِهِمْ . عَازِمٌ عَلَى^(٣) الْبُكُورِ إِلَى^(٤) تَوْدِيعِهِمْ ، وشكّروهم على حُسْنِ صَنِيعِهِمْ ؛ فلم يرعه إِلَّا إِحْدَاقُهُمْ بِقَصْرِه ، وارتفَاعُ أَصْوَاتِهِمْ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ أَمْرِهِ ، وإِصْمَاتُ الْأَفَوَاهِ عَنْ^(٥) ذِكْرِهِ ؛ وقد تَمَخَّضَتْ لَهُ لَيْلَتُهُ بَيَّومٍ عَقِيمٍ ، وافتَرَّ لَهُ نَاجِدٌ صُبْحُهَا عَنْ لَيْلٍ بِهِمْ . وَمَشَى ١٠
- من أنصاره هُنَالِكَ بَيْنَ أَسَدٍ شَتِيمٍ ، وَأَسْوَدٍ مَسْمُومٍ .
- وَمَنْ جَعَلَ^(٦) الضَّرْعَامَ لِلصَّيْدِ بَازَهُ تَصَيَّدَهُ الضَّرْعَامُ فَيَمْنُ تَصَيَّدَا وَتُبِضَ لِلْحَيْنِ عَلَيْهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ ، وسائر أَهْلِ بَيْتِهِ وَأُسْرَتِهِ ؛ وبَالَغُوا لَوْقِهِمْ فِي انْتِهَاكِ حُرْمِهِ^(٧) ، وإِزَالَةِ نِعْمِهِ ، وإِخْفَارِ ذِمِّهِ . وَأُخْرِجَ الشَّيْخُ الْيَفْنَ^(٨) أَبُو الْوَلِيدِ — بَقِيَّةُ أَشْرَافِ الْأَنْدَلُسِ كَانَ فِي وَقْتِهِ — مَفْلُوجَ الشَّدَقِ ، مَائِلَ ١٥

(١) ت ، لب : برِض الجانب المشرق منها

(٢) ر : فَاتُوا (٣-٣) هـ في و

(٤) ت ، لب : عن (٥) هـ : عند

(٦) ت ، لب : يجعل

(٧) ت ، لب : حرمة ... نعمته ... ذمته (٨) هـ في و

الشَّقُّ « مغلوب الباطل والحق » ؛ لم تُحَفَظْ له حُرْمَةٌ ، ولا رُعِيَّ^(١) فيه إلَّا ولا ذِمَّة .

بَلَّغْنِي أَنَّهُ لَمَّا وَسِطَ^(٢) بِهِ قَنْطَرَةُ قُرْطَبَةَ خَارِجًا مِنْهَا عَلَى مَرْكَبٍ هَبَّيْنِ ، وَحَالُهُ تَقَرُّ عَيْنُ الْحَاسِدِينَ ، رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَخَذَ يَبْتَهِلُ^(٣) فِي الدُّعَاءِ . وَكَانَ مِمَّا حَفِظَ عَنْهُ قَوْلُهُ : اللَّهُمَّ كَمَا أَحْبَبْتَ الدُّعَاءَ^(٤) عَلَيْنَا فَأَجِبْهُ لَنَا ! فَمَاتَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ نَكْبَتِهِ بِجَزِيرَةِ شَلْطِيشَ مُزَالِ النِّعْمَةِ^(٥) ،^(٦) مُذَالِ الْحُرْمَةِ^(٦) ؛ وَأُفِرَّتْ سَاقَتُهُ^(٧) بِهَا فَأَقَامُوا^(٧) هُنَالِكَ أَكْثَرَ أَيَّامِ الْمُعْتَمِدِ ، يَأْخُذُهُمُ الْحِدْثَانُ وَيَدْعُهُمْ^(٨) ، وَيَخْفَضُهُمُ الزَّمَانُ أَكْثَرَ مِمَّا يَرَفَعُهُمْ .

فَصَلِّ^(٩) لَهُ فِي ذِكْرِ رَحِيلِ ابْنِ ذِي النَّوْنِ عَنْ قُرْطَبَةَ يَقُولُ فِيهِ :

لَمَّا نَزَلَ ابْنُ ذِي النَّوْنِ بِسَبِيلِهِ فَكَشَفَ اللَّهُ هَمَّهُ عَنْ أَهْلِ قُرْطَبَةَ ، أَبْدَوْا الشَّمَاتَ بِهِ « وَقَضَوْا بِالْإِدْبَارِ عَلَيْهِ ، وَتَنَقَّصُوا حِجَّاهُ » وَاسْتَغَالُوا رَأْيَهُ ، وَأَضَافُوا سُمُومَ مَحَلِّهِ إِلَى حُطُوءِ جَدِّهِ ، مِنْ غَيْرِ اسْتِعَانَةٍ مِنْهُ بِغَزِيرِ^(١٠) لُبٍّ ، أَوْ مَادَّةٍ مَعْرِفَةٍ ، أَوْ اكْتِسَابِ تَجَرُّبَةٍ ؛ إِذْ جَمَعَ الْجَيْشَ ذَا الْأُلُوفِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَلْسِنَةِ ، النَّاهِكِ الْكُلْفَةِ ،

(١) و : روى

(٢) ت ، لب : توسط قنطرة — و : توسط به

(٣) و : وابتهل بالدعاء (٤) و في ت ، لب

(٥) ز في ت ، لب : فتعالى المنفرد بالبقاء « جبار الأرض والسماء

(٦—٦) و في ت ، لب (٧—٧) و في و

(٨) ت ، لب : ويضعهم

(٩) هذا الفصل لم يرد إلَّا في مخطوطتي ت ، لب ، وفي مواضع منه اضطراب ظاهر

(١٠) الكلمة مبتورة في لب ، وفي ت : بغزيرة

فجره على بعد الشقة إلى قرن غفل غبي، منخلع من صالح الحِصال، متردٍ
 في هوة السفال، لا يتحرى^(١) أمنه في حال من الأحوال، راكب للغى،
 مُستَميت على الإمارة، مُطرح للنظر في العاقبة، شتيت الشمل، قليل
 الوفر، نزر العدد،^(٢) ... حال البلد، المحاصر أهله^(٣)، إلى من فارقوا
 من جالهم، قد وقده ورجاله ورعيته طول ما صحبوا الغلاء وحالفوا المجاعة؛
 يكاد يأسه يستولي على طمعه فيدفعه بالتواطى عن الكريهة، والتحكيم على
 مُتقلد خطة البغى في سوء العاقبة. قد مثل مُنتصباً^(٤) لخطئه، لابساً فؤاد
 القاسى فوق درعه، يكابرُ بحور الحصى من فرط جهله، قد جمع محاشه عند
 شمرته لحربه، فما إن تتأمت عدتهم مائتى فارس، أكثرهم مسوقون حاقدون
 معوتون^(٥)، مُستقصرون؛ يشتري لهم القوت من السوق، مُضيقاً على رعيته،
 ويردلف بهم في غد أيتامهم، ويعدهم ثواب عاجل الطعن نسيئة على مُستأخر
 النصر. قد علم ذلك من اختلال أحواله عدوه المتظاهرة قواه وعدده، فنزل
 بساحته نزل النضير له، المتكافئ العدة، مُتسماً هضاب جبل البلد المُسامنة
 لباب المدينة^(٦) الجوفى، مُهتصباً وجيشه^(٦) اللهم، بإنزاله إيتام سترات

(١) رسم الكلمتين في لب: «لا يتحرى منه» وفي ت: «لا يتحرى منه»
 ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات

(٢-٢) هذه العبارة مضطربة في الأصلين لبياض وقع في لب بقدر كلمة بعد قوله:
 «نزر العدد»، ورسم كلمة «المحاصر» في الأصلين «حاصر»

(٣) رسمها في لب: منتصباً لخطئه — ت: منتصباً لخطئه وربما كانت «منتصباً لخطئه»
 أو لعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) رسم الكلمة في لب: «معوتون».

(٥) في الأصلين: مدينة الجوفى.

(٦) رسم الكلمة في الأصلين: «وأحيشه».

تِلْكَ الْأَهْضَامِ ، كَالْمُتَقَدِّمِ بِالْأَسْتَظْهَارِ ، عَلَى مَرْهُوبِ بَيَاتِ اللَّيْلِ وَمُغَافَصَةِ
النَّهَارِ ، قَدْ اقْتَصَرَ مِنَ اللُّصُوقِ بِأَهْلِ الْبَلَدِ وَالْمُوَالَاةِ لِقَتَالِهِمْ عَلَى قَبْضِ يَدِهِ
لِزُرُوعِهِمْ ؛ أَطَالَ بِذَلِكَ حِصَارَ قَرْطَبَةَ ، وَأَعْدَاؤُهُ يَعِجْبُونَ مِنْ طُولِ كَفِّهِ لَهَا ،
وَيَرَوْنَهُ لَا مَحَالَةَ مُحْرَمَ الْمَصَالِ ، مَعَ مَا يُرْخَى مِنْ كِتَابَتِهِ لَوْ قَادَهَا غَشُومٌ
مُسْلَطٌ يُوفِيهَا حَقَّ إِفْدَائِهَا عَلَى مَنْ قَادَهَا إِلَيْهِ ، لَمَّا قَاوَمَهُ نَظِيرٌ مِنْ أَمْلَاقِ أَقْبَتِهِ ،
إِذْ يَقُودُ^(١) عِدَّةَ دَارِعِينَ مَا بَيْنَ أَجْنَادِهِ وَأَمْدَادِهِ ذَوِي أَلْسِنَةٍ^(٢) شَتَّى ۖ وَبَطَارِقَ
أَعْرَافٍ تُعْرِبُ عَنْهُمْ التَّرَاجِمَ . لَكِنَّهُ سُلْطَانُ اللَّهِ يُؤْنِسُهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ
يَشَاءُ . وَمَا أَحْسَنَ مَا تَمَثَّلَ بِهِ مُعَاوِيَةُ عِنْدَمَا أَفَادَهُ جَدُّهُ^(٣) بِحُظْوَةِ الْخِلَافَةِ دُونَ
عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي نَازَعَهُ إِيَّاهَا عَلَى بَوْنٍ مَا بَيْنَهُمَا ۖ إِذْ قَالَ وَقَدْ جَرَى
ذِكْرُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَخَيْبَةُ سَعْيِهِ :

لَنْ كَانَ أَذْلَى خَاطِبًا فَتَعَذَّرَتْ عَلَيْهِ وَكَانَتْ رَائِدًا فَتَخَطَّتْ
فَمَا تَرَكْتُهُ رَغْبَةً عَنْ جَنَابِهِ وَلَكِنَهَا [كَانَتْ] لَأَخْرَ خُطَّتْ

فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يَقُولُهُ مُهَيِّئُ ابْنِ ذِي النُّونِ بِقَوْلِهِ إِلَى حَضْرَتِهِ ۖ وَيَصُوغُهُ
مُتَمَدِّحُهُ فِي تَمْجِيدِهِ ۖ مَعَ ضَيْقِ تَوَلُّجِهِمَا عَنْ مَعْذَرَةٍ يَنْجِلَانِيهَا لَهُ ۖ وَاعْتِيَاصِ
احْتِيَالِهَا فِي تَخْلِيصِهِ مِنْ قَبِيحِ مَا رَكِبَهُ ؟ إِنْ وُجِوهَ التَّكْذِبِ^(٤) لَتَنْجِلُ دُونَ
مُقَابَلَتِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى شَهِيدٌ عَلَيْهِ ۖ كَفِيلٌ بِجَزَائِهِ .

فَلَمَّا تَوَلَّى ابْنُ ذِي النُّونِ وَقَفَلَ لَطِيفَتَهُ ، أَصْبَحَ فَوَادُ سُلْطَانِ قَرْطَبَةَ الرَّابِضِ

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : يَبُودُ

(٢) رَسْمُ الْكَلِمَةِ فِي الْأَصْلَيْنِ : « أَلْسِنَةٌ »

(٤) ت : التَّكْذِيبُ

(٣) ت : حَظُهُ

- إلى جنبه فارغاً من همه « مُسْتَرْجِحاً لِرَأْيِهِ ، حَامِداً لِحَدِّهِ ، وَاثِقاً بِدَوَامِ مُلْكِهِ »
 يرى أن قد فاز بحظّه ، بِإِقْدَارِ نَارِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ ابْنِ ذِي الثُّونِ وَابْنِ عَبَّادٍ قَرْنَهُ ،
 وأنه مَحَيَّرٌ فِي التَّشْبِثِ بِهَا ، وَالانْفِصَالِ عَنْهَا ، مَتَى شَاءَ وَكَيْفَ ارْتَأَى . فَاشْتَدَّ
 جَدُّهُ ، وَاسْتَرْخَى لَبِيئُهُ ، وَارْتَأَحَ إِلَى مُنْصَرَفٍ مِّنْ عِنْدِهِ مِنْ رَجُلٍ ابْنِ عَبَّادٍ
 الثَّقَالِ عَلَيْهِ ، كَيْمَا يَخْلُوَ بِشَأْنِهِ . فَعَلَّ يَدُسُّ إِلَيْهِمْ مَن يُعَرِّضُ ، وَيَقْطَعُ تَعَهُدَهُمْ ،
 وَهُمْ يُرَوْنَهُ الْحَرَصَ عَلَى الْإِنْطِلَاقِ عَنْهُ ، وَالِاسْتِبْطَاءَ لِإِذْنِ أَمِيرِهِمْ لَمْ وَقَدْ كَاتَبُوهُ ،
 وَيَأْخُذُونَ فِي التَّأَثُّبِ لِمَسِيرِهِ^(١) ، وَيَعِدُّونَ مَن ذَهَبَ إِلَى السَّفَرِ مَعَهُمْ بِوَشْكَ
 رَحِيلِهِمْ ، وَسُرَى الْقَيْنِ أَوْلَى بِهِمْ . وَقَدْ سَرَى بَيْنَ قَوَادِمِهِمْ وَكِبَارِهِمْ مَن جَاوَرَهُمْ مِنْ
 أَهْلِ الْبَلَدِ مِنَ التَّذْيِيرِ مَعَهُمْ^(٢) فِي أَخْذِهِمْ لِسُلْطَانِهِمُ الْبَيْعَةَ الَّتِي تُرِيهِمْ أُمُورًا غَابَتْ
 عَنْهُ . أَذْهَلَهُ عَنِ التَّجَسُّسِ^(٣) عَلَيْهَا أَنَّهُمَا كُهُ فِي لَذَائِهِ . وَمُقَارَفَتُهُ لِمُدَامِهِ . إِلَى ١٠
 أَنْ ائْتَهَتْ مُدَّتُهَا^(٤) . فَتَارَتْ الْجَمَاعَةُ بَعْدَ مَسِيرِ ابْنِ ذِي الثُّونِ عَنْهُ بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ
 سَوَاءً ، وَكَانَ مِنْ خَلْعِهِ وَزَوَالِ أَمْرِهِ مَا نَذَكُرُهُ بَعْدَ هَذَا إِنْ أَعَانَنَا اللَّهُ .
- قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : فَصَحَّ عِنْدِي أَنَّهُ وَصَفَ كَيْفِيَّةَ خَلْعِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ
 قَرْطَبَةَ فِي جُزْءٍ كَبِيرٍ سَمَّاهُ « الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى » فِي مُجَلَّدٍ كَبِيرٍ لَمْ يَقَعْ إِلَى وَقْتِ
 هَذَا التَّحْرِيرِ .

(٢) كَذَا بِالْأَصْلَيْنِ

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : بِمَسِيرِهِ

(٤) فِي ت : مَدَاهَا وَفِي لَب : مَدَاتُهَا

(٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : التَّجَنُّسُ

فصل^(١) في ذكر الفقيه القاضي أبي الوليد

المعروف بابن الفرَضِي

شاعرٌ مُقِلٌّ، هو في العلماء أَدْخَلُ منه في الشعراء، ولكنّه حسنُ النّظام،
مُقْتَرَنُ الكلام، رَحَل وَرُحِلَ إليه، وأَخَذَ وأُخِذَ عنه.

- أخبرني الفقيه أبو بكر ابنُ الفقيه الوزير أبي محمد ابنِ العربي عن الفقيه
أبي عبد الله الحُمَيْدِي قال: حَدَّثَنِي الفقيه أبو محمد علي بنُ أحمد بنِ حَزْم قال:
أخبرني القاضي أبو الوليد ابنُ الفرَضِي قال: تَعَلَّقْتُ بِأَسْتَارِ الكعبةِ وسألتُ الله
الشَّهادةَ « ثُمَّ انْحَرَفْتُ وَفَكَّرْتُ فِي هَذَا الْقِيلِ فَتَدَنَّمْتُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْجِعَ
فَأَسْتَقِيلَ اللهَ ذَلِكَ فَاسْتَحْيَيْتُ. فَمَاتَ مَقْتُولًا رَحِمَهُ اللهُ فِي الْفِتْنَةِ أَيَّامَ دُخُولِ
البرابرةِ قُرْطُبةَ سنةَ أَرْبَعِمِائَةٍ. قال أبو محمد ابنُ حَزْم: أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَاهُ بَيْنَ
الْقَتْلِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ يَقُولُ: « لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ — وَاللهُ أَعْلَمُ
بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ — إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَنْفَعُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ
وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ »^(٢). كَأَنَّهُ يُعِيدُ عَلَى نَفْسِهِ الْحَدِيثَ الْوَارِدَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ قَضَى
نَحْبَهُ هُنَاكَ. وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحِ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بْنُ الْحِجَّاجِ مُسْنَدًا عَنِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ. وَأَخْبَرَنِي الْفقيهُ الْمَذْكُورُ عَنِ الْحُمَيْدِي قال: أَنَشَدَنِي
الْفقيهُ أَبُو عُمَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، قال: أَنَشَدَنِي أَبُو الْوَلِيدِ [ابنُ] الْفَرَضِي شِعْرَهُ
فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَكَانَ كَتَبَ بِهَا إِلَى أَهْلِهِ، حَيْثُ يَقُولُ:
مَضَتْ لِي شُهُورٌ مُنْذُ غَيْبَتُمْ ثَلَاثَةً وَمَا خِلْتُنِي^(٣) أَبْقَى إِذَا غَيْبْتُمْ شَهْرًا

(١) لم يرد هذا الفصل إلا في نسختي ت. ب

(٢) راجع صحيح مسلم (ج ٦: ص ٣٤ — طبعة الأستانة)

(٣) في الأصلين: « خلت » والتصحيح عن الصلة لابن بشكوال ص ٢٥١

وَمَا لِي حَيَاةٌ بَعْدَكُمْ أَسْتَلِذُّهَا وَلَوْ كَانَ [هَذَا] لَمْ أَكُنْ بَعْدَهُ حُرًّا^(١)
 سَأَسْتَعْتِبُ الدَّهْرَ الْمَفْرَقَ بَيْنَنَا وَهَلْ نَافَعِي أَنْ صِرْتُ أَسْتَعْتِبُ الدَّهْرَ؟
 أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالْمَنَى فِي لِقَائِكُمْ وَأَسْتَسْهِلُ الْبَرَّ الَّذِي جُبْتُ^(٢) وَالْبَحْرَ
 وَيُوْنُسِي طَيِّ الْمَرَا حِلَ بَعْدَكُمْ أَرْوَحُ عَلَى أَرْضٍ وَأَغْدُو عَلَى أُخْرَى
 وَتَاللَّهِ مَا فَارَقْتُكُمْ عَنْ قَلِيٍّ [لَكُمْ]^(٣) وَلَكِنَّا الْأَفْدَارُ تَجْرِي كَمَا تَجْرِي
 رَعَتْكُمْ مِنَ الرَّحَنِ عَيْنٌ بَصِيرَةٌ وَلَا كَشَفَتْ أَيْدِي الرَّدَى عَنْكُمْ سِتْرًا
 وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَا يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ شَرَفٍ الْقَرَوِي :

فَارَقْتُهُمْ لَا لِمَلَالٍ وَلَا قَلِيٍّ^(٤) وَلَكِنْ لِلْخُطُوبِ الْكِبَارِ
 سِتَّةَ أَعوَامٍ وَمَا كَانَ لِي فِي فُرْقَةِ الْأَيَّامِ عَنْهُمْ قَرَارٌ

وقال أبو مروان ابن شَماخ :

صَبِرْتُ وَالْبَعْدُ أَحْوَالٌ وَذَا عَجَبٌ وَلَمْ أَكُنْ صَابِرًا وَالْبَعْدُ أُمَيَالٌ^(٥)
 وقال الحميدي وأنشدني أيضًا الفقيه أبو عمر ابن عبد البر :

إِنَّ الَّذِي أَصْبَحْتُ طَوَّعَ يَمِينِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَمَرًا فَلَيْسَ بِدُونِهِ
 ذُلِّي لَهُ فِي الْحَبِّ مِنْ سُلْطَانِهِ وَسَقَامُ جِسْمِي مِنْ سَقَامِ جُفُونِهِ

(١) رواية ابن بشكوال : « ولو كان هذا لم أكن في الهوى حرا »

(٢) في الأصلين : « جئت » وآثرنا رواية ابن بشكوال

(٣) مه في الأصلين : والتصحيح عن ابن بشكوال

(٤) في الأصلين : « لقلتي »

(٥) هذا البيت مضطرب في هذا الموضع ورسمه في الأصلين :

صبرت والبعء أيام ولا عجب ولو كان صابرا والبعء أمثال

وقد صحناه عن الذخيرة في الترجمة التي سترد في هذا المجلد لابن شماخ

وبالسند المذكور عن أبي عمر بن عبد البر قال : أخبرني أبو الوليد ابن الفرضي
بتاريخه في العلماء والرواة للعلم بالأندلس .

فصل في ذكر الوزير الكاتب^(١) أبي جعفر ابن اللماضي،
^(٢) وإثبات جملة من نظمته ونثره

• وكان أبو جعفر هذا وقته^(٣) أحد أئمة الكتاب، وشهيب الآداب،^(٤) من
سُخِّرَتْ له فنون البيان : تسخير الجنِّ لِسُلَيْمان^(٥) ، وتصرف في محاسن
الكلام : تصرف الرياح^(٦) بالغمام . طلع من ثنأياه ، واقتعد مطاياه ، وله
إنشاءات سرية ، في الدولة الحمودية ، إذ كان علم أدبائها والمُضطلع
بأعبائها . إلا أنني لم أجده عند تحريري^(٧) هذه النسخة من كلامه إلا بعض
فصول^(٨) له من منشور ، هي ثماد من بحور .

(١) هـ في و

(٢-٢) ت ، لب : وإيراد جملة مما وجدته من نثره

(٣) هـ في ت ، لب — و : في وقته (٤-٤) هـ في و

(٥) ت ، لب : بمحاسن (٦) و : الريح

(٧) و : تخريج — ت : تحريري في

(٨) ت ، لب : إلا بعض فصول له من منشوره ، وقد أخرجت من براعته ما يفهم
له بالفضل في صناعته ، والتقدم على أكثر جماعته

فصل له من رُقعةٍ خاطَبَ بها أبا جعفرٍ ابنَ عباسٍ :

غُصْنُ ذِكْرِكَ عِنْدِي نَاصِرٌ ، وروضُ شُكْرِكَ لَدَيَّ عَاطِرٌ ، وَرِيحُ إِخْلَاصِي
لَكَ صَبَاً ۖ وَزَمَنُ آمَالِي فِيكَ صَبَاً ؛ فَأَنَا شَارِبُ مَاءِ إِخَائِكَ ، مُتَفَيٍّ ۖ ظِلَالِ^(١)
وَفَائِكَ ، جَانِ مِنْكَ^(٢) ثَمَرَ فَرْعِ طَابٍ أَكُلُهُ ، وَأَجْنَانِي الْبِرِّ قَدِيمًا أَصْلُهُ ۖ
وَسَقَاتِي^(٣) إِكْرَامًا بَرَقَهُ ، وَرَوَانِي إِنْضَالًا وَدَقَّهُ ؛ وَأَنْتَ الطَّالِعُ فِي فِجَاجِهِ ۖ
السَّالِكُ لِمَنْهَاجِهِ ؛ سَهْمٌ فِي كِنَانَةِ الْفَضْلِ صَائِبٌ ، وَكَوْكَبٌ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ
ثَاقِبٌ ، إِنْ أَتَبَعْتُ الْأَعْدَاءَ نَوْرَهُ أَحْرَقَ^(٤) ، وَإِنْ رَمَيْتُهُمْ بِهِ أَصَابَ الْحَدَقَ ؛
وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَلَسَانِي يَقْصُرُ^(٥) عَنْ جَمِيلِ أُسْرِهِ^(٦) ، وَوَصْفِ وَدِّ أُضْمِرِهِ^(٧) .

وله من أُخْرَى يُعْزِيهِ فِي أَبِيهِ :

١٠ إِنْ لَمْ أُجِدْ التَّائِينَ ۖ فَأُجِدُ الْبُكَاءَ وَالْحَنِينَ ؛ وَإِنْ لَمْ أُحْسِنِ التَّمَلُّقَ
وَالْإِطْرَاءَ ، فَأُحْسِنُ الْخُلُوصَ^(٨) وَالِدُّعَاءَ . وَاتَّصَلَ بِي مَوْتُ الْوَزِيرِ أَبِيكَ لِقَاءَ اللَّهِ
غُفْرَانَهُ ۖ وَكَوْنُكَ بِفَضْلِ اللَّهِ مَكَانَهُ ؛ فَرُوِّعَ جَنَانَ الصَّبْرِ ، وَأُخْرِسَ لِسَانُ

(١) و ، ت ، لب : ظل (٢) و : منه

(٣) و : ومتن (٤) و : حرق

(٥) و : قصير (٦) و : أظهره

(٧) ز في ت ، لب : وإنما يبلغ الإنسان طاقته . وموصل كتابي هذا اختل ما عهدته
من أمره ۖ وطفئ عليه بحر دهره ، فإن سبج غرق ، وإن شرب شرق ، وله أصل يوصله
إلى استقلال بك .

(٨) و ، ت ، لب : الإخلاص

الشُّكْرُ . بَدْرُ أَفَلٍ ، وَهَلَالُ اسْتَقْلٍ . أُعْزِيكَ وَأُسَلِّيكَ ^(١) . قَدَرُ مُصَابِكِ
قَدَرُ ثَوَابِكِ . صَبْرًا جَيلاً عَلَيْهِ لَتُؤَجِرَ ، وَفِعْلاً حَمِيداً بَعْدَهُ لَتَذُكَّرَ . أَصَابَ
الْفِرَّةَ ^(٢) فَأَصِيبُ ؛ وَأَتَعَبَ أَهْلَ زَمَانِهِ فَأَتَعِبُ . أَقُولُ مُحَقِّقًا ؛ وَتَشْهَدُ لِي
مُصَدِّقًا . أَوْلَانِي مِنَ الْبِرِّ مَا لَا أَدْفَعُهُ ؛ وَأَلْبَسَنِي مِنَ الْإِكْرَامِ مَا لَا أَخْلَعُهُ .

سَتَسْفَحُ عَيْنِي عَلَيْهِ دَمًا إِذَا مَا الْعُيُونُ سَفَحْنَ الدُّمُوعَا
قَدَرُ كَانَ غُصْنِي بِهِ نَاعِمًا وَرَوْضِي أُنَيْقًا وَدَهْرِي رَبِيعًا

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى إِلَى الْقَاضِي ابْنِ عَبَّادَ :

رَوْضُ الْعِلْمِ — أَيَّدَكَ اللَّهُ — فِي فَنَائِكَ مُوْنِقٌ ۖ وَغُصْنُ الْأَدَبِ ^(٣)
بِمَائِكَ مُورِقٌ ، وَقَدْ لَفَظَ بَحْرُ الْعِلْمِ دُرَرَهُ ۖ وَأَطْلَعَ رَوْضُ الْمَجْدِ ^(٤) زَهْرَهُ ،
فَأَهْدَى ذَلِكَ مَعَ الْمُنْشِدِ أَبِي مُحَمَّدٍ نَفِيسَ أَجْنَأِيهِ ، وَبَعَثَ هَذَا نَسِيمَ ^(٥)
أَنْفَاسِهِ ، فَهُوَ لَوْلُوْهُ أَدَبٌ ، وَنُوَارُ طَرْبٍ ، يَسْقِيكَ جَنَانَهُ عُقَارَ اعْتِقَادِهِ ، فِي
كَاسٍ وَدَادِهِ ؛ وَيُغْنِيكَ لِسَانُهُ أَشْعَارَ حَمْدِهِ فِي مَثَانِي قَصْدِهِ ؛ مُشِيرًا إِلَى
ثَمَرٍ مَعَانٍ مِنْ بَدَائِعِهِ لَا يُجْنَى ^(٦) ، فَوْقَ شَجَرِ بَيَانٍ مِنْ غَرَائِبِهِ لَا تُرْتَقَى ۖ
فَإِذَا لَاحَظَهَا الْفِكْرُ أَنْسَ ، وَإِذَا رَامَهَا أَيْسَ ^(٧) . وَلَمْ يَسِرْ إِلَّا لِيَحْمَدَ سُرَاهُ ،
وَلَا قَصَدَ إِلَّا لِيَبْلُغَ مُنَاهُ ؛ وَلَمْ يُنَادِ بِحَمْدِكَ إِلَّا لَتُجِيبَهُ ، وَلَمْ يَرْمِ بِكَ دَهْرَهُ ١٥

(٢) ت ، لب : العزة

(١) و ، ت ، لب : فأسليك

(٤) و ، ت ، لب : نجد

(٣) و : الآداب

(٦) و ، ت ، لب : لا تجني

(٥) ت ، لب : بنسيم

(٧) و ، ت ، لب : يشس

إِلَّا لِيُصِيبَهُ ^(١) ؛ فَأَمْطِرْ رَجَاءَهُ بَعْضَ ^(٢) طَلِّكَ ، وَوَسِّدْ جَوَازِيَهُ أُبْرَدَى ظِلِّكَ .
فَمَا مَأْوُكَ بَوْشَلْ ، وَلَا وَرْدُكَ بِنَهْلْ ؛ وَفِيهِ أَجْرٌ ، وَلَدَيْهِ ^(٣) شُكْرٌ .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى :

وَرَدَّنِي لَكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ بَنَتْ الْبَلَاغَةُ سَمَاءَ بَيَانِهِ . وَجَادَتْ رَوْضَ ^(٤)
إِحْسَانِهِ ، فَنُورُ شَمْسِهِ يُشْرِقُ فِي لَيْلِ نَقْصِهِ ، وَكَوْكَبُ نُوَارِهِ ^(٥) يَأْتَلِقُ فِي
أَسْطَارِهِ ^(٦) ، فَأَصْبَحَتْ تَحْتَالُ بِحُلَّتِكَ ^(٧) ، وَتَبَسَّيْتُ عَنْ مَوَدَّتِكَ ، وَقَدْ سَرَى
خَيَالُكَ فَشَوَّقَ ^(٨) ، وَاسْتَطَارَ بَرْقُكَ فَأَرَّقَ ؛ فَأَجْفَانُ الْإِخْلَاصِ نَازِرَةٌ إِلَيْكَ ،
وَيَدُ الْقَبُولِ مُسَلِّمَةٌ عَلَيْكَ ، فَصَلِّ مَا جَعَلَكَ الْفَضْلُ ^(٩) فِيهِ أَصْلًا ، وَرَأَاكَ لَهُ أَهْلًا .
وَقَدْ حَلَّ الْمُنَشِّدُ أَبُو مُحَمَّدٍ مِنْ جَفْنِ الشُّكْرِ فِي سَوَادِهِ . وَمِنْ صَدْرِ الْإِحْسَانِ
فِي فُؤَادِهِ . أَلْبَسَنِي حُلَّةَ إِخَائِكَ ، وَسَقَانِي رِسْلَ وَفَائِكَ . وَحَالِي حَالٌ مَنْ يَعِدُّكَ ١٠
فِي عَدْدِهِ ، وَيُعِدُّكَ مِنْ عُدْدِهِ ^(١٠) .

(١) ر : لتصيبه

(٢) ر : بعد

(٣) ت ، لب : ولدي

(٤) ت ، لب : أرض

(٥) و ، ت ، لب : نوره

(٦-٦) و في ت ، لب — و : يتألق في روض طرسه

(٧) و : بحلتك

(٨) و : فشرقت

(٩) و : للفضل

(١٠) ز في ت ، لب : ولم يقع لي من نظم أبي جعفر عند إملائي هذه النسخة من هذا

المجموع إلا ما أنشدني الأديب أبو بكر يحيى بن بقر ...

وَمِنْ شِعْرِهِ مَا أَنْشَدَنِي الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ بَقِي قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو
الرَّبِيعِ ابْنُ الْعَرِيفِ لَجَدَّهُ الْكَاتِبِ أَبِي جَعْفَرِ ابْنِ اللَّمَّائِي :

قَدْ قُلْتُ إِذْ سَارَ السَّافِينُ بِهِمْ وَالْبَيْنُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي نَهَبًا
لَوْ أَنَّ لِي مُلْكًا أَصُولُ بِهِ لَأَخَذْتُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا
• (١) أَنْشَدَ أَبُو مَنْصُورٍ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِلخُبَّازِ الْبُلْدِيِّ فِي الْيَتِيمَةِ (١).

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا عَنْهُ (٢) :

غَنَى وَالْإِيقَاعُ قَوْ قَ بَيَانٍ مَنْطِقُهُ بَيَانُ
وَكَأَنَّمَا يَدُهُ قَمَّ وَقَضِيئُهُ فِيهَا لِسَانُ

وَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي مَاتَ مِنْهَا فَعَلَّ يَرْوِّحُ عَلَيْهِ . فَقَالَ

١٠ فِي مَقَامِهِ :

رَوَّحَنِي عَائِدِي فَقُلْتُ لَهُ مَهْ ! لَا تَزِدْنِي عَلَى الَّذِي أَجِدُ
أَمَا تَرَى النَّارَ وَهِيَ خَامِدَةٌ عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيَّاحِ تَتَّقِدُ ؟

وَمِمَّا قَالَ فِي هَذِهِ الْعِلَّةِ : وَكَانَتْ دَاءُ النَّسَمَةِ :

عَظُمَ الْبَلَاءُ فَلَا طِيبَ يُرْتَجَى مِنْهُ الشِّفَاءُ وَلَا دَوَاءُ يَنْجَعُ
لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَمْ أُعَالِجْهَا بِهِ طَمَعَ الْحَيَاةِ ، وَأَيْنَ مَنْ لَا يَطْمَعُ ؟
١٥ « وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ »

(١-١) هـ في ت ، لب — راجع اليَتِيمَةِ (ج ١ ص ٥٣١)

(٢) هـ ، ت ، لب : عنه له

ومما وجدته^(١) أيضاً بخطه لنفسه :

طلعت طوالع^(٢) للربيع فأطلعت
حيّا أمير المؤمنين مبشراً
ضنت^(٤) سحائبه^(٥) عليه بماها
دامت لنا أيامه موصولة
في الرّوضِ ورّداً قبل حين^(٣) أوّنه
ومؤملاً للنيل من إحسانه
فأتاه يستسقيه ماءً بئانه
بالغزّ والتّمكين في سلطانه ٥

^(٦)وله :

يا كبدى بالبين من أكلتك
ويا فؤادى كم تقاسى الهوى
علمتك الكتم ، أما تستحي
كنت أدوايك فلا ذنب لى
ويا دموع العين من أسحمتك ؟
مكتماً عني ، ما أكتمتك !
ويحك أن تكتم من علمك ؟
لو أنّي أعلم من أسقمك^(١٠)

ونقل أيضاً من خطّه قصيدة من شعره يشكو نوائب دهره ، أولها^(٧) :
أُمتى سقامى زاجرى ومؤنّبي
أوهت خطوب الدهر منى عاتقى^(٨)
وهدمت سحائبه على فغادرت
وعداً مشبى واعطى ومؤدّبي
ثقلًا ، وزرع منكباه منكبي
أرضى قرارة كل خطبٍ مُعجِب

(١) ه ، ت ، ب : وجد (٢) ه ، ت ، ب : طلائع

(٣) ه في ر (٤) هذا البيت ناقص في ت ، ب

(٥) ه : سحائبها

(٦-٦) لم ترد هذه الأبيات الأربعة إلا في نسخة ر

(٧) ه في ه

(٨-٨) ت ، ب : أوهت عناق خطوب دهرى عاتقى

فَاظْلُ أُنْصِرُ فِيهِ مَا لَمْ أُخْتَسِبْ
 سِنَّ حَدِيثٍ تَحْتَ (١) جَدِّ شَارِفِ
 أَغْدُو عَلَى بَكْرِ لَصْرِفِ بَنَاتِهِ
 أَفْتَضُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ عُذْرَةً
 يَا سَيِّدِي وَأَخِي الْوَفَى وَمَا أَخَى
 وَإِذَا غَدَا الْعِلْمُ الْمَشْرِقُ أَهْلَهُ
 هَلَّا اهْتَدَيْتَ إِلَى خِطَابِ مُرْزَا
 لَمْ يُبْسِقْ مِنْهُ الدَّهْرُ غَيْرَ مَدَامِعِ
 أَخَفْتَنِي الْإِيَّامُ فِي لَهَوَاتِهَا
 وَكُتِبَتْ عَنْ وَدٍّ وَقَدْ كُتِبَ الْإِخَا
 بَارَقَ مِنْ دَمْعِ الْمَشَوْقِ فُوَادُهُ
 فَظَلَلْتُ مِنْهُ فِي غَدِيرِ بَلَاغَةٍ
 كَرُمْتُ مَفَارِسُهُ فَأَوْرَقَ فَرْعُهُ
 صُبْحٌ تَدْرَعُ مِنْ سَوَادِ مِدَادِهِ
 خَفِيتُ مَعَانِيهِ عَلَى أَوْهَامِنَا
 طَلَعَتْ كَوَاكِبُهُ وَلَمَّا تَطَلَّعُ
 أَنَا مُذْنِبٌ لِاشْكُ إِذْ (٢) لَمْ أَسْتَطِعْ
 حَلَّتْهُ مِنْ طِيبِ الْإِخَاءِ مَحَبَّةٌ

٥
 ١٠
 ١٥

جَوْرًا ، وَأَقْرَأُ فِيهِ مَا لَمْ أَكْتُبِ
 وَسَوَادُ رَأْسٍ فَوْقَ قَلْبٍ أَشِيبِ
 وَأَرْوَحُ مُبْتَنِيًا بِأُخْرَى ثِيبِ
 لَا تُشْتَهَى وَأُزِفُ مَا لَمْ أُخْطَبِ
 مِنْهُ إِلَى قَلْبِ الْإِخَاءِ بِأَقْرَبِ
 نَسَبًا يُؤَلَّفُنَا فَتَحْنُ بَنُو أَبِ
 مَا بَيْنَ أَضْلَاعِ الْخُطُوبِ مُغِيبِ !
 سَفَحَ وَقَلْبٍ بِالسَّقَامِ مُعَذِّبِ
 وَسَجَنَتْنِي فِيهَا ، فَكَيْفَ شَعَرْتَنِي ؟
 بَيْنَ النَّفُوسِ صَاحِقًا لَمْ تُكْتَبِ
 وَأَرَقَّ مِنْ رِيْقِ الْحَبِيبِ وَأَعَذِبِ
 عَذِبٍ وَمُلْتَفَّ الْحَدَائِقِ مُعْشِبِ
 عِلْمًا ، وَأَثْمَرَ بِالْكَلامِ الطَّيِّبِ
 لَيْلًا كَفَعَلَ الزَّائِرِ الْمُرْقَبِ
 فَالْفِكْرُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبِ
 وَغَرَبَنَ فِيهِ لَنَا وَلَمَّا تَغْرُبِ
 رَدَّ الْجَوَابِ وَأَنْتَ غَيْرُ الْمُذْنِبِ
 فَيْكُمْ وَإِخْلَاصُ لَكُمْ فَتَطْيِيبِ

وبعث ماء الورد فيه سائغاً عذباً لذائقه زلالاً فاشرب^(١)
أذكى من المسك الفتيق نسيمه أرجأ وأصق من رضاب^(٢) الجندب

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله البزلياني
وابتات جملة مما تثر، مع ما يتعلق^(٣) بذلك من خبر

- وأبو عبد الله هو^(٤) أيضاً من ذلك الأوان^(٥)، أحدُ شيوخ الكتاب،
وجهازة أهل الآداب ممن أدار الملوك ودبرها، وطوى الممالك ونشرها. وقد
أجرى ابن حبان حرفاً^(٦) من ذكره، وشرح مآل أمره. ^(٧) وقد ألفت أنا
منه بلعة^(٨) في أخبار ابن عبد البر في القسم الثالث^(٩) من هذا المجموع.
وذكره بموضع آخر من كتابه فقال: ولما قبض^(١٠) عبّاد على البكريين
بأونبة وشلطيش وتملكهما منهم^(١١) سنة^(١٢) ثلاث وأربعين، جعل بهما ابنه
محمدًا، واستكتب ابن البزلياني الكاتب البليغ التحرير^(١٣). وإلى عبّاد^(١٤)

(١) هذا البيت ناقص في ...

(٢) و، ت، لب: لعاب (٣) ت، لب: يتشبث

(٤-٤) ت، لب: وأبو عبد الله البزلياني كان في ذلك الأوان أحد ...

(٥) و، ت، لب: طرفاً

(٦-٦) ت، لب: وقد أتيت به مشروحا في أخبار ...

(٧) ت، لب: بموضعه (٨) و: ولما قبض على البكري

(٩) نه في و (١٠) نه في و

(١١) نه في و (١٢) ت، لب: وإلى ابن عبّاد

صارت مصائرُه بعد تقلُّله^(١) في البلاد .

فصولٌ من تثره

فصل من رُقعةٍ عن حبُّوسٍ إلى ابن عبد الله أميرِ قرْمُونَة :

٥ من النصِّح تَقْرِيع ، ومن الحِفاظ تَضْيِيع ، ولكلِّ مقامٍ مقال . إذا عُدِي
به عنه اسْتَحال . ووصلَ إلى منك كتابٌ طمستَ مَنْحَاه ، وعَمِيتَ^(٢) مغناه .
أَوْمَاتٌ فيه إلى النصِّح ، ودلَّت على سبيلِ النُّجْح ؛ فوَقَّفتُ على فصولِه ومعانيه ،
وأحطتُ علماً بجميع ما فيه . ولم يكنْ لِمَنْ أَوْحِشتُ جِهَتُه ، وتغيَّرتْ مودَّتُه ،
أنْ يَدْخُلَ مَدْخَلَ النَّاصِحِينَ . وقد خرجَ من جُملة المُشْفِقِينَ . وكانَ بالجُملة
أَوَّلُه سَبَاب ،^(٣) وآخِرُه إِعْجَاب^(٤) ؛ والسَّبَاب لا يَنْطِقُ به كَرِيم ، والإِعْجَابُ
١٠ لا يَرْضَى به حَلِيم . وقد نَزَّهَنِي اللهُ عن المُقَارَضَةِ^(٥) بهذا ومِثْلِه . وما أَحْسَنَ
قَوْلَ القائلِ^(٦) :

وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَعْلَمُ رَأْيُنَا وَنَشْتَمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ
فَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَصْلِحَ مِنِّي بِسَبِّكَ فَاسِدًا ، وَتَسْتَقْرِيبَ مِنِّي وَدِّي^(٦)

(١) هـ : بعد أن تقلقل — ت ، لب : بعد طول تقلقله ...

(٢) ت ، لب : غمست

(٣—٣) هـ في ت ، لب

(٤) هـ ، ت : المعارضة

(٥) البيت لمحمد بن علقمة . رويت القطعة في حماسة أبي تمام ص ٣١٠ — طبعة بن

(٦) هـ : مني

بِاسْتِطَالَتِكَ مُبَاعِدًا ؛ فَمَا هَذِهِ شَيْمٌ يَقْضِي بِهَا الْفَضْلُ ، وَلَا سِيَّاسَةٌ يَحْكُمُ بِهَا الْعَقْلُ ^(١) . وَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ التَّخْوِيفَ وَالْإِيْعَادَ ، وَالْإِبْرَاقَ وَالْإِرْعَادَ ؛ فَقَدْ كَفَانِي بَيْتُ الْكُمَيْتِ :

أَبْرَقُ وَأَرْعِدُ يَا يَزِيدُ دُفَاوَعِيدُكَ لِي بِضَائِرُ

وَأَنَا أَحَدُ الْبَرَابِرَةِ ؛ لَا أَخْرُجُ عَنْ جَمَاعَتِهِمْ ، وَلَا أَبْعُدُ عَنْ مُوَاقِفَتِهِمْ ^(٢) .
وَلَا أَرْغَبُ بِنَفْسِي عَنْ نَفُوسِهِمْ .

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ ، وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشُدُ ^(٣) وَأَمَّا قَوْلُكَ : « فَمَنْ كَانَ مُتَّبِعًا قَلَّمَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ تَابِعًا ؛ وَمَنْ عُرِفَ فِي النَّادِي مُطَاعًا لَمْ يَنْقَلِبْ مُطِيعًا » إِلَّا أَنْ يُصَادِفَ هَذِي الْعَمْرَيْنِ . وَأَجْدِرُ بِذَلِكَ أَنْ يَبْعُدَ « فَقَدْ أَرَزَيْتَ عَلَى كُلِّ خِلَافَةٍ » وَبَيَّنْتَ أَنَّكَ خَارِجٌ عَنْ كُلِّ فِرْقَةٍ ، وَأَنَّ غَرَضَكَ الْمُحَامَاةَ عَنْ عِزِّكَ ، وَالْمُرَامَاةَ دُونَ حِرْزِكَ . وَلَيْسَ هَذَا نَظَرٌ مُشْفِقٌ ، وَلَا قَوْلٌ مُحَقِّقٌ ، إِذْ لَا تَتِمُّ دِيَانَةٌ إِلَّا بِإِمَامَةٍ يُدْعَى إِلَيْهَا ، وَتَجْرِي الشُّنُنُ عَلَيْهَا ، إِلَّا فِي مَذْهَبِ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ وَعَبْدِ رَبِّهِ وَأَشْبَاهِهِمَا ^(٤) .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا :

وَمَا ذِكْرَتُهُ مِنَ الذِّى وَقَعَ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ مِنْ بَنِي عَمْنَانَ بِالْعُدْوَةِ ، فَكُلُّ أَمْرٍ يَقْدَرُ ، وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٍّ ، وَالْذُّنْيَا أَحْوَالُ ، وَالْحَرْبُ سِجَالُ ، وَخَيْرُهُمْ وَشَرُّهُمْ

(١) هـ : العدل

(٢) هـ : مرافقتهم

(٣) ز فى ت ، لب : وفى لزوم الجماعة السداد والرشاد ، والنسب فى الانفراد والاستبداد

(٤) هـ ، ت ، لب : وأشباعهما

عَنَّا بَعِيد ، وَكُلُّ مَنْ نَصَرَكَ وَأَيْدَكَ فَهُوَ الْقَرِيبُ الْوَدُود ، وَإِنْ تَفَرَّقَتِ الْآبَاءُ
وَالْجُدُود . وَمَنْ شَذَّ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَفَارَقَهَا ، وَنَابَذَهَا ^(١) وَشَاقَّهَا ۖ فَهُوَ الْجَانِي عَلَى
نَفْسِهِ وَعَلَيْهَا ^(٢) ، وَالْجَارُ سُوءُ الْعَاقِبَةِ إِلَيْهِ وَإِلَيْهَا . وَأَكْثَرُ الْوَبَالِ وَقَعُ عَلَى
الظَّالِمِ ۖ وَنَازِلٌ بِالْجَارِمِ ؛ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ ۖ وَالْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ .

٥ قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَذَكَرْتُ بِإِنْشَادِهِ : وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا .. الْبَيْتَ ، مَا حَدَّثْتُ
بِهِ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْحُمُودِيِّ ^(٣) فِي أَيَّامِ مُحَارَبَتِهِ لِإِسْبِيلِيَّةٍ وَبَعْضُ الرِّجَالَةِ يُعْلِنُ
بَثْلِهِ ۖ وَيَصْرُخُ أَقْبَحَ التَّصْرِيحِ بِسَبِّهِ ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ قَدْ تَحَصَّنَ مِنَ الْأَسْوَارِ ،
وَاحْتَجَبَ عَنْهُ بِمَا دُونَهُ مِنْ حِمَاةِ الدَّمَارِ ، فَدَبَّ إِلَيْهِ دَبِيبُ الْكَرَى ، وَسَاوَرَهُ
مُسَاوَرَةً لَيْثِ الشَّرَى ، حَتَّى خَالَطَهُ سَيْفُهُ ^(٤) الصَّقِيلُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَرَكَزِهِ
١٠ وَهُوَ يَقُولُ : « وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّفِ »

وَلَهُ مِنْ ^(٥) أُخْرَى عَنْهُ إِلَى ابْنِ ^(٦) مُنْذِرٍ :

وَاتَّصَلَ بِي مَا وَقَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمُؤْتَمِنِ وَأَبِي الْمُنْذِرِ وَالْمَوْفِقِ وَعُضُدِ الدَّوْلَةِ
أَبِي الْحَسَنِ ، وَأَنَّكُمْ اضْطَرُّرْتُمْ إِلَى إِخْرَاجِ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ النَّصَارَى إِلَى بِلَادِ
الْمُسْلِمِينَ ، فَنَظَرْتُ فِي الْأَمْرِ بَعَيْنَ التَّحْصِيلِ ، وَتَأَوَّلْتُهُ بِحَقِيقَةِ ^(٧) التَّأْوِيلِ ؛

(١) ت ، لب : وناقدها

(٢) ت ، لب : وعلينا ... وإلينا

(٣) هـ ، ت ، لب : ابن حمود (٤) هـ بسيفه

(٥) هذه الرسالة ناقصة في ت ۖ لب (٦) هـ : إلى منذر

(٧) هـ : حقيقة

فَعَظُمَ قَلْبِي ، وَكَثُرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَفَقِي ، فِي أَنْ يَطَّأُ أَعْدَاؤُهُمْ بِلَادَهُمْ ، ^(١) وَيُوتِمُوا
أَوْلَادَهُمْ ^(٢) ، وَيَتَسَّعَ الْخَرَقُ عَلَى الرَّاقِعِ ، وَيَنْقَطِعَ ^(٣) طَمَعُ التَّلَاقِ عَلَى
الطَّامِعِ . وَلَوْ لَمْ تَكُنْ — يَا سَيِّدِي — الْفِتْنَةُ إِلَّا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالتَّشَاجُرُ إِلَّا
بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَكَانَتْ الْقَارِعَةُ الْعُظْمَى . وَالذَّاهِيَةُ الْكُبْرَى . فَإِذَا تَأَيَّدْنَا
بِالْمُشْرِكِينَ . وَاعْتَصَدْنَا بِالْكَافِرِينَ . وَأَبْجَحْنَا حُرْمَتَنَا ، وَمَنْحَنَاهُمْ قُوَّتَنَا . وَقَتَلْنَا
أَنْفُسَنَا بِأَيْدِينَا ، وَأَدَّتْنَا إِلَى التَّدْمِ مَسَاعِينَا ، كَانَتْ الدَّائِرَةُ أَمْضًى ، وَالْخَيْرَةُ
أَرْمَضَ ، وَالْفِتْنَةُ أَشَدَّ ، وَالْمَحْنَةُ أَهْدَى . وَالْأَعْمَالُ أَحْبَطُ ، وَالْأَحْوَالُ أَسْقَطُ .
وَالْأَوْزَارُ أَثْقَلُ ، وَالْمَضَارُّ أَشْمَلُ . وَاللَّهُ يُعِيدُنَا مِنَ الْبَوَائِقِ ، وَيَسْلُكُ بِنَا
أَجْمَلَ الطَّرَاقِ .

وَلَمَّا انْتَهَرْتُ أَنْ يُسْفِرَ لِي ذَلِكَ الدِّيَجُورُ . وَتَسْتَقَرَّ تِلْكَ الْأُمُورُ ، وَأَبْطَأَ ١٠
ذَلِكَ عَلَيَّ ، وَلَمْ يَعُدْ مِنْ قَبْلِكَ رَسُولٌ إِلَيَّ ؛ دَاخَلْتُ عَمِيدَ الدَّوْلَةِ جَارِي فِي هَذِهِ
الْأَنْبَاءِ ، وَرَاوَضْتُهُ فِي عِلَاجِ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ ؛ وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي لِلْمُسْلِمِينَ الْحِصْنُ
الْحَصِينُ ، وَالسَّبَبُ ^(٤) الْمَتِينُ ، وَالنَّصِيحُ الْمَأْمُونُ . فَاجْرِ فِي جَمْعِ كَلِمَتِهِمْ ، وَالْمُرَامَةِ
دُونَ حَوَازَتِهِمْ .

وَلَهُ مِنْ ^(٥) أُخْرَى :

١٥

يَا سَيِّدِي الَّذِي قَطَعْتَ بِالْإِتِّصَالِ بِهِ مُدَّةَ ^(٦) عُمُرِي ، وَنَظَّمْتَ فِي أَجْيَادِ
عُلَاهُ دُرَرَ حَمْدِي وَشُكْرِي ؛ وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ لِلْفَضْلِ ^(٧) يُرْسِي هِضَابَهُ . وَالْعِلْمُ

(١-١) هـ : وَيَقْتُلُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ

(٢) هـ : وَيَقْطَعُ (٣) ر : السِّيفُ (٤) هـ : رَقْعَةٌ أُخْرَى

(٥) ت ، لب : مَسَافَةٌ (٦) هـ : لِلْعِلْمِ — ت ، لب : لِلْحِلْمِ

يُذَلُّ صِعَابَهُ ، والمجدِ يُولَّفُ مُخْتَلِفَهُ ، والحمدِ يلبَسُ مُفَوِّفَهُ ؛ أنا أحمَدُ حالاً
 آوْتَنِي ^(١) إِلَيْكَ وَإِنْ كَانَتْ ذَمِيمَةً ، وَعِلَّةٌ أَصَحَّتْ أَمَلِي وَإِنْ كَانَتْ مُلِيمَةً ^(٢)
 فَقَدْ عَادَتْ ^(٣) كَرِيمَةً ، فَرُبَّ صَغِيرَةٍ عَادَتْ عَظِيمَةً ، وَهِيَاهُ مَنْ رَغِبَ عَنِ
 الْفَضْلِ فَنَفْسَهُ ^(٤) ظَلَمَ ، وَمَنْ فَرَّ مِنَ اللَّيْلِ أَدْرَكَهُ حَيْثُ خِيَمَ . وَمَنْ لَكُلِّ
 ظَمَانٍ بَعْدَ زُلَالٍ ، وَلِكُلِّ أَمَلٍ بَنِيْلٍ أَلَمَالٍ ؟ وَمَا كُلُّ مُسْتَسْقٍ يُمَطَّرُ ،
 وَلَا كُلُّ طَالِبٍ يَطْفَرُ . وَلَوْلَا الْعِلَلُ لَمْ تُحْمَدِ الصَّحَّةُ ، وَلَوْلَا التَّرَحُّةُ لَمْ تَطِبِ
 الْفَرَحَةُ . وَمَا ضَاقَ عُذْرُ مَنْ وَسِعَهُ حِلْمُكَ ، وَلَا خَذَلَ دَهْرُ مَنْ نَصَرَهُ عَزْمُكَ .
 وَمَا عِشْتُ يَا سَيِّدِي غُمْرًا لَمْ أَقْطَعُهُ فِي ذَرَاكَ ، وَلَا نِلْتُ حَظًّا لَمْ يَكُنْ بِمُسْعَاكَ ،
 وَلَا حَسُنَ لِي عَمَلٌ خَالَفَ هَوَاكَ ، وَلَا لَدَّ لِي أَمَلٌ لَمْ يَكُنْ بِرِضَاكَ . وَالْآنَ قَدْ
 ١٠ أَمَكَّنَكَ اسْتِرْقَاقُ حُرِّ رَائِدِهِ مِنْ حُرِّيَّتِكَ ، وَابْتِنَاءُ مُجْدٍ ^(٥) دَعَائِهِ مِنْ سَرُّوكِ
 وَمُرُوءَتِكَ ؛ فَالْأَيُّ مُصْحَبٍ لِمَرَامِكَ ، وَالْعَصِيُّ مُطِيعٌ لِعِزَامِكَ . وَمَا أَحْسَنَ
 الْعَافِيَةَ وَلَا كَحُسْنِهَا بَعْدَ الْبَلَاءِ ، وَمَا أَلَذَّ السَّعَادَةَ وَلَا كَلَذَّتِهَا بَعْدَ الشَّقَاءِ !
 وَمَا أَتَقَعَ الْوَرْدَ لِقَلَّةِ الْخَوَامِسِ ، وَأَطْيَبَ الظِّلَّ لِلضَّاحِي السَّامِسِ ! وَمَنْ عَدِمَ
 الشُّفْعَاءَ قَامَتْ أَمَامَهُ فُضَائِلُكَ ، وَمَنْ قَسَا عَلَيْهِ الزَّمَنُ ^(٦) لَانَتْ لَهُ شِمَائِلُكَ .
 ١٥ وَالشَّمْسُ بَعْدَ السَّحَابِ أَبْهَى ، وَالْإِمْكَانُ بَعْدَ التَّعَذُّرِ أَشْهَى . وَمَنْ يَحْسِدُ
 مُنَاوِنًا ، وَيَغِيْطُ مُضَاهِيًا ، فَأَنَا أَحْسِدُ قِرْطَاسِي عَلَى مُلَاقَاتِكَ ، وَأَغِيْطُ نَفْسِي ^(٧)
 عَلَى مُنَاجَاتِكَ . فَإِنْ مُنِعْتُ عَنْكَ عَيْنِي فَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي كُلِّ حَسَنِ تَرَاهُ ، وَإِنْ

(١) و : أدتني — ت ، لب : أدتني

(٢) ت ، لب : سليمة (٣) و ، ت ، لب : وضعت

(٤) و : بنفسه فقد ظلم (٥) و ، ت ، لب : اغفر

(٦) و ، ت ، لب : الزمان (٧) و ، ب ، لب : أنفاسي

حَزِنْتُ بِالْبُعْدِ مِنْكَ فَقَدْ سُرِرْتُ بِمَا مِنْ لِقَائِكَ أَمْنًا . وَاللَّهُ يُدْنِي مِنْ حَضْرَةِ
الْمَجْدِ ، وَالتَّيْمَاحِ غُرَّةَ السَّعْدِ .

وله فصل من رُقعة :

وَتَوَجَّهْ فَلَنْ إِلَى مَا قَبْلَكَ يَا مُلُ سَنًا أَضَاءَ فَهْدَاهُ ، وَرَجَاءَ هَبَّ لَهُ نَسِيمُهُ
فَحْيَاهُ وَأَحْيَاهُ . وَإِنَّ طَائِرًا أُجْرِيَ بِسَعْدِكَ لَسَانِجٍ ، وَإِنَّ تَاجِرًا ^(١) افْتَتَحَ بِاسْمِكَ
لَرَابِحَ ، وَبِعِزِّ مَاتِكَ ^(٢) تَفْعُذُ الْأَسِنَّةُ فَكَيْفَ أَشْحَذُهَا ، وَلِمِثْلِكَ تَنْفَعُ التَّدْكَرَةُ
فَكَيْفَ أَنْبِذُهَا ؟ وَقَدْ تَهَزُّ الصَّوَارِمُ فَتَقْدُّ الدَّرُوعَ ، وَتُهَاجُّ الضَّرَاعِمُ فَتَقْضُ
الْجُمُوعَ ؛ وَحِمَاكَ الْإِسْلَامُ فَكَيْفَ يُبَاحُ ؟ وَرُكْنُكَ الْإِيمَانُ فَكَيْفَ يُزَاحُ ؟
وَجَارُكَ الْأَدَبُ فَكَيْفَ يُهْتَضَمُ ^(٣) ؟

وله ^(٤) فصلٌ مِنْ أُخْرَى عَنْ حُبُوسٍ إِلَى صَاحِبِي شَاطِبَةِ :

١٠ . . . وَقَدْ عَقَدَ اللَّهُ بَيْنَنَا عُقُودًا قَادَهَا لِلَاخْتِيَارِ ؛ وَفِي طُولِ الْأَمَدِ ^(٥) ،
وَتَصَرُّمِ ^(٦) الْمُدَدِ ، وَتَبَاعُدِ الدِّيَارِ ، وَتَقَلُّبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، مَا يُحِيلُ الْأَحْوَالَ ،
وَيَقْطَعُ الْأَمَالَ ، وَيُشْفِقُ مِنْهُ الضَّنِينَ ، وَتَسْوَى مِنْهُ الظُّنُونُ ؛ لَا سِيَّامًا إِلَى هَذِهِ الْفِتْنَةِ
الَّتِي تُبْلِدُ الْحَلِيمَ ، وَتَخْلِطُ الصَّحِيحَ بِالسَّقِيمِ . وَأَنَا لَكُمْ الصِّقُّ الَّذِي لَا تَقْدَحُ

(١) م ، ت ، لب : متجرا (٢) م : بعزمتك

(٣) ز في م : وحزبك القرآن فكيف يغلب ويذم

(٤) هذا الفصل ناقص في ت ، لب :

(٥) م : العهد

(٦) م : وتصرف

الأيام في وده ، والوفى الذى لا يخشاه الأنام على عهده . وإذ لا سبيل إلى أن
أودى معتدى في ذلك مشافهة ، فإنى أنبأته مكاتبة ، مع من ينطق بلسانى ،
ويشفق بجنائى ، الصق أسرتى نسبا ، وأفضل خاصتى حسبا ، وأصدقهم عقى
خبرا ، وأحمدهم فى السفارة أثرا ، الوزير أبى ^(١) فلان .

وله فى فصل :

تفديك نفس نفست عنها خناق الكروب ، وأنقذتها من أيدي شعوب ،
وأسال الذى سنى لك الفضل على ، وجعل من نعمتك أكبرى ^(٢) : همتى ولبي ،
وطبع بشكرك أضغرى : لسانى وقلبي . أن يجزيك جزاء من أحسن ثم
أعاد ^(٣) ، وإلى فضله وزاد ، كالرياض تعاهدتها ^(٤) العهد ؛ وألا يحليك من فعل
يكتب الذكركم تحاسنه على صفحات الدهر ، ويصير ثاقبه ^(٥) فى سماء الفخر
١٠ ثالث الشمس والبدر .

وله فى فصل من أخرى :

قد قيّدنى من برك وإيثارك ما أفصح عن طيب إنجازك . وأوضح عندي
كريم آثارك ، وتركنى أرسف فى قيود الامتنان ، وأنوء ^(٦) بأعباء الإحسان .

(١) فى الأصلين : أبو

(٢) ، ت ، لب : أكبرهمنى ولبي — وفى هـ : وجعل من أكبر همتك نعمتك إلى

(٣) هـ ، ت ، لب : عاد (٤) هـ : تعاهدما

(٥) هـ : باقية — ت ، لب : وتصير باقية

(٦) ت ، لب : ولا أنوء بأعباء — ر : ولا أبوء بأعباء

وأفعدني عن لقائك لسان حَسِير ، وخطر بهير ، وحد كليل ، ولحظ من
الحياء عليل ، وشيمة^(١) الدهر إذا صفا تكدر ، وإذا عافى تنكر ، وإذا سر
أحزن ، وإذا سهل^(٢) أخشوشن ، وإذا سمح بالإنعام بحل بالتمام .

وله فصل :

- هذا الوقت الذي كنت أتأناه^(٣) ، والحين الذي مازلت أتمناه ، والزمن^(٤)
الذي قاسيت فيه تعب الانتظار ، وقطعت إلى بلوغه مسافة الليل والنهار .
وإلى مثلك يتقرب بإخلاص الوداد ، ومن فضلك تجتنى ثمرة حسن^(٥)
الاعتقاد ؛ ولا يجمع رجائك^(٦) واليأس في قلب ، ولا تحل محبتك^(٧)
والحرمان في قلب .

وله في فصل :

١٠

البذر موصوف ولا كصفة الساري به ، والبحر معروف ولا كعرفة
الجاري فيه . وقد جلوت بنورك من الظلمات ، واجتليت بجنابك من الأمنيات ،
ما وسم زماني^(٨) الغفل ، وصار لذلك الدهر على سائر الدهر^(٩) الفضل ؛

(١) ت ، لب : وسمة

(٢) هـ : وإذا لان — ت ، لب : وإذا أسهل أحزن

(٣) ت ، لب : أتأناه — هـ : أنساقاه

(٤) ت ، لب : الزمان (٥) هـ في ت ، لب

(٦) ر : رجائه (٧) ر : محبته

(٨) هـ ، ت ، لب : أي (٩) ت ، لب : الدهور

أَيَّامَ نَادِيكَ مَحْطٌ كُلُّ مُرْتَادٍ ، وَجَارُكَ أَمْنَعُ مِنْ جَارِ أَبِي دُؤَادٍ ، إِلَى أَنْ ضَرَبَ
الْبُعْدُ بِجِرَانِهِ ^(١) ، وَحَكَمَ الدَّهْرُ بَعْدَوَانِهِ ، وَأَعَادَ الْعَيْنَ أَثَرًا ، وَالْخُبْرَ خَبْرًا ،
وَاللِّقَاءَ تَوْثَمًا ، وَالْمُنَاسِمَةَ ^(٢) تَوْثَمًا ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا خِسْتُ بِذِمِّهِ فَضَائِلَكَ ، وَمَا
أَنْسَيْتُ إِلَّا بِكَرَمِ شَمَائِلِكَ ؛ أَمْزِجْ بِذِكْرِهَا خُطْبَانَ الْخُطُوبِ فَتَحْلُو لِي ،
وَأُسْرِجْ بِسَنَاهَا فِي أَجْفَانِ الْكَرُوبِ فَتَنْجَلِي ، وَأَرْمِي بِهَا إِذَا هَوَى سَهْمِي
فِيضِيبٍ ، وَأَتَنَسَّمُ عَرْفَهَا إِذَا خَوَى نَجْمِي فَيَصُوبُ .

وَحَارَبْتَنِي الْأَيَّامُ عَلَيْكَ . فَلَمْ تَوْجِدْنِي سَبِيلًا إِلَيْكَ ؛ إِلَى أَنْ طَلَعَ نَجْمُكَ فِي
مَطْلَعِهِ . وَوَقَعَ حَزْمُكَ ^(٣) فِي مَوْضِعِهِ ، وَأُعْطِيتِ الْقَوْسُ بَارِيَهَا ، وَالسَّهْمُ
رَامِيَهَا ، وَالدَّرَرُ أَجْيَادَهَا ، وَالغُرُرُ جِيَادَهَا ؛ وَفِي الشَّمْسِ يَقْوَى الشُّعْدُ ، وَفِي
عُنُقِ الْحُسْنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ . ١٠

وَلَهُ ^(٤) مِنْ أُخْرَى إِلَى ابْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ :

طِيبُ ثَنَائِكَ ثَنَى إِلَيْكَ أَنْسَى . وَغَرِيبُ وَفَائِكَ أَفَاءَ عَلَيْكَ نَفْسِي .
وَالثَّنَاءُ النَّفِيسُ شَرَكُ النَّفُوسِ ؛ وَفِعْلُ الْمُحِبُّوبِ مَصَائِدُ الْقُلُوبِ ؛ وَمَنْ كَانَ
الْفَضْلُ مِنْ أَنْصَارِهِ ، أُجْتَمَعَ عَلَى إِيثَارِهِ ؛ حِينَ طَلَعَتْ مِنْ سَمَاءِ فَضْلِكَ نُجُومُهُ .
وَنَضَرَ بِكَ ^(٥) مِنْ رَوْضِ رَجَائِي هَشِيمُهُ . وَأَنَا أَحْمَدُ لِلْأَيَّامِ هَذِهِ الْكَرَّةُ . ١٥

(٢) ر ، ت : المناسبة

(١) و ه : بمجذاته

(٣) و ه : عزيمتك

(٤) هذا الفصل ناقص في ت ، لب

(٥) عبارة و ه : ونضر من روض رجائك

وَأَسْتَغْرِبُ^(١) مِنْ أفعالها هذه النُدرة . وَأَحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ سَيِّدِي أَنِّي سَابِقُ فِي
مِضْمَارٍ وَدَادَةٍ ، لَاظُّ^(٢) بِثَنَائِيَا ارْتِبَاطِهِ وَاعْتِقَادِهِ ، أَثْنِي عَلَيْهِ خِنْصَرِي إِذَا
عَدَدْتُ وَاعْتَدَدْتُ^(٣) ، وَأَبْدَأُ بِهِ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ إِذَا كَتَبْتُ مَنْ وَدَدْتُ وَاعْتَقَدْتُ .
وَلَهُ أَعَزَّهُ اللَّهُ الرَّأْيُ الْعَالِي فِي قَبُولِ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ، وَالنِّزَاعُ إِلَى مَنْ نَزَعَ
إِلَيْهِ . فَأُقْسِمُ لَوْ كَتَبَ عَنِّي عِطَارِدٌ ، أَوْ جَعَلْتُ لَكَ النُّجُومَ قَلَانِدًا ۖ مَا أَقْنَعُ فِي ٥
وَصْفٍ وَدَادِي ، وَلَا بَلَفْتُ الْأَمَلَ مِنْ مُرَادِي .

وله من أخرى إلى أبي جعفر ابن عباس وقد زاره فلم يُوفِّه حقه :
كُلَّفُ الْمُرُوءَةِ — أَبْقَاكَ اللَّهُ — صَعْبَةٌ إِلَّا عَلَى الْكِرَامِ ، وَطُرُقُ الْجَفَاءِ
رَحْبَةٌ لِسُلُوكِ اللَّثَامِ ، وَالْأَحَقُّ يُرَى الْبِرَّ خُسْرَانًا ۖ وَيَعْتَقِدُ إِكْرَامَ الْوَافِدِينَ^(٤)
نُقْصَانًا ۖ فَيَمْنَحُ الْكَثِيرَ مِنْ عِرْضِهِ ، وَيَمْنَعُ الْيَسِيرَ مِنْ عِرْضِهِ ۖ وَيَلْبَسُ دِرْعًا ١٠
وَهُوَ مَهْتَوِكٌ بِالطَّغْنِ ، وَيَجْعَلُ الْكِبْرِيَاءَ رِدَاءً^(٥) وَهُوَ مُطَرَّزٌ بِاللَّغْنِ ؛ وَالْكَبْرِيَاءُ
رِدَاءُ اللَّهِ الَّذِي مَنْ جَاذَبَهُ إِيَّاهُ قَصَمَهُ ؛ وَالتَّقَى حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ
عَصَمَهُ ، وَمَا يَتَكَبَّرُ مُتَكَبِّرٌ إِلَّا مِنْ جَهْلِهِ ۖ وَعُجْبُ الْمَرْءِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ ؛
وَالْمُتَكَبِّرُ فِي الثَّفُوسِ صَغِيرٌ ۖ وَالْمُتَوَاضِعُ فِي الصُّدُورِ كَبِيرٌ ؛ وَالرَّافِعُ مَنْ تَرَفَّعَ
عَنِ الدَّنَائَاتِ ، وَالْوَضِيعُ مَنْ ادَّعَى لِنَفْسِهِ وَاجِبًا وَضَيَّعَ الْوَاجِبَاتِ . وَجِئْتُكَ ١٥

(١) وه : استعذب

(٢) ر : لاض — وه : لاحق بغايات

(٣) وه : إذا عدت من أعدت

(٤) وه : الزائر — ت ، لب : الزائر

(٥) وه ، ت ، لب : رداء

زائراً، فكان^(١) جئتُك آملاً، وأردتُ مصاحتك فما مددتَ يداً، وطلبتُ معانفتك نفلتُك مُقعداً، وبعد أن هممتُ بالهوضِ أفعذك الكسل، كأنك خُمصانة^(٢) أثقلها الكفل؛ وجعلتُ تُشيرُ بالحاجِبِ وتلوي الشفة، وتدعى بالجهلِ في كلِّ شيءٍ معرفة. فما كانَ ضَرَك^(٣) حينَ أخلتَ لوأجلتَ، وما كانَ يسوؤك حينَ ناظرتَ لوأجملت^(٤)، وما كانَ ينقصُك حينَ حكمتَ لوعدلتَ؟

زعمتَ أني أخطأتُ في كتب^(٥) «سَحْنُ الوجهِ» بالسَّينِ وطمستَ طُرُقَ الخَارِجِ لي وهي تستبين، وهذه اللغة^(٦) كُلُّها قد طلبتُها فلم أجد فيها «سَحْنُ الوجهِ» بالصاد، فإن أردتَ أن تستعيرَ «صَحْنُ الدَّارِ» للوجه فلا يبعد أن أجعلَ «السَّحْنُ» جمعَ سَحْنَةٍ، وهو أَقْرَبُ وأَعْرَفُ؛ وإن قلتَ إن الأكثرَ^(٧) اتفقوا على كتابته بالصاد فإن لمثلِي أن يختارَ في كلام العرب ما أَرَادَ. وما أبرئُ نفسي من زَلَّةٍ ولا أعصمُها من ظُهورِ خَلَّةٍ؛ فالأديبُ يجعلُ للأديبِ مَخْرَجاً، ولا يجعلُ بابَ العُذْرِ له مُرتجاً.

وفي فصل منها :

ومن العجب أن تلُصِّبني إلى الشَّعوذةِ وهي حصنك^(٨) إذا^(٩) غلبت .

(١) ت ، لب : فكأنى — وه : كاني

(٢) وه ، ت ، لب : وهنانة (٣) وه : يضرك حين حلت

(٤) ت ، لب : أكلت (٥) وه ، ت ، لب : كتاب

(٦) وه : وهذه كتب اللغة (٧) ت ، لب : أكثر العرب

(٨) وه : حظك (٩) ر : إذ

وتلحّنتني في التُّطْقِ وهي عادتُك إذا كتبت . ولعمري لقد قلّتها ولقد جهلتها .
وتركتها وما عرفتُها ! وكما أنَّ بركة الأشجار في الأنوار ، فكذلك بركة
الأدب في الرسائل والأشعار . فإِنَّ رسائلُك وأشعارُك ، ومؤلفاتُك وآثارُك ؟
هيئات هينات ! غلبك على الحقُّ أهله . ونقلَك ^(١) عنه جهله ! وكفأك ما طار
لك من حُسن الذِّكر ، وطيب الشُّكر ^(٢) ، ولمثلُه فاعمل ، وعلى ما كسبت .
منه فتوكل ، فستحصدُ الذي زرعت ، وتعلمُ عاقبة ما صنعت ^(٣) .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عباس وسيّاقه
جُملة من نثره ، مع ما يتعلق من الأخبار السلطانية بذكره .

كان أبو جعفر هذا قد بذَّ ^(٤) أهل زمانه في أربعة أشياء :

المالُ أولاً . لم يجتمع — زعموا — عند أحدٍ من نظرائه ما اجتمع عنده . ١٠

(١) م ، ت ، لب : ونفك (٢) م ، ت ، لب : النسر

(٣) يلي هذا الفصل جملة فصول لم ترد إلا في نسختي ت ، لب . وقد قدّم لها من
أوردها من مسودّات ابن بسّام بما يأتي : وهذه نبذة من كلامه [أي البزلياني] الواقع من
هذا السفر ، مكان الواسطة من عقد البكر . جميعها أبو الحسن في مسودة هذا التأليف .
ورأيت قد أُلغ منها عند التحرير بالترز اللطيف ، على عادته من إثبات الاختصار واقتضاب
ما يتخلّص على الالتقاء والانتخاب . وقد رأيت أن أجبر منها هذه الأوراق التي بقيت بيضاء ،
بما ينجل الروض أريضا ، ويزري بالمسك فضيضا ، تحفظاً بتلك الآثار الكرام أن تطفو .
وخوفاً على تلك الأنوار الوسام أن تخبو . فأثرنا لإثبات هذه الفصول في آخر هذا المجلد
إتماماً للفائدة

(٤) ت ، لب : قد بذ الناس وقته

من عَيْنٍ وَوَرِقٍ ، وَدَفَاتِرٍ وَخِرَقٍ ، وَآنِيَةٍ وَمَتَاعٍ . وَأَثَاثٍ وَكُرَاعٍ .
 (١) وَالْعُجْبُ : فلم يكن الفضل بن يحيى ، ولا معلمه عُمارة بن حمزة . ولا
 عبيد الله بن ظبيان ، ولا مطعم بن جبير . في ذلك إلا بعض قوَى سببه ،
 وحُثالة واطيء عقبه (٢) .
 ٥ وَالْبُخْلُ : حتى لو أن الجاحظ رآه ما ضرب في البخل مثلاً ، ولا ذكر في
 رسالته رجلاً . له في ذلك أخبار تخرق سُجُفَ العادة ، وتضيّق عن قبول الزيادة .
 حَدَّثْتُ عن الوزير أبي محمد بن الجَدِّ . وكان امرأً صِدْقٍ ، أنه (٣) سافرَ
 أَيَّامَ شَيْبَتِهِ في مُعَسْكَرِ زُهَيْرِ فَنِيَ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ أَمْرُهُ ، وَيَشْتَهَرَ
 بِصُحْبَةِ السُّلْطَانِ ذِكْرُهُ ؛ فَرَحُّلُوا في بَعْضِ الْأَيَّامِ وَقَدْ خَلَصَ إِلَى الْأَحْشَاءِ بَرْدُ
 ١٠ الْأَجْسَامِ ، وَسَوَّى بَرَسُ السَّمَاءِ بَيْنَ الْغَيْطَانِ وَالْأَكَامِ ، حَتَّى كَانَتِ الْأَرْضُ
 صَفِيحَةً (٣) حُسَامٍ . أَوْ صَبِيرُ غَمَامٍ ؛ وَغَبَّ مَطَرٌ قَدْ غَادَرَ الْكُثْبَانَ وَعُوثَا ،
 وَصَيَّرَ الْمَسَالِكَ تِلَاعًا مَيْثَا ؛ فَكَتَبَتْ بِهِ فَرَسُهُ وَقَدْ تَأَخَّرَ عَنْ صَحْبِهِ ، وَسَاخَتْ
 رِجْلُهُ فِي بَعْضِ ذَلِكَ الْخَبَارِ فَصُرِعَ لِجَنْبِهِ . وَكَانَتْ عِنْدَهُ فَرَوَةٌ فَفَكَرَ قَدْ
 أَعَدَّهَا لِأَيَّامِ الْوَفْدِ ، فَاسْتَظْهَرَ بِهَا يَوْمَئِذٍ عَلَى شِدَّةٍ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ .
 ١٥ وَخَافَةً مِنْ عَادِيَةِ ذَلِكَ الْبَرْدِ . فَأَصَابَهُ مِنَ الطَّيْنِ مَا كَادَ يُشَكِّكُهُ فِي عِيَانِهِ ،
 وَأَقَامَ عَامَّةَ يَوْمِهِ عَلَى إِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ شَأْنِ فَرَوَتِهِ وَشَأْنِهِ . فَوَرَدَ الْعَسْكَرَ

(١-١) مؤخرة في ت ، لب عن كلامه في البخل

(٢) الخبر في ت ، لب مسند إلى ضمير المتكلم

(٣) و ت ، لب : صفحة

وقد زاحم الليل ، وبث الوزير المذكور في طلبه الخيل . فساعة رآه قال له :
ما غالك ، وأى شيء حبسك لا أبالك ؟ فطفق يقص عليه أمره وهو يضحك ،
وكان آخر ما راجعه به أن قال : أو ما عندك غير ذلك الفنك ؟ ثم انتفخ
في إهابه ، واستدعى قهرمان ثيابه ، وقال له : كم أودعت عياني ، وأدرجت
أثناء ثيابي^(١) في سفرنا هذا من الأفناك ؟ فجاء منها بعدد ، ما ظن أنها
تجتمع لأحد ، ولا يحيط بها ملك يد . قال أبو محمد : ولم أشك في تحصيل
فروته^(٢) ، وجرّ ذيول كسوته ، فوالله ما زاد على أن عدّها ، وأمر القهرمان
فردّها . ثم قال : يا أبا محمد ، هذه ثياب سفرى ومهنتى ، فكيف لو رأيت
ثياب المدينة ، وملابس الزينة !

والكتابة ، وهى أقل أربعته . وعلى كل حال فله بها يد ، ونفس ممتدّ ،
وفيها يوم وغد ، وعدّة وعدد . وقد ذكر ابن حبان من أين غرّب وطلّع ،
وكيف طار حتى وقع . وأنا مثبت من ذلك في هذا المكان ، ما يليق بهذا الديوان ،
بعد إثبات بعض فضائله ، واستخراج^(٣) ما حضرني من رسائله .

(١) ه ، ت ، لب : فى أثناء

(٢) ه ، ت ، لب : فروة ... كسوة

(٣) ه ، ت ، لب : وإخراج

فصول له في أوصاف شتى

من ذلك رقعة^(١) خاطب بها أبا المغيرة ابن حزم^(٢)، قال فيها :
 أنهى إلى كتابك رجل طویل القامة، صقل^(٣) الهامة، بعينيه ليانة،
 وعلى أسنانه طرامة، وفي شاشيته^(٤) وضارة، وفي منطقته لكمة صعبة، وعلى
 أنفه عقدة كالكمة. وفي أطواقه سعة، يخرج منكبه من أقطارها كأنها
 ثياب وال، أو شبارق راهب تائه^(٥)، وفي مشيته تفحج قبيح كأنه عائم في
 يمس^(٦)؛ وعليه غفارة شفاة شبكية السدارة^(٧)، وأظن العالقة غزلت صوفها
 زمن الفطخل، والأ كسرة تولت صباغها^(٨) عام الصفر؛ كأنها الطيلسان
 الحربي. أو الثبان السعدي. ولقيت الرجل وقد أحاط بي جمع، والتف على
 قوم، فوقف معي موقفا^(٩) كفاك الله خزيه^(١٠)، ولا وقفك مثله. وقد
 عهدتك تجرى بميدان الفكاكة، وتنخرط في سلك الدعابة. فلما أسلم إلى
 الكتاب ولحظت عنوانه، وحياني بلفظ لم أفهم لسانه، قلت : خباها
 أبو المغيرة^(١١) ورب الكعبة، وأهدى إليك بهذا الإنسان لعبة؛ ورماك عن
 قوس فكاهته بهيئة باذة. ودهالك من تمائيل خياله^(١٢) بطلعة شاذة؛ وسد

(١-١) نه في ت، لب (٢) نه : صقل

(٣) ر : شاسته — نه : شاشه (٤) نه في ر، ت، لب

(٥) ت، لب : ييس — نه : بئر (٦) في الأصول « السداوة »

(٧) نه : صبغها (٨-٨) نه في و

(٩-٩) نه في ت، لب (١٠) ت، لب : حيله

تطيببك^(١) بسداد من ثغره ؛ وطار إلى أفق تديرك^(٢) بجناح من هزله ؛
فماسكت وما كدت . ثم تجلّت ؛ ولجأت إلى فض الكتاب ، وابتغيت^(٣)
لأستتر^(٤) بجملته^(٥) أسباب ؛ واعتصمت بعصمة خطّه الموشى ، ولفظه البالي .
وصعدت في الكتاب وصوبت^(٦) ، حتى رأيت النسب . وسمعت القلب ،
فقلت : الزجل — لا محالة — عبري^(٧) المنتهى . وشاهد الطلعة^(٨) عدل^٥
مركي . فوَحَقَّ الطرب ، وحرمة الأدب ، لقد هممت أن أوفي الشطارة
حقها ، وأسم الخلاعة وسمها ، فأجعل في يده عكاز قصبة خضراء ، وفي رأسه
قلنسوة بيضاء . وأضع على عاتقه^(٩) خرجاً بنخاله ، وأقيم من نفسي ومن حضر
عرافة وآلة . وأخذ به من^(١٠) طرقي بني مردخاي^(١١) ، وأقلده سيف الباجي
أبي القاسم ، فإنه صفيحة مقشرة لا غرار^(١٢) لها ولا خطبة ، كأنه قضيب صاحب
أسفريا^(١٣) ، أو عمود تركي^(١٤) لم يحدد له زجاً ؛ وهذا شرط ذلك اللعب ، ففي
نفوس القوم خور ، لا تحمل معه السلاح إلا بخوف وحذر . وتأملت خفيه فإذا

(٢) ت ، لب : تديرك

(١) و : بطشك

(٤-٤) و في ت ، لب

(٣) ت ، لب : وابتغيت نقلة

(٦) ز في ت ، لب : لأعمل لنفسي شغلا

(٥) ر : بلة — و : لعة

(٨) و ، لب : الصلعة

(٧) ت ، لب : عبري

(١٠) و ، ت ، لب : في

(٩) ت ، لب : عتقه

(١١) ت ، لب : مردخان — و : برزخان — ز في ت ، لب : على قارعة

لحجة بين الناس (١٢) ر : لا عزاز

(١٣) لب : أسفريا — ت : أسعير — و : أسفريا (١٤) لب : تركي

بهما من كَيْمُخْتِ بَالٍ ، مُصَدَّرَانِ تَصْدِيرَ السَّنْدَالِ^(١) ، قد انهرتت^(٢) أشدَّاهما ،
وتهدَّلت مشافِرُهُما ، وصارَ عاجُهُما آبنوسا ، ونعلُهُما خيالًا مرَّسوسا^(٣) ؛ فقلتُ :
لا يزدوجُ طيلسانُ ابنِ حربٍ إلَّا بخفي حنين^(٤) ، وقد كُفينا ارتيادَ خِلعةٍ ۖ
توافقُ هذهِ الطَّلَمَةَ اثمَّ جمعتُ جَرامِيزَ صَبْرِي ، وأخذتُ بكَظْمِ نَفْسِي ،
واستعدتُ باللهِ من آفةِ الغفلةِ ، وشغلَ بآلى ذلكِ المرأى الشنيعِ ، والموقفِ
المهولِ ، وحرمتُ عامَّةَ نهارِي مَنْ يُعلمني ، حتى ظفرتُ بمنَّ أوسعنيه علما ،
وقسره لى نصّا ، فلففتُ رأسِي حياءَ منه ، وتمنيتُ أن تُضمرنى البلادُ عنه ؛
وأدركتهُ — لا محالة — خجلةُ ذلكِ الملتقى ، فحمانى زورته ، ومنعنى عودته ،
يرجمُ في الظنِّ السَّوءِ ؛ وإنَّ يَقلَّ فَعُذُورٌ ، وإنَّ يكنْ مِنِّي ما كانَ فغيرُ مَكُومٍ ،
لأنك رميتني بآبِدةِ الأوابِدِ ، وداهيةِ العُمُرِ^(٥) ، ومُشكلةٍ لا تَنفِرُجُ بالبديهةِ ۖ
ولا يُنْفَذُ فيها إلَّا بطولِ الرَّويَّةِ ، وما أعجبَ شأنها إنَّ كانَ وقعَ اتِّفاقا ، وأغلبُ
الظنُّ أن تأتيتها^(٦) ا

ومن جواب أبي المغيرة عليها :

... وأرجعُ من^(٧) كتابك إلى^(٧) ما ركضَ جوادُ الهزلِ ، وشهرَ سلاحه ۖ
ونشرَ علمه ۖ وشبَّ زَبُونُ حربِهِ ۖ وأوقدَ وطيسَ فِتْنَتِهِ ؛ بل إلى ما مدَّ

(١) هـ ، ت ، لب : بالسندان (٢) هـ : انهزلت — ر : انهزمت

(٣) ت ، لب : مرموسا (٤) من هنا لآخر الرسالة نقص في هـ

(٥) ت ، لب : العبر (٦) ت ، لب : تأتيتها اعتقاداً

(٧-٧) هـ في ت ، لب

بساطه ، وفرش أنماطه ، وأدار كؤوسه ، وأماط عبوسه ^(١) . وحرك أوتاره ،
ونبسه أطيّاره ؛ بل إلى ما أقام لعبه . وحرك لعبه ، وأحضر مجونه ، واستجر ^(٢)
فنونه . وزمر في بوقه . ونقر بطن ^(٣) دقه ، ورقص على إيقاع لحنه ؛ فقلّس ^(٤)
في ختانه ، وطرطر في قرويه ^(٥) ، وبربر في رغي ^(٦) ضانه ، وترهب في غير ^(٧)
خالقه ؛ ولم يدع من الجدّ طرفاً ، ولا للهزل ^(٨) سبباً ، إلا وتمسك به . فهو ■
^(٩) القائم القاعد ، والغوي ^(١٠) الراشد ، في وصف الطاريء بالكتاب
عليك ^(١١) ، الذي هذب الزمان . وقاده إليك الخذلان ^(١٢) . وحمله إليك من
أنزح مكان ، ليكون أتم في إلهائك ^(١٣) ، وأبلغ في إضحاكك . ^(١٤) فالغريب
من كل حق ^(١٤) وباطل نافق ، والموجود كاسد . ولم أميز من هيئته غير
القامة ، وأنكرت سائر ذلك من الهامة ؛ فعمدى بجبينه كالصحيفة الصقيلة ،
وخذه كمرآة الغريبة . وعينه كناظر صقر طاو على مرّقب ، وضفدع ينظر
من خلال طحلب ؛ وأنفه كخراير سيف ليس الذي قلّده به . وألقت حمائله

(١) هـ : غموسه (٢) هـ ، ت ، لب : استمدّ

(٣) هـ ، ت ، لب : ركن (٤) في الأصول : فقلّس في أختانه

(٥) ت ، لب : قرويه — هـ : قرويه

(٦) هـ : راعي (٧) هـ : عبد

(٨) ت ، لب : لهزل (٩ — ١٠) هـ في هـ

(١٠) ر : اللغوي — هـ : والقوي (١١) ت ، لب : إليك

(١٢) هـ : الخذلان (١٣) ت ، لب : إلهائك

(١٤ — ١٤) هـ : والغريب من كل شيء نافق

في عنقه ، ولسانه كخراقٍ لأعب ، وبصوتٍ ^(١) شبيبٍ به نثما ، وزجر أبي عروة
 همسا خفيا ؛ وأثوابه تزرى على اليمن ^(٢) بشرفٍ صنعةً صانعها ^(٣) ؛ وخفوه لو
 وطى لا يسسه على الصميم في المجلس بين جعفرٍ والرشيدٍ والحاجبِ الفضلِ بنِ
 الربيع ، ما أنكر مدخله ، ولا تبين خله . لطفٌ توصل يوهك أن السحر
 يمدّه ، وقواه تشده ؛ لو شاء أن يجمع بين الجن والإنس ، ويضمّ جميع الأنواع
 تحت جنس ، ما ارتقى صعدا ، ولا لقي كبدا ^(٤) . فكيف انقلبت العين ^(٥) ،
 وانسلخت من ذلك الزين ، وصارت أبدة تلهي ، ونادرة تجرى . لو لا
 ما هيأه سعدك ، وسببه جدك ؟ وقد قام النوروز بما وجب عليه ، ولم يوجدك
 السبيل إليه ، فارتقب من المهرجان نقتها ، وانتظر فيه شكلها . وكنت
 أسومك مساجلتى بنظيرها ، ومقابلتي بمثيلها . لكن من ^(٦) لي بمساعدة الزمان
 بقسطك ، والأخذ فيه بشرطك ؟

ولابن عباس من رقةٍ إلى أهلِ غرناطة يقول في فصلٍ منها :
 ... لم أعقر ناقة رضاكم فأسخط ، ولا أكلت من شجرة عقوبكم فأشعث ؛
 وإنما أعطيتكم صفقة الصاغية ^(٧) لأكرم ، وانحرقت عنكم ^(٨) على زاوية

(١) ر : وبصرته شيبا تيميا — ت ، لب : وبصوت شبيب

(٢) : اليمن — ت ، لب : النمر

(٣) ر ، ت ، لب : صنعائها (٤) و ، ت ، لب : كدا

(٥) ت ، لب : هذه العين (٦) و : أين

(٧) و : الطاعة (٨) و : منكم

المَقَرَّ كَي لَا أَهَان ، وَنِمْتُ عَلَى مِهَادِ الثَّقَةِ بِكُمْ لثَلَا أَتَهُمْ . أَفَالْيَوْمَ يُقَالُ : جَعَلْتُنَا
قَنْطَرَةً ، وَكُنْتُ إِلَى صَدِيقِكَ كُتُبًا مُبَطَّنَةً ^(١) ١٩ وَكَانَ ابْنُ أَبِي مُوسَى مَوَاتَا
نُفْسِخَ الرُّوحُ فِيهِ ، وَعِيَالًا عَلَيْنَا فَاسْتَأْثَرْتُمْ بِهِ ، وَجَعَلْتُمُونِي مَرْكَزَ دَائِرَتِكُمْ
فِي اللَّفْظِ ، وَعَيْنَ سَعَايَتِكُمْ فِي الْقَصْدِ ، فَضَرَبْتُمْ بِي ^(٢) أَمْثَالَ السَّوْدِ ، إِلَى مَعَانٍ
طَوَالٍ ^(٣) أَلْصَقْتُمْ بِي عَارَهَا ^(٤) ، وَطَوَّقْتُمُونِي شَنَارَهَا ، انْحَدَارًا عَلَى كَالسَّيْلِ •
بِاللَّيْلِ ، وَتَصَدَّيًّا ^(٥) إِلَى كَالسَّهْمِ ، وَتَوَلَّيْتُ بِي كَأَنِّي عِنْدَكُمْ ذَنْبُ الدَّهْرِ . تُلْزِمُونَنِي
صَيْدَ الْعَنْقَاءِ فِي جُحُورِكُمْ ، وَتَشْتَرِطُونَ عَلَيَّ بَيِّضَ الْأَنْوَقِ فِي بُيُوتِكُمْ أَفَاقِرُوا
الْعَطِيرَ فِي وَكُنَاتِهَا ، وَاتْرُكُوا الْقَطَاةَ ^(٦) بِمَنَامِهَا ، وَكُونُوا تَجَانِيفَ ^(٧) الْإِنْسِ ،
وَصُورَ الْحَمَامَاتِ ، وَخَيَالَ الظَّلِّ ، أَوْ « كَسْرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّلَامَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا
جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا » ^(٨) .

١٠

وَأَمَّا مَا عَدَّدْتُمُوهُ مِنَ الْآثَارِ الْجَمِيلَةِ عِنْدِي فَقَضَلْتُ قَبِيحَ ^(٩) بِكُمْ إِبْرَادَهُ •
وَالْكَرِيمُ يُتَنَزَّهُ عَنْ مِثْلِهِ ، وَالْمَنْ بِالصَّنِيعَةِ تَكْفِيرُهَا . وَلَقَدْ أَجْهَدْتُ نَفْسِي
فِي خِدْمَةِ هَوَاكُم ، وَاتَّبَاعِ رِضَاكُم ، وَصَرْتُ مُنْقَادًا لِرِمَازِ حَوَاجِبِكُمْ ، وَتَبَعًا
لِرِكَابِكُمْ ؛ عَلَى أَنَّي مَا أَكَلْتُ مِنْ حَلَوَائِكُمْ مَا يَحْطَفُنِي فِي أَهْوَائِكُمْ ، وَلَا
لَمَظْتُ ^(١٠) مِنْ دُنْيَاكُمْ الْقَرِيضَةَ بِلَمْظَةٍ ؛ وَلَقَدْ خَبَّنَا مِنْ صَفَقَاتِ أَرْبَاحِكُمْ ،

(١) وه : مطبقة

(٢) ت ، ب : لي

(٣-٢) وه في وه

(٤) وه ، ت ، ب : وتسديدا

(٥) وه : القطا لمنامها

(٦) ر : تحافيف — وه : تحافيف

(٧) سورة النور آية : ٣٩

(٨) وه في ت ، ب : لب — وه : ففضل (٩) وه ، ت ، ب : لمظمت

وَصِرْنَا^(١) عَلَى الْحَرَمَانِ مِنْ مَتَاجِرِكُمْ ؛ وَفَعَلْنَا بِشَمِّ قَتَارِكُمْ ، وَاسْتِنْشَاقِ النَّسِيمِ
مِنْ لِقَائِكُمْ^(٢) .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى إِلَى أَهْلِ قُرْطَبَةَ عَنْ زُهَيْرِ الْفَتَى :

... أَنْتُمْ — مَغْشَرُ الْأَعْلَامِ ، وَأَكْبَرُ الرِّجَالِ — غُرُرُ الْمَصْرِ ، وَبَقَايَا هَذَا
٥ الْعَصْرِ . وَمَوْضِعُ اقْتِبَاسِ النُّورِ وَالرَّأْيِ ، وَالْمَلَأُ الْمُقْتَدَى بِهِ^(٣) ، وَالْمُشَارُ
إِلَيْهِ ، مَنْ حَاطَ هَذِهِ الْمِلَّةَ ، وَانْتَدَبَ لِصَلَاحِ الْأُمَّةِ ، وَمَخَصَّ^(٤) الرَّأْيِ وَهَذَبَهُ ،
وَأَلْقَحَ عَقِيمَهُ وَنَتَجَهُ . وَرَفَعَ عَنْ هَذَا الْعَالَمِ أَسْبَابَ الشُّبْهَةِ ، وَكَشَفَ لَهُمْ عَنْ
غِطَاءِ الْمَدَايِةِ ، فَقَدْ طَالَمَا خَبَطُوا عَشَوَاءَ ، وَأَخَذُوا بِغَتَّةِ ، وَكَلَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَنِي
زَمَانِهِمْ مَنْ انْتَدَبَ لَتَجْوِيزِ الْمُحَالِ . وَلَوْ أَخَذْنَا فِي عَدِّهِمْ^(٥) . وَبَسَطَ أَوَّلَهُمْ
١٠ وَآخِرَهُمْ^(٦) ، « لَخَرَجْنَا عَنْ غَرَضِ الْخِطَابِ »^(٧) إِلَى التَّأْلِيفِ . وَجَانَبْنَا سَيْرَ
الْقَصْدِ فِي الْأُمُورِ إِلَى التَّصْنِيفِ . وَأَشَدُّ هَذِهِ الْعِصَابَةِ^(٨) ابْنُ عَبَّادٍ ، الَّذِي سَلَّ
سَيْفَ الْفِتْنَةِ وَالْبَغْيِ^(٩) مِنْ قِرَائِهِ ، وَأَثَارَ بَعِيرِ الظُّلْمِ مِنْ مَبْرَكِهِ^(١٠) ، وَانْتَرَى
بِبِطْنَتِهِ أَشْرًا . وَمَشَى فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . وَظَنَّ أَنَّ يَخْرِقَ الْأَرْضَ وَيَبْلُغُ

(١) هـ ، ت ، لب : وحصلنا (٢) هـ ، ت ، لب : تلقائكم

(٣) ت ، لب : بكم (٤) ت ، لب : ومعض

(٥) هـ ، ر : عددهم (٦) ر : بآخرهم

(٧) هـ : لخرجنا عن الغرض في الكتاب

(٨) ت ، لب : العصابة المشنومة (٩) هـ في هـ

(١٠) هـ ، ت ، لب : بروكه

- الجبال طولا ؛ ففزا أهل الإسلام^(١) في عُقْرِ دَارِهِمْ . وأسقطَ عن نفسه حُرْمَةَ
اللهِ فيهم ، وأذهبَ ذِمَّتَهُ ، وبنى أمرَهُ على دِعَامَةِ زَيْتٍ . وأتَى لَشَأْنِهِ^(٢) من
ظَهَرِ بَيْتٍ . واستعارَ اسمَ الشَّهِيدِ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ^(٣) لغيرِ أَهْلِهِ ، وعزاهُ^(٤) إلى
مَنْ ليس من شِكلِهِ ؛ فضاعَفَ السيِّئَةَ ، وجَاهَرَ بالمُغْصِيَةِ ، واتَّبَعَ الرَّسْمَ الدَّائِرَ ،
وجَعَلَ حَظَّ^(٥) النَّاسِ فِيهِ التَّمْثِيلَ في أَسْمٍ كاذِبٍ ؛ واعتَرَضَ على مُنْكَرِيهِ
بِكُهَانَةِ شَيْقٍ وَسَطِيحٍ . وآيَاتِ طَسْمٍ وَجَدِيسٍ ، واحتجَّ بِكُتُبِ الْجَفْرِ ، ودَانَ
بِالتَّنَاسُخِ ؛ وأضَافَ إلى هذهِ الْغَرَائِبِ قِرَاعَ^(٦) أَسْمَاعِ الْأَغْمَارِ بِهَا ، يُرِيهِمْ وَجُوهَ
الاسْتِنبَاصِ ، فضلاً عَمَّنْ تدرِّجُ في طَبَقَاتِ المَعْرِفَةِ . وجَرَى على وَتِيرَةِ الدَّرَايَةِ ،
وسَبَقَتْ لَهُ^(٧) قَدَمُ صِدْقٍ في الرِّوَايَةِ . ثُمَّ رَفَعَ السَّوْطَ لِلسَّيْفِ ، فأَوْجَعَ قُلُوبَ
المُسْلِمِينَ بِاللِّسَانِ وَالتِّيدِ ، يَحْكُمُ كَيْفَ شَاءَ في أَبْشَارِهِمْ . وصَارَ فَمُهُ صَرْفَ الدِّينَارِ
بِالدَّرَاهِمِ في أَمْوَالِهِمْ ؛ لَا تَتَخَلَّلُ المَوْعِظَةُ قَلْبَهُ ، وَلَا تَقْرَعُ التَّذَكُّرَةُ سَمْعَهُ ؛ فَتَارَةً
يَأْخُذُ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ بِذَنْبِ^(٨) التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، وَأُخْرَى يَقُولُ لِلْمُسْلِمِينَ
تُوبُوا مِمَّا^(٩) عَسَى أَنْ يَكُونَ .

(١) هـ : المسلمون — ت ، لب : ففزا الإسلام

(٢) ت ، لب : لَشَأْنَهُ (٣) ت ، لب : المؤيد بالله

(٤) هـ ، ت ، لب : وعذابه (٥) ر : خط

(٦) هـ : قرع (٧) ر ، هـ : لهم

(٨) هـ : بذنوب (٩) ت ، لب : لما

١) وفي فصل منها :

فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا ^(٢) فَيَالِهَا حَسْرَةً ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا ^(٣) فَمَا ^(٤) أَحْوَجَ
الْمَلِكَ إِلَى قَطْرَةٍ ^(٥) ! وَكِتَابِي هَذَا إِلَيْكُمْ . وَقَدْ اتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ فِي وَضْعِ رَأْسِ
الْإِمَارَةِ عَلَى كَاهِلِهِ ، وَنَصَلِ الْإِمَامَةِ فِي نَصَابِهِ . وَأَعَدْنَا الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، وَأَصَفَقْنَا
عَلَى بَيْعَةِ رِضَا وَاتِّفَاقٍ وَطَاعَةٍ لِعَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِدْرِيسَ الْمُتَأَيَّدِ ^(٦) بِاللَّهِ
أَيَّدَهُ اللَّهُ . وَطَهَّرْنَا الْمَنَابِرَ مِنْ دَنَسِ تِلْكَ الدَّعْوَةِ الْمُسْتَعَارَةِ ، وَهَتَفْنَا بِهَا هَتَفَ
التَّبَاشُرِ ، وَقَامَتْ بِهَا الْخُطْبَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَانْجَلَّتِ الْغِيَابَةُ ^(٧) عَنْ فَلَقِ الصُّبْحِ .
وَانْقَلَبَتِ ^(٨) الظُّلُمَةُ عَنْ وَضَحِ الشَّمْسِ ، وَأَزَاحَ ^(٩) بِفَضْلِهِ تَعَالَى غُصَّةَ الشَّكِّ ،
وَشَجَّى الْإِفْكَ .

١٠ فَاغْتَبِرُوا بِمَا أَلْقَيْنَا إِلَيْكُمْ اعْتِبَارَ مَنْ يَحْتَاطُ لِدِينِهِ وَتَقْوَاهُ ، وَيَرْغَبُ عَنْ
الْمُضِيْمَةِ بِنَفْسِهِ فِي دُنْيَاهُ ؛ وَالرَّمْزُ يَكْفِيكُمْ ، وَالْإِيْمَاءُ يُنْفِيكُمْ . وَلَمْ نَجْهَلْ عَلَيْكُمْ
بِحَالِ الْمُوصُوفِ ، لِمَعْرِفَتِنَا بِمَكَانِكُمْ مِنَ التَّحْصِيلِ ، إِذْ أَنتُمْ أَهْلُ النَّظَرِ وَالتَّأْوِيلِ .
^(١٠) وَلَمَّا اسْتَوْثَقَ الْأَمْرُ عَلَى مِنْهَاجِهِ ^(١١) ، وَاسْتَمَّتْ الرَّأْيُ عَلَى أَدْرَاجِهِ ، هَزَزْنَاكُمْ
هَزَّةً ^(١٢) التَّذَكِيرِ ، وَرَمَيْنَا إِلَيْكُمْ بِنَبْذِ يَسِيرٍ .

(١-١) هـ في ت ، لب (٢) هـ : كذبا

(٣) هـ : صدقا (٤) ر : فإنما

(٥) ر ، هـ : المؤيد بالله (٦) هـ : العاية

(٧) هـ : وانقلبت — ت ، لب : وأقلعت (٨) هـ : وأزال

(٩-٩) هـ في هـ (١٠) ت ، لب : مناهجه

(١١) عبارة ر هـ : هزناكم بهذه التذكرة ، ورمينا إليكم بنبذ يسيرة

وله من أخرى إلى أبي المغيرة بن حزم :

قرأت الرُّقعةَ الكريمةَ التي ناولتَنيها اليدُ العزِيزَةُ ، فكانَ البدرُ مدًّا إلى
كفٍّ^(١) تختَمَتُ بالثُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ، أو الدَّهْرُ أعطاني بها أمانًا من خُطوبِهِ
الجائرة ؛ وعَايِنْتُ وَشْيًا مُنَمَّنًا ، وأبصَرْتُ رِيطًا مُسَهَّمًا ، وَطَفِقْتُ التَّمِسُّ
المُجَاراةَ ، وأرُومُ المُبَاراةِ ، فإذا شَاوَى حَسِيرٌ^(٢) ، وباعَى قَصِيرٌ ، وفَمِي مُلْجَمٌ •
ولِسَانِي مُفْحَمٌ ، لأنِّي تَعَاطَيْتُ أَسَدَ العَرِينِ وهو مُشْبِلٌ خَادِرٌ ، ومَوْجُ البَحْرِ
وهو مُزْبِدٌ زَاخِرٌ :

وفي تَعَبٍ مَن يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا وَيَطْعُمُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرِيبٍ^(٣)
لِلَّهِ أَنْتَ مِنْ نَثْرَةِ آدَابٍ ، وَسَلِيلِ أَحْسَابٍ ، وَسِمَامٍ^(٤) حَاسِدٍ ، وَسِرَاجِ حَمَامِدٍ ،
إِنْ نَاضَلَ عَنِ الْحَرِيمِ حَمَاهُ ، وَإِنْ رَمَى الْغَرَضَ أَصْمَاهُ ؛ يَفْتَحُ مَقَالِقَ^(٥) الْأُمُورِ ١٠
بِسِيَاسَتِهِ ، وَيَسْتَنْزِلُ الشَّارِدَ الْمُتَمَنِّعَ بِلَطَافَتِهِ .

وفي فصل منها :

... ولو جازَ أَنْ يُقَرْنَ معَ البَدَنِ العَجَفُ ، ويُنظَمَ معَ الجَوْهَرِ الصَّدْفُ •
لَشَفَعْتُ^(٦) إِلَيْكَ ، لَكِنَّهَا مَمْنُوعَةٌ مَا سَأَلْتُ ، وَغَيْرُ مُذَرِّكَ مَا طَلَبْتُ • فَالسَّادَةُ

(١) ت ، لب : يدا (٢) و ، ت ، لب : حصير

(٣) راجع ديوان المتنبي (ج ١ ص ٣٩) ، والرواية فيه : ويجهد

(٤) و : سهام — والكلمة في ر : مطموسة وهي أقرب إلى « سهام »

(٥) و ، ت ، لب : مقالق (٦) ت ، لب : لشفعت لها إليك

لا تَمزِجُ^(١) مع العبيد ، والشَّهْدُ لا يُضَافُ إلى الهَبِيدِ . ورأيتُ ما نَحَلْتَهُ الرِّسَالَةَ
المُعَرَّبَةَ عن فنونِ البراعة ، وأعرستها من بدائعِ الصناعة ، التي لو رامَ نُبْذًا
منها بديعُ الزَّمانِ ، أو عَمَرُو بْنُ عُمَانَ ، لَتَرَدَّدَا^(٢) يَحْبِطَانِ عَشْوَاءَ ، وَأَصْبَحَا
في خَجَلَةٍ يَطْلُبَانِ النَّجَاءَ . فدَوَّنَكُمَا عَذْبَةَ اللَّثَامِ ، كَرِيمَةَ الْأُخْوَالِ والأَعْمَامِ ،
بَذَلُ الْمُهْجِ أَقْلُ أَمْنَانِهَا ، والعَنْبَرُ الْوَرْدُ يَسِيلُ من أُرْدَانِهَا . فإن كُنْتَ
حَضَضْتَنِي^(٣) على أن أصونَهَا في تَامُورِ الْخَاطِرِ ، وأَكْتُبَهَا على جَبْهَةِ الْأَسَدِ
الْخَادِرِ ، فَأَعَزُّ مِنْ هَذَا أَنْ أَنْوِطَهَا بِذَوَائِبِ الْمُثْيُوقِ ، وَأُوْدِعَهَا الْجَوَانِحَ على
التَّحْقِيقِ ؛ فهى لمن تَأَمَّلَ دُرًّا نَثِيرَ ، وَلَمَن تَنَزَّهَ رَوْضَةً وَغَدِيرَ ؛ لِنَسِيمِ الْأَدَبِ
فِيهَا هُبُوبَ ، وَلِكُلِّ^(٤) قَلْبٍ مِنْهَا نَصِيبٌ ؛ قد وَشَّحَتْ بِغَرَائِبِ الْكَلِمِ ، ورُصِّعَتْ
بِجَوَاهِرِ الْحِكْمِ . ١٠

(٥) لَيْسَ فِيهَا عَيْبٌ يُدْرِكُ ، وَلَا سَبَبٌ يُفَرِّكُ ، غَيْرَ صَدَرِهَا عَنْ صَدْرِ
فَاجِرٍ نَكَسَ ، وَمِنْ لِسَانٍ مُلْحَدٍ رَجَسَ ، لَا يُؤْمَنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا
يُؤْخِى إِلَّا كُلَّ مَنَافِقٍ كَافِرٍ ؛ يَسُبُّ الصَّحَابَةَ الْأَبْرَارَ ، وَيَكْذِبُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ،
وَلَا يَرْجُو حِسَابًا ، وَلَا يَحْذَرُ عِقَابًا ؛ ادَّعَى خِلَافَةَ اللَّهِ فَهَى مِنْهُ تَضِجُ ، وَلَيْسَ
أَثْوَابُهَا فَهَى عَلَيْهِ تَعِجُ ؛ لَوْ اتَّعَطَّ بِمَضْرَعِ أَبِيهِ ، لَأَقْلَعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ ؛ بَلْ أَشْبَهُهُ
حَقًّا فَمَا ظَلَمَ ، وَتَقْيِيلَهُ نَسَقًا فَرَادَ وَتَمَمَّ ؛ يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ عَلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ .
وَيَسْتَخِفُّ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ؛ يَهْتِكُ الْحَرِيمَ وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ . وَيَسْتَصْحِبُ

(٢) وه : لأَمْسِيَا

(١) وه : تَمزِجُ

(٤) وه ، ت ، لب : ومن كل قلب لها

(٣) وه : خَصَصْتَنِي

(٥) من هنا آخر الفصل وجد في نسختي ت ، لب متصلاً بالكلام السابق ، ومن

السياق يظهر أنه ليس في موضعه

الأوغادَ والشُّطار^(١) . بِئْسَ الشَّيْعَةُ وَقَوْدُ جَهَنَّمَ وَحَصْبُهَا ۖ وَعَلَيْهِمْ يَزْدَادُ حَنْقُهَا وَغَضَبُهَا .

وفي فصل منها :

... وبقيَ جزء من الإطالة أسوقه إليك ، وأوردته عليك . أنا مُقرٌّ بالعجزِ
لبيانك ، مُقبِلُ أنجمِ الثُّريا من بنائك ، راعِبُ أن تُلْبِسَنِي من عَفْوِكَ ثوبًا •
أَسْحَبُ أذْيَالَهُ ، وَأَنْ تُقَيِّمَنِي من صَفْحِكَ ظِلًّا آمِنُ زِيَالَهُ ، إِذْ أَنَا سُكَيْتُ
هَذِهِ الصَّنَاعَةَ الَّتِي بِيَدِكَ لَوَاوُهَا ، وَلَكِ يَدَيْنُ رُؤَسَاوُهَا ، وَإِلَيْكَ تُعْزَى
وَتُنَسَبُ ، وَبِاسْمِكَ عَلَى مَنَابِرِهَا يُخْطَبُ . وَتَرَدُّنِي لَكَ كُتِبَ لَوْ فُوجِيَ بِهَا نُقَادُ
الْكَلَامِ ، وَجَهَابُذَةُ النَّثْرِ وَالنِّظَامِ ، لَأَلْقَوْا إِلَيْهَا السَّلَمَ ، وَادَّعَوْا عِنْدَهَا الْبَسَمَ .
فَأَنَّى لِي بِمَقَاوِمَتِكَ ، مَعَ تَقَدُّمِكَ وَتَخَلُّفِي ۖ وَمُصَارَعَتِكَ ، مَعَ قُوَّتِكَ وَضَعْفِي ؟ ١٠
فَالوَاحِدُ لَا يُقَرَّنُ مَعَ الْكُلِّ ، وَالْفَرْعُ لَا يُضَافُ إِلَى الْأَصْلِ . فَاسْأَلْكَ
وَأَسْتَغْفِيكَ ، وَأَضْرَعُ إِلَى جَدِّكَ وَمَعَالِيكَ ، أَلَّا تُرْهِقَنِي عُسْرًا ، فَيُظْهِرَ عَجْزِي ،
وَلَا تُحَمِّلَنِي إِضْرًا ، فَيُبَيِّنَ^(٢) نَقْصِي ؛ فَإِنَّكَ إِمَامٌ^(٣) وَأَنَا مَأْمُومٌ ، وَأَنْتَ حَاضِرٌ
وَأَنَا مَعْدُومٌ ، وَأَنَا قَفٌّ وَأَنْتَ نَهْرٌ ، وَأَنَا جَدُولٌ وَأَنْتَ بَحْرٌ .

قال ابن بسّام : وسائرُ رسائلِ أحمد بن عباسٍ ثابتةٌ في القسم^(٤) الثالث ١٥
من هذا المجموع في أخبارِ ابن^(٥) التَّائِكُرْمِيِّ ، إِذْ تَنَازَعَا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الرَّايَةِ ،
وَتَجَارَيَا^(٦) فِيهَا إِلَى غَايَةٍ .

(١) الكلمة غير واضحة تمامًا في الأصلين وأقرب قراءة لها ما أُمْتَنَاهُ

(٢) ت ، لب : فَيُبَيِّنُ — وه : يَتَبَيَّنُ بِهِ

(٣) وه ، ت ، لب : إِمَامِي (٤) ت ، لب : ثَابِتَةٌ بِمَوْضِعِهَا

(٥) ت ، لب : أَبِي عَامِرِ بْنِ التَّائِكُرْمِيِّ

(٦) وه ، ت ، لب : وَجَرِيًّا مِنَ الْبَلَاغَةِ

إيجاز الخبر عن مقتل أحمد بن عباس وزهير فتى بني عامر ،
وما اتصل به من خبر^(١) نادر

قال ابن حبان :

كان سببُ فسادِ باديس بن حبّوس^(٢) على جاره القديم الحليف زهير الصّقلبي فتى المنصور بن أبي عامر مولاته لكاشحه محمد بن عبد الله زعيم زناتة .
ومضى على ذلك حبّوس من عداوته ، وخلفها كلمة باقية في عقبه « أضرمت^(٣) زهير^(٤) بعد^(٥) نارها بتمادي تمسكه بالذكور ، « فأرسل إليه باديسُ رسوله مُعَاتِبًا مُستدعيًا تجديدَ المُخالفة ، فسارع زهير وأقبل نحوه . وضيّع الحزم ، واغترّ بالعُجب والثقة بالكثرة ، أشبه شيء بمجىء الأمير الضخم إلى العامل من عماله . قد تركَ رسومَ الالتقاء بالنظرَاء . وغير ذلك من وجوه الحزم^(٥) ؛

(١) ر : خبر ونادر

(٢) عبارة ت ، لب : باديس بن حبوس وجماعة قومه صنهاجة على جارهم وحليفهم القديم الحلف والولاية زهير ...

(٣) و ، ت ، لب : ضرمت

(٤) عبارة و : ضرمت زهير بعدها نار التماذي في تماسكه بالذكور

(٥ — ٥) عبارة ت ، لب التي وردت مفصلة هي : « ... تمسكه بالذكور ، وإيفاده إليه المدد بقرمونة ، واستخفافه بحق باديس ، وإنزاله إياه منزلة الأكفاء » وهيئات له من ذلك من فتى غير قليل التجربة ! فأثر شفاء نفسه عن النظر لعاقبة أمره « وأضرمت الغدر » وقدم العذر ، وأرسل رسوله إلى زهير مُلطفًا في العتاب ، مستدعيًا تجديد المُخالفة ، فسارع زهير إلى ذلك وأقبل نحوه باديس إقبال المستطيل عليه ، المتصور له صورة اليتيم في حجره . المضطر إلى اتباعه وموافقته ، فسار في تضييع الحزم والاعتذار بالعجب ، والثقة بالكثرة ، =

فأعرض زهير عن ذلك كله ، وأقبل ضارباً بسوطه حتى تجاوز الحد الذي جرت به العادة ، من الوقوف عنده ^(١) من عمل باديس دون إذنه ، وصير الأوعار والمضايق خلف ظهره لا يفكر فيها ، واقتحم البلد حتى وصل إلى باب غرناطة ^(٢) ، وخرج إليه باديس في جمعه ، وقد أنكر ^(٣) اقتحامه عليه ، وعده حاصلاً في قبضته ، فبدأه بالجميل والتكريم ، وأوسع عليه وعلى رجاله في القرى والتعظيم ، ما مكن اغترارهم ، وثبت طمأنينتهم . ووقعت المناظرة بين باديس وزهير ^(٤) ومن حضرهما من رجال دولتيهما ، ففشا بينهما عارض الخلاف لأول وهلة ، وحمل زهير أمره كله على التشطط ، ووزيره أحمد بن عباس يفرى القرى في التصريح بما يعرض به زهير ، فعزم باديس عند ذلك على القتال ،

== والانحلاع من فضيلة الرأي وفائدة التجربة ، ضد القصد الذي قصده ، وآية الغابرين بعده ، إذ جاء مدلاً بجمعه وكثرته ، أشبه شيء بمجىء الأمير الضخم إلى العامل من عماله ؛ قد ترك رسوم الالتقاء بالنظر المهود له ولن قبله ، من التوافق على المسكان ، والاستظهار بآخر حدود الأعمال ، وغير ذلك من وجوه الحزم ، فأعرض زهير عن ذلك كله...

(١) و : عند أول عمل باديس — ت ، لب : الحد الذي جرت عادته بالوقوف

عنده من عمل باديس

(٢) لب : أغرناطة

(٣) ت ، لب : استنكر

(٤ — ٤) عبارة ت ، لب التي وردت مفصلة هي : « ... ومن حضرهما من رجال دولتيهما من أول يوم التفائهم ، ففشا بينهما عارض الخلاف لأول وهلة » وحمل زهير أمره كله على التشطط ، وخلط التقرير بالدالة ، والجفاء بالملاطفة ، وزعم في بعض ما يقوله أن الذي جاء به زيارة قبر حليفه وخليفه حبوس ، وهو قد بخل بالتعزية على ولده إثر موته . واتصلت بينهما المناظرة ، والإصرار يزداد ، وزهير يأبى ذلك ويتهاون كأنه قد اقتدر على خصمه ، ووزيره أحمد بن عباس المعجب التياه يفرى القرى في تصريح ما يعرض به زهير لإبعادا للقوم ، وإغلاظا عليهم ، فعزم ...

ووافقه قومه صنهاجة . فأقام مراتبه ، ونصب كتائبه ^(١) ، وقطع قنطرة لا محيد زهير عنها . والحائن زهير لا يشعر . وبات تتمخض له ليلته ^(٢) عن رغبة البكر . وغاداه باديس صبيحتها على تعبئة محكمة ، فلم يرعه إلا رجّة القوم راجعين ^(٣) إليه ، تحفيق طبولهم وهدير رقاصته الأسود ، فدهش زهير وأصحابه . فيالك من أمر شتيت . وهول مفاجيء ، قسم بالمرء بين نفسه وماله . ووزع همه ^(٤) بين روجه ورحله . إلا أن أميرهم زهيراً أحسن ابتداء الثبات لو استتمه . وقام ينصب الحرب ^(٥) ، فثبت في قلب عسكره ، وقدم ^(٦) خليفته هذيلاً الصقلي في وجوه أصحابه من الموالى العامرين الفحول وعشيرته الصقلب وغيرهم لاستقبال صنهاجة . فلما رأوهم علموا أنهم محتة ^(٧) وشوكتهم ، وأنهم متى خضدوها ^(٨) لم يثبت لهم من وراءهم . فاختلف الفريقان . واشتد بينهم القتال ملياً ، فلم يكن إلا كلاً ^(٩) حتى حكم الله بالظهور لأقل الطائفتين عدداً ليبري الله قدرته ، ويجدد في قلوب عباده عبرته . فنكص في الصدمة قائدهم هذيل ^(١٠) ، وابتدع أصحابه عباديد وانهمزموا ، وقيده هذيل لوقته إلى باديس أسيراً ، فأعجل بضرب رقبتة ، فما كان إلا أن نظر زهير إلى مصرعه

(١) وه ، ت ، لب : كائنه — ز ف ت ، لب : وأرسل إلى طريق زهير فقطع ...

(٢) نه في وه ، ت ، لب (٣) وه : زاحفين — ت ، لب : راجعين

(٤) نه في ر (٥) ز ف ت ، لب : بما أسرع القعود عنه

(٦) وه : وأرسل

(٧) وه : حماه (٨) وه ، ت ، لب : حصدها

(٩—٩) نه في وه (١٠) ت ، لب : قائدهم هذيل والرحا عليه دائرة ،

لمّا بطعنه أردته عن متن فرسه ، أو بكبوة كانت منه ، فاندحر أصحابه ...

فَانْتَقَى عَنْهُ وَفَرَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ يَسْتَصْحِبْ ثِقَةً ۝ وَلَا انْحَازَ إِلَى فِئَةٍ ؛ وَلَجَّ بِهِ
الْفِرَارُ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ خَلْفَهُ لَا يَلُؤُونَ عَلَى شَيْءٍ ، وَرَكِبَتْ^(١) صِنْهَاجَةٌ وَلَقَّهَا
﴿٢﴾ وَمَنْ تَبِعَهَا^(٢) مِنْ أُمْدَادِ زَنَاتَةٍ أَكْتَفَ الْقَوْمُ ، بِإِذْنِ السَّيْفِ فِيهِمْ بِصَدَقِ^(٣)
العَصَبِيَّةِ وَإِشَارِ الْفَنَاءِ^(٤) ، فَلَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ قَدَرُوا عَلَيْهِ^(٥) ، فَأَسَاءُوا الْاِعْتِدَاءَ ،
وَأَبَادُوا أُمَّةً^(٦) ۝ وَأَخَذُوا فِي شِعَابٍ وَعَرَّةٍ وَجِبَالٍ شَاخِخَةٍ ، أَلْجَأَهُمْ إِلَيْهَا السَّيْفُ ۝
فَكَانَتْ حُتْفَ مَنْ فَرَّ ، وَتَقَطَّعُوا^(٧) . وَفِي هَذِهِ السَّبِيلِ أَوْدَى أَمِيرُهُمْ زُهَيْرٌ
وَجُهْلٌ^(٨) مَصْرَعُهُ . وَسُودَانُ زُهَيْرٍ غَدْرُوهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ^(٩) وَانْقَلَبُوا مَعَ صِنْهَاجَةٍ
وَلَيْسَتْ بِالْبِدْعِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَكَانُوا قِطْعَةً خَشِنَةً يُقَارِبُونَ خَمْسَمِائَةَ^(١٠) ، وَغَنِمَ

(١) ز : وَرَكِبَتْ صِنْهَاجَةً رَأْسَهَا فِي أُمْدَادِ زَنَاتَةٍ أَكْتَفَ الْقَوْمُ

(٢-٢) ز في ت ، لب

(٣) ز : لَصَدَقَ

(٤) ز : الْقَتْلَ

(٥) ز في ت ، لب : وَلَا فَرَّقُوا بَيْنَ أُنْدَلُسٍ وَلَا جَنْدِي وَلَا سَوْقٍ فَأَسَاؤُوا ...

(٦) ت ، لب : وَأَبَادُوا أُمَّةً حَتَّى إِمَامٍ فَرِيضَةٍ زُهَيْرٍ وَلَدِ الْفَقِيهِ ابْنِ بَابِلٍ ، فَاسْتَدَلَّ بِقَتْلِهِمْ

عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ۝ وَعَلِمَ الْمَنْهَزَمُونَ أَنَّهُ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمَضِيقَ الْمَعْتَرِضَ فِي طَرِيقِهِمْ فَنَكَبُوا ، وَأَخَذُوا ...

(٧) ت ، لب : وَتَقَطَّعُوا وَتَقَزَّتْ أَوْصَالُهُمْ

(٨) ز في ت ، لب ، وصار ذلك سبباً بجهل مصرعه ۝ واعتصم الرجال تلك الأوعار الأشبية ۝

وَأَمَّا السُّودَانُ مِنْ رَجَالِ زُهَيْرٍ فَلَمَّا نَهَزَهُمْ غَدْرُهُ (٩-٩) ز في ت ، لب : وَعَمِدُوا إِلَى خِزَانَةِ

سِلَاحِهِ فَتَهَبَّوْهَا ، وَنَادَوْا بِشِعَارِ صِنْهَاجَةٍ ، وَانْقَلَبُوا مَعَهُمْ ، وَوَضَعُوا السِّلَاحَ فِيهِمْ ، وَلَيْسَتْ بِالْبِدْعِ

مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَكَانُوا قِطْعَةً خَشِنَةً يُقَارِبُونَ الْخَمْسَمِائَةَ ۝ وَكَانَ زُهَيْرٌ يَعْذَمُ لِلنَّائِبَةِ ۝ فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ

أُطَاعَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ أَنَّ مَقَامَ الْأُنْدَلُسِيِّينَ بِهَذَا الْمَازِقِ ، وَانْهَزَمُوا فَاصْطَلَمَ عَسْكَرُهُمْ قَنْصَرَ بَادِيَسَ وَغَنِمَ

رَجَالَهُ ...

رجالٌ بَادِيسٍ من المَالِ والخَزَائِنِ والأسلِحَةِ والحِلْيَةِ والعُدَدِ^(١) والغِلْمَانِ^(٢) والخِيَامِ ما^(٣) لَا يُحَاطُ بِهِ وَصَفًا^(٤). وَظَهَرَ^(٥) بَادِيسُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ وَجْهِهِ رجالٌ زُهَيْرٌ ، فَعَجَلَ عَلَى الْفُرْسَانِ وَالْقَوَادِ بِالْقَتْلِ ، وَاشْتَمَلَ^(٦) الْأَسَارُ^(٧) عَلَى حَمَلَةِ^(٨) الْأَقْلَامِ ، وَفِيهِمْ وَزِيرُهُ النَّيَّاهُ^(٩) أَحْمَدُ بْنُ عَبَّاسٍ الْجَارُ لِهَذِهِ الْحَادِثَةِ . قِيدَ إِلَى بَادِيسٍ وَصَدْرُهُ وَصَدُورُ أَصْحَابِهِ تَغْلَى^(١٠) عَلَيْهِ بِمَا أَوْقَدَ مِنْ هَذِهِ النَّارِ ، فَأَمَرَ بِجَنْبِهِ^(١١) لِيَسْتَخْرِجَ مِنْهُ مَا لَّا^(١٢) وَشَفَاؤُهُ الْوَلُوغُ فِي دَمِهِ ،^(١٣) وَعَجَلَ عَلَيْهِ بَعْدُ دُونَ أَصْحَابِهِ^(١٤) مِنْ حَمَلَةِ الْأَقْلَامِ ؛ عَفَّ بَادِيسُ عَنْ دِمَائِهِمْ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِ السُّيُوفِ إِلَّا مَنْ أُصِيبَ مِنْهُمْ فِي الْحَرْبِ^(١٥) ،^(١٦) وَأَطْلَقَ ابْنَ حَزْمٍ وَالبَاجِيَّ وَغَيْرَهُمَا^(١٧) .

(١) ه ، ت ، لب : والعدة

(٢) ه في ه (٣) ر : ومالا

(٤) ت ، لب : وصفًا ولا قيمة (٥) ت ، لب : وظفر بَادِيسٍ فِي الْمَوْقِعَةِ

بقوم ... (٦) ر في ت ، لب : فكان ذلك من كبر ما صنعه لخلاف الوجه

فِي قِتَالِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ (٧) ر : الأمان — ه : الأسر .

(٨) ت ، لب : حملة الأقلام جميعاً (٩) ت ، لب :

النياه المستكبر المعجب أبو جعفر أحمد بن عباس (١٠) ت ، لب : تلظى عليه . ه :

تلظى (١١—١٢) ه في ه (١٢—١٢) ت ، لب : فعجل عليه إلى مديده

وحلت به الفاقة دون أصحابه ، فان بَادِيسَ عَفَّ عَنْ ..

(١٣) ت ، لب : فِي الْمَعْرَكَةِ

(١٤—١٤) ت ، لب : وأما الأسرى كابن حزم وابن الباجي صاحب الرسائل

وغيرهم فأطلقهم

قال ابن حيان : أخبرني القرشي المعروف بالقِطْع عن ^(١) بلقين الصنهاجي قال : سرتُ والله ليلة الوقعة إلى الرقيع ابن عباسٍ مُستنزلاً ^(٢) له عما كان صاحبه الجاهل زهيرٌ تَمَادَى فِيهِ مِنْ قَطِيعَةِ بَادِيسَ صَاحِبِنَا . وقلتُ لَهُ : أَتَقِي الله ^(٣) وَصَاحِبُكَ مُنْقَادٌ إِلَيْكَ ، وَقَدْ تَعَرَّفْنَا فِي تَأْلُفِنَا الْبَرَكَةَ ، وَقَدْ رَبَّيْنَا بِهِ مِثْلَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي كَثُرَ عَلَيْهَا حُسَادُنَا ^(٤) . مَا الَّذِي غَرَّكُمْ مِنْ ^(٥) ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ . حَتَّى تَقَاطِعُونَا فِي رِضَاهُ ؟ فَأَجِيبُوا أَمِيرَنَا ^(٦) فِيمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْأَلْفَةِ . فَجَلَّ يَسْتَجْهَلُنِي ، وَيُجِيبُ جَوَابَ الْمَتْبُوعِ لِلتَّابِعِ ؛ وَأَنَا أَرْفُقُ بِهِ بَعْدَ أَنْ قَبَّلْتُ وَجْهَهُ ، وَاسْتَعْبَرْتُ رِقَّةً لَأَسْتِلَاقَتِهِ ، فَلَمْ يَزِدْ بِذَلِكَ إِلَّا قَسْوَةً . وَقَالَ : دَعِ الْقَعَاعَ فَلَيْسَتْ تَهْوُلُنَا ، ^(٧) وَاللَّهِ لَا نَزَلْتُمْ إِلَّا عَلَى رِضَانَا ! فَأَحْفَظُنِي كَلَامَهُ . فَانصرفتُ

(١) ت ، لب : من شيخ من شيوخ صنهاجة يسمى بلقين قال ...

(٢) عبارة ت ، لب : مستنزلاً عما أزمع عليه صاحبه الجاهل زهير من قطيعتنا وعذله

والطفت وقلت ... (٣) ز في ت ، لب : فإنما هذا منك

(٤) ز في ت ، لب : فاستدم بنا ما نحن فيه من الاتفاق ولا تعنى إلى الفتنة فيزول

أكثر ما تراه (٥) ت ، لب : من موالاة ابن عبد الله حتى تسخطونا في رضاه

(٦) ت ، لب : هذا الفتى أميرنا إلى ما دعاكم إليه

(٧-٧) عبارة ت ، لب : فليست تهولنا . وكلامك لك الليلة مثل كلامك لك أمس .

والله لا نزلتم إلا على رضانا وإلا أعقبكم على ذلك ندامة ، فأحفظني كلامه وقلت : يا هذا ارجع إلى الجماعة . قال : نعم وأشد منه . فانصرفت إلى أميرنا باديس ومن معه من المشيخة . وإن دموعي لتتعد على وجهي غضباً . فلما رأوا ما بي ابتدؤا سؤالاً . فغبرتهم وقلت : يا صنهاجة ! هذه إحدى الكبر . قوموا لدفاعها بقوة وإلا فليست داركم ! فالتظت الجماعة ، وسعر بلقين ابن حبوس نار أخيه باديس ، غمى الوطيس ، وكان أحرص منه على الحرب ، فهياًنا لها وصبيحنا القوم على تعبئة محكمة ، فزال الشمس إلا وهم جزر مذبحه . ومغويهم ابن عباس بدنة مشعرة . وكان سبب نجاة القائد ابن شبيب من يدي باديس . وقد أسرد ذلك اليوم أن نظر إلى ابن عباس =

إلى باديس والمشيخة ودموعى تتحدّر على وجهى غضباً ۝ وابتدرونى بالسؤال
 خبّرتهم ، فالتظّت الجماعة وسعر بلقين بن حبّوس من نار أخيه باديس ، فمى
 الوطيس ، فما زالت الشمس إلا وهم جزر مذبحه ومغويهم أحمد بن عباس
 بدنة مشعرة . وكان يومئذ القائد ابن شبيب قد أسير ، فرأى أحمد بن عباس
 ٥ يُقَاد إلى باديس فصاح : « يا حاجب ! بالذى ينصرك لا يفوتك هذا الفاعل الزارى
 بالخليفة ، فما جرّ ما تراه سواه ، وليتني عاينت حثفه ولا أبالى الموت بعده ! »
 فتبسّم باديس وعرف صدقه ۝ فأطلقه وشدّ صفاً أحمد . وحدث أن باديس^(٧)
 لما تقدّم تلك الليلة بحبس الأوعار أشعر بذلك زهير ، وقال له بعض أصحابه :
 « أطعنى وقلّنى عارها ، وهون على نفسك هذا الخرق ، وخلّ عنها ۝ وتقدّم إلى
 ١٠ قوادك الليلة فى الارتحال معك سراً ، واتخذ الليل جملاً ، فلعلك تجاوز هذه
 الأوعار فتخرج من الورطة ؛ فإن القوم متى تبعوك فيها دخلوا من التّغريب فما
 خرجت عنه ، وتهيا لك العطف^(١) عليهم بمجالٍ فسيحٍ يمكنك القتال فيه
 والتعلّق ببعض حصونك » . وأكثر من ذلك حتى ردّ عليه أحمد بن عباس
 قوله وقال : هذا وسواسٌ أدخلك فيه الدُّعر . فقال له : المثلّ تقول هذا يا أبا

= وهو يقاد إلى باديس أسيراً ، فلم يمنعه هول مقامه أن صاح : يا صاحب ! أسألك بالذى نصرك
 ألا يفتلك هذا المأبون الزارى بالخليفة ! فوالله ما جنى كل هذا غيره ، فليتنى عاينت حثفه ولا أبالى
 القتل بعده . فتبسّم باديس لقومه وعرف صدقه ۝ وأمر بإطلاقه . وحكى أحمد القيسى (ت ١١٠٠ هـ) :
 متقبل السكة بالمرية أن مهلك زهير وأصحابه كان بقدر الله على يدى أحمد بن عباس وزيره المدبر
 لسلطانه إذ كان فى باطنه فاسد الضمير عليه ، حريصاً على إبطائه ، والحصول على المرية مكانه
 إذ كانت دار والده عباس (فى الأصل : ولده) وحوزته ، وأهلها صنّاعة وخوله ، وجندها
 تربية (؟) فهو يرى أن مهلكه ترائه ويحرص على زواله ، وبلغنى أن باديس ...

- جعفر وأنا فارس^(١) ابن فارس^(١) ، نيفت على عشرين وقعة وأنت ما قرعتك قط وعوغة ! ستعلم عاقبة أمرك ! فأجلت الوقعة عن أسره^(٢) . وكان مناه الخلاص إلى المرية لينفرد بالإمارة . وكان من جهله المأثور أن قال يومئذ للذين يحملونه إلى باديس : الله الله في حولتي^(٣) ! قولوا لأبي مناد باديس يحتاط عليها لا تنخرم فإن فيها^(٤) قطعة دفاتر لا كفاء لها ! فضحك البرابر من جهله .
- ولما سقط إلى المرية خبر زهير ملكوا بلادهم^(٥) ، وكاتبوا عبد العزيز بن أبي عامر . فلحق بالمرية ودخلها عفوا إثر الوقعة . وذلك منسلخ ذي القعدة سنة سبع^(٦) وعشرين وأربع مائة . وظفر^(٧) من تركة مولا زهير وأصحابه الصقلب المصابين معه في هذه الوقعة على أموال عظيمة وأمتعة رفيعة تفوت الإحصاء والقيمة ، أمسى فيها عبد العزيز كخرقاء وجدت صوفاً ، فرط تبذير — إلى مال كثير ١٠ من العين أصابه بيت مال زهير من الورق والذهب . ووضع عبد العزيز كل ذلك غير موضعه ، فتضاعفت البليّة .

مقتل أحمد بن عباس

- قال ابن حبان : وكان باديس قد أرجأ قتله مع جماعة من الأسرى ، وكان الرئيس أبو الحزم بن جهور قد وجه رسولا إلى باديس شافعا في جماعتهم ، مؤكدا ١٥

(١ — ١) هـ في ت ، لب (٢) ت ، لب : على أسر ابن عباس

(٣) ت ، لب : حولي (٤) ت ، لب : فيه

(٥) ت ، لب : بلادهم . هـ : بلادهم (٦) ت ، لب : تسع وعشرين

(٧) ت ، لب ، هـ : ظهر

في شأن أحمد بن عباس ، ^(١) فكان أبعدهم خلاصاً ، وآثر الشفاء من قتله ،
على عظيم ما كان يعطى في فديته ^(٢) ، فانصرف يوماً من بعض ركباته مع أخيه
بلقين ، فلما توسط الدار التي فيها أحمد بن عباس وقف فيها هو وأخوه بلقين
وصاحبه الخاصة علي بن القروي لارابع لهم ، وأمر بإخراج أحمد إليه . فأقبل
يرسف في قيوده حتى أقيم بين يديه . فأقبل على سببه وتبكيته بذنوبه ، وأحمد
يلطفه ^(٣) ويسأله إراحته مما هو فيه ، فقال له : « اليوم تستريح من هذا الألم
وتنتقل إلى ما هو أشد ! » وجعل يراطن أخاه بلقين بكلامه ، فبان لأحمد وجه
الموت منه ، وجعل يكثر الضراعة لباديس ويضعف له عدد المال . فأنار غضبه
وهز مزرقته . فأخرجها من صدره . فاستغاث الله عند ذلك — زعموا —
وذكر ^(٤) أولاده ، فاعتوره أخوه بلقين بزرقات ^(٥) ، وشر كهما ابن القروي
فمزقوه . وأمر باديس بحز رأسه . وووري خارج القصر . ففضى ^(٥) ابن عباس

(١) عبارة ت : لب : كان أبعدهم من الخلاص . واعتذر في حبسهم ليمين مغلفة ،
وشد صفاد أحمد ، ورغب عن الرغائب المبذولة فيه ، فاشتد البلاء بأحمد لفرط فزعه وثقل
حديده . وامتناعه عن استيفاء الغداء المقيم لجسمه . وتأله من عقار القيد لظنوبه ، وظل يستعطف
باديس ويشهيه بكثرة ما بذل له من الأموال في فكالك نفسه . وباديس يترجع في ذلك وقتاً
وتأبى له قوة غضبه عليه لإلشاف نفسه بقتله . فآثر الشفاء منه على عظيم ما كان يعطى في فديته .
وتولى قتله بنفسه [مع] أخيه بلقين لإغراقاً في العداوة وتحقيقاً في الأنفة ، فانصرفا ...

(٢) وه : يلاطفه (٣) ت ، لب : وذكر بأولاده

(٤) ت ، لب : بزرقات كثيرة كتبه لوجهه

(٥) ز في ت ، لب : وزعموا أن القيد الذي يساقه عسر لإخراجه بعد موته على خازن
باديس فرض قدميه حتى انتزعه وهما القدمان الدّرمان والسكاب التي (في الأصلين : الذي) لم
يخشن لها موطن في سالف الزمان

بَسْبِيلِهِ^(١) ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ ، وَلَمْ تَبْكِ أَرْضٌ عَلَيْهِ ، وَلَا قُطِعَ
ذَنْبٌ عَنْزٍ فِيهِ !

- وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ عَبَّاسٍ كَاتِبًا حَسَنَ الْكِتَابَةِ ، مَلِيحَ الْخَطِّ ، جَيِّدَ
الْخُطَابَةِ^(٢) ، غَزِيرَ الْأَدَبِ ، قَوِيَّ الْمَعْرِفَةِ ، شَارِعًا فِي الْفِقْهِ ، مُشَارِكًا فِي
الْعُلُومِ ، مُقْتَنِسًا لِلشَّعْرِ مِنْ غَيْرِ طَبْعٍ فِيهِ ، حَاضِرَ الْجَوَابِ ،^(٣) ذَكِيَّ الْخَاطِرِ ،
جَامِعًا لِلأَدَوَاتِ الْمُلَوَكِيَّةِ ، حَمِيلَ الْوَجْهِ ، حَسَنَ الْخِلْقَةِ^(٤) ، كَلِفًا بِالْأَدَبِ ، مُؤَثِّرًا لَهُ
عَلَى سَائِرِ لَذَاتِهِ ، جَمَاعًا لِلدَّفَاتِرِ ،^(٥) مُقْتَنِيًا لِلْجَيِّدِ مِنْهَا ، مُغَالِيًا فِيهَا ، نَفَّاعًا مَنْ
خَصَّهُ^(٦) بِهَا ، لَا يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ شَيْءٌ لِلْوَمِيهِ إِلَّا فِي سَبِيلِهَا ، أَثَرَى كَثِيرٌ مِنْ
الْوَرَّاقِينَ وَالتَّجَارِمِ مَعَهُ فِيهَا ، حَتَّى جَمَعَ مِنْهَا مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ مَلِكٍ^(٧) . وَكَانَ مَعَ
ذَلِكَ أَغْنَى مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ ،^(٨) وَلَا يُعْلَمُ ابْنٌ وَرِثَ لِأَبِيهِ مَا وَرِثَهُ أَحْمَدُ هَذَا^(٩) .
زَعَمَ بَعْضُ مَنْ عَرَفَ أَمْرَهُ أَنَّ مَالَهُ الْعَيْنَ بَلَغَ خَمْسَمِائَةَ أَلْفٍ مِنْ ثِقَالِ جَعْفَرِيَّةٍ سَوَى
الْفِضَّةِ وَالْأَنِيَّةِ وَالْحَلِيَّةِ . وَأَمَّا الْأَمْتَعَةُ فِي الْمَخَازِنِ وَالْكُسُوفِ وَالطِّيبِ وَالْفُرُشِ
فَبِحَسَبِ ذَلِكَ . ثُمَّ حَاطَ هُوَ تِلْكَ النِّعْمَةَ بِالْبُخْلِ الشَّدِيدِ الْقَبِيحِ^(١٠) ، وَأَثَلَهَا
بِالْاِكْتِسَابِ وَالتَّرْقِيحِ ، حَتَّى أَضْعَفَتْ أَضْعَافًا ؛ وَلَمْ يَوْفِّقْهُ اللَّهُ فِيهَا لِبَرِّ مُزْلَفٍ
إِلَيْهِ ، وَلَا لِصَنِيعَةٍ مَشْكُورَةٍ مِنْهُ ، بَلْ كَرَّهَ الْخَلْقَ فِيهِ^(١١) بِالْكِبَرِ وَالْعَجَبِ .

(١) هـ في وه ، ت ، لب (٢) وه ، ت ، لب : الخطاب

(٣-٣) هـ في وه . وفي ت ، لب : حسن الخلقة مسهما

(٤-٤) هـ في ت ، لب - وه : منتقيا (٥) ت ، لب : من خصه بسمى منها

(٦) ز في ت ، لب : حكى وراقه أنه حصلها قبل مقتله بسنة ، فبلغت المجلدات في
التحصيل أربعمائة ألف ، وأما الدفاتر المحزومة فلم يقف على عددها لكثرتها

(٧) ت ، لب : ولا يعلم أب ورتث ابناً مثلها (٨) ز في ت ، لب : وهاها

بالإمساك الصريح (٩) ر ه وه ، لب : له

والصِّلَفِ والتَّيِّهِ ۖ فَطُمِسَتْ بِذَلِكَ مُحَاسِنُهُ ، وَوَضَحَتْ مَقَابِحُهُ . ^(١) وَمِنْ عُجْبِهِ أَنَّهُ دَخَلَ قُرْطُبَةَ — وَمِنْهَا مُنْتَاهُ ، وَهُمْ بَقِيَّةُ النَّاسِ ^(٢) — فَجَبَّ كَبِيرَهُمُ الشَّيْخَ أَبَا عَمْرٍ ابْنَ أَبِي عَبْدِ مَنْ غَيْرِ عُدْرٍ ، وَمَا عُرِفَ عَبَّاسُ أَبُوهُ إِلَّا بِخُدْمَةِ ابْنِ عَمِّهِ ، وَتَنَقَّصَ أَدَبِيَهُمْ أَبَا عَامِرٍ بَنَ شُهَيْدٍ وَلَمْ يَكْ ^(٣) يَحْسُنُ مُسْتَعْمِلِيًّا لَهُ . ثُمَّ أَجْمَلَ وَصَفَ جَمَاعَتَهُمْ ^(٤) ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُمْ ^(٥) ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ بِقُرْطُبَةَ ^(٦) إِلَّا سَائِلًا أَوْ جَاهِلًا . وَهُوَ مَعَ تَنَقُّصِهِ الْخَلِيقَةَ أَظْهَرُهَا نَقْصًا ، لَمْ يُنَافِسْ فِي مَكْرُمَةٍ ^(٧) ؛ وَلَا هَشَّ لِثَنَاءٍ حَامِدٍ ۖ وَلَا اسْتُخْرِجَ دِرْهَمٌ مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا فِي سَبِيلِ الشَّهَوَاتِ ؛ فَأَسْمَنَ جِسْمَهُ ، وَهَزَلَ عَرِضَهُ ؛ وَأَشْبَعَ بَطْنَهُ ، وَأَجَاعَ ضَيْفَهُ ، يُمَسِّكُهُ عَلَى الْهُونِ ، وَيُعَلِّلُهُ بِالْأَمَلِ ، « لَكِي يُقَالُ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودٌ » . مِنْ رَجُلٍ كَانَ يَطُوفُ فِي مَقَاصِيرِهِ — زَعَمُوا — عَلَى خَمْسِمِائَةٍ مِنْ مُثَمَّنَاتِ الْقِيَانِ ، وَرَبَّمَا لَمْ يَكُنْ حَظُّ الْحَسَنَاءِ مِنْهُمْ عِنْدَهُ غَيْرَ لَذْعَةٍ الْعِضَّةِ ؛ ثُمَّ لَا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهَا ۖ وَاتَّهَمَ عَلَى ذَلِكَ ^(٨) بِهَرَجٍ الْخُلُوءِ لِلَّذِي شَهَرَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الْجَمَاعِ ، إِلَى بُحْلِ لَا كِفَاءَ لَهُ ، بِالْخُبْرِ فَمَا فَوْقَهُ ^(٩) .

أَخْبَرَنِي أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ زَيْدُونَ عَنْ ابْنِ الْبَاجِي كَاتِبِ الرِّسَائِلِ قَالَ : دَعَانِي ابْنُ عَبَّاسٍ يَوْمًا مَعَ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ إِلَى دَارِهِ ، فَصِرْنَا فِي مَجْلِسٍ نَاهِيكَ بِهِ ،

(١ — ١) عبارة ت ، لب : وحسبك من جهله وعجبه أن عامل أهل قرطبة الذين فيهم منتهاه وهم بقية الناس أيام دخلها مع زهير صاحبه بأسوأ ما عنده فجب ...

(٢) ت ، لب : ولم يك مستعملًا له (٣ — ٣) ده في ت ، لب

(٤) ت ، لب : بقرطبتكم (٥) ز في ت ، لب : ولا رغب في

إسداء منة ، ولا يلد بنعمة شاكر (٦) ر ، ده : لذلك

(٧) ز في ت ، لب : يحمل الناس عنه في ذلك أحاديث شائعة ، من أحضرها ما حكاه لي الوزير أبو الوليد ...

- مُتَشَاكِلٍ^(١) الْحُسْنُ فِي فُرُشِهِ وَسُتُورِهِ وَآلَتِهِ وَآيَاتِهِ ۖ قَدْ صُفِّتَ^(٢) فِيهِ فَوَاكِهُ
غَرِيبَةٍ وَأَنْقَالَ مُلُوكِيَّةٍ عَلَى طُولِهِ ، مَا وَقَعَتْ عَيْنِي قَطُّ عَلَى أَكْثَرِ مِنْهَا وَلَا أَغْرَبَ
مِنْ أَجْنَاسِهَا ، وَلَا أَنْفَسَ مِنْ أَطْبَاقِهَا ، وَقَدْ غُطِّيَ جَمِيعُهَا بِمَنَادِيلِ شُرْبٍ تُبَيِّنُ
صُورَهَا مِنْ تَحْتِهَا فَتَصَوِّرُ الْأَعْيُنَ وَالْقُلُوبَ إِلَيْهَا . فَأَخَذَ يُبَلِّغُنَا بِالشَّطْرِ نَجَ الْتِي
كَانَتْ أَغْلَبَ الشَّهَوَاتِ عَلَيْهِ ، فَاسْتَفَرَّقَ فِيهَا وَلَهَّأَ عَنْ سَائِرِ مَا أَرَادَنَا لَهُ ، وَوَصَلَ
اللَّعِبَ نَهَارَهُ كُلَّهُ وَبَعْضَ لَيْلَتِهِ ، لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَلَا يَدْعُو لَنَا بِطَعَامٍ وَلَا غَيْرِهِ ، إِلَى
أَنْ جُعْنَا وَالْحَجْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَنْصَرَفِ إِلَى مَنَازِلِنَا ، فَبَعْدَ لَا يُبَيِّنُ مَا أَذِنَ لَنَا . فَانْصَرَفْنَا
وَلَمْ نَرِزْأَهُ شَيْئًا مِمَّا كَانَ أَعَدَّ لَنَا ، وَلَا اعْتَذَرَ إِلَيْنَا . وَلَا مِنَّا إِلَّا مَنْ أَسَى عَلَى
مَا حُرِمْنَا مِنْ نَعِيمٍ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۖ وَتَعَجَّبَ مِنْ قِحَّتِهِ وَبُخْلِهِ وَاسْتِخْفَافِهِ بِمَنْ دَعَاهُ .
وَمِنْ صَلَفِهِ^(٣) الَّذِي صَحِبَهُ إِلَى يَوْمٍ مَحْنَتِهِ أَنَّهُ لَمَّا قِيدَ إِلَى بَادِيسٍ أُسِيرًا
فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَيْهِ ، بَدَّاهُ أَحْمَدُ بِالْبَسَامِ وَقَالَ لَهُ ۖ أَبَا مَنَادٍ ! رَأَيْتَ أَىَّ كَأْسٍ
أَدْرَتْهَا لَكَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكِلَابِ ! ۙ — يُشِيرُ إِلَى الْمَوَالِي الْعَامِرِيِّينَ — أُرِيدُ
أَنْ تَتَقَدَّمَ إِلَى حِفْظٍ دَفَاتِرِي فَإِنَّهَا أَهَمُّ مَا^(٤) عَلَى . فَتَجَهَّهَ لَهُ بَادِيسٌ وَقَالَ : أَمَكْرًا
عِنْدَ الْمَوْتِ يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ ؟ إِيَّائِي تُغَالِطُ ! ۙ وَأَمَرَ بِتَلِّهِ إِلَى مَحْبِسِهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
عَرَفَ مَا يُرَادُ بِهِ ، وَيُسَّسَ مِنَ الْمَغَالِطَةِ فِي جُرْمِهِ . وَبَلَغَنِي^(٥) أَنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ
أَبِي عَامِرٍ سَعَى عَلَى دَمِهِ^(٦) لَمَّا حَصَلَ عَلَى الْمَرْيَةِ وَخَافَ أَنْ يَتَخَلَّصَ فَيُكَدَّرَهَا عَلَيْهِ .

(٢) ت ، لب : صفت

(١) ت ، لب : متشاكل الجنس

(٤) هـ : أم على

(٣) ت ، لب : ومن صلف ابن عباس وعجبه

(٦) هـ : على سفك

(٥) ت ، لب : وقال أبو مروان وبلغني ...

دمه — ت ، لب : على دمه ودماء المأسورين معه من أصحاب زهير عند باديس

وإنَّ آكَدَ مَا أَشْخَصَ بِهِ أَبَا الْأَخْوَصِ بْنِ صُمَادِحٍ يَوْمَئِذٍ لِبَادِيسَ خَبْرُ
ابنِ عَبَّاسٍ ، فَقَتَلَهُ انْصِرَافَ ابْنِ صُمَادِحٍ عَنْهُ . وَحَكَى خَادِمُ لِبَادِيسَ قَالَ :
رَأَيْتُ جَسَدَ ابْنِ عَبَّاسٍ ثَانِيَ يَوْمٍ قُتِلَ ، ثُمَّ قَالَ لِي بَادِيسُ : خُذْ رَأْسَهُ وَوَارِهِ
مَعَ جَسَدِهِ . فَنَبَشْتُ ^(١) صَدَاهُ وَأَضْفَتُهُ إِلَى جَسَدِهِ بِحَيْثُ ^(٢) قَبْرِ أَبِي الْفَتْوحِ
قَتِيلِ بَادِيسَ أَيْضًا . وَقَالَ لِي : ضَعْ عَدُوًّا إِلَى جَنْبِ عَدُوٍّ إِلَى يَوْمِ الْقِصَاصِ ^(٣) .
و ^(٤) حَدَّثْتُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ قَدْ أُولِعَ قَبْلَ مَحْنَتِهِ بَيْتٍ مِنْ
الشَّعْرِ صَيَّرَهُ هَجِيرَاهُ أَوْقَاتَ لَعِبِهِ لِلشَّطْرَنْجِ أَوْ مَعْنَى يَسْنَحُ لَهُ مُسْتَطِيلًا بِجَدِّهِ وَمُكَافِيًا
بَسْعَدَهُ فَيَقُولُ :

عُيُونُ الْحَوَادِثِ عَنِّي نِيَامٌ وَهَضْمِي عَلَى الدَّهْرِ شَيْءٌ حَرَامٌ
وَدَاعَ بَيْتُهُ هَذَا فِي النَّاسِ وَغَاظَهُمْ حَتَّى قَلَبَ لَهُ مِصْرَاعَهُ الْأَخِيرَ بَعْضُ
الْأُدْبَاءِ فَقَالَ « سَيُوقِظُنَا قَدَرٌ لَا يَنَامُ » . فَمَا كَانَ إِلَّا كَلَّا حَتَّى تَذَبَّتِ
الْحَوَادِثُ لَهُضْمِهِ انْتِبَاهَةً انْتَزَعَتْ مِنْهُ نَخْوَتَهُ وَعِزَّتَهُ ، وَغَادَرَتْهُ أَسِيرًا ذَلِيلًا يَرْسُفُ
فِي وَزْنِ أَرْبَعِينَ مِنْ قَيْدِهِ ، مُنْزَعَجًا مِنْ عَضِّهِ لِسَاقِهِ الْبُضَّةَ ، الَّتِي طَالَمَا تَأَلَّمْتُ
مِنْ ضَغْطَةِ جُورِيهِ — غِبَّ يَوْمٍ أَصْبَحَ فِيهِ أَمِيرًا مُطَاعًا ، أَعْتَى خَلْقَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ،
وَأَمَّنْهُمْ لِمَكْرٍ رَبِّهِ ؛ فَأَخَذَهُ أَخَذَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ ، وَسَلَبَهُ نِعْمَةً لَمْ يَكُنْ لَهَا كُفْوًا ،
وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

(١) وَه : فَنَبَشْتُ عَنْ جَسَدِهِ وَأَضْفَتُهُ إِلَيْهِ — ت ، لب : فَنَبَشْتُ عَنْ صَدَاهُ

(٢) ت ، لب : بِجَنْبِ (٣) ز في ت ، لب : وَحَكَى أَنَّ بَادِيسَ وَبَلَقِينَ أَخَاهُ
إِذْ طَعَنَّا يَوْمَئِذٍ أَحْمَدَ بْنَ عَبَّاسٍ مَا وَقَعَ إِلَّا عَنْ سَبْعَةِ عَشَرَ طَعْنَةً ، وَلَمَّا بَقِيَ الدَّمَاءُ طَلَّقَ اللِّسَانَ
طَامِعًا فِي الْحَيَاةِ « فَعَجِبًا مِنْ قُوَّةِ نَفْسِهِ ، وَكَانَ الظَّنُّ أَنَّ يَلْفُظَهَا لِأَوَّلِ طَعْنَةٍ لِفَرْطِ تَرْفِهِ وَغَضَارَةِ
جَسَمِهِ ، فَاغْتَاظَ بَادِيسَ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِقَطْعِ جَسَمِهِ (٤) ت ، لب : قَالَ أَبُو مَرْوَانَ :
وَحَدَّثْتُ ...

وحكى^(١) عنه أنه نزل في بعض سفره منزلاً ، واستدعى ماء لغسل
رجليه إثر خلع لحيته ، فقدم إليه رب المنزل الماء وكانت عليه جبة أسماط ،
فمر أسفلها بقدم أحد فتالم^(٢) وتأوه وكان شيئاً لدغه تماجناً^(٣) ، وقال :
ابعد يا هذا فقد بردت رجلي بجيتك ، إنما هي أسكلفاج وليست بساج ! فحجل
الرجل^(٤) . وأخبره في الكبر غريبة شائعة جداً .

^(٥) وكتب إليه أبو عامر ابن التاكزني :

يا سيدي ، وأجل عدي ، وذخيرة الأيام عندي ، وفائدتها العظمى
بيدي ، الذي أستند^(٦) إلى فضله ، وأستظل من هواجر النوائب بظله . ومن
أبقاه الله للأيام مقرأ ، وللخائفين مفرجاً ؛ أحمد مسعاه ، من كنت منتهاه ،
وحمده سراً ، من كان من ضيائك سناها ؛ وقاد النجاح برؤيته ، من سما إليك
بهمته ، وقرب منال الجوزاء ، على من امتطى إليك الرجاء ، وأخصب رائد
من وجدك^(٧) ، وأعذب وارء من وردك واعتمدك . وأتت الخيرات شفعاً ، من
كان إليك شافعاً ، ولم يقدم من الصالحات نفعاً ، من كان عندك نافعاً . لأن
الله أحلك من حوض الجند عقره ، وجمع لك بين روض الحمد ومطره ؛
وجريت من المكارم في مضمار ، طالما أحرز أبوك خصله ، وأويت من حفظ الذم
إلى جوار شد ما عرف أو لوك فضله ؛ والله تعالى يزيدك من جزيل نعمه ،

(١) هذا الخبر مقدم في نسختي ت لب عن هذا الموضع

(٢-٢) ت ، لب : فتأوه لحروشتها — وه : فتأوه

(٣) نه في ت ، لب (٤) ز في ت ، لب : وأخذ في طرف من الاعتذار

(٥) لم يرد هذا الفصل إلا في نسختي ت ، لب (٦) لب : أسند

(٧) في كلا الأصلين : وخذك

ولا يُحْلِيكَ مِنْ جَلِيلٍ قَسَمَهُ بِحَوْلِهِ . [وفلان جمع] إِلَى ذِمَامِ النَّسَبِ ذِمَامَ
الْأَدَبِ ، وَأَوْى مِنْ تَأْمِيلِكَ إِلَى حِصْنِ حَصِينٍ ، وَمَتَّ مِنْ صُحْبَةِ أَبِيكَ — رَضِيَ
اللهُ عَنْهُ — بِالسَّبَبِ الْمُتَيْنِ . وَحَقِيقٌ عَلَى مِثْلِكَ مَنْ جَمَعَ أَشْتَاتَ الْفَضْلِ ،
وَأَحْتَاَزَ مَكَارِمَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ شَفَاعَتِي وَالنَّجَاحِ ، وَيُؤَلِّفَ بَيْنَ
حَالِهِ وَالصَّلَاحِ . وَفُلَانٌ شَاكِرٌ فَضْلِكَ . وَرَاجِي طَوْلِكَ ، مِمَّنْ يَمْتُّ بِوَسَائِلِ ،
وَيُذْنِي بِوَسَائِلِ ، أَنْتَ الْمَعِينُ عَلَى رَعِيهَا ، وَالْمُؤَيِّدُ عَلَى حِفْظِهَا . وَحَاجَتُهُ حَاجَتِي
وإِرَادَتُهُ إِرَادَتِي . وَشُكْرِي لَكَ عَلَى مَا تَوْلِيهِ وَتُؤَلِّينِي فِيهِ ، شُكْرٌ يَتَضَوَّعُ
نَسِيمُهُ ، وَيَأْرَجُ شَمِيمُهُ . وَهَذِهِ بِكْرُ حَوَائِجِي فَاجْعَلْ مَهْرَهَا الْقَبُولَ ، وَأَوَّلُ شَفَاعَتِي
فَأَوْسَعُهَا فَضْلُكَ الْجَزِيلَ ، وَرَأْيُكَ الْجَمِيلَ . نَاهِجًا لِأَمَلِي فِيكَ السَّبِيلَ ، وَمُوضِحًا
لِرَجَائِي لَكَ الدَّلِيلَ . إِنْ شَاءَ اللهُ . ١٠

فصلٌ في ذِكْرِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الشَّهِيدِ .

وإِيرادِ جَمَلَةٍ مِمَّا اتَّخَذَتْهُ مِنْ نَظْمِهِ وَتَثْرِهِ

وَأَبُو حَفْصٍ هَذَا ^(١) فِي وَقْتِنَا ^(٢) كَانَ فَارِسَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ، وَأَعْجُوبَةَ الْقِرَانِ ^(٣)
وَالْقَصْرِ ، وَنَهَايَةَ الْخُبَرِ وَالْخُبَرِ ؛ رَقَمَ بَرُودَ الْكَلَامِ . وَنَظَّمَ عَقُودَ النَّثْرِ وَالنِّظَامِ .
وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَزِرْ لِمَلِكٍ ، وَلَمْ تَذُرْ عَلَيْهِ رَحَى مُلْكٍ ، فَلَيْسَ بِمَتَأَخِّرٍ عَنْ طَبَقَاتِ ١٠

المُحْسِنِينَ ، وَلَا بِسَكَيْتٍ ^(١) حَلَبَاتِ الْكُتَابِ الْمُجِيدِينَ . وقد أخرجتُ في هذا الفصل ^(٢) من بارع كلامه ، في نثره ونظامه ، ما يشهد ^(٣) بوضوح أعلامه ، وشهر أ أيامه ^(٤) .

جُمْلَةٌ من كلامه في أوصافٍ مُخْتَلَفَةٍ

- من ذلك رُقْعَةٌ خاطَبَ بها بعضَ إخوانه يقولُ فيها :
أَبْنُكَ أَحَدُوثةٌ عَجَبٍ تُضْحِكُ سِنِّكَ ، « وَتَطْبِقُ بِالطَّيِّبِ وَقَتَكَ » ، فإِذَا
زَالَتْ النُّوَادِرُ مُسْتَغْرَبَةً لَا سِيَّامًا نَوَادِرُ عَلَيْهِ الْكَتَبَةُ : وَجَّهَتْ فَلَانًا إِلَى بَكْتَابٍ
يَخْضُوكَ مَا تَضَمَّنَهُ ، وَكُنْتُ — عِلْمُ اللَّهِ — حِينَ مُوَاظَاتِهِ مَنَزَلِي حَلِيفَ أَلَمَ .
قَدْ أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ التَّمَلُّلُ « وَأَسْهَرَنِي لَيْلُهُ » ^(٥) الْأَطْوَلُ . وقد انْفَضَّ عَنِّي مَنْ كَانَ
مَعِيَ رَجَاءُ غَفْوَةٍ اسْتَشْفَى بِهَا ^(٦) . ففَرَعَ الْبَابَ قَرَعًا مُنْكَرًا يَتَبَيَّنُ الْحَرَجُ فِيهِ . ١٠
وَيُظْهِرُ الضَّجْرُ فِي تَتَالِيهِ ^(٧) ؛ ففَدَاخِلُ ^(٨) الْخَادِمِ رُعْبٌ وَقَالَتْ : هُوَ خَطْبُ
أَنْتُمْ خَرَجْتُ عَلَى تَحَامُلٍ بِرَوْعَةٍ جَنَانٍ . وَلَجَلَجَةٍ لِسَانٍ ، وَمَنْطِقٍ جَبَانٍ ؛ تَنْقُلُ
قَدَمَهَا إِلَيْهِ عَلَى وَجَلٍ « كَمَا يَمْسُ بِظَهْرِ الْحَيَّةِ الْفَرْقُ » ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ الرَّجُلُ ؟
فَأَنْفَضَ رَأْسَهُ نَحْوَهَا وَقَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ بِيَمِينِهِ ، وَأَحَدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا ، وَتَهَدَّدَ وَقَالَ :
أَوَّاهَ عَلَى طُمُوسٍ رَسَمَ الْأَدَبُ وَتَمَثَّلَ . ١٥

(١) هـ ، ت ، لب : بسكيت في (٢) ت ، لب : الديوان

(٣-٣) هـ ، ت ، لب : برسوخ أعلامه وشهرة أيامه

(٤-٤) هـ : وتطيب بالطيب ردنك (٥) هـ ، ت ، لب : ليلى

(٦) ز في هـ ، ت ، لب : واسترد بعض منى بها (٧) هـ : تواليه

(٨) هـ : فداخل

إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي ثُمَّ أُغْلِقُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْخَادِمِ وَقَالَ : يَا لَكَعَاءُ ! كَسَبْتَ فِي مَوْئِنَةٍ ^(١) الْعَيْشِ مَعْرِفَةَ
الْحُلُوِّ وَالْمَرِّ . وَالْخَشِنِ مِنَ اللَّيْنِ ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ لَمْ تَحْفَظِي بَيْتًا وَاحِدًا مِنْ
الشَّعْرِ يَحْسُنُ بِهِ أَدَبُكَ ، وَيُجْبِرُكَ أَنْ تَقُولِي مِنَ الرَّجُلِ ! أَيَنْ أَنْتِ يَا لَكَعَاءُ مِنْ
قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ ^(٢) :

بِحَمِيهِ لِأَلَاؤُهُ وَلَوْ ذَعِيَّتُهُ مِنْ أَنْ يَذَالَ بَعْنٌ أَوْ يَمِّنَ الرَّجُلُ
وَلَكِنَّكَ مَا عَمِلْتَ ، حَرَجَهُ الصَّدْرُ ؛ قَلْبُكَ فَارِغٌ إِلَّا مِنَ الْغَفْلَةِ ، وَلَحْظَاتُكَ
بَلِيدَةٌ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْجُمْلَةِ . أَقْسِمُ لَوْ أَنَّكَ إِسْرَاءٌ مِنَ الْأَزْدِ أُسْدِ الْبَاسِ وَمَقَادِيمِ
النَّاسِ ، لَرَأَيْتِ لِأَلَاءَةِ الْأَزْدِيَّةِ فِي أُسْرَةٍ وَجْهِي . وَلَوْ لَا تَحْفَظِي لِلأَمْرِ الَّذِي وَرَدَتْ
لَهُ لَكَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ ^(٣) ، وَلَأَعْطَيْتُكَ قَانُونًا فِي الْفِرَاسَةِ وَالزَّجْرِ ، وَنَبَذْتُ
إِلَيْكَ بَعْلًا مِنْ عُلُومِ الدَّهْرِ ، لَا يَلْتَبِسُ عَلَيْكَ مَعَهُ الشَّرِيفُ أَيَّامَ عُمْرِكَ . يَا هَذِهِ
قَوْلِي لِرَبِّ الْمَنْزِلِ يَتَرَمَّرُ لِإِنْفَازِ هَذَا الْكِتَابِ . فَقَالَتْ لَهُ الْخَادِمُ : عَافَاكَ اللَّهُ
إِنَّهُ عَالِيلٌ ، وَمِنْ وَصَبِهِ ثَقِيلٌ . وَقَدْ بَرَّحَ بِهِ السَّهَرُ . وَلَآنَ لِيَغْفُوهُ السَّهَرُ .
وَلَا بُدَّ مِنَ التَّخْفِيفِ عَنْهُ . فَجَرَّ جَرْجَرَةَ الْعَوْدِ الدَّيْرَ ، وَتَزَيَّدَ مِنَ الْحَرَجِ
وَالضَّجَرِ ، وَقَالَ : بَسْلُ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ أَنْ نَقْرَى وَلَا نَخْلُقَ ^(٤) ، أَوْ نَتَوَجَّهَ فِي
أَمْرِ فَلَا نَحْقُقْ . يَا هَذِهِ لَيْسَ هَذَا إِيْوَانُ كِسْرَى فَتَتَزَوَّدَ لِاسْتِخْرَاجِ الْحَاجَةِ بِهِ
الْمَالِ وَالصَّبْرِ وَالْعَقْلِ . وَمِنْ الْعَجَبِ وَقُوفِي مَعَكَ مُنْذُ الْيَوْمِ أَضْرِبُ لَكَ الْأَمْثَالَ ،

(٢) ديوان أبي تمام ص ٢٠٣

(١) ت ، لب : ترفه

(٤) وه : نحقق

(٣) ت ، لب : خطب

وأصرفُ المقال ، وأنتِ لاهيةٌ عني ، لا يعينيكِ أمرِي . أترينَ صاحبكِ شربَ
من الخمرِ أقداحاً ، وسميعَ نوباتٍ ، فلما اعتدلَ مزاجُهُ ، وتوارتْ وجوهُ النوائِبِ
عنه ، قال للذَّهرِ أدِرْ دوائرَكَ فإني لا أعبأُ بكِ ! ؟ قد علمتُ عِلَّتَهُ . أقسمُ لو أنَّ
به ألفَ عِلَّةٍ ، تكونُ حياتُهُ من جميعها مُختلَّةً ^(١) ، لينفذَنَّ هذا السِّكِّتابُ ! قالت له
الخادمُ : ويحكُ ما أجفأكِ من وافرِ الأزْدِ ! أينَ منكِ رِقَّةُ الحجازِ وفصاحةُ نجدٍ ؟
ما أقبحَ هذا العقوقُ ، بمنَ شربِ ماءِ العقيقِ ، وأسوأَ هذا الأدبِ ، بمنَ ينتهي
إلى ذُؤَابَةِ العَرَبِ ! فقال : يا لَكَمَاءَ ، إنكِ لتُجادِلينني عن نَسَبِي ! وحياتِهِ
ما نقلتُهُ من الخطي ، وتجشمتُهُ من البيداءِ ^(٢) ، لينفذَنَّ هذا السِّكِّتابُ ، أو
لأشهدَنَّ عليه ^(٣) بالعِصيانِ والتَّكاسُلِ ، والتَّواني والتَّثاقلِ ؛ فثلي لا يَرِدُ إلَّا
بِحَزْمٍ ، ولا يصُدُّرُ إلَّا عن فَضْلٍ . فقالت له الخادِمُ : ما أسوأَ تقديرَكَ للأُمُورِ !
لئن كانَ مَحْمُوراً خُمَراً وَصَبَ ، فهو لاءِ الشُّهُودِ مَعَهُمْ شَرِبَ . وعندهم طَرِبَ ،
وصاحبُ المدينةِ منه بَنَسَبَ ، وعلى صِلَةِ سَبَبٍ ، فأينَ تَذْهَبُ ؟ فشمخَ بأنفِهِ .
وكسَرَ من طَرَفِهِ ، ومدَّدَ الزَّفَرَةَ ، وردَّدَ التَّلْهُفَ والحَسْرَةَ ، ثمَّ قال : أفي
للدُّنيا فما تَزَالُ تعنِّينا بمثلِ هذهِ الهَناءِ ! فلما شدَّ على شِسْعِهِ للانصرافِ أقبلَ على
الخادمِ فقال :

١٥

قِفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضَبَّاعاً ولا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكِ الْوَدَاعَا
أما إنكِ ^(٤) لو لا أن تكوني باهليَّة الضَّغْنِيِّ لعرفتُكِ . ولكن سأودِعُ ^(٥)

(١) ر : مختلفة

(٢) ر : النداء — لب : البدا

(٣) ر ، وه : عليك (٤) ت ، لب : أما إنكِ لو تكوني

(٥) وه ، ت ، لب : سأودِعُ

عندك أَرْجَا يَدُلُّ على موقفي في هذه البُحْبُوحَة . أنا العَتَكِيُّ الحَسَب والنَّسَب ،
وذو الهِمَّة والأدب ، فَمَنْ سَأَلَكَ قَقُولِي مَا شَهِدْتِ ، وَحَدَّثِي عَمَّا عَايَنْتِ ،
وَمَا أَرَأَيْكَ تَجِدِينَ ظَاهِرًا تُقِيمِينَ بِهِ فَرَضَ الثَّنَاءِ عَلَىَّ . إِذْهَبِي لَا مَحْفُوظَةً
وَلَا مَكْلُوءَةً . ثُمَّ انْحَدَرْنَا فَمَا عَلِمْنَا مَا كَانَ مِنْهُ .

وَلَهُ مِنْ مَقَامَةٍ حَذَفْتُ بَعْضَ فَصُولِهَا لِطُولِهَا

قال في صدرها :

(١) إِنْ صَنَعَةَ (٢) الْكِتَابَةَ مَحْنَةً مِنَ الْمَحَنِ ، وَمِهْنَةً مِنَ الْمِهَنِ ؛ وَالسَّعِيدُ مَنْ
خَدَمَتْ دَوْلَةً إِقْبَالَهُ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ كَانَتْ رَأْسَ مَالِهِ ؛ وَالْعَاقِلُ مَنْ إِذَا أَخْرَجَهَا
مِنْ مَتَالِبِهِ لَمْ يُدْخِلْهَا فِي مَنَاقِبِهِ ؛ لَا سِيَّامَا وَقَدْ تَنَاوَلَهَا يَدُ (٣) كَثِيرٍ مِنَ الشُّوقِ ،
وَبَاعَوْهَا بَيْنَ الْخَلْقِ ؛ فَسَلَبُوهَا تَاجَ بَهَائِهَا ، وَرَدَّاءَ كِبَرِيَّائِهَا ، وَصَيَّرُوهَا صِنَاعَةً
يَكَادُ الْكَرِيمُ لَا يُعِيرُهَا لِحِظَةٍ ، وَلَا يُفْرِغُ فِي قَالِبِهَا لِقِظَةً ؛ إِذَا لَحِظْتَ أَنْ يَغْتَرَّ
الْكِرَامُ إِذَا وَلَّى الْأَعْلَاجَ ، وَأَنْ تَسْتَنْعِجَ الْأَسَادُ إِذَا اسْتَأْصَدَتِ النَّعَاجَ . غَيْرَ
أَنَّهُ مَنْ وُسِمَ بِسِمَتِهَا ، وَظَهَرَ فِي وَسْمَتِهَا « فَعِيرٌ مُجْهُولٌ مَكَانُهُ ، وَلَا مُسْلِمٌ لَهُ
كِتْمَانُهُ . وَمَا عَسَى أَنْ يَصْنَعَ بِذِي مَكَانَةٍ وَحَسَبَ ، إِذَا اتَّفَقَ يَوْمٌ سُرُورٍ
وَطَرَبٍ ؛ وَرَغَبَ رَغْبَةَ كَرِيمٍ ، أَنْ يُورِّخَ لَهُ بِمَنْشُورٍ وَمَنْظُومٍ ؟ أَقْسِمُ لَوْ كَانَ
وَجْهُهُ (٤) فِي صَفَاقَةِ نَعْلِهِ ، أَوْ وَقَاحَةِ حَافِرِ بَعْلِهِ ، لَمَا وَسِعَهُ غَيْرُ الْإِسْعَافِ عَلَى
حُكْمِ الْإِنْصَافِ وَإِلَّا لَزِمَهُ اسْمُ التَّبْرِيدِ وَالْجُمُودِ . وَبِهَذَا السَّبَبِ دُفِعْنَا إِلَى

(١) يبدأ من هنا خرم في موه وسنبيه عند انتهائه (٢) ت ، لب : صناعة

(٣) ت ، لب : وجه الانسان

(٤) موه في ت ، لب

النَّصَبُ فَمَا تَسْمَعُهُ ، وَرَبَّمَا تَسْتَبْرِعُهُ ^(١) . وَلَنْ مَرَّتْ بِكَ كَلِمَاتٌ مُحَالِيَاتٌ ^(٢) .
 تَنْظِمُهَا سُلُوكُ هَزَلِيَّاتٍ ، فَإِنَّمَا هِيَ أَوْصَافٌ طَابَقَتْ مَوْصُوفَاتِهَا ، وَحُلَّى عَلَى أَقْدَارِ
 مُحَلِّيَّاتِهَا . وَابْلِيغُ كَالْجَوْهَرِيِّ وَاجِدُ التَّعَبِ ، فِي نَظْمِ الدَّرِّ أَوْ الْمَخْشَلَبِ ،
 وَكَالْصَّائِغِ ^(٣) وَاجِدُ الْعَنَاءِ ، فِي سَبْكِ الصَّفْرِ أَوْ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ ، وَكَالْعُقَابِ وَاجِدُ
 الْإِنْهَوَاءِ ، عَلَى الصَّقْرِ أَوْ الْمَكَّاءِ . وَالْعَاقِلُ مَنْ بَرَزَ يَوْمَ الشَّرُورِ فِي زِيِّ الْأَعْيَادِ ،
 وَيَوْمَ الْحُزَنِ فِي ثِيَابِ الْحِدَادِ ؛ وَسَيَّانٍ فِي الْفَجَاجَةِ وَالْبَرْدِ ، مَنْ جَدَّ عِنْدَ الْهَزْلِ
 أَوْ هَزَلَ عِنْدَ الْجَدِّ . وَلَا أَوْضَحَ فِي الْقِيَاسِ ، مِنْ حَرَكَاتِ النَّاسِ ، كَحَرَكَاتِ
 الشَّمْسِ وَالْأَقْمَارِ ، فِي الْفَلَكَ الدَّوَّارِ ، كَمَا انْتَقَلَتْ فِي الْمَنَازِلِ وَالْبُرُوجِ ، عُدَّتْ
 بِالْأَسْطُرْلَابِ وَالزَّيْجِ ، وَوُقِفَ عَلَى حَقَائِقِهَا ، بِثَوَانِهَا وَدَقَائِقِهَا ، مُحْصُورَةً بِالْحُدُودِ ،
 فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، كَحَرَكَاتِ الْفَقِيهِ ابْنِ الْحَدِيدِ ، فَإِنَّ أَيَّامَهُ ^(٤) عَلَى مَنَاقِبِ
 ١٠ الْإَيَّامِ أَرْدِيَةُ شَبَابٍ ، وَفِي مَقَارِقِهَا تَيْجَانُ نَخْوَةٍ وَإِعْجَابِ .

وفي فصل منها :

فَدُونُكَهَا عَذْرَاءٌ ، مُحَجَّلَةٌ غَرَاءٌ ، كَمَا رُفِعَ عَنْهَا سِجْفُ الْإِبْدَاعِ ، وَأُبْرَزَتْ
 مِنْ كِنَاسِ الْإِخْتِرَاعِ ؛ تَنْظُرُ بَعَيْنِ الْغَزَالِ رُوعٌ ، وَأُوَيْسَ بَعْدَمَا أُطِمِعَ . نَعَمْ !
 ١٥ اتَّفَقَ مِنَ الرَّبِيعِ ^(٥) وَقْتُ حُلُولِ الشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ ، وَقَامَ وَزْنُ الزَّمَانِ وَاعْتَدَلَ ،
 وَأَخَذَ آذَارُ عَلَى مَا اعْتَادَ ، فَحَلَّى الْوَهَادَ ^(٦) وَالنَّجَادَ ، وَخَلَعَ عَلَى ظُهُورِ الْمُرُوجِ .

(٢) ت : مجليات — لب : محليات

(٤) لب : حركاته

(٦) ت ، لب : الاوهاد والأنجاد

(١) ت ، لب : تستبدعه

(٣) ر : وكالصائغ

(٥) ت ، لب : البديع

ضُروبَ الدِّبَاجِ^(١)، وَأَثَقَلَ صُدُورَ الْأَشْجَارِ، بِحُلَى الثُّوَارِ، وَاطَّيَّ نُفُوسَ الْأَطْيَارِ،
بِنُضَارَةِ الثَّارِ، فَبِعَثَّتْ أَشْجَانَهَا، تُرْجِعُ الْحَانَهَا، فَمَا شِئْتَ مِنْ رُمَانٍ تَمَلَأُ^(٢) كَفَّ
الْعَمِيدِ مِنْ أَمْثَالِ النُّهْدِ، تَحْتَ الْقَلَائِدِ وَالْعُقُودِ، وَتَفْتَقُ عَنْ أَمْثَالِ الْجُمْرِ، إِنْ
وُصِفَتْ فَكَاللَّثَاتِ الْحُمْرِ، أَوْ أَرْتُسِفَتْ فَكَالرُّضَابِ الْخَصْرِ أَوْ الْخَمْرِ. وَلَمَّا انْتَضَمَتْ
لِلزَّمَانِ هَذِهِ الْمَحَاسِنِ ۖ حَنَّتْ نَفْسُ الْفَقِيهِ بِسِيَادَتِهَا ۖ إِلَى كَرَمِ عَادَتِهَا، مِنْ
الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَتْبَاعِ، وَالتَّسْلِيَةِ لِنَفُوسِ الْأَلْفِ وَالْأَشْيَاعِ؛ فَلَمَّا صَفَّقَ الدَّيْكَ
وَصَرَخَ^(٣)، وَاسْتَغْفَرَ كُلُّ عَبْدٍ مُنِيبٍ رَبَّهُ وَسَبَّحَ ۖ وَهَمَّ بِشَنْ الْغَارَةِ كَمِينِ^(٤)
الصُّبْحِ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَاهْتَزَّ الْفَجْرُ اهْتِزَازَ الرُّمَحِ فِي يَمِينِ الْأُفُقِ، أَطْلَقَ
لِسَانَهُ الْفَصِيحَ، بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءِ طَهُورٍ، وَأَفْرَغَهُ نُورًا عَلَى نُورٍ،
فَوَضَّأَ وَجْهًا وَضَاءً، يَمَلَأُ الْعُيُونَ بِهَجَّةٍ وَسَنَاءٍ.

وفي فصلٍ منها :

وَمِلْنَا إِلَى مَنْزِلِ بَدَوِيٍّ، ذِي هَيْئَةٍ وَزِيٍّ
لَهُ مَنْزِلٌ رَحْبٌ عَرِيضٌ، مُزَرَّبٌ بِأَعْوَادٍ بَلُوطٍ وَطَوْجٍ مُقْتَلٍ
تَرَى بَعَرَ الْأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهِ وَقِيعَانِهِ كَأَنَّهُ حَبٌّ مُقْلَلٍ
فَهَشَّ وَبَشَّ، وَكَنَسَ مَنْزِلَهُ وَرَشَّ، وَصَيَّرَ عِيَالَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ، وَجَمَعَ أَطْفَالَهُ
فِي زَاوِيَةٍ ۖ وَجَعَلَ يَدُورُ كَالْخُذْرُوفِ أَمَامَ الصُّفُوفِ، يَتَلَقَّى الْوَاحِدَ مِنْ بَعْدِ
الْوَاحِدِ، يَأْخُذُ بِرُكَايِهِ ۖ وَيَكْشِرُ عَنْ نَابِهِ، وَيَتَمَثَّلُ :

(٢) ت، لب : ملا

(١) ت، لب : الدِّبَاجِ

(٤) ت، لب : وَهَمَّت ... يَمِين

(٣) ت، لب : وَصَاح

- أَخَذِي كَذَا بِرَكَابِ الضَّيْفِ أَنْزِلُهُ أَلَدُّ عُنْدِي مِنَ الْإِسْفَنْجِ بِالْقَسَلِ
 أَوْ مِنْ رَغَائِفِ كَانُوتٍ مُلْهَوَجَةٍ أَوْ رَائِبٍ بَقَرِيٍّ جَيِّدِ الْعَمَلِ
 أَوْ مِنْ خُورٍ عُجُولٍ فِي مَسَارِحِهَا أَوْ مِنْ رُكُوبِ الْحَمِيرِ الْفَرَّهِ فِي الْكَفَلِ
 • ثُمَّ مَالَ بِنَا إِلَى بَيْتِ مُكَنَّسٍ ، مُنَوَّعٍ مُجَنَّسٍ ، قَدْ جَلَّهٗ حُضْرًا بَلَدِيَّةً ،
 وَغَشَاهُ بُسْطًا بَدَوِيَّةً ، وَمَدَّ فِيهِ شَرَائِطَ وَحَبَالًا ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ خَيْالًا ،
 وَعَلَّقَ مِنْهَا غَلَائِلَ وَمُلَاءَاتٍ ، وَهَمَائِينَ وَسَرَائِيلَاتٍ ، وَكَمْ شِدَّتْ مِنْ خِرْقٍ
 مُعْصَفَرَةٍ ، وَعَصَائِبَ مُزْعَفَرَةٍ ، حَتَّى الْمَقْنَعَةُ وَالْخِمَارُ ، وَالذَّلَالُ الْمُسْتَعَارُ ؛ وَقَدْ
 اتَّخَذَ فِي الْحَائِطِ كُوَّةً وَثَانِيَةً ، وَمَلَأَهَا حِقَاقًا وَآنِيَةً ، وَأَوْدَعَهَا مِنْ عَتَادِ الْعُرُوسِ
 فَاخِرِهِ ، وَمِنْ طَيْبِ الْبَادِيَةِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ^(١) . فَقُلْتُ : يَا صَاحِبَ الْمَنْزِلِ ، هُنَيْتَ
 ١٠ وَهْنَيْتَ . لَقَدْ أُوتِيتَ وَأُوتِيتَ ! وَجَعَلْتُ أَرْفُقُ عَنْ صَبُوحٍ . وَأَقُولُ : مَتَى كَانَ
 الْحَيَامُ بِذِي طُلُوحٍ ؛ مِنْ أَيْنَ لِلْبَدَاوَةِ بِهَذَا الرِّوْنَقِ وَالطَّلَاوَةِ ، وَكَيْفَ حَتَّى
 أَغْرَتَ عَلَى حَانُوتِ الْعَطَارِ ، وَمَتَى نُقِلَ سُوقُ الْبَرِّ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ ! ؟ لَقَدْ قَرَّتْ
 بِكَ الْأَعْيُنُ ، وَسُرَّتْ الْأَنْفُسُ . هَذَا زَيُّْ الْعُرُوسِ فَأَيْنَ الْعُرُسُ ؟ فَصَحِّحْكَ
 ١٥ الْبَدَوِيُّ مِلَّةً فِيهِ ، وَتَوَسَّمتُ الْإِزْدِرَاءَ فِيهِ . وَأَنْشُدُ :

يَا أَخِي نَحْنُ عَلَى ^(٢) أَنَا نَتَّاجُ بَدَوِيٍّ
 سَادَةٌ نَاسٍ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا دَوِيٍّ
 عِنْدَنَا إِنْ جَاءَ ضَيْفٌ شَيْعَ جَمٍّ وَرِيٍّ

(١) زُفِيَتْ : لَبَّ : مِثْلُ حِرَاقَةِ الْوَرْدِ بِالْبَابِ « وَعَصَارَةُ الْعَصْفَرِ بِالزَّعْفَرَانِ » وَشَيْءٌ
 مِنَ الْإِثْمَدِ وَالْأَسْفِيدَامِ (لَعَلَّهَا : الْأَسْفِيدَاغُ) وَمِرَاوِدُ الزَّجَاجِ « وَحَبَّاتُ الْمِصْطَكِيِّ وَاللِّبَانِ ،
 وَغِبَارُ الْعَفْصِ وَقَشُورُ الرِّمَانِ ، وَكَثِيرٌ مِنْ سَنُونِ ذَلِكَ الْمَكَانِ (٢) ت ، لَبَّ : وَإِنْ كُنَّا

وَسَرِيرٌ حَشُوهُ رِي شُ الْفَرَارِيحِ وَطِيٌّ
وَكِرَامَاتٌ كَثِيرًا تٌ وَهَيْئَاتٌ وَزِيٌّ

ثُمَّ قَامَ مِنْ مَكَانِهِ ، وَدَعَا بِصَبْيَانِهِ ، وَأَعْرَاهُمْ بِدِيكَ لَهُ هَرَمٌ ، ^(١) لِيَذْبَحَهُ فِي طَاعَةِ الْكَرَمِ ، فَأَجْرُوهُ لِأُمَّهُمْ الْمَأْوِيَةِ ، مِنْ رَاوِيَةٍ إِلَى زَاوِيَةٍ . حَتَّى سَقَطَ الدِّيكَ سَقُوطَ طَلِيحٍ . جِسْمًا بِلَا رُوحٍ . فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ . مُتَهَافَتِينَ ^(٢) عَلَيْهِ ، وَهُوَ يَضْطَرِبُ اضْطِرَابَ الْخُنُوقِ ، وَيَسْتَغِيثُ بِالْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ . وَاتَّفَقَ لِقَرُطِ خَنْقِهِ ، وَمُؤْلِمِ تَقْلُقِهِ . أَنْ عَضَّ عَلَى أَيْدِيهِمْ ^(٣) عَضَّةً ، وَانْتَفَضَ مِنْهُمْ نَفْضَةً ، وَصَعَدَ فِي بَعْضِ الْجَوَارِيزِ . وَحَمِدَ اللَّهُ حَمْدَ الْفَائِزِ . وَتَمَثَّلَ :

إِذَا غَرِقَتْ بِبَحْرِ مِنْ الرَّدَى فَيَاضِ ١٠
فَلَا يَكُنْ بِهَلَاكِ عَلَيْكَ ظَنُّكَ قَاضِ
فَلَيْسَ فِي كُلِّ ^(٤) وَقْتٍ سَيْفُ الْمَنِيَةِ مَاضِ

وَحَانَ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ ، فَصَفَّقَ بِجَنَاحَيْهِ ثَنَتَيْنِ . وَصَرَخَ صَرَخَتَيْنِ ، وَاقْتَدَى بِهِ الْمُؤَذِّنُونَ ، وَتَجْمَهَرُ الْمُؤَذِّنُونَ . حَتَّى إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ اسْتَصْرَخَهُمْ فَأَصْرَخُوهُ ، وَتَوَاتَبَتْ إِلَيْهِ السَّادَةُ وَالْوُجُوهُ ، فَقَالَ لَهُمُ الدِّيكَ : أَيُّهَا السَّادَةُ الْمُلُوكُ ! فَيَكُمُ الشَّابُّ مُتَّعٌ بِالشَّبَابِ ، وَالْأَشَيْبُ نَوَّرَ شَيْبُهُ مَعَ الْكَوَاعِبِ وَالْأَثْرَابِ ؛ وَقَدْ ^(٥) صَحَبْتُكُمْ مُدَّةً ، وَسَبَّحْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى رَعْوَتِكُمْ مَرَارًا عِدَّةً ؛ أَوْقِظْكُمْ بِالْأَسْحَارِ ، وَأُؤَذِّنُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛ وَقَدْ أَحْسَنْتُ لِدَجَائِكُمْ سَفَادًا ، وَرَبَّيْتُ لَكُمْ مِنَ الْفَرَارِيحِ

(١-١) ت ، لب : واهتز هزّة هَرَمٍ للكرم

(٢) ت ، لب : يتهافون (٣) ت ، لب : أحدم

(٤) ت ، لب : في كل حين (٥) هنا ينتهي خرم وه

أعدادا ؛ فالآن حين لي في خِدْمَتِكُم تاجي ، أنعي إلى دَجَاجي ، وتُنحى الشَّفَرَةُ
على أوداجي ؟ وحين أدرَ كُنِيَ الشَّيْخ ، يُمَزَّقُ لَحْمِي وَيُطْبَخُ ؟ يا لَلْكَرَام ،
من ذلَّ هذا المُقَام ! وجعلتُ دُمُوعَهُ تَسْفَحُ من دَمِهِ ، والحُزْنُ^(١) يُطَبِّقُ على
فَمِهِ ؛ ثم غَشِيَ عليه ، فاجتمعتُ البدَاوَةُ^(٢) إليه ؛ يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ بالماء ،
ويُحْلِصُونَ له في الدُّعَاء ؛ ثم أفاقَ من غَشِيَّتِهِ ، وأنشد :

عَلَامٌ يُقْتَلُ شَيْخٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ بَرِيٌّ ؟
مُحَقِّقٌ مُتَحَرِّرٌ مُوَحِّدٌ سُنِّيٌّ
هَلْ نَصَّ هَذَا كِتَابٌ أَوْ قَالَ هَذَا نَبِيٌّ ؟ !
لَا ذَنْبَ لِي غَيْرَ أَنِّي مُؤَذِّنٌ بَدَوِيٌّ

- فرقت له أنفسُ القَوْم ، وأقبلوا على صاحبِ المنزلِ باللوم ، فقال : ويحكمُ
إنَّ هذا الدِّيكَ ذُو فَخِذٍ^(٣) وصُدْرَةٍ ، وقد أصابتنِي عليه ضَجْرَةٌ ؛ ولي في ذَنْبِهِ سِرٌّ ،
ولا بدَّ أن تُزَيِّنَ به قِدرٌ ، وتُضْرَمَ تحتهُ النَّيران ، ويشبعَ من لَحْمِهِ الضَّيفانُ^(٤) ؛
أما ترونَه قُرَّةَ العَيْنِ والقلوبِ ، سَبِيكَةً لُجَيْنٍ مُحْكَمَةً التَّذْهِيبِ ! ؟ وتمثلُ :
من شَيْمَتِي^(٥) مَها تَزَيَّنَ مَنْزِلِي بَضِيفٍ أَنْ أَقْرِيَهُ بِأَحْسَنِ مَا عِنْدِي
لَوْ أَنَّ دَمِي خَمْرٌ لَرَوَّيْتُهُ بِهِ وَلَوْ صَلَحَتْ كِبْدِي شَوَيْتُ لَهُ كِبْدِي
بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي مُذْ عَقَلْتُهِ وَقَدْ كَانَ أَوْصَاهُ بِذَا قَبْلَهُ جَدِّي
فقال الدِّيكَ : لا أَكْذِبُ ، الحقُّ طريقُ مُسْتَبِينٍ ، واتباعُهُ مُروءَةٌ ودينٌ ؛

(١) ر : والحرر (٢) ز في ت ، لب : من كل ناحية إليه

(٣) ر : دَمِ نَفَرٍ - لب : نجد (٤) ر : الصبيان (٥) م ، ت ، لب : ومن شيعي

أما إِنَّه لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ، كَرِيمٌ ابْنُ كَرِيمٍ . غير أَنَّهُ لَوْمٌ فِي أَمْرِي وَأَفْرَطَ .
 وَغَلَطَ مَا شَاءَ أَنْ يَغْلَطَ . أما عَلِمَ أَنَّ هَرِمَاتِ الدُّيُوكِ ، لَيْسَتْ مِنْ مَطَاعِمِ الْمُلُوكِ ،
 وَأَنَّهَا بِالْأَدْوِيَةِ ، أَشْبَهُ مِنْهَا بِالْأَغْذِيَةِ ! ؟ وَأَقْسِمُ لَوْ اتَّخَذَ بُرْمَةً مِنْ فَوَادٍ مَهْجُورٍ ،
 وَوَضَعَنِي مِنْ مِثْلِهِ عَلَى تَنْوَرٍ ، لَا قَضَى بِي حَاجَةٌ ، وَلَا عَدِمَ مِنِّي نِيْوَاءُ وَفَجَاجَةٌ ^(١) ؛
 وَإِنَّ لَهُ فِي بَنِي مَا لَا يَجِدُهُ فِي ، مِنْ طِيبِ الْمَسْمِ ، وَلَذَّةِ الْمَطْعَمِ ، وَالتَّوْلِيدِ لِأَحْمَرٍ ٥
 مَا يَكُونُ مِنَ الدَّمِ . وَأَنِّي ^(٢) كَالْفَرْجِ أَسْفِيدَاجَا ^(٣) ، لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْدِلَ مَرَجَا ١٩
 فَرَكَى قَوْلَهُ ، كُلُّ مَنْ حَوْلَهُ ، لَمْ يَأْلُوهُ تَعْظِيماً ، وَاتَّخَذُوهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَكِيماً .
 وَصَرَفَ الْبَدْوِيَّ مِنَ الطَّافِهِ ، مَا أَحْسَنَ بِهِ قِرَى أَضْيَافِهِ ؛ وَخَتَمَ نَوْبَةَ بَرِّهِ ،
 بِالرَّغْبَةِ فِي بَسْطِ عُدْرِهِ ، فَسَمِعْنَا مِنْهُ ، وَرَحَلْنَا سَحَرًا عَنْهُ .

١٠ وفي فصل منها :

وَلَمْ تَزَلِ الْجِيَادُ تَمْعَجُ ^(٤) بِكُمَاتِهَا ، وَالشَّمْسُ تَنْتَقِلُ فِي دَرَجَاتِهَا ؛ حَتَّى
 أَشْرَفْنَا عَلَى عَيْنِ كَالْدَيْنَارِ ، كَأَنَّمَا هُنْدَسَتْ بِالْبِرِّ كَارِ ١٠ ذاتِ ماءٍ رِيَّانٍ مِنَ الشَّنْبِ
 وَالْخَصَرِ ١٠ وَحَصْبَاءَ ^(٥) كَالْأَسْنَانِ ذَوَاتِ الْأَشْرِ ؛ وَقَدْ حَفَّ بِهَا النَّبَاتُ خَفِيفَ ^(٦)
 الشَّارِبِ بِفَمِ الْأَمْرَدِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِخُضْرَةٍ كَالْمِرَاةِ الصَّقِيلَةِ طُوقَتْ بِالزَّبَرَجَدِ .

١٥ ومنها :

فَأَصْغَيْتُ فَإِذَا بِصَوْتِ نَاقُوسٍ ، فِي دَيْرٍ قَسِيْسٍ ؛ وَقُرْيَةٍ آتَةٍ ، كُلُّهَا حَانَةٌ ^(٧) ؛

(١) ت ، لب : مجاجة (٢) ت ، لب : وأين

(٣) هـ : أسفيداجا - ت ، لب : أسفيداجا — ر : أسفيداجا

(٤) هـ : تمعج (٥) هـ : حصباؤه (٦) هـ : حف

(٧) ر ، ت ، لب : خانة

دارُ البطاريق ، وملعبُ الكاسِ والإبريق^(١) ؛ سائمُها الغنَازيرُ . وحياضُها
المعاصيرُ . ومياهُها الأنْبذة والخُمورُ ؛ وشكلُها مُثلثٌ مَسْطُوحٌ ، هُنْدَسْتُهُ حَوَارِيثُ
المسيحِ ؛ نباتُها غُصُونٌ من قُدُودٍ ، تهتزُّ في أوراقٍ من بُرُودٍ ، وتُثمرُ رُمانًا من
نُهودٍ ، وتُفَاحًا من خُدُودٍ ، وعقاربٍ من أصدَاغٍ ، وأفاعيٌ من أسُورةٍ وعُقُودٍ ؛
وفيها مُدَامٌ من رُضَابٍ ، وسُقَاةٌ من كَواعِبٍ أترابٍ ؛ وغَيْدٌ لَمُهَوًى قُرْطٍ ،
وارْتِجَاجٌ لِكُثِيبٍ في مِرْطٍ ؛ وجَوْلَانٌ لِنَطَاقٍ ، وغَصَصٌ^(٢) لِيَخْلُخَالٍ في سَاقٍ ؛
وَحَنَتْ في أَلْفَافٍ ، ومَوَاعِيدُ بِالْحَافِظِ ؛ « قُلُوبٌ تَكْلَفُ وتُشْعَفُ ، ونَفُوسٌ تَنْشَأُ
وأُخْرَى تَتَلَفُ . فلَمَّا أَكْثَرُ مُحَدِّثُنَا بِحَضْرَةِ الْفَقِيهِ ، من هَذَا التَّشْبِيهِ ، ومن هَذِهِ
الْمَحَاسِنِ ، الْمُحَرَّرَاتِ لِكَثِيرٍ مِنَ السَّوَاكِنِ ، قَطَبْنَا لَهُ وَجُوهَ الْاسْتِكْرَاهِ ،
وَعَضَضْنَا لَهُ عَلَى الشَّفَاةِ . فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ نَكْثِرُ لَفْظًا ، وَنَرَى الْحَوْلَ
بِالْمَسِيحِيِّينَ غَلَطًا ، إِذْ نَظَرْنَا إِلَى أَطْرَادِ صُفُوفٍ مِنْ أَعْطَافِ خَنْثَةٍ ، وَخُصُوفِ هَيْفٍ ،
وَشُمُوسٍ وَأَقْفَارٍ ، عَلَى أَفْلَاقِ جُيُوبٍ وَأَزْرَارٍ ؛ لَا سُيُوفَ إِلَّا مِنْ مُقْلٍ ، وَلَا دَرَقَ
إِلَّا مِنْ خَجَلٍ ، وَلَا عَارِضَ إِلَّا مِنْ خُلُوقٍ ، وَلَا صِنَاعَةَ غَيْرُ تَخْلِيقٍ^(٣) ، وَلَا
اسْمَ غَيْرُ عَاشِقٍ وَمَعْشُوقٍ ؛ فَتَشَفَّعَ الْقَسِيسُ بِمُحْسِنِ خُدُودِهِمْ . وَأَقْسَمَ بِنِعْمَةِ
قُدُودِهِمْ ، إِلَّا أَجْزَلْتُمُ الْمِنَّةَ ، وَتَلَيْتُمُ الْأَعْنَةَ . تَعْرِيجًا إِلَيْنَا . وَتَحَكُّمًا فِي الْمَالِ
وَالْوَلَدِ عَلَيْنَا . فَكُرِّمَتِ الشَّفَاعَةُ ، وَقُلْنَا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَجُلْنَا جَوْلَانِ الزَّانِئِينَ ،
عَلَى هَيْفِ الْخُصُوفِ ، نَعَصُّ بِمَا بَقِيَ مِنَ الطَّرِيقِ ، غَصَّ^(٤) الدَّمَالِيجِ بِخِدَالِ
السُّوقِ ؛ حَتَّى وَافَيْنَا الْبَابَ ، وَأَنْخَنَّا الرَّكَّابَ ، وَتَوَلَّى تَوَلَّى الْعُرَّ ، ضُرُوبًا

(١) : الأباريق

(٢) : عض - لب : عضض

(٣) : تَحْلِيق

(٤) : ت ، لب : غصص الدمالج

من البر^(١) ؛ وقضانا من الإكرام نافلةً وفرضاً ، وشددنا الجياد عنه ركضاً ؛
وسرنا حتى رُفِعَ لنا في طريقنا جُدُر^(٢) ، فإذا كنيسة عارية الأطلال^(٣) من
الجمال ، إلا تَعَلَّة^(٤) التَّوَسُّمِ ، للتَّخْيِيلِ والتَّوَهُمِ ، كالثوب الكريم خلقه
ابتدأه ، أو كخدَّ الأُمُرْدِ تَغَشَّاهُ سِبَالُهُ ، فهيجَ ذِكْرًا ، وأحدَّ فِكْرًا ، فأنشدتُ :

وكنيسة أخذ البلى منها كما أبصرت فتيًا في مغارٍ يُنهبُ
نمت علينا في السفارة نفحة من ماء كرم كان فيها يسكبُ
أهوى إليها بالمطى تحيل^(٥) منا برى والأمانى تكذبُ
فتواقف الركبان في عرصاتها كلُّها بها متحيرٌ متعجبُ
أنى تأتت لابن آدم قدرة حتى استقام وتم ذاك المنصبُ ؟
ومن أى أرض كان رائع مرمزٍ كسواعد الغزلان فيها يجلبُ ؟
كم صاد إبليس بها من تأيب بحائل ألقى بهن ترهبُ !
وكم ابنتي القسيس فيها منبرا من جودر وبدا عليه يخطبُ !
سقيًا لها من دار غي لم يزل فيها كريمٌ بالملاح مُعذبُ
كلًا وما زالت نجومٌ مُدَامَةٌ فيها بأنواء الندامى تغربُ
بنس المصلى إن أردت تعبدًا فيه ولكن كان نغم المشربُ !
^(٦) ثم أغدذنا سيرًا ، وكأننا نفرو طيرًا ؛ حتى نظرنا إلى ^(٧) السائمة تسرحُ

(١) ز فى ت ، لب غير أنه قنَّع بالذن وجه مدامه ۝ تقنَّع الورد بأكامه

(٢) وه : جدر كنيسة... (٣) ت ، لب : الأطلال

(٤) ت ، لب : تلة التوسم (٥) وه ، ت ، لب : تخيل

(٦ — ٦) وه : ثم سرنا سيراً وكأننا نفرو طيراً (٧) ت ، لب : من

في مروجها ، كالغذاري تَمِيسُ في دبابيجها ؛ كلاً نَضِير ، وماء نَمِير ؛ وما زلتُ
أروى هناك بالزائب والميس ، حتى كادَ كياني ينقَابُ إلى كيَانِ التَّيس . ثم
رحلنا وتذكرنا الطراد « فمشت الجياد » وتوالت أساد ، واستعد^(١) بيازو كلاب ؛
فاذا بحرٌ من بركٍ يخرقه سفين من برك ، وفي الشيور صُقُورٌ إذا نظرتُ ، وليوثٌ
إذا جُرُدتُ ، ننظرُ من أمثال الدنانير ، وتتخطفُ بأشبه المَهْفَةِ الذكور ،
فأرسلناها إرسال سهام الأحداق إلى قلوب العشاق ، فلم نَرَ إلا ريشاً محلوجاً ،
ومنسراً يُحْسِنُ^(٢) توديجاً ؛ ووردنا ماءً في رِقَّةِ النَّسيم . ولذاذة بنت الكروم ،
فشرَبنا وطعمنا ، وقرينا سباع الفلاة ، مما فضلَ عن الكُماة ؛ ونقشتُ على
مرمرة بيضاء ، ساعة وردنا ذلك الماء :

يا رَبَّ ماء عازٍ مَجَّهْ	مُزْنٌ هَزِيمُ الْوَدْقِ فِي سَبَسَبِ	٣٠
زَبَرَجِدٍ جَلَّاهُ مُكَّهْ	غِشَاءٌ دِيْبَاجٍ مِنَ الطَّحْلَبِ	
إِنْ كَانَ فِيمَا قَدْ مَضَى مَوْرِدًا	فَلِعِطَاشِ الْأَسَدِ وَالْأَذُوبِ	
بَاكَرْتُهُ مَعَ كُلِّ ذِي هَمٍّ	لَا يَرْتَضِي الْأَفْلَاكَ عَنْ ^(٣) مَرَكَبِ	
وَلَفَطُ الطَّيْرِ بِأَرْجَائِهِ	كَلَفَطِ الصَّبِيَّةِ فِي الْمَكْتَبِ	
فَانْقَضَ مِنْ أَيْمَانِنَا كَوَكَبٌ	ذُو نَاطِرٍ أَنْوَرَ مِنْ كَوَكَبِ	١٥
مُكْحَلُ الْأَمَاقِ ذُو مَنَسَرٍ	يَسْتَرْزِقُ الرَّحْمَنَ مِنْ مِخْلَبِ	
فَاسْتَشَعَرَ الطَّيْرُ هُرُوبًا وَهَلْ	عَنْ نَازِلِ الْمَقْدُورِ مِنْ مَهْرَبِ ؟	
فَصَادَ مَا أَوْسَعَ صَحْبِي قَرَى	وَفَاضَ فِي الْأَبْعَدِ وَالْأَقْرَبِ	

(١) لب : أسعر

(٢) نه في -

(٣) نه : من

صَيْدٌ لَعَمْرِي لَمْ يَعْبهُ سِوَى أَنْ لَمْ يَكُنْ نُقْلًا^(١) عَلَى مَشْرَبٍ
 ثُمَّ لَمْ نَزَلْ نَسْرِي سُرَى النُّجُومِ فِي الدِّيَاجِي^(٢) ، إِذْ تَلَقَّانَا شَابٌ كَمَا
 ذَهَبَ عَقِيقُ خَدَيْهِ ۖ وَنَمَّ شَارِبُهُ بِالتَّذْكِيرِ عَلَيْهِ ، مُتَقَلِّدٌ حُسَامٍ كَأَنَّمَا طُبِعَ
 مِنْ لَحْظِهِ لَا مِنْ لَفْظِهِ ، عَلَى جَوَادٍ ظَمَانِ الْأَسَافِلِ كخَصْرِيهِ ۖ رِيَّانِ الْأَعَالِي
 كِرْدَفِيهِ ؛ تَسْتَعِيدُ عِيُونَُ الْبَرَّةِ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ ۖ وَتَزْدَحُمُ أَطَاعُ الْفَجْرَةِ حَوَالِيهِ ۖ
 ذُو مُقْلَةٍ شَهْلَاءِ رُومِيَّةٍ وَذُو لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ
 قُلْتُ وَقَدْ عِيبَ بِنَثْلِيهِ مَقَالَ ذِي رَأْيٍ وَعَقْلٍ رَصِينٍ
 طَلَعْتُهُ الدُّنْيَا وَقَلَّ مَا يُجْمَعُ لِلْإِنْسَانِ دُنْيَا وَدِينٌ
 فَلَمَّا بَلَّغْنَا ، قَبْلَ عُرْفِ جَوَادِهِ ، وَعَبْرَاتِهِ تَنْسَكِبُ عَلَى نِجَادِهِ . قُلْنَا : مَا لَكَ
 ١٠ لَا أَبَا لَكَ ؟ فَقَالَ : مُنْفَلِتٌ مِنَ السَّجْنِ ، وَآبِقٌ مِنَ^(٣) الْحِصْنِ ، وَعَائِدٌ مِنْ ظُلُمَاتِ
 الْغَوَايَةِ بِنُورِ الْهُدَايَةِ ۖ وَمِنْ ذُلِّ عِبَادَةِ الْأَوْتَانِ ، بَعِزٌّ^(٤) عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ ؛ وَلِي خَبَرٌ
 أُرِيدُ أَنْ أَقْصَهُ ، وَيَتَمَنَّى^(٥) الْفَقِيهُ وَفَقَّهُ اللَّهِ أَنْ يَسْمَعَ نَصَّهُ . نَخْرَجُ إِلَيْهِ الْإِذْنَ ۖ
 وَقِيلَ لَهُ أَدْنُ ؛ فَقَضَى فَرَضَ التَّحِيَّةِ وَنَا فَلَئَهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْفَقِيهُ ، لِلْأَشْيَاءِ
 غَايَاتٌ تَنْتَهِي إِلَيْهَا ، وَمَقَادِيرُ تَجْرِي عَلَيْهَا ، أَمَّا وَالْخَلَاقِ الْعَلِيمِ ، وَالْفَاطِرِ الْحَكِيمِ ،
 ١٥ الَّذِي أَسْعَدَ قَوْمًا بِالْهُدَايَةِ وَأَثَابَهُمْ عَلَيْهَا ۖ وَأَشَقَّى آخَرِينَ بِالضَّلَالَةِ وَعَذَّبَهُمْ بِهَا ،
 لَقَدْ انْخَلَعْتُ عِبَادَةَ الطَّوَاعِغِ فَعَبَدْتُ الصَّلِيبَ ، وَقَرَعْتُ النَّاقُوسَ ، وَفَعَلْتُ
 كُلَّ مَا قَرَّرْتُ بِهِ عَيْنُ إِبْلِيسَ ؛ قَدَرْتُ لَمْ يَكُنْ لِيُخِطِّئَنِي وَلَا يَتَخَطَّأَنِي ، إِلَى أَنْ

(١) لب : نقل (٢) عبارة ر بها اضطراب ونصها : ثم لم نزل نسري النجد في

الدياجير — وفي وه : ثم لم نزل نسير سير النجوم في الدياجير

(٣) ت ، لب : من أهل الحصن (٤) ت ، لب : إلى عز (٥) ر : ويتمنى

استنقذني ربِّي وهداني ؛ وأنا أشهد أيُّها الأشهاد أن الله إلهٌ واحدٌ ليس له ولدٌ ولا والدٌ ، كان ولم تكن إلا كوان ، ولا ^(١) أرضٌ ولا ماءٌ ولا دخانٌ ، مُخترِعُ الكلِّ ومُنشِئُه ، ومُعِيدُه ومُبْدِئُه ، له المثلُ الأعلى ، والأسماءُ الحُسنى .

ومما وجدتُ له من المدائح في المُعتَصِمِ بنِ صُمَاح

لَه مِنْ قَصِيدَةٍ :

لَمَّا دَعَتْكَ الْمَكْرُمَاتُ أَجْنَبَهَا لَا وَإِنِّيَا عَنْهَا وَلَا مُتَثَقِلَا
فَهَزَزْتَ مِنْ أَسَدِ الرِّجَالِ قَوَادِمًا وَهَتَكْتَ مِنْ بُرْدِ الظَّلَامِ حَبَائِلَا ^(٢)
وَسَرَيْتَ فِي الْقَمَرِ الْمُنِيرِ بِمِثْلِهِ وَجْهًا وَأَعْرَاقًا زَكَّتْ وَشَمَائِلَا

ومنها في اجتماعه بِصَهْرِهِ ابنِ مُجَاهِدٍ :

أَبْدَى عَلَى فَرْحَةٍ بِمُحَمَّدٍ ^(٣) أَبَدَتْ مَسَالِكَ فِي الصَّفَاءِ جَلَائِلَا
فَلَنْ غَدَا بِكَ لِلْقُلُوبِ مُبَاهِيَا فَلَقَدْ رَأَى مَلِكًا أَغْرَّ حُلَايِلَا
سَبَطَ ^(٤) الْيَدَيْنِ كَأَنَّ كُلَّ غَمَامَةٍ قَدْ رُكِبَتْ فِي رَاحَتَيْهِ أَنَامِلَا
وَأَمَّا وَحَقِّكَ إِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي بَدَّ الْحَقُوقَ مُسَامِيًا وَمُسَاجِلَا ^(٥)
لَقَدْ احْتَمَلْنَا فِي مَغْيَبِكَ لَاعِجًا أَنْحَى عَلَى كَبِدٍ وَأَنْقَلَ كَاهِلَا

ومنها :

تَفْدِيكَ أَنْفُسُنَا الَّتِي أَلْبَسَتْهَا حُلَلًا مِنَ النُّعْمَى وَكُنَّ عَوَاطِلَا ^(٦)

(١) ت ، لب : لا أرض (٢) لم يرد هذا البيت في ر ، و (٣) ت ، لب : لمحمد

(٤) ر : بسط اليدين (٥) هذا البيت والذي يليه لم يردا في ر ، و

(٦) لم يرد هذا البيت في ر ، و

كَانَتْ نَوَاكِ الْبَحْرَ يَزْخَرُ مَوْجُهُ فَالآنَ صَارَ لَنَا إِيَابُكَ سَاحِلًا
لَا عُنْشَ إِلَّا حَيْثُ أَنْتَ وَإِنَّمَا تَمْضِي لِيَالِي الْعُمُرِ بِعَدِّكَ بَاطِلًا
لَا عُطِّلْتُ مِنْكَ الْحَيَاةُ فَإِنَّهَا لَوْلَاكَ مَا سَرَّتْ لَبِيبًا عَاقِلًا

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى :

سَقَى كُلُّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرْقِ وَابِلِ مَنَابِتَ نُورِ الرَّبِّيِّ وَالْحَمَائِلِ ^(١)
فَرَوَى غُصُونًا كَالْخُدُودِ تَطَلَّعَتْ مِنْ أَوْرَاقِهَا فِي مِثْلِ خُضْرِ الْغَلَائِلِ
خَلِيلِيَّ عُوجًا بِي عَلَى الرَّبْعِ دَارِسًا نَحْيَ رِيَاضًا أَحَدَقَتْ بِجَدَاوِلِ
مَلَاعِبَ كَاسَاتٍ وَزُهَّةَ أَعْيُنِ وَمَسَلَى لِمُشْتَقٍ وَذِكْرَى لِنَافِلِ
وَأَحْسَنُ مِنْ رَوْضٍ تَحْلَى ^(٢) بِنُورِهِ مُحْيَا ابْنَ مَعْنٍ فِي حُلِيِّ الْفَضَائِلِ
جَوَادُ كَانُوا الْأَرْضَ جَمْعَاءَ رَاخَةً لَهُ وَبُحُورَ الْأَرْضِ خَمْسُ أَنْمَالِ
لِيَهْنِ تُجِيْبًا أَنَّهَا عِنْدَمَا اغْتَدَتْ قَبِيلًا لَهُ سَادَتْ جَمِيعَ الْقَبَائِلِ
تُكْسِدُ سُوقَ الدُّرِّ فَيْكَ قَصَائِدِي وَتُزْرِي بَعْرِفَ الْمِسْكِ عَنكَ رَسَائِلِي
جَلَّتْ فَجَلَّ الْقَوْلُ فَيْكَ وَإِنَّمَا يُقَدَّرُ ^(٣) لِقَدْرِ السَّيْفِ قَدْرُ الْحَمَائِلِ
يُزَيْنُ شِعْرِي أَنَّهُ فَيْكَ سَائِرُ وَزَيْنُ عِنَانِ الطَّرْفِ يُمْنَى الْمُجَاوِلِ

وَلَهُ ^(٤) مِنْ أُخْرَى وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ قَدْ هَجَرَ التَّبِيدَ زَمَنًا :

عَسَى دَهْرُنَا أَنْ يَكْفَ الْخُطُوبَا وَيَجْعَلَ مِنْكَ لِكَأْسٍ نَصِيبَا
وَشَتَّ حَادِثَاتُ اللَّيَالِي بِهَا فَأَعْرَضَتْ عَنْهَا وَكَانَتْ حَمِيبَا

(١) هذا البيت والذي يليه لم يردا في . . . (٢) ت ، لب : تجلي

(٣) ت : بعد (٤) هذه المقطوعة والتي تليها لم تردا إلا في ت ، لب

وكم من ذمام لها ، مثله
وأنت ابن معن على خلقه
يحل الحفود ويثني القلوبا
تقبل المسى وتمحو الذنوبا

وله فيه من أخرى :

هجر المدام وكان يالف وصلها
فاصفرت الأقداح من جزع ولو
• ملك جليل في الملوك عظيم
يسطن لم يارج له نسيم
وتطلع الساقى يؤمل عودة
ليعود عهد بالكرام كريم

وله من أخرى :

لو خيموا بظلال الضال والسمر
لكن مقيلهم المرهوب جانبه
لم أشك من لهب في القلب مستعر
بين السنور والهنديّة البثر
بحيث لا لبّد إلا فوقه لبّد
تري ولا شارة إلا على شرر
• وأين موقع شكوى الصب من زرد
ومن حسام ومن ناب ومن ظفر ؟
دون الطباء طبي جد^(١) الصليل بها
والرعد والبرق دون الشمس والقمر
وفي الهواجر أبارك كان لها
وجوه جدوى أبي يحيى على البشر
ملك له سير في الملك فاضلة
أعيت على كتب الأخبار والسير
إذا أنا مـله ضمت على قلم
يود مهرقه لو قد من بصر
١٥

وقال من أخرى^(٢) :

ومما شجاني في الغصون حمام
تجاوب في جنح الظلام حماما

(٢) هذه المقطوعة لا توجد في ر ، و

(١) و ، ت ، ب : حر

يُرَجَّعْنَ الْحَنَاءَ^(١) لهنَّ شَوَاجِيَا^(٢) فَيُزِيلْنَ أَسْرَابَ الدُّمُوعِ سَوَاجِيَا
سَقَى اللَّهُ أَيُّكَ مَا يَزَالُ حَمَامُهُ يَهْبِجُ مُشْتَقًا وَيُسْعِدُ هَامًا
وَكَمْ لَيْلَةٍ لِلدَّهْرِ بَاهَيْتُ نَجْمَهَا بَنَجْمٍ مِنَ الصَّهْبَاءِ يَجْلُو الْغَوَامَا
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ الشَّمْسَ فِي الْأَفْقِ طَالِعَا كَوَجِّهِ ابْنِ مَعْنٍ إِذْ يُجَلِّي الْمَوَاسِمَا
أُمُتَصِمًا بِاللَّهِ لُقِّيتَ عِصْمَةً كَمَا لَمْ تَزَلْ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ عَامِمَا
لَكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى إِذَا ذُكِرَ النَّدَى وَدَعُ هَرَمًا فِيمَا سَمِعْتَ وَحَاتِمَا
وله أيضًا :

الْحُمْرُ^(٣) مَوْصُوفَةٌ بِالْجِدِّ وَالشَّرَفِ تُعَوِّضُ^(٤) الْخَلَفَ الْبَاقِيَّ عَنِ السَّلَفِ أَنْظِرْ ۖ وَبَارِكْ عَلَى حَاسٍ وَمُعْتَصِرٍ
مَاذَا تَوَلَّدَ بَيْنَ الْقَارِ وَالْخَرْفِ كَأَنَّمَا كَأْسُهَا نَجْمٌ عَلَى فَلَقٍ
وَرِيحُهَا نَفْسٌ فِي رَوْضَةٍ أَنْفٍ أَلْقَيْتُ فِي دَنِّهَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
فَلَيْسَ عَنْ صِرْفِهَا قَلْبِي بِمُنْصَرَفٍ وَلَا الْأَمِيرُ أَبُو يَحْيَى بِمُنْتَقِلٍ
عَنْ عَادَةِ الْبَرِّ وَالْإِجَالِ وَاللَّطْفِ تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى فِي مَعَارِفِهِمْ
وَلَيْسَ فِي خُلُقِهِ خُلُقٌ بِمُخْتَلَفٍ كَمَنْتَ فِي الْكَوْنِ حَتَّى لُحِثَ مِنْهُ لَنَا
فَرَدَ الْجَمَالِ ، كُمُونُ الدُّرِّ فِي الصَّدْفِ فَالدَّهْرُ تَحْتَ صَبَاحٍ غَيْرِ مُلْتَبَسٍ
وَتَحْتَ نَيْرٍ سَعْدٍ غَيْرِ مُنْكَسِفٍ وَالطَّوْلُ مِنْكَ بِهِ صَفْوٌ بَلَا كَدَرٍ
وَالْحُكْمُ مِنْكَ بِهِ عَدْلٌ بَلَا جَنَفٍ مَكَارِمٌ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي لِغَايَتِهَا
كَالسَّهْمِ سَدَّدَهُ الرَّاغِبُ إِلَى الْهَدَفِ

(٢) ت ، لب : سَوَاجِيَا

(١) ت ، لب : الْحَاظَا

(٣) الأبيات الستة الأولى من هذه المقطوعة لا توجد في ر ، و

(٤) في الأصلين « تعود »

وقال أيضاً^(١) :

فشربتُها^(٢) كلفَ الفؤادِ عَمِيدَا راحًا وكانت مَرَّةً عُنُقُودَا
خُتِمَتْ بِطِينَتِهَا وَزَمَزَمَ حَوْهَا قَسٌّ وَغَادَرَ بِأَبِهَا مَسْدُودَا
وَتَنُوسِيَّتْ^(٣) فَكَأَنَّ صَفَّ دِنَانِهَا فِي الْحَانِ أَصْحَابُ الرِّقِيمِ رُقُودَا
وَكَأَنَّما الْخَمَارُ كُلُّهُمْ وَقَدْ أَلْقَى ذِرَاعَيْهِ وَشَدَّ^(٤) وَصِيدَا
وَكَانَ ذَا الْقَرْنَيْنِ أَفْرَغَ دُونِهَا سَدًّا جَرَى قِطْرًا وَسَلَّ حَدِيدَا
صَهْبَاهُ أَلْبَسَهَا التَّوَرْدُ مَجْسَدًا عَجَبًا وَقَلَّدَهَا الْحَبَابُ عُقُودَا
فَإِذَا شَمَمْتَ فَمِسْكَةً مَفْتُوقَةً وَإِذَا لَحِظْتَ فَبَارِقًا مَعْقُودَا
وَإِذَا طَعِمْتَ فَرِيقَ أَشْنَبٍ وَاضِحٍ شَفَّ الْمَشُوقَ تَجَنَّبًا وَصُدُودَا
حُذِيتْ عَلَى خُلُقِ ابْنِ مَعْنٍ فَاعْتَدَتْ أَمْلًا وَكَنْزًا لِلسُّرُورِ عَتِيدَا ١٠

ومن شعره في الأوصاف ؛ له من قصيدة^(٥) :

فِي صُحْبَةِ النَّاسِ فِي ذَا الدَّهْرِ مُعْتَبِرُ لَا عَيْنَ يُؤَثِّرُ مِنْهَا لَا وَلَا أَثَرُ
لَيْسَتْ تَشِيخُ وَلَا يُزْرِي بِهَا هَرَمُ لَكِنَّهَا فِي شَبَابِ السَّنِّ تُخْتَضِرُ
إِذَا حَبَّتْ بَيْنَهُمْ أَطْفَالُ وَدَهْمُ لَمْ يَتْرُكْ الْبَغْيُ حَايِبِينَ يَتَغَرُّ
كَأَنَّهَا شَرَّرَ سَامٍ عَلَى لَهَبٍ يَغْدُو الْخُمُودُ عَلَيْهِ حِينَ يَنْتَشِرُ ١٥

(١) لم ترد هذه المقطوعة إلا في نسختي ت ، لب (٢) في الأصلين : نمر بها

(٣) في الأصلين : وتناسيت (٤) كذا بالأصلين ولعلها : وسدَّ

(٥) هذه المقطوعة مقدم لها في نسختي ت ، لب : بما يأتي : أخبرني الفقيه أبو بكر ابن الوزير الفقيه أبي محمد العربي عن الفقيه أبي عبد الله الحميدي قال : كان الوزير أبو حفص عمر بن المهدي كثير الشعر متصرفا في القول ، مقدما عند أمراء بلده ، وشاهدته في حدود الأربعين وأربعمئة بالرية « وكتبت من أشعاره طرفا ، ومن شعره مما كتبه : (الآيات)

كَأَنَّ مِيثَاقَهُمْ مِيثَاقُ غَانِيَةٍ
فَلَا يَغُرُّكَ مِنْ قَوْلِ طَلَاوَتِهِ
لَوْ يُنْفِقُ النَّاسُ مِمَّا فِي قُلُوبِهِمْ (١)
لَكِنَّ فِيهَا نَقُودَ الْقَوْلِ جَارِيَةٌ
يَقْضِي الْمُحَنِّكُ أَوْ يَقْضِي لِحَنِّكَتِهِ (٢)
تَسَابَقَ النَّاسُ إِجْجَابًا بِأَنْفُسِهِمْ
فَلْتَسَاسَى ضِبابٌ فِي صُدُورِهِمْ
وَمَا عَذَلْتَهُمْ لَكِنْ عَذَرْتَهُمْ
وَقَالَ أَيْضًا (٥) :

تَعْلَمُ لِحْظَكَ سَفَكَ الدِّمَاءِ
وَلَيْتَكَ إِذْ كُنْتَ لِي مُمْرِضًا
حَنَانِيكَ إِنَّ هَلَكَ الْعَبِيَّ
وَمَا بِي نَفْسِي وَلَكِنِّي
وَقَالَ أَيْضًا (٦) :

يَا قَوْمُ شُدُّوا الْمِطْيَ وَاسْرُوا
نَامَ الْخَلِيُّونَ وَاسْتَرَا حُوا
وَطِيبُ هَذَا النَّسِيمِ يُنْبِي

(١) هـ : صدورم (٢) هـ ، ت ، لب : به

(٣) هـ : يعطى (٤) هـ ، ت ، لب : ينحسر

(٥) هـ ، ت ، لب : وبالسند المذكور عن الحميدى قال وما كتبت له أياً :

(٦) هذه الأبيات مقدمة على القصيدة الرائية في ت هـ لب

فَصَلِّ فِي ذِكْرِ أَبِي ^(١) عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَدَّادِ ، وَإِيرَادِ
جُمْلَةٍ مِنْ أَشْعَارِهِ ، وَمَا يَتَشَبَّثُ بِهَا مِنْ مَلِيحٍ ^(٢) أَخْبَارِهِ .

قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) شَمْسَ ظَهِيرَةٍ ، وَبَحْرَ خَيْرٍ وَسِيرَةٍ .
وَدِيْوَانَ تَعَالِيمٍ مَشْهُورَةٍ ؛ وَضَحَّ فِي طَرِيقِ الْمَعَارِفِ وَضُوحَ ^(٤) الصُّبْحِ الْمُتَهَلِّلِ .
وَضَرَبَ فِيهَا بِقَدْحِ ابْنِ مُقْبِلٍ ؛ إِلَى جَلَالَةٍ مَقْطَعٍ ، وَأَصَالَةٍ مَنَزَعٍ ، تَرَى
الْعِلْمَ يَنْمُو عَلَى أَشْعَارِهِ . وَيَتَبَيَّنُ فِي مَنَازِعِهِ وَأَثَارِهِ . وَلَهُ فِي الْعَرُوضِ تَأْلِيفٌ ،
وَتَصْنِيفٌ مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ ، مَنَزَجٌ فِيهِ بَيْنَ الْأَنْحَاءِ الْمَوْسِيقِيَّةِ . وَالْآرَاءِ
الْخَلِيلِيَّةِ ، وَرَدَّ فِيهِ عَلَى السَّرَقَسْطِيِّ الْمَنْبُوزِ بِالْحِجَارِ ، وَنَقَضَ كَلَامَهُ فِيمَا تَكَلَّمَ عَلَيْهِ
مِنَ الْأَشْطَارِ .

وَأَصْلُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ وَادِ آشٍ ^(٥) إِلَّا أَنَّهُ اسْتَقْوَطَنَ الْمَرِيَّةَ أَكْثَرَ عُمْرِهِ ،
وَفِي بَنِي صُمَادِحٍ مُعْظَمُ شِعْرِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ طُولِبَ عِنْدَهُ ^(٦) هُنَالِكَ ؛ وَلَحِقَ بِشِعْرِ
بَنِي هُودٍ ، وَلَهُ فِيهِمْ أَيْضًا غَيْرُ مَا قَصِيدٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْمَرِيَّةِ مِنْ
قِطْعَةٍ فَلَسْفِيَّةٍ :

لَزِمْتُ قِنَاعَتِي وَقَعَدْتُ عَنْهُمْ فَلَسْتُ أَرَى الْوَزِيرَ وَلَا الْأَمِيرَا
وَكُنْتُ سَمِيرَ أَشْعَارِي سَفَاهَا فَعَدْتُ لِفَلْسَفِيَّاتِي سَمِيرَا ١٥
وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَدْ مُنِيَ فِي صِبَاهٍ بِصَبِيَّةٍ نَصْرَانِيَّةٍ ، ذَهَبَتْ بِلَبِّهِ كُلِّ مَذْهَبٍ .

(١) و ، ت ، لب : الأديب أبي عبد الله

(٢) ت ، لب : مستطرفات أخباره

(٣) و ، ت ، لب : أبو عبد الله هذا

(٤) ت ، لب : وضع (٥) و ، ت ، لب : وادي آش

(٦) كذا في جيم النسخ ولعلها « عندهم » .

وَرَكِبَ إِلَيْهَا أَصْعَبَ مَرَكَبٍ ، فَصَرَفَ نَحْوَهَا وَجْهَ رِضَاهُ ، وَحَكَمَهَا فِي رَأْيِهِ
وَهَوَاهُ ؛ وَكَانَ يُسَمِّيهَا نُؤَيْرَةَ كَمَا فَعَلَ الشُّعْرَاءُ الظُّرَفَاءُ قَدِيمًا فِي الْكِنَايَةِ عَمَّنْ
أَحَبُّوه ، وَتَغْيِيرِ اسْمٍ مِّنْ عَلَقُوهُ .

وقد كتبتُ في هذا الفصلِ بعضَ (١) ما قالَ فيها من مَلَحِهِ ۖ ورائقِ أوصافِهِ
وَمِدَحِهِ ۖ وسائرِ شِعْرِهِ ۖ بعدَ تقديمِ فصولٍ من نَثَرِهِ ۖ ما يُقَرَّرُ بِتَفْصِيلِهِ ،
ويشهدُ لَهُ بِجُمْلَةِ الإحسانِ وتَفْصِيلِهِ .

جُمْلَةٌ مِنْ نَثَرِهِ

فَصُلِّ لَهُ مِنْ جَوَابٍ عَنِ كِتَابِ عِتَابٍ ، اسْتَفْتَحَهُ (٢) مِنْ

قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ (٣)

١٠ إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمٍ
وَعَادَى مُحِبِّهِ بِقَوْلِ (٤) عُدَاتِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ (٥) مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٍ
لَمَّا كَانَ — أَعَزَّكَ اللَّهُ — الْعِتَابُ (٦) جَلَاءَ الْأَقْدَاءِ ، وَصِقَالَ الْأَصْدَاءِ ،
وَعِقَالَ الْأَدْوَاءِ (٧) ، وَصَمْتِي مِنْهُ بِوُسُومٍ ، وَلَفَحَتْنِي بِسَمُومٍ ؛ وَاسْرَرْتَ حَسَنًا
فِي إِرْتِفَاءٍ ، فَأَدْرَجْتَ (٨) ذِمًّا فِي ثَنَاءٍ ؛ وَالْحُرُّ يَأْنِفُ مِنَ الضَّيْمِ ، وَيَشْمِئُ مِنْ

(١) ر : من بعض (٢) ه ، ت ، لب : افتتحه بقول

(٣) ديوان المتنبي (ج ٢ ص ٣٩٠) (٤) ه ، ت ، لب : لقول

(٥) ت ، لب : قطع من الليل (٦) ر ، ه : الكتاب

(٧) ت ، لب : الأوداء

(٨) ه : وأدبجت — ت ، لب : فأدبجت

الذِّئْمُ ، ولا يقتصرُ على الاجتزاء^(١) بغيرِ الجزاء ؛ ولو تركَ القطاَ لئلاً لنام ، وفي العتابِ حياةٌ بينَ أقوام . فاصطبرْ لِشربِ صبره ، وانتدبْ لِتسوُّغِ^(٢) مَقَرِه ؛ فمن الحُكْمِ العَدْلُ ، والقضاءِ الفضلُ ، أنْ الدَّعَاكَ بما لدَغَتْنِي . وأجرُّكَ ما جرَّعَتْنِي ، غيرَ آفِكَ في حال ، ولا مُبَاهِتٍ بِمحال ، فالتَّموِيهُ ليس من الخُلُقِ^(٣) النَّبِيهِ ؛ والحرُّ على ما ساءَ^(٤) يُصِرُّ ، وكلُّ مُجرٍ بالخلاءِ يُسَرُّ ؛ والفضلُ لِمَنْ حَوَاهُ ، لا لمن زحزفَ دَعَوَاهُ ؛ وتحَقِّقُ البُرْهانَ غيرَ تنمِيقِ البيانِ . والشُّؤْدُدُ في محاسِنِ الخلالِ والفِعالِ ، لا في إمكانِ الزَّمانِ وإقبالِ السُّلطانِ ؛ وقيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحَسِّنُ . أمثالُ أَضْرِبُهَا لَكَ وَاضِحَةُ الْمَنَاهِجِ . ومُقَدِّمَاتُ أَتَشْهُمُا مَعَكَ صَادِقَةَ النَّتَائِجِ . ومُجَلُّ تَشْتَمِلُ على تفصيلِ حَالِنَا ، ونُبْدُ تَشِيرُ إلى ما فيه جَرَيْنَا . وقد دَهَمَنِي عَتَابُكَ وإِجْلَابُكَ ، بِريحِ تَعْصِفَ ، ورَعْدٍ يَقْصِفُ ؛ واستَقْبَلَنِي خِطَابُكَ وإِطْنَابُكَ . بَوْبِلِي يَخْشِفُ^(٥) ، وَسَيْلِي يَنْسِفُ ؛ بَلَّغَ الرَّبِّيُّ وَزَادَ ، وَغَمَرَ الرَّبِّيُّ وَالْوَهَادُ ؛ لو أَمَّ الْهَلَالِي^(٦) لافْتَلَعَ أَزْهَارَهُ ، وَطَمَسَ أَنْوَارَهُ ؛ أو اعْتَمَدَ الْمِيكَالِي لَطَمَ على قَرِيئِهِ ، وَطَمَا على سَرِيئِهِ ؛ فما ظَنُّكَ بِغَيْرِ . على مَذْهَبِكَ^(٧) عُمرُ ، يَحْتَلُّ من الأدبِ في صَبَبٍ ، لا يَرِدُ إِلَّا بِقَطْعِهِ^(٨) ، ولا يَرْوَدُ^(٩) إِلَّا سَقَطَهُ ؛ فهل عندكَ مَرِيئَةٌ^(١٠) أَنَّهُ غَرِيقُ أَتْيِهِ ، وَمُحْتَمَلُ آدِيئِهِ ؟ ! تَضَمَّنَ صَدْرُهُ من بَرِّكَ وتقْرِيطِكَ ما مَلَأَ صَدْرِي ثُلْجًا . وافقِ أَرْجَا ،

(١) ر : الإجزاء (٢) ت ، لب : لتسوُّغ — ه : لتسوُّغ مره

(٣) ه : خلق النبيه (٤) ه : أساء

(٥) ه ، ت ، لب : يخشف (٦) ه : الحلال

(٧) ه : على مذهب (٨) ه ، ت ، لب : وخطه

(٩) ت ، لب : يرود — ه : يرد (١٠) ه : شك

فِيَّاهُ حَمْدِي بِنُورِهِ ۖ وَسَقَاهُ سُكْرِي مِنْ عُقَارِهِ . ثُمَّ أَنتَقِلُ مِنْ تَصَفُّحِهِ إِلَى
صَفَاحِ تَأْنِيْبٍ لَامِعَةٍ ، وَرِمَاحِ تَثْرِيْبٍ شَارِعَةٍ ، وَسِهَامِ مَذَامٍ ، وَأَعْلَامِ مَلَامٍ ۖ
تَرْوِعُ الْمُقْدَامَ ١) وَتَدْحِضُ الْأَقْدَامَ ٢) ؛ لَكِنْ تَلَقِّيْنِي فِي لَوْمٍ ٣) التَّجَلُّلِ ،
وَتَوْقِيْنِي بِجُنُنِ التَّحْمُلِ ؛ وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِزَعِيمٍ مِنْ زُعَمَاءِ حَضْرَتِي ، وَعَمِيدٍ
مِنْ عَمَدِ أَسْرَتِي ، وَقَمَرٍ مِنْ أَقْفَارِ أَفْلَاكِ ۖ وَوَسْطَى أَسْلَافِي ، يُسَلِّمُ لَهُ
وَيُسْتَسَلِّمُ ، وَيُعْرِضُ عَنْ زَاخِرِ جَفَائِهِ ۖ وَلَا يُلْتَفَتُ ٤) إِلَى زَبَدِهِ وَجَفَائِهِ ٥) ؟
وَتَبَيَّنَتْ الْعِلَّةُ الدَّاعِيَةُ ٦) إِلَى أَمَقَّةِ شِنَانِكَ ٧) ، وَجَعَجَعَةِ لِسَانِكَ ، وَمَعْمَعَةِ
نِيرَانِكَ . وَلَقَدْ أَوْضَحْتُ فِي الْجُلُوسِ الْمَذْكُورِ عِلَاءَكَ ، وَأَخْفَقْتُ فِيهِ لِوَاءَكَ ،
وَأَعْبَقْتُ فِيهِ أَنْبَاءَكَ ، غَيْرَ مُوَاطِئٍ بِرَمِيزٍ ٨) كَمَا أَتَهَيَّ إِلَيْكَ ۖ وَلَا مُلَاحِظٍ بِهَمِيزٍ
كَمَا صُوِّرَ لَدَيْكَ ؛ فَاْمَلِكْ مِنْ جِمَاحِكَ ۖ وَاخْفِضْ مِنْ طِمَاحِكَ ، وَلَا يُجْرِجُ بَازِلَكَ ،
وَلَا يُزَجِّرُ بَاسِلَكَ ، فَمَا نَبَحَ كُلُّي بِدُرُكٍ ، وَلَا سَتَرَ غَيْمِي زُهْرَكَ ، وَلَا بَهَرَ جَ
مِيزِي دُرُكَ ؛ وَلَا أَلْخَذْتُ فِي آيَتِكَ ٩) ، وَلَا حَطَطْتُ مِنْ رَايَتِكَ ؛ وَوَجَّهْتُ
الْمُحَرَّشَ أَفْبَحَ ۖ وَخَذْتُ الْمُورَّشَ أَوْفَحَ ، وَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

وَمَنْ وَضِعْتَ لِلْقَوْلِ أَغْرَاضُ سَمِعِهِ رَمْتُهُ ۖ وَلَمْ تُخْطِئْ ، سِهَامُ النَّاسِ
وَكَانَ الْأَحْبَى بِمَكَانَتِكَ ، وَالْأَحْرَى بِأَصَالَتِكَ ١٠) وَرَكَانَتِكَ ، أَنْ تُمَحِّصَ
مَا أَنْهَى عَنِّي إِلَيْكَ ۖ وَتُخَلِّصَ مَا بِهِ شُبَّةٌ عَلَيْكَ ؛ وَلَا يُيْتَرَّ مِنْ حِلْمِكَ هَذَا

(١-١) نه في و

(٢) نه : بكرم

(٣-٣) نه : إلى رمزه وخفائه

(٤) ت ، لب : الدافعة

(٥) ر : شانك — ت : سنانك

(٦) ت ، لب : بلز

(٧) ت ، لب : بأثارتك

(٨) نه : آياتك ... رايانك

الابتزاز ، ولا يُستفز من جلدك^(١) هذا الاستفزاز ؛ ولو وليت البحث قسطه .
وأعطيت النظر حقه ، لذكرت قول الزباء : « عسى الغوير أبوؤسا » ، ولتبينت
أن الحائن المائن^(٢) ، الذي حرق ناب^(٣) حرجك وحردك ، وأعض أنامل
ضجرك وضممك^(٤) ، لم يذهب — أذهب الله شرواه ، وأبعد منا^(٥)
نجواه — إلا ليطيش بأناتك ، ويحيش من هناتك ، والنيق لا يهتر
لخريق^(٦) ، والهشيم لا يثبت لنسيم .

وفي فصل :

ومطلعنا من أفق ، ومرجعنا إلى تحقق ؛ وإن كانت أيدي الفتن قد
أزجعت أسلافنا عن الوطن ، واعتصبت^(٧) أملاكنا إلا أسماء ، واستأبنت جماهيرنا
إلا اللفاء ، فقد أعذرت إذ أبقت بأيدينا ما أبقى مياه الصون^(٨) بزرقها ١٠
وجامها ، وزهرات السرو في غضارتها^(٩) وكامها . ولم أمتدح المعتصم طالب
جدى ، ولا راغب ندى ؛ على أن جميعنا رائد في رياض^(١٠) إنعامه ، ووارد في
في حياض إكرامه ؛ ولكني منيت بقرودة حسدة ، أعجزتهم محاكاتي ،
وأعوزتهم محاذااتي ، فوخرُوا فضلي بمثل الأشافى ، ورموا عرضي بثالثة الأثافي .

(١) ت ، لب : خلدك

(٢) ت ، لب : المائن الحائن

(٣) رسم الجملة في ر : خرق حجاب خرجك — وه : خرق باب خرجك — ورسم

الكلمة في ت ، لب أقرب الى ما أثبتناه (٤) رسم الكلمة في ر : خمدك

(٥) وه ، ت ، لب : منك (٦) وه ، ت ، لب : لخريق

(٧) في جميع الأصول : واعتصبت (٨) ر ، ت ، لب : الضون

(٩) ر : عضاتها (١٠) وه : ظلال

وفي فصل :

ولو أُنِّي من هذه الفرقة التي مزَجَنِي ^(١) بها ظلمك ، ^(٢) وضممتني إليها
هضمك ^(٣) ، وعملت عملهم على ^(٤) حُكْمِكَ ، وسلكت سبلهم ^(٥) على زعمك ؛
لكان لي في ^(٦) تشبُّثِكَ الدَّائِي . وتعلقك المجاهدي ^(٧) . أسنى مؤنسي ، وأهدى
مقتدي . فَلِلَّسَامِي مَنَاقِلُ . ولِلتَّرْقِي مَنَازِلُ ؛ وإن جمعتني بهم الصفات ، فقد
أفردتني منهم الموصوفات ، وما كلُّ بيضاء شحمة ، ولا كلُّ سوداء تمرّة .
قد يبعدُ الشيء عن شيء يشابهه . إنَّ السَّمَاءَ نَظِيرُ الْمَاءِ فِي الزَّرَقِ
وما كلُّ معنى يضح ، ولا كلُّ دعوى تصح ، كمثل ما تابعت إرادته .
^(٨) وشفعت ترّدادته ^(٩) ، من أنك غرستني ونهتني ^(١٠) ، وأقتني وقومتني ؛ وكلها
عبارة تؤلِّمُ الأبيّ الحميّ ، واستعارة تؤهمُّ السامع السامع ، وإشارة تعجبُ
الحاضر الناظر . ولست بمتكرِّرٍ مُعاضِدَتِكَ في شأنِ الكَتَابَيْنِ ^(١١) الكرّمين .
فهما وشميك ووليك ، المكتوبان بزعمك على وجه صباحك ، والموصولان
بأجنحة رياحك . ولن تعدم ^(١٢) على ذلك جَزِيلَ حَمْدِي هُنَاكَ . وحاشا لله
أنَّ ^(١٣) أنكر اليد وإن صغرت ، أو أكر النعمة ^(١٤) ، وإن تزلزلت ؛ ولست
بجَيِّعٍ صَمَاءَ كَمَا أَشْرَتُ ، ولا بِسَلَقَةٍ طَلَسَاءَ كَمَا عَرَضْتُ .

(١) هـ : قرفني (٢-٢) هـ : وردني إليها سهمك ممن جنى

(٣) ت ، لب : لي (٤) ت ، لب : سبيلهم

(٥-٥) كذا في ر ، وفي هـ : لكان لي في نسبك وتعلقك أسنى ...

(٦-٦) هـ في هـ (٧) هـ في هـ — ت ، لب : وبينتني

(٨) هـ : الكتّابين (٩) هـ ، ت ، لب : ولم تعدم

(١٠) ت ، لب : وحاشا لله أنكر (١١) هـ ، ت ، لب : النسة

ولو غير أعمامِي أَرَادُوا نَقِصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمًا
وما أَفْصَحَ تَبْيَانَكَ لِفَهْمَتِي ^(١) ، وَأَوْضَحَ بُرْهَانَكَ عَلَى جَهَالَتِي ، فِي تَلْوِيْحِكَ بِلِ
تَضَرِّيْحِكَ ، أَنِّي لَمْ أَرِمْ ذَرَايَ ^(٢) ، وَلَا بَرَحْتُ مَثْوَايَ ، وَلَا ^(٣) أُعِمَّتْ لِي رِحْلَةُ ^(٤)
لِلْعُلَمَاءِ ، وَلَا هَجَرَةُ لِلْفُهَمَاءِ ^(٥) . فَيَا لِلْأَدَبِ لِهَذَا الْعَجَبِ ، مَا أَكْثَرَ إِجْحَافَكَ ،
وَأَقْلَّ إِنْصَافَكَ ! جَهَلْتُ ^(٦) أَنَّ الْعُلَمَاءَ بِمَضْرِي مُتَوَافِرُونَ ، وَالْمَشِيخَةَ الْجِلَّةَ بِهِ
مُتَكَاثِرُونَ . وَأَنَّ فُنُونَ الْعِلْمِ بِهِ تُلْتَمَسُ ، وَمِنْ أَنْوَارِهِ تَقْتَبَسُ ، وَإِلَيْهِ كَانَتْ
أَوَّلًا وَفَادَتُكَ ^(٧) . وَمِنْهُ عَظُمَتْ ^(٨) . وَإِفَادَتُكَ . وَأَمَّا زَعْمُكَ أَنَّ الدَّهْرَ لَوْ
عَضَّنِي ^(٩) ، وَالْخُبْرَ لَوْ عَجَمَنِي ، لَتَبَيَّنْتُ أَنَّ بَحْرِي ضَحَضَاحٌ ، وَأَنَّ إِصْبَاحِي ^(١٠)
مِصْبَاحٌ ؛ فَلَيْسَ بِأَوَّلِ جَنَفِكَ ، وَلَا بَبْدَعٍ مِنْ سَرَفِكَ ! إِنَّ التَّقْدِيمَ ^(١١) بِالْأُذْهَانَ
لَا بِالْأَسْنَانَ ^(١٢) ، وَالتَّفْهَمَ بِالْأَفْهَامِ لَا بِتَكَاثُرِ الْأَعْوَامِ ، وَالْمَرْءَ بِأَصْفَرِيَّةٍ « وَالْحُسَامُ
بِغَرَارِيهِ ، وَالسَّقَطُ يُحْرِقُ الْحَرَجَةَ وَهُوَ حَقِيرٌ ، وَالنَّاطِرُ يُحْتَرِقُ ^(١٣) الْفَلَكَ وَهُوَ
صَغِيرٌ . وَأَمَّا الْإِمْتِحَانُ فَذَهْنِي إِبْرِيْزُ نَارِهِ ، وَلُبِّي تَبْرِيزُ مِضْمَارِهِ ، وَطَالَمَا فُوضِلْتُ
فَفُضِّلْتُ ، وَنُوضِلْتُ فَنُضِّلْتُ ، وَقَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مِنْ رَامَاهَا ، وَالْحَلْبَةَ مِنْ جَارَاهَا ،

(٢) ت ، لب : داري

(١) ر : لمباهتي

(٣-٣) ت ، لب : ولا عملت لي رجل

(٥) ه ، ت ، لب : كأنك جهلت

(٤) ه ، ت ، لب : للفقههاء

(٧) ه ، ت ، لب : عظمي

(٦) ه ، ت ، لب : أول وفادتك

(٩) ه : صباحي

(٨) ه ، ت ، لب : لو حنكني

(١٠-١٠) ت ، لب : للأذهان لا للأسنان

(١١) ت ، لب : يحرق

وإن قلت المذكية لا تقاس بالجذاع ، فإني أقول : في الإجراء من مائة ترك
الجذاع (١) :

وتخفى السوابق من غيرها إذا لم تُضمَّ إلى مقبض (٢)

وإذا شئت ففتحك ذكاه لا تخبو ناره ، ولا تنبو شِفاره (٣) ، وبهرك
مضاه لا تطيش سِهَامُه ، ولا تُخفي أزلامه ، وإن كنت على زعمك عوداً
لا تفلح ، فالحديد بالحديد يُفلح .

وفي فصل :

فَتَحَقَّقْ أَنِّي مُكَدَّرٌ (٤) الشُّمُوسَ الَّتِي تَكْسِفُهَا ، وَمُعَوَّرٌ الْبِحَارَ الَّتِي
تَنْزِفُهَا ؛ وَأَنَا (٥) أَخْلَعُ عَلَيْكَ حَظِّي مِنَ الْفَهْمِ الْأَدْبِيِّ وَالْعِلْمِ الشَّعْرِيِّ ، وَلَمْ
أَجْعَلْهُمَا غَرَضًا . فَلَمْ أَلْحِظْهُمَا (٦) إِلَّا غَرَضًا ؟ وَكَذَلِكَ أَنَا قَضِ زُهْوَكَ (٨) ، وَأُخَالَفُ
بَأْوِكَ (٩) ، وَأَعْتَرِفُ لَتَعْدِيكَ ، لَعَلِّي أَرْضِيكَ . إِنِّي لَا أَضْرِبُ بِسَهْمٍ فِي فَهْمٍ ،
وَلَا أَخْتَصُّ بِقِسْمٍ فِي عِلْمٍ ؛ وَلَا آخِذٌ بِحِظٍّ فِي لَفْظٍ ، وَلَا أَلْمٌ بِمَعْنَى لِمَعْنَى ، ضَيِّقُ
الْعَطَنِ فِي الْفِطَنِ . عَالِمٌ بِأَضْمَحِجَلَالِ خَيَالِي . وَنُضُوبٍ أَوْشَالِي ، مُنْقَطِعُ الرَّجَاءِ عَنْ
تَثْنِيَةِ وَاحِدَتِكَ (١٠) . وَتَقْفِيَّةَ قَافِيَتِكَ . وَاعْتِرَاضِ عَرْوَتِكَ . وَلِلَّهِ أَنْتَ ! لَقَدْ

(١) ز في ت ، لب : من كشف القناع

(٢) ت ، لب : مقبض (٣) ر : أشفاره

(٤) ت ، لب : مكور (٥) وه : وإني

(٦) ر ، ت ، لب : فلم (٧) وه ، ت ، لب : ألحظهما

(٨) وه : أزهارك (٩) وه : نارك

(١٠) تثنيتك

أغربت بعنقائك ، وبرزت^(١) ببلقائك ، فلا داحس لغبرائك ، ولا مباري^(٢) لغرائك . إلا أن الحسناء لا تعدم داما ، وبلقي مع جريه لا يفقد ملاما ؛ فكم ندي قضي منتدوه ، وحكم مشاهدوه ، أن يميمتك^(٣) هذه منحلة^(٤) من إحدى بناتي ، وحققتك منحلة من بعض خيالاتي . وزعموا أنك في لواحيها^(٥) سلكت ، وعلى قوالها سبكت . وما زدت على أن مسخت راءها نونا ، وصيرت أبقارها عونا . ومن الظلم الجم^(٦) أن تجعل نصري خذلانا ، وعصدي عدوانا ؛ وكل سمع قولي : إن بحر الوزير أزخر من أن يستمد بجري ، وعلمه^(٧) أوفر^(٨) من أن يستكثر بنزري ، وفضله أبرع من أن يختلس من حلاي^(٩) . وشمس أرفع من أن تقتبس من سهای^(١٠) ؛ والاتفاق غير نكير .
فقد جرى لهمام وجري . وقبلهما للكندي والبكري .

١٠

وفي فصل :

وهذه نزغات الحاسدين ، ونفثات^(١١) المنافسين ، فأعرض عن فندهم ، ولا تحفل بعندهم . وقل في قولهم قول الأحنف في مثلهم :^(١٢) عثيمة تقرض جلد^(١٣) أملسا . ومن قال سمع . ومن قرع قرع . ومن سمح كبح . ومن زهي ازدری^(١٤) ؛ فلا تسمع ممن يقصد إسماعك ، ويعتمد إيجاعك ، فلو فحصت لما انتقصت ، ولو

١٥

(١) نه في ت ، لب (٢) ه : ولا مباري لغرائك

(٣) رسم الكلمة في ر ، ه : بنيتك (٤) ه ، ت ، لب : منحلة

(٥) ه : نواحيها (٦) ت ، لب : الحجر

(٧) نه في ر (٨) ر : أمتن

(٩) ه : حبالي (١٠) ه : ذبالي

(١١) في الأصول « نيفات » ، ولعل فيما أمتناه الصواب

(١٢-١٣) نه في ه (١٤) ر ، ت ، لب : ازدهي

تَحَقَّقَتْ لَمَّا تَدَفَّقَتْ ، فَرَبَّ غَيْثٍ عَادَ عَيْنًا ۖ وَعَجَلَةٌ تَهَبُ رِيثًا ؛ فَقَدْ تَعَاظَيْنَا
كَأْسَ النَّصَفِ ، فَلَنَجْدَعُ أَنْفَ الْأَنْفِ ، وَلَنُطْفِئُ سَقَطَ الشَّنْفِ ، وَلَنُحُ السَّالِفَ
بِالْمُؤَنَّفِ ، فَقَدْ بَرَدَتْ كَبِدُ الْإِخْلَاصِ ، وَانْتَهَجَتْ سَبِيلُ الْإِسْتِخْلَاصِ ۖ
وَانْصَلَتْ مَآوِيَّةُ^(١) الصَّفَاءِ ۖ وَتَوَثَّقَتْ آخِيَّةُ الْإِخَاءِ ؛ فَلَا يَخْتَلِجُ بِهَا جِسِيكَ ،
وَلَا يَخْطُرُ بِخَاطِرِكَ ، أَنَّ هَفَوَاتِ هَذِهِ الْمَنَوَاتِ تَغْضُ أَجْفَانِي عَنْ لَحْظِ سَنَاكَ ،
أَوْ تُخْرِسُ لِسَانِي عَنْ إِضْحَاحِ عُلَاكَ ۖ وَعَلَى مَا خِيلَتْ ، أَنَّ أَنْفَصِلَ مِنْ تَقْدِيمِكَ ،
وَأَنَّ أَنْفَكَ مِنْ تَعْظِيمِكَ .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى إِلَى ابْنِ الْحَدِيدِ بِطَلِيلِطَلَّةَ :

قَدْ سَطَعَ — أَعَزَّكَ اللَّهُ — مِنْ سَنَاكَ وَسَنَائِكَ ۖ وَتَضَوَّعَ مِنْ ثَنَاكَ^(٢)
وَتَنَائِكَ ، وَانْتَشَرَ مِنْ عُلَاكَ وَحُلَاكَ^(٣) ، مَا ضَمَّخَ مِسْكُهُ اللَّوْحَ ، وَسَتَرَ نُورُهُ
يُوحَ ؛ فَسُورُ سِيرِكَ تُتَلَّى فِي مَنَازِلِ الْفَضَائِلِ ۖ وَصُورُ غُرِّكَ تُجَلَّى فِي مَحَافِلِ
الْأَفَاضِلِ ؛ وَلَا غَرَوْ أَنَّ تَنْزِعَ الْأَنْفُسُ الشَّاسِعَةَ تِلْقَاكَ ، وَتَتَمَتَّى لِقَاكَ ؛ وَلَا بَدَعَ
أَنْ تَمْتَدَّ الْأَعْيُنُ النَّازِحَةُ إِلَيْكَ ، وَتَوَدَّ أَنْ تَقَعَ عَلَيْكَ ، فَالْفَضْلُ مَوْمُوقٌ ،
^(٤) وَالنَّفِيسُ مَرْمُوقٌ ، وَحِرْصُ الْحَوْبَاءِ عَلَى مُشَافَهَةِ الْأَخِلَاءِ يَقْضِي عَلَيْهَا
بِاقْتِدَاحِ زَنْدِ الْخَاطِبَةِ ، وَاسْتِفْتَاكِ غَلَقِ الْمَكَاتِبَةِ ، وَإِذَا عُدِمَ التَّنَاطُقُ ، فَقَدْ وَجِبَ
التَّبَاطُقُ ۖ وَلَوْ أَنَّ التَّكَاتُبَ لَا يَقَعُ إِلَّا بَعْدَ وَقُوعِ طَيْرِ التَّعَارُفِ عَلَى مَاءِ
التَّأَلُّفِ ، وَتَقْيُّ النَّفْسِ ظِلَالِ الْأُنْسِ ؛ لَانْسَدَّتْ أَبْوَابُ الْمَوَاصِلَةِ ، وَانْبَسَّتْ أَسْبَابُ

(٢) ر : ثَنَاكَ — ه : شَذَاكَ

(١) ه : مَرَاة

(٤-٤) ه : فِي ه

(٣) ه : وَعَلَاكَ

المراسلة . وما زلتُ مُذْ تَنَسَّمْتُ أَرْجَ ذِكْرِكَ ، وَتَوَسَّمتُ^(١) نَهْجَ عَلِيَّكَ ، أَصْبُو
إِلَيْكَ صَبَوَ الْهَاسِمِ ، وَأُظْمَأُ نَحْوَكُ ظُمَأَ الْحَاسِمِ ، وَأُرْتَقِبُ لِلْإِمْكَانِ صَالِحَةً^(٢)
أَتَوْصَلُ بِهَا إِلَى مُجَارَاتِكَ فِي مَيْدَانِ الْإِسْتِدْلَالِ . وَأَتَوَسَّلُ بِهَا إِلَى مُعَاطَاتِكَ أَفْنَانَ
الِالْتِثَامِ وَالِاتِّصَالِ ، وَالزَّمَنُ يَأْتِي إِلَّا اللَّيَّ ، فَيُهِدُ الْعَوَاقِقَ إِلَيَّ ؛ إِلَى أَنْ دَهْنِي
مِنْ ضُرُوبِ خُطُوبِهِ بِعَجَائِبَ . وَاسْتَقْبَلْنِي مِنْ صُنُوفِ ضُرُوفِهِ بِغَرَائِبَ ، قَدَفْتَنِي
مِنْ سَمَائِي . وَسَقَتْنِي غَيْرَ مَائِي ، فَأَيْدِي التَّغَرُّبِ تَتَعَاطَانِي . وَأَقْدَامُ النَّوْبِ
لَا تَتَخَطَّأَنِي ؛ وَاللَّهُ يُحْسِنُ الْعُقُوبِي ، وَيُعْقِبُ الْحُسْنَى ، بِمَنَّهُ .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى :

قَدْ كُنْتُ خَاطِبْتُكَ فِي أَمْرِ فُلَانٍ ، وَجَلَوْتُ إِلَيْكَ^(٣) مَعَهُ خَبْرِي ، وَشَكُوتُ
إِلَيْكَ عُجْرِي وَبُجْرِي ، لَتَنْظُرَ كَيْفِيَّةَ حَالِهِ . وَلَعَلَّكَ تَصْرِفُهُ عَنْ مَحَالِهِ .
فَا أَصْرَتْ^(٤) بَنْرِكَ زَبَدًا وَلَا حَبِيًا ، وَلَا أَثْرَتْ لُمُهِرِكَ عَنَقًا وَلَا حَبِيًا ،
وَلَا سَلَكْتَ لِشُعْبِكَ صَعْدًا وَلَا صَبَبًا ، وَلَا فَكَّكَ لِسَعْيِكَ وَتَدَا وَلَا سَبَبًا .
وَعَهْدَتِكَ — أَبْقَاكَ اللَّهُ — أَنْفَذَ سِهَامِي ، وَأَقْتَلَ سِمَامِي ، فَمَا الَّذِي عَاقَ بِدَارِكَ
إِلَى رَغْبَاتِي ، وَسَكَنَ مَثَارِكَ فِي طَلِبَاتِي ؟ فَعَوَّدًا إِلَى مُعْتَرَفَاتِكَ^(٥) . وَجَرِيًا عَلَى
قَدِيمِ^(٦) عَادَاتِكَ ، فِي أَنْ تُعْمَلَ حِيلَكَ الْبَابِلِيَّةَ . وَهَدَايَتِكَ الْلَاهُوتِيَّةَ ، وَأَلْطَافَكَ
الْنَامُوسِيَّةَ^(٧) ، وَدَقَائِقَكَ الْبَطْلِيمُوسِيَّةَ ؛ فَعَسَاكَ أَنْ تُطْلُقَ رِبْقِي ، وَتُعْتَقَ رَقِي .

(٢) وه ، ت ، لب : مآخذه

(١) ر : توهمت

(٤) وه : أبصرت

(٣) وه ، ت ، لب : عليك

(٥) وه معترفانك — ت ، لب : معترفانك

(٧) وه : الناسوتية

(٦) وه : كريم

وله من أخرى إلى أبي بكرٍ الخَوْلَانِي المنجِّم :

لَوْ أَنْصَفَكَ الزَّمَانُ الَّذِي أَنْتَ غُرَّةُ أَيَّامِهِ ، وَدُرَّةُ نِظَامِهِ ، لَكُنْتَ أَحَقَّ
بِالسَّرَطَانِ مِنَ الزُّبْرِ قَانِ ، وَأَوَّلَى بِالْمِيزَانِ مِنْ كِيَوَانِ ، وَأَحْجَى بِعُلُوِّ الْمَرَاتِبِ
مِنْ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ؛ فَمَا زِلْتَ لِفَلَكَ عِلْمُهَا مَرَّ كَرَا ، وَلَمَدَى فَهْمِهَا مُحَرِّزَا ؛
وَلَوْ مِيزَ الزَّمَانُ ضِيَاءَ جَوْهَرِكَ ، وَصَفَاءَ عُنْصُرِكَ ، لَمَا عَدَاكَ عَنِ الْعُرُوجِ ، إِلَى
فَلَكَ الْبُرُوجِ ؛ وَأَرْجَوَانُ هَذَا زَمَانُهُ ، وَقَدْ آتَى أَوَانُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ لَهُ دَلَائِلُ ،
وَشَهِدَتْ لَهُ ^(١) تَحَايِلُ . فَكَأَنِّي بِكَ مِنْ ذَاتِ الصَّدْعِ إِلَى ذَاتِ الرَّجْعِ ^(٢) ؛
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يُتِمَّارَى فَيْكَ ، فَيَقُولَ مَنْ يُصَافِيكَ : مَا رَشَقَ وَلَا مَشَقَ ،
وَلَكِنَّهُ شَبَّهَ وَمَوَّهَ . أَوْرَدَنَا اللَّهُ خَيْرَ مَوَارِدِ النِّجَاحِ وَالْهُدَى ، وَعَصَمَنَا مِنَ الضَّلَالَةِ
وَالرَّدَى ، بِمَنِّهِ . ١٠

وَلَهُ أَيْضًا : يَا سَيِّدِي الَّذِي هُوَ قَسِيمُ ذَاتِي إِنْ تَحَقَّقَتِ الدَّوَاتُ وَالنَّجَازُ ،
وَشَقِيقُ نَفْسِي إِنْ تَبَيَّنَتِ الْخَلَائِقُ وَالْغَرَائِزُ ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ بِقَاءَ الْفِرْقَدِينَ ، فِي
تَدْبِيرِ السَّعْدِينَ ؛ بَيْنَنَا — أَعَزَّكَ اللَّهُ — مِنَ التَّحَامِ الْمَقَّةِ وَاسْتِحْكَامِ الثَّقَةِ .
مَا أَرْبَأُ بِهِ عَنْ تَضْمِينِ ^(٣) الصَّحَائِفِ ، وَلَوْ قُدَّتْ مِنْ أَدِيمِ السَّوَالِفِ ، وَأَنْزَهُهُ
عَنِ اشْتِمَالِ الْمِدَادِ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ دَمِ الْفَوَادِ ؛ فَصَفَاؤُنَا شَمْسِيُّ النِّقَاءِ ، وَوَفَاؤُنَا فَلَكِيُّ
الْبِقَاءِ ، وَلَا تَضْمَنَ الطُّرُوسُ ، إِلَّا مَا لَحِقَهُ الدُّرُوسُ . « كِتَابِي بَعْدُ » ^(٤) . إِنْشَرَّ إِتْحَافُكَ ١٥

(١) هـ ، ت ، لب : به

(٢) ز في ت ، لب : على كبد الجزع — هـ : على كند الجزع

(٣) هـ : تضييحه

(٤) هـ ، ت ، لب : هذا

لى بكتابين كالتَّيرين ، فإن كان القمرُ ويُوح ، لإِنارةِ اللُّوح ، فهذان ، لجلاء الأذهان .

وهذه أيضاً جُملة من شعره في أوصاف شتى

من ذلك مُلَحَّه في نويرة : قال :

ورأتُ جُفونى من نُويرة كاسمِها ناراً تُضِلُّ وكلُّ نارٍ تُرشدُ
والماءُ أنتِ وما يصحُّ لقابضٍ والنارُ أنتِ وفي الحشا تتوقَّدُ
وقال أيضاً :

قلبي في ذاتِ^(١) الأثيلاتِ رهينُ لَوَعاتٍ ورَوَعاتِ
فوجَّها نحوهم إنهم وإن بَغَوَا^(٢) قِبلةُ بُغياتِ
وعرَّسًا من عَقَداتِ اللوى بالهَضَباتِ الزَّهْرِيَّاتِ
وعرَّجًا يا فتى عامرٍ بالفتياتِ العيسويَّاتِ
فإنَّ بى للرَّومِ روميَّةً تكنسُ ما بينَ الكنيساتِ
أهيمُ فيها والهوى ضلَّةً بينَ صوامعٍ^(٣) وبيعاتِ
وفي ظِباءِ البدو من يزدرى بالطَّيِّباتِ الحَضْرِيَّاتِ
أفصحُ وحدى يومَ فصحٍ لهم بينَ الأريطى والدَّويحاتِ
وقد أتوا منه إلى مَوعِدٍ واجتمعوا فيه لِمِقاتِ
بموقفٍ بينَ يَدَيَّ أُسْقَفٍ مُمسِكٍ مصباحٍ ومنساةٍ

(١) هـ : بذات

(٢) ر : نوا ، والكلمة غير معجمة في ت ، لب (٣) هـ : صواميع

وكلُّ قَسٍّ مُظْهِرٍ لِلتَّقَى
وعَيْنُهُ تَسْرَحُ فِي عَيْنِهِمْ
وَأَيُّ مَرءٍ سَالِمٌ مِنْ هَوَى
فَمِنْ خُدُودِ قَمَرِيَّاتِ
وقد تَلَوْا صُحُفَ أَنْجِيلِهِمْ
يَزِيدُ فِي نَفَرٍ يَعَافِرِهِمْ
والشَّمْسُ شَمْسُ الْحَسَنِ (٢) مِنْ بَيْنِهِمْ
وَنَاطِرِي مُخْتَلَسٍ لِمَحْهَا
وَفِي الْحَشَا نَارٌ نُورِيَّةٌ
لا تَنْطَفِئُ وَقْتًا وَكَمْ رُمَتْهَا
فَخِيَّ عَنِّي رَشَاءُ الْمُنْحَنَى
وقال أيضاً :

حديثك ما أخلَى فزیدی وحدتي
ولا تسألي ذكراه فالذكر مؤنسي
(٣) وباللّٰه فارقي خبل نفسي بقوله
أحقاً وقد صرحت ما بي أنه
وأقسم بالإنجيل إني لم آئنت
ولا بد من قصي على القس قصتي
عن الرّشأ الفرد الجمال المثلث
وإن بعث الأشواق من كل مبعث
وفي عقد وجدى بالإعادة فانفتي
تبسم كاللاهي بنا المتعبث؟
وناهيك دمي (٤) من محق محنت؟
عساه مغيث المدنف المتغوث

(٢) وه : الدجن

(٤) وه : دما

(١) وه : مبد لإنصات

(٣) هذا البيت ناقص في وه

فلم يأتهم عدسى بدين قساوة
وقلبي من حسن التجلّد عاظم
سيمصبح سرى كالصباح مشهراً
ويغرى بذكرى بين كأس وروضة
وقال أيضاً:

صنّتُ اسمَ إني فداً^(٣) لا أسميه
وصاحبى عدديّ قد رمزتُ به
فجذرُ أوله رُبْعٌ لآخره
وإنّ ثانيه خُسٌّ لثالثه
وقال أيضاً:

أما الذى بى فإنى لا أسميه
إذا أردتَ من الأعداد نسبته
وإن أضفتَ إلى ذى^(٥) الجذر رابعة
ونصفه أولعتُ أختُ الرشيد به
وله فيها أيضاً:

عساك بحق عيساك
سريحة قلبي الشاكي

(١) رسم الكلمة في : مثني . وما ذكرناه أقرب الاحتمالات

(٢) و ، ت ، لب ، ويشدى لشعري

(٣) ت ، لب : فرأيا

(٤-٤) نه في و

(٥) و ، لب :

فَإِنَّ الْحُسْنَ قَدَوَلَا
وَأُولَعَنِي بِصُلْبَانِ
وَلَمْ آتِ الْكِنَاسَ عَنْ
وَهَا أَنَا مِنْكَ فِي بِلَوَى
وَلَا أَسْطِيعُ سُلوَانَا
فَكَمْ^(١) أَبْكِي عَلَيْكَ دَمًا
^(٢) فَهَلْ تَدْرِي مَا تَقْضِي
وَمَا يُذَكِّيهِ مِنْ نَارٍ
حَجَبَتْ سِنَاكَ عَنْ بَصَرِي
وَفِي الْغُصْنِ الرَّطِيبِ وَفِي^{١٠}
وَعِنْدَ الرُّوضِ خَدَاكَ
نَوِيرَةٌ إِنْ قَلَيْتِ فَإِنَّ
وَعَيْنَاكَ الْمُنْبُتَا

وقال أيضاً :

وَبَيْنَ الْمَسِيحِيَّاتِ لِي سَامِرِيَّةٌ
مُثَلَّثَةٌ قَدْ وَحَدَ اللَّهُ حُسْنَهَا
وَطَيَّ الْحَمَارِ الْجَوْنَ حُسْنٌ كَأَنَّمَا
وَفِي مَعْقِدِ الرُّثَا نَارٌ عَقْدُ صَبَابَتِي

(١) ر : فلم

(٢) هذا البيت والذي يليه لا يوجدان في .

(٣) ر ، ت ، لب : وفي

وفي ذلك الوادي رشا أضلعي له
كفاس وقمرى فوادي له وكن
وله فيها أيضاً :

رويدك أيها الدمع الممتون
يظن بظاهري حلم وفهم
إلى كم أستسر بما ألاق
نؤيرة بن نؤيرة لا سواها
فدون عيان من أهوى عيون
ودخلة باطنى فيه جنون
وما أخفيه من شوق يبين ؟
ولا شك فقد وضح اليقين

وله فيها من قصيدة :

ومن جرحته مقلتك نؤيرة
أرى كل ذى سلاوى رآك متيماً
ونار الأسى تخبو بقرب نؤيرة
وقال فيها أيضاً :

وفي شرعة الثلاث فرّد محاسن
وأذهل نفسى فى هوى عيسوية
فمن لجفونى بالتماح نؤيرة
سبقتنى على عهد من السلم بيننا
تنزل شرع الحب من طرفه وخيا
بها ضلت النفس الحنيفة الهديا
فتاة هى المردى لنفسى والمخيا
ولو أنها حرب لكانت هى السبيا

واسمها على الحقيقة « جميلة » ولذلك قال فيها :

أتعلم أن لى نفساً عليه
وفي طى الخيلة^(١) ريم أنس
وأشواقاً مبرحة دخيله
رمرت بها فله الخيلة

(١) ر : الخيلة

فصحف^(١) اسمها كما تراه ، وجرى في وصفها طلق الجموح فلم يف شرط
الكتاب بمدا^(٢).

ما أخرجته من المدائح في أميره ابن صمادح

من ذلك قصيدة أولها :

- ٥ لعلك بالوادي المقدس شاطئ
وإني في ريبك واجد ريمهم
ولي في السرى من نارهم ومنارهم
لذلك ما حنت ركابي وحممت
فهل حاجها ما حاجني أولعها
١٠ رويداً فذا وادي لبيتي^(٣) وإنه
ميادين تهياي ومسرح ناظري
ولا تحسبوا غيداً حممتها معاصري
محا ملة الشالوان مبعث حسنه
فكيف أرقى كلم طرفك في الحشا
١٥ وما لي لا أسمى مراداً وهمة
وما أخرتني عن تناه مبادي^(٤)
فكالعنبر^(٥) الهندي ما أنا واطئ
فروح الهوى بين الجوامح ناشئ
هداة حداة والتجوم طوافي
عراي وأوحى سيرها المتباطئ
إلى الوخذ من نيران وجدى لواجي^(٦)
لوزد لباناتي وإني لظلامي^(٧)
فلشوق غيات^(٨) به ومبادئ
فتلك قلوب ضمنتها جاجي^(٩)
فكل إلى دين^(١٠) الصباية صابي^(١١)
وليس لتمزيق المهند رافي^(١٢)
وقد كرمت نفس وطابت ضاضي^(١٣)
ولا قصرت بي عن تباه^(١٤) مناشئ^(١٥)

(١-١) ه في ه

(٢) ر : فكالعنبري — ه ، ت ، لب : وكالغبر

(٣) ه : يني أنه

(٤) ه : بها

(٥) ر : يني

(٦) ر ، ت ، لب : تناه

ولكنه الدهرُ المناقضُ فعله
كانَ زمانِي إذ رآني ^(١) جذيله
فداريتُ إعتابًا ودارأتُ عاتبًا
فألقيتُ أعباءَ الزمانِ وأهله
ولازمتُ سَمْتَ الصمتِ لا عن قدامةٍ
ولولا علا الملكِ ابنِ مَعْنٍ محمدٍ
لآلئُ إلا أنْ فِكْرِي غائضٌ
تجاوزَ حدَّ الوهمِ واللَّحْظِ والمُنَى
فتنعكسُ الأبصارُ وهي حواسِرُ
فدو الفضلِ مُنَحَطٌّ وذو النقصِ نارِي
قلاني فلي منه عدوٌّ مُمَالِي
ولم يُغْنِنِي أني مُدارٍ مُدارِي
فما أنا إلا بالحقائقِ عابِي
فلي مُنطقٌ للسمعِ والقلبِ مالِي
لما بَرَحَتْ أَصْدافُهُنَّ اللَّالِي
وعلمي دَأْمَاءُ ونُطْقِي ^(٢) شاطِي
وأعشى الحِجَا لَأَلاؤُهُ المتلالِي
وتنقلبُ الأفكارُ وهي خَوَاسِي

أنشده هذه القصيدة سنة خمس وخمسين ، وأخذَ عليه أنه همز فيها ما لم ^(٣)

يُهمزَ فقال :

عَجِبْتُ لِعَمَّازِينَ عِلْمِي بِجَهْلِهِمْ
تَجَلَّتْ لَهُمْ آيَاتُ فَهْمِي وَمَنْطِقِي
وَلَا حَتَّ لَهُمْ هَمْزِيَّةٌ أَوْ حَدِيدَةٌ
رَمَوْهَا بِنَقْصٍ يَبْنَتْ فِيهِ نَقْصُهُمْ
وإنْ أَنْكَرْتَ أَفْهَامَهُمْ بَعْضَ هَمْزِهَا
وَمَنْ لِمَسِ الْأَفْعَى شَكَى أَلَمِ النَّكَرِ
فَقَدْ عَرَفْتَ أَكْبَادَهُمْ صِحَّةَ الْهَمْزِ !

وقال من أخرى :

أَقْبَلَنَ فِي الْحَبْرَاتِ بِقَصْرِنَ الْخُطَا
وَيُرِينَ فِي حُلَلِ الْوَرَاثِينَ الْقَطَا

(٢) هـ : ونظمي

(١) هـ : رأى ابن جذيلة

(٣) هـ ، ت ، ب : لا

سِرْبُ الْجَوَى لَا الْجَوَّ، عُوْدَ حُسْنُهُ أَنْ يَرْتَعَى حَبَّ الْقُلُوبِ وَيَلْقَطُ
مَالَتْ مَعَاطِفُهُنَّ مِنْ سُكْرِ الصَّبَا مِيلًا يُخِيفُ قُدُودَهَا أَنْ تَسْقُطَا
وَبِمَسْقِطِ الْعَالَمِينَ أَوْضَحُ مَعْلَمٍ لِمَهْفِهِ سَكَنَ الْحَشَا وَالْمَسْقَطَا
مَا^(١) أَخْجَلَ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ إِذَا مَشَى يَخْتَالُ وَالْخُوطَ النَّصِيرَ إِذَا خَطَا!

ومنها :

يَا وَافِدَيَّ شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا أَكْرَمْتُمَا خَيْلَ الْوَفَادَةِ فَارْبَطَا
وَرَأَيْتُمَا مَلِكَ الْبَرِيَّةِ قَاطِبًا وَوَرَدْتُمَا أَرْضَ الْمَرِيَّةِ فَاحْطَطَا
يَرْمَى^(٢) نُحُورَ الدَّارِعِينَ إِذَا ارْتَأَى وَيُذِلُّ غَيْرَ الْعَالَمِينَ إِذَا سَطَا

ومنها :

فَالْيَكْهَى تَنْبِيكَ أَنْتَى رَبِّهَا نَسَبُ الْقَطَا مُتَبَيِّنٌ مَهْمَا قَطَا

ومعنى هذا البيت منقول من قول المعري^(٣) حيث يقول :

عُرِفَتْ جُدُودُكَ إِذْ نَطَقْتَ وَطَلَمَا لَعَطَ الْقَطَا فَأَبَانَ عَنْ أَنْسَابِهِ !

وقال النابغة^(٤) قبله :

تَدْعُو الْقَطَا وَبِهِ تُدْعَى إِذَا نُسِبَتْ يَا صِدْقَهَا حِينَ تَدْعُوهَا فَتَنْتَسِبُ !

وَأَلَمْ يَهَذَا الْمَعْنَى بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِنَا وَهُوَ عَبْدُ الْجَلِيلِ ، مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا
الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَحِينَ أَسْمَعْتُ مَا أَسْمَعْتُ مِنْ كَلِمٍ تَمَثَّلْتُ لَهُمُ الْأَعْرَابُ وَالْحِلَلُ

(١) هـ : من

(٢) هـ ، ت ، لب : يدى

(٣) سقط الزند (ج ١ ص ١٥٥)

(٤) ديوان الشعراء الستة الجاهليين (ص ١٦٥)

ومن أناشيد أهل المعاني لأبي وجزة^(١) السَّعْدِي في صفة القطا مما يتعلق

بهذا المعنى :

ما زِلْنِ يَنْسُبْنَ وَهَذَا كُلُّ صَادِقَةٍ بَاتَتْ تَبَا كَرُّ^(٢) عُرْمًا غَيْرَ أَزْوَاجٍ
حَتَّى سَلَكَنَ الشَّوْىَ^(٣) مِنْهُنَّ فِي مَسْكِ^(٤) مِنْ نَسْلِ جَوَابَةِ الْآفَاقِ مَهْدَاجٍ^(٥)
^(٦) تَنْسَابُ مِنْهُنَّ فِيهِ أُمَّةٌ خُلِقَتْ جُنْدًا مَذْبَحَةً مِنْهُ بِأَوْدَاجٍ ■

وله أيضاً :

خَلِيلِي مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ خَلِيًّا رَكَابِي تُعَرِّجُ^(٧) نَحْوَ مُنْعَرَجَاتِهَا
بِعَيْشِكُمَا ذَاتَ الْيَمِينِ فَإِنِّي أَرَا حُ لَشْمَ الرُّوحِ مِنْ عَقْدَاتِهَا
فَقَدْ عَيْقَتْ رِيحَ النُّعَامِ^(٨) كَأَنَّمَا سَلَامُ سُلَيْمَى رَا حَ فِي نَفَحَاتِهَا
وَتِيَامٍ لِلْقَلْبِ الْمَتِيمِ مَنْزِلٌ فَعُوجًا بِتَسْلِيمٍ عَلَى سَلَامَاتِهَا ١٠
وَإِنْ تُسْعِدَا مَنْ أَسْلَمَ الصَّبْرُ قَلْبَهُ يَعْرِضُ بِدَوْحِ الْبَانِ مِنْ عَرَصَاتِهَا
فَبَانَتْهَا الْغَيْمَاءُ مَا لَفُ بَانَةٌ جَنَيْتُ الْغَرَامَ الْبَرْحَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا
وَرَوْضَتُهَا الْغَنَاءُ مَسْرَحُ رَوْضَةٍ تَبَخَّرْتُ فِي الْمَوْشَى مِنْ حَبْرَاتِهَا
^(٩) هُنَالِكَ خُوطٌ فِي مَنَابِتِ عِزَّةٍ تَخَالُ الْقَنَا الْخَطَّى بَعْضَ نَبَاتِهَا
مَشَاعِرُ تَهْيَامٍ وَكَعْبَةُ فِتْنَةٍ فَوَادِي مِنْ حُجَّاجِهَا وَدُعَاتِهَا ١٥

(١) في الأصول لأبي وجزة

(٢) في اللسان في مادتي زوج وهديج : تباشر

(٣) ر : السرى

(٤) ر : منسك . لب : مسد

(٥) ر : مهراج

(٦) هذا البيت ناقص في وه

(٧) وه : وعوجا

(٨) وه : الخزاي

(٩) هذا البيت ناقص في وه

فكم صاغتني في منها يد المني
عهدت بها أصنام^(١) حُسن عهدتني^(٢)
أهل بأشواق إليها وأتقى
غرام كإقدام ابن معن ومغرم
وكم هب عرف الله من عرفاتها !
هوى عبد عزأها وعبد مناتها
شرائعها في الحب حق ثقاتها
كإنعامه والأرض في أزلماتها

ومنها :

وكم قدرأت رأى الخوارج فرقة
بعزم أبي لا يرد مضأوه
هو الجاعل الهيجا حشا وسنانه
فكنت عليا في حروب شرايتها
وهل تملك الأفلاك عن حر كاتها ؟
هوى فهو لا يعدو^(٣) قلوب كاتها

ومنها :

وكم خطبتني مصر في نيل نيلها
ولم أرض أرضا غير مبدأ نشأتني^(٤)
وأسنى المني ما نيل في ميعرة الصبا
ورامت بنا بغداد وردد فرائتها
ولو لحت شمساً في سماء ولاتها
ويفهم سر النفس في رمزاتها
وهل تحسن الأشياء بعد فواتها ؟

قوله : « هو الجاعل الهيجا حشا » ... البيت ، ذهب بمعناه إلى قول

أبي الطيب^(٦) :

كان الهام في الهيجا عيون
وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صفت الأسننة من هموم
فما يخطرن إلا في فؤاد

(١) م ، ت ، لب : أجسام (٢) م : عهدتني (٣) م : فهو يعدو في قلوب

(٤) هذان البيتان لا يوجدان في م ، والبيت الثاني مقدم في م

(٥) كذا في الأصول ولعلها فلتة (٦) ديوان المتنبي ج ١ ص ٢٢٨

وَأَلَمَّ أَبُو الطَّيِّبِ فِي بَيْتِهِ بِقَوْلِ مُسْلِمٍ ^(١) :

لَوْ أَنَّ خَلْقًا يُخْلِقُونَ مَنِيَّةً من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قومٌ إذا احتدم ^(٢) الهجيرُ من الوغى جعلوا الجماعمَ للسيوفِ مقيلا

وقول مُسْلِمٍ يشير إلى ما قال النمرى :

ذَكَرْتُ بَرَوَيْقَهُ الدِّمَاءِ كَأَنَّمَا يعلو الرِّجَالُ بِأَرْجَوَانٍ نَاقِعٍ ٥
وَكَأَنَّ وَقَعَتَهُ بِجُمُجُمَةٍ الْفَتَى خَدَرُ الْمُدَامَةِ أَوْ نُعَاسُ الْهَاجِعِ

وقال ابنُ الحَدَّادِ من أخرى :

فَذَرِ الْعَقِيقَ مُجَانِبًا لِعُقُوقِهِ وَذَرِ الْمُذْيَبَ عُذَيْبَ ذَاتِ الصَّالِ ^(٣)
أَفْقُ مَحَلِّيٍّ بِالْقَوَاضِبِ وَالْقَنَّا لِلْأَعْيِدِ الْمِعْطَارِ لَا الْمِعْطَالِ
حِجْبُوكَ إِلَّا مِنْ تَوَهُمٍ خَاطِرٍ ^(٤) وَحَمُوكَ إِلَّا مِنْ تَبَوُّءٍ ^(٥) بِالِ ١٠
وَالْقَارِظَانَ جَمِيلُ صَبْرِي وَالْكَرْمَى فَتَى أَرْجَى مِنْكَ طَيْفَ خِيَالٍ ؟

وَالْقَارِظَانَ رَجُلَانِ ذَكَرْتَهُمَا الشُّعْرَاءُ قَدِيمًا : قَالَ أَبُو ذُو يَب :

وَحَتَّى يَوْوَبُ الْقَارِظَانَ كَلَاهُمَا وَيُنْشَرُ فِي الْهَلَكَى ^(٦) كُتَيْبُ لَوَائِلِ
فَأَحْدُهُمَا فَقْدٌ فِي طَلَبِ الْقَرْظِ ؛ نَهَشَتْهُ حَيَّةٌ ، وَاسْمُهُ عَامِرُ بْنُ رُفَيْمِ بْنِ
هُمَيْمٍ مِنَ النَّمِرِ بْنِ قَاسِطٍ ، وَلَا حَدِيثَ لَهُ . وَأَمَّا حَدِيثُ الْآخَرِ فَسَبَبُهُ كَانَ ١٥
خُرُوجَ قُضَاعَةَ مِنْ مَكَّةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ خُزَيْمَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ نَهْدٍ هَوَى فَاطِمَةَ بِنْتَ
يَذْكَرُ بْنُ عَنزَةَ وَخَطَبَهَا فَرَدَّهَ أَبُوهَا عَنْهَا ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ هُوَ وَأَبُوهَا يَذْكَرُ

(١) ديوان مسلم (ص ٥٠) (٢) و ، ت ، لب : احمر

(٣) و ، ت ، لب : ذات الحال (٤) و ، ت ، لب : خاطرى — بالى

(٥) و : تذكر (٦) و : القتل

يطلبان القرطَ ، فرأى بقليبٍ فيه معسلٌ للنحل ، فتقارعا للنزول فيها ۝ فوقعت القرعة على يذكر ، فنزل واجتفى العسل ، ثم قال : أخرجنى ، فقال له خزيمَةُ ۝ لا أخرجك حتى تزوجني فاطمة ، فقال : أخرجنى وأفعل ؛ فتركه هناك ومات بها . وانصرف إلى الحي ، فسئل عنه فقال : أخذتُ طريقاً وأخذتُ أخرى ، واتهموه ، وأرادوا قتله فَنَمَّه أهله . وإنَّ خزيمَةَ شهر نفسه بقوله ۝

فتاةٌ كأنَّ رُضابَ العَصِيرِ يُعَلُّ بِفِيهَا مَعَ الزَنْجَبِيلِ

قَتَلْتُ أَبَاهَا عَلَى حُبِّهَا فَتَبَخَّلُ إِنْ بَخِلْتُ أَوْ تَنِيلُ

فاحتربت بكرٌ وقضاةٌ بسببه ، فكان ذلك أولَ (١) تفرُّقهم عن تهامة ، فلما أخذوا يتفرقون قيل لخزيمَة : إنَّ فاطمة قد دُهِبَ بها فلا سبيلَ إليها ، فقال :
١٠ أمّا ما دامت حيّةً فأنا أطمعُ فيها ، وقال ۝

إذا الجوزاءُ أردفتِ الثريا ظننتُ بآلِ فاطمةَ الظنونا

وحالتُ دونَ ذلكِ من هُمومى هُمومٌ تُخرِجُ الداءَ الدافينا

وقال ابن الحداد أيضاً :

فيا عجباً أن ظلَّ قلبي مؤمناً بشرعِ غرامٍ ظلَّ بالوَصْلِ كافراً

أرجى لسُلوانى نُشوراً وحسناً يرى رأى ذى الإلحاد أن ليسَ ناشراً

وليسَ على حُكمِ الزمانِ تحكُّمٌ على حسبِ الأفعالِ تُجرى مصادراً

ومعرفةُ الأيامِ تُجدي (٢) تجارباً ومنَ فِهمِ الأَشْطَرِّ فكَّ الدوائرِ

(١) و ، ت ، لب : أول بدء

(٢) : تجدى محاربا — و ، ت : تجرى مجاربا ، ورسم الكلمة في لب : « محاربا »

ولعل الصواب ما أثبتناه

(١) ولولا طلابُ الدَّهرِ غايةَ علمِها
ولولا أبو يحيى ابنُ معنٍ محمدٌ
فلا تُنكروا (٢) منى بديعاً فجده (٣)
يُحجُّ ذراهُ الدَّهرِ عافٍ وخائفٌ
فرزٌ مكةً مهما اقترفتَ مآتماً
تَهِيمُ بمرآةِ العُصورِ جلالَةً
وله فيه أيضاً :

ياسائلي عما زَكِنتُ (٤) من الورى
إيهما (٥) سقطتَ على الخبيرِ بحالهم
هُمُ كالقريضِ وكسرُهُ من وزنه
هاجوا سُكوني فاستدمتُ هَياجهم
فانجَبَ عن شمسِي دُجى إجلالهم
لما فَضُلْتُ رَمَوْا بكلِّ عَظيمةٍ
شاد ابنُ مَعْنٍ في تُجيبٍ مكارماً
يأمنُ يُضِيفُ إليه حاتمَ طيٍّ
أعطته أهواءُ القلوبِ سِياسَةً
وَبَدَتْ إلينا منه صُورَةُ سِيرةٍ

والسرُّ قد يُفْضَى إلى الإعلانِ
عند العَروضِ حقائقُ الأوزانِ
يَبْدُو من التَّحريكِ والإسكانِ
إِنَّ الحِرَاكَ دَلَالَةُ الحَيَوَانِ
وَلَرُبَّ بُرءٍ كانَ في بُحْرانِ
والفَضْلُ موضعُ أسْهمِ البُهْتانِ
ليستَ لَمَعْنٍ في (٦) بنى شَيْبانِ
مَرَعَى ولكن ليسَ كالسَّعدانِ
خَفِيتَ لَطائِفُها على ساسانِ
تُنْبِيكَ عَمَّا سَنَّهُ العُمَيرانِ

(١) من هنا يبدأ خرم في لب ينتهى في صفحة ٢٣٣ (٢) وه ، ت : تكبروا

(٣) ر : فهجره

(٤) في ر ، ت : ركنت — وفي وه : ركبت من الهوى ، ولعل الصواب ما أثبتناه

(٦) ر : فتي

(٥) وه : إيه

قوله ■ هم كالقريض ... البيت كقول أبي العلاء :

تَقَارَبَ عَالَمُنَا وَامْتَزَجَ فَزَجَّ حَيَاتُكَ فِيمَنْ يَزُجُّ
فَانِي رَأَيْتُ طَوِيلَ^(١) الْعَرَوِ ضٍ مِنْ مُتَقَارِبِهِ وَالْهَزَجِ

وله فيه من أخرى :

سَلِ الْبَانَةَ الْغَيْنَاءَ^(٢) عَنْ مَلْعَبِ الْجُرْدِ^(٣) وَرَوَضَهَا الْغَنَاءَ عَنْ رَشَا الْأُسْدِ
وَسَجَسِجَ ذَاكَ الظِّلَّ عَنْ مُلْهَبِ الْحَشَا وَسَلَسَلَ ذَاكَ الْمَاءَ عَنْ مُضْرِمِ الْوَجْدِ
فَمَهَّدِي بِهِ فِي ذَلِكَ الدَّوْحِ كَانِسًا وَمَنْ لِي بِالرُّجْمَى إِلَى ذَلِكَ الْعَهْدِ !
وَفِي الْجَنَّةِ الْأَلْفِافِ أَحُورٌ أَزْهَرُ تُلَاعِبُ قُضْبَ الرَّتْدِ فِيهِ قَنَا الْهِنْدِ

ومنها :

١٠ فَأَيَّ جَنَانٍ لَمْ يَدْعُ نَهَبَ لَوْعَةٍ وَقَدْ لَاحَ مِنْ تِلْكَ الْحَاسِنِ فِي جُنْدٍ ؟
وَفِي صُدْغِهِ اللَّيْلُ نَارُ حُبَابٍ مِنْ الْقُرْطِ يَصْلَاهَا حَبَابٌ مِنَ الْعِقْدِ
وَفِي زَنْدِهِ الرِّيَّانُ سُورٌ تَعُضُّهُ فَيَدْمَى كَمَا ثَارَ الشَّرَارُ مِنَ الزَنْدِ
أَحَازِرُ أَنْ يَفْقَدَ لَيْنًا فَأَنْتَقِي بِقَلْبٍ شَفِيقٍ مِنْ تَنْفِيهِ مُنْقَدِّ
وَقَدْ جَرَحَتْ عَيْنَايَ صَفْحَةً خَدَّهُ عَلَى خَطَأٍ فَاخْتَارَ قَتْلِي عَلَى عَمْدِ
وَأَمْلُ مِنْ دَمْعِي إِلَانَةَ قَلْبِي ——— وَلَا أَثْرَ لِلْغَيْثِ فِي الْحَجَرِ الصَّلْدِ
وَأِنِّي بِذَاتِ الْأَيْكِ^(٤) أَسْعِدُ وَرَقَهُ فَهَلْ عِنْدَ ذَاتِ الطَّوْقِ مَالُ الْهَوَى عِنْدِي ؟

ومنها :

وَيَالِكَ مِنْ نَهْرٍ صَوُولٍ^(٥) مُجَالِجِلٍ كَأَنَّ الثَّرَى مُزْنٌ بِهِ دَائِمُ الرَّعْدِ

(١) في الأصول : خفيف . والنصحيح عن اللزوميات (ج ١ ص ٢٠٨)

(٢) هـ : الغناء ، ت : العيناء (٣) هـ : الجود

(٤) هـ : الأثل (٥) هـ : مؤول بجلجل

إذا صافحته الريحُ تصقلُ مثنه^١ وتصنعُ فيه صنعَ داودَ في السردِ
 كأنَّ يدَ الملكِ ابنِ معنٍ محمدٍ تفجرُّه من منبعِ الجودِ والرفدِ
 ويرفُلُ في أزهاره واخضراره كما رفلتُ نعباهُ في حُللِ الحمْدِ
 وقد وردتْ في عمره نهْلُ القطا كما ازدحمتْ في كفه قبلُ الوفدِ
 مُفيضُ الأيادي فوق أدنى وأرفعِ وصوبُ الغوادي شاملُ^(١) الغور والنجدِ ٥
 فمن جوده ما في العمامة من حياءِ ومن نوره ما في الغزاة من وقْدِ
 تلاًلاً كالإفرندِ في صارمِ النهي وكرُّ^(٢) كالإبريزِ في جاحِمِ الوفدِ
 وإن ولّيتْ فيه أذيهانُ معشرِ فلا فضلَ للأنوارِ في مُقلّةِ الخلدِ
 ومنك أخذنا القولَ فيك جلاله^٣ وما طابَ ماءُ الوردِ إلّا من الوردِ

قال ابن بسام : قوله « أذيهان معشر » بالتصغير^(٣) يُشبهه قول عيسى بن
 عمر : ما كانت إلّا أثيراً في أسيفاط قبضها عشاروك • ولعله أراد أن ينبع
 أبا الطيّب في قوله^(٤)

ظلمتُ بين أصيحابي أكَفِكُهُ وظلّ يسفحُ بين العذرِ والعذلِ
 وهيهات • ما كلُّ من جرى سبَقُ ، ولا كلُّ من ارتاح نطقُ !

وله من قصيدة أولها : ١٥

نوى أجرتِ الأفلاكَ وهي النواعجُ وأطلعتِ الأبراجَ وهي الهوادِجُ
 طواويسُ حُسنِ روعتي بَيْنِها غرايبُ^(٥) حُزنِ بالفراقِ شواحيجُ

(١) ه ، ت : سلسل الفور (٢) ه ، ت : ويبرز

(٣) ز في ت : من بارد التعبير (٤) الديوان (ج ٢ ص ٦٤)

(٥) كذا بالأصول ، ولعلها غرايين أو لعله اكتفى بالصفة عن الموصوف

مَوَاسٍ قُضِبَ فَوْقَ كُثْبٍ كَأَنَّمَا
(١) وَمَا حَزَنِي إِلَّا تَعَوَّجَ خُذُوجُهُمْ
مُضَرَّجٌ بَرْدِ الْوَجْنَتَيْنِ كَأَنَّمَا
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ مُدْلَهَمَةٌ
كَأَنَّكَ فِي الْأُمَلَاكِ نُقْطَةٌ دَائِرِ
سَمَاحٍ وَإِقْدَامٌ وَحِيدٌ لَمْ وَعَفَّةٌ
فَقَدْ صَاكَ مِنْ فَضْلِ الْعَوَالِمِ طَيِّبُهُ
مَسَاعٍ أَحَلَّتْكَ الْعَالَا فَكَأَنَّهَا
وله فيه من أخرى :

لَقَدْ سَامَنِي هُونًا وَخُسْفًا هَوَاكُمُ
إِذَا شِئْتَ تَنْكِيلًا وَتَنْكِيدَ عَيْشَةٍ
وَإِنْ تَبَغَّرَ إِحْسَانًا وَإِحْمَادَ مَقْصِدِ
حَلِيمٍ وَقَدْ خَفَّتْ حُلُومٌ فَلَوْ سَرَى
جَوَادٌ لَوْ أَنَّ الْجُودَ بَارَى يَمِينَهُ
ذِكْرِي لَوْ أَنَّ الشَّمْسَ تَحْوِي ذِكَاؤُهُ
وَلَوْ فِي الْحِدَادِ الْبَيْضِ حِدَّةُ ذِهْنِهِ
وَاصْطَبَحَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا مَعَ نُدْمَائِهِ وَأَظْهَرَ صَبِيَّةً مَهْدُودِيَّةً مُتَصَرِّقَةً فِي أَنْوَاعٍ
مِنَ اللَّعَبِ الْمُطْرِبِ ، وَحَضَرَ أَيْضًا لَاعِبٌ مِصْرِيُّ هُنَالِكَ ، فَارْتَجَلَ ابْنُ الْحِدَادِ
يُصِفُ ذَلِكَ :

(٢) ت : المَزُورُ

(١) هذا البيت ناقص في م

(٣) م ، ت : فَأَيْدِي

- كَذَا فَلْتَلُحْ قَمَرًا زَاهِرًا وتجنّي^(١) الهوى ناضراً ناضراً
وسيبك صوب ندى مُغْدِقٍ أقام لنا هاملًا هاملًا
وإنَّ ليومك ذا رَوْقًا مُنِيرًا لنور الضحى باهراً
صباحُ اصطباحٍ بإسفاره لحظنا مُحْيَا العُلا سافراً
وأطلعت فيه نجوم الكو من وما زال كوكبها زاهراً
وأسمعنا لاحقاً فاتناً^(٢) وأحضرنا لاعباً ساحراً
يزفُّن فوق رؤوس القيا ن فتنظر ما يذهل الناظر
ويخطفها^(٣) ذيلُ سرباله فتبصر طالعها غائراً
فظاهرها يفتنى باطناً وباطنها يفتنى ظاهراً
وثناؤه^(٤) ثانٍ لأعابه دقائق تثنى الحجبى حائراً
وفي قيمِّ الراح من سحره خواطر وهت الخاطر
إذا وردَ اللحظُ أثناءها فما الوهم عن وزدها صادراً
ومن بدع^(٤) نِعْمَاك إبداعه فما انفك عارضها ماطر
وسرُّوك يجذبُ المغربا ت ويجعل غائبها حاضراً

وله فيه أيضاً :

١٥

والنفسُ عاديةُ الكمالِ وإنما بالبحثِ عن علمِ الحقائقِ تكملُ
والمرءُ مثلُ النَّصلِ في إصدائه والجهلُ يُصدى والتفهّمُ يصقلُ

(١) : وتجنّي الهدى ناضراً ناضراً — ت : وتجنّي الهدى ناضراً ناضراً

(٢) : فاتناً (٣) : ويخطفها (٤) : بدع — ت : تدع

ومنها :

متلألئ يثنى العيون نواكسا^(١) كالشمس تعكس لحظ من يتأمل
لا يتقي رمد النوائب ناظر
وكان راحتته الذراع إفاضة^(٢) تتصور الأكواف حوابة^(٣)
يحمل بنير صفحتيك^(٤) ويكحل
وكأنما الأنواء منها الأنمل
فكان خاطره الصقيل سجنجل^(٥)

ومنها :

وإذا رأتك الشهب مزعم غزوة
ولو الأمور جرت على مقدارها
ودت جميعا أنها لك جفَل
حمل السلاح لك السماء الأعزل

وله فيه من أخرى :

دوين الكتيب الفرد قصب وكثبان ١٠
وفي ظلل الأفنان خوط على نقا
وفي مكس^(٦) الرقم المنعم أحوز
ويين دراري القلايد نير
علي صدغه الشعري تلوح وتلتظي
عليها لورق الوجدي سجع^(٥) وإرنان
منيع الجنى لدن التأود فينان
كان مصاليت الطبا منه أجفان
له الحسن تيم والتلثم نقصان
وفي نحره الجوزاء تزهى وتزدان

ومنها :

وما بال طرفي لا يوافيك شاكيا
وطرفك في كل الأحايين وسنان ؟

(١) ت : نواكسا

(٢) ت : جربانها

(٣) ت : مكسي

(٤) ت : نواكسا

(٥) هذا البيت ناقص في =

(٦) ر : يسمع إرنان

وفي ثغرك الوضاح رى لباتى فظلمك صدآء^(١) وقلبي صدبان
تسح بأهواء الورى منه راحة شأبيها فيها^(٢) لجين وعقيان
وما كيميني الفرات ودجلة وإن حكموا أن المرية بغدان
به اعتدلت أزمانها وهواؤها فكانون أيلول وتموز نيسان

وله من أخرى يعتذر من خروجه عن المرية بعد اعتقال أخيه ، وكتب
بها من مرسية :

الدهر لا ينفك من حدانه والمرء منقاد لحكم زمانه
فدع الزمان فإنه لم يعتمد بجلاله أحدا ولا بهوانه
كلزن لم يخص بنافع صوبه أفقا ولم يختز أذى طوفانه
لكن لباريه بواطن حكمة في ظاهر الأضداد من أكوانه
ومنها :

وعلمت أن السعى ليس بمنجح ما لا يكون السعد من أعوانه
والجد دون الجد ليس بنافع والرمح لا يمضي بغير سنانه
ومنها :

وسما إلى الملك الرضى ابن ممدوح فأداني بالسخط من رضوانه
وهوى بنجى من سماء سنائه وقضى بقطي من ذرا سلطانه
١٥

ومن شعره أيضاً في بنى هود ، ولحق ابن الحداد بسرقسطة سنة
إحدى وستين ، فأكثر المقتدر بالله من برّه ، وعلم أنه منشوف إلى شعره ،
فمدحه بقصيدة أولها :

أَسَأَلْتَ غَدَاةَ الْبَيْنِ لَوْ لَوْ أَجْفَانِ
وَأَلَقْتَ حُلَاهَا مِنْ أَسَى فَكَأَنَّمَا
وَأَذْهَلَهَا دَاغِي النَّوَى عَنْ تَنْقَبِ
وَقَدْ أَطْبَقْتَ فَوْقَ الْأَقَاخِي بِنَفْسَجَا
ومنها :

وَلَيْلِ بَهِيمٍ سِرَّتُهُ وَنَجْوَاهُ
كَأَنَّ الثَّرِيَّا فِيهِ كَأْسُ مُدَامَةٍ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ مُدْهَمَةٌ
وله فيه من أخرى أولها :

وَقَفُوا غَدَاةَ النَّفَرِ ثُمَّ ^(١) تَصَفَّحُوا
وفيه يقول :

كَأَنَّمَا مُتَّجَهِي بَوَجْهِ نَحْوَكُم
أَيَّامَ رَوْعَى الزَّمَانُ بِرَبِّهِ
وَلَنْ أَتَانِي صَرْفُهُ مِنْ مَأْتِي
فَكَأَنَّمَا الْإِظْلَامُ أَيْمٌ أَرْقَطُ
صَدَعَ الزَّمَانُ جَمِيعَ شَمْلِي مُنَحِيًّا
فَقَضَى بِحَطِيٍّ عَنْ سَمَائِي وَاقْتَضَى
يَمَمْتُهَا سَرَقُطَةً وَهِيَ الْمَدَى
^(٢) حَيْثُ الْعُلَا تُجَلَّى وَأَنَارُ الْمُنَى
وَالنَّفْسُ تُوقِنُ أَنَّ عَهْدَكَ فِي النَّدَى

وَنَوَاطِرُ الْأَمْلاكِ نَحْوِي طَمَحُ
وَأَجْدَبِي خَطْبُ الْفِرَارِ الْأَفْدَحُ
فَالدَّهْرُ يُجْمِلُ تَارَةً وَيُجَلِّحُ
وَكَأَنَّمَا الْإِصْبَاحُ ذُبُّ أَضْبَحُ
إِنَّ الزَّمَانَ مُمْلَكٌ لَا يُسْجَحُ
رَحَلًا تُطَيِّحُ رَكَائِي وَتُطَلِّحُ
وَالدَّهْرُ يَكْبَحُ وَاعْتَزَامِي يَجْمَحُ
تُجَنِّي وَسَاعِيَةُ الْمَطَالِبِ تُنْجَحُ
مُوفٍ بِمَا طَمَحْتُ إِلَيْهِ وَتَطْمَحُ

(٢) هذا البيت ناقص في ر

(١) هـ : يوم

فحيا المني من بحر جودك يمتري^(١) وسنا الضحى من زند مجدك يقدح^(٢)
ومنها :

والشعر إن لم أعتقده شريعة^(٣) أمسى إليها بالحفاظ وأصبح
فبسحره^(٢) مهما دعوت إجابة^(٢) ولفكره مهما اجتليت توضح^(٢)
فاذخر^(٣) من الكلم العلي لائلا^(٣) يبأى بها جيد العلاء ويبجح^(٤)
واربأ بمجدك عن سواقط سقط^(٣) هي في الحقيقة مقدح لا تمدح^(٤)
ونظام ملكك رائق متناسب^(٣) فكما جلاتم فليجل المدح^(٤)
وكان ابن رديمير الطاغية قد بنى حصنا على بعض حصون سرقسطة
فهد^(٥) له المقتدر وأسرى إليه ، وأناخ عليه ، وابن رديمير في جموعه يشرف
على ذلك من بعض جباله ، ثم عطف المقتدر على بعض حصونه وافتتحه
وانصرف غائما إلى سرقسطة سنة اثنتين وستين ، فقال يصف ذلك :
مضاؤك مضمون له النصر والفتح^(٦) وسعيك مقرون به اليمن والنجح^(٦)
إذا كان سعى المرء لله وحده^(٦) تدانت أقاصي ما نحاه وما ينحو^(٦)
بك اقتدح الإسلام زند انتصاره^(٦) وبيضك نار شهبها ذلك القدح^(٦)
وجلى ظلام الكفر منك بغرة^(٦) هي الشمس والهندى ، يقدمها ، الضبح^(٦)
نهم^(٦) ذهلوا عن شرعهم وحدوده^(٧) فقد عطل الإنجيل واطرح الفصح^(٦)

(٢) وه ، ت : فلسحره

(١) وه : متر

(٣) في الأصول : فاذخر — هنا ينتهي خرم لب

(٥) ه : فنفد

(٤) في الأصول : ينجح

(٧) ت : وحدودهم

(٦) وه : به

وله يهني المؤمن بن مقتدر بن هود بمولود من جملة قصيدة :

فبشر^(١) سماء السنا والسنا
بنجم هدى لاح في آل هود
بمقتبس من شمس النفوس
ومقتدح^(٢) من زناد^(٣) الشعود
هلال تالق من بدر سعد
ومزن تخلق من بحر جود
شهاب من النيرين استطار
لإرداء كل مرید^(٤) عنيد
ونصل إذا تم منه انتضاء
فويح العدى من مبير مبيد
تبين فيه كمون الذكاء
ويا رب نار بمخضر عود

وله أيضاً من قصيدة في المقتدر، ويذكر كمال السلم بينه وبين أخيه المظفر،
ويصف غزو الحاجب ابنه المؤمن وبنياته^(٥) في نحر العدو حصن المدور :

١٠ مساعيك في نحر العدو سهام
ورأيك في هام الضلال حسام
ولمحك يردي القرن وهو مدجج
وذكرك يثني الجيش وهو لهام
كأنك لا ترضى البسيطة منزلاً
إذا لم يطنبه عليك قتام

ومنها :

١٥ كأنك خلت الشمس خوفاً فلم يزل
يقنعها بالنقع منك لثام
وقد يحسبون السلم منك سلامة
ورب منام دب فيه حمام
ثم عاد ابن الحداد إلى المريّة ، وحسن بعد بها مثواه ، وأكرمه المعتصم
وأجزل قراه .

(٢) ر : ومقتدح

(١) وه : لبشر سماء

(٤) وه : هزبر

(٣) وه ، ت ، لب : زنود

(٥) وه ، ت ، لب : وشأنه

وَمِنْ شَعْرِهِ فِي النَّسِيبِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنَ الْأَوْصَافِ :

أَيَا شَجَرَاتِ الْحَيِّ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي سَقَاكِ الْحَيَا سُقَيَاكِ لِلدَّنْفِ الصَّادِي
فَكَانَتْ لَنَا فِي ظِلِّكَ عَشِيَّةٌ نَسِيتُ بِهَا حُسْنًا صَبِيحَةَ أَعْيَادِي
بِهَا سَاعَدْتَنِي مِنْ زَمَانِي سَعَادَةٌ فَقَابَلَنِي أَنْسُ الْحَبِيبِ بِإِسْعَادِي
فِي شَجَرَاتِ أَثْمَرْتُ كُلَّ لَذَّةٍ جَنَّاكَ لَذِيذُ لَوْ جَنَيْتِ عَلَى الْعَادِي (١)
فَهَلْ لِي إِلَى الطَّبِيِّ الَّذِي كَانَ آنَسًا بِظِلِّكَ مِنْ تَجْدِيدِ عَهْدٍ وَتَرْدَادٍ ؟
وَقَلْبِي عَلَى أَغْصَانِ دَوْحِكَ طَائِرٌ يَنْوَحُ وَيَشْدُو وَالْهَوَى نَائِحٌ شَادٍ

وَقَالَ أَيْضًا :

يَا زَائِرًا مَلَأَ النَّوَاطِرَ نُورًا وَالنَّفْسَ لَهْوًا وَالضَّلُوعَ سُورًا
لَوْ أَسْتَطِيعُ فَرَشْتُ كُلَّ مَسَالِكِي حَدَقًا وَبَيضَ سَوَالِفِ وَنَحُورِ ١٠
فَبِكَ (٢) اكْتَسَى جَوِّي (٣) سَنَاوَتِلَاوًا

وَلَهُ أَيْضًا :

وَاصِلُ أَخَاكَ وَإِنْ أَتَاكَ بِمُنْكَرٍ فَخُلُوصُ شَيْءٍ قَلَمًا يَتَمَكَّنُ
وَلِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مَوْجُودَةٌ إِنْ السَّرَّاجَ عَلَى مَسْنَاهُ يُدَخِّنُ
وَشَعْرُ ابْنِ الْحَدَّادِ كَثِيرٌ ، وَلَا يَبْقَى بِشَرَطِ هَذَا الْكِتَابِ إِلَّا مَا كَتَبْتُ مِنْهُ . ١٥

(١) هـ ، ت ، ب : العادي

(٣) هـ : خطي

(٢) ر ، ت ، ب : فيك

لَمَعَ مِنْ أَخْبَارِ الْأَمِيرِ ابْنِ صُمَادِحِ الْمَذْكُورِ

هو أبو يحيى محمد بن معن بن صُمَادِحِ التُّجِيبِيِّ . وقد ذَكَرَ ابْنُ حَيَّانَ بَيْتَهُ فِي تَجْيِيبٍ ، وَالْمَعَ بَلَمَعَ مِنْ أَسْبَابِ مُلْكِهِ الْمَغْضُوبِ ، وَبَيَّنَّ كَيْفَ تَبَلَّجَ نَهَارُهُ ، وَمِنْ أَيْنَ انْصَبَّ تَيَّارُهُ . وَقَدْ كَتَبْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَمَكَّنِي تَفْسِيرُهُ ، وَلَا تَبْكُتَابِي أَعْجَازُهُ وَصُدُورُهُ .

قال ابن حَيَّانَ : كَانَ جَدُّهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ صُمَادِحِ الْمَكْتَنِيِّ أَيْضًا بِأَبِي يَحْيَى صَاحِبَ ^(١) مَدِينَةِ وَشَقَّةَ وَعَمَلَهَا . طَلَعَتْ نَبَاهَتُهُ فِي أَيَّامِ الْمُؤَيَّدِ هِشَامَ ، ثُمَّ كَانَ لَهُ بِسُلَيْمَانَ اتِّصَالٌ ^(٢) فَثَنَّى لَهُ الْوِزَارَةَ وَأَمْضَاهُ عَلَى عَمَلِهِ . وَكَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ مُجَافِلًا لِابْنِ عَمَّةٍ مُنْذِرِ بْنِ يَحْيَى التُّجِيبِيِّ . يُظْهِرُ مُوَافَقَتَهُ . وَيَكَاثِمُهُ مِنْ حَسَدِهِ إِيَّاهُ مَا لَا شَيْءَ فَوْقَهُ ، حَتَّى خَذَلَهُ تَجَمُّلُهُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَفَرَّجَتْ الْحَالُ بَيْنَهُمَا بَعْدَ مُضَى سُلَيْمَانَ ، وَتَحَارَبَا عَلَى مُلْكِ وَشَقَّةَ ، فَعَجَزَ ابْنُ صُمَادِحِ عَنْ مُنْذِرٍ لِكَثْرَةِ جَمْعِهِ . وَأَسْلَمَ لَهُ الْبَلَدَ وَفَرَّ بِنَفْسِهِ ؛ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ بِالشَّغْرِ مُتَعَلِّقٌ ؛ وَكَانَ أَوَّلَ سَاقِطٍ مِنَ الثُّوَارِ . لَمْ يَتِمَّ لِسُلْطَانِهِ وَلَا أَوْرَثِهِ مِنْ بَعْدِهِ . وَكَانَ أَبُو يَحْيَى هَذَا رَجُلَ الشَّغْرِ رَأْيًا وَمَعْرِفَةً . وَدَهِيًا ^(٣) وَلِسَانًا وَعَارِضَةً ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي أَصْحَابِ السُّيُوفِ مِنْ يَعْدِلُهُ فِي خِلَالِهِ هَذِهِ ؛ مِنْ رَجُلٍ مُحْرَمٍ ، يُقَارَنُ الشُّومَ ، وَيَقْعَدُ بِهِ الْفَسْكَدُ وَاللُّومُ ؛ وَكَانَ يَحْمِلُ قِطْعَةً صَالِحَةً مِنَ الْأَدَبِ يَنْفَالُ بِهَا حَاجَتَهُ مُحَاطِبًا وَمُذَاكِرًا ، وَكَانَ لَا يَزَالُ يُسَمُّوْا إِلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَالْحِرْصِ

(٢) ز في هـ : ولملم

(١) ر : حاجب

(٣) هـ : دهاء

عليها في أكثر حركاته ، فيقعدُ به جدُّه ، ويُنسِكُسه زمانه ، إلى أن أخنى عليه حسبا ذكرناه .

وَأَمَّا مَعْنُ ابْنُهُ ^(١) ذُو الْغَدْرَةِ الصَّلْعَاءُ ^(٢) ، فَإِنَّهُ لَمَّا قُتِلَ زُهَيْرٌ فَقَتَلَ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ ، وَصَارَتْ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَاسْتَضَافَهَا ^(٣) إِلَى بَلَدِهِ بَلَنْسِيَّةَ ^(٤) ، حَسَدَهُ عَلَى ذَلِكَ مُجَاهِدٌ صَاحِبُ دَانِيَةِ ، وَأَظْلَمَ الْأَفْقُ بَيْنَهُمَا ، فَخَرَجَ مُجَاهِدٌ غَارِبًا إِلَى بِلَادِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ بِالْمَرْيَةِ مُسْتَغْلٌ فِي تَرَكَةِ زُهَيْرٍ ، فَخَرَجَ مُبَادِرًا عَنْهَا لِاسْتِصْلَاحِ ^(٥) مُجَاهِدٍ . وَاسْتَخْلَفَ فِيهَا صَهْرَهُ وَوَزِيرَهُ مَعْنَ بْنَ صُمَادِحٍ . فَكَانَ شَرَّ خَلِيفَةٍ اسْتَخْلَفَ ، لَمْ يَكْدُ يُوَارِي وَجْهَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ عَنْهُ ^(٦) حَتَّى خَانَهُ الْأَمَانَةَ . وَطَرَدَهُ عَنِ الْإِمَارَةِ ، وَنَصَبَ لَهُ الْحَرْبَ . فَغَرَّبَ فِي اللَّوْمِ مَا شَاءَ . وَتَشَكَّبَ التَّوْفِيقَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ لِاسْتِرْعَائِهِ الذَّنْبَ ١٠ الْأَزْلَ عَلَى ثَلَاثَةِ ^(٧) ، وَمُسْتَرْعَى الذَّنْبِ أَظْلَمُ ^(٨) . وَكَانَ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ تَمَلَّاهَا ^(٩) ابْنُ صُمَادِحٍ مَدَّتَهُ ، وَخَلَفَهَا مِيرَاثًا فِي عَقِبِهِ .

(١) و ، ت ، لب : أبوه (٢) ت ، لب : الشنعاء

(٣) ر ، لب ، ت : استضافت

(٤) ز في ت ، لب : واستمد بما ورثه من تلاد الفتيان العاصرين موالى جده

(٥) و ، ت ، لب : لإصلاح

(٦) ز في ت ، لب : حتى عمل بالغدر به والتمهيد لنفسه عند رعيته نخانه ...

(٧) رسم الكلمة في : « تاته »

(٨) ز في ت ، لب : وسر الله في خليقته لا يظهر أحدا عليه

(٩) ت ، لب : تملكها

ثم أفضى الأمر من بعده إلى ابنه أبي يحيى محمد بن معن ، فارتقى ^(١)
 ذروة الإمارة ، وتلقب من الأسماء الخِلافية بالمُعْتَصِم ، والرَّشِيدُ لم يَلِدْهُ ، وهو
 يعلم أن من الجور أسُّ مُلِكِهِ الموروث عن أبٍ لم يكرُم فيه فعله ، ولا طال
 فيه ^(٢) تعبهُ ، ثم لم يكفه تغطيه عن أجنحة النوايب بساحله الذي حال
 الحوز ^(٣) أمامه واللج وراءه ، فرعى خضرته ، وليس فروته ، وأفنى دجاجه ،
 مستبداً بمال الفاه ، لا يتجاوز به شهواته ومآربه إلى قضاء حقٍّ في جهاد
 عدوٍّ أو سدِّ ثغر ، أو معونة على يرٍّ ؛ حتى ملَّ العافية ، وبَطِرَ الدَّعة ، وطلب
 الزيادة ^(٤) ؛ وفاتن ابن خاله عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر الفتي
 المتأمر كان ببلنسية بعد أبيه ^(٥) عبد العزيز المنصور ، ولم يرع فيه حقَّ
 صهره يحيى بن ذى النون كبير أمراء الأندلس ^(٦) ؛ فصمد له على حصن
 من عمل تدمير وثب فيه لعامل عبد الملك ، وجرت بينهما خطوب ، واستعان
 بحليفه باديس ، واستمدّه على ما ذهب إليه من الفتنة ، فوجده مُسَارِعاً
 إلى ذلك ، لما كان يعتقد من العصبيّة ^(٧) البربرية ، ويذهب إليه من

(١) ت ، لب : وصار من العجائب إلى أن ارتقى ...

(٢) ت ، لب : في طلبه (٣) و ، ت ، لب : الحزن

(٤) عبارة ت ، لب مضطربة وفيها زيادة ، وهذا نصها : فسعى للتوسع في يده
 (اعلمها : في يره) حاول معاتبة (اعلمها : مفاتنة) أحق الناس بولايته وهو ابن خاله ...

(٥ — ٥) و ، ر : عبد العزيز بن المنصور

(٦) ر في ت ، لب : وقد كان بادر إلى مفاتنته ، وبادر السير لئلا خاله عبد العزيز بنفسه ،
 طمعاً في مدينة لورقة فصد عنها خائباً ، وانصرف على قطعة عبد الملك منها وزير صدق ، شيخ
 مجرب للامور ، بلجاً من تدييره إلى كهف منيع ، وهو الوزير ابن عبد العزيز ، وعلى ذلك
 صمد ابن صامح هذا على حصن ... (٧) ر : العصبة

(١) ازدراء فرقة الأندلسيين (١) ، وعلى ذلك كله انقلب ابنُ معن هذا خائب السعي ، قبيح الحجل ، ضائع النفقة . انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسّام : ولم يكن أبو يحيى (٢) هذا من ملوك (٣) الفتنة ، أخذ إلى الدعة ، واكتفى بالضيق (٤) من السعة ، واقتصر على قصر يئنيه ، وعلق يئنيه ، وميدان من اللذة يستولى عليه ويبرز فيه ؛ غير أنه كان رَحْبَ الفناء ، جزَلَ العطاء ، حليماً عن الدماء (٥) والدماء ؛ طافت به الآمال ، واتسع في مدحه المقال ، وأُعملت إلى حضرة الرّحال ، ولزمه جملة من غول شعراء الوقت كأبي عبد الله بن الحداد (٦) وابن عبادة وابن الشهيد وغيرهم ممن لم يُعلق بسواه سبياً ، ولا شدّ إلى غير ذراه كوراً ولا قتبا .

وقد كانت بينه وبين خلفائه من ملوك الطوائف في الجزيرة فتون (٧) ١٠ مغيرة غلبوه عليها ، وأخرجوه من سجيته مكرهاً إليها ، لم يكن مكانه منها بمكين ، ولا صبحه فيها بمبين (٨) . وقد اندرجت له ولهم في تضاعيف هذا التصنيف قصص تضيق عنها الأيام ، وتنبأ منها القراطيس والأقلام . ولما أهابوا بأمر المسلمين (٩) وناصر الدين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين رحمه

(١-١) عبارة ت ، لب : من أرداء [لعلها لإذكاء] الفرقة بين أصداده الأندلسيين

(٢) ت ، لب : أبو معن (٣) ت ، لب : من خولة الملوك

(٤) ت ، لب : من الضيق بالسعة (٥) وه : الرعاء والدماء

(٦) ز في ت ، لب : وأبي الفضل ابن شرف

(٧) وه : فتون (٨) ر : بمبين

(٩) وه : المؤمنين

الله، دَخَلَ ابنُ صُمَادِحٍ فِي عُمارِهِمْ ، وَمَشَى عَلَى آثَارِهِمْ ، فَخَرَجَ عَنْ الْمَرِيَّةِ إِلَى لَبِيْطٍ يَجْرُ جَيْشًا ، لَا تَتَأَنَّى الطَّيْرُ غُدُوْتَهُ ، وَلَا يَتَوَقَّعُ الْعَدُوُّ وَطَأْتَهُ .

وَلَمَّا رَأَتْ رُكْبَ النُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ

فَأَلْفَى بِهَا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى صَلَعتِهَا ، وَاضْطَرَبَ ^(١) أَبْنَيْتَهُ بَيْنَ جَوَازِمِهَا وَهَقْعَتِهَا ، وَتَمَكَّنَ مِنْ قِيَادِهَا ، وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ بِأَفْلَازٍ أَكْبَادِهَا ، لَوْلَا أَجَلٌ مُحْتَمٌ ، وَتَخَاذُلٌ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ مَعْلُومٌ ؛ فَعَرَضَ ابْنُ صُمَادِحٍ نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، وَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَتَلَقَّاهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِحَمِيلٍ نَظَرِهِ ، وَبَوَّاهُ جَانِبًا مِنْ مُعَسِكَرِهِ ؛ فَكَانَ كَالْقَرِيِّ ^(٢) أَفْضَى إِلَى الْبَحْرِ ، أَوِ الْكُوكَبِ الدَّرِيِّ غَرِيقَ فِي لُجَّةِ الْفَجْرِ . وَسَيَأْتِي الْخَبْرُ عَنْ ذَلِكَ مُشْرُوحًا فِي أَخْبَارِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ الْخُلُوعِ . بِمَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْجُمُوعِ . ١٠

وَاتَّسَى ابْنُ صُمَادِحٍ بِهِ مُجَاهِرًا بِالْعِضْيَانِ ، وَأَبْدَى صَفْحَةَ الشَّنَّانِ ، فَوَائِيًا نَكَبَتْهُمَا كَفَرَسَى رِهَانٍ ؛ غَيْرَ أَنَّ ابْنَ صُمَادِحٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ سَرِيرَةً ، أَوْ سَلَفَتْ لَهُ عِنْدَ الْحَمَامِ يَدٌ مُشْكُورَةٌ ، مَاتَ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حُلُولِ الْفَاقَةِ بِهِ إِلَّا أَيَّامٌ يَسِيرَةٌ فِي سُلْطَانِهِ وَبَلَدِهِ ، وَبَيْنَ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ . حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَرُدُّ خَبْرَهُ عَنْ أَرْوَى بَعْضِ مَسَانِّ حِظَايَا أَبِيهِ ^(٣) قَالَتْ : إِنْ لَعِنَدَهُ وَهُوَ يُوصِي ^(٤) بِشَأْنِهِ . وَقَدْ غُلِبَ عَلَى أَكْثَرِ يَدِهِ وَلِسَانِهِ ، وَمُعَسْكَرُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ بِحَيْثُ نَعْدُ خِيَامَتِهِمْ ، وَنَسَمَعُ اخْتِلَاطَ أَصْوَاتِهِمْ . إِذْ نَسَمَعُ وَجْبَةً مِنْ وَجَبَاتِهِمْ ، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، نَفَّصَ عَلَيْنَا كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْمَوْتُ أَقَالَتْ . ١٥

(٢) هـ : كَالنَّهْرِ

(١) كَذَا بِالْأَصُولِ

(٤) ت ، لَب : يَوْصِي

(٣) لَب : ابْنُهُ — ت ، بَيْتُهُ

أَرَوَى : فَدِمَعَتْ عَيْنِي ، فَلَا أُنْسَى طَرْفًا إِلَى يَرْفَعُهُ ، وَإِنْشَادَهُ إِيَّائِي بِصَوْتٍ
لَا أَكَادُ أَسْمَعُهُ .

تَرْفُقُ بِدَمْعِكَ لَا تُفْنِيهِ فَبَيْنَ يَدَيْكَ بَكَاءٌ طَوِيلٌ
وَكَانَ فِيمَا أَوْصَى بِهِ إِلَى ابْنِهِ الَّذِي كَانَ رَشَّحَهُ لِسُلْطَانِهِ ، وَبَوَّاهُ صَدْرَ
إِيْوَانِهِ . وَلَقَبَهُ مِنَ الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْوَائِقِ بِاللَّهِ ، أَنْ قَالَ لَهُ : يَا بَنِي ! إِنْ ابْنُ
عَبَّادٍ مَعَى السَّرِيرَةِ ، وَشَيْخُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ ، فَسَاعَةً يَبْلُغُكَ عَنْهُ شَيْءٌ فَأَخْفِ
صَوْتَكَ ، وَانْجُ وَلَيْتَكَ ! . فَلَمَّا فَارَ الْقَنُورَ ، وَبَطَلَتْ تِلْكَ الْأَسَاطِيرُ ، وَسَقَطَ
عَلَيْهِ بَخْبَرُ ابْنِ عَبَّادٍ الْخَبِيرِ . بَاعَ ذُرْوَةَ الْمَلِكِ ، بِصَهْوَةِ الْفُلْكِ ، وَاعْتَاضَ مِنْ
مُنَاسِمَةِ الرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ ، بِمُزَاحِمَةِ الشَّرَاحِ وَالشُّكَّانِ ، وَمِنْ سَمَاعِ نَغَمِ
الْمَزَامِيرِ وَالْأَوْتَارِ . بِالتَّصَامُحِ عَنْ صَخَبِ تِلْكَ الْأَثْبَاجِ وَالْغِيَارِ ؛ وَخَلَّى أَهْلُ
الْمَرِيَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَأْنِهِ رَعِيًا لِلذَّمَامِ ، وَمُكَافَأَةً عَنْ سَالِفِ أَيَادِيهِ الْجِسَامِ ؛ وَسُخَّرَ
لَهُ الْبَحْرُ فَنَجَا وَلَمْ يَغْلِقْهُ شَرَكٌ . وَلَا رَجَعَ عَلَيْهِ دَرَكٌ .

(١) وَلَاقَى يَحْيَى بْنَ صُمَادِحَ :

وَتَحْتَ الْغَلَائِلِ مَعْنَى غَرِيبٌ شِفَاءُ الْغَلِيلِ وَبُرْءُ الْعَلِيلِ
فَهَلْ لِي مِنْ نَيْلِهِ نَائِلٌ وَلَابِنِ السَّبِيلِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ ؟
فَمَا لِي إِلَّا الْهُوَى مَتَجِرٌ فَغَيْرُ الْغَوَانِي مَتَاعٌ قَلِيلٌ
فِيَارَبِّهِ الْحُسْنِ فِي (٢) غَايَةِ وَعَصَرَ الشَّبَابِ وَظِلُّ الْمَقِيلِ
ذَرِينِي أُعَانِقُ مِنْكَ الْقَضِيَّةَ بَوَاشُرُفٍ مِنْ تَعْرِكَ السَّلْسَبِيلِ

(١) من هنا إلى أول ترجمة ابن مالك القرطبي لم يرد في .

(٢) نه في ت ، لب

وكتبَ إليه النَّحْلِي :

أَيَا مَنْ لَا يُضَافُ إِلَيْهِ ثَانٍ وَمَنْ وَرِثَ الْمُلَا بَابًا قَبَابَا
أَجْلَكَ أَنْ تَكُونَ سَوَادَ عَيْنِي وَأُبْصِرُ دُونَ مَا أَبْغَى^(١) حِجَابَا
وَيَمْشِي النَّاسُ كُلُّهُمْ حَمَامًا وَأَمْشِي بَيْنَهُمْ وَخِذِي غُرَابَا

فَوَصَلَهُ وَرَاجَعَهُ :

وَرَدَّتْ وَلَلَّيْلِ الْبَهِيمِ مَطَارِفُ عَلَيْكَ وَهْدِي لِلصَّبَاحِ بُرُودُ
وَأَنْتَ لَدَيْنَا مَا بَقِيَتْ مُقَرَّبُ وَعَيْشُكَ سَلْسَالُ الْجَمَامِ بَرُودُ

وله في خبر :

لَمَّا غَدَا الْقَلْبُ مَفْجُوعًا بِأَسْوَدِهِ وَفُضَّ كُلُّ خِتَامٍ مِنْ عَزَائِمِهِ
رَكِبْتُ ظَهَرَ جَوَادِي كَيْ أَغْنِيَهُ وَقُلْتُ لِلسَّيْفِ كُنْ لِي مِنْ تَمَائِمِهِ

وله :

انْظُرْ إِلَى حُسْنِ هَذَا الْمَاءِ فِي صَبَبِهِ كَأَنَّهُ أَرْقَمُ قَدْ جَدَّ فِي هَرَبِهِ

أَبُو يَحْيَى رَفِيعُ الدَّوْلَةِ بْنِ صُمَادِح^(٢) :

مِنْ بَيْتِ إِمَارَةٍ ، وَالْيَ عَلَيْهِمَا السَّعْدُ طَوَافُهُ وَاعْتِمَارُهُ^(٣) ، أَنْتَجِعُوا انْتِجَاعَ
الْأَنْوَاءِ ، وَاسْتَطْعِمُوا فِي الْمَحَلِّ وَاللَّأْوَاءِ ؛ وَأَبُو يَحْيَى فَجَّرُ ذَلِكَ الصَّبَاحِ ، وَضَوْؤُهُ

(١) فِي الْأَصُولِ : أَلْتِي . وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الْقَلَاءِ ص ٤٨

(٢) وَرَدَتْ هَذِهِ التَّرْجُمَةُ فِي الْمَطْمَحِ (ص ٣٠) بِنَصِّهَا إِلَّا بَعْضَ اخْتِيَارَاتِ مِنَ الشَّعْرِ لَمْ

تَرِدَ فِي الْمَطْمَحِ لِذَلِكَ آثَرْنَا لِإِبْطَاتِ التَّرْجُمَةِ كَامِلَةً مِنْ وَهْمَاتٍ ، لَب .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « مِنْ بَيْتِ إِمَارَةٍ إِلَى السَّعْدِ طَوَافُهُ وَاعْتِمَارُهُ » وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الْمَطْمَحِ

ذلك المصباح ■ النحف بالصون وارتدى ، وراح على الانقباض واعتدى ، فما
تراه إلا سالكا جددا ، ولا تلقاه إلا لابسا سوددا . وله أدب كالروض إذا
زهر ، والصبح إذا اشهر ■ وقفه على النسيب ، وصرفه إلى المحبوبة والحيب :

يا عابد الرحمن كم لي —————
إذ كنت^(١) كالغصن ثنته الصبا
أرقتني وجدا ولم تشعري
وصحن ذاك الحد لم يشعري
وله :

مالي وللبدري لم يسمخ بزورته
إن كان ذاك لذنوب ما شعرت به
لعله ترك الإجمال أو هجرا
فأكرم الناس من يعفو إذا قدرا
وله :

وأهيف لا يلوي على عتب عاتب
يحكم فينا أمره ففطيعه
ويقضي علينا بالظنون السكاوذب
ويحسب منه الحكم ضربة لازب
وله :

وعلقته حلوا الشائل ماجنا
ما زلت أنصفه وأوجب حقه
خنت الكلام مرنح الأعطاف
لكنه يأتي على الإنصاف
وله :

حبيب متى ينأى عن القلب شخصه
ويهدأ ما بين الضلوع إذا بدا
يكاد فؤادي أن يطير من البين
كان على قلبي تمائم من عيني
وله إلى أبي نصر :

قدمت أبا نصر على حال وحشة
فجاءت بك الآمال واتصل الأنس

(١) ه : أن كنت

وَقَرَّتْ بِكَ الْعَيْنَانِ وَاتَّصَلَ الْمُنَى
وَفَارَتْ عَلَى يَأْسٍ لِبُغْيَتِهَا النَّفْسُ
فَاهْلًا وَسَهْلًا بِالْوَزَارَاتِ كُلِّهَا
وَمَنْ رَأَيْهُ فِي كُلِّ مُظْلَمَةٍ شَمْسُ
وَكُتِبَ ابْنُ اللَّبَّانَةِ لِرَفِيعِ الدَّوْلَةِ :

يَا ذَا الَّذِي هَزَّ أَمْدَاحِي بِحُلْبَتِهِ ^(١)
وَادِيكَ لَا زَرْعَ فِيهِ الْيَوْمَ تَمِذُّهُ
وَعَزَّهُ أَنْ يَهْزُ الْجَمْدَ وَالْكَرَمَا
فَجُذِّ عَلَيْهِ لِأَيَّامِ الْمُنَى سَلَمًا ^(٢)

فراجعه :

الْجَدُّ يَخْجَلُ مِنْ لُقْيَاكَ فِي زَمَنِ
فَدُونِكَ النَّزَرُ مِنْ مُصَفٍّ مَوَدَّتِهِ
ثَنَاهُ عَنْ وَاجِبِ الْبِرِّ الَّذِي عَلِمَا
حَتَّى تَوْفَّرَ أَيَّامُ الْمُنَى السَّلَامَا

وله :

١٠ سَلَوْتَ أَبَا نَصْرِ وَمَا كُنْتَ سَالِيَا
فَدَيْتُكَ قُلْ كَيْفَ اجْتَرَأْتَ عَلَى النَّوَى
وَأُظْهِرْتُ ^(٣) عَنْ قُرْبِ الْعَزَارِ التَّنَائِيَا
وَخَلَّفْتَ مَنْ تَهَوَّاهُ بِالْجَزْعِ ثَاوِيَا
وَهِيَ——ات مَا يَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا
ظَنَنْتَ بَأَنْ يُسَلِّيكَ نَأَى مَحَلَّةِ

وله :

عَجِبْتُ أَبَا نَصْرِ لِعَيْشِكَ آسِيَا
وَفِي حِمَصِ الدُّنْيَا نَعِيمٌ وَجَنَّةٌ
بِفَاسٍ وَمَا فِيهَا مُقَامٌ لِفَاضِلِ
وَمَا وَظَلٌّ وَارِفٌ غَيْرُ زَائِلِ
١٥

(٢) ت ، لب : السلما

(١) هـ : بحلبته

(٣) هـ ، لب : وأخبرت

فصل^(١) في ذكر الأديب أبي محمد بن مالك القرطبي

وإيراد جملة من نظمته ونثره

وكان فرداً من أفراد الشعراء والكتاب ، وبحراً من بحور المعارف والآداب ، شقّ كلام الكلام عن أفانين النور والزهر ، ورفل من النثر والنظام بين الآصال والبكر ؛ ولم يقع إلى من شعره ونثره إلا نبذة كإمضاء المريب بذات صدره ، وفيما أثبت^(٢) منها ما يُعرب^(٣) بذكره ، ويُعرب عن عجيب أمره . وأقام بالمرية مدة تحت ضنك معيشة مع عدة مدائح ، رفعها لأمرها ابن صامح ، فلما كان يوم عيد أنشده شعراً قال فيه :

أخواننا لهفاً عليكم وحسرة	فإننا صَحَبْنَاكُمْ أبرَّ أصحاب ^(٤)
عليكم سلامٌ من محبٍ يودُّكم	فقد قَلَقْتُ ^(٥) نحو العراق ^(٦) رَكايبِي ١٠
وما هو إلا البسِينُ قد جدَّ جدُّه	فلم يَبْقَ منه غيرُ شدِّ الحَقَائِبِ
حقائبٌ قد ضَمَّنَ كل لطيفة	وإن صَفَرْتُ ^(٧) من مُنْفَسَاتِ المواهبِ
أُمْتَصِمَا بالله يا خير ^(٨) مؤئيل	وأكرم مأمولٍ وأفضل واهبِ
مضى الفطرُ والأضحى ولا نيل يُقْتَضَى	فلم أخَفَقْتُ وحدى إليك ^(٩) مطالي؟

(١) تأخرت هذه الترجمة في وه ووردت بعد ترجمة ابن القزّار

(٢) ت ، لب : اخترت — وه : أثبتته

(٣) ت ، لب : ما يعرف

(٤) وه : مصاحب — ت ، لب : صواحب

(٥) وه : قام بي (٦) ر : التفراق

(٧) سفرت (٨) وه : خير مؤمل (٩) وه : لديك

(١) وَكَمْ غَفْتُ قَدْ مَأْمَنَ جَزِيلُ مَوَاهِبٍ وَقَدْ خَطَبْتَنِي مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ
سَارِحَلُ عَنْكُمْ دُونَ زَادِ لُبْلَغَةٍ وَتِلْكَ لِعَمْرَى سُبَّةٌ فِي الْعَوَاقِبِ
فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ (٢) أَبُو الْأَصْبَغِ ابْنُ أَرْقَمٍ : عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ !
وَمَا زَالَ يُعْلِنُ بِاضْطِرَارِهِ ، وَيَشْكُو الْفَقْرَ فِي أَشْعَارِهِ ، حَتَّى أَعْيَاهُ ذَلِكَ ، فَجَعَلَ بَعْدُ
يَصِفُ الْغِنَى وَالْيَسَارَ هُنَالِكَ ، تَعْرِضًا وَتَطْيِيبًا ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةٍ :
وَمَا نَذَكُرُ الْإِعْدَامَ إِلَّا تَخَيُّلاً لِكثَرَةِ مَا أَغْنَى نَدَاهُ وَمَا أَقْنَى
وَأَكْثَرُ مَا نَحْشَاهُ طُغْيَانُ ثَرْوَةٍ فَإِنَّا نَرَى الْإِنْسَانَ يَطْفَى إِذَا اسْتَغْنَى
(٣) فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : وَمَنْ أَيْنَ هَذَا الْغِنَى وَقَدِيمًا تَشْكُو الْفَقْرَ ؟ وَمَضَوْا
مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَمَا وَجَدُوا مَعَهُ غَيْرَ قَلَّةٍ فَتَخَارَ وَقَدَحَ لِمَاءٍ ، وَنَحَوَ ثَمَانِيَةَ أَرْطَالٍ
دَقِيقٍ فِي مَخْلَاةٍ (٤)

فصول (٥) مِنْ مَقَامَةٍ تُعْرَبُ عَنْ حِفْظٍ كَثِيرٍ ، خَاطَبَ بِهَا ابْنُ صُمَايْحَ
الْمَذْكُورَ ، يَقُولُ فِي فَصْلِ مِنْهَا :

إِنْ تَطَلَّعَ — لَا زَالَ طَالِعًا نَجْمُ سَعُودِهِ (٦) — إِلَى نَبَأٍ مِنْ أَنْبَاءِ عَبِيدِهِ ،
فَإِنِّي أَنْبِئُهُ ، وَلَا أَنْبِئُ إِلَّا حَقًّا ، وَأُخْبِرُهُ وَلَا أُخْبِرُ إِلَّا صِدْقًا ؛ أَمَّا (٧) الْأَفْنَدَةُ مِنْ
بَعْدِهِ فَفَقُودَةٌ ، وَأَمَّا الْأَكْبَادُ لِبُعْدِهِ فَكَمْبُودَةٌ ، وَالْدَّهْرُ مِنْ بَعْدِهِ لَيْسَلَةٌ
لَيْسَاءُ ، وَالنَّاسُ جِبِلَّةٌ دَهْمَاءُ .

(١) لم يرد هذا البيت في ر (٢) ت ، لب : ذو الوزارتين ابن أرقم

(٣-٣) نه في ر

(٤-٤) عبارة ت ، لب فصل له من مقامة اقتضيتها طولها وسقت بعض فصولها

(٥) هـ : سعودك ... عبيدك (٦) هـ : فان

وفي فصل :

بُشِّرَى لَنَا وَلِدَوْلَتِهِ الْغُرَّاءُ ۥ وَهَنِيئًا لَنَا وَلِحَضْرَتِهِ الزَّهْرَاءُ ۥ فَتَحُ تَفْتَحَتْ لَهُ
أَزَاهِيرُ^(١) النَّجَاحِ ، وَبُشِّرُ^(٢) تَبَاشَرْتُ بِهِ تَبَاشِيرُ الْفَلَاحِ ، وَرُؤَا أَشْرَقَ مِنْهُ
جَبِينُ الصَّبَاحِ ۥ وَخَبِرُ تَضَوَّعَتْ بِهِ بَوَاحُ^(٣) الرِّيَّاحِ ؛ يَوْمُ هَزَّ لَهُ الزَّمَانُ ثِنْيِي
عِطْفِهِ ، وَشَمَخَ عِزَّةً بِأَنْفِهِ ؛ فَالآنَ حِينَ انْصَدَعَ جَوْنُ الْهَزِيعِ^(٤) ، عَنْ جَوْنِ
الصَّدِيعِ ۥ فَوَجَّهَ الزَّمَانُ ضَحِيانَ مُشْرِقٍ ، وَعُودُ الدَّهْرِ فَيَنَانُ مُورِقٍ ، وَالْعِيشُ
غُصَّةً مَسْكَسِرُهُ ، عَذْبَةً مَوَارِدُهُ وَمَصَادِرُهُ ، طَابَ كَمَا لَدَتْ لَشَارِبَهَا الشَّمُولُ ،
وَتَضَوَّعَ كَمَا خَطَرْتُ^(٥) عَلَى الرَّوْضِ الْقَبُولُ .

وفي فصل :

فَلِلَّهِ يَوْمُنَا بِالْأَمْسِ ، مَا أَجْلَبَهُ لِأَلْطَافِ^(٦) الْأَنْسِ ، حِينَ طَلَعَ عَلَيْنَا مَنْ
كَانَ مُطْلُوْعُهُ الَّذِي إِلَى الْأَعْيُنِ مِنْ وَسْنِهَا ، وَأَوْقَعَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ سَكْنِهَا ۥ طَلَعَ
مُطْلُوْعَ الصَّبَاحِ الْمُتَهَلِّلِ ۥ وَجَاءَ مَجِيءُ الْعَارِضِ الْمُسْبِلِ ، دَلَقْنَا إِلَيْهِ كَالْقَطَا
الْأَسْرَابَ ۥ فَبَهَرْنَا الْأَمْرُ الْعُجَابَ ، وَكَادَتْ الْأَفْنِدَةُ تَمَّا وَجَفَتْ ۥ وَالْأَلْبَابُ تَمَّا
رَجَفَتْ ، أَلَا يَرْجِعُ نَافِرُهَا^(٧) ، وَلَا يَقَعُ طَائِرُهَا .

(١) ت ، لب : أزهار (٢) و ، ت ، لب : وبشري

(٣) ت ، لب : نوايح — و نوافح (٤) ت ، لب : الضريع

(٥) و : كما اخضرت على الأرض البقول

(٦) ت ، لب : ما أجلبه للأنس (٧) ر ، ت ، لب : تنافرها

وفي فصل :

لا تسمعُ إلاَّ همهمةً وصهيلًا، وقعقةً وصليلاً، نخلتُ الأرضَ تميلُ تميلًا،
والجبالَ تكونُ كثيبًا مهيلًا، لا تعلمُ لأصواتِ تلكَ الغمامِ، وضوضاءِ تلكِ
الهمامِ، مِنْ وهواهٍ صهيل، ودردابِ طُبول، أزيزُ ليوثٍ بأجامٍ، أم قعقةُ
• رعدٍ في أزدحامِ غمام. فتزاحمُ في الأفقِ الهَمِيمُ^(١) والهَدِيدُ^(٢) وتلاطمُ في الجوّ
النَّيْمُ^(٣) والوَيْدُ^(٤) فكادتُ الدنيا^(٥) بنا تَمِيدُ، لا تُبْصِرُ غيرَ مُلْهَمَةٍ جَأْواءِ^(٦)،
ومَوَارَةٍ^(٧) شَهْبَاءٍ، قد ضَعُضَتْ^(٨) التلالُ، ودَكَدَتْ^(٩) القلالُ، إذا فرَعَتْ من
ذاتِ رَيْقٍ، أو صَوَّبَتْ^(١٠) مِنْ فَيْجٍ عَمِيقٍ، أو تطالعتُ من أفقٍ سَحِيقٍ، حسبتهَا
تُحِيشُ على البلادِ بِحَارًا، أو تَسِخُ^(١١) على الوهادِ مِذْرَارًا، فقد^(١٢) نَسَجَتْ فوقَهَا
١٠ من القَتَامِ، ظُلُلًا كثرَاكمُ الغمامُ^(١٣)، فكأنَّهَا رَفَعَتْ سَمَاءً مِنْ عَجَاجٍ، وأطلعتْ
نُجُومًا مِنْ زُجَاجٍ.

ومنها :

... حَتَّى لَاجَ لَنَا مِنْ مَلِكِ الْأَمْلَاقِ، وَثَابَتْ^(١٤) الْقَمَرَيْنِ فِي الْأَحْلَاقِ^(١٥)،
وَجَهْ جَلَا^(١٦) هَبْوَةً ذَلِكَ الْعَثِيرِ، وَالْعَجَاجِ الْأَكْدَرِ، فَمِنْ جَلَتْ غَرَّتُهُ الْغَرَاءِ

(١) هـ، ت، لب : البهيم (٢) هـ : الأرض

(٣) ر : بأواء، هـ : جلواء (٤) ر : مواده، لب : سواده

(٥) ت، لب : صفصفت (٦) ت، لب : صرفت، هـ : ترعت

(٧) هـ : تمج

(٨ — ٩) عبارة ت، لب : وقد نسجت فوقها من الغبار ظلا كثرَاكم الغمام

(٩) ت، لب : نالت (١٠) هـ، ت، لب : الأفلاك

(١١) ت، لب : جلتي

- جَلَايِبَ الْغُبَارِ ، لم ^(١) نَذِرْ أَبَدُ اللَّيْلِ ^(٢) أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ . فَاللهُ مَا ضُمِّنَتْ ^(٣)
أَطْنَابُ ذَلِكَ الشَّرَاقِ ، وما أَظَلَّتْ أُنْيَاءُ تِلْكَ الْخَوَافِقِ . من مَالِ الْمُسَيْفِ .
وَعَنْبَرِ ^(٤) الْمُسْتَنَافِ ، وَلَيْثِ الْعَرِينِ وَبَحْرِ الْأَعْتَرَفِ ، ومن نَزَالِ الْهَوَاجِرِ ، وَبَذَالِ
الْجَوَاهِرِ ! فلما جَلَتْ غُرَّةُ وَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ ، غِيَابَةَ ذَلِكَ الْقَسْطَلِ ، جعلتُ أَتَأَمَّلُ
ضَرَاغِمَ فَوْقَ قُبِّ ^(٥) صَلَادِمِ . فَن كُفَّتِ تَسْبِيحُ بِكُمَاةَ ، ومن حُمِّ تُوْدِي ^(٦) •
بِحُمَاةَ ، قد تَحَلَّتْ بِحَلِيِّ لَبَّائِهَا وَالْجُمَاهَا ^(٧) ، تَحَلَّى الْغِيَاهِبِ بِأَنْجُمَاهَا . يَرَفْلَنُ فِي
الْعَبْقَرِيِّ وَيَحْمَلُنَ جَنَّةَ عَبْقَرٍ ، وَيُسْفِرُنَ عَنْ مِثْلِ الصَّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ، جِيَادُ ^(٨)
تَضْمَنُ أَقْوَاتَ النَّسُورِ الْقَشَاعِمِ ، وَتَقْرِي سَرَاحِينَ الْفَلَاةِ بِالطَّلِيِّ وَالْجَمَاجِمِ . أَتَجَادُ
كَأَنَّهَا أَسَدَتْهَا ، وَجِيَادُ كَأَنَّهَا أَعْنَتْهَا ، فما تَرَى غَيْرَ مُحَارِبٍ يَهْزُ حِرَابًا ، وَأَعَارِيْبَ
تُرْكِيضُ عِرَابًا .

١٠

وفي فَصَلٍ ^(٩) :

كُلُّ قَدْ أَخَذَ عَتَادَ الْيَوْمِ لِلْبَاسِ الشَّدِيدِ ، يُظَاهِرُ ^(١٠) بِالْحَدِيدِ عَلَى الْحَدِيدِ ،
تَلْبَبَ بِالسَّابِرِيَّةِ وَتَدَرَّعَ ، وَتَعْصَبَ بِالصَّقَالِ وَتَقْنَعَ . حَتَّى الْيَلَامِقُ وَالْدَّرُوعُ سَوَاءُ ،

(١-١) نه في ت ، لب - وه : قلت : أبدر

(٢) ت ، لب : ضمت (٣) ت ، لب : وعين

(٤) نه في وه (٥) وه ، ت ، لب : تردى

(٦) ر ، ت ، لب : وأنجمها

(٧) ت ، لب : من الجياد اللواتي - وه : من جياد يضمن

(٨) نه في ت ، لب : والكلام فيهما متصل

(٩) وه ، ت ، لب : فظاهر

وحتى المقلة النجلاء والحلقة الحوصاء^(١)، من كل مسرود الدخارص، متألقي
 دُلاميص، كأنما جللته بحبكاتها السحاب، أو خلغ برده عليه الحباب، أو
 غمس في ماء فحمد عليه الحباب؛ وكأنما باض^(٢) على رؤوسهم نعام الدو،
 وبرقت في أكفهم بوارق الجو، لكتها ما^(٣) هزّت بوارق، وإذا صبت
 فصواعق؛ من كل ذي شطب كأنما أهل^(٤) قري نمل، علون منه قرا نصل،
 فإذا أصاب فكل شيء مقتل، وإذا حرّ فكل عضو مفصل، أمضى في الأشباح،
 من الأجل المتاح، غضب^(٥) الحدّ صقيل، يكاد إذا انتضى يسيل، ويكاد
 مبصره يغنى عن الورد، إذا اختلط من الغمد، ما لم يخله ريعان سراب، في صحصاح
 يباب، لاشتباه فرنده بحباب في سراب، أو حباب في سراب؛ فلما رأيت جفنه
 قد انطوى على جمر الغضا، وماء الأضا، وانضم^(٦) على خضرة الجنح، وروى
 الصبح، قلت سبحان مكوّر الليل على النهار، والجامع بين الماء والنار!

وفي فصل:

ومن كل مثقف الكعوب، أصمّ الأنبوب، كأنما سلب من الرّوم
 زرقتها، واجتلب^(٧) من العرب سمرتها، وأخذ من الذئب عسلانه، ومن قلب
 الجبان خفقانه، ومن رقرق السراب لمعانه، أو^(٨) استعار من العاشق نحوله،
 ومن العليل ذبوله. فكررت الطرف خلال تلك الجياد، فرأيت مقرّبات

(٢) ه، ت، لب: باضت

(١) ه: الحوصاء

(٤) ه في ت، لب، ه

(٣) ه: إذا

(٦) ه: وانضم

(٥) ه، ت، لب: المني

(٨) ه، ت، لب: واستعار

(٧) ه: واختلب

خَيْلٌ يَتَخَايَلْنَ تَخَايِلَ الْعَذَارَى الرُّودِ ۖ وَيَتَهَادَيْنَ تَهَادِي الْمَهَارَى الْقُودِ ۖ فَكَاثِمَا
يَتَوَجَّسْنَ عَنْ (١) أَطْرَافِ أَقْلَامٍ ، وَيَتَشَاوِسْنَ عَنْ مُقَلِّ آرَامٍ ۖ فَمِنْ مُبْيَضِّ شَطْرِ
كَابِيضِ الْمُهْرَقِ (٢) ۖ وَمُسْوَدِّ شَطْرِ (٣) كَاسْوِدَادِ الْعَوْهَقِ ، كَاثِمَا اخْتَلَسَ
نِصْفُهُ الْفَلَقَ ۖ وَاحْتَبَسَ بِنِصْفِهِ الْغَسَقَ ، مُقَابِلُ الْخَلْقِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ (٤) ۖ
وَمُقَسِّمُ السَّرْبَالِ بَيْنَ الْجُنْحِ وَالْفَجْرِ ۖ إِذَا تَوَجَّسَ فَعَنْ قِيَمَتَيْنِ ، كَاثِمَا صِيغَتَا
مِنْ لُجَيْنٍ ، حَسَبَتْهُ مِنْ شَهَامَةِ نَفْسٍ ، وَلَطَافَةِ حِسِّ ۖ يُحْسُّ وَطْءَ الرِّزَايَا ، وَيَعْلَمُ
مَغِيَّاتِ الْخَفَايَا ۖ وَمِنْ وَرْدٍ كَاثِمَا جُلَّلَ بَوْرَدٍ ، أَوْخُلِعَتْ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَاحِ الْمُسْفَرِ
حُلَّةُ فَجْرِهِ الْمُعْصَفَرِ ۖ أَوْشَقَتْ عَنْهُ كَاثِمُ شَقِيقٍ ، أَوْسَلَتْ عَقِيْقَتَهُ مِنْ أَدِيمِ عَقِيقٍ ،
أَوْ كَسَى خُدُودَ الْغَانِيَاتِ ، فَرَمَى بِالْعُيُونِ الرَّانِيَاتِ ، فَأَخْجَلَتْهُ حَيَاءٌ ، وَضَرَجَتْهُ
دِمَاءٌ ، وَاسْتَعَارَ بُرْدَ الْأَفْقِ ، عِنْدَ وَقْتِ الْغَسَقِ ۖ وَمِنْ أَصْفَرٍ كَاثِمَا يَصْفَرُّ عَنْ
وَجْنَةِ عَلِيلٍ ، وَيَرْفُلُ فِي حُلَّةِ أَصِيلٍ ، أَوْ كَاثِمَا كُسِفَتْ فِي أَدِيمِ الشَّمْسِ ، أَوْ
رُدَّ (٥) عَلَى نُقْبَتِهِ الْوَرَسِ ، حَتَّى لِيكَادُ الْجَادِي يُجْرِي مِنْ مَاءِ عِطْفِيهِ ، وَيُجْنَى
الْحُودَانُ مِنْ رَوْضِ مَتْنِيهِ ۖ وَمِنْ ذِي كُمْتَةٍ (٦) قَدْ نَازَعَ الْحَرَّ جِرْيَالَهَا ، فَسَلَبَهَا
سِرْبَالَهَا ۖ وَمِنْ مُحْجَلٍ هِمْلَاجٍ ، كَاثِمَا سُورَ بَوَقْفِ عَاجٍ ، أَوْ شَكَّلَ بِشِكَالَيْنِ ،
صِيغَا لَهُ مِنْ نَاصِعِ لُجَيْنٍ ۖ وَمِنْ خَوَافِقِ بَرَقٍ وَشِيْجٍ ، تَسِيرُ بِهَا مُتَوْنُ عَنَاجِيْجٍ ،
إِذَا أَهْوَتْ بِهَا سِرَاعَا ، خَلَّتْهَا سَفْنًا تَحْمِلُ سِرَاعَا ، تَتَنَّى مُتَوْنَهَا هَبَّاتُ الرِّيَّاحِ ،

(٢) ت ، لب : الفرق

(١) وه : من

(٤) ر : القمر

(٣) وه : سود شعر

(٥) وه ، ت ، لب : ذر على بقيته الورس

(٦) وه : كيت

كما ثَنَّتْ^(١) أعطافَ النِّشَاوِي نَشْوَةَ الرَّاحِ ، فكانَ أعطافُها أعطافُ سُكَارَى ،
وَكَانَ قُدُودُهَا قُدُودُ عَذَارَى .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا :

وَعَلِمَ — لَا زَالَ مُؤَيَّدًا — أَنَّ الدَّاءَ يَبْرَأُ إِذَا حُسِمَ ، وَالخَطْبَ يَسْتَشْرِى
كَلَّمَا قَدَّمَ . وَأَنَّهُمْ إِنْ تَرَكُوا فِي الْيَوْمِ كُرَاعًا صَارُوا^(٢) فِي الْغَدِ ذِرَاعًا . فَرَمَاهُمْ
بِبِدِيهَاتٍ عَزَمَ كَالنَّجُومِ الْعَوَاتِمِ^(٣) . وَمَاضِيَاتٍ رَأَى كَالسِّيُوفِ الصَّوَارِمِ .
وَأَرَاءَ^(٤) تَصَدَّعُ صَفَا الْجُمُودِ ، وَعَزَمَاتٍ تَنْقُبُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّيْخُودَ ، فَغَدَّتْ
أَمَانِيهِمْ نَقْمًا وَكَانَتْ نَعْمًا . وَعَادَتْ أَرْجِيهِمْ مُهْمَوْمًا وَقَدْ كَانَتْ رِيحًا ؛ فَفَرَعَ
السَّنَّ مِنَ النَّدَمِ ، وَزَلَّةَ الرَّأْيِ تُنْسَى زَلَّةُ الْقَدَمِ . وَأَيُّقَنَ أَنَّ مَنْ خَطَبَ بَنَاتِ
النَّصْرِ بِالسَّعْدِ زُوجَ ، وَمَنْ أَلْقَحَ الرَّأْيَ بِالْعَزْمِ أَنْتَجَ . ١٠

ومنها :

وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ إِمَّا شَرَقُ وَإِمَّا غَرَقُ ، وَعَايَنَ الْمَوْتَ مُحَرَّرَةً^(٥) أَظْفَرُهُ ، مُوفِيَةً^(٦)
مَوَارِدُهُ وَمَصَادِرُهُ . وَوَصَلَتْ لَهُ دُؤُولُ ابْنَةِ الرَّقِيمِ ، فِي أَعْلَى تِلْكَ الْقِمَمِ ، فَمِنْ ثَمَّ
انْجَلَتْ عَمَائِيَّتُهُ وَغِيَاظُهُ ، وَاسْتَخَذَى^(٧) لِحَقِّ مَوْلَاهُ بَاطِلُهُ ، وَكَانَ حَرِيًّا أَنْ تَلِيْمَ^(٨)

(١) وه ، ت ، لب : ثنى (٢) ر : ساروا

(٣) كذا في الأصول (٤) ت ، لب : أنا

(٥) وه : بحر (٦) وه : ملة

(٧) ا في ر : واستنجد مولاہ باطلہ — وفي وه : واستنجد هزله وأباطله ، وفي

ت ، لب : واستنجد الحق مولاہ باطلہ . والتصحيح عن ديوان أبي تمام ص ٢٠٥

(٨) ر : يتم

- حَلَّالُهُ ؛ وَأَوْهَمَ أَنَّهُ لَوْ ظَلَّتْ بَيْنَ مَنَازِلِ النُّجُومِ تَوَازِلُهُ ، لَرَأَى أَنَّهَا عُقَّالَاتُهُ لَا مَعَاظِلُهُ ، فَرَمَى بِيَدِهِ صَاغِرًا إِلَى السَّلَمِ ، ثَقَّةً بَعْفُو كَظَلِّ الْمُنَزَّةِ الْمَدُودِ ، وَكَرَّمَ كَشَطَ اللَّجَّةِ الْمَوْرُودِ ؛ فَلَوْلَا حِلْمُ كَالْجِبَالِ رَصِينِ ، وَجُودُ كَالسَّحَابِ هَتُونِ • لَبَادُوا خِلَالَ تِلْكَ الدِّيَارِ ، كَمَا بَادَتْ جَدِيسُ فِي وَبَارِ ، وَلَنَفَلَتْ تِلْكَ الْمَنَازِلُ نَعْلَ الْجِلْدِ ، وَحَتَّتْ كَمَا حَتَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ . وَمَا دَلَّاهُمْ فِي غَدَرِهِمُ الَّذِي غَدَرُوا ، وَغَرَّهُمْ فِي خَتَرِهِمُ الَّذِي خَتَرُوا ، إِلَّا الْعِلْمُ بِأَنْ سَوْفَ يَعْفُو حِينَ يَقْتَدِرُ • فَقَدْ اعْتَصَمُوا بِحَبْلِ مُقْتَصِمٍ بِخَالِقِهِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى رِزْقٍ مُتَوَكِّلٍ عَلَى رَازِقِهِ • وَاسْتَوْتَقُوا مِنْ عَقْدٍ ^(١) مَنْ لَا عِقَالَهُ بِأَنْشُوطَةٍ ، وَلَا مِيثَاقَهُ بِأَغْلُوطَةٍ .

وفي فصل :

- فِيَا أَيُّهَا الْمُغْتَرُونَ بِخُلُقِهِ الْفَضْفَاضِ ، وَكَرَمِهِ الْفَيَاضِ ، لَا يُجْهِلَنَّكُمْ تَحَلُّمُهُ ، وَلَا يُغَرِّكُمْ تَسَكُّرُهُ ، فَالْبَحْرُ قَدْ تَرَدَّى غَوَارِبُهُ وَلَيْسَ بِطَامِ ، وَالْعَارِضُ قَدْ تُصِيبُ صَوَاعِقُهُ وَلَيْسَ بِرُكَامِ ، وَالنَّضْلُ قَدْ يَبْرِي وَهُوَ غَيْرُ مَوَّلٍ ، وَأَيْنَ نَارُ لَيْسَ لَهَا شَرَارُ ، وَأَيْنَ ^(٢) خَمْرُ لَيْسَ لَهَا خُمَارُ ؟ فَهُوَ جَدْبٌ وَرَبِيعٌ مُعْرِقٌ ^(٣) ، وَلَيْلٌ وَنَهَارٌ مُشْرِقٌ ، فِيهِ الصَّابُ وَالْعَسَلُ ، وَفِيهِ السَّهْبُ ^(٤) وَالْجَبَلُ ، لَهُ خَاطِرٌ عَلَى خَوَاطِرِ الْحَوَادِثِ مُرْسَلٌ ، وَطَرَفٌ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ مُوَكَّلٌ . فَأَنَّى بَعْنَادٍ مَنْ تَمِيدُ ^(٥) الْأَرْضُ إِذَا وَجِمَ ، وَيَرِقُّ نَسِيمُ الْهَوَاءِ إِذَا ابْتَسَمَ ؟ فَلَمْ يَجْتَمِعْ لِلْمَلِكِ — حَاشَاهُ — خِضَابُ الصَّوَارِمِ ، وَاجْتِنَابُ الْحَارِمِ ، قَسَمَ الْعَدْلُ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ ، كَقِسْمَةِ الْغَنِيِّ بَيْنَ النَّبْتِ وَالشَّجَرِ ؛ فَلَا غَرْوَ أَنْ يَفُوقَ جَمِيعَ الْأَنَامِ وَهُوَ مِنَ الْأَنَامِ •

(١) ع : عقل (٢) ع ، ت ، لب : وأى (٣) ع : مفدق

(٤) ع ، ت ، لب : السهل (٥) ر : رجم

فإنَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزال ، وإنَّ معدِنَ الذهبِ الرِّغام . فهو الأبلجُ المتدفِّقُ ،
والأزهرُ المتألقُ ، من جوهرَةِ المجدِّ وهو ماؤها ، ومن مُهَجَةِ العلياء وهو
سُوداؤها ، ولا يَقْتَدِي^(١) في سُوددِ بغيرِ ، بل يَجْزِي عَلَى سَنَنِ مِنْهُ وَأَسْلُوبِ ،
كالغَيْثِ شُوباً بِشُوبِ ، والرُّمَحِ أَنْبُوباً عَلَى أَنْبُوبِ .

وفي فصل :

فَللهُ أَيُّ مَرَادٍ رُدَّتُهُ ، وَأَيُّ مَوْرِدٍ وَرَدَّتُهُ ! لم أَكُنْ مِمَّنْ غَرَّهَ السَّرَابُ ،
حِينَ أَعْوَزَهُ الشَّرَابُ ، وَلَا كُنْتُ كَمَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ بِالنَّجْمِ وَالذَّبْرَانَ ، وَلَا مِمَّنْ
سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانِ ، وَلَا كَمَنْ قَالَ مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ ، كَلَّا ! إنَّ
مَمْلُوكَكَ أَلْقَى أَرْوَاقَهُ ، حَيْثُ مَدَّ الْمَجْدُ رُوقَهُ . بِحَيْثُ يُعْتَصِرُ النَّدى مِنْ
عُودِهِ . وَيُرْتَشَفُ صَرْفُ الْجُودِ مِنْ نَاجُودِهِ . فَاثْتَقَيْنُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ ،
وَأَنْزَلْتُ^(٢) رَحْلِي فِي الْحُلِّ الْمُبْقِلِ ، وَرَتَعْتُ فِي أَثَرِ الْغَامِ الْمُسْمِلِ .

وفي فصل :

... وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَكَانَ لِي فِي الْأَرْضِ الْعَرِيشَةُ مَسَارِحُ ، وَفِي أَبْنَاءِ الْكِرَامِ
مَنَادِحُ ، غَيْرَ أَنِّي عَنْ أَكْثَرِ الْمَرَاتِعِ عَزُوفٌ ، وَلِأَكْثَرِ الْمَشَارِعِ عَيْوُفٌ ؛
وَأَنِّي كَالسَّيْفِ^(٣) لَا يَحْمَدُ كُلُّ مَنْ حَمَلَهُ ، وَكَالرُّمَحِ لَا يُسَرُّ بِكُلِّ مَنْ اعْتَقَلَهُ ؛
وَمَا كُلُّ عَجِيبٍ فِي عَيْنِي بِعَجِيبٍ ، وَلَا كُلُّ غَرِيبٍ فِي نَفْسِي بِغَرِيبٍ . أَنَسَانِي
اللهُ رُشْدِي يَوْمَ أَنْسَاهُ ، وَأَبْدَلْنِيهِ يَوْمَ اسْتَبْدَلْتُ سِوَاهُ . مَا وَصَلَ أَوْ قَطَعَ . وَرَفَضَ

(١) ق ، ت ، ب : يَحْتَدِي (٢) ت ، ب : وَبَوَات

(٣) ق ، ت ، ب : لِكَالسَّيْفِ

أو اصطنع ، وما ضرَّ أو نفع . ولئن أعقب يوماً من الدهر بحرمان — وحاشاه —
فلقد سبق بمعروف ، وإن ساء في منه يوماً فعلة^(١) — وخلاه — فإن اللواتي قد
سرزن ألوف . ولقد ألنى ودّه خلدى^(٢) خلاً من غيره فاستوطن ، وصادف
قلبي فارغاً فتمكّن .

وفي فصل ١

ما رأيت وجهاً أسمح ، ولا حِلماً أرجح ، ولا سَجِيَّةً أسجع ، ولا بِشْراً
أبدي ، ولا كفاً أندى ، ولا غُرَّةً أجمل ، ولا فضيلةً أكمل ؟ ولا خُلُقاً أصفى ،
ولا وعدّاً أوفى ، ولا ثوباً أطهر ، ولا سمّاً أوقر ، ولا أصلاً أطيّب ، ولا رأياً
أصوب ، ولا لفظاً أعذب ؛ ولا عرضاً أنقى ، ولا ثناءً أبقى ، مما خصّ الله به
ثالث القمرين ، ومراج الخافقين ، وعماد الثقلين ، المعتصم بالله ذا الرّياستين ،
دامت رايته منصورة ، وآياته^(٣) منظورة ، ومقاصير ملكه بالسعد معمورة ،
ما هبت صباً وجنوب ، وما أقام يذبل وعسيب . وإني وإن أطببت فأطببت ،
وأشبهت فأعذبت ، لـخجل أن يكون مثلي يُشيرُ غباراً^(٤) على جبينه ، وينظم
سواراً على يمينه . فإن فكّرى بعد كالسيف الخشب ، والقِدَحِ المخشوب ،
فهذا لم تذكر^(٥) ظبته ، وذلك لم يخلق^(٦) حقواه ، فإنه أوّل استعمال القريحة
ورياضة السجّحة ، وأوّل الضرام سقط ثمّ يلهب ، وأوّل العيث طل ثمّ
ينسكب .

(١) هـ : فعلة

(٢) هـ ، ت ، لب : صدرى

(٣) هـ في هـ ، ت ، لب

(٤) كذا بالأصول ولعلها ينثر غارا

(٥) هـ ، ت ، لب : تدلق

(٦) ر : يلحق

وفي فصل :

فإني غادرتُ بَعْدَى لَحْمًا عَلَى وَصَمٍ ، وَجَرَحَى ^(١) بَيْنَ عِقْبَانٍ ^(٢) وَرَحَمٍ ،
سَتَعْلَمُ ^(٣) أَيَّ خَيْرٍ أَنْعَمَ ^(٤) وَأَحَبَّ ، وَأَيَّ دُرٍّ أَنْظِمُ وَأَنْثُرُ ، فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ
الْأَخِيرَ زَمَانُهُ ، وَالسَّكِيَّتَ أَوَانُهُ ، لَدَلَالَةٍ ^(٥) عَلَى الدَّلَائِلِ ، وَنُحْمِلَةَ عَلَى الْمَخَايِلِ ،
أَنِّي آتِي بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ ^(٦) فَأَفْصَلُهَا كَتَفْصِيلِ الْجَوَاهِرِ فِي الْعَقْدِ ، وَأَقْدُرُ
تَقْدِيرَ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ ^(٧) .

وفي فصل :

وَيَا لَهْفِي أَلَا تَكُونُ مَعُونَتِي ^(٨) لَهُ إِلَّا بِاللِّسَانِ دُونَ السِّنَانِ ، أَطَاعِنُ أَمَامَهُ
دِرَاكًا ، وَأَزَاحِمُ قُدَّامَهُ الْأَقْرَانَ لِكَا كَا ! وَلَوْ لَا أَفْرُخُ كَزُغْبِ الْقَطَا ، يَدِيبُونَ
فِي نَائِلِهِ عِنْدِي دَيِّبَ الْكَرَى . فَيَسْتَشْفُونَ عَلَاتِي ، يَسْتَنْزِفُونَ ^(٩) بُلَاتِي .
لَا مَتَطِيئُ مِنْ جَدَّوَاهِ السَّابِحِ ^(١٠) الْيَعْبُوبِ ، وَتَقَلَّدْتُ مِنْ نَدَاهِ الصَّارِمِ الرُّسُوبِ .
وَاعْتَقَلْتُ مِنْ عَطَائِهِ الصَّعْدَةَ السَّمَاءِ ، وَادَّرَعْتُ مِنْ حِبَائِهِ ^(١١) الْفَضْفَاضَةَ الْجَدَلَاءِ ،
فَيُبْصِرُ هُنَاكَ ، مَمْلُوكُهُ ابْنَ مَالِكٍ ، يُبْلَعُ ^(١٢) الْأُسْنَةَ كَمَا صَرَّحَ بِنَ مَالِكٍ ،
فَيَنْظُرُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ . وَيَبْلُو أَفْضَلَ نَحْبَرٍ ، رَبِّ الْقَصَائِدِ وَالْقَنَا الْمُتَقَصِّدِ . فَطَوْرًا

- | | |
|-------------------------|--------------------------|
| (١) هـ : وجريحا | (٢) ت ، لب : خربان |
| (٣ — ٤) أى جبد أفلد | (٤) ت ، لب : دليلة |
| (٥ — ٥) هـ فى ت ، لب | (٦) هـ : لماعنى |
| (٧) هـ : ويرتشفون | (٨) هـ : السابح |
| (٩) هـ ، ت ، لب : جناحه | (١٠) هـ ، ت ، لب : ملاعب |

طَعَنًا بِالْمَثَلِ^(١) وَضَرْبًا بِالْمُنْصُلِ ۥ وَطَوَّرًا ارْتِجَالًا بِالْخُطْبَةِ الْفَيْصَلِ ۥ كَخُطْبَةِ قَيْسِ
ابن سِنَانٍ ۥ فِي حِمَالَةِ عَيْسٍ وَذُبْيَانٍ ، خُطْبَةُ تَبَارِي الرِّيحِ فِي هُبُوبِهَا ، مِنْ لَدُنْ
طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا ، حَضًّا عَلَى السَّلَامِ وَالْمُحَاجَزَةِ ۥ وَنَهْيًا عَنِ الْحَرْبِ
وَالْمُنَاجَزَةِ ؛ فَلَوْ شَهِدَ هُنَاكَ لَشَهِدَ أَمْرًا مُعْجِبًا ، وَأَبْصَرَ خُطْبِيًّا مُسْهِبًا ، فَيَرَى
شِقَاشَةً^(٢) وَقَرَمًا مُصْعَبًا ، يُجَنِّحُهُمْ إِلَى السَّلَامِ لِمَالِمًا وَثَبَاتِيًا .

قال ابن بسّام : ومدّ ابن مالك في رسالته هذه أطناب الإطناب ۥ وشنّ
الغارة^(٣) فيها على عدّة شعراء وكتّاب ، من جاهليّين ومُخَضَّرِينَ ۥ ومُحَدَّثِينَ
ومُعَاصِرِينَ ؛ وَلَوْ ذَكَرْتُ مِنْ أَيْنَ اسْتَلَبَ وَاخْتَطَفَ^(٤) جَمِيعَ مَا وَصَفَ ۥ
وَانْصَرَفَ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ كَلَامُهُ ، نَثَرُهُ وَنِظَامُهُ ، لَحَصَلْ^(٥) هُوَ سَاكِتًا ،
وَبَقِيَ بَاهِتًا .

١٠

وَمِنْ شِعْرِ لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي يُوسُفَ بْنِ هُودٍ أَوَّلَهَا :

شَرَحَ الشَّبَابِ أَمِنْ رَوْحٍ وَرِيحَانٍ عَصْرَاكَ أَمْ جَوْهَرٍ فِي الْوَهْمِ رُوحَانِي^(٦)
عَهْدِي بِلَيْلِكَ فَجْرًا وَالْهَجِيرِ^(٧) ضُحَى
أَكَانَ عَهْدُكَ فِي دَارَيْنِ يَنْفَجُ^(٨) أَمْ
وَكَانَ مِنْ غَفَلَاتِ الدَّهْرِ طَيْبُكَ أَمْ
سَقِيًّا لِعَهْدِكَ مَا أُنْدَى نَوَافِحَهُ
مِنْ غَفْلَةٍ خُلِسْتُ مِنْ لَحْظِ رِضْوَانِ ؟
رِيًّا وَأَنْقَعَهَا رِيًّا لِحَرَّانِ !

١٠

(٢) هـ : شَنْشَنَة

(١) ت : النبل — لب : الليل

(٤) ت : لب : واقتطف

(٣) هـ : الغارات

(٦) هـ ، ت ، لب : ريحان

(٥) ت ، لب : وحل

(٨) هـ : يَنْفَجُ

(٧) هـ : الأصيل

عَصْرُ جَنَيْتُ جَنَاهُ الْغَضَّ مِنْ قَرٍ
إِذْ تَشْرِبُ لِي الْأَغْصَانُ مَأْسَةً
فَلَمْ أَزَلْ سَاحِبًا أَذْيَالَ بُرْدَتِهِ
(١) وَابْتَزَّ رَائِعَ رَيْعَانٍ نَذِيرُ نُهَى

ومنها :

وَأِنَّمَا الْعَذْرُ لِي أَنْ جِئْتُ فِي زَمَنٍ
وَاللَّهِ لَوْلَا رَجَائِي أَنْ تَهَاوِدَنِي
لَمُتُّ مِنْ كَمَدٍ غِيظًا عَلَى دَوَلٍ
وَلَيْسَ يَوْسُفُ عِنْدِي مِثْلَ يَوْسُفَ بَلْ
إِذْ مَا يَزَالُ بَقِيسُطِي بَاخِسًا أَبَدًا ١٠
وَقَدْ حَوَيْتُ قِصَابَ (٤) السَّبْقِ فِي بَدْعٍ
وَكَمْ بَدَائِعَ لِي مَا بَاشَرْتُ بَشَرًا
لَكِنْ بَصَائِرُهُمْ غَمَى وَلَا بَصَرٌ
لَقَدْ أَجَدَّ فُؤَادِي مِنْ مَحَبَّتِهِ
مَغْنِيطِسُ فِي ذَرَاهُ الرَّحْبِ يَجْذِبُنَا ١٥
أَمْ عَنْصَرُ شَاقِ أَجْسَامٍ وَأَنْفُسَهَا (٦)
بِرَاهِنٍ هُنَّ عَنْ عَلِيَّكَ مُوضِحَةٌ

(١) لا يوجد هذا البيت في ر، و (٢) و، ت، لب : أبي عمر

(٣) و، ت، لب : بقسطاسي (٤) ر : نصاب

(٥ — ٥) ت، لب : وهما في طيف وسان — و : طيفها في و وسان

(٦) ر : وأنفسنا

(١) فضائلُ لك تستدعي فضائلها لك الأفاضل من آفاق بلدان
وليس فضلك مطويًا صحيفته فيستدل على ضمن بعنوان
فالصبح أدين لألاء لمبصره من أن يعان بشرح أو بتبيان

فصل في ذكر الأديب أبي أحمد عبد العزيز بن خيرة^(٢)
القرطبي المشتهر^(٣) معرفته بالمنفيل ؛ وسيأق جملته من نظمه
وتثره ، مع ما يتعلق بذكره

والمنفيل أيضاً ممن نثر الدرر المفصل ، وطبق في بعض ما نظم المفصل ، ولم
يخصرني في وقت^(٤) تحرير هذه النسخة من شعره إلا النزر القليل ، وقد يعرب
عن العتق الصهيل ، ويكفي^(٥) من البياض الغرة والتحصيل .

١٠ فصل له من رقيقة وقد بعث بأثر رجعة ، قال فيه :

وقد بعثت إليك من بنات الثمار أجملها^(٦) ، ومن نتائج البستان أفضلها ؛
لم تطرفها عين أحد ، ولا باشرها^(٧) بشر بيده ؛ قد^(٨) صيرت من الأغصان خدرا ،
وأرسلت من الأوراق سقرا . فلما تكامل حسننها ، وماد بها غصنها . وارتوت
من ماء الجبال ، وصارت في نصاب الكمال ، هتكت سترها ، وطرقت خدرها^(٩)

(١) هذا البيت لم يرد في ر . هـ (٢) ت ، لب : بن حبه

(٣) ت ، لب : المشتهر لفظا (٤) ت ، لب : عند إملاء

(٥) هـ : وعن البياض (٦) هـ : أجملها

(٧) هـ : ولا باشرتها يد (٨-٨) هـ في هـ

فإذا هي في حُلَّةٍ الخائف ، قد اصفرت وَجَلًا من يَدِ القاطِف ، فشربتُ على ودِّها
 رطلين ۝ وتناولتها بالرَّاحَتَيْنِ ، ثم وضعتها في هَوْدَجٍ خَيْرُ ران ، وأتركتُ بها على
 جميع الإخوان ؛ فبِحُرْمَةِ الكأس التي رضعنا ، وأميرِ الظرفِ الذي بايعنا ، إلَّا
 ما رفعت قدَّرها ۝ وجعلتُ القبولَ مَهْرَها ۝ وجلوتها على مجلسِ المدام ، وحجبتها
 عن عيون اللثام^(١) ۝ فخصَّأها عجيبه ۝ وصفاؤها غريبة ، إن خزنتها عطرت أثوابك ،
 وإن أمسكتها أذهبت أوصابك ، وإن أعملت فيها غرب السَّكِينِ ، قرنت لك
 بين التَّرجِسِ والياسمين ، وأرتك وَجَنَةَ الكُثيبِ ، على سالفَةِ الحبيب ؛ يالها
 من أترجةٍ غَضَه ۝ قد صُورتُ من ذهبٍ وَفِضَّةٍ ۝ قد سرقتُ من العاشقِ سِيماه ۝
 ومن المعشوق طَعَمَ ثَنائاه ، وَخُصَّتْ بالحُسْنِ أجمع ، وأعطيت الطبايعَ الأربع .
 ١٠ فصلني — وصل الله آمالك ۝ وقرن بالنموِّ سعدك وإقبالك — بالأمر^(٢) بقبولِ لها ،
 وتعريفي بوُصولها ، إن شاء الله .

جملة من شعره في أوصافِ شَتَّى

قال :

سمح الزمانُ لنا بأسعدِ ليلةٍ والسَّمْحُ لا يُدْرَى^(٣) له قَبْلُ
 أبصرتُ نفسِي بين ظيبي فَقْرَةٍ هَذِي المدامُ وَهَذِهِ النُّقْلُ
 وَكَأَنَّ ذَا وَعْدٍ وَذَا إِنجازه وَكَأَنِّي مِنْ بَيْنِهِمْ مَطْلُ

وقال أيضاً :

بِتَنَا كَأَنَّ حَدَادَ اللَّيْلِ يَشْمَلُنَا^(٤) حتى بَدَأَ الصَّبْحُ في ثوبِ سَهْوِيَّ

(٢) هـ : بالمن

(٤) هـ : لب : شملنا

(١) ر : الأنام

(٣) لب : لا يرجي

كَأَنَّ لَيْلَتَنَا وَالصَّبِيحُ يَتَّبِعُهَا زِنْجِيَّةٌ هَرَبَتْ قُدَّامَ رُوحِي
وَقَالَ أَيْضًا :

وَلَمَّا تَجَلَّى اللَّيْلُ وَالْبَرْقُ لَامِعٌ كَمَا سَلَ زِنْجِيٌّ حُسَامًا مِنَ التَّيْرِ
وَبِتُّ سَمِيرَ النَّجْمِ وَهُوَ كَأَنَّهُ عَلَى مِعْصَمِ الدُّنْيَا جَبَاثُرٌ مِنْ دُرٍّ
وَقَالَ يَصِفُ الشَّمْسَ وَقَدْ طَفَلَتْ لِلْغُرُوبِ :

إِنِّي أَرَى شَمْسَ الْأَصِيلِ عَلِيَّةً تَرْتَادُ مَا بَيْنَ (١) الْمَغَارِبِ مَغْرِبًا
مَالَتْ لِتَحْجُبَ شَخْصَهَا فَكَأَنَّهُا مَدَّتْ عَلَى الدُّنْيَا بِسَاطًا مُذْهَبًا
وَقَالَ أَيْضًا :

مَنْ لِي بِظَبْيٍ بَرَزَنِي نُسْكِي قَامَ مِنَ الْكَافُورِ وَالْمِسْكِ ؟
لَوْ أَنَّ دَاوُدَ رَأَى وَجْهَهُ أَلْقَى إِلَيْهِ خَاتَمَ الْمَلِكِ
أَوْ أَنَّ يَعْقُوبَ رَأَى وَجْهَهُ فِي غَيْبَةِ الصَّدِّيقِ لَمْ يَبْكِ
وَقَالَ أَيْضًا :

لَأَشْيَاءُ أُعْجِبُ مَنْ تَرَكَ لَهُمْ رُوحِي يَوْمَ الْوَدَاعِ وَلَمْ أَتْرُكْ تَبَارِيحِي
(٢) وَمِنْ بَقَائِي أَمْشِي فِي دِيَارِهِمْ يَأْمَنْ رَأَى جَسَدًا يَمْشِي بِلَا رُوحٍ ؟
وَلَهُ أَيْضًا :

مَالِي بِجَوْرِ الْحَبِيبِ مِنْ قَبْلِ هَلْ عَادِلٌ (٣) حَاكِمٌ فَيَحْكُمُ لِي ؟

(١) هـ ، ت ، لب : من بين

(٢) هـ : ومن رأني أَمْشِي فِي دِيَارِهِمْ فَقَدْ رَأَى جَسَدِي يَمْشِي بِلَا رُوحٍ

(٣) هـ ، ت ، لب : حاكم عادل

حُمْرَةُ خَدَّيْهِ مِنْ دَمِي صُبِغَتْ وَيَدْعِي أَنَّهَا مِنَ الْخَجَلِ
وحضرَ عندَ القائدِ بنِ دُرِّي بِجَيَّانَ معَ أبي زيدِ بنِ مَقَانَا الْأَشْبُونِي
واستدعاهما إلى عِنَبٍ أَسْوَدَ قَدْ قُطِفَ فِي غَيْرِ إِبَّانِهِ مِنْ عَرِيشٍ قَدْ أُقِيمَ عَلَى
أَرْبَعِ فَوَائِمٍ ، تَحْتَهُ صِهْرِيحٌ ، فَقَالَ الْمُنْفَتِلُ :

عِنَبٌ تَطْلُعُ فِي حَشَا وَرَقٍ نَدَى صُبِغَتْ غَلَائِلُ خَدَّهِ بِالْإِمْدِ
فَكَأَنَّهُ مِنْ يَبْنَهَنٍّ كَوَاكِبُ كُسِفَتْ فَلَاحَتْ فِي سَمَاءِ زَبَرْجَدِ

وقال في صفة خال :

فِي خَدِّ أَحْمَدَ خَالٌ يَصْبُؤُ^(١) إِلَيْهِ الْخَلِي
كَأَنَّهُ رَوْضُ وَرْدٍ جَنَّانُهُ حَبَشِيٌّ

وقال فيه :

قَدْ فَوَّادِي بِحُسْنِ قَدِّهِ وَسَدَّ بَابَ الْكَرَى بِحَدِّهِ
أَرَدْتُ تَقْبِيلَهُ فَذَابَتْ سَوْدَاهُ قَلْبِي بِصَحْنِ خَدِّهِ

^(٢) وأخذ هذا ابنُ رَبَاحٍ أَبُو تَمَّامٍ الْحَجَّامُ فقال في صفة الخال :

يَا لَابَسًا لِلْحُسْنِ ثَوْبَ سَمَائِهِ كَالْبَدْرِ يُشْرِقُ فِي دُجَى ظِلْمَائِهِ
أَحْرَقْتُ قَلْبِي فَارْتَمَى بِشَرَارَةِ^(٣) فِي صَحْنِ خَدِّكَ فَاَنْطَمَا فِي مَائِهِ^(٤)

(١) وه ، ت ، لب : يسمو (٢ — ٢) وه في ت ، لب

(٣) هذا البيت لا يوجد إلا في وه . وعلى الهامش بإزائه رواية أخرى للبيتين بخط

مضايير . وهي :

يَا سَالِبًا قَرِ السَّمَاءَ جِوَالَهُ أَلْبَسْتَنِي الْحُزْنَ ثَوْبَ سَمَائِهِ
أَحْرَقْتُ قَلْبِي فَارْتَمَى بِشَرَارَةِ وَقَعْتُ بِخَدِّكَ فَاَنْطَمَتْ فِي مَائِهِ

وَوَعَدَ الْمُنْفَتِلَ بَعْضُ أَخْوَانِهِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ^(١) مِرْقَاسًا وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ • وَصَنَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدْعُهُ • فَقَالَ :

يَا أَجُودَ النَّاسِ بِمَا عِنْدَهُ إِلَّا إِذَا اسْتَعْمَلَ مِرْقَاسًا
فَإِنْ^(٢) يُنِيلُهَا عُذْرُهُ بَيْنَ إِذْ لَمْ يَجِدْ فِيهِمْ أَنْفَاسًا
وَقَالَ فِيهِ يَهْجُوهُ :

لَا آكُلُ الْمِرْقَاسَ دَهْرِي لَتَأْ وَيَلِ الْوَرَى فِيهِ قَبِيحَ الْعِيَانِ
كَأَنَّمَا صُورَتُهُ إِذْ بَدَتْ أَنَامِلُ الْمُضْلُوبِ بَعْدَ الثَّمَانِ
وَقَالَ :

إِنْ جَفَانِي الْكَرَى وَوَاصَلَ قَوْمًا فَلَهُ الْعُذْرُ فِي التَّخَلُّفِ عَنِّي
لَمْ يُخَلِّ الْمَوَى لِجِسْمِي شَخْصًا فَإِذَا جَاءَنِي الْكَرَى لَمْ يَجِدْنِي
وَهَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

لَمْ يَعْشَ أَنَّهُ جَلِيدٌ وَلَكِنْ ذَابَ سَقَمًا فَلَمْ تَجِدْهُ الْمَنُونُ
وَقَالَ الْمُنْفَتِلُ :

بَابِي غُرَالٌ زَارَنِي فَشَفَا الْفُؤَادَ الْمُدْنَفَا
عَانَقْتُهُ فَكَأَنَّنِي يَعْقُوبُ عَانَقَ يَوْسُفَا

وَقَالَ أَيْضًا :

قُلْتُ لِمَنْ أَهْوَى تَصَدَّقْ عَلَيَّ مُعَذِّبٌ حُبُّكَ أَضْنَاهُ
بِقُبْلَةٍ مِنْ فَيْكِ يَا سَيِّدِي فَقَالَ لِي : يَحْفَظُكَ اللَّهُ !

(٢) و : لَمْ يَنْلِهَا

(١) ت ، لب : يَعْمَلُ

(٣) هَذَانِ الْبَيْتَانِ نَاقِصَانِ فِي ر وَهَذَا فِي ت • لَب مُؤَخَّرَانِ عَنِ الْبَيْتَيْنِ التَّالِيَيْنِ

وقال :

لو تُقَاسِي من الهوى ما أُقَاسِي ما تَمَنَيْتَ^(١) أَنْ قَلْبَكَ قَاسِي
كُنْتُ أَدْعُوكَ لِلْعِنَاقِ وَلَكِنْ أَتَقِي أَنْ تَذُوبَ مِنْ أَنْفَاسِي
وقال في صِفَةِ قَطْرِ مِيز^(٢) وأخبر عنه :

أَنَا مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ مَخْلُوقٌ جَسَدِي لَوْلُو وَرُوحِي عَقِيقُ
فَإِذَا مَا الْكُؤُوسُ دَارَتْ بِرِيقِي فَاحِ^(٣) فِي الْأَفْقِ مِنْهُ مِسْكٌ فَتِيقُ
فَكَأَنِّي بَيْنَ الْكُؤُوسِ هَالَالُ وَكَأَنَّ الْكُؤُوسَ حَوْلِي بُرُوقُ.
وقال يهجو الْأَفْوَةَ الشَّاعِرَ الْحَرَّارَ^(٤) :

وَبَارِدِ الْمَنْظَرِ وَالْخُحْبَرِ أَبْرَدُ مِنْ رِيحِ الصَّبَا الْقَرَصَرِ
تَبْدُو عَلَى أَضْرَاسِهِ صُفْرَةٌ كَأَنَّهُ مِنْ فِيهِ قَدْ خَرَى
^(٥) حَدِيثُهُ أَوْحَشُ مِنْ وَجْهِهِ وَشِعْرُهُ يُشَبِّهُ ذَاكَ الطَّرِي
وله في مَيِّمُونِ بْنِ الْفَرَّاءِ :

لَا بَنَ مَيِّمُونٍ قَرِيضُ زَمْهَرِيرُ الْبَرْدِ فَيَمِيهِ
فَإِذَا يَبَّتْ يَبَّتْ يَبَّتْ نَقِيتُ سَوْقُ أَبِيهِ

وقال في جَهْرَانَ^(٦) بْنِ يَحْيَى صَاحِبِ لَبْلَةٍ :

إِنَّ ابْنَ يَحْيَى ضُحْكُهُ فِتْنَةٌ^(٧) وَادْكُرْ بِهِ خُدَّامَ نَارِ جَهَنَّمَ
أَكَلَ الْخَبِيثَ فَشِعْرُهُ مَتَسَاقِطُ كَالْكَلْبِ أَسْقَطَ شِعْرَهُ لَعَقُ^(٨) الدَّمِ

(٢) في الأصول قطرمير بالراء

(١) وه ، ت ، لب : لتمنيت

(٤) ت ، لب : الجزار

(٣) وه : فاض

(٦) وه ، ت ، لب : حمدان

(٥) لم يرد هذا البيت في ر

(٨) ت ، لب : لثق

(٧) ر : فتوم

وله من رُقعةٍ خاطبَ بها ابن النّغريليّ الإسرائيليّ ١

- مَنْ فهِمَ عَنِ الزَّمَانِ وَخُلِقِهِ ۖ وَرَفَلَ فِي جَدِيدِهِ وَخَلَقِهِ ۖ وَعَلِمَ أَنَّهُ يَسْتَأْصِلُ
رَيْثِمًا يُوْاصِلُ ، وَيَقْصِمُ غِبًّا مَا يَقْسِمُ ، لَمْ يُبَالِ ^(١) بَوَقْعِ سِلَاحِهِ ۖ وَلَا اسْتَعَدَّ
لَوْقَتِ اسْتِصْلَاحِهِ . وَلَمَّا أَغْضَى ^(٢) بِالرِّيقِ ، وَحَفَزَنِي بِالْمَضِيقِ ، وَلَمْ يَتْرَكْ هُمًّا إِلَّا سَنَى
عَقْدَهُ ، وَلَا نَظْمًا ^(٣) إِلَّا نَثَرَ عِقْدَهُ ؛ وَرَأَيْتُ الاسْتِحَالَةَ فِي الْحَالِ ۖ وَالْعَيْلَةَ فِي
الْعِيَالِ ، وَجَدًّا قَدْ جَدَّ جَاءَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدَحِّضِينَ ، هَيَّأَتْ
رَاحِلَةً وَأَثَانًا ، وَطَلَّقَتْ ابْنَةَ الْوَطَنِ ثَلَاثًا ، وَقَلْتُ إِنَّمَا أَنْ أَجِدَ فَأُظْهِرَ ^(٤) ، أَوْ أَمُوتَ
فَأُعْذِرَ ؛ فَكَمْ مِنْ حُرَّةٍ سَافِرَةِ الْقِنَاعِ ، تَنْدُبُنِي مَوْقِفَ الْوَدَاعِ ۖ وَبَاكِئَةٍ يَوْمَ
الرَّحِيلِ ، بُكَاءِ الْحَمَامِ عَلَى الْهَدِيلِ ؛ فَقَدْ قَاتُ عَيْنَ الشَّرَى ، بِأَرْبَعِ كَقِدَاحِ
السَّرَا ، يَتَشَبَّثُونَ ^(٥) بِالْآكَامِ ، تَشَبَّثَ الْخُصُومُ بِالْأَحْكَامِ ؛ وَيَتَعَلَّقُونَ بِالْمَطِيِّ ،
تَعَلَّقَ الْأَيْتَامُ بِالْوَصِيِّ ، إِلَى أَنْ أَخْضَلَتْ الدَّمُوعُ الْحَاجِرَ ، وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ
الْحَنَاجِرَ ؛ وَجَعَلْتُ أَعُوذُ هُنَّ بِالْمَثَانِي ، وَأَبْسُطُ هُنَّ فِي الْأُمَانِي ۖ وَأَقُولُ : سَتَسْنِينَ
هَذَا الْمَوْقِفَ ، إِذَا اتَّصَلْتَنَّ بِإِسْمَاعِيلَ بْنِ يُوسُفَ ، فَتَيَّ كَرُمَ خَالًا وَعَمًّا ، وَشَرَحَ
مِنَ الْجِدِّ مَا كَانَ مُعَمَّى ، قُسًّا فَصَاحَةً ، وَكَغَبًّا سَمَاحَةً ، وَلَقُيْمَانِ عِلْمًا ، وَالْأَخْنَفَ ^(٦)
حِلْمًا . أَكْرَمَ هَمَّةً مِنْ هَمَامٍ ، وَأَعْظَمَ بَسْطَةً ^(٧) مِنْ بَسْطَامٍ ؛ إِنْ خَاطَبَ أَوْ جَزَ ،
وَأِنْ غَالَبَ أَعْجَزَ ، أَوْ جَادَ أَجَادَ ، أَوْ وَعَدَ أَعَادَ ؛ يَأْمُرُ وَيَمْسِرُ ، وَيَأْجُرُ وَيُجِيرُ ؛
مَأْوَى السَّمَّاحِ وَالضَّيْفِ ۖ وَرِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ؛ حَامِي الدِّمَارِ ، بَعِيدُ الْمَضَارِ ؛

(١) ت ، لب : لم يَأْلَم (٢) ر : أغضى

(٣) و ، ت ، لب : عقدا (٤) و : فأظفر

(٥) كذا بالأصول ويلاحظ أن سياق الكلام يختلف بين التائيت والتذكير فلهل بعض هذه الرقعة قد حذف .

(٦) و ، ت ، لب : وأخنف (٧) و ، لب : بسطة

لا يظلم فقيرا ، ولا يُحبِّب فقيرا ؛ يحافظ على صلاته ، حفظه لصلاته ، ويحنُّ إلى
البذل ، حنين الغريب إلى الأهل :

قَرَنَ الفضائل والفواضل فشأى الأواخر والأوائل
سَقَطُوا بِرِفْعَةِ فضله كالشمس في شرف المناقل^(١)
هذا ابنُ يوسف الذي ورث الفضائل عن فواضل
شرف الزمان بمشالله شرف الأسنة بالعوامل
من^(٢) لم يلدُ بجنابه لم يامن الدهر المخائل
مُتَقَلِّدٌ سيف العلاء والمكرّمات له حمائل
فصرت في وصفى له ولو أننى سحبان وائل
ما قل^(٣) ما يرجى الكما ل لمن أبوه غير كامل
سكن الندى في كفه سكتى الرّواجب في الأنايل
وجرى الحياه بوجهه جرى الفريد على المناصيل

فحين سمعوا بوصفه ، الذى هو طليعه عرفه ، وثقوا بمجده ، وودّعوني
مُسْتَبْشِرِينَ ، وتركهم منتظرين .

وله فيه من قصيدة أولها :

أحاجيكم هل^(٤) يَمُمُوا الضال والسدرا أبى قابى المعمود أن يسكن الصدرا
وفي الهودج المزور جُودر رَمَلَة أسيلُ بحال القرط في حرّة الذرى
كان الثريا ما بدا من وشاحها وقد همت الأزداف أن تسلم الخضر

(١) في الأصول « المقاتل » وما ذكرناه أقرب الاحتمالات

(٢) هنا يبدأ خرم في لب ينتهى في ص ٢٧٤

(٣) كذا في الأصول . ولعلها : فأقل .

(٤) وه ، ت : قد

- يُذَكِّرُنِي شَكْلَ الْهَلَالِ سِوَارُهَا وَقَدْ أُرْسِلْتُ مِنْ دُونِ هَوْدَجِهَا سِتْرَا
يَقُولُونَ إِنْ السَّحَرُ فِي أَرْضِ بَابِلٍ وَلَوْ عَايَنُوا أَجْفَانَهَا نَظَرُوا السَّحَرَا
مِيرِيكَ طُلُوعَ الْبَدْرِ طَرَقُ شُعَائِهَا وَتَفْجَأُ مِنْ إِضْاحِ غُرَّتِهَا الشَّعْرَى
فِيَالِكَ مِنْ نَحْرِ تَزِينٍ^(١) عَقُودَهَا إِذَا عَقْدُ مَنْ تَشَجَّى بِهَا زَيْنَ النَّحْرِ
فَلَا هَجَرَتْ عَيْنِي سَوَابِقُ أَدْمُعِي كَمَا أَنْ لِيَلِي بَعْدَهُمْ هَجَرَ الْفَجْرَا
فَقُلْ فِي شَجَرٍ قَدْ^(٢) بَاتَ يَمْسَحُ دَمْعَهُ بِكَفٍّ وَأُخْرَى تَحْتَهَا كَبِدُ حَرَى
وَقَدْ ضَرَبَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ رِوَاقَهُ وَأَطْلَعَ فِي الْآفَاقِ أَنْجَمَ الزُّهْرَا
كَانَ^(٣) سَمَاءُ الْأَرْضِ بِحَرِّ زَبْرُجِدٍ وَقَدْ نَثَرَ الْغَوَاصُ مِنْ فَوْقِهِ دُرَا
لَقَدْ طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَالْهَرُ بَعْضُهُ وَلَمْ أَرَ لَيْلًا قَبْلَهُ شَاكِلَ الدَّهْرَا
وَمَا اكْتَحَلْتُ عَيْنِي بِمِثْلِ ابْنِ يُوسُفٍ وَلَسْتُ أَحَاشِي الشَّمْسَ مِنْ ذَا وَلَا الْبَدْرَا ١٠
- ومنها:

- بُدُورٌ وَلَكِنَّا أَمِنَّا سِرَارَهَا بِحُورٍ وَلَكِنْ لَا تَرَى دُونَهَا بَرَا
غُيُوثٌ إِذَا مَا الْحُلُ شَبَّ بِيَلَدِهِ^(٤) كُهُوفٌ إِذَا جَاءَتْ بِنَا أَرْضَهُ كُبْرَى
يُخَالُونَ مِنْ فَرَطِ الْحَيَاءِ أَذَلَّةً وَتَرْجُحُ أَحْشَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ ذُعْرَا
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّظْمِ وَالنَّثْرِ مُحْسِنًا فَإِنَّ نَدَاهُمْ عِلْمَ النَّظْمِ وَالنَّثْرَا ١٥
وهذا القصيدُ اندرج له من الغلو فيه ، مالا أثبتته ولا أرويه ، وأبعد الله
المنفقتل ، فيما نظم فيه وفصل ، وقبحه وقبح ما^(٥) أمل .

(١) هـ ، ت : يزين عقدها (٢) ت : من بات

(٣) هذا البيت والذي يليه لا يوجدان في .

(٤) لم يرد هذا البيت إلا في نسخة ت وفيها « كهوف » مكان « غيوث » والعكس

(٥) هـ : من

(١) وله في هذه القصيدة من الغلو في القول ، ما نبهنا منه إلى ذي القوة والحوّل ، وهو قوله :

ومن يك موسى منهم ثم صنوه
فكم لهم في الأرض من آية ترى
أجامع شمل الجدي وهو مشئت
فضلت كرام الناس (٣) شرقاً ومغرباً
وإن (٤) فرقوا بين الضلالة والهدى
ولا استلموا كفيك كالرّكن زلفة
وقد فزت بالدنيا ونلت بك المنى
أدين بدين السبت جهراً لديكم
وقد كان موسى خائفاً مترقباً

قال ابن بسّام : فقبّح الله هذا مكسباً ، وأبعد من مذهبه مذهبا . تعلق به سبياً ؛ فما أدري من أيّ شؤون هذا المدلّ بذنبه ، المجترى على ربه ، أعجب : التفضيل هذا اليهودي المأبون (٥) على الأنبياء والمرسلين ، أم خلعه إليه الدنيا والدين ؟ حشره الله تحت لوائه ، ولا أدخله الجنة إلا بفضل اعتنائه .

فصل في تلخيص التعريف بمقتل ذلك اليهودي

وكان من عجائب ذلك الزمان الواهي النظام ، اللاعب بالأنام (٦) ، ترقى ذلك

(١) من هنا لآخر هذا الفصل لم يرد في ر

(٢) وه : في البأس من سمعة

(٣) وه : الأرض

(٤) كذا بالأصل ولعلها « لو »

(٥) ت : المأبون

(٦) ر : بالأيام

- اليهودى المأبُون^(١) ، الزَّارِى على كلِّ ذى^(٢) دين ، لم تُسَلِّمْ له يَهُودُ في دينِها الملعُون ، ولا أَمِنَتْهُ على غَيبِها الظَّنِّين . وكان أبوه يُوسفُ رجلاً من عامة اليهود ، حسنَ السَّيَرَةِ فيهم ، ميمونَ النَّقِيبَةِ عندهم ، تولى لبَاديَسَ ولأبيهِ قَبْلَهُ حَبْؤُسَ بَغَرِناطَةَ جَبَايَةَ المال ، وتَدْيِيرَ أَكْثَرِ الأَعْمَالِ ، ونَجَّمَ ابنُهُ بعدُ غُلَامًا^(٣) وضيئًا ، ومَرَّ كَبًّا — زَعَمُوا — وطِيًّا ، وكانت لَمَن اعْتَنَى يومئذٍ بِالْعِلْمَانِ فِتْنَةً ، حتى كان يُقالُ إِنَّه وإِنَّه ، فَقَلَّدَ أَرْمَةً الأَعْمَالِ ، وخُلِيَ بَيْنَهُ وبين أَثْبَاجِ الأَمْوَالِ ، وَوَطِيءَ^(٤) عَقِبَهُ جَماهيرُ الرِّجالِ ، وجَرَى به طَلَقُ الجُمُوحِ ، مُهَوَّنًا فِيهِ ما ثَوَرَ القَبِيحُ ، فنَأَى بِجَنايَةِ ، وأَعْرَضَ عن ذِكْرِ عَوَاقِبِهِ ، حتى كان يَغْسِلُ يَدَهُ من القُبُلِ^(٥) ، ويتمدَّحُ بالطَّعْنِ على المِلَلِ^(٦) ؛ أَلَفَ كِتَابًا في الرَّدِّ على الفَقِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ بنِ حَزْمٍ المَتَقَدِّمِ الذِّكْرَ ، وجَاهَرَ بالكَلَامِ ، في الطَّعْنِ على مِلَّةِ^(٧) ١٠ الإسلامِ ، فما دُفِعَ عن ذلكِ بَتَأْنِيْبٍ ، ولا اسْتَطِيعَ تَغْيِيرُهُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْقُلُوبِ ؛ قد نَصَبَهُ^(٨) مَكَانَهُ مِنَ السُّلْطَانِ غِيْظًا لِلْأَحْرَارِ ، وَحُجَّةً^(٩) على اللَّيْلِ والنَّهَارِ . واليهودُ مع ذلكِ تَتَشَاءَمُ بِاسْمِهِ ، وَتَتَنَظَّمُ مِنْ جَوْرِ حُكْمِهِ ، على ما كانَ قد رَضِخَ^(١٠) لهم مِنَ الحُطَامِ ، ووطأ لهم من مَرَاكِبِ الأُمُورِ العِظَامِ ، وهو مع ذلكِ يَمْتَدُّ^(١١) في غُلُواتِهِ ، غَافِلًا^(١٢) ١٥ عن عَادَةِ اللَّهِ في نَظَرائِهِ . فَنَصَبَ يَهُودَ أَحْكَامَهَا ، وَذَلَّلَ

(١) ت : المأفون الرأي

(٢) ت : هنا الى قوله « فنصب يهود أحكامها » هـ في ر

(٣) ت : أوطأ (٤) هـ : يغسل يديه — زعموا — من تقبيل المسلمين

(٥) ت : الملك (٦) هـ : ملك الاسلام

(٧) ت : نصب مكانه (٨) هـ : حجة

(٩) ت : رضح — ت : رضح ، ولعل الصواب ما أثبتناه

(١٠) ت : متادى (١١) ت : فافل

أَعْلَامَهَا . وتسمّى من خُطَطِهِمُ الشَّرْعِيَّةِ بِالنَّاعِيَرِ^(١) ، معناه المُدَبِّرُ عِنْدَهُمْ^(٢) ،
خُطَّةٌ تَحَامَاهَا قُدَمَاؤُهُمْ ، وَتَطَاطَا عَنْهَا قَدِيمَا زُعْمَاؤُهُمْ . اجْتَرَأَ هُوَ عَلَيْهَا يَوْهَى أَسَّهُ ،
وَقِلَّةٌ نَظَرَهُ لِنَفْسِهِ . وَأَمَّا مَا بَلَغَ مِنَ الْمُنْزِلَةِ عِنْدَ صَاحِبِهِ وَغَلَبَتْهُ عَلَيْهِ فَمَا
لَا شَيْءَ فَوْقَهُ .

أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَاهُ يُسَافِرُ صَاحِبَهُ بِسَاحَةِ قَرْطَبَةِ فِي بَعْضِ قَدَمَاتِهِ عَلَيْهَا لِبَعْضِ
تِلْكَ الشُّؤُونِ الْمُضِلَّةِ ، وَالْفِتَنِ الْمُضْمِلَةِ^(٣) . قَالَ الْمَحْدُثُ : فَرَأَيْتُهُ مَعَ بَادِيسٍ ، فَلَمْ
أُفْرِقْ بَيْنَ الرَّئِيسِ وَالْمَرْوُوسِ . فَأَنْشَدَتْ : « تَشَابَهَتِ الْمَنَاقِبُ وَالرُّؤُوسُ » .
وَحُدِّثْتُ عَنْ ابْنِ السَّقَاءِ مُدَبِّرِ قَرْطَبَةِ يَوْمئِذٍ أَنَّهُ قَالَ : لَا بَأْسَ بِاسْمَاعِيلَ لَوْلَا^(٤)
أَنَّهُ نَسِيَ الْيَهُودِيَّةَ ، وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ قَدْ نَظَرَ فِي السُّكُتِ ، وَنَشَدَ^(٥) أَشْيَاءَ مِنْ
عِلْمِ الْعَرَبِ . وَكَانَ آخِرَ أَمْرِهِ قَدْ حَجَبَ صَاحِبَهُ عَنِ النَّاسِ ، وَسَجَنَهُ بَيْنَ الدِّينِ
وَالْكَاسِ ، مُلْحِدًا فِي أَمْرِهِ ، مُبْرِمًا لِأَسْبَابِ غَدْرِهِ ؛ وَوَعَدَ جَارَهُ ابْنَ صُمَادِحٍ
بِالْمَرْتَبَةِ أَنْ يُقْعِدَهُ مَكَانَهُ ، وَيَخْلَعَ عَلَى أَعْطَافِهِ سُلْطَانَهُ ، فَسَرَّبَ إِلَيْهِ ابْنُ صُمَادِحٍ
صَمِيمَ الْأَمْوَالِ ، وَجَلَّى عَلَيْهِ وَجُوهَ الْأَمَالِ ، وَإِنَّمَا كَانَ أَرَادَ أَنْ يُثْلَعَ عَرْشَ
الْبَادِيسِيِّ^(٦) بِالصُّمَادِحِيِّ ، لِمَا كَانَ يَعْلَمُ مِنْ كِلَالِهِ ، وَيَتَيَقَّنُ مِنْ قِلَّةِ اسْتِقْلَالِهِ ؛
وَقَدْ عَزَمَ سَاعَةً يَخْلُو لَهُ وَجْهَ ابْنِ صُمَادِحٍ بَعْدَ بَادِيسٍ أَنْ يَتَمَرَّسَ بِجَانِبِهِ ، وَيُلْحَقَهُ
بِصَاحِبِهِ ، كَأَنَّهُ نَظَرَ خَيْرَ عُبَيْدٍ^(٧) اللَّهُ بْنُ ظَبْيَانٍ . حِينَ وَضَعَ رَأْسَ الْمُصْعَبِ
بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَسَجَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، قَالَ ابْنُ ظَبْيَانَ : فَقَمْتُ

(١) ت : الناعيد

(٢) ت : بالعربية

(٣) ت : المذهلة — ورسم الكلمة في ر ، و : المصملة

(٤) و : إلا أنه سبي اليهودية

(٥) في الأصول : شد

(٦) ر ، ت : البادسي

(٧) ت ، و : عبد الله

في رِكابي ، وأَحَسَّ بِي وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : مَا الَّذِي أَرَدْتَ أَنْ تَصْنَعَ ؟ قُلْتُ : هَمَمْتُ أَنْ أَقْتُلَكَ فَأَكُونَ قَدْ قَتَلْتُ مَلِكَكُمْ الْعَرَبِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ . فَقَالَ : لَوْلَا مَنَّتُكَ عَلَيْنَا بِرَأْسِ الْمُضْعَبِ ، لَكَانَ عُنُقُكَ أَهْوَنَ مَا يُضْرَبُ :

فَأَرَادَ هَذَا الْيَهُودِيُّ عَلَى انْخِطَاطِهِ عَنِ الرُّجَالِ ، وَانْخِطَاطِهِ فِي سِلَاحِ رِبَاتِ الْحِجَالِ ، أَنْ يَسْتَدْرِكَ عَلَى ابْنِ ظَبْيَانٍ ، بِقَتْلِ رَئِيسَيْنِ مِنْ رُؤَسَاءِ ذَلِكَ الزَّمَانِ .
فَلَمَّا تَمَّ تَدْبِيرُهُ ، وَاسْتَوْسَقَتْ لَهُ أُمُورُهُ ، لَزِمَ سُكْنَى الْقَصْرِ ، وَأَخَذَ مِفْتَاحَ الْمِصْرِ ، وَأَظْهَرَ لِصَاحِبِهِ أَنَّ النَّاسَ قَدْ مَلَّوْا سِيَاسَتَهُ ، وَنَفَسُوا عَلَيْهِ رِيَاسَتَهُ .

وَرَكِبَ ابْنُ صُمَادِحٍ بِجَمْعِهِ ^(١) وَكَمَنَ حَيْثُ يَسْمَعُ صَوْتَ الْمُهَيْبِ ، وَيَتَنَسَّمُ ^(٢) — بَزْعِمِهِ — رَوْحَ الْفَرْجِ الْقَرِيبِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَخْتَمَهُ بِدَاهِيَتِهِ الدَّهْيَاءِ ، وَيَلْبَسَ سَوَادَ لَيْلَتِهِ ^(٣) لَفْذَرْتِهِ الشَّنْعَاءِ ، نَذَرَ ^(٤) بِهِ ١٠ قَوْمٌ مِنَ الرِّجَالِ الْمَغَارِبَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ النَّاسُ قَبْلَ ذَلِكَ اسْتَرَابُوا بِاخْتِلَالِ الشَّانِ ، وَاسْتَوْحَشُوا مِنْ احْتِجَابِ السُّلْطَانِ ، وَقَدْ كَانَ الْيَهُودِيُّ مَلِكًا ابْنَ صُمَادِحٍ أَكْثَرَ حِصُونِ غَرْنَاطِهِ بِاخْتِجَانِ أَمْوَالِهَا ، وَإِفْسَادِ قُلُوبِ رَجَالِهَا ، فَأَضَافَهَا ابْنُ صُمَادِحٍ إِلَى بَلَدِهِ ، وَبَادِيسُ لَا يَشْعُرُ بِخُرُوجِهَا عَنْ يَدِهِ ، وَالْيَهُودِيُّ أَثْنَاءَ ذَلِكَ يَرِيشُ وَيَبْرِى ، وَشَفَرْتُهُ فِي أَدِيمِ صَاحِبِهِ تَخْلُقُ وَتَفْرِى . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي ١٥ أَرَادَ اللَّهُ فِيهِ إِزَالََةَ نِعْمَتِهِ عَنْهُ ، وَإِرَاحَةَ عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ مِنْهُ ، نَذَرَ بِهِ أَوْلَئِكَ الْمَغَارِبَةَ ، فَأَعْلَنُوا بِالصِّيَاحِ ، وَثَارُوا ^(٥) إِلَى السَّلَاحِ ؛ وَأَتَى الصَّرِيحُ بَقِيَّةَ الْجُنْدِ وَعَامَّةَ أَهْلِ الْبَلَدِ ، وَنَادَى مُنَادِيَهُمْ : غَدَرَ الْيَهُودِيُّ وَخَانَ ، وَطَاحَ الْمَظْفَرُ — يَعْنُونَ بَادِيسَ —

(١) ر : نَجْمُهُ — ت : بِمَسْكِرِهِ (٢) ت : وَتَنَسَّمَ

(٣) و : لَيْلَتُهُ الْبِلَاءِ (٤) و : غَدَرَ

(٥) ت : وَثَارُوا

وَحَانَ ! فَدَخَلُوا الْقَصْرَ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَهَتَكُوا حُرْمَةَ ^(١) الْيَهُودِيِّ دُونَ حِجَابٍ .
 فُقُتِلَ — زَعَمُوا — فِي بَعْضِ خَزَائِنِ الْفَحْمِ ، وَسَمِعَ بَادِيسُ الْوَجْبَةِ نَفْرَجَ ^(٢)
 وَقَدْ اسْتَطَالَ النَّاسُ عَلَى يَهُودٍ . وَقُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ نَيْفٌ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ .
 مَلْحَمَةٌ مِنْ مَلَاحِمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، بَاهُوا بِذُلِّهَا . وَطَالَ عَهْدُهُمْ بِمِثْلِهَا . وَرَجَعَ
 • ابْنُ صُمَادِحٍ قَدْ صَفَرَتْ يَدَاهُ ، وَأَخْلَفَهُ مَا تَمَنَّاهُ ، وَانْقَلَبَ الْيَهُودِيُّ مَذْمُومًا
 مَذْهُورًا . لَمْ يُتَمَتَّعْ بِدُنْيَاهُ ، وَلَا خَلَصَ إِلَى مَا رَجَاهُ .

(١) ه ، ت : وَهَتَكُوا دُونَ الْيَهُودِيِّ كُلِّ حِجَابٍ

(٢) ز ف ت : نَفْرَجَ يَقُولُ إِسْمَاعِيلُ لَا يَحْفَلُ بِسِوَاهُ ، وَلَا يَرْتَفِعُ لِسَىءٍ يَسْمَعُهُ مِنْ ذَلِكَ

وَلَا يَرَاهُ . وَاسْتَطَالَ ...

ذِكْرُ الْأَدِيبِ أَبِي الْمُطَرِّفِ^(١)

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ فَتْوَحَ ، وإثباتُ جُمْلَةٍ مِنْ شِعْرِهِ فِي الْغَزَلِ وَالْمَدِيحِ

بَلَّغْنِي أَنَّهُ كَانَ يُعْرِفُ بِأَبْنِ صَاحِبِ^(٢) الْإِسْفِيرِ يَا^(٣) ، مِنْ مَشَاهِيرِ الْأَدَبَاءِ ،
وَلَهُ شِعْرٌ كَثِيرٌ إِلَّا أَنَّ إِحْسَانَهُ تَزَرَّيْسِيرٌ ، وَلَهُ تَأْلِيفٌ فِي الْأَدَبِ تَرْجَمَهُ بِكِتَابِ
« الْإِغْرَابِ »^(٤) فِي رَقَائِقِ الْآدَابِ » . وَرَفَعَهُ إِلَى الْمَأْمُونِ^(٥) بْنِ ذِي النُّونِ ،
وَتَصْنِيفُ آخَرُ سَمَّاهُ بِكِتَابِ « الْإِشَارَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ الرِّجَالِ وَالْعِبَارَةِ » . وَكِتَابُ
سَمَّاهُ « بُسْتَانُ الْمُلُوكِ » ، رَفَعَهُ إِلَى ابْنِ جَهْوَرٍ أَيَّامَ إِمَارَتِهِ بِقُرْطُبَةٍ . وَحَدَّثَ عَنْ
نَفْسِهِ أَنَّهُ صَحِبَ أَبَا حَفْصَ بْنَ بُرْدِ الْأَصْفَرِ ، وَجَاذَبَهُ أَذْيَالُ الْمَذَاكِرَةِ ، وَرَاكَضَهُ
أَفْرَاسُ الْمُحَاضَرَةِ ، حَتَّى وَقَفَهُ — بِزَعْمِهِ — الْبَدِيعُ^(٦) ، وَالْبَيَانُ عَلَى حَقِيقَتِهِمَا ،
وَوَضَحَتْ لَهُ جَادَّتُهُمَا ، وَعَرَفَهُ^(٧) أَنْجَاءَهُ وَكَاشَفَهُ أَجْزَاءَهُ ، قَالَ ابْنُ فَتْوَحَ : فَتَقَى
رُؤْمُنَا مَعْنَى أَطْلَقْنَا^(٨) عَلَيْهِ بُرَاةَ الْبَحْثِ ، وَأَخَذْنَاهُ أَحْسَنَ أَخْذٍ ، وَصِدْنَاهُ دُونَ
كَلَالٍ فَهَمٌ ، وَلَا نُبُوَّ لِسَانٍ ، إِلَّا أَنَّ أَبَا حَفْصٍ يَشِفُّ عَلَيْنَا جُمْلَةً فِي الْمُلْحِ
الْقِصَارِ أَضْعَافَ شُفُوفِنَا عَلَيْهِ فِي مُطَوَّلَاتِ الْأَشْعَارِ .

قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَابْنُ فَتْوَحَ هَذَا كَثِيرُ الْاهْتِدَامِ^(٩) لِأَشْعَارِ سِوَاهُ ، قَبِيحٌ

(١) كُنْيَتُهُ أَبُو الْحَسَنِ فِي كِتَابِ التَّكْمِلَةِ لِابْنِ الْأَبَّارِ رَقْمُ ١٥٥٢

(٢) ت : بِصَاحِبِ (٣) و : الْأُسْفَرِيَا

(٤) ت : الْأَعْرَابُ فِي رَقَائِقِ الْآدَابِ — و : دَقَائِقُ

(٥) ت : الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ وَفِي و : ابْنُ ذِي النُّونِ فَقَطْ

(٦) ت : عَلَى الْبَدِيعِ — و : مِنَ الْبَدِيعِ

(٧) ر : عَرَفَ ، وَيَلَاظِظُ أَنَّ السِّيَاقَ مُخْتَلَفٌ بَيْنَ التَّنْبِيَةِ وَالْأَفْرَادِ

(٨) ر : طَلَعْنَا — ت : أَطْلَعْنَا

(٩) ت : الْاهْتِدَامُ وَالْإِغْصَابُ وَالْإِخْطَافُ وَالْإِسْتِلَابُ

الأخذي في كل ما انتحاه^(١)، وشعره كثير البرد، وبين ابن برد من مسافة
البعد ما بين القطب الثابت، والقصب^(٢) النابت^(٣). وقد أثبت في هذا المجموع
من شعر الرجلين، ما يتبين به الصبح لدى عَيْنين. على أني ظلمت ابن برد
ولم أعديل، إذ لا يُمثل بينهما بأفضل^(٤).

جملة من شعر ابن فتوح في النسيب

قال :

قد^(٥) قضيب وبدر ديجور ونغر دُرّ ولحظ يَمفور
أزال صبرى وأى مُصطبر يبق لتلك الملاحظ الحور
كأنما نوره وثمرته مسك مشوب بذوب كافور

وقال أيضاً :

وقف العذار بخذه فحسبته ليلاً توقف وسط ضوء نهار
وتوردت وجناته فحسبته ناراً تلظى فوق ماء جار

وقال :

خلع الجمال عليك ثوب بهائه فغدوت تسحب ذيله متبخترا

(١) ر : التحاه — ت : انتاه (٢) و ، ت : والقطب

(٣) ز في ت ، لب : وأين مواقع السيل ، من مطالع سهيل « وهو معه كما يقابل
الصباح بمصباح ، ويبارى الرياح بجناح . وأكثر شعر ابن برد مليح السرد متمكن القوافي »
لا تكاد له قافية تخرج عن مركزها ؛ وقوافي ابن فتوح قلقة موضوعة في غير مكانها ، نازلة في
غير أوطانها .

■ هنا ينتهى خرم لب الذى أشرنا إليه في ص ٢٦٦ :

(٤) و ، ت ، لب : بأفعل

(٥) وردت هذه الأبيات الثلاثة قبل ذلك في ص ٣٩ من هذا المجلد .

فَكَأَنَّ خَذْلَكَ وَالْعَذَارُ بَصَحْنَهُ صُبْحٌ جَرَى فِيهِ دُجَى فَتَحَيَّرَا
وَمَا أَقْبَحَ هَذَا الْأَخْذَ ۖ فَإِنَّهُ لَفُظُ تَمِيمِ بْنِ الْمُعَزِّ حَيْثُ يَقُولُ :
مَا بَانَ عُدْرِي فِيهِ حَتَّى عَذَّرَا وَمَشَى الدُّجَى فِي صُبْحِهِ فَتَحَيَّرَا
وقال :

• وَلَمَّا أَحَسَّ اللَّيْلُ أَنِّي مُنَادِمٌ مُعَذِّبَ قَلْبِي بِالتَّجَنُّبِ وَالْمَجَرِّ
تَوَلَّى مُعِزًّا لَا يَقَرُّ كَأَنَّمَا يُعَايِنُ الْفَأَّ فَهُوَ فِي إِثْرِهِ يَجْرِي
فَمَا كَانَ مَا بَيْنَ الطُّفُولِ وَفَجْرِهِ كَمَا بَيْنَ جَفْنِ الْعَيْنِ فِي الطُّولِ وَالشَّفْرِ^(١)
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ فِي قِصْرِ اللَّيْلِ :

وليلة^(٢) مِنْ اللَّيَالِي الزُّهْرِ قَرَنْتُ فِيهَا بَدْرَهَا بِبَدْرِي
لَمْ تَكُ غَيْرَ شَفَقٍ وَفَجْرِ حَتَّى تَقْصَتْ وَهِيَ بِكُرِّ الدَّهْرِ
ولغيره في هذا المعنى :

يَا لَيْلَةً كَادَ مِنْ تَقْصُرِهَا يَعْتَرُّ مِنْهَا الْعِشَاءُ فِي السَّحَرِ
وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي قِصْرِ اللَّيْلِ وَطَوْلِهِ ، فَهُمْ مَنْ اسْتَهْدَفَ فَيَا وَصَفَ
وَمِنْهُمْ مَنْ عَدَلَ وَأَنْصَفَ ، كَقَوْلِ بَشَّارٍ :

لَمْ يَطْلُ كَيْسِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمَ وَتَقَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفُ أَلَمٍ
وَأِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ :

مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عَلَى الرَّاقِدِ وَأَهْوَنَ السُّقْمَ عَلَى الْعَائِدِ^(٣)
وَمَنْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْإِنْصَافِ ، لَوْ سَلِمَ لَهُ مِنَ الْإِسْتِلَابِ وَالْإِخْطَافِ ۖ قَوْلُ
ابْنِ بَسَّامِ الْبَغْدَادِيِّ :

(١) هـ ، ت ، لب : الشعر (٢) رواية البيت في ت ، لب :

وليلة من حسنات الدهر قابلت فيها بدرها بيدري

(٣) ورد هذا البيت منسوباً إلى ابن المعتز في ديوانه ص ٩٥

لَا أَظْلُمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي ۖ أَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَقُوزُ
لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ طَالَ وَإِنْ جَادَتْ فَلَيْلِي قَصِيرٌ
وهذا بِجَمَلَتِهِ مَنَقُولٌ، مِنْ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ الْخَلِيلِ، حَيْثُ يَقُولُ :

لَا أَظْلُمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي ۖ أَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَزُولُ
لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ قَصِيرٌ إِذَا جَادَتْ وَإِنْ ضَنْتُ فَلَيْلِي طَوِيلٌ ٥

وهذه السَّرِقَةُ كما قَالَ بَدِيعُ الزَّمَانِ فِي التَّنْبِيهِ عَلَى الْخَوَارِزْمِيِّ فِي بَيْتٍ أَخَذَ
وَزَنَهُ وَمَعْنَاهُ وَبَعْضَ لَفْظِهِ : إِنْ كَانَتْ قَضِيَّةُ الْقَطْعِ تَجِبُ فِي الرَّبْعِ ، فَمَا أَشَدَّ
شَفَقِي عَلَى جَوَارِحِهِ أَنْجَمَ ۖ وَلَعَمْرِي مَا هَذِهِ سَرِقَةٌ ۖ إِنَّمَا هِيَ مُكَابَرَةٌ مُحَضَّةٌ ۖ
وَأَحْسَبُ أَنَّ قَائِلَهُ لَوْ سَمِعَ هَذَا لَقَالَ : هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ؛ فَحَسِبْتُ أَنَّ
رَبِيعَةَ بْنَ مُكْدَمٍ وَعُتَيْبَةَ بْنَ الْحَارِثِ مَا كَانَا يَسْتَحِلَّانِ مِنَ النَّهْبِ مَا اسْتَحَلَّهُ ،
إِنَّمَا كَانَا يَأْخُذَانِ جُلَّهُ ، وَهَذَا الْفَاضِلُ قَدْ أَخَذَهُ كُلَّهُ . وَأَخَذَهُ عَلِيُّ بْنُ الْخَلِيلِ
مِنْ قَوْلِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ حَيْثُ يَقُولُ :

لَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَغْيِيرًا لِمَا صَنَعْتُ ۖ نَامَتْ وَقَدْ أَسْهَرَتْ عَيْنِي عَيْنَاهَا
فَاللَّيْلُ أَطْوَلُ شَيْءٍ حِينَ أَفْقِدُهَا ۖ وَاللَّيْلُ أَقْصَرُ شَيْءٍ حِينَ أَلْقَاهَا
وَابْنُ بَسَّامٍ فِي هَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ . ١٥

وَقَتَّى يَقُولُ الشِّعْرَ إِلَّا أَنَّهُ فِي كُلِّ حَالٍ يَسْرِقُ الْمَسْرُوقَا
رَجَعَ . وَقَالَ ابْنُ فَتْوَحَ :

وَحِلٍّ كَانَ يَأْلُفُنِي قَدِيمًا ۖ مُوَاصَلَةَ الصَّوَادِي ^(١) لِلْوُرُودِ
فَلَمَّا قُلَّ وَفَرِيَ صَارَ يَلْقَى تَحِيَّاتِي بِلَفْظٍ ^(٢) مِنْ بَعِيدٍ

(٢) ت ، لب : بلعظ

(١) ه : الصدى إلى

بَرْتُ إِلَى الْبَرِيَّةِ مِنْ إِخَاهُ كَمَا بَرَى الْمَسِيحُ مِنَ الْيَهُودِ
وقال :

رِيمٌ^(١) أَرُومُ الدَّهْرِ مِنْهُ عَلَى رَغِمَ الْعِدَا قُرْبًا فَمَا أَقْدِرُ
كَأَنَّمَا غَرَّتْهُ تَحْتَهَا مَا عَلَيْهِ صَارُمٌ يُشْهَرُ
كَأَنَّمَا حُمِرَتْهُ^(٢) إِذْ بَدَتْ مِنْ فَوْقِهَا نَارُهَا تُسْعَرُ
كَأَنَّمَا وَالشَّدْعُ قَدْ شَابَهَا ذَوْبُ عَقِيقٍ شَابَهُ عَنَبُ
كَأَنَّمَا يَهْتَرُّ مِنْ بُرْدِهِ غُصْنٌ بِيَدْرِ سَاطِعٍ مُثْمَرُ
كَأَنَّمَا اللَّهُ لَتَعْدِيْدِنَا أَلْبَسَهُ الْحُسْنَ وَلَا أَكْثَرُ

قال ابن بسام :

وَتَشْبِيهُهُ صَفَاءَ الْوَجْهِ وَحُمِرَتْهُ : بصفاء الماء وحُمرة النار من مُبْتَدَلَاتِ^(٣) ١٠
الأنفاظ ، ومُتَدَاوِلَاتِ الْمَعَانِي ، وما أُمْلِحَ قول محمد بن هاني .

افْتِكُ بِهَذَا السَّامِرِيُّ السَّاحِرِ وَأَذْفُهُ طَعْمُ الْمَشْرِفِ الْبَاتِرِ
كَمْ قُلْتُ إِذْ نَزَّهْتُ فِي وَجَنَاتِهِ طَرْفِي فَمَا رَجَعْتُ إِلَى مَحَاوِرِ
ذَا وَيَحْكُمُ مَا وَجْهٌ مُحْرِقٌ فَقَدْ اسْتَفْقَيْتُ وَمَا تَرَوَى نَاطِرِ

وأخذه ابن هاني من قول تميم بن المَعَرِّ : ١٠

وَبَارِزَةٌ بَيْنَ أَحْبَارِهَا بُرُوزَ الشَّمُوسِ لِإِسْفَارِهَا
وَقَدْ فَصَلَتْ بَيْنَ ثَقَلِ الْكَثِيهِ بَ وَلَيْنِ الْقَضِيْبِ بَرُنَّارِهَا
تَرَى الْمَاءَ وَالنَّارَ فِي وَجْهِهَا قَدْ امْتَزَجَا بَيْنَ أَبْشَارِهَا
فَلَا النَّارُ تَعْدُو عَلَى مَائِهَا وَلَا الْمَاءُ يَعْدُو عَلَى نَارِهَا

(١) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، ب

(٢) ر ، ت ، ب : حمرتها

(٣) وه : متداولات

وقول ابن فتوح « غُصْنٌ بِبَذْرِ مُثْمَرٌ » كقول بعض البصريين
 بأبي قضيبٍ مَثْمَرٌ إثمَارُهُ بَذْرُ الدُّجَى
 لَمَّا بَدَأَ لِي سَافِرًا عَنْهُ نَقَدْتُ^(١) لَهُ الْحِجَى
 وقال ابن وكيع :

غُصْنٌ ظَلَّ مُثْمَرًا بَبَذِيرٍ مِنَ الثَّمَرِ
 مَا رَأَى النَّاسُ قَبْلَهُ غُصْنًا أُنْمَرَ الْقَمَرِ
 وقال أبو الوليد بن زيدون القرطبي :

عُذْرِي إِنْ عُدِلْتُ فِي خَلْعٍ عُذْرِي غُصْنٌ أَثْمَرَتْ ذُرَاهُ بِبَذْرِ
 هَزَّ مِنْهُ الصَّبَا فَمَوَّمَ شَطْرًا وَتَجَافَى عَنِ الْوِشَاحِ بِشَطْرِ
 ١٠ وقول ابن فتوح « كَأَنَّمَا اللَّهُ لَتَعْذِينَا » البَيْتُ ... يَنْظُرُ إِلَى بَيْتٍ مِنْ
 جُمْلَةِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِتَعْمِيمِ بْنِ الْمَعِزِّ حَيْثُ يَقُولُ :

وَسَاقٍ يَمْلَأُ الْعَيْنَيْنِ حُسْنًا رَخِيمٌ دَلَّهُ يَصْبُو وَيُصْبِي^(٢)
 شَفَاقٌ خَدَّهُ بِاللَّحْظِ تُسْبِي وَلَحْظٌ جُفُونَهُ بِالْعُجْجِ يَسْبِي
 لَهُ نَبَتٌْ عَلَى الْخَدَّيْنِ غَضٌّ يُصْنَفُهُ فَيُتْلَفُ كُلُّ لُبٍّ
 ١٥ تَبَارَكَ مِنْ بَرَاهُ بِلَا شَبِيهِ وَسَلَطَهُ عَلَى قَتْلِ الْمُحِبِّ
 وقال ابن فتوح

^(٣) وَمُدَامَةٍ صَفْرَاءَ عَلَانِي بِهَا رَشَاءٌ كَغُصْنِ الْبَانِ فِي حَرَكَاتِهِ
 صَهْبَاءَ تَغْرُبُ إِنْ بَدَتْ مِنْ كَفِّهِ فِي فِيهِ ثُمَّ تَلُوحُ فِي وَجَنَاتِهِ

(١) ت ، لب : نبذت — و : نقدت (٢) و : يصبي ويطي

(٢) ورد هذان البيتان في هذا المجلد ص ٨٢ غير منسوبين لأحد

وهذا كقول^(١) الآخر :

بَدْرٌ بَدَا يَشْرَبُ شَمْسًا بَدَتْ وَخَذُّهَا فِي الْحُسْنِ مِنْ خَدِّهِ
تَغْرُبُ فِي فِيهِ وَلَكِنَّهَا مِنْ بَعْدِ ذَا تَطْلُعُ فِي خَدِّهِ
وقال الطليق المزواني المتقدم الذِّكْرُ^(٢) :

فَإِذَا مَا غَرَبَتْ فِي فِيهِ أَطْلَعَتْ فِي الْخَدِّ مِنْهُ شَفَقًا

وقال ابن فتوح :

نَاوَلَنِي الْكَاسَ عَلَى غَفْلَةٍ مَنْ مَلَأَتْ الْحَاضِلَ الْكَاسُ^(٣)
ظَنُّنِي إِذَا مَا شَمْتُهُ شَارِبًا ذَكَرَنِي شَارِبُهُ الْآسَا
وهذا مِنْ قَوْلِ ابْنِ بُرْدٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ^(٤) :

يَا شَارِبًا أَلْتَمَنِي شَارِبًا قَدْ هَمَّ فِيهِ الْآسُ أَنْ يَنْبُتَا
وكذا بَيَّنَّهُ الْأَوَّلُ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ :

يَا رَبِّ سَاقٍ يُدِيرُ كَأْسًا تَمَلَّؤُهُ فِي الْهَوَى جُفُونُهُ
كَأَنَّمَا قَدَّهُ قَضِيبٌ يَلْهُو^(٥) بَلْبٌ اللَّيْبِ لَيْنُهُ

وَحَدَّثَ ابْنُ فَتَوْحٍ هَذَا عَنْ نَفْسِهِ قَالَ :

مَا شَيْتُ غُلَامًا مَعْدَرًا كُنْتُ قَدِيمَ الْإِمْتِزَاجِ بِهِ ، وَالْكَلْفُ بِقُرْبِهِ ، فَلَقِيَنِي
بَعْضُ إِخْوَانِي مَعَهُ^(٦) فَقَالَ لِي : مِثَالُكَ فِي عَصْرِ نَا مِثَالُ ذِي الرُّثْمَةِ فِي وَقْتِهِ .

(١) ت ، لب : من قول الآخر

(٢) ز في ت ، لب : في شعر تقدم لإنشاده (راجع ص ٨٢ من هذا المجلد)

(٣) القافية بالرفع في ر (٤) راجع الذخيرة ص ٤١ من هذا المجلد

(٥) و ، ت ، لب : يهفو (٦) ز في ت ، لب : في جوف المسجد الجامع

فسلم على مضمرا خبرا ثم قال لي ...

تَقْنَعُكَ الْأَطْلَالُ ، وما دَثَرَ^(١) من الدِّيارِ ! فَفَهِمْتُ عَنْهُ ، وَأَنْشَدْتُهُ قَبْلَ أَنْ
يَسْتَتِمَّ كَلَامَهُ .

مَارْبَعُ مَيَّةٍ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًّا مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ^(٢)
فَقَالَ : إِلَى مَتَى يَدُومُ غِرَامُكَ بِهَذَا الْغَلَامِ ، وَهَذِهِ بُنُودُ عَزْلَتِهِ^(٣) قَدْ رُفِعَتْ ،
وَعُقَدَاتُ خَلْعَتِهِ قَدْ عُقِدَتْ ؟ فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ مَا أَرَى بُنُودَ عَزْلَةٍ ، وَلَا عُقَدَاتِ
خَلْعَةٍ ، وَإِنَّمَا أَرَى لَامَاتِ مِسْكِ فِي صَحِيفَةٍ كَافُورٍ ، وَسُطُورَ دُجَى فِي مَهَارِقِ
نُورٍ ، فَوَلَّى عَنِّي . وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

أَيُّهَا الْعَـانِدُ الْمَفْنَدُ جَهْلًا فِي هَوَى مَنْ قِوَامُ نَفْسِي هَوَاهُ
أَنْتَ تَلْحَى عَلَى قَضِيبِ لَجِينٍ عَطَفْتَنِي عَنْ غَيْرِهِ عِطْفَاهُ
كَانَ صُبْحًا لِعَاشِقِيهِ فَلَمَّا بَقَلْتُ صَفْحَتَاهُ أَعَشَى^(٤) سَنَاهُ
مِثْلَ ضَوْءِ الْهَلَالِ يَزْدَادُ ضِعْفًا نُورُهُ إِنْ دَجَّتْ لَهُ أَفْقَاهُ
وَقَالَ أَيْضًا :

نَشَرَ الْغَامُ رِدَاءَهُ فَتَقَنَّنَتْ خَجَلًا بِهِ لِلنَّـاظِرِينَ ذُكَا
فَكَأَنَّهُ سِتْرٌ تُشِيرُ بِمَقْلَةٍ مَطْرُوفَةٍ مِنْ خَلْفِهِ عِذْرَاهُ
وَكَأَنَّهَا إِذْ مَدَّ^(٥) مِنْ تَحْتِهَا سِرٌّ تَضِيقُ بِكُتْمِهِ الظَّالِمَاءُ
وَهَذَا كَقَوْلِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ :

نَهَارُ لَاحٍ فِي سِرِّبَالٍ لَيْلٍ فَمَا عُرِفَ الرِّوَّاحُ مِنَ الْبُكُورِ
وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَرْنُو مِنْ بَعِيدٍ رُنُوءَ الْبِكْرِ مِنْ خَلْفِ الشُّتُورِ

(١) ت : لب : وما شخص من آثار الدار (٢) راجع ديوان أبي تمام ص ١٦

(٣) و ، ت ، لب : عزله ... خلعه (٤) ت ، لب : أغشى

(٥) ر : مدّها من تحته

وابن المعتز القائل قبلهما :

تَظَلُّ الشَّمْسُ تَرْمُقُنَا بِطَرْفٍ خَفَى لِحَظُهُ مِنْ خَلْفِ سِتْرٍ^(١)
تُحَاوِلُ فَتَقْ غَيْمٍ وَهُوَ يَأْنِي كَعَيْنٍ يُحَاوِلُ نَكْحَ بَكْرٍ
وتابعه ابن الرومي فقال^(٢) :

واليوم مَدَّجُونُ فَجَوْنَهُ مَا بَيْنَ مُطْلَعِ^(٣) وَمُحْتَجَبِ
ظَلَّتْ تُلَاحِظُهُ^(٤) وَقَدْ بَعَثَتْ ضَوْءًا يُلَاحِظُنَا بِلَا لَهَبِ
ومحمد بن سيق^(٥) من غلمان ابن أبي عامر :

فَكَانَ الشَّمْسُ بِكْرٌ حُجِبَتْ وَكَانَ الْغَيْمُ سِتْرٌ قَدْ سُدِلَ
وقال ابن فتوح يصف الشمع :

ولما دَجَا الْأَفُقُ^(٦) وَاغْرَوْرَقَتْ كَوَاكِبُهُ وَسَطَ لُجِّ الشَّحْبِ
نَصَبْنَا لَهُ قُضْبًا صَاغَهَا مِنَ التَّيْرِ صَاغَهَا لِلْعَجَبِ
ودارتْ نُجُومٌ مِنَ الرَّاحِ فِي بَرْوَجِ التَّصَابِي^(٧) بِأَفْقِ الطَّرَبِ
وهزَّ نَسِيمُ الصَّيْبِ غُصْنَهُ^(٨) وَقَامَ خَطِيبُ الصَّيْبِ فَاخْتَطَبَ
تَجَهَّمَ وَجْهُهُ السَّمَاءَ إِذْ رَأَى سُورَ الْوَرَى بِتَهَادِي النَّخَبِ
كَأَنَّ السَّحَابَ بِهِ إِذْ بَدَتْ بِخَافٍ عَلَى غَيْمِهَا تَرْتَكَبِ
تَسِيرُ وَيَقْرَعُهَا رَعْدُهَا لَتَعْدُو بِسَوْطٍ لَهُ مِنْ ذَهَبِ

(١) لم نعر على البيت في ديوان ابن المعتز (٢) راجع ديوانه ج ١ ص ١١٩ والرواية فيه مخالفة

(٣) ت ، لب : مطلوع (٤) ه ، ت ، لب : تلاحظنا

(٥) ه : منير — ت ، لب : منيق — والقاف غير معجمة في (٦) ت ، لب : الليل

(٧) رسم الكلمة في « التهاوي » (٨) ت ، لب : عطفه

وهذا كقول ابن بُرْدٍ وقد تقدّم إنشاده (١) :

بَخَاتِي تَوَضِّعُ فِي سَيْرِهَا ۖ وَقَدْ قُرِعَتْ بِسَيَاطِرِ الذَّهَبِ

وقول ابنِ فَتُوحٍ (٢) فِي صِفَةِ الشَّمْعِ مِنْ قَوْلِ أَبِي الْفَضْلِ الْمِكَالِي :

وَلَيْلُ كُلُّونِ الْهَجْرِ أَوْ ظُلْمَةُ الْخَيْرِ نَصَبْنَا لِدَاجِمِهِ عُمُوداً مِنَ التَّبَرِّ

يَشُقُّ جَلَابِيبَ الدُّجَى فَكَأَنَّمَا نَرَى بَيْنَ أَيْدِينَا عُمُوداً مِنَ الْفَجْرِ (٣)

تَبَدَّى لَنَا كَالْغُصْنِ قَدْ أَفْوَقَهُ شُعَاعٌ كَأَنَّا مِنْهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ

تَحْمَلُ نُوراً حَتْفُهُ فِيهِ كَأَمِنْ وَفِيهِ حَيَاةُ الْأَنْسِ وَاللَّهُوِ لَوْ يَدْرِي

تَرَاهُ يَدِبُ الدَّهْرُ فِي بَرِي نَفْسِهِ وَقَدْ كَانَ أَوَّلَى أَنْ يَرِي شَوْلاً (٤) يَهْرِي

إِذَا مَا عَرَّتْهُ عِلَّةٌ قَدْ رَأَسُهُ فَيَخْتَالُ فِي ثَوْبٍ جَدِيدٍ مِنَ الْعُمَرِ

وهذا كقول ابنِ الْمُعْتَزِّ (٥) :

وَصَفَرَاءُ تَوْنِسُ جُلَاسِهَا بِقَدْرٍ يُقَطِّعُ أَنْفَاسَهَا (٦)

تَبَيَّتْ تُقْضَى لِبَنَاتِنَا وَتُعْمَلُ فِي نَفْسِهَا بِاسْمِهَا

وَلَمْ أَرَ مِنْ قَبْلِهَا مِثْلَهَا تَعِيشُ إِذَا قَطَعُوا رَاسَهَا

وهذا المعنى يتطوّر قولُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ (٧) :

أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا

صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبَتْ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وقال بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِنَا وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مَرْزُقَانَ يَصِفُ شَمْعَةً قَدْ أَقِيمَتْ

بِجَانِبِ مُطَيِّبِ نَرْجِسٍ :

(١) راجع هذا المجلد ص ٤٦

(٢) ابنِ الْفَتْوحِ

(٣) هذا البيت لم يرد في ت، ب

(٤) ت، ب : وَأَنْ

(٥) لم نجد هذه الأبيات في ديوان ابنِ الْمُعْتَزِّ

(٦) لم يرد هذا البيت في ر، هـ

(٧) راجع الديوان ص ١١١

وشمعتين يرفق الشرب حسنها^(١) نورٌ ونارٌ مجالٌ فيهما البصرُ
فذى تموت إذا ما نالها^(٢) بللٌ وذلك يحيى إذا ما عمه المطرُ
وقال^(٣) في جارية كان في يديها شمعَةٌ

يا شمعةً تحملها أخـرى شبهتها شمساً علت بدرًا
امتحنَت إحداكـما^(٤) مهجتي بمثل ما تمتحن الأخرى
وقال أيضًا غيره من أهل العصر^(٥) :

وقد أنهبوا جُنج الدجى كلَّ شمعةٍ كأن سناها من محيائك أو فكري
بآية ما تبكى في النار صذرُها وقد خمدت^(٦) عيناى والنار فى صدرى
وقد نصبوها رزْدقاً بعد رزْدقٍ كما أشرعوها تحت ألوية الخمر^(٧)

وهذا كقول أبي الفضل البغدادي من جملة أبيات تأتي في أخباره من

القسم الرابع :

فنارك من جمرٍ ونارى من هجرٍ وصدرُك في نارٍ ونارى في صدرى
وقال أبو الفضل الميكالى :

يارب غصنٍ نورُهُ يزرى بنور الشفق
يظل طـول عمره يبكى بجفنٍ أرق

١٥

(١) ت ، لب : بينهما (٢) ر : بلها

(٣-٣) عبارة ت ، لب : ووقفت على رأس ذى الوزارتين ابن خلدون وصيفة في يدها شمعة فقال :

(٤) ت ، لب : إحداها

(٥-٥) عبارة ت ، لب : وقال أبو جعفر ابن هريرة التطيلي (٦) ه : جدت

(٧) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب . ولفظ « كما » غير واضح تماماً في بالاصلين

صُفَرَتْهُ نُخْبِرُ عَنْ عِشْقٍ وَلَمَّا يَفْشِقُ
نَارُ الْمُحِبِّ فِي الْحَشَا وَنَارُهُ فِي الْمَفْرِقِ
لَا حَ لَنَا فِي مَغْرِبٍ فَرَدْنَا فِي مَشْرِقِ^(١)
^(٢) وقال أيضا فيها :

أَعَدَدْتُ لِلَّيْلِ إِذَا اللَّيْلُ غَسَقَ
وَقَيَّدَ الْأَحْظَاظَ مِنْ دُونِ الطَّرِيقِ
قُضْبَانِ تَبْرِ عَرِيَّتٍ مِنَ الْوَرَقِ
يُغْنِي النَّدَامَى ضَوْءَهَا عَنِ الْفَلَقِ
شِفَاؤُهَا إِنْ مَرَضَتْ ضَرْبُ الْعُنُقِ

وقال :

١٠

وَقُضِبَ مِنْ نَبَاتٍ^(٣) النَّعْجِ لِي فِي قَدِّ الْكَعَابِ
يُشَبِّهُهُ الْعَاشِقُ فِي لَوْنٍ وَدَمْعٍ وَالتَّهَابِ
كَمَيِّ الْبَاطِنُ مِنْهُهُ وَهُوَ عُرْيَانُ الْإِهَابِ
فَإِذَا مَا أَنْعَمَ الْأَبْدَا نَ مَلْبُوسُ الثِّيَابِ
فَهُوَ لِلشَّقْوَةِ [مِنْهَا] فِي بَلَاءٍ وَكَذَابِ

١٠

وقال الأسعد بن بليطة :

لَنَا شَمْعَةٌ نِيْطَتْ ذُرَاهَا بِشُعْلَةٍ كَحَيَّةٍ تَبْرِ نَضْنَضَتْ بِلِسَانِهَا
إِذَا عَثَرَ السَّاقِ بِذَيْلٍ مِنَ الدَّجَى نَحْرُنَا لَهُ نَحْرُ الدَّجَى بِسِنَانِهَا

(١) هذا البيت ناقص في م

(٢) هذه المقطوعة والمقطوعتان التاليتان لم تردا في ت . لب . وفي النسختين تقديم وتأخير

(٣) يَحْتَمَلُ أَنْ تَقْرَأَ فِي الْأَصْلَيْنِ « نَبَات » أَيْضاً

تَمَوْتُ إِذَا مَا قَبَلْتُ خَذَّ حَائِطٍ فَتَثَبْتُ خَالًا فَوْقَهُ مِنْ دُخَانِهَا
كَأَنَّ الْجِدَارَ امْتَصَّ جَوْهَرَ رُوحِهَا وَلَمْ يَسْتَسِغْ مِنْهَا سُوَيْدًا جَفَانِهَا
وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ (١) :

وصفراء لَوْنٌ (٢) الْقَبْرِ مِثْلِي جَلِيدَةٌ عَلَى نُوبِ الْأَيَّامِ وَالْعَيْشَةِ الضَّنْكَ
تُرِيكَ ابْتِسَامًا دَائِمًا وَتَجَلَّدَا وَصَبْرًا عَلَى مَا نَالَهَا وَهِيَ فِي الْهَلَاكِ
وَلَوْ نَطَقْتَ يَوْمًا لَقَالَتْ مُحَقَّةٌ تَخَالُونَ أَنِّي مِنْ حِذَا رِ الرَّدَى أَبْكِي (٣)
فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْحِدٍ وَجِدْتُهُ فَقَدْ تَدَمَّعُ الْعَيْنَانِ مِنْ شِدَّةِ الضَّحْكِ
وَقَالَ ابْنُ فَتَوْحٍ وَقَدْ اسْتَهْدَى مَقْصًا (٤) :

خُذْهَا إِلَيْكَ فَإِنَّهَا مَحْلُوقَةٌ مِنْ فِطْنَةٍ مَشْبُوبَةٍ وَذَكَاءِ
تَحْكِيكَ فِي دَفْعِ الْمُهَمِّ (٥) لَأَنَّهَا وَلَعْتُ بِشَقِّ حَفَاجِرِ الْأَعْدَاءِ ١٠

قَالَ ابْنُ بَسَامٍ : وَقَدْ نَهَى بَعْضُ الظُّرَفَاءِ الْأَدْبَاءَ عَنْ إِهْدَائِهَا وَاسْتِهْدَائِهَا ،
قَالَ الْفَقِيهُ ابْنُ قَالُوصٍ (٦) فِي ذَلِكَ :

إِعْطَاءٌ مِثْلِي لِلْمَقْصِ نَقِیْصَةٌ وَأَرَى إِعَارَتَهَا أَجَلَ الْعَارِ
إِنَّ الْمَقْصَ حَكَتْ بِصُورَةٍ شَكْلُهَا «لَا» وَالْجَوَادُ بِ«لَا» لَثِيمُ نِجَارِ

وَهَذَا مِنَ الْإِخْتِرَاعِ الْبَدِيعِ ، وَالتَّشْبِيهِ الْمَطْبُوعِ . وَتَشْبِيهُ ابْنِ فَتَوْحٍ ١٥

(١) راجع سقط الزند (ج ٢ ص ١٣٦) (٢) وه : مثل النير لونا

(٣) هذا البيت ناقص في ت ، لب (٤) ز في ت ، لب : فبعت بها وكتب معها

(٥) وه ، ت ، لب : الملم (٦) وه : قلووص

صَدِيقَهُ بِالْمَقْصُودِ مِنَ الْوَصْفِ الْقَبِيحِ^(١) ، وَمَتَى كَانَتْ الْمَقْصُودُ تَشَقُّ الْحَنَاجِرُ^(٢) ،
كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ الْآخِرِ وَهُوَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

وَمَا تَكَلَّمْتَ إِلَّا قُلْتَ فَاحِشَةً كَأَنَّ فَكَّيْكَ لِلْأَعْرَاضِ مِقْرَاضُ

^(٣) وَلَمْ أَسْمَعْ فِي الْمَقْصُودِ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرَّومِيِّ أَيْضًا يَصِفُ قَوَادِمَ :

تَسْعَى لِكَيْ تَجْمَعَ وَسَطِيهِمَا كَأَنَّهَا مِسْمَارُ مِقْرَاضِ

وُسَمِّتِ الْمَقْصُودَ لِمُلازِمَتِهَا الْقُصَاصَ ، وَهُوَ أَطْرَافُ الشَّعْرِ . وَقَالَ ابْنُ فَتَوْحٍ
فِي صِفَةِ نَحْلَةٍ :

وِطَائِرُهُ تَخْفَى كَأَنَّ جَنَاحَهَا ضَمِيرٌ خَفِيَ لَا يَحْدُدُهُ وَهْمُ

مُنَافِرَةٍ لِلْإِنْسِ تَأْنِسُ بِالْفَلَا مُرْقِرَةً لِلشَّهْدِ مِنْ بَعْضِهَا الشَّمُ

فَإِذَا نَاقَهَا رُشْدٌ وَهَتَّكُ حِجَابِهَا إِذَا احْتَجَبَتْ فِي غَيْرِ إِبَانِهَا ظُلْمُ ١٠

^(٤) وَحَدَّثَ ابْنُ فَتَوْحٍ أَيْضًا عَنْ نَفْسِهِ قَالَ : كُنْتُ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ

أَطُوفُ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالْمَرْيَةِ سَنَةً ثَلَاثِينَ ، وَإِذَا فَتَى حَسَنُ الْمَنْظَرِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ

سَلَامًا ارْتَاحْتُ لَهُ نَفْسِي ، وَانْشَرَحَ لَهُ صَدْرِي ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ رَدًّا مَنْ تَوَسَّمُ

فِيهِ سِمَةَ الْفَهْمِ ، فَقَالَ لِي : بِحُرْمَةِ الْأَدَبِ إِلَّا مَا أَعْدَدْتَ عَلَى الْبَيْتِ ، فَأَعْدَدْتُ

وَأَنْشَدْتُ سَائِرَ الْأَبْيَاتِ ، فَقَالَ : الشَّعْرُ إِثْمٌ ، [ثُمَّ] قَالَ لِي : إِنَّمَا أَخَذْتَهُ مِنْ قَوْلِ

الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ^(٥) :

(١) ز ف ت ، لب : مما مال فيه إلى العقوق « وعدا به عن سواء الطريق

(٢) ز ف ت ، لب : وتحر الحرائر « كذا »

(٣) ز ف ت ، لب : وهذا بالمقصود أشبه وعلى تفاهة قدره أنه

(٤) من هنا إلى آخر الترجمة لم يرد إلا في نسخة ت ، لب

(٥) لم نعثر على البيتين في ديوانه

- وأحسن أيام الهوى يومك الذي تروّع بالهجران فيه وبالعتب
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضاء فأين حلاوات الرسائل والكُتب؟
- فقال: وريت بك زنادي، فأخبرني عن السبب الموجب لترديدك البيت،
قلت له: منيت بخيل مولع بالخلاف، مائل إلى قلة الإنصاف، إن لا ينته
غضب، وإن استعنته عتب، وقد علم الله شفقة نفسي لفرقتي! فقال: قلب •
الله لك قلبه، وجنبك عتبه اثم ولي عني وقد غرس في كبدي ثمرة وده •
فبيت الليلة مستأنساً بخياله، جذلان بوصاله • حتى رأيت غرة الفجر تلمع في
كفل الدجى • فخلته بجرأ تسرب فيه جدول، أو عجاجاً سل من تحته منصل،
فقت (١) بانياً على قصوده فلم ألبث أن سمعته ينشد ويطلب منزلي، فقرع
الباب وأذنت له فدخل، فرحبت به، وقمت إليه، وأقبلت عليه؛ فقال لي: ١٠
يا ابن السكرام! إن هذا يوم قد بكى ماء غيمه، ونبض عرق برقه، وخفق
قلب (٢) رعه، واغرورت مقلته أفقه • ونحن لا نجد الخمر، فيم نقطع تأويله؟
فقلت: الرأي إلى سيدي أبقاه الله، فقال لي: كيف ذكرك لرجال مصرك،
ووقوفك على شعراء عصرك؟ قلت: خير ذكر. فقال: من أعذبهم لفظاً •
وأرجحهم وزناً؟ قلت: الرقيق حاشية الظرف، الأنيق ديباجة اللطف • ١٥
أبو حفص ابن برد. قال: فمن أقوام استعارات، وأصحهم تشبيهات؟ قلت:
البحر العجاج • والسراج الوهاج، أبو عامر ابن شهيد. قال: فمن أذكرهم
للأشعار، وأنظمهم للأخبار؟ قلت: الحلو الظريف • البارع اللطيف •

(١-١) كذا في لب. وفي ت: قصوره

(٢) في الأصلين: علب

أبو الوليد بن زيدون . قال : فمن أكلهم بالبديع ، وأشفهم بالتقسيم والتتبيع ؟
قلت : الراجع في روضة الحسب ، المستطيل بمرجه الأدب ، أبو بكر
يحيى بن إبراهيم الطنفي^(١) ، فأنشد :

وخطب قسًا في عكاظٍ محاوراً على البعدِ سخباناً فافحمه قس^(٢)

• فصل في ذكر الأديب أبي بكر بن ظهارة^(٣) وإثبات جملة

مما وجدت له من الأشعار

وكان أبو بكر هذا من فتيان الأدباء في ذلك الأوان ، ثم اعتبط وماله
معرفة غير ممتاح ، ورُكن إبداعه غير مراح^(٤) ، في شرنخ شبيبته وأوان
ظهوره ، ولولا ذلك لبزأه أهل عصره^(٥) . وأكثرت ما وجدت من شعره في مدح
أبي المغيرة بن حزم ، إذ كان قد ميزه تمييز مثله من صيغار فقو النثر والنظم .
وحدثت عن بعض من جعل الانتجاع بهذا العلق الذي نحن في إقامة أوده^(٦)
من أجل ذخائره وعدده^(٦) ، أنه انتجع أبا بكر بن ظهارة ، وكان^(٧) من ذوي
الإقتار . وقصده في ذلك بخمسة أبيات^(٨) شعر سقطت من ذكرى ، فباع

(١) لب : الطنفي (٢) لب : قس ، والكلمة غير واضحة تماماً في ت

(٣) لب : ظهارة (٤) ر : مزاح

(٥) ت ، لب : لبزأه أهل الآفاق ، رقة وحسن مساق

(٦-٦) ر في ت ، لب

(٧) ت ، لب : وكان من الإقلال في غاية ومن قلة ذات اليد في نهاية

(٨) ر في ت ، لب : أنشدتها

ابنُ ظَهَارٍ ثوبَهُ وَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِشَمْنِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى مُسْتَمْنَحِهِ بِهِذِهِ الْأَبْيَاتِ :

يَعِزُّ عَلَى الْآدَابِ أَنَّكَ رَبُّهَا وَأَنَّكَ فِي أَهْلِ الْغِنَى خَامِدُ النَّارِ
وخمسة أبياتٍ كأنَّكَ قُلَّتْهَا بهاء وإشراقاً مِنَ الْقَمَرِ السَّارِ
طَلَبْتُ لَهَا كُفَيْتاً كَرِيماً مِنَ الْقَرَى فَقَصَّرَ بَاعُ الْمَالِ عَنْ نَيْلِ أَوْطَارِ
سِوَى فَضْلِهِ لَا تَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهَا وَأَقْلِلْ بِهَا لَوْ أَنَّهَا أَلْفُ دِينَارِ
بعثتُ بها لَا رَاضِياً لَكَ بِالَّذِي بعثتُ به إِلَّا فِرَاراً مِنَ الْعَارِ
ومن شعرِ ابنِ ظَهَارٍ قَوْلُهُ :

وَاللَّهِ مَا أَرَبِي ^(١) مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا الْمُدَامُ وَوَجْهُ مَنْ أَهْوَى
فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى صَفَائِهِمَا ^(٢) لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ وَلَا دَعْوَى

وقال :

صَبَبُوا غِلَالَتَهُ بِحُمْرَةِ خَدِّهِ وَكَسَوْهُ ثوباً مِنْ لَمَى شَفَتَيْهِ
فَتَخَالَه فِي ذَا وَتِلْكَ كَأَنَّمَا نُثِرَ الْبَيْنُفَسَجُ وَالشَّقِيقُ عَلَيْهِ

وقال :

مَنْ لِي بِدَانِي الْمَحَلِّ نَاءً تَرَاهُ عَيْنِي وَلَا أَنَالَهُ
لَا وَصَلَ لِي مِنْهُ غَيْرَ أَتَى أَقُولُ لِلنَّاسِ كَيْفَ حَالَهُ

وقال :

عَلَّلَانِي فَأَنَّمَا أَنَا حَيْثُ جَادَرَوْضَ الْهَوَى مِنْ الْوَصْلِ غَيْثُ
وَكُنَّ الظُّلَامَ لَمَّا تَوَلَّى نَمِرٌ رَاعِيهِ مِنَ الْفَجْرِ لَيْثُ

(١) ت ، لب : أمل

(٢) ت ، لب : صفاتهما

وقال :

أَمَا تَرَى بِذَرِّ الدُّجَى ^(١) مُشْرِقًا يَضْحَكُ مِنْ نُورٍ بِلَا ضِجْكَ ؟
كَأَنَّمَا يَنْشُرُ مِنْ نُورِهِ فِي الْأَرْضِ كَافُورًا عَلَى مِسْكَ

وقال :

إِذَا أُرِدْتَ صَبَاحًا فَانْظُرْ إِلَى وَجْهِ سَاقِيكَ
فَقَدْ أَطْلَتَ سُؤَالَ يَا قَوْمُ هَلْ غَرَّدَ الدِّيَكُ
مَاذَا تُرِيدُ بِصُبْحٍ أَوْ أَيْنَ تَرَقَّى أَمَانِيكَ
وَاللَّيْجُومِ مَدَارُ عَلَيْكَ وَالْبَدْرُ يَسْقِيكَ

فصل في ذكر الأسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة

١٠ ^(٢) سرَدَ المعاني أحسن السرَد ، وافترَسَ المعالي كالأسدِ الورد ، فأبرزَ دُرَرَ
الحاسن من صدَفِها ، وأحرَزَ ماشاء من نحرِ الأجادَةِ وشرفِها ^(٢) ، وأظنَّه ^(٣) كان
من حضرةِ قُرْطَبَةَ وتردَّدَ ببلادِ ^(٤) المغرب ، وكان في وقتِه أحدَ الغرائب ، وأعجوبة
في عُيُونِ العجائب ؛ عالمٌ بما يَرِيشُهُ وَيَبْرِيه ، على لُوثَةٍ — زعموا — كانت
فيه ؛ وكان بعيدَ الهِمَم ، بليغاً بالسَّيفِ والقلم ، تردَّدَ ^(٥) على ملوكِ الطوائفِ
١٥ بالأندلس ، فارسَ جَحْفَل ، وشاعِرَ مَحْفَل ، فخرى في الميْدَانين ، وارتزَقَ في

(١) ت ، لب : وجه الدجى (٢-٢) لم ترد هذه الفقرات إلا في نسختي

ت ، لب وهي بنصها مع خلاف يسير في أول ترجمة ابن بليطة بالمطمح ص ٨٣

(٣) ت ، لب : وأصله

(٤) ت ، لب : وتردد بأقطار الجزيرة شرقاً وغرباً وكان بها إحدى ...

(٥) وفد

الديوانين ، ولم أظفر من شعره في حين إخراجي ^(١) هذه النسخة من هذا المجموع
إلا بقليله ؛ ولا يأس — بحمد الله — من الزيادة ^(٢) فيه :

ما أخرجته من شعره في النسيب وما يناسبه من الاوصاف :

قال :

لو كنت شاهدنا عشيّة أمسينا والمزن تبكيننا بعيني مُذنب
والشمس قد مدت أديم شعاعها في الأرض تجنح غير أن لم تذهب
خلت الرذاذ برادة من فضة قد غرّبت من فوق نطع مذهب

وقال :

ظلت به والدموع جارية أقبل الجيد منه والليت
تقطر دُرّاً حتى إذا وردت روضة خديه عدن يا قوتا ١٠
وهذا من قول الحسن « وزاد في التشبيه ، فأجاد ما أراد فيه ، وهو :
وقد غلبتها عبرة فدموعها على خدّها بيض وفي نحرها صفر

وقال :

ليس ليوم البين عندي سوى مدامع نجيعها سكب
كأنما فضّ بأجفانها رمانة فانتثر الحب ١٥

وقال :

عوذت قلبي منه بكل ما يتعوذ

(١) ت ، لب : تألني هذا التصنيف

(٢) عبارة ت ، لب : ولا بأس بحول الله من حصوله ؛ وقد أثبت منه ما يعترف بحقه ،
ويعرف به مقدار سبقه

كَأَنَّمَا خَذَهُ وَالْهَذَارُ حِينَ تَأْخُذُ
تُفَاحَةً عُلِّقَتْ فِي سَلْسَلٍ مِنْ زُمُرْدُ

وقال :

قَرُّ لَوَى مِنْ فَوْقِهِ (١) مِنْ صُدُغٍ غَالِيَةٍ حَشَشَ
وَدَنَا (٢) لَيْلِمَ جَمْرَةٍ مِنْ وَجْنَتَيْهِ فَاكْشَمَ

وأملح من هذا التشبيه ، قولُ تميم بن المعز فيه :

طَمِعْتُ تَقْبِلُهُ عِقَارِبُ صُدُغِهِ فَاسْتَلَّ نَاطِرُهُ عَلَيْهَا خِنْجَرًا
وقال محمد بن هاني (٣) :

وَكَأَنَّ صَفْحَةَ خَذِهِ وَعِذَارَهُ
تُفَاحَةً رُمِيتْ لَتَقْتُلَ عَقْرَبًا

وقال الأسعد :

مَنْ رَأَى الْوَرْدَ تَحْتَ قَطْرِ نَدَاهُ لَمْ يَعِْبْ فَوْقَ وَجْنَتِي جُدْرِيًّا
أَنَا شَمْسٌ أَرَدْتُ فِي الْأَرْضِ مَشِيًّا فَنَثَرْتُ النُّجُومَ حَلِيًّا عَلَيَّا

وهذا كقول ابن السراج النحوي صاحب كتاب الأصول :

لِي (٤) قَرُّ جُدْرٍ لَمَّا اسْتَوَى فَرَادَهُ حُسْنًا وَزَادَتْ هُمُومُ

كَأَنَّمَا غَنَى لَشَمْسِ الضَّحَى فَنَقَطَتْهُ طَرَبًا بِالنُّجُومِ

وقال الأسعد في سجع بين مَلِيحَيْنِ :

أَمَّا تَرَى الدَّهْرَ بِمَا قَدْ أَتَى مِنْ حُسْنِ هَذَيْنِ وَهَذَا السَّجْعُ
كَدَّرَتْنِي عَقْدٍ عَلَى نُفْرَةٍ بَيْنَهُمَا وَاسْطَةُ مِنْ سَبَجِ

(١) هـ : فرقه

(٢) هـ ، ت ، لب : أودى (٣) راجع تبين المعاني ص ٨٣

(٤) رسم هذه الكلمة في ر : بني

وقال يصفُ الخيلان :

تَتَنَفَّسُ الصَّهْبَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ كَتَنَفَّسِ الرِّيحَانِ فِي الْأَصَالِ
وَكَاثِمًا الْخَيْلَانُ فِي وَجَنَاتِهِ سَاعَاتُ هَجَرٍ فِي زَمَانٍ وَصَالِ
قال ابن بسّام : وهذان النوعان من وصف الجُدري والخيلان غير موجدين
في أشعار المحدثين ^(١) إلا في النادر ، وأنا أنشد في هذا الموضع بعض ما يتعلق
من ذلك بحفظي ، ووقع في شرك صدرى . قال الشيخ أبو مروان بن سراج :

جُدِرَتْ فَقَالُوا بِهَا عِلَّةٌ سَتَقْبَحُ بَعْدُ بَأْثَارَهَا
أَلَا إِنَّهَا رَوْضَةٌ نَوَّرَتْ فزادت جمالاً بأنوارها

وقال ابن ^(٢) عبدوس القرطبي :

أَكْثَرَ الْحَاسِدُونَ فِيكَ فَقَالُوا جُدْرِيٌّ بَدَأَ عَلَى وَجْنَتَيْهِ
وَيَحْمَهُمْ مَا دَرَوْا بِأَنَّكَ وَرَدٌ نُثِرَ الْجَوْهَرُ النَّفِيسُ عَلَيْهِ
وَنَجْمُ السَّمَاءِ أَسْرَى حُلَاهَا وَجَمَالُ الْوِشَاحِ فِي طُرَّتَيْهِ
ولأبي زيد بن العاصي :

عَابَهُ الْحَاسِدُ الَّذِي لَمْ فِيهِ أَنْ رَأَى فَوْقَ خَدِّهِ جُدْرِيًّا
إِنَّمَا شِبْهُهُ ^(٣) هِلَالُ تَمَامٍ جَعَلُوا بُرْقُمًا عَلَيْهِ الثَّرِيًّا
ولأبي تمام بن رباح :

أَوْقَدْتَ قَلْبِي فَارْتَمَى بِشَرَارَةٍ فِي صَحْنِ خَدِّكَ فَاَنْطَقَتْ فِي مَائِهِ ^(٤)

(١) ت ، ف ، ت ، لب : والمولدين والعصريين

(٢) ت ، لب : أبو عامر ابن عبدوس

(٣) و ، ت ، لب : وجهه (٤) لم يرد هذا البيت في ت ، لب

وله أيضاً :

خَذُّكَ مِرَاةٌ كُلُّ حُسْنٍ تَحْسُنُ مِنْ حُسْنِهَا الصِّفَاتُ
مَالِي أَرَى فَوْقَهُ نُجُومًا قَدْ كُسِفَتْ وَهِيَ نَيِّرَاتُ ١٩
وَأُنْشِدُنِي أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ فَرَجٍ الْجَيَّانِيُّ لِنَفْسِهِ يَصِفُ خَالَيْنَ بَخْدٍ غُلَامٍ أَحَدُهَا
أَصْفَرُ مِنَ الْآخَرِ :

إِنِّي ضَعَفْتُ عَنِ الْهَوَى قَدْ صَادَنِي عَبْدُ الْقَوَى بِلِحْظِ رِيْمٍ أَحْوَرِ
أَبْصَرْتُ فِي الْحَمَامِ مِنْهُ مَحَاسِنًا حَسَنٌ بَلَوَى قَلْبِي الْمُتَحِيرِ
جِسْمٌ مِنَ الْبِلُورِ يَطْفُو فَوْقَهُ عَرَقٌ تَبَدَّى (١) مِثْلَ نَظْمِ الْجَوْهَرِ
وَبَخْدَهُ خَالَانِ أَمَّا وَاحِدٌ فَيَلُوحُ وَالثَّانِي كَأَنَّ لَمْ يَظْهَرَ
فَكَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِهِ بَدْرُ الدُّجَى كُسِفَ الشَّهَى فِي صَحْنِهِ (٢) وَالْمُسْتَرَى
وَأُنْشِدُنِي أَبُو بَكْرٍ الدَّانِيُّ لِنَفْسِهِ :
بَدَأَ عَلَى خَدِّهِ خَالٌ يُزِينُهُ فَزَادَنِي شَفَعًا فِيهِ إِلَى شَفَفِ
كَأَنَّ حَبَّةَ قَلْبِي عِنْدَ (٣) رُؤْيَتِهِ طَارَتْ فَقَلْتُ لَهَا فِي الْخَدِّ مِنْهُ قِفِ
رَجْعُ . وَقَالَ الْأَسْعَدُ (٤) :

وَالنَّفْطُ مَهْمَا افْتَرَّ فَوْهُ فَاعْيَرَا أَجْرَى لِسَانَ النَّارِ فَوْقَ الْمَاءِ
فَكَأَنَّهُ ذَهَبٌ بَدَأَ فِي صَارِمٍ أَوْ رَجْعُ بَرَقَ فِي أَدِيمِ سَمَاءِ

(١) ت ، لب : تَبَدَّى

(٢) ر : صَفَحَهُ (٣) ه ، ت ، لب : حِينَ

(٤) ز في ت ، لب : يَصِفُ النَّفْطَ

(١) وقال في أسود :

يَارُبَّ زَنْجِيٍّ لَهَوْتُ بِهِ الشَّمْسُ عِنْدَ سَنَاهُ مَمْقُوتَهُ
مُحْدُودِبٌ قَدْ غَابَ كَاهِلُهُ فِي مَنْكِبَيْهِ فَلَا تَرَى لَيْمَتَهُ
قَدْ حَكَّمُ التَّجْعِيدُ لِمَتَهُ فَتَرَا كَمْتُ^(٢) فَكَأَنَّهَا تَوْتَهُ
وَإِذَا سَعَى بِالْكَأْسِ تَحْسَبُهُ جُعَلًا يُدْحَرِجُ فَصَّ يَأْقُوتَهُ
وَكَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ نَجْمٌ رَمَى فِي الْجَوِّ عَفْرِيتَهُ

وَأَخَذَ هَذَا التَّشْبِيهَ مِنْ قَوْلِ^(٣) بَعْضِ أَهْلِ أَفْقِنَا وَهُوَ^(٤) ابْنُ زَرْقُونِ فِي

الْكُمَيْتِ الشَّاعِرِ :

تَأَمَّلْتُ الْكُمَيْتَ وَقَدْ عَلَاهُ مِنَ الْأُثْوَابِ ثُوبٌ ذُو أَحْمَرَارِ
فَقُلْتُ لِصَاحِبِي جُعَلٌ تَمَشَّى لَعَمْرِي فِي ثِيَابِ الْجُلْنَارِ
وَمِنْ قَدِيمِ هَذَا التَّشْبِيهِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ فِي نُصَيْبٍ وَقَدْ لَبَسَ ثِيَابًا بَيْضًا :
كَأَنَّهُ لَمَّا بَدَأَ لِلنَّاسِ أَيْرُ حَارِ لَفٍّ فِي قِرطَاسِ
وَقَالَ ابْنُ بَلِيْطَةَ الْأَسْعَدِ :

وَزَوْرَقٍ أَبْصَرْتُهُ عَائِمًا وَقَدْ تَمَطَّى ظَهْرُ دَأْمَاءِ^(٥)
كَأَنَّهُ فِي شَكْلِهِ طَائِرٌ مَدَّ جَنَاحَيْهِ عَلَى الْمَاءِ

(١) ز في ت ، لب :

وله :

وتلدَّ تعذبي كأنك خلتي عوداً فليس يطيب ما لم يحرق
[وهو يشبه قول الآخر] تطيب لكم أنفاسه حين يحرق
تظنونني كالغبر الورْدِ لَمَّا

(٢) ت ، لب : فترا كبت

(٣-٣) نه في ت ، لب

(٤) هذان البيتان ناقضان في وه

(١) وأنشدني أبو بكر الخولاني المنجم قال : (١) أنشدني ابن بليطة
الأسعد لنفسه :

رَأَيْتُ لِيُوسُفَ فِي بَيْتِهِ خُفِّبَهُ اللَّهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ
حَصِيرَ صَلَاةٍ عَلَيْهِ (٢) الْغُبَارُ وَقَدْ نَسَجَتْ فَوْقَهُ الْعَنَكَبُوتُ
فَقُلْتُ لَهُ : كَمْ لَذَاكَ الْحَصِيرُ وَكَمْ لَكَ لَمْ تَقْرَ فِيهِ الْقُنُوتُ
فَقَالَ : هُنَالِكَ الْفَيْتَةُ وَتَمَّ يَكُونُ إِلَى أَنْ أَمُوتَ (٣)

وأنشدني له أيضاً :

أَحْبَبَ بَنُورِ الْأَقَاحِ نَوَّارَا عَسَجْدُهُ فِي لُجَيْنِهِ حَارَا (٤)
أَيُّ عُمُودٍ صُورَنَ مِنْ ذَهَبٍ رُكْبَ فِيهَا اللَّجَيْنُ أَشْفَارَا
إِذَا رَأَى النَّاضِرُونَ بَهْجَتَهَا قَالُوا نَجُومٌ تَحْفُ أَفْئَارَا
كَأَنَّ مَا أَصْفَرَ مِنْ مُوسَطِهِ عَلِيلُ قَوْمٍ أَتَوْهُ زُؤَارَا
كَأَنَّ مُبْيِضَهُ صَقَالِبُهُ صَارُوا (٥) مَجُوسًا فَاسْتَقْبَلُوا النَّارَا
كَأَنَّهُ تَقَرُّ مِنْ هَوَيْتُ وَقَدْ أَلْقَيْتُ (٦) فِيهِ بِقِيَّ دِينَارَا

وأنشدني له أيضاً من قصيدة أولها :

أَرْجَى عَسَاءُ فِي الْهَوَى وَلَعْلَهُ وَلَوْ وَصَفُوا حَالَ الْعَلِيلِ لَعْلَهُ (٧)
خَلِيلٍ مِنْ نَعْمَانٍ مَا أَكْثَرَ الْهَوَى لِحَاجَا ، وَصَبْرِي فِي الْهَوَى مَا أَقْلَهُ

(١-١) هـ في هـ

(٢) ت ، لب : نموت

(٣) هـ ، ت ، لب : علاه

(٤) هـ ، ت ، لب : كانوا

(٥) هـ غاراً

(٦) لم يرد هذا البيت في

(٧) ت ، لب : وضعت

ومنها :

فلا تضرِبَنَّ حَدًّا بِحَدِّ فَإِنَّهُ إِذَا السَّيْفُ لَأَقَى مَضْرِبَ السَّيْفِ فَلَهُ

ومن شعر الأسمعدي في المديح وما يتصل به

له من قصيدة في ابن صمادح أولها :

- ٥
- | | | |
|---|--|--|
| ١ | برامة ريم زارني بعد ما شطاً | تقنصته في العلم ^(٢) بالشط فاشتطاً |
| ٢ | رعى من أناس في الحشائر الهوى | جنباً ولم يرع القراز ولا الخمطاً |
| ٣ | خيال لمقوم البنان براعة ^(٣) | تاووني بالزقتين فذي الأرضطى |
| ٤ | فأنشمتي ^(٤) من خده روضة المنى | وأنمني من صدغه حية رقطاً |
| ٥ | كان الذجى جيش من الزنج نافر | وقد أرسل الإصباح في إثره القبطاً |
- ١٠
- ٥ منها في وصف الديك :

كان أنو شروان أعلاه تاجه وناطت عليه كف مارية القرطاً

[ومنها]

- | | | |
|----|--------------------------|--|
| ١٥ | وطائر حسن بالسقاة موكل | بحب قلوب الشرب يلقطها لقطاً ^(٥) |
| ٢ | توهم عطف الصدغ نونا بخده | فبات بمسك الخال ينقطه نقطاً |
- وهذا كقول ابن المعتز :
- | | | |
|---|---------------------|-----------------------|
| ٣ | غلالة خده صيغت بورد | ونون الصدغ معجزة بخال |
|---|---------------------|-----------------------|
- ١٥
- محيورة الأخط من غير سكرة متى شربت الحاظ عينيك إسفنطاً

(١) وردت هذه القصيدة في المطبع ص ٨٣ وفي مق ج ٢ ص ٣٥٤ مع اختلافات وزيادات

(٢) م ، ت ، لب : بالحلم (٣) م : براعة — المطبع ومق : برامة

(٤) م ، ت ، لب : فأنشمتي (٥ - ٥) م ، ت ، لب

(٦) راجع ديوانه ص ٢٤٣

أَرَى صُفْرَةَ الْمِسْوَكِ فِي حُوءٍ ^(١) اللَّمَى
عَسَى قُزَحٌ قَبَّلَتْهُ فَأَخَالُهُ
وَسَارِيَةٍ حَلَقَى ^(٢) تَلْأَلَاءُ بَرْقُهَا
فَبِتْنَا نَخَالَ الْجَوَّ بِحَرًّا قَدْ أُرْسَلَتْ
وَبَاتَتْ تَثِيرُ الْمِسْكَ مِنْ هَجْعَةِ الثَّرَى
حَيًّا أَلْبَسَ الْبُسْتَانَ وَشَيْئًا مَرَصَعًا
كَأَنَّ أَبَا يَحْيَى بَنَ مَعْنٍ أَجَارَهَا ^(٣)
تَأَلَّفَ مِنْ دُرٍّ وَشَذَرِ نِجَارِهِ
أَقُولُ لِرَكِبٍ يَمْمُوا مَسْقَطَ النَّدَى
أَفَى الْجَدِّ يُبْغَى ^(٤) لَابَنٍ مَعْنٍ مَنَاقِصُ
١٠ وَلَوْ قَابَلَ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ أَظْلَمَتْ ^(٥)
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي الْمَعْتَضِدِ : ^(٦)

عَلَيْكَ عَقَلْتُ مَطَى الْأَمَلِ
وَفِيكَ تَنَسَّمْتُ زَهَرَ الْعُلَى
كَأَنَّا وَمَجْدُكَ يَسْمُو بِنَا
أَيَا مَلِكَا رَاعٍ سِرْبِ الْعِدَى
وَفِيكَ اعْتَقَلْتُ بُرْزُقِ الْأَسَلِ
جَنِيًّا وَرَوْضُ الْعُلَى قَدْ ذَبَلِ
ذُبَالٌ ^(٧) أُمِدَّتْ إِلَيْهَا شُعْلُ
وَأَمَّنْ سِرْبِ الصَّرِيحِ الْجَلَلِ

(١) ح : حرة — ر : حرّة (٢) كذا في ر وفي بقية الأصول «خلنا»

(٣) ت ، لب : أجادها — ح ، ر : أجارها ، ولعل العوَاب ما أثبتناه

(٤) ح : يدعى (٥) ر : ولو قال للشمس

(٦) لم ترد هذه القصيدة إلا في نسختي ت ، لب

(٧) في الأصلين : ذبالا أعدت

- أَتُصْبِحُ بِحَرٍّ مَعِينِ الْجَدَى وَيَكْرَعُ عَبْدُكَ ذَا فِي وَشَلْ؟
 قَتَى سَأَرْتُكَ^(١) أَمَانِيهِ مِنْ أَقَاصِي الشَّوَاهِقِ حَتَّى نَهَلْ
 أَعَدَّ لَأَعْدَائِكُمْ صَعْدَةً وَنَصَلًا^(٢) حُدَادًا وَطِرْفَارِفَلْ
 جِهَازُ ابْنِ هَيْجَاءَ عَلَامَةٌ بَطْنِ الْكُلَى وَبَضْرِبِ الْقُلَلِ
 وَشَخَتْ^(٣) الْحَوَاشِي لِمَنْ سَامَهُ رُحَابِ الْخَلِيقَةِ فَيَعْنُ يَحُلْ
 تَفَسَّمْ إِذَا شَتَّ رِيحَانَةٌ وَهَزَّ إِذَا شَتَّ عَضْبًا أَفَلْ
 فَمِثْلِي لَدَى مَلِكٍ مَاجِدٍ يَهَانُ وَيُقْصَى لَكِي يَرْتَحِلْ؟
 أَبْشُكَ مِنْ بُجْرَى بَعْضِهَا فِجْلِي بِكَمَانِهَا قَدْ نَقَلْ
 وَلَسْتُ أُرِيدُ الَّذِي قَدْ مَضَى فَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ فِيهِ الْعَدْلُ
 فَلَا غِيضَ بِحَرْكِ غَيْثِ الْوَرَى فَنَحْنُ الرِّيَاضُ وَأَنْتَ السَّبَلُ
 ١٠

فصل في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن عبادة

المعروف بابن القزّاز

- مِنْ مَشَاهِيرِ الْأَدْبَاءِ الشَّعْرَاءِ^(٤). وَأَكْثَرُ مَا ذُكِرَ^(٥) اسْمُهُ وَحُفِظَ نَظْمُهُ فِي
 أَوْزَانِ الْمَوْشَحَاتِ الَّتِي كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا عِنْدَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ. وَقَدْ ذُكِرَتْ فِيهَا اخْتِرَاتُ
 فِي هَذَا الْقِسْمِ مِنْ أَخْبَارِ عِبَادَةِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ مَنْ بَرَعَ فِي هَذِهِ الْأَوْزَانِ مِنْ
 ١٥

(٢) فِي الْأَصْلَيْنِ : وَنَصْرًا حَرَارًا

(١) لَب : سَأَوْتُكَ

(٤) ت ، لَب : وَالشَّعْرَاءُ

(٣) ت : وَتَحْتِ

(٥) ت ، لَب : مَا اشْتَهَرَ

الشعراء ، وهذا الرجلُ ابنُ القزَّازِ « ممن نسجَ على منوالِ ذلك الطَّرازِ ، ورقمَ ديباجه « ورصَّعَ تاجه . وكلامه نازلٌ في المديح « فأما الفاظه في ^(١) التَّوشيح فشاهدةٌ له بالتبَّيرِ والشفوف ، وتلك الأعاريفُ خارجةٌ عن ^(٢) هذا التصنيف .

فصلٌ له من رُقعةٍ خاطبَ بها أبا بكرٍ الخَوْلانيَّ المنجِّمَ يقولُ فيه :

٥ إن لم تتقدَّم بيننا مُحاطبةً ، ولا جرتَ بيننا مُكاتبةً ، فقد علِمَ اللهُ تعالى أن ودادى لك محضٌ لا يشوبُه كَدَرٌ ، وأن ثنائى عليك غَضٌّ يتضوَّعُ تضوُّعَ الزَّهرِ ^(٣) . وكنتُ عند حُلُولِكَ ^(٤) بالمرِّيَّةِ ، قد باشرتُ من أفعالكِ السَّنيَّةِ ، وشهدتُ من محاضركِ الحِسانِ ، ما يكلِّ عن وصفه كلُّ لِسَانٍ ؛ وما زلتُ مذْغبتَ عنها — لا غابَ نجمُ سَعْدِكَ « ولا أضلَّ وارى زَنَدِكَ — أذكركُ ما تركَ « وأنشُرَ ^(٥) مفاخرَكَ ، وأبثُّ ما عابثتُ من مناقبكِ ، كالذى يَتَمَيَّنُ من واجبكِ «
١٠ أعانَ اللهُ على أدائه « والقيامِ بأعبائه . ولما بلغنا ماسنَّاهُ اللهُ من التَّأييدِ والتَّمكينِ ، والظهورِ على المُشركينِ ، بسعدِ المُعتمدِ على الله ، نظمتُ بعضَ ما سمعتهُ من ذلك الخبرِ السَّارِ « ووصفتُ ما حازَ فيه من الفَخَّارِ ؛ ولم تطبُ نفسى — فاديتُك — على الإرسالِ بما قلتُ إلا إليك ، لعلِّى بجِدِّكَ فيما يُعوَّلُ فيه عليكِ ، وأشرتُ إلى ما تراه « وتقفُ عليه إن شاء الله ؛ فلك الفضلُ فى توصيلِ ذلك إليه «
١٥ وتقبيلِ الكريمتينِ عني يديهِ ؛ فإنَّ نجاحَ السَّعى وساعدَ السَّعدِ فمن عندكَ أرى

(١) هـ : فى هذه الأوزان من التوشيح

(٢) هـ : ت ، لب : عن غرض هذا التصنيف

(٣) ز فى ت ، لب : خال قدرى لوصفك الجليل . مطرزة بذكرك الجليل ، وتيجانه

على مفارق مجدك الأثيل ، سرصة بلائى . ههناك الجزيل

(٤) ت ، لب : وأنشد

(٥) هـ : حاولى

ذلك ، فانتَ المُشارِكُ المشكورُ على اهتبالِك ؛ ولولا جَواحُ جرتُ على ، فقَصَّتْ
جَنَاحِي وَسَلَبَتْ ما لَدَيَّ ، لَأَمْضَيْتُ عَزَمِي ، وَكُنْتُ مَكَانَ نَظْمِي .

ومن قصيدته التي بعث بها يومئذ قوله في أولها :

- ثَنَاؤُكَ لَيْسَ تَسْبِيحُهُ الرِّيحُ يَطِيرُ وَمِنْ نَدَاكَ لَهُ جَنَاحُ
(١) لَقَدْ حَسَنْتَ بِكَ الدُّنْيَا وَشَبَّتَ فَعَنْتَ وَهِيَ نَاعِمَةٌ رَدَّاحُ
ثَنَاؤُكَ فِي طَلَاهَا حَلَى دُرٍّ وَفِي أَعْطَانِهَا مِنْهُ وَشَاحُ
تَغْلِيْبُ بِذِكْرِكَ الْأَفْوَاهُ حَتَّى كَأَنَّ رُضَابَهَا مِنْكَ وَرَاحُ
مَلَكْتَ عِثَانَ دَهْرِكَ فَهُوَ جَارٍ كَمَا تَهْوَى فَلَيْسَ لَهُ جِجَاحُ
فِي ذَلِكَ مُلُوكُ هَذَا الْعَصْرِ طُرًّا فَإِنَّكَ ضَيْغَمٌ وَهُمْ لَقَاحُ
وَأَنْتَ بِكُلِّ مَا تَحْوِي جَوَادُ وَهُمْ بِأَقْلٍ مَا حَازُوا شِجَاحُ
فَزَنْدُكَ فِي الْعَمَلِ وَالْحَرْبِ وَارٍ وَلَا زَنْدٌ لَهُمْ إِلَّا شَحَاحُ
(٢) جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنْ بِلَادٍ مَحَا عَنْهَا الْفَسَادُ بِكَ الصَّلَاحُ
جَنَّبْتَ (٣) إِلَى الْأَعَادِي أَسْدَغَابَ بَرَاثِنُهَا الْمُهَنْدَةُ الصَّفَاحُ
وَقَدْ تَنَهَّمُ فَكَانَ لَهُمْ ظُهُورُ وَلَوْلَا الشَّمْسُ مَا ظَهَرَ الصَّبَاحُ
وَقَفْتَ وَمَوْقِفُ الْهَيْجَاءِ ضَنْكَ وَفِيهِ لِبَاعِكَ الرَّحْبُ انْفِسَاحُ
وَأَلْسِنَةُ الْأَسِنَّةِ قَاتِلَاتُ قَفُّوا هَذَا الْمُؤَيَّدُ لَا بَرَّاحُ
(٤) مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ هَزَبَرُ لَعْبَادِ الْمَسِيحِ بَدَا فَطَاحُوا

(١) لم يرد هذا البيت والبيتان التاليان إلا في ت ، لب ؛ وثانيهما مقدم على الأول

(٢) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب (٣) وه ، ت ، لب ؛ جلبت

(٤) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب

ومنها :

رأى منه أبو يعقوب فيها عقاباً لا يهاض له جناحُ
فقال له لك القدحُ الملقى إذا ضربت بمشهدك القداحُ
في أبياتٍ غير هذه ثابتة في القسم الثاني من هذا المجموع ، إذ لها موقعٌ
بذلك الموضع :

وله من أخرى :

يادَوْحَةَ بظلالها أتفياً رَمِدَتْ جُفُونِي مَدَحَلَّتْ هُنَا وَلَوْ
كُحِلَتْ بَرُؤَيْتِكُمْ لَكَانَتْ تَبَرُّاً فَخَبِئْتُ عَنْكَ وَإِنَّمَا أَنَا جَوْهَرُ
يَأْمَنُ إِذَا انْتَسَبَ الْبَرَايَا لِلتَّرَى ١٠
لَمْ أَخْتَرِغْ فِيكَ الْمَدِيحَ وَإِنَّمَا
أَمَّا^(١) بَنُو عَبِيدِ الْحَمِيدِ فَإِنَّهُمْ
فَخَرَّ الزَّمَانُ بِنَا لِأَنَّكَ حَاتِمُ
وَهُوَ الْقَائِلُ :

أَبَا عَامِرٍ مَاذَا أَتَيْتَ مِنَ الْعَارِ ١٥
تَبَدَّلْتَ شُرْطِيًا بِصَاحِبِ شُرْطَةٍ
فَأَصْبَحْتَ كَالطَّرْطُورِ كَانَ لِسَيِّدٍ
فَهَا^(٢) أَنْتَ مِنْ ثَوْبِ الْعَلَاءِ بِهِ عَارِي
كَرِيمٍ نِجَارِ النَّفْسِ مَمْتَنِعِ الْجَارِ
فَأَخْلَقَ حَتَّى صَارَ فِي رَأْسِ عَمَّارٍ

(١) هذا البيت والذي يليه لم يرد إلا في ت ، لب

(٢) ت ، لب : وأنشدني أبو بكر الخولاني النجم قال أنشدني أبو عبد الله بن القزاز لنفسه

(٣) ر : فهل — رواية ت ، لب : ... من ثوب العلا في الوري ...

وله في رجلٍ قرَّاقٍ من أهلِ جَيَّانِ :

أوغادُ أهلِ المِريَّةِ افترسُوا عِرسَكَ يا وِغْدَ أهلِ جَيَّانِ
قرَّاقُهم أنتَ غيرَ أنهم قد بشرُوا^(١) رأسَ قافِكَ الثَّاني

وقال :

شابتَ وزارةُ عَمْرٍانا فأشبهها عبدُ العَزيزِ
فكأنَّما هو يوسفٌ وكأنَّها امرأةُ العَزيزِ

وقال :

انظُرُ الفَحْمَ قد علاهُ بَيَاضٌ^(٢) وكَسَا لَوْنَ وَجْهِهِ تَقْرِيبا
لَوْنَ شَعْرِ الشَّبَابِ كانَ وَلَسْكَنَ حُرْقُ النَّارِ أَوْرَثَتْهُ المَشِيلَ

١٠ فصل في ذِكْرِ الأديبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مالِكِ
الطُّغْنَرِيِّ^(٣) من غِرْناطة

لم أَقِفْ من ذِكْرِ هذا الرَّجُلِ إلا على أبياتٍ من شِعْرِهِ ، وفَصَلَيْنِ من نَثَرِهِ ،
ويُسْتَدَلُّ عَلَى الشَّجَرِ ، بالواحدةِ من الثَّمَرِ^(٤) .

(٢) ت ، لب : رماد

(١) هـ : بتروا

(٣) هـ ، ت ، لب : أبي عبد الله محمد بن مالك الطغنري

(٤) ز في ت ، لب : ومع قلته فانه يعرف انه صدر أديب ذو حفظ كثير وأدب غزير

فصل له من رُقعة يصف فيها السَّوطَ الذي يُجَلَبُ لِحَتِّ الخيلِ

من المغرب :

(١) وتوأمُ هذا الجواب — أعزَّكَ اللهُ — البعثةُ بالمحنة؛ وقد تَخَيَّرَتْهَا عَقِيلَةٌ
أتراب ، كريمة أصحاب ، تسمو بالنسب البحري ، وتتيه بالنصاب الملوكي ،
قد أشبهت سرق الحرير لَمَسًا ، واشتقَّ اسمها منه ، ودعج الآبنوس لبسًا ، محكي
لونها عنه ، كأنما استلَّت من ظهر حية ، أو حُلَّت من أكارع طَلَّ (٢) موشية ،
عنوانُ عزة ، وجمالُ بزة ، ودليلُ أناقة ، وخليفةُ خيزرانِ الخلافة . أبهى في
أيدي الصيِّد ، من طرَرِ الفيد (٣) ؛ وأحسنُ على أعناقِ الجرود ، من قطاطي المرد ؛
وكأني بالفقير . يحرك رأسه عند هذا التشبيه ، فيقول : الصدقُ على الأملئ
لا يبطئ ، وفِرَاسَةُ المؤمنِ لا تُخطئ ، كلُّ على شأكلته يفعلُ ويقول ، ومن
جِرا به يزنُ ويكيل ، ويظن ما يظن . غفر الله له . وبعد رغبة (٤) له ورغبة
فيه ، أقول :

يا معلِّمَ العلماءِ يا زَيْنَ النديِّ لله دُرُّكَ من فقيهٍ أوَّحدِ
أكثرَ أطرابي (٥) فظنَّني أنِّي أصبحتُ من وعرِ العتابِ بفرقدِ (٦)
ماحقَّ ذاك السَّوطِ سوطُ (٨) مدائحِ أصبحتُ منها بالمكانِ الأبعدِ

(٢) هـ : ظي

(١) هـ : وقوام

(٤) هـ في هـ

(٣) ر : العيد

(٦) ت ، لب : بفرود

(٥) هـ : اطرابي

(٨) ت ، لب : شوط

(٧) يا حق

- لما أتى سمعى فخرت شطارة وطردت منى^(١) منكبي متمرد
فأمنن بيسط العذر في تأخيره ممّا أريد منه بأعذب موزر
وانعم بأيام أرق من الهوى والد من وصل الحبيب المسعد
تالله إقسام الحب لما حبا دهرى بأكرم منك علقا في يدي
أنت الوهوب أخو التفضل طالبا وأنا إذا قبلت يدك المجتدي
وله من أخرى خاطب بها والد غلام تناول يده^(٢) في الحمام، قال فيها^(٣) :
ولا ظهير إلا فريخ لي رطيب العظام، لم يقنا دمه، ولا نغرفه، ولا
انعقد محه، ولا دعاه من الشباب شرخه؛ فعلى هذه الحال ما وكل بي النجيب
ابنك — دامت به قوة العين — عينا راعية، وبترجي على علاه الحال^(٤)
أذنا واعية فانتاشني من ذلك المقام بيد طالت أيدي^(٥) المتطاولين إلى ركني،
في سماء بعد على أرشية الأذرع هواؤه، وقعد عن القائم ماؤه^(٦)، فوشكان
ما استفرغ لي منه حمة^(٧) المجهود، وقرب القدم من الوجود؛ وطاف على منها
بأكواف كما رأيت مقلّة المشرق^(٨) في دمه المغرق^(٩)، وسمعت بمجابهة الشيخ
العراق تفهق، وظرف^(١٠) ذلك بنبذ من أدبه البارع، كنبذ الزارع، ولمح
من نظمه الساطع كبرقه اللامع.

(١) ه : عنى (٢) رسم الكلمة في ر، ه « بره » — وعبارات، لب :
يصف فيها قدر الحمام، خاطب بها والد غلام، كان له هنالك حفظ وإكرام يقول فيها ...
(٣) في هذا الفصل اضطراب كما ترى في أكثر من موضع

(٤) ت، لب : على ذات الحال (٥) ه، ت، لب : يد

(٦) ه، ت، لب : نحاؤه (٧) ه، ت، لب : هـ

(٨) لب : المشرق (٩) ه : المهورق

(١٠) ه : وظرف — ت، لب : وظفن ... فنبد

وأنشدت لعبد الرحمن^(١) بن عبد^(٢) الرزاق وزير عبد الله الأمير^(٣) — كان بها — من قصيدة أولها^(٤) :

بَحَلَّ الظَّاعِنُونَ بالتَّسْلِيمِ فَاغَارُوا الْجُفُونَ سُهْدَ السَّلِيمِ
وَطَوَى كُلَّ مَطْمَعٍ فِيهِمُ الْيَأْسُ سُنْ فَإِنْ مِتُّ مِتُّ غَيْرَ مُلِيمِ
مَا عَلَيْهِمْ لَوْ وَدَّعُوا مُسْتَهَامًا ذَا غَرَامٍ مُغْرَى بِهِ كَالْغَرِيمِ
قُلْتُ يَوْمًا وَقَدْ أَتَتْ مُنِيَّةُ^(٥) الْبَا نِ فَازَرْتُ بِكُلِّ خُوطٍ قَوِيمِ
عَلَّمَنِي الْقَضَبَ مِنْكَ حُسْنَ التَّثْنَى فِيهَا حَاجِبَةٌ إِلَى التَّعْلِيمِ
عَلَّمَتْنِي سَفْكَ الدَّمَاءِ كَمَا لَمْ يَرَقُّوا يَوْمَ النَّوَى لَمُقِيمِ
أَيَّاسُوا مِنْ إِسْعَادِ سَعْدِي وَمِنْ إِذٍ عَامٍ نَعْمٍ وَرَشْفٍ ظَلَمَ الظَّلِيمِ^(٦)

وله من أخرى :

صُبَّ عَلَى قَلْبِي هَوًى لَا عِجْ وَدَبَّ فِي جِسْمِي ضَنْى دَارِجُ
فِي شَادِنٍ أَحْوَرٍ مُسْتَأْنِسٍ لِسَانُ تَذْكَارِي بِهِ لَا هِجْ
مَا قَدَّرُ نَعْمَانَ إِذَا مَا مَشَى وَمَا عَسَى يَبْلُغُهُ عَالِجُ ؟
فَقَدَّه مِنْ رَقَّةٍ مَائِسُ وَرَدَّه مِنْ ثَقَلٍ مَا يُجْ
كَانَ مَاءُ الْحُسْنِ فِي خَدِّهِ مُدَامَةً شَعَشَعَهَا الْمَازِجُ
عُنْوَانُ مَا فِي ثَوْبِهِ وَجْهُهُ تَشَابَهَ الدَّخِيلُ وَالْخَارِجُ
فَلَا تَقْيِسُوهُ بِبَذْرِ الدُّجَى ذَا مُعْلَمٍ^(٧) الْوَجْهِ وَذَا سَازِجُ

(١) صحیح هذا الاسم بهامش ر إلى « عبد الرحيم »

(٢-٢) نه في ت ، لب

(٣) وه ، ت ، لب : منبیت

(٤) وه ، ت ، لب : الظلوم

(٥) ت ، لب : ذا طرر الوجه وذا سامج

فصل في إيراد أشعار رُئي بها الوزيرُ الفقيهُ

أبو مروان بن سراج رحمه الله^(١)

وهي جملة قصائد لغير واحد من أهل العصر، منهم من يأتي ذكره فيما بعد، ومنهم من لم يسمَّح بإثبات شعره التقد. وقد وجدت الكاتب أبا الوليد بن طريف قد أثبت في جزء لطيف جملة هذه القصائد، ولم يسلك فيها أسلوب ناقد، ضمانة منه بحفظها من التسامح بالموثَّق بها. وتثبيتاً لذكر اسمه المطرزة به حواشيها، ففُشِّرَ طيَّ كل نسيجة عن منوالها. وأثبتها بحالها. وقد أثبت أنا منها ما يليق بالكتاب، فراراً من الإطناب؛ وسردت الفصل الذي أدار أبو الوليد عليه رَحاه. وقدمه صدقة بين يدي نَجْواه.

- ١٠ قال أبو الوليد: وكان أبو مروان عبدُ الملك بن سراج قد^(٢) العصر، وعلم الفخر، وبقية حسنات الدهر، ونخبة أهل التقدم في شرف النصاب، وكرم الأحساب، ونسبه في كلاب بن ربيعة؛ أصاب سلفه سبلاء قديم صيرهم أولاً في ولاء بني أمية بالمشرق. فكانوا في عداد مقدمة الموالى المروانيين، وصدرًا في عظمائهم، ثم اتصلت نباهتهم بالأندلس يرثيها خالف عن سالف، ويخلفها عن تاليد طارف. مع صيانة وعفة وكرم طسة^(٣)، وعلو نفس وشرف همة، وعدول عن خدمة السلطان. وتنزه عن التصرف فيها والامتنان، وانحياش إلى طلب الديانة وانحطاط في شعب طريقة السلف الصالح؛ ويؤثر أن سراج ابن قرة الكلبي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو جدُّهم الذي إليه

(١) ز في ت، لب: بحضرة قرطبة مع ما يتثبت بها ويذكر بسببها

(٢) ه: طبع

(٣) ه: فرد

يَنْتَمُونَ • وَنَاهِيكَ بِذَلِكَ شَرْقًا مَوْئِلًا ، وَغَرْبًا خَالِدًا مُؤَبَّدًا ، فَنَتَمَسَّكُوا بِالْإِنْقِبَاضِ
عَنِ التَّكَالُفِ ^(١) عَلَى الدُّنْيَا عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مُتَصَدِّقَةً لَهُمْ لَوْ جَنَحُوا إِلَيْهَا ،
وَمُعَرَّضَةً ^(٢) لَهُمْ لَوْ أَقْبَلُوا عَلَيْهَا ، بَلْ اقْتَصَرُوا عَلَى • كَسْبِهِمُ الطَّيِّبَةَ وَتَرْقِيعِ
رَفِيعِ مَعَايِشِهِمْ ، مِنْ فَاشَى ^(٣) ضِيَاعِهِمُ الْمُنْتَشِرَةَ الْمُغَلَّةَ • مُفْتَعِدِينَ غَارِبَ الْوَقَارِ
وَالْتَّجِلَّةِ أَيَّامِ الصَّلَاحِ وَزَمَانَ الْجَمَاعَةِ ؛ ثُمَّ اسْتَمَرُّوا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ تِلْكَ فِي مُدَّةِ
الْفِتْنَةِ وَأَمَدِ الْحَنَةِ • عِنْدَ تَقَاضِي الْأُمُورِ ، وَذَهَابِ الْأَحْوَالِ ، وَفُشُوِّ الْاِخْتِلَالِ ،
لَمْ يُفَارِقُوا مَعَ تَزَلُّزِ الْأَقْدَامِ • وَتَقَلُّبِ الْأَيَّامِ ، وَذَهَابِ السُّلْطَانِ • وَتَضَعُّعِ
الْأَرْكَانِ • مَرْكَزَهُمُ مِنَ الصِّيَانَةِ ، وَلَا أَخْلَوْا بِكَرِيمِ عَادَتِهِمْ مِنَ التَّجَلِّيِ بِهَا ،
وَالْتَّزَيُّ بِبَاهِرِ رَوْقِهَا ، وَلَا انْحَطُّوا عَنْ رَفِيعِ مَرْتَبَتِهِمْ مِنْ نَفَاسَةِ ^(٤) الْمَأْخُذِ وَالسَّيِّرَةِ
الَّتِي آثَرُوهَا ، وَلَا انْسَلَخُوا مِنْ حُلَّةِ ^(٥) الْقَنَاعَةِ ، إِلَى أَنْ دَرَجَ مَنْ دَرَجَ مِنْهُمْ •
وَسِئَرُ التَّجَمُّلِ ضَافٍ لَدَيْهِ • وَظِلُّ الْجَلَالَةِ مُسْكِنٌ لَهُ وَمُسْتَمَلٌّ عَلَيْهِ .

ثُمَّ نَشَأَ هَذَا الشَّيْخُ أَبُو مَرْوَانَ فِيهِمْ مُحْيِي رِسْمِ ^(٦) عِلْمِ اللِّسَانِ بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ،
وَمُقِيمِ أَوْدِهِ ، وَمُسَدِّدِ زِينَتِهِ ، وَمُتَّقِفِ مُعْجَزَاتِهِ ، وَمَوْضِحِ مُغْضِلِهِ ، وَمُجَلِّي غِيَابِهِ
مُسْكِلِهِ ، وَجَامِعِ مُفْتَرِقِ أَدْوَاتِهِ • وَحَاوِي قَصَبِ السَّبْقِ فِي إِحْرَازِ بَعِيدِ غَايَاتِهِ ،
وَتَجَاوُزِ أَقْصَى نِهَايَاتِهِ • وَأَعْلَمُ بِهِ مِنْ كُلِّ مَنْ شَدَّتْ إِلَيْهِ الْأَقْتَابُ • وَأُنْضِيَتْ
فِي طَلَبِ مَا عِنْدَهُ الرُّكَّابُ ؛ وَلَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مُعْجِزَةً ،
وَنَدْرَةً مِنْ نَدَرَاتِ الْأَيَّامِ مُعْجِبَةً ، وَنُورًا سَاطِعًا • وَجَوَادًا سَابِقًا ، مَعَ مَتَانَةِ
الدِّينِ ، وَصِحَّةِ الْيَقِينِ • وَجَلَالَةِ الْمَأْخُذِ ، وَجَزَالَةِ الْمَقْطَعِ • وَصَلَابَةِ الْقَنَاءَةِ فِي

(١) وَه : ت ، لب : التهافت .

(٢) وَه : متعرضة

(٣) وَه : ناشى .

(٤) وَه : نفيس

(٥) وَه : لب ١ خلة

(٦) وَه : لب ، ت ، لب

- الحقائق ، وقلة الإدهان فيها ، وملازمة الجد في جميع الأحوال ، ومشهود^(١) الثقة فيما يتقلده ، وبراعة الإيجاز فيما يليق به ويورده ، وحسن التأدية ، وقرب الإفهام ، وتذليله كل صعب العرام ، والتبيين في الرد والإقناع في الجواب ، وترك الجدال والمراء ، والبعد عن العجب والخيلاء ؛ اعظم ما كان يحمله .
- وجليل ما ينتخله ، وخطير ما يشتمل عليه صدره ، ويحش به بجره ، ويسخو به ذكره ، وتفيض به مواد معرفته . وتنهل به أهاضيب علمه^(٢) ؛ ثم لا يزال مع ذلك دهره يعترف بالتقصير . وينتسب إلى التعذير ، ويعلم أن الإحاطة معجزة ، وأن محاولتها مغرورة . سبق بهذه الخلال الحميدة من سلف ، وأيس^(٣) بإدراك بعضها من خلف^(٤) . وأخيا كثيرا من الدواوين الشهيرة الخطيرة ، التي أحالتها الرثوة الذين لم تكمل لهم الأداة ، ولا استجمعت لديهم تلك المعارف .
- والآلات ، واستدرك فيها أشياء من سقط واضعها ، وهم مؤلفها ، ككتاب البارع لأبي علي البغدادي ، وشرح غريب الحديث للخطابي^(٥) وقاسم بن ثابت السرقسطي ، وكتاب أبيات^(٦) المعاني للفتي ، وكتاب النبات لأبي حنيفة^(٧) ، وغير ذلك من الكتب^(٨) مما لم يحضرني ذكره ، ولم يمكن حصره . إذ كانت قبل فتحها عليه ، وإصلاحها بين يديه ، طامسة الأعلام .

(١) هـ ، ت ، لب : ومشهور (٢) ز ف ت ، لب : وتسع به شأيب إحاطته

(٣) هـ ، ت ، لب : أيأس

(٤) ز ف ت ، لب : لم ير قبله مثله ولا يرى بعده والله أعلم

(٥) ر : الخطافي (٦) هـ ، ت ، لب : وكتاب المعاني — ت ، لب : للعتي

(٧) ز ف ت ، لب : وكتاب الأمثال للأصبهاني

(٨) ت ، لب : من كتب الحديث وتفسير القرآن

مُخْتَلَّةٌ ^(١) النَّظَامُ ، وقد سَدَّ التَّصْحِيفُ طُرُقَهَا ، وَعَوَّرَ التَّبْدِيلُ نَسَقَهَا ، فَفَتَحَ مُسْتَغْلَقَهَا ، وَنَظَّمَ مُفْتَرِقَهَا ، وَعَانَى خَلْلَهَا ، وَأَزَاحَ عِلَالَهَا ، وَقَيَّدَ مُهْمَلَهَا ^(٢) .

وَلَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ بِذَهَابِهِ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَأَطْلَقَ بِوَقَاتِهِ سِرَاجًا مُنِيرًا . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ثَلَاثٍ ^(٣) خَلَّتْ لَدَى الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ^(٤) .

وَكَانَ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي اعْتِلَاءِ سَنَةِ حَسَنٍ ^(٥) الْبِنْيَةِ ، مُمْتَعًا بِحَوَاسِّهِ وَتَوَقُّدَ ذِهْنِهِ وَسُرْعَةَ خَاطِرِهِ ، يَقْرَأُ دَقِيقَ الْخَطِّ ، وَيُثَارِرُ عَلَى الْمُطَالَعَةِ ^(٦) . وَلَا يُخِلُّ بِحِظَّةٍ مِنْهَا .

وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ مُسْتَغْلَقُ الْكُتُبِ ، وَعَوِيصُ الْمَعَانِي وَغَامِضُهَا ، فَيُنْكِرُ وَهْمَ الْقَارِئِ وَيُحْسِنُ الرَّدَّ عَلَيْهِ ؛ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ عِلْمَ اللِّسَانِ ، كَمَا خَتَمَ بِهِ وَبَابِيهِ قَبْلَهُ أَفْضَلَ

أَهْلَ الزَّمَانِ . وَدُفِنَ عَصْرَ السَّبْتِ الرَّابِعِ ^(٧) مِنْ ذِي الْحِجَّةِ الْمُؤَرَّخِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْوَزِيرُ الْفَقِيهَ ^(٨) أَبُو الْحُسَيْنِ سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، تَالِيَهُ فِي الْفَضْلِ

وَكَرَمِ الْخِلَالِ ^(٩) ، وَحَازَ مِيرَاثَ مَفَاخِرِهِ الْجَمَّةِ . وَكَانَ يَوْمُهُ حَافِلًا مَشْهُودًا ، وَالْأَسَفُ فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ عَلَيْهِ شَدِيدًا ، وَالثَّنَاءُ حَمِيدًا ، وَتَنَافَتْ لُمةُ أَهْلِ

الْأَدَبِ مِنَ الْآخِذِينَ عَنْهُ ، وَالْمُقْتَبِسِينَ مِنْهُ وَغَيْرِهِمْ فِي تَأْيِينِهِ وَرِثَائِهِ ،

(١) ز في ت : منحلة

(٢) ز في ت ، لب : وأبرز محاسنها ، وأثار كائناتها ، واعتقلها [أعلها وأعتقها] من هجنة التعطيل فرغب في استعملها ، وأطلقها من ربة الخمول غرض على حملها وانتحالها ، فلورأى تلك الواضعون لها وشاهدوه لسلوالة وأذعنوا وصرحوا بفضل شفوفه عليهم وأعلنوا

(٣) ت ، لب : ثمان خلون لدى الحجة منه سنة خمسائة

(٤) ز في و : ومولده كان في ربيع الأول لاثني عشرة ليلة خلت منه سنة سبع وأربعمائة

(٥) و : صحيح (٦) ز في ت ، لب : ويدأب عليها

(٧) ت ، لب : التاسع (٨) ت : الفقيه الكاتب — و : أبو الحسن

(٩) و : الفعال — ز في و ، ت ، لب : مع سرى الخصال

فَأَكْثَرُوا وَأَجَادُوا ، وَأَبَدُوا وَأَعَادُوا ؛ مِنْهُمْ الشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ خَازِمٍ ^(١)
وَبَقِيَّةُ الْأَعْيَانِ — كَانَ — فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ ، مِنْ أَهْلِ قُرْطَبَةَ وَذَوِي السَّوَابِقِ
النَّبِيَّةِ فِيهِمْ ، رَثَاهُ بِقَصِيدَةٍ قَالَ ^(٢) فِيهَا :

وَلَمَّا فَشَى بَيْنَ الْبَرِيَّةِ نَعْيُهُ أَصَمَّ بِهِ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا
وَمِمَّا شَجَانِي أَنْتَى إِذْ سَمِعْتُهُ تَمَنَّيْتُ أَنْ تُسْقَى كُؤُوسَ الرَّدَى مَعَا
فَقَطَّعَ قَلْبِي ثُمَّ سَالَ بِمَدْمَعِي فَيَا لَكَ دَمْعًا مِنْ فُؤَادٍ تَقْطَعَا !
وَمَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ الْآخِرِ مَشْهُورٌ ، وَقَدْ انْدَرَجَ مِنْهُ فِي تَضَاعُيفِ هَذَا
التَّصْنِيفِ كَثِيرٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ دُرَيْدٍ ^(٣) :

قَلْبٌ تَقْطَعُ فَاسْتَحَالَ نَجِيمَا وَجَرَى فَصَارَ مَعَ الدَّمُوعِ دُمُوعَا
رَجَعَ ^(٤) :

فِيَا طَالِبًا لِلْعِلْمِ لَا تَطْلُبْنَهُ بَطْنُ الثَّرَى قَدْ غَادَرُوا الْعِلْمَ أَجْمَعَا
أَبْعَدَ أَبِي مَرْوَانَ تُبْصِرُ عَالِمًا نَبِيهَا لِأَنْوَاعِ الْعُلُومِ مُجْمَعَا ؟
إِذَا مَا احْتَبَى فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ أَنْصَتُوا لَهُ وَأَتَى بِالْمُعْجَزَاتِ فَأَبْدَعَا
وَمَا كَانَ إِلَّا الْغَيْثَ عَمَّ بِنَفْعِهِ الْأَنَامَ فَلَمَّا عَمَّ بِالرَّيِّ أَقْلَعَا
وَمِنْهُمْ الْأَدِيبُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ شَانِجِيهِ الْوَكِيدُ ^(٥)
الْاِخْتِصَاصُ بِهِ وَاللِّزُومُ لَهُ ، وَالْأَخْذُ عَنْهُ . رَثَاهُ يَوْمئِذٍ بِقَصِيدٍ يَقُولُ فِيهِ :

نَعَى عِلْمَ الْهَدَى وَالْعِلْمِ نَاعٍ فَأَوْدَى مَا تَضَمَّنَهُ الصَّدُورُ ^(٥)
سَيَعْلَمُ مَنْ نَعَاهُ لَنَا بِأَنَا وَجَدْنَا الْفَضْلَ نَاعِيهِ كَثِيرُ

(١) ر : ابن خازم — وه : ابن حزم (٢) ت ، لب : أولها :

ألم تر أن الموت نادى فأسمعا فأنت جدير أن تشيب وتجزعا

(٢) هـ في ت ، لب : (٤) لم ترد هذه الأبيات إلا في نسخة ت ، لب

(٥) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب

يَقُولُ الْقَاتِلُونَ حَوَاهُ لَحْدٌ تَجَسَّمْ دُونَهُ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
وَلَا وَاللَّهِ مَا وَارَتْكَ أَرْضٌ وَسِرُّوكَ فَوْقَهَا أَبَدًا يَسِيرٌ

ومنهم الوزيرُ الفقيهُ النَّبِيُّ أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي بن أبي طالب
القيسي . أَحَدُ أَعْيَانِ وَقْتِهِ ذَكَاءٌ وَنَبَلًا ، وَسِرُّوهُ كَامِلًا وَفَضْلًا ، أَبْنَهُ
بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

انْظُرْ إِلَى الْأَطْوَادِ كَيْفَ تَزُولُ وَالْحَالَةِ الْعُلْيَاءِ كَيْفَ تَحُولُ
الْمَوْتُ حَتْمٌ وَالنَّفُوسُ وَدَائِعُ وَالْعَيْشُ نَوْمٌ ^(١) وَالْمُنَى تَضْلِيلُ
لَا يَعْلَمُ الْعَصْمَاءُ مِنْهُ شَاهِقٌ صَعْبٌ وَلَا الْوَرْدَ السَّبْتَقَى غِيلُ
يَرْمِي فَمَا تُشَوِي الرَّمِيَّةَ نَبْلُهُ فَيُصَابُ تَنْبَالٌ بِهَا وَنَبِيلُ
يَهْوَى الْفَتَى طَوْلَ الْبَقَاءِ مُؤَمَّلًا وَلَهُ رَحِيلٌ لَيْسَ عَنْهُ ^(٢) قُفُولُ
يَلْهُو وَيَلْعَبُ مُطْمَئِنًّا ذَاهِلًا وَلَهُ رَسِيمٌ نَحْوَهَا وَذَمِيلُ
ومنها :

أَوْدَى سِرَاجُ الْمَجْدِ وَابْنُ سِرَاجِهِ فَلِنُورِ شَمْسِ الْكَرُمَاتِ أَقُولُ
لَوْ كَانَ عِلْمُ الدِّينِ يَبْكِي مَيِّتًا لَبَكَى الْحَدِيثُ عَلَيْهِ وَالتَّزْوِيلُ
كَمْ مِنْ حَدِيثٍ لِلنَّبِيِّ أَبَانُهُ فَبَدَتْ لَهُ ^(٣) غُرُرٌ تَرَى وَحُجُولُ
كَمْ مُصْعَبٍ فِي النَّحْوِرِ اضْجَاحُهُ حَتَّى غَدَا وَالصَّعْبُ مِنْهُ ذُلُولُ
أَدْنَى إِلَى الْأَنْهَامِ نَائِي عِلْمِهَا حَتَّى تَسَاوَى عَالَمٌ وَجَهْلُ
طَبٌّ بِأَذْوَاءِ الْكَلَامِ مُلَقَّنٌ سَهْمٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ مَذْلُولُ

(١) ت ، لب : خلس

(٢) ه ، ت ، لب : به

(٣) ه ، ت ، لب : منه

قوله : « أنظر إلى الأطوار كيف تزول » معني منقول^(١) ، ومنه قول ابن بدام البغدادي :

قد استوى الناس ومات الكمال وقال صرّف الدهر أين الرجال
هذا أبو القاسم في نعشه قوموا انظروا كيف تزول الجبال
وقال ابن الرومي :

من لم يُعاين سيرَ نعش محمد لم يدرك كيف تُسيرُ الأَجبالُ
وقال الرضي يرنى صاحب :

أَكْذا المَنونُ تُقَطَّرُ الأَبْطالُ وكذا الزمان يُضعِفُ الأَجبالُ ؟
جبلُ تَسَنَّمَتِ البلادُ هِضابَهُ حتّى إذا مَلَأَ الأَقالِمَ رَإالُ

وقال أبو محمد الصقلي للمُعتمد بن عباد :

ولما رَحَلْتُمُ بالندى في أَكْفِكُمْ وقُلِقِلَ رَضوى منكم وثَبِيرُ
رَفَعْتُ لِساني بالقيامَةِ قَدْ دَنَتْ فهذه الجبالُ الراسياتُ تُسِيرُ

وقوله : « يَهْوَى الفَتى طولَ البقاء » البيت مع الذي بعده من المعاني المتداولة أيضاً ، وقد تصرّفت^(٢) في أثناء هذا الكتاب .

ومنهم الوزيرُ الكاتبُ أبو محمد عبد المجيد بن عبدون أحدُ الزُعماء في صناعة الشعر والنثر ، وثبوت القدم في الأدب ، أبنته أيضاً بقصيدة فريدة أولها :

ما مِنْكَ يا مَوْتُ لا وَاقي ولا فادى الحُكْمُ حُكْمُكَ في القاري^(٣) وفي البادى
قدّم أناساً وأخّرَ آخَرينَ فلا^(٤) عَلَيكَ يا مُورِدَ الحادى على الهادى

(٢) هـ ، ت ، لب : تفرقت

(١) هـ ، ت ، لب : مقول

(٤) هـ : فها

(٣) هـ : النادى

يا نائم الفكر في ليل الشباب أفق
سألني عن الدهر تسأل غير إمعنة
نعم هو الدهر ما أبقت غوائله
ألقت عصاها بنادي مأرب ورمت
وأسلت للمنايا آل مسلمات
ما لي إلى أقال الله عثرنا
فلت قنا^(٢) سمهر شكت أناملها
فعوضت^(٣) من حسين الخير أو حسن
بعدا ليومك يا نور العلاء ولا
له في عليك خبا فيه سناك وما
لاشمس قبلك زادت^(٤) بالغروب سنا
أطلعت ذكرك لما غبت وابنتك في
لما ملأت دلاء المائثرات إلى
وطبقت بك آفاق الملاهم
غضت عنانك أيدي الدهر ناسخة
لا در در ليل غورتك ولا
فما سمعنا ببخسر غاض في جدث
ولا بطود رسا تحت الثرى وسمأ

فصبح شيبك في أفق النهمى بادي
فألق سمعك واستجمع لايرادي
على جديس ولا طنم ولا عاد
بال مائة من بيضاء سنداد
وعبدت للرزايا آل عباد
منها تصرع^(١) أضداداً بأضداد
بعود طلح وأنسيافاً بأغباد
بالأزقط ابن أبيه أو بعباد
شجا بموت ولا سلى بميلاد
خبا ولكنها شكوى على القادي
واستأنفت نشر^(٥) أنوار وأوزاد
أفق العلاء نيرى هذى وإرشاد
أكرابها واختبى في حليمك النادی
زانت مطالع آباء وأجداد
علما بجهل وإصلاحاً بإفساد
سقى صداها غريص^(٦) الراح الغادي
وكان ملء الرثي^(٧) يرمى بأزباد
على الشها سملوه فوق أعواد

(١) ه : تصدع (٢) ه : شبا (٣) ه : ت : فقوضت (٤) ز : وارت

(٥) ر : نشأ ، والكلمة ساقطة في ت ، لب (٦) ه : ت ، لب : مريض

(٧) ه : ت ، لب : الملا

أعجوبة قصّرت من خطو كل حجاجاً فلم يكن في قوَى منها^(١) ولا آدٍ
 لقد هوت منك^(٢) خانتها قوادِمُها بكون كِبٍ في سماء المجد وقادِ
 ومقرم كان يحمي شول قرطبة استغفر الله لا بل شول بغداد
 ومنها^(٣):

من للعلوم إذا ما ضلّ ناشدُها في ظلمة الشكّ بعد النير الهادي ؟
 من للحديث إذا ما ضاق حاملُه ذرعاً بمثنٍ وإيضاح وإسنادٍ
 من للتلاوة أو للرواية أو من للبلاغة بعد العاد والهادي ؟
 شقّ العلوم نظاماً والملى زهراً فبين ما بين روادٍ وورادٍ
 مضى فلله ما أبقت ولا أخذت أيدي الليالي من المفدى والغادي !

- وهذه القصيدة طويلة سلك فيها أبو محمد طريقته في الرثاء ، إلى الإشارة ١٠
 والإيماء . بمن أباده الحدّثان من ملوك الزّمان . وقد نسق ذكرهم على توالي
 أزمانهم في قصيدة^(٤) اندرج له كثير من البديع فيها ؛ هي ثابتة في أخباره
^(٥) من هذا المجموع . وافقني أبو محمد أثر فحول القدماء . من ضربهم
 الأمثال في التّأبين والرثاء . بالملوك الأعزّة ، وبالوعول الممتنعة في قلل الجبال ،
 والأسود الخادرة في الغياض . والنسور والعقبان والحيات في طول الأعمار . ١٠
 وغير ذلك مما هو في أشعارهم موجود ، فأما المجدّثون فهم إلى غير ذلك أميل ،
 وربما جرّوا أيضاً على السّنن الأوّل .

(١) هـ ، ت ، لب : منه (٢) هـ : منذ

(٣) لم ترد هذه الأبيات إلا في ت ، لب (٤ - ٤) هـ في ت ، لب

(٥) ز في ت ، لب : من القسم الثاني

وَمِنْ رَثَاهُ يَوْمُئِذٍ الْكَاتِبُ أَبُو الْوَلِيدِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَارِيفٍ أَحَدُ
كُتَّابِ الْعَصْرِ، وَفُرسَانِ النِّظَمِ وَالنَّثْرِ، رَثَاهُ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا:

يُبَيِّحُ الْحَامُ مَنِيْعَ الْحِجَابِ وَيَعْرِى إِلَى الْمَرْءِ مِنْ غَيْرِ بَابٍ
وَلَمْ أَرَ أَنْفَذَ مِنْ سَهْمِهِ وَأَنْفَزَ مِنْ قِدْحِهِ بِالْغِلَابِ
أَلَمْ تَرَهُ كَيْفَ هَذَا الْهَدَى^(١) وَأَصْنَى الْعُلَا بِأَلِيمِ الْمَصَابِ؟!
ومنها:

فَمَنْ لَخْفَايَا حَدِيثِ الرَّسُو لِي وَمَنْ لِفَوَاضِ عِلْمِ الْكِتَابِ؟
وَمَنْ ذَا يُرَوِّى ظِلَاءَ الْعُقُو لِي وَيَشْحَذُ الْبَابِهِنَّ النَّوَابِ؟
فَلَهْفِي عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ لَهْفِي قَلِيلَ الْعَزَاءِ ضَعِيفَ الْعَنَابِ
إِذَا عَادَتِي عِيدُ تَذْكَارِهِ أَجَدَّ أَسَى لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسَابِ
وَإِنْ جَدَّ الدَّمْعُ فِي نَاطِرِي مَدَدْتُ قُوَاهُ بِقَلْبِ مُذَابِ
فَلَا شَيْءَ أَعْجَبُ مِنْ يَوْمِهِ بِرُؤْيَا شَهْلَانَ بَيْنَ^(٢) الرُّقَابِ
عَزَاءِ سِرَاجِ الْعُلَا فَالْجَمِيعُ قَلِيلُ الْبَقَاءِ سَرِيعُ الذَّهَابِ
وَمِنْهُمْ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ الْكَاتِبُ الْمُشْرِفِ
أَبِي مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُتَقَدِّمِ^(٣) بَنِيْلَهُ عَلَى تَأْخُرِ سِنِّهِ، رَثَاهُ أَوَّلًا
بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا:

هَلْ فُوجِئْتُ بِمُصَابٍ قَبْلَهُ الْعَرَبُ أَوْ أُسْقِطْتُ لِعِلْمٍ غَيْرِهِ الشُّهْبُ؟
ومنها:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَوْتَ مُعْتَرِضٌ ذَاكَ الْجَلَالَ وَلَمَّا يَنْتَوِ^(٤) الرَّهَبُ

(٢) هـ، ت، لب: فوق

(١) ت، لب: القوى

(٤) هـ، ت، لب: ولما ناله

(٣) ت، لب: المقدم في نبيله

مَنْ لَا تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ طَالِعَةً
إِذَا تَطَلَّعَ فِي نَادِيهِ مُحْتَبِيًا
يَا طَالِبَ الْعِلْمِ لَا تَرْحَلْ فَقَدْ رَدِيتُ
فِيمَ الذَّمِّيلُ وَحَثُّ السَّيْرِ مُنْتَحِيًا
ضَلَّكَ سَبِيلُكَ لَا هَادٍ وَلَا عَالِمٌ
يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ ^(١) الشَّنْعَاءُ قَدْ عَوَّضَتْ ^(٢)
إِنَّ الْخُصُومَ قَدْ اصْطَلَكَتْ مَرَاقِفَهَا ^(٣)
قُلْهَا لَذِي الْحَقْلِ تَمْضِي إِنَّ مَبْلَغَهَا
طَوْدَ الْعُلَا زَعَزَعَتْكَ الْغَائِبَاتُ وَمَا
مَامَتَ مِنْ خَلَدَتْ فِيهَا ^(٤) مَا رَزُهُ
لَوْلَا سِرَاجٌ وَفِي وَجْدَانِهِ عَوْضٌ
فَإِنْ تَقَلَّلَ بِأَيْدِينَا صَوَارِمُنَا ^(٥)
وَمِنْهُمْ الْفَقِيهُ الْأَدِيبُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ الْمُرَوَّانِيُّ النَّاصِرِيُّ ،
عَيْنُ أَهْلِ بَيْتِهِ الْخَطِيرَةِ ، وَأَحَدُ شُهَبِهَا الْمُنِيرَةِ « رَأَاهُ أَيْضًا بِقَصِيدَةٍ أُولَاهَا ^(٦) :
رَمَتْهُ الرِّزَايَا عَنْ رِقِيٍّ خُطُوبِهَا
فِيَا عَجَبًا أَنِّي طَوَاهُ ضَرِيحُهُ
بَسْمِهِ فَأَيًّا فَوَقَّتْ نَحْوَهُ أَيًّا ؟ ١٥
وَقَدْ كَانَ يَطْوِي الدَّهْرَ مِنْ نَشْرِهِ طَيًّا !

(١) ت ، لب : الخطبة (٢) وه ، ت : عرضت — ر : عوضت

(٣) ت ، لب : قد اصطفت مواقفها (٤) ت ، لب : شعوا

(٥) ت ، لب : فينا (٦) هذا البيت ناقص في ت ، لب

(٧) وه : لم تكن ذلا — ر : تفنى ، ولعل الصواب ما أثبتناه

(٨) ت ، لب : أبته بقصيدة يقول فيها

فَقُلَّ ذَرَا عَرْشِ الْعُلَى وَتَفَاثَرَتْ نُجُومُ الْمَعَالَى مِنْ مَرَاتِبِهَا وَهِيََا
وَكَمْ آيَةٍ لِلدِّينِ بَيْنَ شَرْحِهَا وَلَمْ يَعْتَرِفْهَا^(١) عَنْ جَوَابٍ وَلَا فُتْيَا
^(٢) وَكَمْ مُضْعَبٍ فِي النَّخْوِ رَاضٍ جَمَاحَهُ فَعَادَ ذُلُومًا بَعْدَ مَا كَانَ قَدْ أَغْيَا
وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ لِلنَّبِيِّ أَبَانَهُ وَالْبَسَهُ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقِهِ وَشَيَا
وَمِنْهُمْ الْأَدِيبُ النَّبِيلُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنَانِيُّ أَحَدُ تَلَامِذَتِهِ
الْآخِذِينَ عَنْهُ ، رَوَاهُ أَيْضًا بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

رُزْءًا تَطَلَّبْتُ فِيهِ الصَّبْرَ فَأَمْتَنَعَا وَرُمْتُ دَمْعِي عَلَى التَّسْكِينِ فَاثْنَعَا
قَالَ فِيهَا :

حَدِيثَ صِدْقٍ نَعَى النَّاعِي إِلَى ضُحَى فَرَعْتُ فِيهِ إِلَى التَّكْذِيبِ حِينَ نَعَى
صَبْرًا سِرَاجٌ فَمَا يُبْقِي الرَّدَى أَحَدًا كُلُّ سَيْجَرٍ عَنْهُ مَنْ كَأْسِهِ جُرْعَا ١٠
أَقُولُ صَبْرًا كَأَنِّي غَيْرُ مُكْتَرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا مُوجَعَانِ مَعَا
إِلَى غَيْرِهَا مِنْ قَصَائِدَ طَوِيلَةٍ^(٣) لَمْ يَتَسَعْ هَذَا الْجُمُوعُ لَاسْتِيفَائِهَا ، وَفِيَا مَرَّ مِنْهَا
كَفَايَةٌ . وَكَثُرَ مِنْ أَتْبَعِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَطَالَ فِي مَدْحِ ابْنِهِ « وَلَيْسَ مِنْ عَادَةٍ
أُمَّةُ الشُّعْرَاءِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ إِلَّا كَثَارُ مَنْ مَدَحَ الْمَعْرَى فِي تَأْيِينَ حَمِيمِهِ الْمُتَوَفَّى »
وَإِنَّمَا يُلْمَوْنَ بِهِ إِمَامًا بَعْدَ التَّوَفَرِ عَلَى نُدْبَةِ مَيِّتِهِ وَالْإِشْبَاعِ فِي ذِكْرِ مَا قُفِدَ مِنْ ١٥
خِصَالِهِ ، ثُمَّ الْكَرَّ عَلَى تَسْكِينِ جَاشِهِ ، وَحَصَّ عَلَى التَّعَرَّى اتِّقَاءَ لُوبِهِ ، هَذِهِ
طَرِيقُهُ قُدَمَاءُ^(٤) الشُّعْرَاءِ .

(١) هـ : يعترفها (٢) هذا البيت ناقص في هـ : ومؤخر في ت ، لب

(٣) عبارة ت ، لب : ... قليلة الطائل أثبتتها أبو الوليد المذكور بجملة ما وليس هذا المجموع لاستقصائها .

(٤) ت ، لب : خول الشعراء

والوزيرُ الفقيهُ أبو الحسين^(١) ابنُه المخاطبُ يومئذٍ بهذه الأشعارِ هو سراجُ
ابن عبد الملك بن سراج ، اسمٌ وافقُ مُسمَّاه ، ولفظٌ طابقَ مَعْنَاه . فإنه سراجُ
علمٍ وأدبٍ . وبحرُ لغةٍ لسانِ العرب ، وإليه في وقتنا هذا بحضرةٍ قرطبة شَدُّ
الأقْتَاب . وإنشاء الرُّكَّاب . في الاقتباسِ منه ، والأخذِ عنه ، ثم إنَّه في هذا
الفنِّ الذي نحنُ في إقامة أودِه ، زِمَامُه وخطامُه في يَدِه ، ولنظْمِه ونثرِه دِيباجةٌ
رائقةٌ ، وهو القائلُ :

لَمَّا تَمَكَّنَ مِنْ فُؤَادِي مَنَزِلًا وَغَدَا يُسَلِّطُ مُقْلَتَيْهِ عَلَيْهِ
نَادَيْتُهُ مُسْتَرْحِمًا مِنْ عَابِرَةٍ أَفْضَتْ بِأَسْرَارِ الضَّمِيرِ^(٢) إِلَيْهِ
رَفَقًا بِمَنْزِلِكَ الَّذِي تَحْتَلُّهُ يَا مَنْ يُخَرِّبُ بَيْتَهُ بِيَدَيْهِ !

وهذا البيتُ الأخيرُ منها كقولِ التَّهَامِي :

١٠

حَرَّقَ سِوَى قَلْبِي وَدَعُهُ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ وَأَنْتَ فِي سَوْدَانِهِ
وَأَنْشَدْتُ أَيْضًا لِبَعْضِ أَهْلِ الْقَصْرِ :
قُلْتُ لَهُ لَا تَرْمِ قَلْبِي فَإِنَّهُ مَكَانُكَ وَالرَّمِيَّ أَنْتَ وَلَا تَدْرِي
وَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ حَزْمٍ :

١٥

أَذْكَيْتَ فِي^(٣) قَلْبِي بِنَايِكَ لَوْعَةً حَتَّى خَشِيتُ عَلَى مَحَلِّكَ فِيهِ
وَفِي قَرِيبٍ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ شَرَفٍ :
عَجِبْتُ مِنْهُ وَأَخْشَاؤِي مَنَازِلَهُ كَيْفَ اسْتَقَرَّ بِهَا مِنْ كَثْرَةِ الْقَلَقِ !

(١) ر : أبو الحسن (٢) ت ، لب : الديموع

(٣) ق ، ت ، لب : من

وَقَلَبَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُ فِتْيَانٍ وَقَتِينَا وَهُوَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ بَقِيٍّ فَقَالَ :
أَبْعَدْتُهُ عَنْ أَضْلَعُ تَشْتَاقُهُ كَيْ لَا يَفْنَى عَلَى وَسَادٍ خَافِقٍ
وَبَلَّغْنِي أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ بَعْضِ إِخْوَانِهِ إِلَى بَعْضِ الْبَسَاتِينِ ، فَعَارَ فَرَسٌ أَحَدِهِمْ
فَاتَّبَعَهُ صَاحِبُهُ وَسَاعَدَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ ، وَتَخَلَّفَ عَنْهُ ^(١) أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْيَسَعِ ،
وَأَكْبَّ عَلَى رَاحِهِ ^(٢) هُنَالِكَ ، فَارْتَجَلَ ^(٣) أَبُو الْحُسَيْنِ :

عَمَرِي أبا حَسَنِ لَقَدْ جِئْتَ الَّتِي عَطَفْتُ عَلَيْكَ مَلَامَةَ الْإِخْوَانِ
لَمَّا رَأَيْتَ الْيَوْمَ وَلِيَّ عُمُرِهِ وَاللَّيْلُ مُقْتَبِلُ الشَّبَابِ دَانِي
وَالشَّمْسُ تَنْفُضُ ^(٤) زَعْفَرَانًا فِي الرَّبِّيِّ وَتَفْتُ مِسْكَتَهَا عَلَى الْغَيْطَانِ
أَطْلَقَتْهَا شَمْسًا وَأَنْتَ عَطَارِدُ وَخَفَقَتْهَا بِكَوَاكِبِ النَّدْمَانِ
فَأَتَيْتَ بِدَعَا فِي الْأَنَامِ مُخْلِدًا فِيمَا قَرَنْتَ وَلَاتَ حَيْثُ قِرَانِ ١٠
وَلَهَيْتَ عَنْ خَلِّيٍّ صَفَاءَ لَمْ يَكُنْ يُلْهِمُهُمَا عَنْكَ اقْتِبَالُ زَمَانِ
غَفِيًّا بِذِكْرِكَ عَنْ رَحِيقِ سَلْسَلِ وَحَدَّثْتُ خُضْرٍ وَعُزْفِ قِيَانِ
وَرَضَيْتَ فِي رَفْعِ الْمَلَامَةِ أَنْ تُرَى مُتَعَلِّقًا بِالْعُذْرِ مِنْ حَسَّانِ
وَهَذَا رِوَاءُ الدِّيْبَاجِ الْخُسْرُوَانِيِّ ، وَرَوَّنَقُ الْعَصَبِ ^(٥) الْيَمَانِيِّ وَلَمْثُهُ فَلْتَنْشُرْ حُ
الصُّدُورِ ، وَتَتَشَوَّفُ الشُّرُورَ ، وَيُذَعِّنُ الْمَنْظُومُ وَالْمَنْشُورُ ، أَلَا تَرَى مَا آتَى ^(٦)

(١) وه ، ت ، لب : عنهما

(٢) ر : راحته — وه ، ت ، لب : راحلته ، ولعل الصواب ما أثبتناه

(٣) ت ، لب : فكُتِبَ إليه أبو الحسين بهذه الأبيات

(٤) وه : تنفت (٥) ر ، ت ، لب : العصب

(٦) وه : ما أنور

استعاراته ، وأرشق إشاراته ، وأقدره على الإتيان بالتشبيه دون أداته ، وكذلك طبعه في سائر مقطعاته . على أن أشعار العلماء على قديم الدهر وحديثه بينه التكلف ، وشعرهم الذي روي لهم ضعيف ، حاشا طائفة منهم خلف الآخر ، فإن له ما يستندر ، وقطرب له أيضاً ما يستغرب كقوله وقد رويت لغيره :

إن كنت لست معي فالدُّكْرُ منك معي يرعاك^(١) قلبي وإن غيبت عن بصري
فالعَيْنُ تبصرُ مَنْ تهوى وتفقده وناظرُ القلب لا يحلو من النظرِ
والخليلُ بنُ أحمد ، له أيضاً بعض ما يُحمد ، ومؤرِّج^(٢) السدوسي ، وابنُ دريد
من الشعراء العلماء ؛ وكذلك من علماء البصرة أبو محمد اليزيدي^(٣) وهو القائل
في حمويه ابن أخت الحسن الحاجب :

٩٠ إن فخرَ الناسُ بأبائهم أتيتهم بالعجبِ العاجِبِ
قلتَ وأدعمتُ أباً خاملاً^(٤) : أنا ابنُ أختِ الحسنِ الحاجبِ
ومن هذا أخذَ دِعْبَلُ قوله :

سألتُه مَنْ أبوه فقالَ دينارُ خالي

فقلتُ دينارُ من هو فقالَ والي الجبالِ^(٥)

١٥ وابنُ مُناذِرٍ أيضاً عالمٌ شاعرٌ ، وابنُ مُحَلِّمِ السَّعْدِي وهو الذي يقول :

تُصَيِّخُ لِكِسْرِي حينَ تَسْمَعُ ذِكْرَهُ بِصَمَاءَ عن ذِكْرِ النَّبِيِّ صَدُوقِ

وتُفَرِّقُ في إِطْرَاءِ^(٦) ساسانَ وابنه وما أنتَ من أعلامِهِمْ بِشَرِيفِ

(١) هـ : يهواك

(٢) في الأصول : ومؤرِّج

(٣) ز في ت ، ب : وبنوه

(٤) ر : أيا جاهلا

(٥) ت ، ب : الجبال

(٦) هـ : آثار

ومن العلماء الشعراء أحمد بن أبي كامل وهو القائل :

لا أرى فيما أرى شبيهاً لك غير البدر في الظلم
غير أن البدر ليس له لحظة تدعو إلى السقم

ومن الرواة الأخباريين محمد العتبي وهو القائل : «^(١) رأيت الغواني الشيب
لاح بمفرق . . . الأبيات . هؤلاء أعيان العلماء الشعراء بالمشرق ، ممن علا
شعرهم ديباجة ورونق ، فأما من سواهم كيونس والأخفش وأبي عمرو بن العلاء
وسيبويه والفراء وسائر أصحابهم فأكثر الرواة لم يسمع لهم بشعر ، والكسائي
الذي يقول : « إنما النحو قياسي يتبع » له شعر ضعيف ، بين التكليف .
فأما أبو عبيدة فله شعر يضحك لا سيما قوله في ابن ليونس^(٢) النحوى ،
وكان يسمى جرك^(٣) : »

لم أر أن أكون من رواته إذ هو معدود في هناته
وللاضحى قصيدة في بني برمك أكثر فيها من الغريب ، وما أتى بغريب ؛
وكذلك من علماء الكوفة جماعة مثل خالد بن كلثوم ، وأبي عمرو الشيباني ، وابن
الأعرابي وأصحابهم ، زعم ابن المنجم أنه لم يسمع لهم بشعر . وأما العلماء
الشعراء بأفينا هذا الأندلسي من حين استفتحت^(٣) الجزيرة إلى آخر دولة
بني عامر . فقد تقدم المصنفون قبلي إلى تدوين نثرهم ونظمهم ، فأغنانى عن
ذكرهم ، وإنما شرطت ذكر أهل عصرى ممن شاهدته بعمرى ، أو لحقه
بعض أهل دهرى .

(١) ت ، لب :

رأيت الغواني الشيب لاح بمفرق فاعرض عن بالحدود النواضر

(٢) ت ، لب : استفتاح

(٣) ر : ابن ليونس

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي مروان عبد الملك بن محمد

ابن شامخ ، وإيراد جملة من نظمته ونثره ، مع

ما يتعلق به ويذكر بسببه

وأبو مروان هذا أحد من أدر كتبه^(١) وذاكرته ، وأنشدني شعره ، وكان

- باهر الضوء ، صادق النوء ، ينفث بالسحر في عقد النظم والنثر ، ويؤفي على أنواع البديع ، إيفاء نيسان على محاسن فصل الربيع ، إلى علم أعذب من الماء ، وأكثر من حصي الدهناء ، وفهم أذكى من الشمس ، وأجرى من النفس في النفس ؛ ولولا أنه احتضر ، لمهر^(٢) وبهر ، وقد أخرجت من نظمته ونثره ، ما يشيد باسمه ، ويدل على سعة علمه ؛ فمن ذلك رقيقة خاطب بها الفقيه القاضي^(٣) أبا عبد الله بن حديد ، قال فيها :

١٠

لما وضعتُ صفيقي في بطن كفت رسولها
قبَلَتْهَا لَتَمَسَّهَا يُمْنَاكَ عِنْدَ وُصُولِهَا
وتَوَدُّ عَيْنِي أَنَّهَا أَقْدَ تَرَنَّتْ بِيَعُضِ فُصُولِهَا
حَتَّى تَرَى مِنْ وَجْهِكَ الـ مَيْمُونِ غَايَةَ سُؤْلِهَا

نعم ! دام^(٤) عز الفقيه سامي الرقعة ! إني حاسد هذه الرقعة ، لأنها تحظى

١٥

(١) ت ، لب : شافهته

(٢) ت ، لب : لبهر الشمس والقمر ، كما أعجز من نظم ونثر . وسبق أكثر من تقدم وتأخر ، وقد أجريت من نظمته ...

(٣) هـ : القاضي بقرطبة — ت ، لب : قاضي الجماعة أبا عبد الله بن حديد افتتحها ممثلا بهذه الأبيات :

(٤) هـ : أدام الله — ت ، لب : أعز الله

دُونِي بِرُؤْيَيْتِهِ ، فَلَوْ حَظَّيْتُ بِمَثَلِ مَا بِهِ حَظَّيْتُ ۖ لَبَلَغَ قَلْبِي غَايَةَ مُنْيَتِهِ ^(١) .
 أَمْثَالُ أَضْرِبُهَا عَلَيْكَ مَا لَهَا أَمْثَالُ ، وَسَلْسَالُ أَمْرُجُهُ لَدَيْكَ يَحْيَا بِهِ الصَّلَاحُ ،
 يَا أَيُّهَا الْخَطِيُّ الَّذِي أَنْبَتَهُ وَشَيْجُهُ ، يَا أَيُّهَا الْأَعْوَجِيُّ الَّذِي أَدَّبَهُ ^(٢) تَخْرِيجُهُ ،
 يَا أَيُّهَا الْفَرَعُ ^(٣) الَّذِي ثَبَتَ أَصْلَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ ، وَشَمَخَ سِدْنُخُهُ بِنَاصِيَةِ الْجُوزَاءِ ۖ
 إِذَا ثَبَّتَتْ ^(٤) فَوْقَ السَّمَاءِ أَصُولُهُ فَأَيْنَ أَعَالِيهِ وَأَيْنَ الدَّوَابُّ ؟

بَعْدَ صِيَّتِكَ فِي النَّبَاهَةِ حَتَّى طَبَّقَ الْغَبْرَاءُ ، وَصَعِدَ سَرُوكَ فِي الْجَلَالَةِ حَتَّى آتَقَ
 الْخَضْرَاءُ ، لَوْ اقْتَصَرْتَ عَلَى مَا بَنَى لَكَ أَوَّلُكَ ، لَسَبَقَ جَهْدَ السَّابِقِينَ مَهْلُكَ ۖ
 بَلْ بَنَيْتَ عَلَى مَا بَنَوْا ، وَسَمَوْتَ كَمَا سَمَوْا ۖ فَلَوْ فَضَّتْ خَوَاتِمُ الطِّينِ ، عَنْ آبَائِكَ
 الْأَكْرَمِينَ ، لَبَصُرْتَ بِعِظَامِهِمْ تَهْتَرُ وَهِيَ رَمِيمٌ ۖ إِعْجَابًا بِمَا أَهْدَاهُ إِلَيْهَا
 سَعْيُكَ الْكَرِيمُ :

فَقَدْ يَضْحِكُ الْحَيُّ سِنَّ الْفَقِيرِ ۖ لَدِ قَتَهْتَرُ أَعْظَمُهُ بِالْعَرَاءِ
 خَطَبْتُ وَدَّكَ ، فَإِنْ تَرَنِي كُفُّوا بَلَغْتُ الْمِبَالِغَ الشَّاسِعَةَ ^(٥) ، عَفَّوْا ۖ ظَمِئْتُ إِلَى
 شَمُولِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ ، فَإِنْ سَمَّيْتِي مِنْهَا نَغْبَةً ۖ سَرَّتْ فِي الْأَرْيَحِيَّةِ حَقْبَةً . مَا أَرَى
 الْفَقِيْعَةَ يَعْلَمُ مِنْ أَمْرِي ، أَكْثَرَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضُضِّي وَنَجْرِي . سَأَلْعُ ^(٦) لَكَ فِي
 شَأْنِي بِلَمْعَةٍ وَاحْتِصِرَ ، فَقَدْ يَرَوِي — وَإِنْ قَلَّ — الزُّلَالُ الْخَصِرَ . كَانَ مَدَّةً
 فِي يَدِي زِمَامٌ بِلَدِي ، ثُمَّ نُقِلْتُ إِلَى حِمَصٍ ، وَكَانَتْ لِحْمٌ مَتَى شَاءَتْ أَمْرًا لَمْ تُعْصَ ،
 فَلَمَّا رَمَتْ بِصِنَاهَا جَعَلَ الْأَجَجُ ، وَثَارَ لَهُمْ ذَلِكَ الرَّهَجُ ، فِي يَوْمٍ أُشْرِعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ ،

(١) و ، ت ، لب : أمنيته (٢) و ، ت ، لب : هذبه

(٣) و : يا أيها الذي ثبت أصله فوق السماء ، وسعف نخله بناصية الجوزاء

(٤) و ، ت ، لب : نبئت (٥) و ، ت ، لب : الواسعة

(٦) ت ، لب : سألع ... بلعة

وأجهضت لشدة خطبه الأجنسة ، فانتهب مالى كما انتهب مال المضر ، وكسد في
 خمس^(١) سوق النظم والنثر ، زهدنا فيها^(٢) فمقتناها ، وسكتنا عن الكتابة
 فما أبتناها ، ولجأنا إلى غافق . بعلق من الأدب غير نافع ، بحيث يتساوى
 الجهل والعلم ، ويضعف البليغ القدم ؛ وإني — أعز الله الفقيه — وإن كان
 أوطاني الله منها أوطاني ، وأعطاني منها^(٣) أعطاني ، وآواني منها إيواني ،
 لعدم الشكل ، لغريب فيها بين الأحيه والأهل . فإن تبك عين الفقيه الشفيق ،
 ضياع صديق . فلتبك منى لطائر كريم ، رد إلى وكر لئيم ، ولتثر لدرة
 سنية ، ردت^(٤) إلى صدفة دنية ، وحسبنا الله ! أنا المصدور أكثر نفثا ،
 وشكوت بشا ؛ وإن كنت أطلت الخطاب فإن حوار الفقيه لذلى وطاب .
 وانتظاري لجوابه انتظار الصائم للفطر ، والساري للفجر ، وأقرأ عليه من
 سلامي^(٥) عدد مناقب الفقيه . بل عدد محاسن أبي الحسن أبيه . فإنها تجاوز الحد ،
 ولا تطاوع العدة .

قوله « وإني بها لعدم الشكل ، لغريب بين الأحيه والأهل » مخلول
 من قول الخطابي حيث يقول :

وإني غريب بين بسى وأهلها وإن كان فيها أمرتى وبها أهلى
 وما غربة الإنسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل
 وأخذه عمر بن أبي عمر الشجري فقال :

(١) ت ، لب : يا شبيلى

(٢) ت ، لب : في خمس

(٣) ت ، لب : ما أعطاني

(٤) ت ، لب : صرفت

(٥) هـ : سلامى المتتابع المتواتر

وليس اغترابي في سجنستان أننى عَدِمْتُ بها الإخوانَ والجارَ^(١) والأهلا
ولسكنه مالى بها مِنْ مُشاكلٍ وإنَّ الغريبَ الفردَ مَنْ يَعْدُمُ الشُّكْلَا
وقوله « فتهتزُّ أعظمُهُ بالعرَاءِ » كقول أبي تمام^(٢) :

ولو عَلِمَ الشَّيْخَانِ أَدَّ وَيَعْرُبُ لَسُرَّتْ إِذَا تَلَكَ الْعِظَامُ الرَّمَامُ^(٣)
وإليه أشارُ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ بقوله^(٤) :

فليتَ أبا السَّبْطَيْنِ والتَّربُ دُونَهُ رَأَى كَيْفَ يَبْدَى^(٥) حُكْمُهُ وَيُعِيدُ
فأجابه القاضى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِرُقْعَةٍ اقْتَضَبَتْ بَعْضَ فُصُولِهَا لَطُولَهَا^(٦) ، قالَ فيها :
كَتَبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوَى وَشَوْفًا إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي الْكِتَابِ
مَنْ صَحِبَ الْأَصَالَ وَالْبُكَرَ ، عَرَفَ وَأُنْكَرَ :

١٠ ما أَحْسَنَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى حَجَرَهُ تَذَبُّو الْحَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلُومٌ^(٧)
غَفَى^(٨) بِأَبْكَ ، وَأَخْصَبَ جَنَابُكَ ، وَطَاوَعَكَ زَمَانُكَ ، وَنَعِمَ بِكَ إِيوَانُكَ :
وَسَقَى بِلَادَكَ^(٩) غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْنِي
فما درجَ بِسَبِيلِهِ^(١٠) مَنْ كُنْتُ سُلَالَةً سَلِيلِهِ ۖ وَوَارِثَ مَجْدِهِ وَمَقِيلِهِ ؛ وَمَا
خَامَ وَضَرَعَ ، نَحْرُ رَمَى عَنْ وَتَرِ قَوْسِكَ وَنَزَعَ ۖ لَمْ يَهْلِكْ هَالِكٌ ، تَرَكَ
مَثَلَ مَالِكٍ .

(١) هـ ، ت ، لب : والدار (٢) راجع ديوانه ص ٢٨٧

(٣) ت ، لب : العظام (٤) تبين المعاني ص ٢٤٤

(٥) ر : يهدى . وفي الديوان تبدى ... وتعيد .

(٦-٦) هـ في ت ، لب (٧) في الأصول : يبابك

(٨) ت ، لب : ديارك (٩) هـ : لسبيله

(١) كَالْمُنْدَوَانِي لَا يُخْزِيكَ مَشْهُدُهُ وَسَطَ الْهَيَاجِ (٢) إِذَا مَا تَضْرِبُ الْبُهِمُ
فَرَكْتَ الْمِهَادَ ، وَأَلْفَتَ الشَّهَادَ ۖ وَتَقَبَّلْتَ الْآبَاءَ وَالْأَجْدَادَ ۖ فَأَسْرَجْتَ فِي مَيْدَانِ
عِتَاقِ الْجُودِ بُرَاقًا ، مَرَيْتَ (٣) لَهُ حَافِرًا وَسَاقًا ، فَاحْتَلَّ مِنْ شِعَابِ الْمَجْدِ صُتْعًا ،
أَثَارَ بِهِ نَقْعًا ، وَدَوَّمَ فِي وَجْهِهِ (٤) السَّمَاءَ ، تَدْوِيْمَ قَزَعِ الْعَمَاءِ ، (٥) كَأَنَّهُ عَلَى قِمَّةِ
الرَّاسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلَّقٍ ، فَحَقَّقَ لِبَاهِرِ فَضْلِكَ أَنْ يَطُولَ ، فيقول :

مَا يَقْوَى شَرَفْتُ بِلْ شَرُفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِمَجْدُودِي
أَوْ يَتَنَزَّلَ ، فيتمثل :

لِسْنَا (٦) وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَشْكُلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ۖ تَبْنِي وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
كَمْ مُتَعَاطٍ شَاؤَ طَلَقِكَ ، وَمُشْتَرِطٍ مَنَالِ أَفْقِكَ ، سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ شَقَّ غُبَارِكَ ،
وَاقْتَفَاءَ مَنَاهِجِ آثَارِكَ ، سَلَكَ فَمَا أَدْرَكَ ، وَبَلَغَ (٧) بَعِيرُهُ فَبَرَكَ ، « فَهَنْ رَدَايَا
بِالطَّرِيقِ وَدَائِعُ » :

(٨) وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ
لَوْ بِمَا تَعْتَرِّثُ بِهِ مِنْ عَشَائِرِ (٩) نَسَبُوكَ ، وَأَبَاءَ صَدَقٍ وَلَدُوكَ فَأَنْجَبُوكَ :
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجِرْعَ ثَائِقَهُ
وَجِلْبَابِ أَدَبٍ ۖ شَفَعَ الْحَسَبُ ۖ وَكَسَا الدُّرَّةَ الذَّهَبَ ، فَتَنَّاكَ وَتَرُّ الْأَبَدِ (٩) ،

(١) لم يرد هذا البيت في ت ، لب (٢) وه : السيوف إذا لم

(٣) لب : برت له خوافي وساقا (٤) وه ، ت ، لب : جو

(٥ - ٥) وه في وه ، ت ، لب (٦) وه ، ت ، لب : لسنا وإن كرمنا أوائلنا

(٧) وه : وأناخ - ر : تلج (٨ - ٨) وه ، ت ، لب

(٩) كذا بالأصول

كالسيف^(١) الفرد — أو غلت الرُّكاب ، وعَلِقَتِ الأَسباب ، لتعدَّيتِ مَنابحِ
العَواء ، فهصرت^(٢) هَقَمَةَ الجَوَزا ، واتخذتِ إكليها إكليلا ، فلم تَدُمُك
نزيلا ، وقبَلتِ إخصَ قدميكِ تقبيلا .

وفي فصل :

بيننا وسائل ، أحكمنا الأوائل ، ما هي بالأنسكاث ، والشانجِ الرِّثاث ،
من دُونها ودَّ جنَّاهُ شُهْد ، ومرادهُ خُلْد ، أنضرُ من أنيقِ الخَضِر ، وأعقبُ^(٣)
من فتيقِ الزَّهر ، غِبَّ المَطَر ،^(٤) جفَّتْ أعراضُه ، ونَدَّيتِ حياضُه ، سرى له
النَّسيم ، فوشى به النَّميم :

ماروضةً من رياضِ الحزنِ مُعشبةً غنَّاه جادَ عليها مُسبِلُ هِطْلُ
يضاحِكُ الشَّمسَ منها كوكبُ شَرِقُ مؤزَّرُ بهيمِ النَّبتِ مُكتهِلُ
يوماً بأطيبِ منه نَشْرَ رائحةٍ ولا بأحسنِ منه إذ دنا الأصلُ

لو كان بشراً كان حَسَنَ البَشَرَةِ ، أنيقَ الحِبرَةِ^(٥) ، أرجَ عَرَفِ النَّسيمِ ، مُشرقَ
جَبِينِ^(٦) الأديمِ ، رائقَ رُقعةِ الجَلِبابِ ، مُقتبِلِ^(٧) رَأدِ الشَّبابِ ، كالصَّبَّاحِ
المُتَجابِ ، تُشرقُ^(٨) أساريرُهُ ، وتلقاكِ قبلَ اللقاءِ تباشيرُهُ ، عن آباءِ صدق :

ورثناهُنَّ عن آباءِ صدقٍ ونورُها إذا مُتَّما بِنينا

(١) ق ، ت ، لب : كالرَّهف (٢) قه : بهقعة — ر : هضبة بهقعة (٣)

(٤) ق ، ت ، لب : وأعطر (٥) قه : وميض (٦) ر : منبتل رداء

(٧) قه : تبدوت ، لب : تَبَرَّق

المَقَّةُ تَبْعُ الثَّقَّةَ ، لَا يُلْهِمَنَّكَ وَقَدْ لَاحَ الْبَدْرُ ، وَوَضَحَ لِلسَّارَى الْفَجْرُ ، جَوَابُ
أَنْبَتُهُ ، وَدَيْنُ مَطْلَتُهُ وَلَوَيْتُهُ :

فَقُلْتُ امْكُنِّي حَتَّى يُسَارَ لَعَلَّنَا نَحُجُّ مَعًا قَالَتْ : أَعْلَمًا وَقَابِلُهُ ؟

إِسْجَاحٌ وَمَقْدِرَةٌ : إِذَا لَمْ تَكُنْ مَقْدِرَةً ، فَتَنْظَرُ إِلَى مَيْسَرَةٍ ، لَوْ بِحَسَبِ مَا طَوِيَهُ .
لَبَيَّتُ دَاعِيَ مُنَادِيهِ ، لِبَادَرْتُ بِدَارَ الْقَيْنِ ، وَأَوْعَزْتُ إِبْعَازَ لَعَمِ الْيَدَيْنِ ^(١) .

وفي فصل منها :

وَلَا غُرَوِ إِنْ اسْتَعْجَمَ لِسَانٌ وَحَصَرَ بَيَانٌ ، لِحَنَّةِ جَنَّانٍ ، وَخَرِيدَةِ بَيَانٍ .
تَرُودُ رَوْضَ الْآدَابِ ، وَتَرْدُ ذَوْبَ مَاءِ الْأَلْبَابِ ، نَمَاهَا كَهْلَانٌ ، وَنَهْدَ بَهَا
سَحَبَانٍ ، تَدْعُو زَالَ ^(٢) ، وَتَقْتَجِرُ رَدَّ السَّوَالِ ،

بَيَانٌ لَمْ تَرِنُهُ ثَرَاثَ دَعْوَى وَلَمْ تَنْبِطُهُ مِنْ حِسِي بَكِيٍّ ١٠
أَهْلًا بِهِ طَائِرٌ وَدَادٍ وَقَعَ ، وَبُلْبُلٌ وَادٍ سَجَعَ فَرَجَعَ ، وَهَيَّجَ دَاءَ دَفِينَا ، فَذَكَرَ
بَعْضَ مَا كُنَّا نَسِينَا :

فَضَضْتُ خِثَامَهُ فَتَبَلَّجَتْ لِي غَرَائِبُهُ عَنِ الْخَبْرِ الْجَلِيِّ
فَكَانَ أَغْضٌ فِي عَيْنِي وَأَنْدَى عَلَى كَيْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ
وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا مَنَى وَعَنْدَى مِنَ الْبُشْرَى أَنْتَ بَعْدَ النَّعْيِ ١٥
وَضُمَّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تُضْمَنْ صُدُورُ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْعُلَى ^(٣)

(١) ز في هـ : واقتضبت المدي فكان السلام وكنت الصدى . ولما تمت (كذا)

خجل التسويف واللبان ، بأوقد من مضى الأفوان ، ومفترش حسك السعدان .
على الفراش لغوء الصبح مرتقب كأنه به الإبر

(٢) هـ : التزال (٣) لم يرد هذا البيت إلا في هـ

لله فِطْنَةٌ^(١) فَطَرْتَهُ ، وَيدُ سَطَرْتَهُ ، وَصَحِيفَةٌ احْتَوَتْهُ ، وَأَنَا مِلُّ لَوْتَهُ | مَا أَبْدَعَ
مَا وَسَقَ | وَأَعْجَبَ مَا نَظَّمَ وَنَسَقَ ، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا سِحْرٌ يُؤَثَّرُ ، وَدَرْ يُنْتَرُ ، وَأَنْفَاسٌ
تَعْبَقُ ، وَنَفُوسٌ تُسَبِّى وَتُسْتَرْقُ ، إِلَى أَغْرَاضٍ كَقِطْعِ الرِّيَاضِ ، وَمَعَانٍ كَأَنْبَارِ
الْقَوَانِي لَوَيْنَ^(٢) قُدُودًا ، وَكُسَيْنَ مِنْ وَشَى الْكَلَامِ مَجَاسِدًا وَبُرُودًا ، فَمُعْجِبُهُ^(٣)
يَهْرَجُ بِيَقَاعِهِ^(٤) ، وَيَرْتَجِلُ عَلَى إِبْقَاعِهِ :

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَسَمِعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمٌّ
سَمِعُ الْآذَانَ ، وَحَدِيثُ الرُّكْبَانِ :
بِهِ تَنْفُضُ الْأَحْلَاسُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَتُنْقَدُ أَطْرَافُ الْجِبَالِ وَتُوقِ^(٥)
نَادَى شَخْصَ طَلَلٍ حَابِسٍ^(٦) | وَكَلَّمَ رَبِيعَ رَسْمِ دَارِسٍ ، مِنْ نَفْسِ أَبْدَادٍ ، وَفَوَادِ
فَادٍ^(٧) ، صَدَى حَتَّى بَلَى | وَدُهَى حَتَّى فَنَى ؛ بِمَثَلِهِ وَقَفَ جَمِيلٌ ، وَاسْتَعْبَرَ يَقُولُ :
أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَوَاءَ فَيَنْطِقُ وَهَلْ تُخْبِرُنَا الْيَوْمَ بَيِّدَاهُ سَمَلَقُ
فَكَانَ حَيًّا جَلَجَلَ رَعْدُهُ ، وَأَسْبَلَ وَدْفُهُ ، بِأَكْنَافِ جَوَى مَحَلِّ وَادِيهِ |
وَأُجْدِبَتْ بَوَادِيهِ ، فَلَايَا مَا لَانَ مَدْرُهُ | وَانْبَجَسَ حَجَرُهُ ، وَطَلَعَ نَجْمُهُ
وَأَشْرَقَ زَهْرُهُ :

مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لَشَارِبِهِ كَلَّا وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهَوَّ سَعْدَانٍ^(٨)

(١) ف : فطرة — ت : قددن — ت : لب : أدرن

(٢) ت : لب : فعبه (٣) ف : ت ، لب : بيفاعة

(٤) ف : ت ، لب : بيفاعة (٥) ف : وتطلق — والبيت ناقص في ت ، لب

(٦) ف : ت ، لب : عابس (٧) ف : ت ، لب : عابس

(٨) لا يوجد هذا البيت إلا في ف

«وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا»^(١)
 شَتَانٍ بَيْنَ رَبْوَةٍ يَفَاعُ ، وَصَفْوَانَةٍ يَفَاعُ . وَأَيْنَ مِنَ الْغَمْرِ الْمَعِينُ ، وَشَلٌّ يَنْضَحُ
 بِمِثْلِ رَشْحِ الْجَبِينِ ؟ فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ ، وَاسْتَمْجَدَ الْمَرْخُ وَالْعَفَارُ ، وَأَنْ تَسْمَعَ
 بِالْمُعَيَّدِي . وَتُخْبِرَ عَنِ الْإِبَاسِي ، فَشَاكِهِ أَبَا يَسَارٍ ، فَبِدُونِ مَا وَصَفْتَنِيهِ يَنْفَقُ^(٢)
 الْحَارِ . وَتُخَطَّبُ غَيْرُ ذَاتِ النَّجَارِ ؛ مَا هِيَ إِلَّا حُلَى فَضَائِلِكَ خَلَقْتَهَا عَلَيَّ ، وَخَائِلُ
 شَمَائِلِكَ أَضَفْتَهَا إِلَيَّ ، وَالْأَفُودُ تَجَاوَزَ الْقَدَرَ^(٣) ، فَأَعْمَى الْبَصَرَ :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ غَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا^(٤)
 وَالشَّفَقِ وَالْغَسَقِ ، وَلَوَامِعِ الْفَلَقِ . إِنَّكَ لَصَاحِبُ الرَّايَةِ . وَمُحَرِّزُ أَمَدِ الْغَايَةِ ،
 زَعِيمُ حَلْبَةِ الْبَيَانِ ، وَفَارِسُ ذِرْوَةِ الْإِحْسَانِ ،^(٥) لَتُعْطَى الْقَوْسُ بَارِيهَا ، وَتُمنَحُ
 الْمِنْحَةُ ذَوِيهَا^(٥) ، وَإِنَّ لَلْمُعْطَايِ ذَلِكَ الْمِضْمَارُ . أَنْ يَبَايَعَ بِيَدِ الصَّغَارِ ، وَيَنْبِذَ
 بِأَرْزَمَةٍ مَقَادِيرِ الْأَقْدَارِ :

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأْيَتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ
 لَا عِطَرَ بَعْدَ عَرُوسٍ ، وَيَالِكَ مِنْ نِضْوِ فَوَادٍ هَجَتْ بِهِ أَدْكَارًا . وَحَرَّكَتْ
 لَهُ حَوَارَا ، تَجَاسَرَ بِجَمْعِهِ . وَاسْتَنَّ عَلَى ظُلْمِهِ ، فَدَسَعُ بَحْرِهِ^(٦) عَيْبِرُ ، فَانْفَهَقَ^(٦)
 عَنْ فِرْصَةِ فَقِيرٍ :

١٥

(١) سورة الأعراف آية ٥٨ (٢) لب : ينفق سوق الحار

(٣) وه : الحد فأعشى البصيرة والبصر (٤) هذا البيت ناقص في ت ، لب

(٥ - ٥) وه في ت ، لب : وهذه الفقرة تبدأ بحرم في وه تليه هذه الكلمات (العلاء
 فجولت اللواء ، انعط ...)

(٦ - ٦) لب : بحرة - ر : بحرة عقيب وعبارة وه : فدعس بحره عيب ، ما ينفق
 عن فرصة فقير

تَزَرًّا كَمَا اسْتَكْرَهْتَ عَابِرَ نَفْحَةٍ مِنْ فَارَةِ الْمِسْكِ الَّتِي لَمْ تُفْتَقِ
عَلَى حِينَ ذَوَى رَوْضِ الْأَدَبِ ، فَقَاطَ مَصِيفُ الطَّرَبِ ، ^(١) وَأَلْفَتْ « قَالَ
مَالِكٌ » ، وَتَرَكْتُ مَا هُنَاكَ ^(٢) ، فَمَا عَهْدِي الْآنَ بِهِ إِلَّا زُورَةُ اللَّحْمِ ، وَذُكْرَةُ
الْحُلْمِ ، أَذْوَقُهُ شَمِيمًا ، وَأَطْعَمُهُ نَسِيمًا ، وَأُغْرِى الْحَافِظَ عَلَيْهِ ، وَأُغْبِطُ أَنْدَدَةً مِنْ
النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِ :

فَكَأَنِّي وَمَا أُزِينُ ^(٣) مِنْهُ قَعْدِي يُزِينُ التَّحْكِيمَا
لَمْ يُطَقَّ حَلْهُ السَّلَاحِ إِلَى الْحَرِّ بِ فَاوْصَى الْمُطِيقَ إِلَّا يُقِيمَا
وَإِنْ أَنْحَتَ بِمَطْنِكَ مِنْ أَفْقٍ غَارِقٍ ، ذَا بِضَاعَةِ أَدَبٍ غَيْرِ نَارِقٍ ، أَصْبَحْتَ
مِنْهَا كَالْمِسْكِ يُنَافِجُ نَفْسَهُ ، أَوْ الْقَدِّ ^(٤) يَكْلُمُ حُسَّهُ ، مُعَاشِرَ مُعَاشِرٍ لَمْ تَقْدُمُ ^(٥)
رِقَّةَ الْأَدَابِ ، وَلَا أَعْرَبْتَ أَسْنَتَهُمْ عَوَامِلُ الْإِعْرَابِ :

فَهَنَّ يُلْفِظُنَ بِهِ الْغَاظَا مِثْلَ النَّبِيطِ لَا تِ الْأَنْبَاظَا
وَإِنْ نَطَقَ زُهَيْرٌ ، قَالُوا نَهَقَ الْعَيْرُ :

^(٥) أَرْضُ الْفِلَاحَةِ لَوْ أَنَا هَا جَرَّوْلُ أَغْنِي الْحُطَيْتَةَ لَاغْتَدَى حَرًّا أَنَا
تَصَدَّأَ بِهَا الْأَفْهَامُ بَعْدَ صِقَالِهَا وَتُرَدُّ ذُكْرَانُ الْعُقُولِ إِنَاثَا
أَرْضُ خَلْقَتِ اللَّهُوَ خَلَعِي خَاتَمِي فِيهَا وَطَلَّقْتُ السَّرُورَ ثَلَاثَا
نَغِيرُ أَنْيْسِ الْمَرْءِ ذِكْرٌ يَشْحَذُ الْفِكْرَ ، وَرَوْضُ كِتَابٍ يَصْقُلُ الْأَلْبَابَ :

(١-١) نه في وه ، ت ، لب

(٢) وه ، ت ، لب : أحسن — ديوان أبي نواس مع بعض الخلاف ص ٣٢٥

(٣) وه : أَوْ الْقَدِّ يَظْلِمُ جَنِيه — ت ، لب : يكلمه حسه

(٤) وه : تقدم (٥) راجع ديوان أبي تمام ص ٦٢

أعزُّ مكانٍ في الدُّنْيا سَرَجٌ^(١) سَاحٍ وخَيْرُ جَلِيسٍ في الزَّمانِ كِتَابٌ
 ولله ما حَوِيتَ . ونِعَمَ ما اقْتَنَيْتَ ، من حَدَائِقِ أدَبٍ ، في يَفَاعٍ^(٢)
 حَسَبٍ ، سِنْخُ ضَرْبِ الأرضِ بَعْرُوقِهِ ، وَبَسَقَ^(٣) فَاسْتَوَى على سُوْقِهِ ، يُونِقُ
 البِقَاعَ ، وَيُعْجِبُ الزَّرْعَ ، كَرُمٌ^(٤) مَدَدُهُ فَرَكَ ثَمَرُهُ . وطَابَ خُبْرُهُ وخَبْرُهُ^(٥) ،
 أَكْرَمُ نَسَبٍ وَأَفْضَلُ نَشَبٍ ، نَاهِيكَ ما يَرُوقُ جَمالاً ، وَيَخْفُ حَمالاً ، لا تَبْتَزُّ كَهْ
 اللُّصُوصُ ، ولا تَرَحَلُ به دونَكَ القُلُوصُ :

يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدَتْ^(٥)
 وَلَنْ^(٦) تُرَاعَ فَلَنْ تُضَاعَ ، وَمَنْ يَوْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوقِيَ خَيْراً كَثِيراً ،
 وَكُنِيَ بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً^(٧) ؛ وَأَبْلَغُكَ سَلاماً ، يَكُونُ بِنَحْرِ عَقْدِكَ نِظاماً .
 وَيَضْرِبُ^(٨) على رَوْضٍ وَدَّكَ غَماماً :
 فُيْنِبْتُ حَوْذاناً وَعَوْفاً مُنَوِّراً سَأَتِيكَ^(٩) مِنْ خَيْرِ ما قَالَ قائلُ

١٠

قال ابن بسام :

والفقيهُ قاضي الجماعةِ أبو عبدِ اللهِ بنِ حَمْدٍ بنِ هذا في وقتنا غُرَّةُ الزَّمانِ
 الزَّاهِرَةِ ، وَايَةُ الإِخْسانِ البَاهِرَةِ ، أَحَدُ مَنْ تَقَدَّمَ على أَهْلِ الفَضْلِ ، تَقَدَّمَ
 الاسمُ على الفِعْلِ . واستَوَى على النِّمْلِ ، استَيْلاءُ الشَّمْسِ على الظِّلِّ ، وله صَدْرٌ

١٥

(١) هـ : ظهر — وهذا البيت لم يرد في ت، لب — راجع ديوان المتنبي ج ١ ص ١٣٥

(٢) ت ، لب : بقاع (٣) هـ ، ت : وبسق

(٤ — ٤) هـ : في ت ، لب (٥) هـ : شددنا — والبيت ناقص في ت ، لب

(٦) ت ، لب : ولَنْ — ولَنْ تُرَاعَ وَلَنْ تُضَاعَ

(٧) ز في هـ : الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيقة الرجل

(٨) هـ : ويضرب (٩) هـ ، ت ، لب : سأتيه

يَسْعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ ، وَلِسَانٌ يَخْلُقُ السَّخَرَ لَوْ اسْتَحَلَّهُ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ الْيَوْمَ
 بِالْحَضْرَةِ الْعُظْمَى قُرْطُبَةَ يَعْسُوبَ الْإِسْلَامِ ، وَمَذَارَ الْأَنَامِ ^(١) ، وَجَمَاعَ النَّقْضِ
 وَالْإِبْرَامِ ، فَهَذَا الشَّانِ الَّذِي تَصَدَّيْتُ لِإِقَامَةِ أَوْدِهِ بِهَذَا الدِّيَّانِ ، مِنْ عِنَايَتِهِ
 أَوْفَرُ نَصِيبٍ ، وَلَأَهْلِهِ مِنْ اسْتِقْلَالِهِ وَكِفَايَتِهِ حَمَى غَيْرُ مَقْرُوبٍ ^(٢) ، وَقَدْ رُفِعَتْ
 لَهُ عَلَى عِلْمِهِ نَارٌ ، فَضُرِبَتْ عَلَيْهِ فِي حَرَمِهِ أَرْوَاقٌ وَأُسْتَارٌ ، وَسَارَتْ عَلَى أَلْسِنَةِ
 الرُّكْبَانِ مِنْ كَلِمِهِ رَسَائِلُ وَأَشْعَارٌ ، أَجْزَلُ مِنْ ذِكْرِ أَبَانَ ، وَأَحْسَنُ مِنَ الْحَدِيثِ
 عَنْ جِنَانٍ ، وَأَوْضَحُ مِنْ عُذْرِ قَرِيشٍ فِي حُبِّ عُثْمَانَ ، وَلَمْ أَظْفَرْ مِنْهَا ^(٣) عِنْدَ
 تَحْرِيرِ هَذِهِ النُّسخَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ، إِلَّا بِهَذَا الْجَوَابِ ، وَفِيهِ مُتَعَةٌ جِدُّ
 كَافِيَةٌ ، وَعِلَامَةٌ مِنَ الْفَضْلِ غَيْرُ خَافِيَةٍ ، وَيُعْلَمُكَ بِجَنَى الشَّجَرَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ
 ثَمَرَتِهَا ، وَيَدُلُّكَ عَلَى خُزَائِمِ الْأَرْضِ النَّفْحَةُ مِنْ رَأَتْهَا . ٥ ١٠

جُمْلَةٌ مِنْ شِعْرِ ابْنِ شَتَّانَ

مِنْ ذَلِكَ مَا أَنْشَدَنِيهِ لِنَفْسِهِ مِنْ جُمْلَةِ آيَاتٍ أَنْدَرَجَتْ لَهُ فِي رِسَالَةٍ مُؤَشَّحَةٍ
 عَارِضَ بِهَا الْبَدِيعَ ^(٤) فِي طَرِيقَتِهِ ، وَضَرَبَهَا ^(٥) عَلَى قَالِبِ سَبَبِكِيَّتِهِ يَقُولُ فِيهَا :
 أَوْدَتْ بَنَخُورَ ^(٦) أَهْلِ حِمَصَ بَدِيعَةٍ مَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ عَلَى حَفَائِظَا
 فَتَشَتْ فِيهِمْ قَارِضًا يَأْتِي بِهَا فَكَأَنَّمَا فَتَشَتْ فِيهَا الْقَارِظَا ١٥

(٢) ه ، ت ، لب : معزوب

(١) ت ، لب : الأيام

(٤) ه ، ت ، لب : بديع الزمان

(٣) ت ، لب : منه

(٥) ه ، ت ، لب : وأفرغ فيها على قالب سكتة

(٦) ه : بنجدة — ت ، لب : بنجوة

وله فيها :

بَعَثْتُ بِهَا يَغْنُو لَهَا كُلُّ نَائِرٍ وَيَعْنِي ^(١) بِمَا ضَمَّتْهَا كُلُّ قَارِضٍ
جَعَلْتُ حَيَاتِي أَجَرَ مَنْ قَالَ مِثْلَهَا فَمَنْ شَاءَ عُمَرَاءَ طَائِلًا فَلْيُقَارِضِ ^(٢)
وَأُنْشِدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ :

فَوَيْحَ جُفُونِي كَيْفَ تَطْلُقُ لَحْظَهَا وَرُؤْيَا هَذَا الْخَلْقِ تَتْرُكُهَا رُمْدًا
نَوَائِبُ غَالَتْنِي فَأَبْدَتْ فَضَائِلِي فَكَانَتْ وَكَفَتْ النَّارَ وَالْعَنْبَرَ الْوَرْدًا
وهذا من قول أبي تمام ^(٣) :

لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرْتُ مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ
ومنها يصف ناقة :

تَجِدُّ عَلَى أَنَّ الْفِيَّافِي بَرِينَهَا فَتَعْرِفُهَا عِتْقًا وَتُنْكِرُهَا جَهْدًا
ومنها في المديح :

فَلَوْلَا غُلَاهُ عِشْتُ دَهْرِي كُلَّهُ وَكَيْسُ كَلَامِي لَا أَحُلُّ لَهُ عَقْدًا

قال ابن بسام : واستعارته كيساً للكلام « من مضحكات الأنام » وقرأت
في أخبار صاحب ابن عباد قال : كنا نتعجب من قول أبي تمام :

« لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ » « وَنَسْتَبِشْعُ اسْتِعَارَتَهُ لَهُ مَاءً حَتَّى عَذَبْتُ عِنْدَنَا
بـ « حَلَوَاءُ الْبَنِينَ » في قول أبي الطيب :

وَقَدْ ذُقْتُ حَلَوَاءَ الْبَنِينَ عَلَى الصَّبَا فَلَا تَحْسَبْنِي قُلْتُ مَا قُلْتُ عَنْ جَهْلٍ

كيف لو سمع صاحب استعارات أهل وقتنا ، كقول المهدي بن الطلاء :

(١) ر ، ت ، لب ، ويعني — وه : ليعني (٢) وه : فليعارض

(٣) راجع ديوان أبي تمام ص ٧٨

■ بُقْرَاطُ حُسْنِكَ لَا يَرْنِي عَلَى عَلَيٍّ ^(١) ، وقول ابن الطراوة ^(٢) :
أَبَا حَسَنٍ فُتَّ الْمُلُوكَ مَهَابَةً فَكَلَّهْمُ فَاسِي الْمَهَابَةِ عَالِكُ
وقول حسان بن المصيصي :

إِذَا كَانَتْ جِفَانُكَ مِنْ لُجَيْنٍ فَلَا شَكَّ الْغَنَى فِيهَا تَرِيدُ
وقد قدح أهل النقد في المتنبي بخروجه في الاستعارة إلى حين البعد بقوله :
مَسْرَّةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرَقُهَا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ ^(٣)
وفي قوله :

إِلَّا يَشِبُّ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدُهُ شَيْبًا إِذَا خَضَبَتْهُ سَلَوَةٌ نَصَلًا ^(٤)
وفي قوله :

لَمْ يَحْكُ نَائِلُكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ ^(٥) بِهِ فَصِيْبِيهَا الرُّخَصَاءُ
فَجَعَلَ ^(٦) لِلطَّيِّبِ وَالْيَلْبِ وَالْبَيْضِ قُلُوبًا ، وَلَا كَبِدٍ ^(٧) شَيْبًا ، وَلَا سَحَابٍ
حُمَّى ^(٨) ، كَمَا جَعَلَ أَبُو تَمَامٍ الدَّهْرَ يُضْرَعُ فِي قَوْلِهِ :
■ خُطُوبٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُمْ يُضْرَعُ

وجعله بشار يَمُوقُ بقوله :

وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا صَحَوْتُ وَإِنْ مَاقَ الزَّمَانُ أُمُوقُ
وكذلك ^(٩) أُحِذَّ عَلَى المتنبي في قوله :

(١) ز في ت ، لب : وقوله : « أَفَاقَتْ بِكَ الْأَقْطَارُ مِنْ بَرَسِ الْبُلُوبِ »

(٢) لم يرد ذكر ابن الطراوة ولا بيته في ت ، لب

(٣) راجع ديوان المتنبي ج ١ ص ٦٥

(٤) هذا البيت ناقص في و

(٥) ت ، لب : حُمَّتْ فَكَانَ

(٦) ز في ت ، لب : كَمَا نَسْمَعُ (٧) و في و

(٨ — ٩) هـ في ت ، لب

لَوَيْتُهُ دُمْلَجًا عَلَى عَضِدٍ لِدَوْلَةٍ رَكْنُهَا لَهُ وَالِدٌ^(١)
لَمَّا كَانَ الْمَدُوحُ عَضِدَ الدَّوْلَةِ أَرَادَ أَنْ يَصُوغَ لَهُ دُمْلَجًا فَأَخْطَأَ الصَّوْغَ
لَا سِيَّيَا فِي بَيْتٍ خَتَمَ بِهِ الْقَصِيدَةَ وَهُوَ آخِرُ مَا يَقَعُ فِي السَّمْعِ^(٢) . وَلَأَبَى حَفْصُ
ابْنِ بُرْدٍ مِنْ أَهْلِ أَقْفَنَّا شَيْءَ مُضْحِكٍ عَلَى رِشَاقَتِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ :

يَاشَاعِرَ الْحُسْنِ بِي تَرَفَّقْ لَا تَقْتُلْنِي كَذَا بَدِيهَا
وَإِنْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَمَّارٍ اتَّبَعَهُ ، فَلَقَدْ صَفَعَهُ ، أَوْ اقْتَفَى أَثَرَهُ ، فَلَقَدْ طَوَى
خَبْرَهُ ، بِقَوْلِهِ .

رَوَى لِيضْرَبَ وَابْتَدَهَتْ لِبَطْنَةٍ^(٣) إِنَّ الطَّعَانَ بَدَائِهِ الْفُرْسَانُ
وَمِنْ شِعْرِ ابْنِ شِمَاخٍ مَا أَنْشَدْنِيهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

بَلَى قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ فَلَمْ يَبْقَ خَلْفٌ يُسْتَدَرُّ وَلَا شَطْرُ^{١٠}
فَأَصْدَيْتُ حَتَّى ضَنْتِ السُّحُبُ بِالْحَيَا وَرَوَّيْتُ حَتَّى انْهَلَّ بِالسَّبَلِ الصَّخْرُ^(٤)
وَكَانَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِنْفَادُ جَهْدِهِ فَإِنْ يُكْسَدُ بَعْدَ الْجَهْدِ كَانَ لَهُ عُذْرُ
عَلَى الْعَضْبِ أَنْ يَفْرَى إِذَا جُرَّدَ الصَّلَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ الْقَاتِ أَوْ سَاعَدَ النَّصْرُ
وَقُدِّرَ لِي اسْتِيطَانُ لَكَ وَقَلَمًا يَكُونُ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ وَطَنًا قَدْرُ
مُؤَهَّلَةٌ مِنْ أَهْلِهَا غَيْرَ أَنَّهَا مِنْ الْكَرَمِ الْمَوْجُودِ فِي غَيْرِهَا قَفْرُ^{١٥}

(١) راجع ديوان المتنبي ج ١ ص ٣٠١

(٢) ز في ت ، لب : وأعجب من الصاحب بن عباد حين لم يجد من استعارات أبي تمام شيئاً ينعاها إلا قوله « ماء اللام » وليس هذا بأعجب من قوله : هو كوكب الإسلام أية ظلمة

(٣) هـ ، ت ، لب : بطعنة — هـ : بديهة الفرسان

(٤) هذا البيت ناقص في ت ، لب

فإن كسدت أعلق علمي لديهم فلا غرو أن يكسدا لدى النعم الشذر
جزم بحرف النصب وأراه وهم فيه ، على أن أبا الحسن اللحياني حكى في نوادره
أن بني صباح من بني ضبة يحزمون بعوامل النصب ، وأنشد لشاعرهم :
وأغضى على أشياء منك لترضني وأدعى إلى ما سرّكم فأجيب
وليس العمل به . ولا لحدث أن يتعلق بسببه ، وفي هذه القصيدة يقول :

فيا لك إن لم تقض لي عنك رحلة فلا يقض إن يمتدّ فيك لي العمر
قال ابن بسّام : فكأنه والله أجيب دعوة في هذا البيت ، لأنه مات
فيما أرى وقد تيف على الثلاثين . وقرأت في أخبار المتنبي في القصيدة التي ودّع
فيها عضد الدولة فخرت فيها الفاظ على لسانه كأنه ينغى فيها نفسه ولم يقصد ذلك .

١٠ منها قوله :

ولو أنني استطعت خففت طرفي فلم أبصر به حتى أراكا^(١)
ثم قال :

إذا التوديع أعرض قال قلمي عليك الصمت لا صاحبت فاكا
وقال في آخرها :

١٥ وأيا شئت ياطرفني فسكوني أذاة أو نجاة أو هلاكا

فجعل قافية البيت « هلاكا » فهلك ، وذلك أنه ارتحل عن شيراز حضرة عضد
الدولة بعد أن وصل إليه من صلاته أكثر من مائتي ألف درهم . فخرج عليه
في طريقه قوم من بني ضبة الذين كان هاجم . فخار بهم فأجلت الوقعة عن قتله
وقتل ابنه محمد^(٢) ونفر من غلمانته ، وفاز الأعراب بماله . وذلك سنة أربع

(١) راجع ديوان المتنبي ج ٢ ص ١٧ (٢) ر ، ت ، لب : محسن وتفرق غلمانته

وخمسين وثلاثمائة . وأول من جرت على لسانه ألفاظ يتطير منها المؤمن بن أميل في قوله :

شف المؤمن يوم الجيرة النظر لئمت المؤمن لم يخلق له بصر

فعي .

ومن شعر ابن شماس من جملة قصيدة وصف فيها ارتحالته عن وطنه ومثواه .
بأشبيلية على غير رضا أولها :

يا لئمت شعري هل دامت لهم^(١) حال عهديتها في حفاظ العهد أم حالوا ؟
يقول فيها :

فإن تكن سائلا عن^(٢) تركت فقد شاب الشباب وقد شب الأطفال
صبرت والبعد أحوال وذا عجب ولم أكن صابرا والبعد أميال
أرجو الإياب بفال^(٣) فيه أستمعه والدمر يفعل ما لا يحبر القال
وفيها يقول :

فهل لهم سائل عن فيخبرهم كما أنا عنهم منذ غبت سأل^(٤) ؟
إن كان يسأل عن ثوبي فلا درن أو كان يسأل عن حالي فلا حال
أضاع مجدي مال ضيعته يدي ما أضيع المجد إن لم يرعه مال
وبري حالي تر حالي إلى بلدي منذ جثته لم يكن لي عنه تر حال
أقت حولين فيه خاملا^(٥) خرسا كأنني وأنا السلسال صلصال
بل لم أزل مغربا عما لدى فلم أجذ به مغربا ينبه تصهال

(٢) هـ : عما

(١) هـ ، ت ، لب : بهم

(٤) لم يرد هذا البيت في

(٣) هـ ، ت ، لب : لقال

(٥) هـ ، ت ، ب : جامدا

أظَالَ شُعْلِي فَرَاعِي مُذْ حَلَّتْ بِهِ إِنَّ الْفَرَاغَ مِنَ الْأَشْغَالِ أَشْغَالُ
 إِنَّ أَبْقَى فِي خَمْسَ تَبَقَ النَّارُ فِي حَجَرٍ وَإِنْ أَسِرَ سَارَ فِي الْآفَاقِ سَلْسَالُ
 وَغَرُّ مِنَ الْعَيْشِ مَالِي أَرْتَقِيهِ وَفِي بَنَى أُبْنَى لَنَا بِالْمِصْرِ آمَالُ^(١) ١٩
 ضَاءَتْ بِسُودُودِهِمْ أَرْجَاءُ قُرْطُبَةٍ وَعَادَ إِدْبَارُ ذَلِكَ الْعَيْشِ^(٢) إِتْبَالُ

فصل في ذكر الفقيه أبي عمر أحمد بن عيسى الألبيري

من أفراد الزهاد كان في ذلك الأوان ، ومع ما كان أدير عليه يومئذ من
 الأمور ، وجعل إليه من التقديم والتأخير ، فإني وجدته خالص الأدب ، مُخَصَّدَ^(٣)
 السَّبَبِ . ذَهَبَ بِفُصُوصِهِ وَعُيُونِهِ . وتلاعب بمنشوره وموزونه . وتصرف بين
 مُذَالِهِ وَمَصُونِهِ ؛ إِلَّا أَنْ أَكْثَرَ مَا أَلْفَيْتُ لَهُ مِنَ الْمَقْطُوعَاتِ وَالْأَبْيَاتِ ، فِي الزُّهْدِ
 ١٠ وَالْعِظَاتِ ، وَقَدْ كَتَبْتُ مِنْهَا مَا هُوَ^(٤) مِنْ شَرْطِ هَذَا الْجُمُوعِ . أَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَرُدُّ
 خَبْرَهُ عَنِ الْفَقِيهِ ابْنِ الْمَطَّرِ الشَّعْبِيِّ عَنْ شَيْخِهِ هَذَا الْفَقِيهِ أَبِي عُمَرَ بْنِ عِيْسَى ،
 قَالَ : خَاطَبْتُ الْوَزِيرَ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنَ الْعَرِيفِ فِي أَرْضٍ تَعْدِي عَلَى فِيهَا بَرُوقَةٌ
 مِنْهَا : أَمَّا بَعْدُ ، وَقَفَكَ اللَّهُ لِمَا يُرْضِيهِ مِنْكَ عَمَلًا ، وَيُرْضِيكَ مِنْهُ جَزَاءً ؛ فَإِنْ
 لِلدُّنْيَا حَرَثًا وَالنَّاسُ زَارِعُونَ . وَكُلُّهُ فِي مَعَادِهِ ، يَا كُلُّ مَنْ حَصَادِهِ ، وَذُو الْجَاهِ
 ١٥ يُسْأَلُ فِي الْآخِرَةِ عَنْ جَاهِهِ ، كَمَا يُسْأَلُ ذُو الْمَالِ عَنْ مَالِهِ . وَقَدْ أَحْوَجَتِ الْأَيَّامُ
 إِلَى جَاهِكَ . وَأَغْنَتِ الْقَنَاعَةُ عَنْ مَالِكَ . فَاتَّخِذْ عِنْدِي الْيَوْمَ يَدًا ، تَجِدْهَا
 عِنْدَ اللَّهِ مُضَاعَفَةً غَدًا ، فَاحْظُ حَاجَتِي بِعَيْنٍ يَقْظِيكَ ، وَلَا تَاجِظْهَا بِعَيْنٍ سَنَتِكَ ،

(١) هذا البيت ناقص في ت ، لب (٢) ه ، ت ، لب : المصدر

(٣) ه في ه ، ت ، لب

(٤) ه ، ت ، لب : ما هو شرط للكتاب

فإن لله تعالى لَوْحًا ضَمَّنَهُ المقاديرَ كلها ، يَلْحَظُهُ في كلِّ يومٍ ويلةٍ ثلاثمائة وستينَ لَحْظَةً . يُحْيِي بكلِّ لَحْظَةٍ وَيُمِيتُ ، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ ، وَيَرْفَعُ وَيَضَعُ . ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ؛ واعلم أنك تُلَحِّظُ بمثل ما به تَلَحَّظُ .

وله من أخرى : خاطبَ بها بعضَ إخوانه سنة ست عشرة وأربعمائة :

- سَمَتَ بك سماءَ العلمِ إلى سُمُوِّه ، ودَنَتَ بك أرضُ السَّكِينَةِ إلى دُنُوِّه ،
ودارَ بك فَلَكَ المعرفة^(١) في مَلَكُوتِهِ ، وغَابَتْ بك نجومُ الحِكْمَةِ في جَبَرُوتِهِ ،
وهيأتَكَ يَدُ القُدْرَةِ هَيْئَةً^(٢) رُوحَانِيَّةً ، وأَحْيَاكَ رُوحُ القُدُسِ حَيَاةً إلهِيَّةً ،
وَأَبَسَّتَكَ الشَّرِيعَةُ لِبَاسِ التَّقْوَى ، ورَاشَتَكَ الطَّبِيعَةُ بِرِيشِ النُّهَى ، حتى تَطِيرَ
مع الرُّوحَانِيِّينَ ، في مَجَالِ الصُّدِّيقِينَ ، إلى مَنَازِلِ المُقَرَّبِينَ ، فتَذُوقَ بَرْدَ عَيْشِ
النَّعِيمِ^(٣) . بالنَّظَرِ إلى وَجهِ القَيُّومِ ، وتَشْتَاقَ إلى لِقَاءِ الرَّبِّ الرَّحِيمِ . هيهات !
كَيْفَ يَنْعَمُ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَيْنَ^(٤) النَّعِيمِ ، من مُلْكِ القَدِيمِ^(٥) ؟ ! إِنْ لَهِ يا أَخِي عِبَادًا
أَقَامَ أَرْوَاحَهُمْ بِقِيُومِيَّتِهِ على صِرَاطٍ^(٦) مُسْتَقِيمٍ ، فَحَشَتْ بِأَقْدَامِ الصَّدَقِ إلى الحقِّ ،
فَدَنَتْ مِنْهُ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ على جَلَالِهِ ، في اتِّسَاعِ كَمَالِهِ ، فَضَعُفَتْ لِكِبَرِ سُلْطَانِهِ ؛
ثُمَّ أَفَاقَتْ بالإسلام . وَنَطَقَتْ بالإيمان ، وَأَبْصَرَتْ بالإحسان ، وَاتَّصَتْ بالقُرْآنِ ،
فَأَمَرَهَا فقامَتْ بِالخِدْمَةِ ، وَعَلَّمَهَا فَفَازَتْ بِالْحِكْمَةِ ؛ فَانْقَطَعَتْ إِلَيْهِ بِالْكَلِيَّةِ ،
وَدَانَتْ لَهُ بِالْخَنِيفَةِ . فَأَوَّاهَا إلى كَنَفِهِ . وَنَعَّمَهَا بِطَرَائِفِ تَحْفِهِ ؛ فَمُلْكُهَا أَبَدًا
لَا يَبِيدُ . وَعِلْمُهَا بِهِ يَزِيدُ ؛ حَتَّى أَطْلَعَ لَهَا السِّرَّ . وَأَكْمَلَ لَهَا الْبَرَّ . خَيَّيْتُ

(١) ت ، لب : العلم (٢) و : حياة

(٣) ت ، لب : وتلد بالنظر — و : تلذ

(٤) ت ، لب : أنى (٥) و : قديم

(٦) و : الصراط — ت ، لب : صراطها المستقيم

يَقْرِيهِ ۖ وَشَرِبَتْ بِكَأْسِ حُبِّهِ ، فَرَفَضَتْ الْأَسْبَابَ ، وَخَرَقَتْ الْحِجَابَ ؛ وَبَيَّضَ
وُجُوهَهَا الْبُرْهَانَ ، وَأَتْلَجَهَا الْبَيَانَ ، « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » ۖ
فَرَحَّاهُمْ عِلَامُهُمْ ۖ وَجَبَّارُهُمْ رَزَاقُهُمْ ۖ خَلَاوُهُمْ مَلَاءٌ ، وَمَلَاوُهُمْ خَلَاءٌ ، وَسَمَاوُهُمْ
أَرْضٌ ۖ وَأَرْضُهُمْ سَمَاءٌ ، رُوحَانِيُّونَ جِسْمَانِيُّونَ ، إِنْسِيُّونَ مَلَكِيُّونَ ، أُولَٰئِكَ
الْأَصْفِيَاءُ الْأَتْقِيَاءُ ، الْأَوْلِيَاءُ الْفُجَبَاءُ ، أَتَاهُمُ الْعَوْنُ ۖ فَسَاعَدَهُمُ الْكُونُ .

ومن شعره: أنشد له الفقيه أبو المطرف الشَّعْبِي :

يَا خَالِقًا خَلَقَ الزَّمَانَ بِقُدْرَةٍ فِي غَيْرِ حِينٍ مِنْ أَحَايِنِ الزَّمَانِ
يَا مُخَدِّثًا لِلْكَلِّ كُنْتَ وَلَمْ تَزَلْ وَكَذَاكَ رَبِّي لَا يَزَالُ بِلَا مَكَانٍ
أَنْتَ الَّذِي جَلَّتْ صِفَاتُ جَلَالِهِ وَجَلَّتْ^(١) جَلَالَتُهُ عَنْ أَذْرَاكِ الْعِيَانِ

وأنشد له :

١٠

مَلِكٌ تَعَالَىٰ فَوْقَ غَايَاتِ الْعَلَا يَقْضِي الْقَضَاءَ عَلَىٰ نَهَايَاتِ الثَّرَىٰ
مِنْ فَوْقِ فَوْقِ الْفَوْقِ يَنْفُذُ حُكْمَهُ فِي تَحْتٍ تَحْتِ التَّحْتِ تَحْتِ الْإِنْتَهَا
قُرْبًا وَبُعْدًا وَهُوَ أَبْعَدُ مَنْ نَأَىٰ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ أَقْرَبُ مَنْ دَنَا
جَلَّتْ صِفَاتُ جَلَالِهِ جَلَالُهُ قَدْ جَلَّ عَنْ تَحْدِيدِ كَيْفٍ وَمَنْ وَمَا

وأنشد له أيضا :

١١

شَرِبْتُ بِكَأْسِ الْحُبِّ مِنْ جَوْهَرِ الْحُبِّ رَحِيقًا بِكَفِّ الْعَقْلِ فِي رَوْضَةِ الْحُبِّ
وَخَافَرَمَاءَ الرُّوحِ^(٢) فَاهْتَرَّتِ الْقَوَىٰ قُوَى النَّفْسِ شَوْقًا وَارْتِيَا حَا إِلَىٰ الرَّبِّ
وَنَادَىٰ حَنِينًا^(٣) بِالْأَيْنِ حَنِينُهَا : إِلَهِي إِلَهِي مَنْ لِعَبْدِكَ بِالْقُرْبِ ؟

(١) كذا في الأصول ولعلها «وعلت» أو «جلت» بغير واو — والبيت لم يرد في .

(٢) هـ : الراح — شوقا وارتيدا (٣) ت ، لب : حثينا

نُحَاطِبُهُ وَحَيًّا إِلَيْهِ مَلِيكُهُ : سَأُكْشِفُ بِعَبْدِي لَعْنَتِكَ عَنْ حُجْبِي
فَأُعلنُ بِالتَّسْمِيحِ : مَثَلَكَ لَمْ أَجِدْ تَعَالَيْتَ عَنْ كَفْوٍ يُكَافِيكَ أَوْ تُحِبُّ
أَجُولُ بِنَفْضِي فَوْقَ بَعْضِي كَأَنِّي بِنَفْضِي لِنَفْضِي كَالنَّجَائِبِ وَالرَّكَبِ
فَتُخَذُ بِزِمَامِ الشَّوْقِ مِنِّي تَعْطَفًا إِلَيْكَ وَلَا تُسَلِّمُ زِمَامِي إِلَى لُبِّي
لَمْ يَلِيَّ أَسْقَى ثُمَّ أُسْقَاهُ دَائِمًا رَحِيمًا بِكَفِّ الْعَقْلِ مِنْ جَوْهَرِ الْعُبِّي •

وَيُجَانِسُ هَذَا رَقْعَةً مَرَّتْ بِي فِي بَعْضِ التَّعَالِيقِ لِرَجُلٍ نَاسِكٍ مِنْ أَهْلِ سَرَ قُسْطَةَ
كُتِبَ بِهَا مُدَاعِبًا لَصَدِيقٍ ، كُتِبَ إِلَيْهِ : لَيْتَ شِعْرِي يَا أَخِي مَا الشَّرَابُ الَّذِي
تَشْرَبُهُ وَتُسْتَعْمَلُهُ ^(١) ، فَتَحْمَرُّ عَنْهُ وَجَنَاتُكَ ، وَتَنْشَطُ إِلَى سَعْيِكَ حَرًّا كَأَنَّكَ ؛
بِيَاضُكَ أَبَدًا مُشَوَّبٌ ^(٢) بِحُمْرَةِ ، كَأَنَّكَ مُدْمِنٌ خَمْرَةٍ ، وَأَنْتَ فِي كُلِّ حَالٍ طَرُوبٌ
لَعُوبٌ ^(٣) ، غَيْرُ عَبُوسٍ وَلَا قَطُوبٍ ، لَا يَظْهَرُ عَلَيْكَ هَمٌّ ، وَلَا يُخَامِرُكَ غَمٌّ ؛
فَلَوْ وَصَفْتُ لِي صِفَةً غَدَاكَ وَشَرَابِكَ ، رَجَوْتُ التَّأَثُّبَ بِهَا بِكَ ، وَالتَّخَلُّقَ
بِأَخْلَاقِكَ وَأَدَابِكَ .

فَأُجَابُهُ الزَّاهِدُ :

خُذْ كَمَاةً ^(٤) اللَّيْلِ فِي جَامٍ مِنَ السَّهَرِ وَاسْكُبْ عَلَيْهِ ^(٥) دُمُوعَ الْعَيْنِ بِالسَّحَرِ
وَأَمْرُجُهُ بِالْخَوْفِ مَزْجًا دَائِمًا ^(٦) أَبَدًا وَقُمْ عَلَى قَدَمِ الْإِيرَادِ وَالصَّدْرِ
وَأَجْعَلْ مِنَ الشَّوْقِ مَخَوَاضًا ^(٧) لِسَاكِيهِ لَيْسَتْ تَوَى لَكَ مِنْهُ الصَّفْوُ بِالسَّكْدَرِ

(١) نه في ت ، لب

(٢) نه ، ت ، لب : مشرب

(٣) نه في نه

(٤) رسم الكلمة في ت ، لب : اكيت

(٥) نه : عليها

(٦) ر ، نه : ناعما

(٧) ر : مخواصا — لب : مخواصا — نه : غواصا

واشربنه مضطرباً بالله واراض بما
يَجْرِي عَلَيْكَ مِنَ الْأَحْكَامِ فِي الْقَدَرِ^(١)
وَاغْسِلْ بِبَاقِيهِ وَجْهًا لَا حَيَاءَ بِهِ
أَلْقَتْ^(٢) عَلَيْهِ الْمَعَاصِيَ حَمَاقَةً الْغَيْرِ
لَعَلَّ قَلْبَكَ أَنْ تَصْبُو^(٣) مَعَاظِنَهُ
فِيَهْتَدِي كُلُّ عَضْوٍ نَحْوَ غَايَتِهِ
فَبَيْنَ مُزْدَجَرٍ عَنْهُ وَمُعْتَبِرٍ
إِنَّ الْوُجُوهَ قُلُوبٌ إِنْ نَظَرْتُ إِلَى حَقَائِقِ الْحَالِ أَوْ حَدَدْتُ^(٥) فِي النَّظَرِ

إذا امتلأت القلوب من ضروب دواعيها، أظهرت الوجوه بطلان دعاويها،
ونم على الأوعية ما جعل فيها؛ ولذلك قال من قال: الحمد لله الذي ألبس
أولياءه خللاً من صمائرهم، وأنار وجوههم بنور إخلاص سرائرهم، وكلامهم^(٦)
بالمهابة في العيون، وطهر قلوبهم من اختلاج سوء^(٧) الظنون، فنقوسهم
مستريحة^(٨) رائحة، ومحاسنهم لأهل العقول لأحة، وثناؤهم عطر الانسجام؛
فهم بين الأنام كالأعلام، بهم يستمطر الغمام إذا حجب، وفي مجلتهم يحشر
السعيد إذا نجب، فمن جارهم نكب، ومن حاربهم غلب، ومن ألق إليهم
بخلاف ريحهم عطب.

ومنها:

يا بؤس مقام الظالمين، وندامة العاصين، إذا رأوا العذاب، وتقطعت

(٢) هـ، ت، لب: أبت

(١) هـ: والقدر

(٤) هـ، ت، لب: لتستمر

(٣) لب: تصفو معاطفه

(٦) هـ: وكلامهم

(٥) ر، هـ: جدوت

(٨) هـ: مستريحة راجحة

(٧) ر، ت، لب: سر

بهم الأسباب . ويقولون هل إلى مرَدٍّ من سَبِيلٍ . ولات حين سَبِيلٍ ^(١) . وأنى لهم التناؤش من مكانٍ بعيد ، ولورُدُّوا لَعَادُوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ^(٢) ؛ كيف يتعلَّقُ المنقطعُ بحَبْلٍ الاتصال ، أو يجدُ قلبه برَدَ ماء الوصال ، وقد خالف أمرَ الكبير المتعال ؟ ألا ومن خالف خولِفَ به ، ومن عدلَ عن سلوكِ سَبِيلِ الرشادِ نكصَ على عَقِبِهِ . ومن أبصرَ واجتهدَ أدركَ غايةَ مَطْلُوبِهِ ، واتَّصلَ بِمَحْبُوبِهِ ، ووصلَ إلى رياضِ مرغوبِهِ . وصلَ والله إلى مقامِ أمين ، في جنَّاتٍ وعُيون ، يلبسون من سُندُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ .

كَمْ بَيْنَ مَنْ عَبَّرَ الطَّرِيقَ ^(٣) خَفِيفًا وَأَنَّى إِلَهَ مِنَ الذُّنُوبِ نَحِيفًا ^(٤)
 وَطَوَى الْمَرَا حِلَّ بِالطَّوَى عَنْ كُلِّ مَا كَرِهَ إِلَهُ وَجَانِبَ التَّعْنِيفِ
 حَتَّى أَنَا حَ بَبَابِهِ وَقَبَابِهِ ضَيْفًا غَزِيرًا عِنْدَهُ مَعْرُوفًا ١٠
 فَأَنَّى الْقَرَى بِحِبَابِهِ وَجَزَائِهِ ^(٥) حَتَّى يَنَالَ مِنَ النِّعَمِ صُنُوفًا

فصل في ذكر الأديب العالم النائر الناظم أبي محمد غانم .

والأخذِ بطرفٍ مُسْتَظَرَفٍ من خبره وحميدٍ ^(٦) أثره

قال ابن بسام : وكان أبو محمد غانم بن وليد ، ونسبه في بني ^(٧) مخزوم ، قد

(١ - ١) هـ في وه وفيها « مناص » بدل « سبيل »

(٢) هـ ، ت ، لب : الصراط (٣) وه : نظيفا

(٤) ر : وجوابه — وه : بجنابة وحرابة

(٥) ت ، لب : وجيل (٦) وه ، ت ، لب : في مخزوم

بَذَّ وَقَتَهُ أَهْلَ ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ ، فِي أَنْوَاعِ التَّعْلِيمِ ^(١) ؛ فَرَدَّ عَصْرَهُ وَنَسِجَ وَحْدَهُ ،
فِي تَنَاهِي جِدِّهِ ؛ مُتَفَنِّئًا جَرَى فِي مَيْدَانِ السُّبُقِ ، وَفَقِيهًا قَرَطَسَ أَغْرَاضَ
الْحَقِّ ؛ وَكَانَ فِي هَذَا الْبَابِ الَّذِي وَلَجْنَا فِيهِ مِنْ أَهْلِ الرَّوْيَةِ وَالْبِدْيَةِ ^(٢) ؛ حَدَّثَ
عَنْهُ الْفَقِيهَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمِيثَلٍ وَكَانَ مِنْ خَاصَّتِهِ الْمُلَازِمِينَ لَهُ ، وَالْآخِذِينَ
عَنْهُ ، أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ أَنْشَدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

وَإِذَا الدِّيَارُ تَنَكَّرَتْ عَنْ حَالِهَا فَذَرِ الدِّيَارَ وَأَسْرِعِ التَّحْوِيلَا
لَيْسَ الْمَقَامُ عَلَيْكَ حَتْمًا وَاجِبًا فِي بَلَدٍ تَدْعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلَا
وَسُئِلَ الزِّيَادَةَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ :

لَا يَرْضَى حُرٌّ بِمَنْزِلِ ذِلَّةٍ إِنْ ^(٣) لَمْ يُجِدْ فِي الْخَاطِقِينَ مَقِيلَا
فَارِضَ الْعَلَاءِ ^(٤) لِحُرِّ نَفْسِكَ لَا تَكُنْ تَرْضَى الْمَذَلَّةَ مَا حَيِّتَ سَبِيلَا
وَاخْصُصْ بُوْدُكَ مَنْ خَبَرْتَ وَفَاءَهُ لَا تَتَّخِذْ إِلَّا الْوَفَى خَلِيلَا
فَلَقَدْ خَبَرْتُ النَّاسَ مِنْذُ عَرَفْتُهُمْ فَوَجَدْتُ جِنْسَ الْأَوْفِيَاءِ قَلِيلَا
سَقِيًّا لِأَيَّامِ الشَّبَابِ فَإِنَّهَا كَالْإِلْفِ حَاوَلَ أَنْ يُجِدَ رَحِيلَا
جَمْلَةٌ مِنْ ثَرِهِ :

١٥ مِنْ ذَلِكَ رُقْعَةٌ خَاطَبَ بِهَا بَعْضَ إِخْوَانِهِ بَغْرَ نَاطِلَةٍ ، قَالَ فِيهَا :

يَا سَيِّدِي سُمُّوْا ۖ وَسَنَدِي ^(٥) عَلُوْا ۖ كُلُّ جَوَادٍ مِنْ بَنِي جُودِي سَابِقُ ۖ

(٢) وَه : الْبِدْيَةُ — حَدَّثَنَا

(١) وَه ، ت ، لِب : التَّعْلِيمِ

(٤) وَه ، ت ، لِب : الْوَفَاءُ

(٣) وَه ، ت ، لِب : لَوْ

(٥) وَه : سَنَادِي

وكلُّ سيِّدٍ من بني سَوَادِهِ سَامِقٌ ، ولولا أَنَّ أَجَاهِرَ بَسَرِ الإِطْرَاءِ ، وَأَنَاظَرَ^(١) في باب الإِغْرَاءِ ، لَقَلْتُ إِنَّكَ حَابِسٌ لَوَائِهِمْ ، وَفَارِسٌ وَفَائِهِمْ ، وَحَارِسٌ ثَنَائِهِمْ ۖ وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ كَانَ لَكَ سَمِيًّا ۖ فَلَقَدْ كَانَ سَرِيًّا ۖ وَفِي الْفَضْلَاءِ سَنِيًّا ۖ وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا .

- وَرَدَنِي — أَعَزَّكَ اللَّهُ — كِتَابُ الَّذِي مِنْ مَرَّاشِفِ الْأَحْبَابِ ۖ وَخَطَابُ أَرْقٍ مِنْ مَعَانِي أَبِي الْخَطَّابِ ، عَمْرِ بْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ ، فَلَهُ عَلَى عِلْمِكَ مَعَانٍ بَدِيعَةٍ ، جَلُوتُ مِنْهَا زَهْرُ الْمَعَانِي فِي رِيَاضِ الشَّعْرِ ، وَعَمْرُوسُ^(٢) الْأَمَانِي فِي نِشَارِ الْفَنَرِ ۖ وَتَبَسَّمَ لِي عَصْرُ الرِّبْعِ قَبْلَ أَوَانِهِ ، فَتَقَسَّمَ نَازِلِي بَيْنَ شَقَائِقِهِ وَحَوَازِينِهِ ، وَوَرَدَهُ وَسْوَاسَانِهِ ۖ إِلَى لَطَائِفَ مِنْ أَبْكَارِ دُرَرٍ ، وَأَنْوَاعِ غُرَرٍ ، بَعْضُهَا مِنْ بَنَاتِ الْفِكْرِ^(٣) ، وَبَعْضُهَا مِنْ بَنَاتِ الذِّكْرِ^(٤) ، وَغَيْرُ نَسْكِيرٍ أَنْ يَصِيرَ رَوْضُ النَّهْيِ ۖ
- ١٠ فِي حَلِي^(٥) رَوْضِ الرَّبِّي ۖ وَدُرُّ الْأَفْكَارِ كَدُرِّ التَّجَارِ . وَلَمَّا رَتَعَ نَازِلِي فِي فِي تِلْكَ الْمَرَاتِعِ ، وَرَبَعَ خَاطِرِي فِي تِلْكَ الْمَرَابِعِ ، هَزَّتْنِي رَاحُ الْأَرْيَحِيَّةِ ۖ وَازْدَهَمْتَنِي خِفَّةُ الْأُمْنِيَّةِ ، فَلَوْ كُنْتُ تَمَنَّيْتُ شَرْبَ الرَّاحِ^(٦) ، لَطَرْتُ بِلَا جَفَاحٍ ؛ تَذَكَّرْتُ بِخَطَابِكَ وَنِظَامِكَ تِلْكَ الشَّمَائِلَ^(٧) ، وَرَوْحَ تِلْكَ الْبُكْرِ وَالْأَصَائِلِ ۖ
- وإن لم يكن إلّا في كيالٍ قلائل .

وفي فصل منها :

ومما أغفلته بقلّة اليقظة ، وسألتُ الله ألا تكتبه على الحفظّة ، تهنّئتك

(١) هـ في ر : (٢) هـ : وغرس الأمانى فى أثناء النثر

(٣-٢) هـ في هـ — ورسم الكلمة فى النسخ أقرب إلى نبات ۖ

(٤) هـ : حلة (٥) ر : بالراح (٦) هـ فى هـ ، ت ، لب : بمالقة

بالفارس المولود ، والفروع المودود ، والنجم السعيد ، الذي تطلع في أفق
سمائك ، وتلفح بلفاح ضيائك^(١) ، مليئة بولداً برّاً ، ووفياً خروّاً .

تقسمت خطرات القلب ربحان هذى ارتياحى وفي هاتيك ربحاني
إني على السنّ والذنيا مولى لذو قواد إلى الإخوان حنان
أرتاح نحو نسيم ساق عرفهم كأنما يعتلى بالجسم روحاني
أمن ليبرة تسرى الرّيح حاملة روح النسيم فأحياني وحياني ؟
مقرّ ملك الرئيس المستجار به ياديس أفان بتمكين وإمكان
يلايح البرق من أعلاها غسقاً جُد بالتحية من حما فأحياني
طود من العلم والآداب راسية أضوله وذراه فوق كيوان
حرّ الفضائل مغسول شمائله يخص من زنة العليا برّججاني
أحيأبو الحسن المشهور منصبه بحسن الدهر من حسن وإحسان
قد كان عتي موصولاً على زمني حتى طلعت به بدرّاً فأرضاني

وله من أخرى خاطب بها أبا الحسن الحضري^(٢) :
ما أفصح لسانك ، وأفسح ميدانك ، وأوضح بيانك ، وأرجح ميزانك ،
وأنور صباحك ، وأزهر مصباحك ! أيها السابق المشتهل^(٣) في ميدان النبيل ،
والسابق^(٤) المتطول بفضائل الذكاء والفضل . أرحمتني من غلّ الهمة ، فازدهمتني
أريحية ، وأزحتني عن ظلّ الغم ، فلاحت لي شمس الأمنية ، بما أطلعتني على ،
وأنفذتني^(٥) مكارمك إلى ؛ فقلت : أعصر الشباب رجّع ، أم كوكب السعد

(١) ر : صيائك ، ت : صفائك

(٢) رسم النكتة في ر : الحضوي - في ه : المصري - ت : لب : الحضري

(٣) ه : المشتهل (٤) ت : لب : الشاهق (٥) ه : ت : لب : وأهدته

- طَلَعَ ، أَمْ بَارِقُ الْإِقْبَالِ لَمَعَ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ ! إِنَّهَا لَمَكْرُومَةٌ فَهَرِيَّةٌ ، أَهْدَتْهَا^(١) نَفْسٌ سَنِيَّةٌ ، وَهَمَّةٌ عَلِيَّةٌ . إِنْ قَلْتُ الْوَشْيُ الصَّنْعَانِي ، فَقَدْ نَقَضْتُهَا ، أَوِ الدِّيْبَاجُ الْخُسْرَوَانِي ، فَقَدْ بَخَسْتُهَا . بَلَى وَاللَّهِ ! أَرْتَقِي زَهْرَ الرَّبِيعِ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ ، وَحُسْنُ الصَّنِيعِ عَلَى عَدَمِهِ فِي أَهْلِ زَمَانِهِ ، لَحْتُ مِنْهُ عَقْدَ اللَّالِ ، يَبْقَى عَلَى أُخْرَى اللَّيَالِ ؛ فَأَنْتَ وَاحِدُ الْبَلَاغَةِ الَّذِي لَا يُجَارَى ، وَفَارِسُ الْفَصَاحَةِ الَّذِي لَا يُبَارَى .
- وقد اعتقدتُ مابه أشرتُ ، وإياه اعتمدتُ ، لو لاحَ لي في أَفْقِ النَّقْلَةِ صَبَاحٌ ، أَوْ اسْتَقَلَّ بِي فِي طُرُقِ الرَّحِيلَةِ^(٢) جَنَاحٌ . وَكَمْ حَاوَلْتُ^(٣) مُسَالَمَةَ النَّوَابِ بِانْقِبَاضِي ، وَمُدَارَاةِ الدُّنْيَا بِتَرْكِ الْأَغْرَاضِ وَإِعْرَاضِي ، فَإِذَا الْانْقِبَاضُ قَدْ حَصَّنَنِي فِي جُمْلَةِ الْقَبْضِ ، وَالتَّرْكُ لِلْأَغْرَاضِ قَدْ جَعَلَنِي لِلثُّوبِ كَالْغَرَضِ ، وَلَا سَلَاحَ إِلَّا الدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الصَّلَاحِ ، وَلَا جَنَاحَ إِلَّا التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .
- ١٠ جَنَاحٌ ؛ فَسَبَّحَانَ مَنْ قَدَّرَ أَنْ أَكُونَ لِبَابِ الثُّوبِ حَرَبًا ، وَتَكُونَ عَلَى أَيَّامِ الزَّمَانِ إِلْبًا ، أَصْلَى بِنَارِ الْمَصَائِبِ السُّودِ ، كَأَنِّي مِمَّا أَنَا بِكَ مِنْهُ مُحْسُودٌ . أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ! فَقَدْ حَمَى صَدْرِي حَتَّى غَلَى مِرْجُلُهُ ، وَضَاقَ بَحَالُ فِكْرِي حَتَّى اتَّسَعَ فِي الشُّكْوَى مَقُولُهُ . وَلَوْ أَنِّي سَلَّمْتُ لِمَوَاقِعِ الْأَقْدَارِ ، لَعَلَّمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْقَدَرِ اخْتِيَارٌ ، وَرَضِيتُ بِمَا يَأْتِي بِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَتَيَقَّنْتُ أَنَّ خُلُقَ الزَّمَانِ عِدَاوَةُ الْأَحْرَارِ ، لَا مَرْحَلَةٌ قَلْبًا يَفْتَلِبُ فِي جَمْرِ الْأَسَى . وَأَذْكُرْتُ لُبًّا قَدْ نَسِيَ الْاِقْتِدَاءَ بِالْأَمْنَى .

(١) ر : أحدثنا — م : أسدتها (٢) ر : الوصلة

(٣) ر : صاولت (٤ — ٤) م : في

ومن شعره :

أَنشَدَ لَهُ الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ^(١) الْمَذْكُورُ فِي الزُّهْدِ :

صَرَفَ بَقَايَا الْعُمُرِ فِي طَاعَةِ وَلَا يَغْرَنَّكَ كَيْدُ الْغُرُورِ
وَارْحَلْ إِلَى الْأُخْرَى بِزَادِ الثَّقَى فَإِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعُ الْفُسُورِ

قَالَ : وَخَرَجْنَا مَعَهُ إِلَى رَبْوَةٍ تُعْرَفُ بِالْعُقَابِ مُشْرِفَةً عَلَى وَادِي^(٢)

مَالِقَةٍ . فَقَالَ بَدِيهَةٌ :

نَحْمُكَ الزَّمَانَ بِحُسْنِهِ وَبِهَائِهِ كَالصَّبِّ يَضْحَكُ [بَعْدَ]^(٣) طَوْلِ بُكَائِهِ
وَكُنَّ إِقْبَالَ الرَّبِيعِ^(٤) بَوَصْلِهِ وَصَلُ الْحَبِيبِ أَتَاكَ بَعْدَ جَفَائِهِ
وَكُنَّا وَادِي الْعُقَابِ عَشِيَّةً مُسْتَمِطِرٌ دَمْعِي بِمَجْزِيَةِ مَائِهِ
وَكُنَّ رَشْحُ الطَّلِّ فِي رَوْضِ الرَّبِّي رَشْحُ الْخُدُودِ بَدَا بِنَارِ حَيَاتِهِ

قَالَ : وَهَبَطْنَا إِلَى الْوَادِي فَلَمْ نَجِدْ مَاءً . خَفَرْنَا فِي الرَّمْلِ حَتَّى خَرَجَ الْمَاءُ

مِنْ قَاعِهِ . فَقَالَ :

أَيُّهَا الْحَسِيُّ الَّذِي جَاءَ دَ بِمَاءٍ دُونَ مَنَعِ^(٥)
إِنْ تَخَفَ غَيْضًا مِنْ الـ قَيْظٍ فَهَذَا فَيْضُ دَمْعِي

قَالَ : وَطَبَخْنَا لَهُ مَرَّةً شَرَابَ تَفَّاحٍ فَوَجَدَ فِيهِ رَائِحَةَ ثَوَمٍ ، فَقَالَ :

دُهَيْتُ يَا قَوْمُ بِأَعْجُوبَةٍ لَمْ تَكُ فِي الزَّنَجِ وَلَا الرُّومِ
شَرَابُ تَفَّاحٍ تَخَيَّرْتُهُ فَعَادَ مَطْبُوحًا مِنَ الثَّوَمِ

(١) هـ في ت ، لب (٢) هـ في هـ

(٣) في لب : منذ — هـ ، هـ : منه — ت : منك

(٤) هـ : الزمان (٥) هـ : منع

وأنشده :

يا غريباً بحسبِه قصّتي فيك أغربُ
 أنت في طي ناظري والمنى منك تُحجَبُ
 لا تُلَمُّ في مِدادِه بدم القلب يُكتبُ
 إن إدريسَ ماجدٌ للعلّى فيه مذهبُ
 جدّه خاتمُ^(١) الهدى وعلى له أبُ
 فهو للمجدِ مَطْلِعُ وهو للمجدِ^(٢) مغربُ
 وقال له عتيق المغنى المهدوي^(٣) وهو بالقصر : إني أحفظ بيتاً فلعنك تذيّله وأدخله
 في طريقته ، والبيت :

يا نائب الوجه عن شمس الضحى غسقاً والبدر لو كلفوه ذاك لم يَنبُ
 ١٠ قال بديهة :

في غرة الملك العالى^(٤) ومنظرة
 نرى محيّا في ليل فيخبرنا عن^(٥) الحقيقة أن الشمس لم تغب
 ودخل مجلس باديس فوسّع له على ضيق كان فيه ، فقال :

صيّز فؤادك للمحبوب منزلةً مَمُّ الخياطِ مجالٌ للحبيبين
 ١٥ ولا تسامخ بغيضاً في معاشرّة فقلما تسعُ الدنيا بغيضين
 قال ابن بسام : وهذا من قول الخليل بن أحمد ، وقد دخل عليه بعضُ

(١) ه ، ت ، ب : اللى ، وفى لب : حاتم

(٢) ه ، ت ، ب : ليجود (٣) ه فى ت ، ب

(٤) ت ، ب : العليا (٥) ه : على

إخوانه وهو على نمرقة صغيرة ، فرحب به وأجلسه معه في مكانه ، فقال : إنها لا تحملنا ، فقال له الخليل : ما تضايق سم الحياط لمحبين ، ولا اتسعت الدنيا بمبتاغضين . وسمع هذا أيضاً ابن عبد ربّه فقال هذين البيتين :

صل من هويت وإن أبدى معاتبة فطيب العيش وصل بين خلين
واقطع حبال خل لا تلامه فرُبما ضاقت الدنيا بأثنين

ومن مدائح له ^(١) قصيدة في العالى إدريس بن يحيى بن على بن حمود

أولها :

لولا التخرج لم يحجب محياك هذا اللثام غمام ما بين هدى
لما هديت إلى نعمان ^(٢) سافرة أيا غزالتنا شمس الضحى طلعت
بدوت في حلة زرقاء وهى كذا أظما ^(٣) منى يا ظميا جائرة
إني أراك بقتل النفس حاذقة مالى وللبرق استسقيه من ظما
إن كان واديك ممنوعاً فوعدنا رقى الدجى فتلاقينا ^(٤) على جزع
حيت عنا وحينا بمحياك حطى اللثام فليس البدر ^(٥) إلاك
كانت هدايتنا من بعض نعمك على اتفاق فسبها كسيماك
فقال قاضى الهوى : هدى ولا ذاك ما كان ضررك لو أخطى بسقيماك
قولى بفضلك من بالقتل ^(٦) أو صاك هيئات لا رى لى إلا ثناياك
وادی الكرى ثم تلقانى ^(٧) وألقاك وأين مئواى من أقطار مئواك

١٠

١٥

(١) م ، ت ، ب : له من قصيدة في العالى بالله .

(٢) ر : البد

(٣) م : لقمان

(٤) م ، ت ، ب : أظمتنى

(٥) ر : بالحب

(٦) كذا بالأصول

(٧) م : فتلاقينا

دَمْعِي بِبَغْدَادَ مَمْدُودٌ بِدَجَلَتِهَا وَأَنْتِ مِنْ رَوْضِ نَجْدٍ نَشْرُ رَبَّكَ
رِيحَ الصَّبَا بَلَّغِي أَنْفَاسَ ذِي ظُلْمٍ وَبَرْدِهَا بِمَا تَقْضِيهِ فَخَوَاكِ^(١)
أَوْ يَمِّي حَضْرَةَ الْعَالِي بِمَا احْتَمَلْتُ مَنَى الصَّلُوعِ قَمَّ الْبُرَى لِلشَّائِكِ
وَلَهُ نَثْرٌ فِيهِ طَوِيلٌ إِذْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ . قَالَ فِيهِ بَعْدَ الصَّدْرِ :

وَلَمْ يَتْرُكِ الْمَتَطَوَّلُ عَلَيْنَا عَزَّ وَجْهُهُ بِالْهُدَى ، أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُدَى ؛
بَلْ نَظَمَ شَمْلَهَا بِإِمَامٍ^(٢) عَادِلٍ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ ، وَتُعَوَّلُ عَلَيْهِ ، تَتَوَارَثُهُ كَابِرٌ عَنْ
كَابِرٍ ، وَتَتَلَقَّاهُ غَابِرٌ عَنْ غَابِرٍ ؛ إِلَى أَنْ أَذِنَ اللَّهُ لِلْإِمَامِ الْهَاشِمِيِّ ، وَالْمَلِكِ الْفَاطِمِيِّ ،
وَالْفِرْعَاقِيِّ ، إِدْرِيسَ الْعَالِي بِاللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْمُعْتَلِيَّ بِاللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ بْنِ
حُمُودِ بْنِ أَبِي الْعَيْشِ بْنِ عُبَيْدٍ^(٣) اللَّهُ بْنُ عَمْرِ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ
ابْنِ الْحُسَيْنِ^(٤) بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَقَامَ الْعَالِي بِاللَّهِ خِلَافَةَ الْمَغْرِبَيْنِ ، وَاضْطَلَعَ
بِمُلْكِ الْعُدَوَّتَيْنِ ؛ وَلَمَّا آتَى أَوَانُ إِمَامَتِهِ ، حَانَ مِنْ عُدُوِّهِ حِينَ^(٥) قِيَامَتِهِ . وَكَانَ
مَقْتُلُ الْعَبْدِ الْغَادِرِ — وَكَافِرُ النِّعْمَةِ كَالْكَافِرِ — فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ
وِثْلَاثِينَ ، وَفِي عَشْرِينَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ كَانُونٍ . فَانْجَلَتْ سَمُومُ الشِّتَاءِ^(٦) بِانْجِلَالِهِ ،
وَانْقَضَتْ أَيَّامُ الشُّومِ بِانْقِضَائِهِ . وَكَانَ عَقَبَ الشَّهْرِ فِي اسْتِقْبَالِ شَهْرِ رَجَبِ الشَّهْرِ
الْأَصَمِّ . سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْعَرَبَ أَسْقَطَتْ فِيهِ قَعْقَعَةَ السَّلَاحِ ؛ وَكَانَ لِلْمَثَلِ إِنَّمَا
جَرَى فِي مِضْمَارٍ ، عَلَى مَفْرَقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَرَى النَّاسَ تَخَايِلَ السَّعْدِ وَالْإِيْنَسِ .
وَهُوَ قَوْلُهُمْ : عِشْ رَجَبًا تَرَعْجَبًا ؛ وَكَانَ الْعَجَبُ^(٧) آخِرَ يَوْمٍ مِنَ اللَّيَالِي ،

(١) ر : فجواك — وه ، ت ، لب : ينضيه بجراك

(٢) وه ، ت ، لب : بإمام ترجع إليه

(٣) وه : عبد الله

(٤) ر ، ت ، لب : حسين

(٥) ت ، لب : بين إقامته

(٦) وه : الشتات

(٧) وه ، ت ، لب : هذا العجب

وَقَامَتْ فِيهِ دَوْلَةٌ هَذَا الْمَلِكِ الْعَالِي ، وَالشَّمْسُ نَأْخُذُ مِنْ قَعْرِ الْفَلَكَ فِي الصُّعُودِ ،
وَتُؤَذِّنُ بِحُجْرَى الْمَاءِ فِي الْعُودِ ؛ وَتَتَرَقَّى بِالْعَالَمِ فِي دَرَجِ الشُّعُودِ .

وَاسْتَقْبَلَ الْمَلِكَ إِمَامُ الْهُدَى فِي أَرْبَعِ بَعْدَ ثَلَاثِينَ
خِلَافَةً الْعَالِي سَمِعَتْ نَحْوَهُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ بَعْدَ عِشْرِينَ
إِنِّي لِأَرْجُو يَا إِمَامَ الْهُدَى أَنْ تَمْلِكَ الْمُلْكَ ثَمَانِينَ
لَا رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا لَمْ يَقُلْ عِنْدَ دُعَائِي لَكَ آمِينَ

فَسَقَرَتْ الدُّنْيَا قِنَاعَهَا فَتِيَّةً ، وَبَلَغَتْ النُّفُوسُ خِلَافَتَهُ الْأُمْنِيَّةُ ، وَاضْأَلَتْ
عَلَيْهِ بَيْعَاتُ الْأَمْصَارِ ، وَأَمَّتْ حَضْرَتُهُ الرُّسُلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْطَارِ ، وَبَدَأَ بِالْفَضْلِ ،
وَصَدَعَ بِالْعَدْلِ ، فَأَخْبَى مَا تَرَى آبَاةُ الطَّاهِرِينَ . وَفِي وَصْفِ دَوْلَتِهِ يَقُولُ مَنْ أَسَمَ
بِسْمَاءِ نِعْمَتِهِ ، وَحُبَّةٍ دَعْوَتِهِ :

ضَحِكَ الزَّمَانُ إِلَيْكَ بَعْدَ غُبُوسِ وَتَقَى دُجَى الْإِيحَاشِ بِالْتَأْنِيسِ
فَأَذَرْنَا نُجُومَ الرَّاحِ فِي فَلَكِ^(١) الْمُنَى وَتَطَوَّفُ^(٢) نَحْوَكِ مِنْ أَكْفِ شُمُوسِ
فِي رَوْضَةٍ تُخَيِّ النُّفُوسَ كَأَنَّمَا بَاتَتْ تَفَنِّسُ عَنْ عَلَا إِدْرِيسِ
مَلِكُ أَقْلَمِ اللَّهِ دَوْلَةً^(٣) مُلْكِهِ فَكَبَا مِنَ الْأَعْدَاءِ كُلِّ رَئِيسِ
مِنْ دَوْحَةِ الْوَحْيِ^(٤) الَّتِي يُسَمُّوْهَا دَرَسَتْ مَغَانِي الْكُفْرِ أَيْ دُرُوسِ

قال : وَدَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْعَالِي ، وَوَصَلْتُ إِلَى مَجْلِسِهِ الْعَالِي ، وَأَنَا عَلَى بُعْدٍ
مِنْهُ ، وَانْتِزَاحٍ عَنْهُ ، أَلْحَظُهُ بِمُقَلَّةٍ حَاسِمٍ ، وَأُنَاجِيهِ بِقَلْبٍ هَائِمٍ ؛ فَأَنْشَدْتُهُ^(٥)
يَبْقَى إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِي فِي الْمَأْمُونِ :

(١) : ملك (٢) كذا بالأصول ولعلها « فتطوف » (٣) ت ، لب : دعوة

(٥) وه ، ت ، لب : فأنشدت

(٤) : الملك

بأسرحة الماء قد سُدتْ موارِدُه أما إليك طريقٌ غيرُ مَسدودٍ !
 الحاتمِ حاتمٍ حَتَّى لا يُروِدَ له مُحَلًّا عَنْ طريقِ الماءِ حَرْدودٍ ^(١)
 فَقَرَّبَ وَأَدْنَى ، وسألَ عن حالي فَأَخْفَى ^(٢) ؛ فَتَغَفَّى بَعْدَ مَبْدَأٍ ^(٣) مُحَمَّدُ بْنُ
 الحَمَامِ الْمُغَنَّى بِشِعْرِ لَعَبِدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِ :

هل يُزِيلُ الْبَيْنَ مُحْتَمَلُ إِنْ غَدَتْ لِلْبَيْنِ ^(٤) أَجْمَالُ !
 فَأَمَرَ الْعَالِي بِتَذْيِيلِهِ فَقُلْتُ :

إِنَّمَا الْعَالِي إِمَامٌ هُدَى حَلَيْتَ فِي عَصْرِهِ الْحَالُ
 مَلِكٌ إِقْبَالُ دَوْلَتِهِ لَدَوَى الْأَفْهَامِ إِقْبَالُ
 قُلْ لَنْ أَكْدَتْ ^(٥) مَطَالِبُهُ رَاحَتَاهُ الْجَاهُ وَالْمَالُ

وَلَمْ أَكْذِبْ اسْتَمْتِمْ ^(٦) هَذِهِ الْأَبْيَاتُ حَتَّى أَنْتَمَ عَلَى الصَّلَاتِ . وَلَمَّا انْفَصَلْتُ
 وَقَدْ تَسَرَّ بِلْتُ أَنْوَابِ نَعْمَتِهِ ، قَصَدْتُ إِلَى وَزِيرِهِ وَفَقَّهْتُهُ أَبِي ^(٧) عُمَرَ بْنَ هَاشِمٍ
 فَأَعْلَمْتُهُ وَأَثْنَيْتُ وَشَكَرْتُ ، وَلَوْ اسْتَطَعْتُ جَعَلْتُ الرِّيحَ لِسَانًا ، وَالزَّمَانَ تَرْجُمَانًا .

قَالَ : وَحَضَرْتُ مَجْلِسَهُ أَيْضًا فَتَغَفَّى الْحَمَامِيُّ بِشِعْرِ مُحَمَّدٍ أَوَّلَهُ :

^(٨) إِذَا بَلَغْتَنِي يَا نَا قَتِي الْمُسَمَّى إِذْ رِيسَا

فَكَانَ الْعَالِي بِاللَّهِ اسْتَحْسَنَ الْحُلَّةَ ^(٩) وَلَمْ يَرْضَ قَوْلَهُ « الْمُسَمَّى » ؛ وَإِنَّمَا

(١) هـ ، ت ، لب : مسدود (٢) ر ، ت ، لب : فَأَخْفَى

(٣) هـ : بعد هذا — ت ، لب : بعد هذه

(٤) هـ ، ت ، لب : للحي — لم نجد البيت في ديوانه المطبوع

(٥) ر : أبدت (٦) ت ، لب : إنشاد هذه .

(٧) هـ : أبي عمرو بن هشام (٨) هـ : إذا ما بلغتني نا قتي ٠٠٠

(٩) هـ : الغناء ولم يرتض الشعر

هو المسمى أو المسمى من سَمِيَتْ أو أَسْمِيَتْ ، ولا يُقال من التسمية سَمَوْتُ
ولا سَمِيَتْ ، ولو قال « المسمى بإدريسا » لصحَّ الوزن والكلام . فأطرقَ
قليلاً - أيده الله - ثم قال للمُعَنَّى بهذا^(١) الصوتِ قل :

إذا ضاقت بك الدنيا فعرِّجْ نحوَ إدريسا
إذا لاقيتَه تَلَقَّ رَئِيسًا غَيْرَ مَرُوسَا
وَمَنْ عَزَمَاتُه تَنَفِّيَ عَنِ الْأَوْطَانِ إِبْلِيسَا^(٢)
إِمَامٌ مَاجِدٌ مَلِكٌ يُزِيلُ الْغَمَّ وَالْبُوسَا

فتبادرَ مَنْ بالحضرةِ إلى حفظِها ؛ ثم قال لي : أيجوزُ مِنْ طريقِ النَّحوِ
رئيسًا غيرَ مَرُوسًا ؟ فقلت : للنحويِّينَ في هذا مذهبان ، وهما في جَوَازِهِ
وامتناعِهِ فِرْقَتان . فأهلُ البصرةِ أنكروه . والأخفشُ والكوفيُّونَ أجازوه ؛
وأنشدَ مَنْ أجازَ تركَ صَرْفِ المصروفِ قولَ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ :
فَمَا كَانَ قَيْسٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ
وَأَنشَدُوا :

وقائلةٌ مَا بَالُ دَوْسَرَ بَعْدَنَا صَحَا قَلْبُهُ عَنِ آلِ لَيْلَى وَعَنِ هِنْدٍ
وَمِثْلُهُ :

وَمِمَّنْ وَلَدُوا عَا مَرُ ذُو الطُّولِ وَذُو الْعَرَضِ

فلم يَصْرِفُوا مِرْدَاسًا وَلَا دَوْسَرَ وَلَا عَامِرًا وَهِيَ مُنْصَرِفَةٌ . وللبصريِّينَ في
هذه الأبياتِ تَبْدِيلٌ ، وَمَذَاهِبُ وَتَأْوِيلٌ ؛ رَوَوْا مَكَانَ دَوْسَرَ مَا لِلْفَرِيعِيِّ

(١) وه ، ت ، لب : أعد الصوت وقل

(٢) هذا البيت لم يرد في

بعدنا» وتأولوا في عامر القبيلة . والذي يعول عليه أن منع الصرف دون علة ضرورة عند سيئويه . وإن كان في اختلافهم مجال ، لمن تصرف في سبيل المقال . ثم أمر بعد أن يُبدل مكان « غير » في البيت « ليس مرءوسا » . وقال السلامة من الاختلاف ، أولى في طريق الإنصاف .

ومن مراثيه : أنشد له الفقيه ابن عميثل^(١) المذكور يرثي أخويه من
بجيلة قصيدة :

يادمع لا تذخل وكن مسعدا لا تخش من صبري أن ينفك
أخ غريق وأخ في الثرى وترتجى السلوة ما أطمعك !
إن جود العين خوف العدى ورقبة الحساد لن ينفك
يا عمرا أغمرت قلبي أسي ودع^(٢) صبري مثلما ودعك
رُزئت في الدنيا يدي^(٣) نصرتي يادهر مبتأ لك ما أفجعك
وله فيهما :

ما طمعي في العيش من بعد ما كدّره موت شقيقيا
كفان صانحت المني عنهما فكفت الأيام كفتيا
هذا فقير^(٤) طاح في قفرة وذا غريق ما أرى حيا
وله من قصيدة يرثي الفقيه القاضي أبا علي^(٥) بن حسن أولها :

(١) ه : عيثل

(٢) ت ، لب أودع . . . أودعك — ه : أودع . . . ودعك

(٣) ت ، لب : بنى نصرتي . . . يادار تبأ لك

(٤) ه ، ت ، لب : فقيد — ه : ضاع . . . ما رأى

(٥) ه : أبا علي حسن

الموتُ أعْرَبَ في أَصْحَرِ مَسَاقِ
والموتُ يُخْبِرُ عَنْ مَرَارَةِ كَاسِهِ
هَلَّا تَوَاصَيْنَا بِصُورَةِ حَالِنَا
يَا أَمَلُ الدُّنْيَا لِبَاقِي عُمرِهِ
حَسَنَاءُ زِيٍّ^(٢) بِالنَّهْيِ مَمْهُورَةٌ
مَغْشُوقَةٌ الْحَرَكَاتِ إِلَّا أَنَّهَا
كَمْ أَوْدَتِ الدُّنْيَا بَغْضَنِ شَيْبَةٍ
وَمُوقِرٍ لِبَسِ الْمَشِيبِ جَلَالَةٍ
طَرَفَتُهُ أَحْدَاثُ الْمُنُونِ فَأُطْرَقَتْ
لَوْ كَانَ يُبْقِي الْمَوْتَ حَبْرًا عَالِمًا
مَا أَنْصَفَتْ عُقْبَاكَ يَا طَلْقَ الرَّدَى
وَلَى حُسَيْنٍ^(٣) وَالْحَامِدِ^(٤) بَعْدَهُ
أَسْفَى لَوِيَّةٍ كُنْتَ عَقْدَ جَمَاهِلِهَا
تَزْدَانُ^(٥) مِنْكَ بِحُسْنِ مَا قَدْ طَوَّقَتْ
عِلْمُ أَعْيُنَ بِفَضْلِ حِلْمٍ رَاجِحِ
وَصَبَاحَةٍ وَسَمَاحَةٍ^(٦) قُسِمَتْ لَهُ
وَمِنْ الْغَرِيبِ غُرُوبُ شَمْسٍ فِي الثَّرَى

أَنَّ الْمَنِيَّةَ شَعَرَتْ عَنْ سَلَقِ
وَالكَأْسُ مَلَأَى لَمْ يُدِرْهَا سَاقِ^(٧)
وَالنَّفْسُ تَرَنَّى فِي لَهْوٍ وَتَرَاقِ ؟
أَفْصِرْ فَمَا أَمَلٌ عَلَيْهَا بَاقِ
فَإِذَا تَعَرَّتْ مُتَعَتِ بِطَلَاقِ
أَفْعَى تَدَبُّ لَأَعْشَقِ الْعَشَاقِ
كَالْفُضْنِ مَاسَ بِنَاصِرِ الْأُورَاقِ
بَحْرٍ لِبَاغِي الْعِلْمِ عَذْبِ مَذَاقِ
مِنْهُ الْفَضَائِلُ أَيَّمَا إِطْرَاقِ
لَوْ أَنَّ الْحَمَامَ أَبَا عَلِيٍّ وَاقِ
أَزْدَيْتِ عَالِمَنَا عَلَى الْإِطْلَاقِ
كَثِيلًا تَقَامِي جَاحِمَ الْأَشْوَاقِ
فَابْتَرِ^(٨) ذَاكَ الْعِقْدُ دُونَ وَفَاقِ
زَيْنَ الْحَمَامِ الْوُزْقِ بِالْأَطْوَاقِ
أَخَذَ الْأَمَانَ لَهُ مِنَ الْإِخْلَاقِ
رِزْقًا تَبَارَكَ قَاسِمُ الْأَزْزَاقِ
وَضِيَاؤُهَا بَادٍ^(٩) عَلَى الْآفَاقِ

(٢) ت ، لب : ربا

(٤) وه : فابتر

(٦) وه ، ت ، لب : بسماحة

(١) هذا البيت ناقص في ت ، لب

(٣) وه ، ت ، لب : والحاسن

(٥) ه : فازدان منك بحسن ما طوقته

(٧) وه ، ت ، لب : باق

أَبْقَيْتَ فِي الدُّنْيَا مَآثِرَ ثَرَّةٍ تَبَيَّنَ حُلَى الْأَيَّامِ وَهِيَ بَرَاقِ
قَدْ كَانَ مَجْلِسُكَ الْمُبَارَكُ مَوْسِمًا فَأَقَامَ أَوْحَشَ مِنْ غَدَاةِ فِرَاقِ
عُيِّبَتْ عَنْهُ مَغِيبَ بَدْرِ كَامِلٍ وَاللَّيْلُ أَذْهَمُ ضَارِبَ بِرَاقِ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ وَالْكَسُوفِ مَرْتَبٌ قَرُّ تَوَارَى فِي زَمَانٍ مِحَاقِ
مَنْ ذَا أُعْزَى فِيكَ مِنْ هَذَا الْوَرَى لَمْ يَلْقَى إِلَّا بِحُزْنِكَ لَاقِ
وَالنَّاسُ مَحْزُونُونَ فِيكَ كَانَمَا كَانَ إِتِفَاقُهُمْ عَلَى إِصْفَاقِ

وله من أُخْرَى : فِي مُبَلِّغِينَ بْنِ بَادِيسَ (١) :

هُوَ الْعَمْرُ يُطَوِّى وَالْأَمَانِي رَوَاحِلُ هُوَ الْعَيْشُ يَفْنَى وَاللَّيَالِي مَرَاحِلُ
إِذَا كَانَتْ الْأَمَالُ (٢) تُدْعَى قَوَاتِلًا عَلَى الْحُكْمِ فَالْأَجَالُ مِنْهَا مَقَاتِلُ
نُقَالِبُ أَجْنَادَ الرَّدَى الدَّهْرَ بِالْمُنَى كَمَا غَالَبَ الْحَقُّ الْمُصْرَحَ بَاطِلُ
وَأَحْوَالُنَا بَيْنَ الْحَيَاةِ وَضِدِّهَا تُصَرِّفُ وَالْأَقْدَارُ فِيهَا الْعَوَامِلُ
عَلَى ذَا تَقْضَى عَالَمٌ بَعْدَ عَالَمٍ وَلَمْ تَخْتَلَفْ فِيهِ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ

ومنها :

مَضَى مَلِكُ الْعَلَمَا وَلَمْ يُظْلَمْ الضُّحَى وَلَا انْتَقَلَتْ عَنْ حَالِهِنَّ الْمَنَازِلُ
وَلَا انْهَدَّتِ الشَّمُ الرُّوَاسِي وَلَا انْتَفَتْ أَعْلَى دِيَارِ الْأَرْضِ وَهِيَ أَسَافِلُ
فَقُلْ لِعِتَاقِ الْخَيْلِ تَنْدُبُ يَوْمَهُ فَقَدْ فُجِعَتْ فِيهِ الْقَنَاقُ وَالْقَنَابِلُ
وَلَيْسَ صَهِيلَ الْخَيْلِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنْ عَوِيلُ رَجَعْتَهُ الصَّوَاهِلُ
وَلَا تَعْجَبُوا مِنْ وَكِيفِ الْقَطْرِ إِنَّهُ دُمُوعٌ هَرَّاقَتْهَا السَّحَابُ الْمَوَاطِلُ (٣)

(١) ز في وه ، ت ، لب : من قصيد أوله (٢) وه : الأيام

(٣) هذا البيت ناقص في ت ، لب

فَقُلْ لِلسَّانِ الْمَجْدِ أُخْرِسْتَ مُفْجِعًا (١)
فِيهَا طَالِبًا لِلْجُودِ لَا تُتْعِبُ الْمُنَى
كَأَنَّ جَمِيلَ الصَّبْرِ رَأَى وَمَنْ غَدَا
وَمِنْهَا

وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو نَحْوَ قَصْرِكَ مَادِحًا
وَقَدْ كُنْتُ فِي مَذْحِيكَ سَخْبَانٍ وَائِلٍ
وَفِيهَا يَقُولُ :

أَفَقِ أَيُّهَا الْمَوْلَى الرَّئِيسُ فَإِنَّمَا
وَإِنْ كَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ انْجَابَ ظِلُّهُ
وَإِنْ كَانَ شَمْسًا قَدْ تَوَلَّى ضِيَاؤُهَا
وَإِنْ كَانَ بَدْرًا أَنْتَ عُنْصُرُ نُورِهِ
إِذَا ثَبَتَ الْمَسَاءُ الْمَعِينُ بِحَالِهِ
وَفِي الْخَيْسِ أَشْبَالُ تُرْشِّحُ لِلْعِدَى
بَقَاؤُكَ عُمرُكَ لِلْفِدَى مُتَطَاوِلُ
فَأَنْتَ لِهَذَا الْمَجْدِ كَافٍ وَكَافِلُ
فَيُوشَعُ فِي تَمَكُّنِ نُورِكَ حَاصِلُ
فَأَيْنَ مِنَ الشَّمْسِ الْبَدْوُ الْأَوَائِلُ ؟
فَلَيْسَ نَكِيرًا أَنْ تَقِيضَ (٢) الْجَدَاوِلُ
وَأَرَاؤُكَ الْحُسْنَى مَوَاضٍ فَوَاصِلُ

وَأَنْشُدْ لَهُ مِنْ أَشْعَارِهِ فِي صِبَاهٍ :

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَقَدْ مَضَى مَنْ يَعْقِلُ
فَلَقَلَّمَا نَأَتِي عَلَيْكَ مَسْرَّةً
وَإِذَا خَبَرْتَ النَّاسَ لَمْ تُلَفْ أَمْرًا
مَا بِالْهَمِّ — نَكَبْتَ بِهِمْ أَمَالَهُمْ —
فُسَارَتْ رُضْعَتُ قُوَى آرَائِهِ
وَالْبَسَ مِنَ الْأَخْلَاقِ مَا هُوَ أَفْضَلُ
إِلَّا تَتَابَعَ بِعَدَا مَا يُشْكَلُ
ذَا حَالَةٍ تُرْضِيكَ لَا يَتَحَوَّلُ
كُلُّ يَعْيبُ وَلَا يَرَى مَا يَقَعْلُ
وَمُجَاهِرُ يَرْمِي وَلَا يَتَأَمَّلُ

(١) هـ، ت، ب : معجما (٢) هـ، ت، ب : يحاول (٣) ر : تقيض

ومُقَلَّدٌ مُتَعَاقِلٌ مُتَادِّبٌ وإذا اختبرتَ فباقِلٌ هو أغفلُ
ومِنَ الغرائبِ مَنْ يُقَارِعُ في النُّهى أهلَ البصائرِ وهو فيهم أغزلُ
ومِنْهَا :

حاولتُ أَنْ أَلْقَى الزَّمانَ بطَبْعِهِ لولا الوفاءِ وشِيمَةُ لا تُنْقَلُ
في الأَرْضِ مَتَّسَعٌ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ إِنْ تَنَبُّ مَنزِلَةٌ دَعَاها مَنزِلُ
وَأُنْشِدْ لَهُ :

بَعَيْنُكَ هَلْ لِي مِنْهُمَا مُتَخَلِّصٌ فَإِنْ كُنْتَ تَدْرِيهِ فَكَيْفَ يَكُونُ ؟
وإِنْ زَمَانًا ضَنَّ عَنِّي بِوَصْلِكُمْ عَلَى طَوِيلٍ مَا قَاسَيْتُهُ لَضَنِينَ
وَأُنْشِدْ لَهُ :

أَمِطْ عَنْكَ لَوْنِي فَالطَّبَاعُ ضُرُوبُ وَمَنْ سَـالَمَ الْإِيَّامَ فَهُوَ لَيْبٌ
إِذَا مَا تَجَنَّى الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ فَلَيْسَ لِدَاءِ الْوَدِّ مِنْهُ طَيْبٌ
وإِنْ كَانَ مَا قَدْ حَالَ مِنْهُ لِعِلَّةٍ فَمَكْلٌ مُدَاوٍ بِالْعِتَابِ مُصِيبٌ
يَقُولُونَ لِي غَمَضٌ عَلَى غَدْرِ مَنْ مَضَى وَلَا تَعْتَبِنِ إِنْ الْوَفَاءُ غَرِيبٌ
فَقُلْتُ لَهُمْ إِنِّي غَرِيبٌ كَمَثَلِهِ وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ

فَصَلِّ فِي ذِكْرِ الْأَدِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّرَّاجِ الْمَالِقِيِّ

مُحْسِنٌ فِي أَهْلِ عَصْرِهِ مَعْدُودٌ ، وَشَاعِرٌ بَنِي حَمُودَ ، وَلَهُ فِيهِمْ غَيْرُ مَا قَصِيدَ ،
وَمَقْطُوعَاتٌ فِي النَّسِيبِ وَجَدْتُهَا بِحُطِّ الْأَدِيبِ أَبِي ^(١) عَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ الْغَلِيطِ مِنْ
أُنْفَى مَالِقَةٍ أَيْضًا ، صَاحِبِهِ الْكَثِيرِ الْإِتِّصَالِ بِهِ وَالْمُنَادِمَةِ لَهُ . وَقَدْ اخْتَرْتُ مِنْهَا
مَا يَلِيقُ بِشَرْطِ هَذَا الْجُمُوعِ .

قال أبو علي : أردتُ يومًا الأُنْسَ بِهِ ، فَعَلِمْتُ اتِّصَالَ شُرَيْبِهِ ، فَانْفَرَدْتُ مَعَ
صَدِيقٍ وَكُتِبْتُ إِلَى ابْنِ السَّرَّاجِ :

يَا خَلِيلًا صَفَا وَكَدَّرَ يَوْمِي هَلْ إِلَى الطَّيِّبِ فِي غَدٍ مِنْ سَبِيلِ ؟
لَوْ تَرَانِي أُسَارِقُ اللَّحْظَ خَلِي وَأُسْقَى مِنْ رِيقِهِ الْمَعْسُولِ
لَتَمَنَيْتَ أَنْ تَرَى حُسْنَ الْوَرْدِ دِ ثَغْنِيكَ بِالْغِنَاءِ الثَّقِيلِ ^(٢)
يَا خَلِيلًا مِثَالَهُ نَضَبَ عَيْنِي لَوْ خَلَوْنَا إِذَا شَفِيتُ غَلِيلِي

فَالْفَاءُ رَسُولِي سَكَرَانَ فَكُتِبَ إِلَيَّ :

يَا صَدِيقِي شَغَلْتُ عَنْكَ بِحُطْبِ لَمْ يَكُنْ لِي بِتَرْكِهِ مِنْ سَبِيلِ
وَعَدًا نَلْتَقِي عَلَيْهَا سُـلَافًا مُرَّةً ^(٣) فِي حَرَارَةِ الزَّنجَبِيلِ
أَثْقَلْتَنِي هَوًى بِقَدِّ خَفِيفِ حُسْنُ الْوَرْدِ فَوْقَ رَدْفِ ثَقِيلِ
سَلَبْتُ صَبْرِي الْجَمِيلَ وَقَلْبِي بِجُفُونٍ نُجْلٍ وَوَجْهِ جَمِيلِ
كَحَلَّتْ بِالشَّهَادِ وَالذَّمْعِ طَرْفِي يَوْمَ أَبْصَرْتُهَا بِطَرْفِ كَحِيلِ
هِيَ سُوْلِي مِنَ الْمَلَّاحِ كَمَا أَنْ لَكَ مِنْ سَادَةِ الْأَخْلَاءِ سُوْلِي
لَا عَدَتَنِي زِيَارَةٌ مِنْكَ تُذَكِّرِي نُورَ عَيْنِي سَمَاءً ^(٤) وَتَشْفِي غَلِيلِي

(١) : أبو الحسن بن الغليظ (٢) : ت ، ب : النبيل

(٣) : ت ، ب : مرة (٤) : ت ، ب : رضا

وكنْتُ معه يوماً على جَرِيَّةٍ ماءٍ في موضعٍ حَسَنٍ يَحَارُ فيه الطَّرفُ ، وَيَقْصُرُ
عنه الوَصفُ ، وأَقْنَا هُنَالِكَ أَيَّامًا في أَطْيَبِ عَيْشٍ وَأَطْرَفٍ ^(١) مَنَظَرٍ . وكنْتُ
أَهْيَجُهُ للَقَوْلِ فَقُلْتُ :

شَرِبْنَا على ماءٍ كَانَ خَرِيرَهُ خَرِيرُ دُمُوعِي عِنْدَ رُؤْيَةِ أَزْهَرِ
حَلَفْتُ بِعَيْنَيْهَا لَقَدْ سَفَكَتُ دَمِي بِأَطْرَافِ فِتْنَانٍ وَالْحَاظِ جُودَرِ
وقُلْتُ ^(٢) :

شَرِبْنَا على ماءٍ كَانَ خَرِيرَهُ

فقال مُبَادِرًا :

بُكَاءُ مُحِبٍّ بَانَ عَنْهُ جَيْبٌ ^(٣)

فَمَنْ كَانَ مَشْغُوفًا كَثِيبًا بِالْفِه فَإِنِّي مَشْغُوفٌ بِهِ وَكَثِيبٌ
وَأَزْهَرُ الَّتِي يَذْكُرُ جَارِيَّةٌ كَانَتْ لِبَعْضِ إِخْوَانِنَا ، وَلَهُ بِهَا كَلْفٌ ، وَفِيهَا يَقُولُ :

حَلِيلِي فِي رِيحِ الصَّبَا لَوْ تَنَسَّمْتُ عَلَيْنَا شَيْءًا مِمَّا مِنْ هَوَايَ مُتَسَعِّرِ
رَسُولُ الَّتِي فِي صَوْتِهَا سَوَاطِلُ لَحْظِهَا عَلَى هَائِمٍ مِثْلِي بِهَا غَيْرِ مُقْصِرِ
تَذَكَّرْتُ بِالْوَادِي زَمَانًا لَقِيمَتِهَا بِهِ فِيهِ وَالْمُشْتَاقُ حِلْفُ تَذَكَّرِ
فَلَوْ صُبَّ فِي كَأْسِي أَذَى ^(٤) لَشَرِبْتُهُ عَلَى شَرْطِ أَنْ أُسْقَاهُ مِنْ كَفِّ أَزْهَرِ

وَوَرَدَ عَلَيْهِ يَوْمًا رَسُولُ حُسْنِ الْوَرْدِ وَمَعَهُ قَفَصٌ فِيهِ طَائِرٌ يُغَرَّدُ . فَاقْرَأَهُ
سَلَامَهَا ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْقَفَصَ هَدِيَّةً مِنْهَا إِلَيْهِ ، وَأَخْبَرَنِي بِذَلِكَ ، وَاجْتَمَعْنَا إِثْرَ هَذَا
وَهَيَّجْتُهُ ^(٥) لَذِكْرِهَا ، وَبَيْنَ يَدَيْنَا وَرَدٌ كَثِيرٌ نَضِيرُ مُعْلَقٌ مِنْ أَغْصَانِهِ . فَقَالَ :

(١) هـ : وَأَطْرَف — ت ، ب : وَأَطْرَب (٢-٢) هـ في هـ

(٢) هـ : دَمِي (٣) هـ ، ت ، ب : وَهَيْجْتُهُ

ذَكَرْتُ بِالْوَرْدِ حُسْنَ الْوَرْدِ شَفَقَتُهُ (١)
هَيْفَاهُ لَوْ بَعْتُ أَيَّامِي لِرُؤُوسِهَا
كَالْبَدْرِ رَكْبَهُ فِي الْغُصْنِ خَالِقَهُ
فَاشْرَبْ عَلَى ذِكْرِهَا خَمْرًا (٢) كَرِيَقَتِهَا
قَالَ فَقُلْتُ أَنَا :

بَدَا الْوَرْدُ فِي أَغْصَانِهِ مُتَعَرِّضًا
يُذَكِّرُ أَيَّامًا نَعِمْنَا بِطَيِّبِهَا
فَدَعْنِي وَلَا تَلَحَّ عَلَى الْحُبِّ أَهْلَهُ
وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ :

وَلَمَّا تَبَدَّى الْوَرْدُ فَوْقَ غُصُونِهِ ١٠
ذَكَرْتُ بِهِ مَنْ خَذَهُ لِي رَوْضَةٌ
فَقُلْتُ لِمَنْ عَهْدِي لَهُ مِثْلُ عَهْدِهِ :
وَقُلْتُ أَسْقِي كَأْسًا عَلَى طَيِّبِ ذِكْرِهَا
وَشَرِبْنَا يَوْمًا عَلَى مَاءٍ يَتَفَجَّرُ مِنْ أَعَالَى أَحْجَارٍ ، وَقَدْ أَحْدَقْتُ بِنَا عِدَّةُ
أَشْجَارٍ ، وَتَرَدَّدَ فِيهَا عَلَيْنَا غِنَاءُ أَطْيَارٍ ، تُنْسِي لِحْنَ الْأَوْتَارِ ؛ وَانْكَسَرَ لَنَا الْكَأْسُ
هَنَالِكَ ، وَكَانَ بِتِلْكَ الْقَرْيَةِ (٣) صَدِيقٌ لَنَا فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

بَقِينَا بِلَا كَأْسٍ سِوَى شَقَفِ شَرْبَةٍ
فَنَ بَكَاسٍ يَأْتِي الْفَتَكَ (٤) وَالَّذِي
وَهَبْتَ عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ رِيحَ عَطَرَةٍ أَنْتَ بِأَنْوَاعِ أَرْوَاحِ النَّبَاتِ ، فَقَالَ :

(١) ر : شفقته — ت ، لب : سفقته — وه : منبته .

(٢) وه : وردا (٣) ت ، لب : القريضة (٤) ت ، لب : الحى

أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي بِحَالِ حَبِيبٍ لَيْسَ لِي عِنْدَهُ عِلْمٌ ؟
حَبِيبٌ رَأَى أَشْتَقِي مِنْهُ فَاتَّقَى جُفُونِي بِسُتْرٍ تَحْتَهُ الْقَمَرُ التَّمُّ
وَقَالَ عِنْدَ رَحِيلِنَا :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا مَاءَ مَوْضِعٍ شَرَبْنَا عَلَيْهِ مِثْلَهُ قَهْوَةً حُمْرًا ^(١)
وَرَوَى الَّتِي مِنْ حُسْنِهَا وَجُفُونِهَا سَفَقْتَنِي سِحْرًا خَمْرَةً تُسَكِّرُ السَّحْرَا
وَكَتَبَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ وَفَحْنُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ :

هَلْ لَكَ فِي الشُّرْبِ يَا أَبَا الْحَسَنِ فِي مَنْزِلِ طَيْبِ الثَّرَى حَسَنٌ ؟
أَرْجَاؤُهُ لَا تَزَالُ دَائِرَةً بِوَكَافٍ مِنْ مِيَاهِهِ هَتِنٌ
لَوْ كَانَ مِمَّا يُبَاعُ كُنْتُ لَهُ مُشْتَرِيًا بِالْغَالِي مِنَ الثَّمَنِ
مَا كُنْتُ فِيهِ وَالزُّقُ يُصَحِّبُنِي أَبْدِلُ كَأْسِي بِتَسَاجِ ذِي يَزَنِ ^{١٠}

وَقَالَ وَقَدْ ارْتَحَلْنَا مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ :

سَقَى صَفْحَةَ الصَّفَاحِ مِنْ غَيْثٍ ^(٢) عِبْرَتِي سَحَابٌ تَرَوِي ثُرْبَهَا وَثَرَاها
شَرِبْتُ بِهَا يَوْمًا وَصَحْبِي مَا جِدُّ لَهُ رَاحَةٌ يُسْقَى السَّحَابَ نَدَاها
جَوَادٌ ^(٣) إِذَا مَا اسْتَمَطَرَتْ جُودَ كَفِّهِ ظَوَائِي أَمَالَ هَمِّي فَسَقَاها
قَالَ : وَدَعَوْتُهُ إِلَى النَّزْهَةِ بِالْبَادِيَةِ وَمَطْلُتُهُ ، وَكَانَ بَعْضُ خَدَمَتِنَا قَدْ أَعْرَسَ ^{١٥}
وَرَغِبَ إِلَيَّ أَنْ أَبْقَى لِأَحْضَرِ الْعُرْسِ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

يَا صَدِيقًا وَدَادُهُ مَا يَرِيمُ وَخَلِيلًا إِخَاؤُهُ لِي يَدُومُ
جَاءَنِي رَاغِبًا لِأَحْضَرِ عُرْسًا مَنْ لَهُ عِنْدَنَا ذِمَامٌ قَدِيمُ
وَهُوَ عُرْسٌ لَا تَأْتِيهِ خَاوِيَ الْبَيْطِ نِ فَإِنَّ الْغَدَاءَ فِيهِ نَسِيمُ
فَكَتَبَ إِلَيَّ :

(١) هـ : حمرا (٢) هـ : كاس (٣) هـ : ت ، اب : كريم

إِنْ كُنْتَ تُبْقَى عَلَى عُرْسِ الْبَوَاقِينِ^(١) فَأَنْتَ عِنْدِي مَجْنُونُ الْمَجَانِينِ
دَعْ ذَاوِسِرَ بَنِي إِلَى أُمِّ الْحَسَنِ فِي صَدْرِي لَهَا وَضُلُوعِي قَلْبُ مَفْتُونِ^(٢)
وَصَاحِبِ الْعُرْسِ بَوْفُونُ وَأَنْتَ قَتَّى مَا زِلْتَ تَكْرَهُ أَحْوَالَ الْبَوَاقِينِ^(٣)

وخرجنا إلى البادية في أيام الربيع . وأقمنا على روضة ورد وحوها مياه
تطرد . وأُمُّ الْحَسَنِ تُغَرِّد . فقال ارتجالاً :

يَاسِيدِي وَالَّذِي رِضَاهُ رِضَا عَلَيْهِ دُونَ الْأَنَامِ اعْتَمِدْ
أَمَا تَرَى الدَّهْرَ كَيْفَ جَادَ لَنَا بِيَوْمِ أَنْسٍ سَاعَاتُهُ جُدُّ
وَرَدُّ جَنِّي وَرَوْضَةُ تَرَكْتُ بِوَفْرِهَا وَلِإِيَّاهُ تَطَرَّدُ
فَقُلْ لَأُمِّ الْحَسَنِ تَقْتُلَنِي وَلَا عَلَيْهَا دَمٌ وَلَا قَوْدُ
وَاشْرَبْ كَشُرْبِي عَلَى مَحَبَّةٍ مَنْ فِي صَوْتِهَا الْعَذْبِ طَائِرٌ غَرْدُ ١٠

ومالت الشمسُ هناك إلى الغروب ، وأحدثت^(٤) شعاعاً في تلك الروضة ،
وعلا خَرِيرُ الْمَاءِ بِبَرْدِ الْعَشِيِّ . فقال أيضاً :

إِذَا الشَّمْسُ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ رَأَيْتَنِي أَمِيلُ بِأَمْقَالِ الْهَوَى فَأَمِيلُ
تَذَكَّرْنِي أَوْصَافَ مَنْ عَرَضَ الْهَوَى عَلَيَّ فَلَمَّا هَمْتُ ظِلَّ يَحْوُلُ
خَلِيلِي وَجَدْتِي فَوْقَ مَا تُبْصِرَانِي فَهَلْ لِي إِلَى السُّلُوفِ عَنْهُ سَبِيلُ؟ ١٥
خَذَارِحَةً مِنْ بَعْضِ مَابِي نِ الْهَوَى فَإِنَّ الْهَوَى حَمْلٌ عَلَى ثَقِيلُ

قال : واجتمعنا يوماً بمجلس أنس ، وكتبنا إلى أبي بكرٍ عبادة . وقد كان
تابَ عن الشَّرَابِ وَيُسَاعِدُ فِي التَّبِيدِ :

تَبِيدُكَ الْحَكْمُ يَدْعُوكَ مُسْتَشْعِرًا شَوْقًا إِلَى فَيْكَ

(١) في الأصول بالقاف «البواقين» ولعلها من الكلمة الإسبانية Bufon بمعنى المهرج

(٢) م : مغبون (٣) لم يرد هذا البيت في م (٤) : وأبدت

فامننْ بإقبالٍ وإلا مَضَى جَمِيعُنَا دُمْتَ لِإِنَادِيكَ
فَرَاغَعْنَا بِقَوْلِهِ وَجَاءَ لَوْفَتِهِ :

قَصْدِي بُودٍ لَيْسَ مَشْكُوكَا فِيهِ وَعَهْدٌ لَيْسَ مَتْرُوكَا
مِنْ حَقِّ نَادِيكُمْ عَلَى شَاكِرٍ غَدَا لَكُمْ صِنُوءًا وَمَمْلُوكَا
وَكَيْفَ صَبْرِي عَنْ نَدْيٍ أَرَى فِيهِ دَمَ الْكَرْمَةِ مَسْفُوكَا
وَعِثْتُ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ مِنَ الدَّهْرِ فِي سَفَرٍ لَقِيتُ فِيهِ نَصَبًا ۝ وَصَحِبْتُ قَوْمًا لَمْ
يَحْسُنْ مَوْقِعُهُمْ مِنْ نَفْسِي وَلَا التَّدَذُّتُ بِهِمْ ۝ ثُمَّ قَدِمْتُ مُشْتَقًّا إِلَى الْأَنْسِ بِهِ ،
فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

يَا مَنْ أَقْلَبُ طَرَفِي فِي مَحَاسِنِهِ فَلَا أَرَى مِثْلَهُ فِي النَّاسِ إِنْسَانَا
لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا لَا قَيْتُ بَعْدَكَ مَا شَرِبْتُ كَأْسًا وَلَا اسْتَحْسَنْتُ رِيحَانَا
فَوَرَدَ عَلَيَّ مِنْ حِينِهِ فَقَالَ : أَرَدْتُ مُجَاوِبَتَكَ نَخِفْتُ أَنْ أَبْطِئَ فَصَنَعْتُ الْجَوَابَ
فِي الطَّرِيقِ ، وَهُوَ :

يَا مَنْ إِذَا مَا سَقَتْنِي الرَّاحَ رَاحَتُهُ أَهْدَتُ إِلَى بَيْتِهَا رَوْحًا وَرِيحَانَا
مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي صَبَاحِ السَّبْتِ يَظْهَرُهَا ^(١) فَلَيْسَ عِنْدِي بِحُسْكِ الظَّرْفِ إِنْسَانَا
فَكُنْ عَلَى حُسْنِ هَذَا الْيَوْمِ مُصْطَبِحًا مُؤَخَّرًا حَسَنًا فِيهِ ^(٢) وَحَسَنَانَا
وَفِي الْبَسَاتِينِ إِنْ ضَاقَ الْحُلُّ بِنَا مَنْدُوحَةٌ لَا عَدِمْنَا الدَّهْرَ بُسْتَانَا
قَالَ : وَعِثْتُ فِي غَزْوَةٍ مَعَ يَحْيَى الْمُعْتَلِي بِاللَّهِ ۝ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ
فَاتَّصَلَ بِي أَنَّهُ تَنَزَّهَ مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي زَمَانِ الْوَرْدِ ۝ وَفَصَاحَةٌ ^(٣) أُمُّ الْحَسَنِ ،
وَأَنَّهُ صَنَعَ أَشْعَارًا فِي وَصْفِهَا ، مِنْهَا :

(١) م ، ت ، لب : يأخذها

(٢) م : واحسانا

(٣) م : فصاحت

وَمُسِمِعَةً غَنَّتْ فَهَاجَتْ لَنَا هَوَى جَنَيْنًا بِهِ مِنْهَا ثَمَارَ الْهَوَى ^(١) جَنِينًا
دَعَوَتْ لَهَا ^(٢) سَقِيًّا فَمَا اسْتَكْمَلَ الرِّضَا دُعَايَ لَهَا حَتَّى سَقَاهَا الْعَصِيَا سَقِيًّا
وَكُنْتُ رَفِيقًا لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ زِيَادٍ ، وَسَأَلَنِي مَخَاطَبَتَهُ لِيَزِيدَ
عَلَيْهَا ، فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، فزَادَ فِيهَا :

وَكَلَسَ عَلَى طَيْبِ اسْتِمَاعِي لِصَوْتِهَا ٥
وَلَوْ أَقْلَعْتُ أَوْلَى عَزَائِلِهِ لَا نَبَرْتُ
خَلِيلِي هَذَا الْيَوْمُ لَوْ يَبِيعُ طَيْبُهُ
وَلِلَّهِ أَيَّامِي وَمَا خِلْتُ أَنِّي هَا
تَوَلَّيْتُ حَمِيدَاتٍ فَسَقِيًّا لِعَهْدِهَا
جَفَتْنِي عُيُونُ الْغَانِيَاتِ وَطَالَمَا ١٠
وَأُطْلَعَ شَيْبِي عَارِضًا فَوْقَ عَارِضِي
مَفَى عُمْرِي وَالْدَّهْرُ لِي غَيْرُ مُنْصِفٍ
فَلَا جِيدَ ^(٣) مِنْ غَيْدَاءٍ يَشْفِي عِنَاقَهَا
كَفَى حَزَنًا أَنِّي أَرَى الْحُسْنَ مُمَكِّنًا
وَلَوْ تَعَدَّلُ الْآيَاتُ فِي بَذْلِ خُطَّةٍ ١٥
وَقَالَ فِي دِيكَ صَرَخَ ^(٤) سَحَرًا :

شَرِبْتُ وَدَمَعُ الْمَزْنِ ^(٥) يُسَعِدُنِي جَرِيًا
رِيَّاحُ النَّوَى تُجْرِي دُمُوعَ الْهَوَى جَرِيًا ^(٦)
بِمَا حَوَتْ الدُّنْيَا لَقَلْتُ لَهُ الدُّنْيَا
تُعَوِّضُنِي مِنْ قُرْبِهَا فِي الرِّضَا نَأْيًا
وَرَعِيًّا وَلَا سَقِيًّا لِهَذِي وَلَا رَعِيًّا
سَعَتْ طُولَ أَيَّامِي لِتُبَصِّرَنِي سَعِيًّا
يَسِخُّ هُمُومًا مَا عَلَيَّ لَهَا بُقِيًّا
يُكَلِّفُنِي أَشْيَاءَ جَلَّتْ عَنِ الْأَشْيَاءِ ^(٧)
غَلِيلَ صَبَابَاتِي وَلَا شَفَةَ لَعْنِيَا
وَلَسْتُ أَرَى لِي فِيهِ أَمْرًا وَلَا نَهْنِيَا
لَمَّا كُنْتُ فِي الشُّقْلَى وَغَيْرِي فِي الْعُلْيَا

(١) ت ، لب : المني

(٢) ر : بها

(٣) ت ، لب : العين

(٤) لم يرد هذا البيت في ر

(٥) هذا البيت مؤخر عن البيتين التاليين في ر ، ت ، لب

(٦) ر : الجيد

(٧) ت ، لب : صدح

رعى الله ذا صوتٍ أنسنا بصوته
دعا من بعيدٍ صاحباً فأجابه
على له لو كنت أملك أمره^(٢)
وقد رأى الغيث ينزل :

تأمل سقوط^(٣) الغيث ماذا أثار من
رأى في جفوني دمعها جامد الهوى
وقال أيضاً :

ذكرتك بالوادي الذي كنت مرة
فحرك مني باعث الشوق ساكناً
فيا نازحاً والدار مني قريبة
إذا الله يوماً خص بالقطر ساحة
لقيتكم فيه والهوى بيننا غر^(٥)
وكلفني صبراً ومن أين لي صبر؟
إلى كم يطول الصد لي منك والهجر !
فلا زال منهلاً بساحتك القطر
قال أبو علي : وطالت بنا الأيام . وسئمتنا المدام . فتناوَمنا لها . فقال

ابن السراج :

يارا قدين تنبهوا من رقدة
وصلوا بعامكم الشرور فانكم
لا خلق أغبن متجراً من بائع
لله هذا اليوم لو ظفرت يدي
منعتكم طيب^(٦) الشرور العاجل
لا تضمنون سروركم في القابل
بالبخس عاجل طيبه بالآجل
فيه^(٧) بحفظ العهد في القابل

(١) ه ، ت ، لب : بان (٢) ه ، ت ، لب : عمره

(٣) ه : نزول (٤) ه : كين

(٥) الشطر الثاني في ه ، ه : به والهوى ما بيننا أبداً غر

(٦) ر ، ه : طول (٧) ه ، ت ، لب : منكم ... فيه لغافل

وقال أيضاً :

رعى الله فتياناً أنست بقرهم
أقنا به يومين في خفض عيشة
على جدول للماء فيه خير
ولا عيش إلا قهوة وغدير
تدور القوافي بيننا نستحيها
وكأس الحميا بالشور تدور
وفي الشجرات الخضر منه رقيقة
لنغمتها بين الضلوع هدير
إذا ما تغت فوفنا قلت قينة
تلاها بصوت مثلثان وزير
سبنتي بصوت لو يباع اشتريته
بما مر من عمرى وذلك يسير

واستعفيناه يوماً من الشرب وكان يدينه على ضعفه قال :

رعى الله يوماً لم أجذ فيه مسعداً
شربت بها وحدى وإني بشر بها
على شربها والمُسعدون قليل
إذا لم أجذ لي مسعداً لكفيل

وقال أيضاً :

خليلى هباً للمدامة واشربا
علا صوته حتى حسبناه عاشقاً
سُروراً على الطير الذى يتبرم
يبوح ودمع العين في الخد يسجم
كأننا سألناه مزيداً لما شدا
به فهو من إلحاحنا يتبرم

وقال :

يا حابساً كأس المدامة حنّها
واطرب على وجه الزبيع فقد بدا
نحوى قلى في شربها تأويل
منه لنا وجهه أغر جميل
واشرب على ماء الخليج فإنه
ضيف إقامته لديك قليل
لو كان أمرى في يدى ما فارقت
يوماً يدى رامشة^(١) وشمول

(١) رسم الكلمة في م : رامشة

وقال في أمِّ الحَسَنِ :

وَمُسَمِّعَةٍ تُفَنِّدُنَا اِرْتِجَالَا وَتُصَحِّبُنَا بِنَغْمَتِهَا دَلَالَا
وَبَيْنَ أَكْفُنَا حَمْرٍ وَمَاءٍ إِذَا مَا سَالَ خِلَتْ الدُّرُ سَالَا
فَإِنْ شَاءَتْ سَقَيْنَاهَا مُدَامًا وَإِنْ شَاءَتْ سَقَيْنَاهَا زُلَالَا
وَلَوْ سُقِيتُ دَمِي وَدَمِي حَرَامٌ لَكَانَ لِحُسْنِ مَنْطِقِهَا حَلَالَا ٥

قال : وكنا يوماً على الوادي في أيام الربيع ، فرَّبه سِرْبٌ مِلاحٍ فيهنَّ
جاريةٌ حَسَناءُ ، ظَرِيفَةٌ الْمَنْطِقِ ، وهى تأكلُ بِأَقْلَاءٍ ، فاعترضها وسألها منه فدفعته
إليه ، فقال بديهة :

وَسِرْبُ مِلاحٍ مَرَّ بِي وَبِصَاحِبِي ^(١) وَنَحْنُ عَلَى مَاءٍ يُذَكِّرُنَا عَدْنَا
وَيَحْمِلُنْ قَوْلًا عِنْدَهُنَّ نَظِيرُهُ عَوَانٌ وَلَسَكُنْ نَوْرُهُ عَزَّ أَنْ يُجْنَى ١٠
فَقُلْتُ عَسَى مِنْ قَوْلِكَ بَقِيَّةٌ فَقُلْنَ : وَأَيُّ الْقَوْلِ تَرَعْبُهُ مِنَّا ؟
فَقُلْتُ الَّذِي تَحْتَ السَّراوِيلِ قُلْنَ لِي جَهَلَتْ ^(٢) وَلَمْ تَفْهَمْ مَقَالَتَنَا عَنَا
حَرَامٌ عَلَى مَنْ كَانَ شَيْخًا مُشَوَّهَا وَصَالَ مِلاحٍ فُتِنَ شَمْسُ الضُّحَى حُسْنًا
وَفِيهِنَّ نَشْوَى الطَّرْفِ لَمْ أَرْ قَبْلَهَا مِنْ الْإِنْسِ شَمْسًا تَحْمِلُ الدَّعْصَ وَالْغُصْنَ

وَأَقْنَا بِالْبَادِيَةِ فِي أَيَّامِ الْعَصِيرِ مَدَّةً فِي لَهْوٍ وَطَيْبٍ ، وَقَفَلْنَا فَكُتِبَ إِلَيَّ ١٥
رَعَى اللَّهُ عَصْرًا ضَمْنَا فِي عَصِيرِهِ مَحَلٌّ وَصَلْنَا اللَّهْوَ فِيهِ لِيَالِيَا
تَدُورُ ^(٣) عَلَيْنَا الرِّاحُ فِي أَرْيَحِيَّةٍ مِنَ الْعَيْشِ لَو دَامَتْ زَمَانًا كَمَا هِيَ
أَقُولُ لِأَصْحَابِي خُذُوا مِنْ حَيَاتِكُمْ بِرَأْيِ زَادًا سَوْفَ يَنْفَدُ فَانِيَا

(١) ت ، لب : وبصاحبي

(٢) و ، ت ، لب : طمعت

(٣) و : تدار

وَمَنْ مَلَّ مِنْكُمْ شُرْبَهَا فَلْيُرَدِّهَا إِلَى فَائِي لَا أَمَلُ التَّمَادِيَا
أَرَى عُمرَ الْإِنْسَانِ يَوْمًا يَسْرُهُ فَمَنْ نَالَ ذَاكَ الْيَوْمَ نَالَ الْأَمَانِيَا
فَلَا تُلْقِ يَوْمًا بِالْخِلَافِ إِلَى غَدٍ فَلَسْتُ بِمَا لَا قِيَّتَ بِالْأَمْسِ لَا قِيَا
وَلَا تَخْلُ مِنْ كَأْسٍ يَسْرُكَ شُرْبَهَا عَلَى طَرَبٍ مَا دَامَ سِرُّكَ خَالِيَا
فَإِنْ أَبْكَ أَيَّامَ الشَّبَابِ فَوَاجِبُ عَلَى مَنْ جَفَّتْهُ أَنْ يَرَى الدَّهْرَ بَاكِيًا
وقال أيضا :

أَلَا مَنْ مُنْقِذِي مِنْ كَرْبٍ لَيْلٍ تَعَرَّضَ بَيْنَ طَرَفِي وَارْتِيَا حِي ؟
تَضَاعَفَ طَوْلُهُ وَاشْتَدَّ^(١) حُزْنِي بِهِ حَتَّى يَبُثُّ مِنَ الصَّبَاحِ

فصل في ذكر الأديب أبي القاسم خلف بن فرج^(٢)

الإلييري المعروف بالشُّمَيْسِر

وكان باقة^(٣) عصره ، وأعجوبة دهره ، وهو صاحبُ مُزدَوَجٍ كأنه حَدَا
فيه حَدَوُ مَنْصُورِ الْفَقِيهِ ، وله طَبْعٌ حَسَنٌ ، وَتَصَرَّفٌ مُسْتَحْسَنٌ فِي مَقْطُوعَاتِ
الْأَبْيَاتِ ، وَخَاصَّةً إِذَا هَجَا وَقَدَحَ ، وَأَمَّا إِذَا طَوَّلَ وَمَدَحَ ، فَقَلَّمَا رَأَيْتُهُ أَفْلَحَ
وَلَا أَنْجَحَ ؛ وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ مَا تَخَيَّرْتُهُ لَهُ هُنَاكَ . وَلَهُ مَذْهَبٌ اسْتَفْرَغَ
فِيهِ مَجْهُودَ شَعْرِهِ ، مِنَ الْقَدَحِ فِي أَهْلِ عَصْرِهِ ، صُنْتُ الْكِتَابَ عَنْ ذِكْرِهِ ،
^(٤) أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ :

(١) م ، ت ، لب : وامتد (٢) م : فرج

(٣) م : يافعة — وعبارة م ، لب : وكان أحد بواقع الزمان « وعجائب أهل هذا الشأن

(٤ — ٤) من هنا إلى قوله « حسي صحيح ... » في الصفحة التالية ساقط في م ، لب

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الْقَيَرَوَانِ لِحَاكُمُ
وَأَسْتَأْهُكُمْ هَانَتْ عَلَيْكُمْ فَهَنْتُمْ
فَأَسْتَأْهُكُمْ تُعْطُونَهَا وَلِحَاكُمُ
تُعْقُونَهَا بِالْحَلَقِ طُرًّا لِعَنْتُمْ

والشميسر في هذا كما قال القائل :

عَابَنِي مِنْ مَعَايِبِ هِيَ فِيهِ خَالِدٌ فَاشْتَقَى بِهَا مِنْ هِجَائِي

أو كما قال الآخر :

وَيَأْخُذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ مُرَادٌ لَعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبُ
(١) لَكِنَّهُ لَيْسَتْ ضَعْفُ الْمَرْءِ فِي نَفْسِهِ بِمُذْهَبَةِ جَوْهَرِيَّةِ الْأَدَبِ الْمَرْكَبِ
فِي الْإِنْسَانِ ، وَقَدْ أَوْمَأَ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ حَالُهُ بِقَوْلِهِ :

حِسِّي صَحِيحٌ وَلَسْكَنُ هَوَايَ يُوهِنُ حِسِّي

فَصَحَّ رَأْيِي لِغَيْرِي وَلَمْ يَصِحَّ لِنَفْسِي

١٠

(٢) ثُمَّ بَعْدَ أَنْ لَوَّحَ « صَرَّحَ وَأَوْضَحَ فِي قَوْلِهِ :

إِذَا تَبَطَّنْتُ لَذَّتِي فَأَنَا نَطِيسُ نَفْسِي عَسَى أَدَاوِيهَا

فَلَا تَلَمْ مُوَلَعًا بِلَذَّتِهِ فَإِنَّهَا (٣) عِلَّةٌ يُعَانِيهَا (٢)

(٤) مَا أَخْرَجَتْهُ مِنْ شِعْرِهِ (٥) فِي الْأَزْدَوَاجِ عَلَى كُلِّ مَنِهَاجٍ ، قَوْلُهُ (٥) :

لَا تَعَزَّنْكَ الْحَيَاةُ فَمَوْجُودُهَا عَدَمٌ

١٥

(١) ز في هـ : وفي مثل « رمتني بدائها وانسلت »

(٢) ز : فإنه

(٢-٢) هـ في ت ، لب

(٤) ز في هـ : ونقل هذا من خطه في سيفر عرضه على أبي بكر الخولاني النجم

بأشبيلية سنة ثمانين وأربعمائة ولكن ليست صفة في ذاته طبيعية على بدع من أدواته

(٥-٥) عبارة ت ، لب : في أوصاف شتى — ولم يرد فيهما البيتان الأولان

ليس في البرق مُتعةٌ لا مَرِيٌّ يَخْبِطُ الظِّلْمَ

وقال أيضاً :

بئسَ دارُ المَرِيَّةِ اليومَ دارا ليسَ فيها لِسَاكنٍ ما يُحِبُّ
بَلَدُهُ لا تُمارُ إِلَّا بِريحٍ ربّما قد تَهَبُّ أو لا تَهَبُّ

وقال :

أَقَارِبُ الشُّوءِ دَاءٌ سُوءٌ فَأَحْمِلْ أَذَاهُمْ تَعِشْ^(١) حَمِيداً
فَمَنْ تَكُنْ قُرْحَةً بَفِيهِ يَصْبِرْ عَلَى مَصِّهِ الصَّدِيدِ

وقال :

قالوا العَرِيَّةُ فيها نَظَافَةٌ قُلْتُ إِيه
كَأَنَّهُا طَسْتُ تَبَرٍّ وَيُبْصِقُ الدَّمَّ فِيهِ

وقال في مُلُوكِ^(٢) الأندلس :

نَادِ الْمُلُوكَ وَقُلْ لَهُمْ مَاذَا الَّذِي أَحَدْتُمْ
أَسْلَمْتُمْ الْإِسْلَامَ فِي أَسْرِ الْعِدَا وَقَعَدْتُمْ
وَجِبَ الْقِيَامُ عَلَيْكُمْ إِذْ بِالنَّصَارَى قُمْتُمْ
لَا تُنْكِرُوا شَقَّ الْعَصَا فَعَصَا النَّبِيِّ شَقَقْتُمْ

وقال :

رَجَوْنَاكُمْ فَمَا أَنْصَفْتُمُونَا وَأَمَلْنَاكُمْ فَخَذَلْتُمُونَا
سَنَصْبِرُ وَالزَّمَانُ لَهُ انْقِلَابٌ وَأَنْتُمْ بِالْإِشَارَةِ تَفْهَمُونَا

وهذا كقول الآخر^(٣) :

سَنَصْبِرُ إِنْ جَفَوْتَ فَكَمْ صَبَرْنَا لَغَيْرِكَ مِنْ أَمِيرٍ أَوْ وَزِيرٍ

(١) م ، ت ، ب : تكن (٢) ب : امراء

(٣) ز في ت ، ب : مما أنشده الثعالبي

ولمّا لم نَسَلْ مِنْهُمْ سُورًا رَأَيْنَا فِيهِمْ كُلَّ الشُّرُورِ
وقال :

يَا مُشْفِقًا مِنْ مُخَوِّلِ قَوْمٍ لَيْسَ لَهُمْ عِنْدَنَا خَلَاقُ
ذَلُّوا وَقَدْ^(١) طَالَمَا أَذَلُّوا دَعَهُمْ يَذُوقُوا الَّذِي أَذَاقُوا

وقال :

إِذَا رَأَيْتَ الْعَبْدَ فَاحْكُمْ عَلَى مَوْلَاهُ مِنْ ظَاهِرِ مَرَّاهُ
دَلِيلُ حَالِ الْمَرْءِ عِبْدَانُهُ وَالْعَبْدُ مِنْ طِينَةِ مَوْلَاهُ
وهذا المعنى كثير ، ومنه قولُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ مِصَا^(٢) الْقُرْطُبِيِّ فِي غُلَامٍ
وَسَمِيَ لِلْمُتَوَكِّلِ^(٣) :

١٠ قَدْ جَاءَكُمْ فَاضِحُ الْهَيْلِ يَعْبَقُ بِالْمِسْكِ وَالْفَوَالِي
لا تُنْكِرُوا نَشْرَهَا عَلَيْهِ ١١ فَالْعَبْدُ مِنْ طِينَةِ الْمَوَالِي

وقال الشَّامِيُّ :

خُذْ مِنَ الدَّهْرِ مَا آتَى إِنْ نَعِيًّا وَإِنْ نَكَدًا^(٤)
كُنْ كَسَكِينٍ جَازِرٍ قَاطِعٍ كُلَّ مَا وَجَدَ

وقال :

١٥ لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ هَمِّ بَاكِتِ سَابِ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ
حَيَوَانٌ حَيَوَانٌ^(٥) صَحَّ قَوْهُ فَهُوَ أَقْوَمُ^(٦)

(١) وه ، ت ، لب : وم (٢) ت ، لب : الحسن بن مضا . ورسم الكلمة

في وه : مضى . (٣) ت ، لب : من عبید المتوكل (٤) وه : كمد

(٥) وه : حيوان حيوان . رسم الكلمة في ت ، لب : حتى ان

(٦) ز في ت ، لب : كأن معنى البيت الأول ينظر إلى قول المعري :

ينفي الفق بالمتسايا في مآربه وينفخ الروح في طفل فيفتقر

وقال في عبد الله الأمير بفرناطة وقد رآه يحصن على نفسه :
يَبْنِي عَلَى نَفْسِهِ سِفَاهًا كَأَنَّهُ دُودَةُ الْحَرِيرِ
وهذا المعنى كثير^(١) ومنه قول حبيب :

وَإِنْ يَبْنِ حِيطَانًا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أُولَئِكَ عَقْلَانُهُ لَا مَعَاقِلَهُ^(٢)
وقال ابن الرومي :

أَنْظُرْ إِلَى الدَّهْرِ هَلْ فَاتَتْهُ بُغْيَتُهُ فِي مَطْمَحِ الدَّسْرِ أَوْ فِي مَسْبَحِ النُّونِ
وَمَنْ تَحَصَّنَ مَسْجُونًا عَلَى وَجَلٍ فَإِنَّمَا حِصْنُهُ سِجْنٌ لِمَسْجُونِ
وقال السَّمِيسِر :

قَالُوا أَتَسْكُنُ بِلَدَةً نَفْسُ الْعَزِيزِ بِهَا تَهُونُ ؟
فَأَجَبْتُهُمْ بِتَأْوِهِ كَيْفَ الْخِلَاصُ بِمَا يَكُونُ !
غَرْنَاطَةُ مَثْوَى الْجَنِيِّ نِ يَلِدُ ظُلْمَتَهُ الْجَنِينُ

وقال :

بَعُوضٌ جَعَلَ دَمِي قَهْوَةً وَغَنَيْنِي بِضُرُوبِ الْأَغَانِ
كَأَنَّ عُرُوقِي أَوْتَارُهَا وَجِسْمِي رَبَابٌ وَهْنُ الْقِيَانِ
وَلَعَمْرِي لَقَدْ أَصَابَ فِي أَنْ جَعَلَ جِسْمَهُ الرَّبَابَ ، وَكَانَ تَشْبِيهُهُ الْبَعُوضَ
بِالْفِتْيَانِ أَوْ لَى مِنَ الْقِيَانِ ، فَإِلَيْهِمْ كَانَ يَنْزِعُ ، وَبِهِمْ زَعَمُوا كَانَ يَقُولُ وَيَسْمَعُ ،
وَفِيهِمْ لَمْ يَزَلْ يَسْجُدُ وَيَرْكَعُ . وَأُنْشِدْتُ لِبَعْضِهِمْ فِي الْبَعُوضِ :

ضَاقَتْ بِلُنْسِيَةِ بِي وَذَاذَ عَنِّي غُمُوضِي
رَقِصُ الْبَرَاغِيثِ حَوْلِي^(٣) عَلَى غِنَاءِ الْبَعُوضِ

(٢) ديوان أبي تمام ص ٢٠٦

(١) ت ، لب : مطروق

(٣) ت ، لب : فيها

ولم أسمع في وصفها أحسن من قول ابن المعتز :

بِتْ بِلَيْلِي كُلَّهُ لَمْ أَطْرِفِ
(١) مِنْ قَرَقَسٍ يَلْبَسُ ثَوْبَ السَّدَفِ
يُلِمُّ بِالْعُرْيَانِ وَالْمُلَفِّفِ
يَلْسَعُنَا بِشَعْرِ (٢) مُجَوِّفِ
غَادَرَ جِسْمِي كَعُشُورِ الْمُصْحَفِ (٣)

وقد أخذَه الآخرُ فقال :

وَنَقَطَنِي بِخِراطِيمِهِنَّ (٤) كَنَقَطِ الْمَصَاحِفِ بِالْحُمْرَةِ
وقال أبو عمر القسطلِّي :

بِتْ بِلَيْلِي كُلَّهُ لَمْ أَتَمِّ مِنْ قَرَقَسٍ يَلْبَسُ ثَوْبَ الظُّلَمِ
يَشْدُو عَلَى جِسْمِي بِصَوْتِ أَعْجَمٍ كَأَنَّمَا غَنَّى عَلَى شُرْبِ دَمِي

ما أخرجته من شعره في الزُّهد والحكم

جُحْلَةُ الدُّنْيَا ذَهَابُ مِثْلَ مَا قَالُوا سَرَابُ
والذي منها مَشِيدُ نَفْرَابُ وَيَبَابُ
وأرى الدهرَ بَخِيلًا (٥) أَبَدًا فِيهِ اضْطِرَابُ
سَالِبُ مَا هُوَ مُعْطٍ فَالَّذِي يُعْطَى عَذَابُ
وَلِيَوْمِ الْحَشْرِ إِنْعَاءُ مِثْلُ سُؤَالٍ وَجَوَابُ

(١) هذا الشطر والذي يليه ساقطان في ت ، لب (٢) وه : بشفر

(٣) ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ١٢٤ مع اختلافات

(٤) في ر : سخيلا — وه : سجيئا — لب : سخيلا

وَصِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
يَوْمَ لَا يُطَوَّى كِتَابٌ
فَاتَّقِ اللَّهَ وَجَنَّبْ
كُلَّ مَا فِيهِ حِسَابٌ

وقال :

ليسَ لمنَ لَيسَتْ له قُدْرَةٌ
أَوْ لَا فَا حِيلَةٌ مُسْتَضْعَفٍ
نَسْبَتُهُ مِنْهَا فَهَذِي وَذَا
مَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنَ الْأَرْضِ إِذْ
حَتَّى تَرَى الْجَنَّةَ مَطْرُوحَةً
فَعِنْدَهَا يَأْمَنُ مَا يَتَّقِي
هَذَا عَلَى مَذْهَبِنَا ثُمَّ قَدْ
لَقَدْ نَشَبْنَا فِي الْحَيَاةِ الَّتِي
يَا لَيْتَنَّا لَمْ نَكُ مِنْ آدَمَ
إِنْ كَانَ قَدْ أَخْرَجَهُ ذَنْبُهُ
كَلَّاخِذٍ عِنْدَ الرُّزْءِ بِالصَّبْرِ
لَيْسَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الذَّرِّ؟
تَحْتَ الَّذِي حُدَّ لَهُ يَجْرِي
رُكْبٌ لَمْ يَطْلُعْ عَلَى السَّرِّ
وَالنَّفْسُ فِي عَالَمِهَا تَسْرِي
وَعِنْدَهَا يَعْلَمُ بِالْأَمْرِ
قِيلَتْ مَقَالَاتٌ وَلَا (١) أَذْرِي
تُورِدُنَا فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ
أُورِطْنَا (٢) فِي شَبِيهِ الْأَسْرِ
فَمَا لَنَا نُشْرِكُ فِي الْأَمْرِ؟

وَالسُّمَيْسِرُ فِي هَذَا الْكَلَامِ مِمَّنْ أَخَذَ الْعُلُوَّ بِالتَّقْلِيدِ ، وَنَادَى الْحِكْمَةَ مِنْ
مَكَانٍ بَعِيدٍ صَرَخَ عَنْ عَمَى بَصِيرَتِهِ ، وَنَشَرَ مَطْوِيَّ سَرِيرَتِهِ فِي غَيْرِ مَعْنَى
بَدِيعٍ ، وَلَا لَفْظٍ مُطْبُوعٍ ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَ أَبَا الْعَلَاءِ (٣) فِيمَا كَانَ يَنْظِمُهُ مِنْ
سَخِيفِ الْأَرَاءِ (٤) ، وَهَبَّه سَاوَاهُ فِي قِصَرِ بَاعِهِ ، وَضَيَّقَ ذِرَاعَهُ ، أَيْنَ هُوَ مِنْ حُسْنِ
إِبْدَاعِهِ وَلُطْفِ اخْتِرَاعِهِ ؟

(١) ت ، لب : فا (٢) و : أَوْشْنَا

(٣ — ٣) عبارة ت ، لب : وَيَا بَعْدَ مَا بَيْنَ النُّجُومِ وَالْحَصْبَاءِ

وقال السَّمِيسِر

أَصَابَ الزَّمانُ بَنِي عامِرٍ وَكانَ الزَّمانُ بِهِمْ يَفخَرُ
(١) فَعادَ نَهْـارُهُمْ مُظْلِمًا وَليلُهُمْ بَعْدُ لَا يُقَمِّرُ
وَأَيَّامُهُمْ بَعْدُ لَا تُزْدَهِي وَصُبْحُهُمْ ظِلٌّ لَا يُسْفِرُ
أَمَاتَهُمُ الدَّهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ نِ فَهَمْ مَيِّتُونَ وَلَمْ يُقْبَرُوا
كَانَهُمْ أَرْبَعُ دَارِسَاتٍ فَمَا لَهُمْ غَيْرَ أَنْ يُذَكَّرُوا
فَأَيْنَ السَّرِيرُ وَأَيْنَ الشُّرُورُ وَأَيْنَ الْقُصُورُ الَّتِي عَمَرُوا ؟
فَلَا تَعْجِبَنَّ بِمَا قَدْ تَرَى فَلَا خَيْرَ فِي كُلِّ مَا تُبْصِرُ
وَهُوَ عَلِيمٌ كَثِيرَ الْحَيَاةِ مُسْكِنًاكَ فِي قَبْرِكَ الْأَكْثَرُ

وقال أيضا :

دَعْ عَنْكَ جَاهًا وَمالًا لَا عَيْشَ إِلَّا الْكَفَافُ
قُوْتُ حَلالٍ وَأَمْنٌ مِنْ الرَّدَى وَعَقَافُ
وَكُلُّ ما هُوَ فَضْلٌ فَإِنَّهُ إِسْرَافُ

وقال :

لَا تُوقِدَنَّ عُدُوءًا وَأَطْفِئِيهِ بِالتَّوَدُّدِ
فَالنَّارُ بِالْفَمِ تُطْفَأُ وَالنَّارُ بِالْفَمِ تُوقَدُ (٢)

وقال :

قَدْ هَجَرْتُ اللَّذاتِ إِلَّا قَلِيلًا بَعْدَ وَصْلِي لَهَا زَمَانًا طَوِيلًا

(١) ر: فنادر برقههم — ت، و: زمانهم

(٢) لم يرد هذان البيتان إلا في ت، لب

فأنا ثابتُ البناني^(١) لكنَّ لي قلبٌ عن النواصي أزيلا
وبحق أقولُ لولا جذاري من كلام الوُشاةِ قالا وقبلا
لبدا للأنام مني عجبٌ ولأوضحتُ للرواةِ السبيلا
وقال :

المالُ ذلٌّ وذلُّ ألا يرى لك مالُ
فاحرصْ كأنك باقٍ فما لدى الفقيرِ حالُ
واقنعْ فإنك فانٍ غدا وكلُّ^(٢) مُحالُ

ومن شعره في ذكر الطبِّ والأطباء

كلُّ عِلْمٍ ما خلا الشرَّ عَ وعِلْمُ الطبِّ باطلُ
غيرَ أن الأولَ الطبُّ (م) على رأي الأوائلِ
هل تمامُ الشرعِ إلا أن يكونَ الجسمُ عامِلُ؟^(٣)
فإذا كانَ عليَّ — بطلتْ تلكَ العوامِلُ

وقال :

العِلْمُ علْمَانِ عِلْمُ ١١ أديانٍ والأبدانِ
ما الطبُّ للدينِ إلا كالروحِ للجُثمانِ
هل الشريعةُ — إلا بصحةِ الأبدانِ ؟

وقال :

يا آكلًا كلَّ ما اشتهاهُ وشاتمَ الطبِّ والطبيبِ
ثمَّارَ ما قد غرستَ تجني فانتظِرِ السُّقْمَ عن قريبِ

(١) كذا في الأصول — وفي : (النواصي) مكان (النواصي)

(٢) : حامل

(٣) : فكل

يَجْتَمِعُ الدَّاءُ كُلَّ يَوْمٍ أَغْذِيَةَ الشَّوْءِ كَالذُّنُوبِ

وقال :

لَا تَسْتَرِبْ مِنْ غَيْرِ مَا تَجْنِيهِ كَالْجَانِي الْمُرِيبِ
وَكَذَا حَكْوَا بُلٍ صَافِيًا وَاضْرِبْ^(١) بِهِ وَجْهَ الطَّيِّبِ

^(٢) والقائل قد تقدّم إلى ذلك قبله :

إِذَا مَا كُنْتَ ذَا بَوْلٍ صَحِيحٍ وَفِي ذِكْرِ الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ قَالَ :

أَنَا أَحِبُّ الشَّعْرَ لَكُنَّيْ أَفِضْ أَهْلَ الشَّعْرِ بِالْفِطْرَةِ
فَلَسْتُ تَلْقَى رَجُلًا شَاعِرًا إِلَّا وَفِيهِ خَلَّةٌ تُسْكِرُهُ^(٣)

١٠ إِنْ لَمْ يَكُنْ كُفْرًا تَكُنْ آفَةً تَلَازِمُ الظَّهَرَ أَوْ الشَّرَّةَ
وَالْعُجْبُ وَالنُّوْكَ إِلَى الْجَهِّ وَالشَّمْسِيسُ فِي هَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

عَابَتْنِي مِنْ مَعَايِبٍ هِيَ فِيهِ حَكْمٌ^(٤) فَاشْتَقَى بِهَامِنْ هِجَايَ^(٥)

(١) وه ، ت ، لب : والظم (٢-٢) نه في ت ، لب

(٣) وه : فالظم (٤) وه ، ت ، لب : نكرة

(٥) ورد هذا البيت في ص ٣٧٣ وفيه « خالد » مكان « حكم »

(٦) مكان هذا البيت يوجد في ت ، لب :

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه مراد لعمري ما أراد قريب

، ز في وه

يا من يعيب وعيه متشعب كم فيك من عيب وأنت تعيب
أو كما قال الآخر :

وأجراً من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال ذوو العيوب
أو كما قال الآخر :

عابني

فإنه كان - زعموا - ممن وسع هذه الخلال . وجمع هذه الأحوال ،
حاشا التي في الشرقة فإنه انتبذ عنها ، وبرئ إلى أصحابه الشعراء منها . وما
ينقضي التعجب من السمسر ، فإنه لما سمع المنبي يقول :
أبوكم آدم سن المعاصي وعلكم مفارقة الجنان
حسده على غلوّه فقال بيته المتقدم الذّكر :

إن كان قد أخرج زنبه فمالنا نشارك في الأمر ؟
والسمسر في هذا كما يحكي عن بعض الرواة قال : كان أحد المخشّين
قد تسربل المجنون ، وعبد البطالة والجنون ، حتى مسح شبابه ، وأقصر أثرابه ،
ولم يدع عاراً إلا ركبته ، ولا إثماً إلا ارتكبه ، فطاف به طائف اعتلال ، بعد
طول إملاء من الله وإمهال ، فكان يقول : ^(١) بأيّ ذنب أخذت ، وعلى أيّ
جريرة عوقبت ؛ هذا كان استغفاره ، حتى محا الموت أخباره .
وقال أيضاً :

يا شعراء العصر لا تحسبوا شعركم مذ كان ^(٢) محسوسا
فإنما حكيكم ميت كأنما محيكم ^(٣) عيسى
إن كان منظومكم عندهم سخرأ فمنظومي عصا موسى
وقال في أبي عبد الله بن الحداد بالمرية :

قالوا ابن حداد فتى شاعر قلّ وما شعر ابن حداد ؟
أشعاره مثل فراخ الزنى فتش تجد أخت أولاد

(١) ز في ه ، ت ، ب : أي ربّ (٢) ه ، ت ، ب : ماعث

(٣) ه : يحكم

ومن شعره في أوصاف شتى :

ضِيفْتُ فِي مَعَشَرٍ كَمَا ضَاعَ نُوحٌ بَيْنَ قَوْمٍ فَأَصْبَحُوا ^(١) كُفَّارَهُ
ضَرَبُوهُ وَمَا ضُرِبْتُ وَلَكِنْ جَعَلُونِي مَمَّنْ يُنَافِرُ دَارَهُ
فَتَأَخَّرْتُ عَنْ دِيَارِي لَهُوِي وَالهُوِيْنِي لَمَنْ يُنْخَلِي دِيَارَهُ
وقال ^(٢) :

رَأَيْتُ بَنِي آدَمَ لَيْسَ فِي جُوعِهِمْ ^(٣) مِنْهُ إِلَّا الصُّورُ
فَلَمَّا رَأَيْتُ جَمِيعَ الْأَنَا مِ كَذَلِكَ صِرْتُ كَطَيْرٍ حَذِرُ
فَمَهُمَا بَدَأَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ أَقُلْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْبَشَرِ
وقال :

تَحْفَظُ مِنْ ثِيَابِكَ ثَمَّ صُنْهَا وَإِلَّا سَوْفَ تَلْبَسُهَا حِدَادَا ١٠
وَمِيزٌ عَنْ زَمَانِكَ كُلِّ حِينٍ وَنَافِرٌ أَهْلُهُ تَسُدُّ الْعِبَادَا ١٠
وُظُنٌّ بِسَائِرِ الْأَجْنَاسِ خَيْرًا وَأَمَّا جِنْسُ آدَمَ فَالْبِعَادَا
أَرَادُونِي بِجَمْعِهِمْ فَرُدُّوا عَلَى الْأَعْقَابِ قَدْ نَكَّصُوا فُرَادَى
وَعَادُوا بَعْدَ ذَا إِخْوَانٍ صِدْقٍ كَبَعْضِ عَقَارِبٍ عَادَتْ ^(٤) جَرَادَا
وَمَنْ يَلْمِخْ ذُكَاءً بِنَاضِرِيهِ يَظُنُّ بَيَاضَ قِرْطَاسٍ مِدَادَا ١٥
وقال :

يَمْنَعُنِي مِنْ تَكْشِبِ الْوَلَدِ عَلَمِي بَأَنَّ الْبَنِينَ مِنْ كِبْدِي
فَإِنْ يَمِيشُوا أَعِشْ عَلَى ظَلَمِ وَإِنْ يَمُوتُوا أُمْتُ مِنَ السَّكَمِ
وَإِنْ أُمْتُ قَبْلَهُمْ تَرَكْتُهُمْ أَهْوَنَ بَيْنَ الْأَنَامِ مِنْ وَتَدِ

(١) م ، ت ، لب : قد أصبحوا (٢) لم ترد هذه الأبيات الثلاثة في ر ، د

(٣) في الأصول : جمعهم (٤) ر : صادت

وقال :

حاسدٌ^(١) لى مُعَذَّبٌ يتقلّى من الحسدِ
وأنا عنه غافلٌ لا وَجَدْتَ الذى يَجِدُ !
دعه يَشَقِّ بِدائهِ داؤه عالة الكيدِ
طارَ ذِكْرى ولم يَطِرْ ذِكْرُهُ فَهوَ يَتَقَدِّ

وقال^(٢) :

قَصَّيْ يَاسَادَتِي مُضْحَكَةً بَيْنَكُمْ مِنْ حَيْثُ يُبْكِي بِالْمَقَلِ
إِنْ أَجِسْكُمْ بِغَرِيبٍ قَلْتُمْ عِنْدَنَا أَغْرَبُ فَاسْكُتْ أَوْ قُلْ
أَبْصَرَ النَّصَالَ^(٣) دُرًّا غَالِيًا قَالَ عِنْدِي مِنْهُ أَغْلَى وَأَجَلْ

وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ الْإِخْوَانِيَّاتِ

وردَ ابنُ شَرَفٍ غَرْنَاطَةَ ، فَنَخَلَفَ عَنْ قَصْدِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعْتَذِرًا :
كُتِبَتْ إِلَى سَيِّدِي قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ وَرَجُلِي قَدْ زَلَّتْ
أَيْقِصُ يَذْبُلُ^(٤) غَرْنَاطَةَ وَأَتْرُكُ قَصْدِيهِ فِي زُمَرَتِي ؟
وَيَهْبِطُ كَيَوَانُ مِنْ بُرْجِهِ إِلَيْنَا وَنَحْنُ عَلَى غَفْلَةٍ ؟
فَمَذِرَةٌ لَكَ حَتَّى أَرَاكَ فَأَنْتَ الْمَمْتَلُ فِي مُهَجَّتِي
فَأَجَابَهُ ابْنُ شَرَفٍ :

بَدَأَتْ وَلِلْمُبْتَدِي الْفَضْلُ فِي فُرُوضِ الْمَوَدَّةِ وَالشُّنَّةِ

(١) ت ، لب : حاسدى — وه : من الكمد

(٢) من هنا إلى شعره في النسب لم يرد في ر ه

(٣) كذا في الأصلين ، ولعلها... البصّال : بمعنى بائع البصل (٤) في الأصلين : بديل

وما الودُّ إلَّا امتنانٌ وقد سبقت سواك إلى المنّة
وبالسبق في أول الهجرتين تقدّم قومٌ إلى الجنّة
وحسدتُ أنكَ سمحُ الطّباع إذا ما طباعهم ضنت
ونفسك فاضلةٌ حرّة إذا عاينات فاضلاً حنت
خلائقٌ لو ما زجّتها^(١) الجبال إذن رقصت لك أو غنت
فلو من أبان ورضوى خلقت لما كنت إلّا من القنّة

وله في الوزير الكاتب أبي عمر بن الباجي :

يا فاضل الشرطة شرطي على شرطك تنويهي ولا أختلف
فأحذف لي السنين وسوف التي زيدت على الزائد فهو الأخف
« فسوف » سيفٌ قلبت واوها كم قطعت أعناق من قد سلف
فردّها حالاً ففعل مضي ماض وما استقبل قد يختلف

ومن شعره في التسيب وما يناسبه :

بين الأزرة والمآزر حسن^(٢) تحنُّ له الأكار
فإذا نظرت إلى الخدو درأيت أنواع الأزهري
وإذا تأملت الثغو ر وما لناظمهن نائر
أبصرت دُرّاً يغتدي خمرًا وما للخمر عاصر
وإذا تأملت المعسا جرّ تحتها دُعجُ المحاجر
خلت المنيّة أقبلت من جيش صقلاب والبرابر

وذكرت بهذا البيت الأخير وإن لم يكن في معناه قول بعض أهل عصرنا :

(١) الكلمة مبتورة في لب ورسمها في ت : مازحته

(٢) رسم الكلمة في ت ، لب : جيب

بى شادين خذّه كالصبح مُنبِلِجٌ وصدغُه كسوادِ الليلِ يَلْعَبُ بى
كالزنجِ حَلَّتْ بأرضِ العُربِ فاصطَلَحَتْ فما بَقَائِي بينَ الزنجِ والعُربِ !؟

نظر في هذا إلى ما أنشده الثعالبي لبعض أهل عصره :

سَوَادٌ صُدْغِينَ مِنْ كُفْرٍ يُقَالُ لَهُ بَيَاضٌ خَذِينَ مِنْ عَدْلِ وَتَوْحِيدِ
قَدْ حَلَّتِ الرُّومُ أَرْضَ الزَّنجِ ^(١) فاصطَلَحَا فَوَيْحٌ نَفْسِي بَيْنَ الْبَيْضِ وَالسُّودِ !

وقال السَّمِيسِرُ :

لَمَّا أَتَى عَنْ وَصَالِي وَأَضْرَمَ الْقَلْبَ نَارَا
وَلَمْ أَجِدْ لِي عِزَاءً دَعَوْتُ : رَبِّ انْتِصَارَا
وَقُلْتُ : يَا رَبِّ أَنْتَ بَعَارِضِيهِ عِذَارَا
فَكَانَ ذَاكَ وَلَكِنْ زَادَ الْقُلُوبَ ^(٢) اسْتِعَارَا
إِذْ صَارَ صُبْحًا وَلَيْلًا وَكَانَ قَبْلُ نَهَارًا ^(٣)

وقال :

أَيُّهَا الْعَائِبُ الْعِدَا رَ وَذُو الْجَهْلِ عَائِبُهُ
لَا أَحِبُّ الْعِذَارَ إِلَّا إِذَا شَابَ صَاحِبُهُ
فَاطْرَحَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ لُ كَمَا طَرَّ شَارِبُهُ
هُوَ وَالطُّفْلُ وَاحِدٌ حِينَ يَهْوَاهُ رَاغِبُهُ

(٢) ت ، لب : الفؤاد

(١) و ، ت : فاصطلحت

(٣) ز في ت ، لب : وهذا كقول الآخر إلا أنه قلبه :

حلّقوا رأسه ليزداد قبحا غيرة منهم عليه وشحا
كان قبل الحلاق صبعا وليلا فحوا ليله وأبقوه صبعا

أَنَا أَشْكُوهُ وَهُوَ تَلَدٌ بِهِ عَنِّي مَلَاعِبُهُ
وَإِذَا مَا اصْطَفَيْتُ كَمْ لَأَصَفْتُ لِي مَشَارِبُهُ

وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ الْعَصْرِ فِي ضِدِّهِ :

مَا أَنْتَ وَالْجُلُوزَ فِي خَلْوَةٍ إِيَّاكَ مَا امْتَدَّ بِهَا الصَّوْتُ
اللَّهُ فِي نَفْسِكَ مِنْ ظَنَّةٍ يَهُونُ فِي جَانِبِهَا الْمَوْتُ
إِنْ كَانَ فَالْطِفَلَ وَلَمْ يَحْتَلَمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُذْرِكُهُ الْقَوْتُ^(١)
وَقَالَ^(٢) أَيْضًا يَنَاقِضُهُ :

أَوْصِيكَ حَيْثُ النَّصِيحُ مُعْتَرِضٌ إِيَّاكَ وَالْمُرْدَ وَهِيَ مُحْتَمِلَةٌ
الطَّنْفَلُ مَا أَضَحَّتْ أُورِثَتْ إِذَا اسْتَشَاطَتْ كَأَنَّهَا حَلَمَتْ
وَاقْسُ عَلَيْهِ إِذَا شَكَا وَبَكَى لَا رَحِمَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ رَحِمَهُ
لَا تَخْشَ وَالْقَوْلُ عَنْكَ مُرْتَفِعٌ عَاقِبَةُ الظُّلْمِ فِيهِ مِنْ ظَلَمَةٍ
فَإِنْ تَجَاوَزْتَ مَا حَادَدْتُ فَمَا يَسُوءُنِي أَنْ تُعَدَّ فِي الْقَطْمَةِ
وَقَالَ أَيْضًا يَنَاقِضُ السُّمَيْسِرَ :

بَدَا لِي مِنْكَ بُبْلٌ وَانْطِبَاحٌ وَظَنِّي أَنْ سَتَكْفِيكَ الْإِشَارَةُ
سَأَجْعَلُ بَيْنَنَا حَيْثُ التَّقِينَا وَقُوعَ السُّوْطِ مِنْ كَفِّ أَمَارَةٍ
وَبَيْنَ يَدَيْكَ أَمْرٌ لَا تَكِلُهُ إِلَى نَظَرِ الْغَمَارَةِ وَالْغَرَارَةِ
سَتَلْقَى فِي غَدٍ طِفْلًا بَزِيْعًا يُجَرِّرُ مِنْ بَرَاعَتِهِ إِزَارَةً
تَرَى صُبْحًا مِنَ الْكَافُورِ بَضًّا كَمَا تَدْرِي النِّقَاوَةَ^(٣) وَالنِّضَارَةَ

(١) هذا البيت لم يرد في -

(٢) هذه المقطوعة والمقطوعة التالية لم تردا إلا في ت ، ب

(٣) في الأصلين : « النقامة » ولعل الصواب ما أثبتناه

فما استهواك فاتركه ودعه
وإذا ارتعد الحسام وراق حسناً
هو الحد الذي لا هزل فيه
كبير السن زاد على ثمان
فإن يك صاحباً وأردت زوراً
أرضى أن يقال أبو فلان
وقال أيضاً في مثله يناقض الشميسر :

الطفل في عشر فما هو دونه
لا تمذل الإنسان في شهواته
وقال أيضاً بعض أهل الأدب^(٢) يناقضه ، واستطرد فيه إلى هجوه
استطراداً ظريفاً :

إن كنت تهوى مليحاً فلا تقل بمعذر
وأهو الصغار ففهم على الحقيقة تعذر
دع الكبار لقوم دانوا بدين الشميسر
وحقيقة الاستطراد عندهم أن^(٣) يوحى الشاعر أنه يريد مذهباً وهو إنما
يريد غيره ، فإن قطع ورجع إلى ما كان فيه فهو الاستطراد الحقيقي ، وإن تبادى
فذلك الخروج ؛ وأصح الاستطراد قول السموأل .
ونحن أناس لا ترى القتل سبة إذا ما رآته عامر وسلول

(١) ز في ت ، لب : ومن الإفراط في مدح العذار قول ابن غصن المجارى :

فديتك لا تخف منى سلاوا إذا ما غير الشعر الصغارا
أدين بدين خل كات خرا وأهوى لحية كانت عذارا

(٢) وه ، ت ، لب : العصر (٣) ت ، لب : أن يرى الشاعر أنه يريد صفة شيء ...

واتبعه الفرزدق فقال :

كَانَ فَتَاهُ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ إِذَا اجْتَمَعُوا أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ رَائِلٍ
ثُمَّ أَتَى جَرِيرٌ فَأَرَبَى وَزَادَ بِقَوْلِهِ :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمِي وَعَلَى الْبَعِيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ

فهجا واحداً واستطرد باثنين . وقال مُحَارِقُ بْنُ شِهَابٍ ^(١) يَصِفُ مَعْرَا :

تَرَى ضَيْفَهَا فِيهَا يَبِيتُ بَغِطَةً وَضَيْفُ ابْنِ قَيْسٍ جَائِعٌ ^(٢) يَتَحَوَّبُ

فوفد ابن قيس على النعمان ، فقال له : كيف حال مُحَارِقِ بْنِ شِهَابٍ فيكم ؟
قال سيّدٌ شريف ، مِنْ رَجُلٍ يَمْدَحُ نَيْسَهُ وَيَهْجُو ابْنَ عَمِّهِ !

ومِنْ جَيْدِ الْأَسْطَرَادِ قَوْلُ دُعْبِلٍ ، وَقِيلَ بَشَارٌ وَهُوَ أَصَحُّ :

خَلِيلِي مِنْ كَعْبٍ أَعِينَا أَخَاكَ عَلَى دَهْرِهِ إِنَّ الْكَرِيمَ مُعِينٌ ١٠

وَلَا تَبْخَلَا بِحُلِّ ابْنِ فَرْغَةٍ إِنَّهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينٌ

إِذَا جِئْتَهُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينٌ

وقال أبو تمام في صفة فرس :

وَلَوْ تَرَاهُ مُشِيجًا وَالْحَصَا زِيمٌ عَلَى السَّنَابِلِ مِنْ شَتَّى ^(٣) وَوُحْدَانٍ

أَيَقَنْتَ إِنْ لَمْ تَتَبَّثْ أَنَّ حَافِرَهُ مِنْ صَخْرٍ تَدْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانَ ١٥

وأخذه البُحْتَرِيُّ فقال :

مَا إِنْ يَعَافُ قَدِّي وَلَوْ أوردته يَوْمًا خَلَاتِقَ حَمْدَوِيهِ الْأَحْوَلِ ^(٤)

(١) رواية النفاث ص ٢١٣ ج ١ وضا البعيث

(٢) ز في ت ، لب : المازني (٣) هـ : ضيفنا ... جائعا

(٤) هـ : ت ، لب : مثني . ديوان أبي تمام ص ٤٦١ مع اختلافات

(٥) ديوان البحتري ص ٢١٨ ج ٢

وقد يَقَعُ مِنَ الاستطرادِ ما يَخْرُجُ بِهِ مِنْ ذَمٍّ إِلَى مَدْحٍ ، كَقَوْلِ زُهَيْرٍ :
 إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلِ كُنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ
 وَمِنْ مَدْحٍ إِلَى ذَمٍّ ، كَقَوْلِ بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ فِي مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ :
 فَتَى شَقِيتُ أَمْوَالَهُ بَعْثَفَاتِهِ كَمَا شَقِيتُ بَكْرٌ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ
 وَهَذَا مَلِيحٌ ، أَوَّلُهُ خُرُوجٌ وَآخِرُهُ اسْتِطْرَادٌ ؛ وَمَلَا حَتَهُ أَنَّ مَالِكًا مِنْ بَنِي
 تَغْلِبِ ، فَصَارَ الاسْتِطْرَادُ زِيَادَةً فِي مَدْحِهِ . وَمَا اسْتِطْرَادَ بِهِ أَبُو الطَّيِّبِ قَوْلُهُ :
 يَمُوتُ بِهِ غِيظًا عَلَى الدَّهْرِ أَهْلُهُ كَمَا مَاتَ غِيظًا فَاتِكُ وَشَبِيبُ^(١)
 عَلَى أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ لَمْ يَقَعْ مَوْقِعَ غَيْرِهِ مِنْ أَيْتَاتِ هَذَا الْبَابِ ، إِذْ لَيْسَ
 الْمَقْصِدُ فِيهِ مَدْحًا وَلَا هِجَاءً لِلرَّجُلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ ، لَكِنَّ التَّشْبِيهَ وَالْحِكَايَةَ لِأُخَيْرِ .
 وَأَصْلُ الاسْتِطْرَادِ أَنْ يُرِيكَ الْفَارِسُ أَنَّهُ قَرٌّ ، وَإِنَّمَا قَرٌّ لِيَكْرَهُ ، وَكَذَلِكَ الشَّاعِرُ
 يُرِيكَ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ قَيِّعَرَضٌ لَهُ شَيْءٌ لَمْ يَقْصِدْ إِلَيْهِ فَيَذْكُرُهُ وَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ حَقِيقَةً
 إِلَيْهِ . وَمِنْ الاسْتِطْرَادِ نَوْعٌ يُسَمَّى الْإِدْمَاجَ ، كَقَوْلِ ابْنِ طَاهِرٍ لِابْنِ وَهْبٍ حِينَ
 وَزَرَ لِلْمَعْتَضِدِ

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافَنَا فِي نُفُوسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ
 فَقُلْتُ لَهُ نَعْمَاكَ فِيهِمْ أَيْتَمَّهَا وَدَعْ أَمْرَنَا إِنَّ الْمُهَمَّ الْمُقَدَّمُ

وَمِنْ مَلِيحِ الْإِدْمَاجِ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودَةَ فِي فَصْلِ مِنْ رُقْعَةٍ :
 كِتَابِي وَمَنْ قَبْلِي مِنَ الْأَجْنَادِ^(٢) ، فِي الطَّاعَةِ وَالْإِنْقِيَادِ ، عَلَى أَحْسَنِ
 مَا تَكُونُ عَلَيْهِ طَاعَةُ جُنْدٍ تَأَخَّرَتْ أَرْزَاقُهُمْ ، وَاخْتَلَّتْ أَحْوَالُهُمْ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ :
 مَا أَحْسَنَ إِدْمَاجَهُ الْمَسْأَلَةَ فِي الْإِخْبَارِ ، وَإِعْفَاءَ سُلْطَانِهِ مِنَ الْإِكْثَارِ ، اكْتُبُوا

(١) ديوان المتنبي ج ١ ص ٥٢٤ (٢) ت ، لب : القواد والأجناد

له رِزْقٌ^(١) ثمانية أشهر . وهذا النوعُ عندهم أغربُ من الاستطراد . ومن مَليحه
أيضاً قولُ بعضِ الفقهاء :

إن كنتِ كاذبةً التي حَدَّثْتَنِي فعليكِ إثمُ أبي حنيفةٍ أو زُفْرٍ
الوَائِبِينَ على القِيَّاسِ تَمَرُّدًا والراغِبِينَ عن التَّمَسُّكِ بِالْأَثَرِ
ومما هُجِيَ به الشُّمَيْسِرُ قولُ ابنِ الحَدَّادِ ويدخلُ في بابِ الاستطرادِ :
يا أَهْلَ غَرْ نَاطَةٍ نِيكُوا شُمَيْسِرَكُمْ فني رُمَيْلَيْنَا عَنْهُ لَنَا شُغْلُ

فصل في ذكر الأديب الأريب

أبي العباس أحمد بن قاسم المحدث^(٢)

وهو فقي وقينا بحضرة قرطبة ، مُقَلَّةُ عَيْنِ العَصْرِ ، وَصَفْحَةُ وَجْهِ الدَّهْرِ
تَبْرِيْزًا فِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ . وقد أثبت من كلامه قِطْعَةً تُنْبِئُ عَمَّا طَالَعَهُ مِنْ عُلُومِ ،
وَنَظَرَ فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ التَّعَالِيمِ ، على صِغَرِ سِنِّهِ وَلَدَانَةِ غُضُنِهِ .

لَمَّا بَلَغَهُ جَمْعِيْ لِهَذَا التَّصْنِيفِ خَاطَبَنِي بِرُقْعَةٍ اسْتَفْتَحَهَا بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ :

يَا مَنْ تَكَلَّفَ جَمْعَ الْجَدِّ فِي وَرَقٍ أَنَا أَنَادِيكَ جَهْرًا غَيْرَ تَعْرِيفِ
ذَهَبْتَ عَصْرَكَ يَا مَنْ شِعْرُهُ ذَهَبٌ بِالْمُذْهَبَاتِ فَاتَّبِعْنَا بِتَفْضِيضِ
فَشَبَّهَ تَبْرِكَ مُتْلُوًا^(٣) بِفَضَّتِنَا مُجَانُ خُودٍ عَلَى لَبَّاتِهَا الْبَيْضِ

(١) م ، ت ، لب : برزق

(٢) ز في ت ، لب : وجملة مما وقع إلى من نثره ونظمه ، تعرب عن ملحه من الأدب
وفهمه ... قال ابن بسام : وأبو العباس هذا في وقتنا ...

(٣) ت ، لب : مجلوا

يا سيّدى وعمادى ، طالَ بقاءُك ۥ ودَامَ علاؤُك ؛ تكلفتَ مِنَ العنايةِ
بِقَنوِيهِ ما دَلَّ على مَحْتَدِكِ الكَرِيمِ ۥ وَنِصَابِكِ السَّلِيمِ ۥ وعلى اتِّماتِكَ مِنَ المَجْدِ
إلى دَوْحَةِ سائِها قَوِيْمٌ^(١) ، وَطَلَعُها هَضِيمٌ ؛ وَلَوْ لا ثِقَتى بِتَمْيِيزِكَ ۥ وَظُهُورِكَ فى
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَتَبَرِيزِكَ ، ما اجْتَرأتُ على أَنْ أُجْرِى بما كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِهِ كُفًّا ،
ولا أَنْ أَخْطأ مُتَباهِياً بِها حَرْفاً ۥ فَهى تَجْرِى مِنْكَ على يَدَى نَقادٍ ، وَأنا إِذْ عَلَيْكَ
أَنْشُرُ بَرِّى أَضْعُ الثوبِ فى يَدَى قَزازٍ .

وكتبَ إلى أَيْضاً فى مِثْلِهِ ، وَقَدْ^(٢) بَلَّغَهُ ثَنائى عَلَيْهِ بِمَجْلِسِ بَعْضِ الْأَعْيانِ
بِقُرْطَبَةٍ :

يا دَوْحَةَ المَجْدِ^(٣) الكَرِيمِ وسَلالَةَ الشَّرَفِ الصَّيْمِ
والغُرَّةَ الفُـرَّاءِ فى وَجْهِ النُّثِيرِ وَفى النِّظْمِ
قَدْ كانَ نَامَ زَمانِنا عَن كَشفِ آثارِ العُلُومِ
حَتَّى أَتَيْتَ مُنْهَجا جَفَنِيهِ تَنْبِيهِ النِّسَمِ
فَرَدَدْتَهُ يَظْطانَ بِمَحْوَ المَحْـوِ عَن تَلكَ الرُّسُومِ
إِنَّ الصَّباحَ إِذا انْجَلَى جَلَّى المَنامَ عَن النُّومِ

١٥ من الواجبِ كانَ أَعزَّكَ اللهُ عَلى ، وَعَلى مَنْ يَنْتَسِبُ إلى أَدَبٍ ، وَيَتَعَلَّقُ مِنْهُ
بِأَدْنَى سَبَبٍ ، أَنْ يَمْتَطِي إِلَيْكَ ظُهُورَ العِيسِ المَهْرِيةِ ، وَصَهواتِ الحِيارِ الأَعوجِيةِ ۥ
حَيْثُما اسْتَقَرَّ مَكانُكَ ، وَثَبَّتَ إِيوانُكَ ؛ فَكَيْفَ إِذا جِلاكَ مِصباحُ بِلادِ نابِضِياتِهِ ،
وَسَتَرَكَ لَيْلُ عارِضِنا^(٤) بظَلَمائِهِ ۥ فانتظمتُكَ مَعنا هَذِهِ الجُدرانُ الَّتى جَلَّتْ عَنْها

(١) ر ، و : قديم

(٢) زحف ت ، لب : أول ورودى بقرطبة وقد ...

(٤) ت ، لب : مراصنا

(٣) ت ، لب : النجر

قَدَرًا ، وَسَمَوْتَ رِفْعَةً وَخَطَرًا . وَلَكِنَّ الْمُهَيْبَ لَا يُجَسَّرُ عَلَيْهِ ، وَلَا تُنْقَلُ قَدَمُ
التَّقْدِمِ بِدَاهَةِ إِلَيْهِ ، بَلْ يَرْتَقِبُ مِنْهُ الْمُتَوَصِّلُ^(١) لَفْظَةً فِي عُرْضِ نَاحِيَّتِهِ .
أَوْ لِحْظَةً تَقَعُ عَلَى سَاحَتِهِ . تُجْعَلُ^(٢) الْأَوَّلَى سَبِيلًا ، وَالْأُخْرَى هَادِيًا وَدَلِيلًا .
وَلَقِيتُ فُلَانًا فَأَنْهَى إِلَى جَمَلَةٍ كَلَامِيكَ فِي ، وَأَنْتَ مِمَّنْ لَا يُجَارَى خِطَابًا ، وَلَا يُبَارَى
كِتَابًا وَجَوَابًا ، بَرَاعَةً فِي لَفْظٍ يَتَبَرَّجُ فِي مِلَاءِ الْوَشْيِ الصَّنْعَانِي ، وَيَتَصَدَّى فِي
أُرْدِيَةِ الْعَصَبِ الِيَمَانِي ، وَنَظْمٍ وَدَّ الرِّبْعِ لَوْ تَوَشَّحَ^(٣) بِهِ تَفْصِيلًا ، وَنَثَرَ كُنْثَرَ
الْعُقُودِ ، وَتَقْوَيْفِ الْبُرُودِ ، وَالغُرُورِ الْبَيْضِ فِي الطَّرَرِ الشُّودِ . إِنْ نَظَّمْتَ فَصْرِيْعُ
صَرِيْعٍ ، وَالْبَدِيعُ غَيْرُ بَدِيعٍ . وَإِنْ نَثَرْتَ فَالصَّاحِبُ صَاحِبٌ ، وَقَابُوسُ ذُو بُوسٍ ؛
وَهَذَا بَابٌ لَوْ اسْتَقْصَيْتُهُ فَيَكُ غَايَةَ الاسْتِقْصَاءِ . وَاسْتَقْرَيْتُهُ نِهَايَةَ الاسْتِقْرَاءِ .
لَتَغْلَغَلَ بِنَا الْكَلَامِ ، إِلَى نَفَادِ الْأَمْدَةِ وَالْأَقْلَامِ .

١٠

وفي فصل منها :

وَلَمَّا كُنْتُ مَتَى انْحَرَفْتُ إِلَى النَثْرِ ، أَوْ انْصَرَفْتُ إِلَى الشُّعْرِ ، أُجْرِيْتُ فِيهِمَا
بَعْدَكَ بِالْخَطِّارِ ، وَضَرَبْتُ مِنْهُمَا عَقِبَكَ بِذِي الْقَقَارِ ، رَأَيْتُ أَنْ أَتَّبِعَ بَعْضَهُ بَعْضًا ،
حَتَّى أَجْلُوَ عَلَيْكَ وَرَدُّهُمَا جَنْبًا غَضًا ؛ فَهَآكَ النَثْرُ يَجْلُو ، وَالنَّظْمُ يَحْلُو^(٤) .
ثُمَّ كَتَبْتُ قَصِيدَةً عَلَى رُوِيٍّ نَسِي^(٥) قَالَ فِيهَا يَصِفُ شِعْرًا خَاطِبَتُهُ بِهِ :

١٥

(١) ر : التوصل في عرض ... — وه : المؤمل

(٢) وه : فيجعل (٣) ر : لو ترشح به تفضيلا

(٤) ز في ت ، لب :

يا ماجدا ينمي إلى بسام قد ذبت بين محبة وهيام
توقا إلى لقياك (٢)

(٥) كذا في ر وفي وه نسي ، والجملة لم ترد في ت ، لب

لَاحِشَوْ فِيهِ وَلَا مُعَالَظَةً^(١) بِهِ سَلِسٌ عَلَى الْأَسْمَاعِ وَالْأَفْهَامِ
 وَيُرَى الْبَدِيعُ بِهِ بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ مَا بَيْنَ مُنْفَرِدٍ وَبَيْنَ تَوَامٍ
 مُتَقَسِّمٌ مُتَقَابِلٌ مُتَطَارِدٌ مُتَجَانِسٌ مُتَطَابِقُ الْأَقْسَامِ
 إِنْ رُمْتَ تَشْدِيدًا أَتَيْتَ بِكُلِّ مَا يَجِدُ الشَّجِي مِنْ لَوْعَةٍ وَغَرَامِ
 أَوْ رُمْتَ تَشْبِيهًا قَرَنْتَ مُشَبَّهًا بِمُشَبِّهِ فِي غَايَةِ الْإِتْمَامِ
 أَوْ رُمْتَ مَدْحًا لَمْ تَكُنْ مُتَطَلِّبًا مَا لَيْسَ فِي الْمَدْحِ مِنْ أَحْكَامِ
 حِذْقًا بِمَا تَأْتِي وَمَعْرِفَةً بِهِ وَتَصَرُّفًا فِي أَفْقٍ كُلِّ كَلَامِ
 وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا التَّقْسِيمِ قَوْلُ أَبِي^(٢) بَكْرِ بْنِ عُبَادَةَ مِنْ جُمْلَةِ أُبَيَّاتِ خَاطِبِي
 بِهَا أَيَّامٌ مُقَامِهِ عِنْدَنَا بِالْأَشْيُونَةِ، أَوْهَا:

يَأْمُنِيْفًا^(٣) عَلَى السَّمَاءِ كَيْنِ سَامٍ حُرْتَ فَضْلَ السَّبَاقِ عَنْ بَسَامِ
 قَدْ خَبِرْتُ الْوَرَى فَلَمْ أَلْفِهِمْ إِلَّا^(٤) (م) ثِقَالَ الْأَفْهَامِ وَالْإِفْهَامِ
 وَتَأَمَّلْتُ مِنْكَ نُكْتَةً بَغْدَا دَ لُبَابِ الْعِرَاقِ مَعْنَى الشَّامِ
 شَكَّ^(٥) ذَهْنِي أَنْ يَرَى بَصَرِي مِثْ لَكَ حَتَّى لَخِلْتَنِي فِي الْإِنَامِ
 إِنْ تَحَكُّ مِدْحَةً فَأَنْتَ زُهَيْرٌ أَوْ نَسِيبًا فَعُرْوَةٌ بْنُ خِزَامِ
 أَوْ تَبَاكَرَ صَيْدَ الْمَهَا فَابْنُ حَجَرٍ أَوْ تَبَكَّى الدِّيَارَ فَابْنُ خِزَامِ
 أَوْ تَذَمُّ الزَّمَانَ وَهُوَ حَقِيقٌ فَأَبُو الطَّيِّبِ الْبَعِيدُ الْمَرَامِ
 فِي أُبَيَّاتٍ غَيْرِ هَذِهِ^(٥) .

(١) و : معاضلة (٢) ت ، لب : أبي بكر عبادَةَ بن أبي عبد الله بن عبادَةَ

(٣) ر : منيعا (٤) من هنا يبدأ خرم في نسخة و ينتهي في ص ٣٩٨

(٥) ز في ت ، لب : مع خبر طويل هو ثابت في موضعه من هذا المجموع

فصل لأبي العباس من رُقعة^(١) :

كُتِبْتُ وَأَنَا مِنَ الْحُزَنِ فِي ثَوْبِ حِدَادٍ ، وَدَمْعٍ كَأُكُفِّ الْجَوَادِ^(٢) ،
شَوْقًا وَوَحْشَةً إِلَى الْأَنْسِ بِتَفْقِيؤِ ظِلِّكَ الْوَارِفِ ، كَعَهْدِي السَّالِفِ ، وَتَوَقًّا
وَدَهْشَةً إِلَى بَرْدِ مَائِكَ الْخَصِيرِ^(٣) ، كَزَمَانِ الْمَاضِي الْخَضِيرِ^(٤) ؟ :

سَقِيًا لَظِلِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالضُّحَى وَلِبَرْدِ مَائِكَ وَالْمِيَاهُ حَمِيمٍ ٥
[وَإِنِّي] وَإِنْ كُنْتُ مُقِيمًا عَلَى كَرَمِ عَقْدٍ^(٥) ، كَهَذَا الزَّمَانِ الَّذِي قَامَ وَزَنُهُ
فَأَصْبَحَ غُلَامًا ، وَأَطْلَعَ حُسْنَهُ قَرَأَ تَمَامًا ، بَيْنَ فُرَادَى مِنْ نَوَابِتِ أَزْهَارِ كَالرِّيَاطِ^(٦) ،
وَتَوَامٍ مِنْ حَدَائِقِ أَنْوَارٍ كَالْأَنْمَاطِ ، قَدْ تَفَتَّحَتْ عُيُونُهَا ، وَتَكشَّفَتْ مَصُونُهَا ،
وَحَلَّتْ أَزْوَاجُ جُيُوبِهَا ، عَنْ مِسْكِيهَا وَطِيبِهَا ، وَابْتَسَمَتْ أَفْوَاهُ ثُغُورِهَا ، عَنْ لُؤْلُؤِهَا
وَشُدُورِهَا ، وَأَتَرَعَتْ جَدَاوِلُهَا فَتَسَلَّسَلَتْ ، وَتَرَبَّتْ أَرْضُهَا فَتَصَنَّدَلَتْ ١٠ « لَعَالِمٌ
أَنْكَ لِي عَلَى أَمَثَالِهَا ، ثِقَّةٌ بِمَجْدِكَ الَّذِي هُوَ ضَرْبَةٌ لَا زَبَ ، وَاسْتِنَامَةٌ إِلَى أَنْ عَقَبَكَ
مِنْ الْوَفَاءِ عَلَى الذُّرَّةِ وَالْعَارِبِ .

وَانْدَرَجَ لَهُ فِيهَا شَعْرٌ قَالَ فِيهِ :

أَوْ حِينَ نَوَّرَ عَارِضِي فَتَفَتَّحَتْ أَنْوَارُهُ فَكَأَنَّهَا أَنْوَارُ
أَصْبَحَتْ لَا تَلْوِينَ فَارْعَى حَقَّهُ أَوْ مَا الْمُظْلِمَ لَيْلَةً إِسْقَارُ ؟ ١٥

(١) ز في ت ، لب : خاطب بها بعض إخوانه

(٢) ت ، لب : الأجواد

(٣) ر : بدء مائك الخصب — ت ، لب : الخصب

(٤) ر : الخصب — ت ، لب : زماني الماضي الحبيب . ولعل الصواب ما أثبتناه

في الموضعين

(٥) ت ، لب : عهد (٦) ر : كالرباط — لب : أزهار الرباط

يا هذه حَرْبُ الزَّمانِ شَهِدَتْها فعلى مِنْ ذاكِ الغبارِ حِمارُ
ومن المديح :

جَزَلُ أَحَطْتُ بِخُبْرِهِ فوجَدْتُهُ كالخَمَرِ لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ حِمارُ
نادَتْ تُحالفُهُ ^(١) العلى فأجابها ألا تَفَرِّقَ ما أضاءَ نهارُ
آهاً وإنَّ مِنَ التَّوجُّعِ آهةً لو حُمَّ أَنْ يَدْنُو إِلَيْكَ مزارُ
فأبَتْ مِنْ أَسْرَى الخفىِّ وراحةً للنفسِ في أَنْ تَطْلُقَ الأسرارُ
خُذْها كما اعتَدَلَتْ أنا بيبُ القنا مَيِّزِي التَّقافِ لها وذِهنِي النارُ
قوله « فعلى مِنْ ذاكِ الغبارِ حِمارُ » في صفة الشَّيبِ كقول ابنِ المعتزِ :
« هذا غبارُ وقائعِ الدهرِ » وقد تقدَّمَ هذا المعنى بما فيه ^(٢) :

وله من أخرى :

ولما وردَ كتابُهُ غايَةُ الفِصاحةِ ، ومُنْتَهى البِلاغةِ والمِلاحَةِ ، قَبْلَتُهُ عَشْرًا ،
وأقْبَلَتُهُ مِئَةَ رَأْسًا وَثَعْرًا ؛ وَحِينَ فَضَضْتُ مِسْكَ ^(٣) الخِتَامِ ، سَقَطَ بَصْرِي عَلَى
شَكْلِ مُسَيِّقِ خَطِّهِ فاندَمَجَ ۖ وَوُسَّعَ بَيْنَ أَسْطَارِهِ فانْفَرَجَ . فَيَا لَلْكِتَابِ مِنْ كِتَابِ
قَصْرٍ وَطالَ ، وَجَمَدَ قَلَمُ كاتِبِهِ وَسالَ ، نَتِيجَةُ بَرهانٍ مُقَدِّمَتاهِ الطَّبَعُ والِبَراعَةُ ،
والْجَزْأَةُ والإِصْابَةُ ، جَمَعَ بَيْنَ مَبْدَأِ الْغَايَةِ ^(٤) وَآخِرِها فِي سِجْاءَةٍ طَوَّلَها فِتْرُ ، وَعَرَضَها
ظَفَرُ ؛ وَلَا غَرَوْ فَمَنْ عَلِمَ الْأُصُولَ اسْتَنْبَطَ الْفُرُوعَ ۖ وَمَنْ انْتَقَى الْقَلِيلَ اسْتَغْنَى
عَنْ شُعْبِ ^(٥) الْجُمُوعِ ؛ وَلِذلِكَ جَعَلْتُهُ إِمَامًا أَحْتَذِيهِ ، وَمِثالًا أُمائِلُهُ وَأَقْتَفِيهِ .

(١) لب : تخالفه (٢) ز في ت ، لب : وأخذه فقال :

قالت غبار قد علا لك فقلت ذا غير الغبار
هكذا الذي نقل الملو لك إلى القبور من الديار

(٣) ت ، لب : مسكة الخاتم (٤) ت ، لب : البلاغة (٥) ت ، لب : شغب

ولو أسهبت هكذا أبداً ما بلغت غاية الوصف ، ولا أعطيته من حقه النصف .
وله من أخرى فيمن حمل القلنسوة وأنهض إلى الشورى ، وخاطب^(١) بها
قاضي قطره .

- لم يرغب عنك — زاد الله في توفيقك — رحلة أحد القامين بنشر غلاك ،
المطيبين محاضرتهم بطيب ذكراك ، الفقيه أبي فلان أبقاه الله ، وأنه هجر الوطن
على خصبه . ووصل منزل الغربة على جذبه ، متكرراً إلينا ، ومدارسنا علينا .
بأصغرين أكبرين : قلب أصم ، ولسان مصقع . فما مطلته بحمد الله الأيام ،
ولا سوفته الأعوام ، حتى لحق بالمرتبة التي تفصل بها القضية^(٢) الشنعاء ، وتسمع
النزلة السماء ؛ وحتى أفضى إلى المنزلة التي تقتضي تعصيه بالشورى ، وإحاقه
بعداد أهل الفتيا . تطبيقا للمفصل ، وتبييناً للمشكل ؛ وعند ذلك مارأينا إنهاضه
إليها ، وأن يتزى بزى أهلها عن سواه . وحملناه على التزامه دون كل زى عداه ،
على ما أنت الحرى بحمله عليه كما حملناه . ولما كان مثلك في سرك ومثلك
إلى الجحد وصفوك ، لا يعلم كيف يبنى الجحد ويشيده ، ولا كيف يمهده ويفجده ،
كما لا يعلم الفهم التبسم ، ولا اللسان التكلم ، كان واجباً أن يكتفى بيسير العبارة ،
وقليل الإشارة ، ومهما زدته من كريم رعاية . وجميل حفاية ، فنحن شاكر^(٣)ك
شكراً يهز عطفك^(٣) ، طوراً هز المهند ، وطوراً هز القضيب الأملد .

وله من أخرى يعزى بعض الأعيان :

قد علم — أطل الله بقاءه وأحسن عزاءه — أن سكاّن هذه الدار ، وإن

(٢) ت ، لب : الخطبة الصنعاء

(١) ت ، لب : ونفذت إلى

(٣) ت ، لب : عطفك

تَرَاحَتْ بِهِمُ الْأَعْمَارُ ، يَنْتَقِلُونَ ^(١) مِنْهَا تَنْقِلَ الْأَفْيَاءُ ، كَمَا يَتَلَوْنُونَ فِيهَا ^(٢) تَلَوْنَ
الْجِرْبَاءُ ؛ فَإِنَّ مَنْ وَقَعَ تَحْتَ السَّكُونِ وَالْفَسَادِ ، وَانْبَعَثَ مِنَ الْأَضْدَادِ فِي مَرْكَزِ
الْأَضْدَادِ ، غَيْرُ بَعِيدٍ ^(٣) فِي طِبَاعِهِ أَنْ يَنْجَلَّ جِرْمُهُ . إِلَى مَا مِنْهُ تَأَلَّفَ حَجْمُهُ .
وَأَنْ تَتَخَلَّصَ شُعْلَةُ نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ الصَّلْصَالِ الَّذِي سَقَطَتْ لَدَيْهِ ، فَاحْتَوَى عَلَيْهَا
وَأَوْتِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ ضُرِبَ لَهَا أَجَلٌ مُعَدُّودٌ . وَوَقْتُ مُحْدُودٌ ، وَهُوَ النَّهَايَةُ بَعْدَ الْمَبْدَأِ ،
وَالْتَلَاشِي بَعْدَ الْمُنْشَأِ ^(٤) ، فَتَعَوَّدُ عِنْدَ ذَلِكَ الطَّبِيعَةُ التَّرَائِيَّةُ إِلَى أَرْضِهَا ^(٥) . وَالشُّعْلَةُ
التَّوْرِيَّةُ إِلَى شَكْلِهَا ؛ فَإِنْ كَانَ مَا قَدَمْتُ خَيْرًا أَحْدَثَ الْجَيِّئَةَ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا
رَغَبْتُ — وَأَتَى لَهَا — فِي الْفَيِّئَةِ ، ثُمَّ لَمْ تُتْرَكْ فِي حِينِ سُلُوكِهَا إِلَى الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ،
وَالْأَجَلِ الْمَحْتُومِ . سَالِمَةً مِنَ الضَّرَاءِ ، آمِنَةً مِنَ الْبَرْحَاءِ ، بَلْ قُرْنٌ ^(٦) بِهَا هَنَاتٌ
مُجَحِّفَاتٌ . وَحُبَّبَ إِلَيْهَا خُطُوبٌ مُتَلِفَاتٌ . فَلَمْ تَنْفَكْ مِنْ تَغْيِيرٍ مُجَحِّفٍ ^(٧) ،
وَتَغْيِيرٍ مُتَلِفٍ .

وَإِذَا كَانَ الْوَزِيرُ — أَعَزَّهُ اللَّهُ — عَالِمًا جَمَلَةً هَذَا الْخَبَرِ وَتَفْصِيلَهُ ، وَدَقِيقَ
هَذَا الْغَرَضِ وَجَلِيلِهِ ، فَالْمُتَوَفَّاءُ — قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهَا . وَبَلَّ بِالرَّحْمَةِ ضَرِيحَهَا —
وَإِنْ كَانَتْ مِنْهُ كَالْبَنَانِ مِنَ الْيَدِ ، وَالزَّنْدِ مِنَ الْعَصْدِ ، فَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ
يَتَلَقَّ وَارِدَ حِمَامِهَا تَلَقَّى الْغَافِلِ الْفَارِغِ ، بَلْ سَلَّمَ لِلْقَضَاءِ ، وَأَفْضَى إِلَى الدُّعَاءِ .
فَلَا مَعْنَى لَتَذَكِيرِهِ الصَّبْرَ وَمِنْهُ يُسْتَفَادُ ، وَتَبْصِيرِهِ الْأَجَرَ وَعَنْهُ ^(٨) يُسْتَزَادُ . وَلَمَّا

(١) ر : فيها (٢) هـ في ر

(٣) ت ، لب : بديع (٤) ر : المنسأ

(٥) ت ، لب : أصلها (٦) هنا ينتهي خرم وه الذي أشرنا إليه في ص ٣٩٤

(٧) و ، ت ، لب : يجحف ... يتلف

(٨) لب : وعنده يستزاد

كانت التعازي على الأعصر الحالية من العوائد الجارية . كتبت رُعتي هذه ، فإن لم تكن تبصيراً ، كانت مطالعةً وتذكيراً .

وله في فصل في صفة ورّاق :

وأما فلان (١) فإنه يقلب من المعاش كفاً صِفراً ، ويستدرّ من ضرّعه مقداراً نزرّاً . بخطوطٍ غير منصرمة ، ونُقْطٍ غير مُنْقَسِمة ، وشُكْلٍ تُشَكِّلُ
الخطّ عن الإتيان ، وتُطْلِقُ رِجْلَ الفاقةِ والحِرْمان ، فُجُبْحَنَ من خطوطٍ (٢)
ونُقْطٍ ، تُثِيرُ القنَط ، وشُكْلٍ تَبْعُثُ الكَسَلَ ؛ وَقُبْحٌ مِنْ رِزْقٍ يَحْرُمُ سَلَمَهُ
بجليل الألفهام ، (٣) ويخبطُ بدقيق الكلام . ويعضدُ برقيق الأقلام (٤) .

وهذه جملة من شعره

قال في النسيب على مذهب أهل أبقنا في لباس البياض على المتوفى :
١٠ قالت وقد نظرت فروّعها شيب على فودى منتشر
ماشأن تلك البيض ، قلت لها مات الشباب فبيض الشعر
وهذا كقول الحلواني (٥) :

إذا كان البياض لباس حزنٍ بأندلسٍ فذاك من الصواب

(١) ه ، ت ، لب : أبو فلان (٢) ز في ت ، لب : تحط الخطوط

(٣-٢) ه ، ت ، لب : ويخط برقيق الأقلام — ت ، لب : ويخط ... —

ز في ت ، لب : ثم يفضى خابطها لخط نزر ، غير جليل ولا ضر (كذا . ولعلها : غزر) وفي
ه : ثم يفضى حافظها بمحظ نزر ، غير خل ولا خر

(٤) ز في ت ، لب : تلميذ أبي علي ابن رشيق

ألم ترني لبستُ بياضَ شَيْبِي لأني قد^(١) حزنتُ على الشبابِ ؟
 وأراه من هذا نَقْلٌ ، وعليه عَوَّلُ^(٢) .

وقال ابنُ فَرَجٍ صاحبُ كتابِ الحداثق^(٣) :

ونزَجِسِ تَطْرِفُ أَجْفَانُهُ كَمَقْلَةٍ قد دبَّ فيها الوَسَنُ
 كأنَّه من صُفْرَةٍ عاشِقُ يَلْبَسُ اللَّبَيْنِ ثِيَابَ الْحَزَنِ

وقال أبو العباسِ ابنُ قاسمٍ :

قالت وقد نظرتُ شَيْبِي فروَّعَها : إنَّ المشيبَ لِسُودِ الشعرِ أَكْفَانُ

فقلتُ : أنكرتِ كَافُورَ الزَّمانِ بهِ مِنْ بَعْدِ مِسْكِ وَطِيبِ الدَّهْرِ الْوَانُ

قالتُ : فأينَ من الكافُورِ نَفْحَتُهُ قلتُ : انقضتْ وتبدَّيَ منه جُمانُ

قالت : فإن كانَ كافُوراً فَلِمَ ضَعُفَتْ قواكَ والطَّيِّبُ للأَعْضاءِ مِعْوانُ

فقلتُ : ما بي مِنَ الأيامِ أثَقَلَنِي قالت : كذلك شَيْبُ المرءِ مُهْلانُ

فقلتُ : يا ليتني لِلدَّشِّ مُنْصَرِفٌ كَما تَعُودُ إلى الإِراقِ أَغْصانُ^(٤)

قالت : وهل عادَ^(٥) أَقْوامٌ كما نَشأوا مِنْ قَبْلِ أنْ يَرجِعُوا مِثْلَ الَّذي كانوا ؟

وذَكَرتُ بِتَشْبِيهِهِ الشَّيْبَ بِالْكَافُورِ يَبْقَى الْحَضَرُ مَعِي^(٦) ، على أَنَّهُ^(٧) مِنْ

المشهور ، وهما :

(١) ت ، لب : لحزني إذ بكيت (٢-٢) هـ في ت ، لب

(٣) ز في ت ، لب : مما ينظر إليه بعض نظر

(٤) لم يرد هذا البيت في ت ، لب (٥) هـ ، ت ، لب : دام

(٦) هـ ، ت ، لب : الحصري

(٧) هـ : أنهما — ت ، لب : على أَنَّهُ معنى كثير

قَالَتْ وَقَدْ خُلِطَتْ فِي عَارِضِي مِسْكُ الشَّبَابِ بِكَافُورِ الْمَشِيبِ
يَا لَيْتَ ذَا الْمِسْكِ لَمْ يُخْلَطْ فَمَا عِنْدَ الْغَوَانِي لَذَا الْكَافُورِ طِيبٌ
وهذه العَرُوضُ مَعْرُوفَةٌ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَأُوفَةً ، وَهِيَ مِنْ حَجَزِ الْبَسِيطِ
الَّتِي أَنْشَدَ الْخَلِيلُ فِي مِثْلِهَا ^(١) قَوْلَ بَعْضِ الْعَرَبِ :

يَا بِنْتَ ^(٢) غَيْلَانَ مَا أَصْبِرَنِي عَلَى خُطُوبٍ كَنَحْتِ بِالْقَدُومِ
وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ قَاسِمٍ :

لَهَجَ النَّاسُ بِالْقَبِيحِ وَهَامُوا فَالزَّمِ الْبَيْتَ وَاشْدُدِ ^(٣) الْأَبْوَابَ
وَإِذَا مَا خَرَجْتَ تَطْلُبُ رِزْقًا فَتَلِينَ لَهُمْ وَكُنْ خَلَابًا ^(٤)
وَإِذَا مَا جَلَسْتَ يَوْمًا إِلَيْهِمْ فَالزَّمِ الصَّمْتَ وَاضْمُمْ الْأَثْوَابَ
فكَثِيرٌ مِمَّنْ تُجَالِسُ تُلْفِي مِنْ عُيُوبِ الْوَرَى لَدَيْهِ عِيَابَا
وَإِذَا مَا سَأَلْتَهُمْ عَنْ جَمِيلٍ لَمْ تَجِدْ فِيهِمْ لَدَيْهِ جَوَابَا
لَقِيَ النَّاسُ قَبْلَنَا غُرَّةَ اللَّهِ رٍ وَلَمْ نَلْقَ مِنْهُ إِلَّا الذَّنَابَا
فَانْقَبِضْ وَالزَّمِ التَّصَاوُنَ حَتَّى يُغْلِقَ الْمَوْتَ مِنْ حَيَاتِكَ بَابَا

فصل في ذكر الأديب أبي طالب عبد الجبار من أهل جزيرة شقر

كَانَ يُعْرَفُ بِالْمُتَنَبِّيِّ ، أْبْرَعُ أَهْلِ وَقْتِهِ أَدْبَاً ، وَأَعْجَبُهُمْ مَذْهَبًا ، وَأَكْثَرُهُمْ
تَفَنُّنًا فِي الْعُلُومِ ، وَأَوْسَعُهُمْ دَرْعًا بِالْإِجَادَةِ فِي الْمَثُورِ وَالْمَنْظُومِ . وَكَانَ

(٢) : يا ابنة ... على الخطوب

(١) : ت ، ب : مثاها

(٤) هذا البيت والذي يليه ناقصان في

(٣) : ت ، ب : واسدد

— بلغنى — يَعِدُ نَفْسَهُ بِمُلْكٍ ، وَيَنْخَرِطُ الْمَجُونُ فِي سِلْكٍ ؛ لَا يُبَالِي أَيْنَ وَقَعَ ، وَلَا يَحْفَلُ بِشَيْءٍ صَنَعَ . وَكَانَ قَدْ اسْتَتَرَ بِبُلْغَةٍ ۖ وَاقْتَصَرَ عَلَى طَرِيقَةٍ ؛ فَلَمْ يَطْرَأْ عَلَى الدُّوَلِ ، وَلَا تَجَاوَزَ فِي شِعْرِهِ مُلَحَ الْأَوْصَافِ وَالغَزَلِ . وَلَهُ أَرْجُوزَةٌ فِي التَّارِيخِ أَغْرَبَ فِيهَا ، وَأَعْرَبَ بِهَا عَنْ لُطْفِ مُحَلَّةٍ مِنَ الْفَهْمِ ، وَرُسُوخِ قَدَمِهِ فِي مُطَالَعَةِ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ ؛ وَقَدْ أَثْبَتَهَا عَلَى طُولِهَا ، لِاشْتِمَالِ قُصُولِهَا عَلَى عِلْمِ جَلِيلٍ ، وَبَاعٍ فِي الْخَبَرِ طَوِيلٍ ؛ وَقَدَمْتُ قَبْلَهَا جُمْلَةً مِمَّا وَقَعَ فِي شَرِكِ حِفْظِي مِنْ سَائِرِ شِعْرِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ اسْتَفْرَغَ مَجْهُودَهُ فِي وَصْفِ صُنْتِ الْكِتَابِ عَنْ ذِكْرِهِ .

جُمْلَةٌ مِنْ أَشْعَارِهِ فِي أَوْصَافِ شَيْءٍ .

قال يَصِفُ مَجَارِي الْمَاءِ فِي سَوَاقِ أَجَنَّةٍ ^(١) بِلَنَسِيَّةٍ :

خرجنا للنزاهة في البقيع فنلنا الوصل من رشاً بديع ^(٢)
وهب لنا النسيم بكل طيب كأننا منه في زمن الربيع
على نهر كأن الماء فيه بقايا فوق خد ^(٣) من دموع
وقال يَصِفُ مَنْزِلَهُ :

كيف البقاء بيت لا أنيس به ولا وطاء ولا ماء ولا فرش
كأنه كوة في حائط نقبت ^(٤) في ظلمة الليل يأوي جوفها حنّس

وقال :

قل لأبي يوسف المنتقى الفاضل الأوحدي في عصره

(١) كذا في ر ، ت ، ب — والكلمة لم ترد في م

(٢) ت ، ب : بزيغ (٣) ت ، ب : خدي (٤) ر : قلت

وَمَنْ إِذَا حَرَكَ أَوْتَارَهُ ^(١) وَظَلَّ يُبْدِي السَّحَرِ مِنْ عَشْرِهِ
تَخَالَهُ إِسْحَاقَ أَوْ مَعْبَدًا يَشْدُو بِالْحَانِ عَلَى وَتَرِهِ
هَلْ لَكَ أَنْ تُسْمِعَ مَهْدِيكَمُ وَأَنْ تُوفِّيَ الْحَقَّ مِنْ بَرِّهِ
حَتَّى إِذَا الْأَيَّامُ أَبَدَتْ لَهُ مَا فِي ضَمِيرِ الدَّهْرِ مِنْ سِرِّهِ
وَصَيَّرَ التَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ وَأَقْبَلَ الْوَفْدُ إِلَى قَصْرِهِ
أَعْطَاكَ مِنْ جَدْوَاهُ مَا تَشْتَهَى فَضَّتَهُ الْبَيْضَاءُ أَوْ تَبْرَهُ

وقال :

وَشَادِنِ وَجْهَهُ ذُكَاةً فِيهِ حَيَا الْحُسْنِ وَالْحَيَاءِ
لَمَّا اغْتَدَى قَارِنًا بِحُزْنٍ لَدَى ^(٢) الْحُزْنِ وَالْبَكَاءِ
نَمِ ^(٣) تَذَكَّرْتُ قَوْلَ رَبِّي « يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ »

وقال :

وَحَمَّارٍ أَنْخَتُ بِهِ مَسِيحِي رَحِيمَ الدَّلِّ ذِي وَجْهِ صَبِيحِ
سَقَانِي ثُمَّ غَنَّانِي بِصَوْتٍ فِدَاوَى مَا بَقَلْبِي مِنْ جُرُوحِ
وَفَضَّ فَمِ الدَّنَانِ عَلَى اقْتِرَاحِي فَفَاحَ الْبَيْتُ مِنْهَا طِيبَ رِيحِ
فَقُلْتُ لَهُ لَكُمْ سَنَةٌ تَرَاهَا فَقَالَ أَظْنَهَا مِنْ عَهْدِ نُوحِ
فَلَمَّا أَنْ شَدَّ النَّاقُوسُ ضَرْبًا ^(٤) دَعَانِي أَنْ هَلُمَّ إِلَى الصَّبُوحِ
وَحَيَّانِي وَفَدَّانِي بِكَاسٍ وَقَبَلَنِي فَرْدًا إِلَى رُوحِي

(٢) ر : أَذْلَى

(٤) ت ، لب : صَوْتَا

(١) ه ، ت ، لب : مُوسِيقَهُ

(٣) ت ، لب : حَتَّى

فُصولٌ من خطبته التي جعلها مُقدمةً لأرجوزته

قال في صدرها :

أما بعد : ^(١) لَمَّا كَانَتْ مُحَاظِبَةُ الرَّئِيسِ ، تَنُوبُ عَنْ لِقَائِهِ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ
النَّفُوسِ ، وَرَبِيعُ الْقُلُوبِ ۖ وَتَلَجُّ الصُّدُورُ ، وَنَاطِلُ فَرَائِدِ ^(٢) الْحُطُوطِ وَالْحُبُورِ ،
وَكَانَتْ حَالِي قَدْ أَنَاخْتُ بِذَرَاهِ الرَّحْبِ ۖ وَأَمَالِي قَدْ كَرَعَتْ فِي مَوْرِدِهِ الْعَذْبِ ،
إِذْ هُوَ سَمَاءٌ تُمَطِّرُ ۖ وَبَحْرٌ لَا يُسَكِّدُ ، وَغَيْثٌ مُمْرِعٌ يَجِي بِهَ الْمُجْدِبِ ۖ وَمَا زِلْتُ
أَرُومُ لِقَاءَهُ عَلَى تَرَاحِي الْأَيَّامِ ۖ فَيَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَدَرٌ لَا يُرَامُ ۖ وَعِقَالُ تَقَاضِيهِ
غَيْرُ مُطْلَقٍ ، وَبَابُ الرِّجَاءِ بِهِ مُغْلَقٌ ۖ فَأَعْمَلْتُ لِلدَّادِ وَالْأَقْلَامِ ۖ بَرَجَزٍ صَنَعْتُهُ ،
وَكَلَامٍ وَضَعْتُهُ ^(٣) ، وَالْفَرَضُ فِيهِ امْتِدَاخُهُ ۖ وَالْقَصْدُ مِنْهُ اسْتِمْنَاخُهُ ، وَهُوَ فِي
مَعْنَى مَا تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُ التَّوَارِيخِ ۖ قَطِفْتُ عُيُونَ زَهْرِهَا ، وَالتَّقَطُّتُ مَكْنُونُ
دُرَرِهَا ، وَاقْتَصَرْتُ عَلَى أَقْلَاهَا دُونَ أَكْثَرِهَا ، مِمَّا لَا يَسَعُ جِهْلُهُ ۖ وَحَذَفْتُ كُلَّ
حَدِيثٍ يَتَغَلَّغِلُ ، وَخَبَرٍ يَتَسَلْسَلُ ، إِلَّا مَا زِدْتُ حُلَاهُ رَوْنَقًا ، وَجُجْتَلَاهُ ^(٤) تَالِقًا ،
مِنْ شَأْنٍ فَتَحَ الْأَنْدَلُسَ ، وَمَا اتَّصَلَ بِذَلِكَ مِنْ أَخْبَارٍ أَمْلَا كَيْهَا الدُّرُسُ ، إِلَى
وَقْتِنَا هَذَا ، وَمَنْ وَلِيَهَا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَغَيْرِهِمْ ۖ وَذَكَرْتُ مَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ بِالْمَشْرِقِ
مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ الْمُطِيعِ لِلَّهِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا ^(٥) ، وَالْإِمَامُ الْآنَ فِيهِ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ
ابْنُ الْقَادِرِ ^(٦) ، وَقَصَدْتُ إِلَى مَعْنَى الاسْتِذْكَارِ بِهِ لِمَجَامِعِ التَّارِيخِ وَالْأَخْبَارِ ،

(١) ت ، لب : فَأَنَّهُ لَا ... (٢) ر : فَوَائِدُ

(٣) و ، ت ، لب : نَظْمَتُهُ (٤) و ، بحياه

(٥) ز في ت ، لب : وَهُوَ وَقْتُ التَّارِيخِ الَّذِي ذَكَرْتَهُ فِي الْأَرْجُوزَةِ .

(٦) ت ، لب : الْقَادِرُ بِاللَّهِ

وسلكت مذهب الاختصار رجاء أن تُطْلَعَنِي ^(١) قريحتي على مفرّاه ، وتنشط
مُنْتَقِي إلى قُرب مرّماه . وقدّمتُ أولاً مُقدّماتٍ من أصول الاعتقادات .

وأول أرجوزته :

- يَقُولُ مَهْدِيّ الْوَرَى الْمُنْتَظَرُ هَا فَاسْمَعُوا مَا قُلْتُهُ وَاعْتَبِرُوا ^(٢)
أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ فِي التَّرْجِيزِ رَبِّ الْأَنَامِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ
ثُمَّ بِذِكْرِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ طُولَ الْأَبَدِ
وَالطَّيِّبُونَ آلُهُ الْكَرَامُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
أَهْدِي مِنَ الْقَرِيبِ مَا نَمَقَّتُهُ إِلَى رَئِيسِ سَيِّدِ أُمَّلْتُهُ
تَنْفِقُ سَوْقَ الْعِلْمِ فِي ذَرَاهُ مُضْمِنًا لِلْبَعْضِ مِنْ حُلَاهُ ^(٣)
فِي كَلِمٍ كُلُّوْهُ الْعُقُودُ أَنْظِمُ مَا ضَمَّنَهُ الْمُسْعُودِي
وغيره من سائر ^(٤) الْأَثْمَةِ فِي كُلِّ مَنْ وَلَّى أَمْرَ الْأُثْمَةِ
مُقْتَصِرًا مِنْهُ عَلَى عُيُونِهِ وَحَازِفًا لِلْحَشْوِ مِنْ فُنُونِهِ

في التَّحْمِيدِ

- وَالْحَمْدُ الْمُبْتَدِعِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ذِي الْآلَاءِ وَالنِّعَاءِ
سُبْحَانَهُ مِنْ خَالِقِ جَبَّارِ يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحَارِ
وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مَعْلُومٌ فَهُوَ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْقَيُّومُ
رَبِّ عَظِيمٍ أَوَّلٌ لَمْ يَزَلِ بَارِي الْبَرِّيَّةِ الْكَبِيرِ الْمُعْتَلَى

(١) و ، ت ، لب : نطيعني

(٢) هذا البيت ناقص في و

(٣) و ، ت ، لب : علاه

(٤) ت ، لب : سير ... وكل

أَبَدَعَهَا مِنْ بَعْدِ أَنْ لَمْ تَكُنْ
وَعَرْشُهُ قَدْ كَانَ فَوْقَ الْمَاءِ
مِنْ قَبْلِ (٣) أَنْ لَمْ يَكُنْ عَرْشٌ لَوْ لَا
وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ سِوَاهُ قَبْلُ
وَأَفْرَدَ الرَّبُّ بَوَحْدَانِيَّتِهِ
وَسَبَقَتْ كُلُّ الْبَرَايَا قُدْرَتُهُ
جَلَّتْ صِفَاتُ الصَّانِعِ الْقَدِيمِ
فَافْهَمُ مَقَالَ جِهْدٍ مَمْنُونٍ
إِيَّاهُ فَاعْبُدْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
وَلْتَعْتَبِرْ فِي مَلَكُوتِ الْعَالَمِ
أَلَمْ تَكُنْ مِنْ نُطْفَةٍ مُكَوَّنَا
مِنْ آلَةٍ الْإِحْسَاسِ وَالْحَيَاةِ
فَصُرْتَ حَيًّا نَاطِقًا بَصِيرًا
عَلِمْنَا بِالْقَلَمِ الْبَيَانَا
مِنْ أُمٍّ بَادَتْ بِصَرْفِ الْأَدْهْرِ
سُبْحَانَهُ مِنْ وَاحِدٍ قَدِيرٍ

بِدْعَةِ خَلْقٍ (١) لَهُمَا مِهْمَيْنِ
كَذَا الْمَقَالُ الْحَسَنُ الْمَلَاءِ (٢)
مَلًّا يُرَى تَكْوِينُهُ وَلَا خَلَا
تَبَارَكَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقَدْلُ
فَوْقَ النَّهْيِ وَالْوَهْمِ عَنْ (٤) بَرِيَّتِهِ
وَالصِفَةُ الْعَلِيَا فَتِلْكَ صِفَتُهُ
عَنْ قَوْلِ جَهْمٍ وَذَوِي التَّجْسِيمِ
يُؤْمِي إِلَى الْحَقِّ وَلَمَّا يُلْفِزِ
فَهُوَ اللَّطِيفُ الْقَادِرُ الْمَنَّانُ
كَلَّا وَفِي نَفْسِكَ يَا ابْنَ آدَمِ
ثُمَّتْ هَيَّا لَكَ صُنْعًا مُتَقَنًا؟
وَالْقُوَّةِ وَالرِّزْقِ إِلَى الْمَمَاتِ
تَعْتَبِرُ الْحِكْمَةَ وَالتَّشْدِيدَ
حَتَّى عَلِمْنَا قَبْلُ مَا قَدْ كَانَا
أَشْهَدْنَا مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ نَحْضُرِ (٥)
صَرْفِ الْأَزْمَانِ وَالذَّهْوَرِ

(١) هـ : خالق

(٢) هـ ، ت ، لب : قبل الماء — ت ، لب : الملاء — هـ : البلاء

(٣) ت ، لب : من بعد (٤) هـ : من

(٥) ر : تحضر

مُقدِّماتٌ من أدلة المعرفة

والاستدلال على الصانع تعالى من الصنعة

- والجِسْمُ لَيْسَ فاعِلاً في الجِسْمِ قال بهذا القول أهل العلم
وليس^(١) ذا أُولَى برسم العقل من ذلك لما استَويا في المثل ؟
أَفِ لِقَوْلِ الْفِئَةِ^(٢) الْبَصَرِيَّةِ أهل الهوى والفرقة الغويّة !
دَانُوا مَعاً بِقَدَمِ الْحَوَادِثِ سوفَ يُجَاوِزَنَ بِخِزْيِ كَارِثِ
وَاحْذَرُ هَذَاكَ اللَّهُ يَا ذَا الْفَهْمِ قولهم واحذر مقال جهنم
وَجَنَّبِ^(٣) الْحَيِّدَةَ وَالْتَعَمُّقَا فإنَّ ذَاكَ نَهْجٌ مِّن تَزْدَقَا
وَقُلْ بِمَا يَقُولُ أَهْلُ الْحَقِّ من مُثَبِّتِي صِفَاتِ رَبِّ الْخَلْقِ
وَأَدَوَاتُ الْحِسِّ يَا مَنْ يَفْحَصُ عن علمها ومن عليها يَحْرِصُ
السَّمْعُ وَالْبَصَرُ ثُمَّ اللَّمَسُ والشَّمُّ وَالذَّوْقُ فَتِلْكَ خَمْسُ
وَكُلُّ مَا تُدْرِكُهُ مَوْجُودُ مُؤَلَّفٌ مُبْعَضٌ مُحْدُودُ
جِهَانُهُ سِتٌّ بِلَا امْتِرَاءِ معلومةٌ من غير ما خفاءِ
أَعْلَاهُ وَالتَّحْتُ وَبَعْدُ خَلْفُ وَيَمْنَةٌ وَيَسْرَةٌ تَحِفُ
ثُمَّ أَمَامُ سَادِسُ الْجِهَاتِ وهكذا مُقْتَرِنُ^(٤) الصِّفَاتِ
فِبَعْضِهَا يُوجِبُ فاعِلَمُ بَعْضَا فلا تَكُنْ بِجَهْلٍ هَذَا تَرْضَى

(٢) وه ، ت ، لب : الأمة

(١) وه ، ت ، لب : ليس

(٣) ت ، لب : جانب — والبيت ناقص في وه (٤) ر : مفترق

(١) فكل ما له قياس^(٢) يُعقل
 إن له فافهم مقالاً آخر
 إن له فاعقل كلامي وسطاً
 في أن ما ظاهره مشهود
 والخبر الصحيح باتفاق
 وعلمنا البحر وإن لم نره
 والتقل في تواتر الأخبار
 وهو بالجم الغفير كاف
 وكل محسوس قدو ابتداء
 والحد قول موجز مطبوع
 والاسم ما دل على الوجود
 واعلم بأن الجسم والزمان
 إذ الزمان حركات الجسم
 وكل شيء جوهر أو عرض
 فإن فحست قائلاً ما الجواهر
 فالجواهر الحامل للأعراض
 والعرض المحمول كالألوان
 وقسمة الوجود فضروب
 ما تجد الخمس من الحواس

من المضاف في المعاني أول
 فكل ما له طرف لا امتراً
 كذلك فتش [يتكشف] الغطاء
 ففيه فاعلم باطن موجود^(١)
 سماعنا عن مصر والعراق
 علم صحيح ليس فيه شبه
 يغني عن الرؤية بالأبصار
 وبالجمهير بلا خلاف
 ومدة تفضي إلى انتهاء
 مخصص يدرى به الموضوع
 فازه من سائر المعدود
 مصطحبان أبداً^(٣) قرانا
 وذلك أقصى مدرك بالوهم
 إلا الذي الطوع له مقترض
 وما هو العرض إذ يُفسر
 وهو الذي ليس بذى أبعاد
 وحركات الجرم والإسكان
 ثلاثة يدرى بها اللبيب
 فافهم هـذاك الله رب الناس

(١-١) لم ترد هذه الأبيات إلا في ت، ب

(٢) رسم الكلمة في الأصلين : ياس (٣) هـ : دائماً أقرانا

ثُمَّ وَجُودٌ لِمِثَالِ^(١) الْعَقْلِ يَعْرِفُ هَذَا ذُو الْحِجَى وَالنُّبْلِ
ثُمَّ وَجُودٌ ثَالِثٌ رَفِيعٌ فَوْقَ الْعُلَا عِلْمُهُ الْبَدِيعُ
بُرْهَانُهُ يُدْرِكُ بِالذَّلِيلِ مِثْلَ دُخَانِ النَّارِ فِي التَّمْثِيلِ
وَكَالْبِنَاءِ وَثِمَارِ الشَّجَرِ وَالْأَثَرِ الْكَائِنِ عَنْ مُؤْتَرِ
وَحَسْبُنَا مَا لَا يَصْخُ^(٢) جَهْلُهُ فِي الْاِعْتِقَادَاتِ وَهَذَا أَضْلُهُ •

فِي بَيَانِ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ

أَوْصِيكَ يَا مَنْ يَطْلُبُ الْمُلُومَا أَنْ تَعْرِفَ الْمَوْهُومَ وَالْمَعْلُومَا
وَلَا تَقْلُ بِالْمِثْلِ لِلتَّقْلِيدِ فَذَلِكَ رَأْيُ الْكَوْذِنِ الْبَلِيدِ
وَاتَّخِذِ الْعِلْمَ لِنَفْسِ الْعِلْمِ لَا لِلْبُهَاةِ وَلَا لِلْخَفْمِ
وَالْعِلْمُ، إِنْ أُرِدَتْ حَدٌّ مَطْلَبُهُ، مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ ١٠
وَالْعِلْمُ عِلْمَانِ أَيْتَا مَنْ يَبْحَثُ
إِنَّ^(٣) الْقَدِيمَ عِلْمُ رَبِّ الْعَرْشِ عِلْمٌ قَدِيمٌ ثُمَّ عِلْمٌ مُحَدَّثُ
وَمُحَدَّثُ فَذَلِكَ عِلْمُ الْخَلْقِ بَارِي الْبَرِيَّةِ الشَّدِيدِ الْبَطْشِ
وَكُلُّ عِلْمٍ مُحَدَّثٍ عِلْمَانِ مِنْ نَاطِقٍ وَغَيْرِ مَا ذِي نَطْقٍ
كَالْعِلْمِ أَنَّ اثْنَيْنِ^(٤) ضِعْفٌ وَاحِدٍ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ بَلَا بُرْهَانِ
وَبَعْدَهُ^(٥) فَعِلْمُ الْاِسْتِدْلَالِ وَأَنَّ لَيْسَ قَائِمٌ كَقَاعِدِ ١٥
وَالْمَنْطِقِ^(٦) الْبَاحِثُ عَنْ أَحْوَالِ

(١) ت، ث، لب : بمثال (٢) في الأصول : يسع

(٣) ت، ث، لب : فذو القديم (٤) ر : أن الاثنين ... الواحد

(٥) ت، لب : وبعد فالعلم بالاستدلال

(٦) ت، لب : والنظر الباحث — النظر الباحث

ما فيه ما ينظر من يفكر
وصانع العالم فرد صمد
فصنع الاثنين اشتراك منهما
وكل ما زاد على اثنين كذا
والانفراد غاية في المدح
وللنصارى القول بالتثليث
وطابوا اليهود في التجسيم
وللبراهمية والمجوس^(٢)
جل الإله الفرد عن شريك
وليس ذا حد ولا انتهاء
أحاط بالأشياء طرّاً علمه
أحصى الكثير منه والقليل
وجد بالغنى وقدر العدم

التفكر في الملكوت

يا من يجيل فكره للعبرة
انظر إلى الموات والتّبات
كيف ترى التكوين فيها ماثلاً
يؤلف الأربعة العناصر
وجاوز العبارة نحو الفلك

في كل موضوع له بالفكرة
والحيوان نظر استنبات
ينميك أن لقواها فاعلا
يمنع من أضدادها التنافراً
حيث السموات ذوات الحُبك

(١) هـ ، ت ، لب : أظم

(٢) ر : وللبراهمية المجوس — هـ ، ت ، لب : وللبراهمة والمجوس

- تُبَصِّرُ هُنَالِكَ النُّجُومَ الْخُنُوسَا سَخَّرَهَا مَنْ فِي الْعُلَا تَقَدَّسَا
وَالْأَبْرُجَ الثَّابِتَةَ الْمَكَانِ نَيَّرَةً تَعَالَوْ عَلَى كَيَّوَانِ
يَهْدِي بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ كَلَّا وَفِي ظُلُمَاءِ لُجِّ الْبَحْرِ
وَعَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ يَعْلَمُهُ بِهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ
وَتُعَلِّمُ الْأَنْوَاءَ وَالْمَنَازِلُ ٥ ذَا طَالِعٍ مِنْهَا وَهَذَا آفِلُ
شَوَاهِدُ تَشْهَدُ بِالتَّوْحِيدِ لِلوَاحِدِ الْمُبْتَدِعِ الْحَمِيدِ ^(١)
وَاسْمُ إِلَى ^(٢) تَفَكَّرِ فِي النَّفْسِ تُبَصِّرُ قُوَاهَا فِي مَحَلِّ الْقُدْسِ
بِحَجْمِ ^(٣) جِسْمِ الْعَالَمِ الْمُحِيطِ الْمُسْتَدِيرِ الشَّكْلِ ذِي التَّخْطِيطِ
وَانْظُرْ إِلَى التَّسْخِيرِ فِيهَا لِأَزْمَا يَوْمُهُمَا كَمَا يَوْمُ الْعَالَمَا
يَلْحَقُهَا النُّقْصَانُ وَالزِّيَادَةُ ١٠ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ لَهَا إِرَادَةُ
مِنْ ذَاتِهَا فِي حَالَةِ التَّصْرِيفِ ^(٤) فَهِيَ تَنْقَادُ إِلَى التَّكْلِيفِ
لِقُوَّةِ الْعَقْلِ الَّذِي يَحْمِلُهَا فَهُوَ إِلَى اخْتِيَارٍ يَنْقَلِبُهَا
إِذْ هُوَ أَعْلَى رُتْبَةً وَأَشْرَفُ مِنْهَا إِذَا حَصَّاهُ وَالْطَّفُ
لَكِنَّهُ تَلَحُّقُهُ الْآفَاتُ مِنْ غَيْرِهِ وَالْعَجْزُ وَالْعَاهَاتُ
فَدَلَّ ذَلِكَ أَنَّ رَبًّا فَوْقَهُ ١٥ بَايَنَ بِالذَّاتِ وَالْأَسْمِ خَلْقَهُ
يَمْلِكُهُ وَكُلَّ مَا سِوَاهُ مَلَكٌ إِحَاطَةٌ ^(٥) قَدْ احْتَوَاهُ
وَكَمْ لَهُ فِي خَلْقِهِ مِنْ آيَةٍ تُنَبِّئُ أَنْ لَيْسَ لَهُ نِهَآيَةٌ
يُبَصِّرُهَا ذُو الْفِطَنِ الصَّحِيحَةُ إِنَّ أَعْمَلَ الْفِكْرَةَ وَالْقَرِيحَةَ

(١) ت ، لب : المجيد (٢) و ، ت ، لب : واسم إلى التفكير نحو النفس

(٣) و ، ت ، لب : تحمل (٤) و ، ت ، لب : التصرف ... التكلف

(٥) ت ، لب : أحاطه

واعتبر المقاييس المطردة فبعضها ببعضها معتزلة
بيننة في حجاج القول شاهدة بالصدق للرَسُول

بدء الخليقة وذرء البرية

- أقول قولاً ليس بالمتنهد
إن مقال المسلمين اتفقا
من غير أصل أو مثال شيء
أبدع تكوين المبادئ الأولى
وكان بدء الخلق في يوم الأحد
خلق الله السموات والأرض
أخرج من ماء دُخاناً فسما
أسكن فيها الجن قبل آدم
وآدم صور من صلصال
ثم برا لآدم حواء
فكنا مقدار ربع يوم
بالهند حيث العود والقرنفل
فولدا هابيل ثم قابيل
كما حكى في قصص القرآن
من قتل هابيل ببغي الحسد
فقال ما يروى من القريض
- ولي لسان كشبها المهندي
أن إله العالمين خلقا
مكون من ميت أو حي
بقدره عظمية لم تزل
وتم في يوم العروبة العبد
كما عن^(١) الرسول في الذكر تلا
ثم دحا الأرض ليملأها
فأتقن الرحمن خلق العالم
فكان منه جملة الأنسال
فسكنا جننته العلياء
وأهبطا منها هبوطاً لوم
والمسك والكافور ثم الصندل^(٢)
ليقضى الخلق أمراً كائنا
شأنهما في محكم القرآن
قضاء باري^(٣) الباريات الأحد
آدم قول الأسف المهيض

(١) كذا بالأصول ولعلها : على

(٢) ت ، لب : المنديل

(٣) ت ، لب : مبدى المبديات

- ثم خلا بزوجه لما سلا
سماء شيثا آدم أبوه
فعاشر تسع مائة سنينا
ثم تولى الحكم شيث بعده
وأن شيث غشي امراته
فانتقل النور إليه فأضا
فولدت فتيان لأنوش
ثم ابنه من بعد مهلاييل
ثم ابن مهلاييل يرد ملكا
وقام بعده ابنه خنوخ
ثم متوشلخ ابنه والنور
وقام لملك بعده ذا فضل
وناح^(٣) نوح والفساد قد ظهر
فصار في الفلك وقد عمّ الفرق
ثم نجا ومعه أولاده
ويافث فالنسل منهم كائن
- فحملت حواء منه رجلا
فكان في سيرته يتلوه
آدم بعد ثم ثلاثينا
فسد في أحكامه مسده
فحملت أنوش^(١) فاسمع نعتة
وكان يقف وفعل من قبل مضي
فصار ذا ملك وذا جيوش
والعهد مأخوذ فا يقبل
والنور موروث يجلي الحلكا
ضمن هذا كله التاريخ
في وجهه والشرف المذكور^(٢)
في كائنات واختلاط نسل
وصنع السفينة ذات الدسر
من جحد الله تعالى وفسق
سام وحام وهما عتاده
تحويرهم الأفاق والمدائن

الأنبياء المنصوص على قصصهم في القرآن

ونعمة الله ببعث الرسل بحمدِها ينطق كل مقول

(٢) هـ ، ت ، ب : المأثور

(١) ت ، ب : يانوس

(٣) هـ ، ت ، ب : وقام

أُولَهُمْ آدَمُ الصَّفِيُّ وَآخِرُهُ مُحَمَّدُ النَّبِيُّ
أَرْسَلَهُمْ طَرًّا لِيَهْدُوا النَّاسَ مُؤَلَّفًا بِالدَّعْوَةِ الْأَجْنَاسَا
فَادْخَسُوا كُلَّ مَقَالٍ زَائِفٍ أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ صَفْوَةٍ خَلَائِفِ
تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكُ الْكَرَامُ بِكُلِّ مَا يُرِيدُهُ الْعَالَمُ
فَبَيَّنُوا الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَأَنْفَذُوا الْأُمُورَ وَالْأَحْكَامَا
حَتَّى بَدَا الصُّبْحُ لَدَى عَيْنَيْنِ وَأَسْمَعُوا مَنْ كَانَ ذَا أُذُنَيْنِ
تَأَلَّفَهُمْ^(١) صَحَابَةُ أَجْمَادُ أُسْدُ حُرُوبٍ قَادَةُ أَنْجَادُ
حَتَّى هَدَى اللَّهُ بِهِمْ مَنْ اهْتَدَى لَوْلَاهُمْ لِأَصْبَحَ النَّاسُ سُدًى
فَاخْتَصَّ كُلُّ مُرْسَلٍ بِمُعْجَزَةٍ مِنْ آيَةٍ وَكَلِمَاتٍ مُوجِزَةٍ

٥

الخلفاء الأربعة ومن تلاهم من بنى أُمِّيَّة

١٠

ثُمَّتَ خَصَّ الْخُلَفَاءَ الْأَرْبَعَةَ فَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِمْ مَا صَنَعَهُ
فَاسْتُخْلِفَ الصِّدِّيقُ ثَانِي اثْنَيْنِ ذَاكَ أَبُو بَكْرٍ بَغِيرَ مَيِّنِ
جَرَّدَ فِي جِهَادِ أَهْلِ الرَّدَّةِ وَلَمْ يَكُنْ يَرْضَى بَغِيرَ الشَّدَّةِ
ثُمَّ تَوَفَّاهُ الْإِلَهِ رَاضِيَا وَكَانَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ مَاضِيَا
ثُمَّ تَوَلَّى عَمْرُ الْقَارُوقُ فَالْقَامَتْ مِنْ بَعْدِهِ الْفُتُوقُ
وَاسْتَعْمَلَ الْبُعُوثَ وَالْأَجْنَادَا وَأَلْفَ الْحُرُوبِ وَالْجِهَادَا
حَتَّى أَتَتْهُ مِحْنَةُ الشَّهَادَةِ فَهَيَّأَ اللَّهُ لَهُ السَّعَادَةَ
فَصَيَّرَ الشُّورَى إِلَى أَصْحَابِهِ سِتِّهِمْ وَهُوَ يَشْكُو مَا بِهِ
فَأَثَرُوا عُثْمَانَ بِالْخِلَافَةِ وَكَانَ لِلَّهِ ذَا مَخَافَةِ

١٥

- فَمَهَّدَ الْأُمَّةَ ذُو النُّورَيْنِ
إِذْ حَصَرُوهُ فِي حَرِيمِ الدَّارِ
طُوبَى لَهُ مِنْ أَشْمَطِ قَتِيلٍ
بُؤْسًا لِقَوْمٍ قَتَلُوا عُمَانَا
ثُمَّ تَوَلَّاهَا أَبُو السَّبْطَيْنِ
عَلَى ذُو الْعُلُومِ ^(٢) وَالشَّجَاعَةِ
فَسَارَ طَلْحَةُ مَعَ الزُّبَيْرِ
وَخَرَجَتْ عَائِشَةُ لِلصُّلْحِ
فَشَبَّتِ الْحُرُوبُ يَوْمَ الْجَمَلِ
وَقُتِلَ الزُّبَيْرُ قَبْلَ الْمَلْحَمَةِ
وَنَارَتِ الْحُرُوبُ بِالْخَوَارِجِ
ثُمَّ مَضَى عَلَى إِلَى مُعَاوِيَةَ
فَاجْتَمَعُوا لِلْحَرْبِ فِي صِفِينَا
وَدَامَ فِي حُرُوبِهِ عَلَى
حِينَ أَصَابَتْهُ يَدَا ابْنِ مُلْجَمٍ
تَبَّأَ لَهُ مِنْ خَارِجٍ فَاسِيقٍ
فَاغْتَالَهُ وَهُوَ يُنَادِي سَحَرَا :
ثُمَّ تَوَلَّى الْحَسَنُ الْإِمَامَةَ
وَحَقَّنَ اللَّهُ بِهِ الدَّمَاءَ
- حَتَّى سَقَاهُ اللَّهُ كَأْسَ الْحَيْنِ
مُسْتَسْلِمًا مِنْ غَيْرِ مَا أَنْصَارِ
يَقُومُ طُولَ اللَّيْلِ بِالتَّنْزِيلِ
إِذْ تَقَمُّوا اسْتِخْلَاصَهُ ^(١) مَرْوَانَا
ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ
وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَذُو الْبِرَاعَةِ
إِلَى الْعِرَاقِ فِي أَحْتٍ سَيْرِ
فَانْصَرَفَتْ وَالْحَرْبُ ذَاتُ كَلْعٍ
حَتَّى أُصِيبَ طَلْحَةُ فِي الْمَقْتَلِ
مُنْصَرَفًا عَنْهَا حَلِيفٌ مَنُذِمَةٌ
أَصْلَاهُمْ بِالنَّارِ ذُو الْمَعَارِجِ
فَاضْطَرَبَ الْأَمْرُ بِعَمْرِو الدَّاهِيَةِ
فَأَيَّتَمُّوا الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ
حَتَّى دَهَاهُ حَادِثٌ وَبِي ^(٣)
نَخْضَبَ الْمَفْرَقَ مِنْهُ بِالْدَّمِ
خَالَفَ فِي التَّنْزِيلِ أَمْرَ الْخَالِقِ
قُومُوا إِلَى الصَّلَاةِ يَدْعُو مُنْذِرًا
فَمُنِحَتْ بِيَمِينِهِ السَّلَامَةُ
وَأَذْهَبَ الْمِحْنَةَ وَاللَّوَاءَ

(٢) ، ت ، ب : ذُو الْعِلْمِ وَذُو الشَّجَاعَةِ

(١) : اخْتِصَاصُهُ

(٣) ر : حَانَفٌ دَهَى

- وسَلَّمَ الأمرَ إلى مُعَاوِيَةَ
فَصَارَ فِيهَا ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ
وَكَانَ فَرْدًا فِي النَّهْيِ وَالْحِلْمِ ^(٢)
فَانْتَقَلَ الأمرُ إِلَى يَزِيدِ
مُجْتَرِمًا فِي قَتْلِهِ الْحُسَيْنَا
حَتَّى أَتَاهُ الْمَوْتُ حَتَفَ أَنْفَهُ
ثُمَّ أَبُو لَيْلَى تَوَلَّى الْحُكْمَا
وَكَانَ لَا بَأْسَ بِهِ فِي السَّيْرِ
فَاسْتَخْلَفُوا مَرْوَانَ نَجَلَ الْحَكَمِ
فَأَوْقَعَتْهُ زَوْجُهُ فِي عَطْبَةٍ
يَقُولُهَا لابْنُ يَزِيدَ خَالِدِ
وَكَانَ ذَا بَأْسٍ وَذَا دَهَاءِ
يَقْتَحِمُ الْحَرْبَ بِجَاشٍ رَابِطِ
ثُمَّ تَوَلَّى الأمرَ عَبْدُ الْمَلِكِ
لَكِنَّهُ كَانَ شَدِيدَ الْحَزْمِ
وَكَانَ مِنْ عُمَالِهِ الْحِجَابُ
حَتَّى إِذَا بَابُ الزُّبَيْرِ ظَفِرَا
- ٥
- ١٠
- ١٥
- حَيَاتِهِ وَصَارَ ^(١) عَنْهَا نَاحِيَةً
بَسِيرَةً لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
حَتَّى رَمَاهُ حَيْفُهُ بِسَهْمِهِ
فَخَادَ عَنْ مَنَاهِجِ التَّسْدِيدِ
وَجَاءَ فِي الْحَرَّةِ فَقَلًّا شَيْنَا
فَلَمْ تَكُنْ لَهُ يَدٌ فِي صَرْفِهِ
فَعَاقَهُ حِمَامُهُ إِذْ حُمَا
ثُمَّ انْقَضَتْ مُدَّتُهُ الْبَسِيرَةُ
طُوبَى لَهُ مِنْ مَلِكٍ مُحْتَرَمٍ ^(٣)
إِذْ أَنْفَتَ مِنْ قَوْلِهِ : ابْنُ الرُّطْبَةِ
سَلِيلُهَا غَضِبَانَ قَوْلَ حَاقِدٍ ^(٤)
وَبَسْطَةَ فِي الْعِلْمِ وَالذِّكَا
كَفَعْلِهِ فِي يَوْمِ مَرْجٍ رَاهِطِ
وَكَانَتْ الدِّمَاءُ ^(٥) بِهِ لَمْ تُسْفِكْ
أَبُو الْخَلَائِفِ الرَّضِيُّ الْحَكَمِ
سِرَاجُهُ فِي خَطْبِهِ الْوَهَّاجِ
وَكَانَ فِي مَكَّةَ يَعْلُو الْمُنْبَرَا

(٢) ر : العلم

(١) ه : سار

(٣) ر : محتزم — لب : محتزم

(٤) لم يرد هذا البيت إلا في نسختي ت ، لب

(٥) ه : لب : فسكان للدماء غير مسفك — لب : عين

- للحرَمينِ والعراقِ مالِكا ومُصْعَبُ أَخٍ لَهُ هُنَالِكا^(١)
 سَقَاهُ كَأْسًا مِرَّةَ الْمَزَاجِ وَكَانَ لِلْحُرُوبِ ذَا اهْتِاجِ^(٢)
 وَثَارَتِ الْحَرْبُ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ^(٣) فَاغْتَالَهُ الْحِجَابُ لَمَّا يَلْبَثُ
 وَغَلَبَ الْبَغَاةَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِالْحَزْمِ وَالْجِدِّ وَعَزَمَ مُوشِكُ
 حَتَّى تَوَفَّاهُ مَزِيلُ مُلْكِهِ فَوَلَّى الْوَلِيدُ بَعْدَ هُلَاكِهِ •
 وَكَانَ فِي السَّيْرِ لَدُنَّا لَيْنَا مُسْتَمْسِكًا حَتَّى أَذِيقَ الْحَيْنَا^(٤)
 وَقَدْ بَنَى الْجَامِعَ فِي دِمَشْقٍ مُقْتَصِدًا فِي ذَاكَ وَفَقَ الْقَصْدِ
 فِي عَهْدِهِ فَتَحَّ أَنْدَلُوسَا^(٥) طَارِقُ مَوْلَى ابْنِ نُصَيْرٍ مُوسَى
 فِي عَامِ تِسْعِينَ مَضَتْ وَاثْنَيْنِ ثُمَّ سَقَاهُ الدَّهْرُ كَأْسَ الْحَيْنِ^(٦)
 ثُمَّ سُلَيْمَانُ تَوَلَّى الْمُلْكَ وَسَاسَهُ^(٧) حَتَّى تَوَلَّى هُلَاكَا ١٠
 وَكَانَ ذَا غَزْوٍ وَذَا حُرُوبٍ فِي الرُّومِ لَا يُبْقَى عَلَى الدُّرُوبِ^(٨)
 نَعَتْ إِلَى نَفْسِهِ جَارِيَتُهُ يَوْمًا وَكَانَتْ أَعْجَبَتْهُ بَرَّتُهُ

(١) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب

(٢) زيدت في ت ، لب : شطرة بيت هذا نصها :

■ في الحرب لبثاً لا يطاق بأسه ■

(٣) لم يرد هذا الشطر في ت ، لب

(٤) هذا البيت والذي يليه لم يردا إلا في ت ، لب

(٥) ر ، و : الأندلسا (٦) رواية ت ، لب :

في زمن الوليد دون مين في عام تسعين مضت واثنين

وبل ذلك

ثم أذيقَ حينه الوليدُ فضمه في الجدث الصعيد

(٧) ت ، لب : يسوسه (٨) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب

وكان ذا حُسنٍ وذا جمالٍ بين شبابٍ راقٍ واكتال^(١)
 فأنشدتُ بَيْتَيْنِ مِنْ قَرِيضٍ حَتَّى مَسِيرَهُ إِلَى الْجَرِيضِ
 ثُمَّ تَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدُ عُمَرُ وَكَانَ فِي الْعَدْلِ إِمَامًا يُؤْتَرُ
 زُهْدًا وَعِلْمًا وَاعْتِدَالًا وَتَقَى حَتَّى اغْتَدَى فِي الْأَمْرِ فِرْدًا مُنْتَقَى^(٢)
 قَفَا^(٣) سَبِيلَ جَدِّهِ الْفَارُوقِ وَدَحَضَ الْبَاطِلَ بِالْحَقُوقِ
 إِلَى انْتِهَاءِ الْحَتَمِ مِنْ مُدَّتِهِ فَصَارَ عِنْدَ اللَّهِ فِي رَحْمَتِهِ
 ثُمَّ تَلَاهُ وَالْيَا يَزِيدُ فَظَلَّ فِي سِيرَتِهِ يَحِيدُ
 تُصْبِحُهُ سَلَامَةٌ شَرَابَةٌ وَرُبَّمَا تُغْبِقُهُ حَبَابَةٌ^(٤)
 حَتَّى أَتَاهُ الْحَيْنُ بَعْدَ حَيْنِهَا وَبَانَ عَنْهُ الْمُلْكُ عِنْدَ بَيْنِهَا
 فَصَارَ فِي الْأَمْرِ هِشَامٌ يَحْكُمُ يَسُوسُ فِي سِيرَتِهِ وَيَحْزُمُ
 قَتَلَ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِ قِتْلًا لَمْ [يَكُنْ] فِيهِ حَرَجٌ^(٥)
 فَدَامَ فِي جَدِّهِ إِلَى أَنْ مَاتَا وَزَالَ عَنْهُ مُلْكُهُ وَقَاتَا
 فَصِيرَ الْمُلْكَ إِلَى الْوَلِيدِ فَلَمْ يَكُنْ فِي الْحُكْمِ بِالسَّيِّدِ
 لَمَّا اغْتَدَى مُشْتَغَلًا بِالْخَمْرِ وَبِالْأَغَانِي وَبِالسَّمْعِ الزَّمْرِ
 فَأَهْلَكَ الْأُمَّةَ بِخِلَاعَتِهِ فَانْخَلَعُوا لَذَاكَ عَنْ طَاعَتِهِ^(٦)
 حَتَّى نَوَى مُعْتَبِقًا حُسَامَا مُنْصَلِتًا مُعْتَبِقًا مُدَامَا

(١) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب (٢) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب

(٣) ت ، لب : يقفو ... ويدحض

(٤) هذا البيت والذي يليه لم يردا إلا في ت ، لب

(٥) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب (٦) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب

- يا عَجَبًا مِنْ ذَاكَ كَيْفَ جازَا^(١) وَقَدَّمُوهُ دُونَ أَنْ يُمَازَا
فِي الْعَقْلِ وَالدينِ بِلَا مَثِيلِ وَهَكَذَا الْأَكْثَرُ فِي التَّحْصِيلِ^(٢)
لأنَّهُمْ قَدْ كَتَمُوا النَّصُوصَا فَأَشْبَهُوا السَّبَاعَ وَاللَّصُوصَا
وَقَدَّمُوا ابْنَ عَمِّهِ يَزِيدَا فَكَانَ فِي سِـيـرَتِهِ سَدِيدَا
ذَا وَرَعَ عَدْلًا رِضًا صَوَامَا يَتَلَوُ كِتَابَ رَبِّهِ قَوَامَا
فَدَامَ فِي الْأَمْرِ شُهُورًا خَمْسَا حَتَّى تَوَى فَضَمَّنُوهُ الرَّمْسَا
فَقَدَّمُوا أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَا وَخَلَعُوهُ بَعْدَ ذَا ذَمِيمَا
وَاسْتَخْلَفُوا مِنْ بَعْدِهِ مَرْوَانَا فِي طَالِعِ مَا إِنْ عَدَا كَيَوَانَا
فَبَايَعَ النَّاسُ لَهُ بِالْأَمْرِ فَصَلَّى الْقَوْمُ بِهِ فِي جَمْرٍ
وَقَتَلَ الْإِمَامَ إِبْرَاهِيمَا وَكَانَ مَا اجْتَرَمَهُ عَظِيمَا
وَقَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ بِهِ إِلَى حِمَامِهِ وَحِينَ نَحْبِهِ
إِذْ سَارَ صَالِحٌ مَعَ الْمُسَوَّدَةِ إِلَى خُرَاسَانَ بِجُنْدٍ جَنَدِهِ
فَسَيقَ مَرْوَانُ إِلَى الْحِمَامِ طُوقَ طُوقَ الصَّارِمِ الْحُسَامِ
وَانْقَرَضَ الْأَمْلَاقُ مِنْ أُمِّيهِ وَالْمَوْتُ قُصْرَى كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ

١٥

الدولة العباسية

- فَصَارَ فِي الْأَمْرِ بَنُو الْعَبَّاسِ فَلَمْ يَكُنْ فِي حُكْمِهِمْ مِنْ بَاسٍ
أَوَّلُ أَمْلَاقِهِمُ السَّفَاحُ خَبَّرَ مِنْهُ الْقَذْلُ وَالصَّلَاحُ
لَكِنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْقَتْلِ فِي عَمْدِ شَمْسٍ طَالِبًا بِذَخْلِ
دَعَا أَبُو سَلَمَةَ الْخَلَالُ إِلَيْهِ فَاثْقَادَتْ لَهُ الرِّجَالُ

(١) م : حازا

(٢) هذا البيت والذي يليه لم يردا إلا في ت ، ب

فَكَانَ رَأْسَ مُظْهِرِي دَعْوَتِهِ
إِذْ كَانَ قَدْ مَالَ إِلَى آلِ عَلِيٍّ
فَدَسَّ مَنْ سَاوَرَهُ جُنْحَ الْعَبَشِ
كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ السَّرَّاجُ
قَدْ سَوَّدُوا الشِّيَابَ ^(١) وَالرَّايَاتِ
يَدْعُونَ فِي بِلَادِ خُرَاسَانَا
فَقَتَلُوا مَرْوَانَ فِي بُوَصٍ —————
لَمَّا رَأَى رَأْسًا لِمَرْوَانَ قُطِعَ
وَكَانَ لَا يَقْبَلُ ذَا نَمِيمَةٍ
وَكَانَ ذَا عِلْمٍ وَذَا أَنَاةٍ ١٠
حَتَّى حَوَاهُ بَعْدَ قَصْرِ جَدَثُ
فَضِيرُ الْأَمْرِ إِلَى الْمَنْصُورِ
إِذْ كَانَ ذَا سِيَاسَةٍ وَحَزْمٍ
فَخَرَجَتْ بِمَكَّةَ وَيَثْرِبَ
فَأَلَّتِ الْحَرْبُ ^(٥) إِلَى اهْتِيَاجِ ١٥
فَاحْتَالَ حَتَّى اغْتَالَهُ الْمَنْصُورُ
فَخَلَصَ الْأَمْرُ لِأَبِي جَعْفَرٍ
نَخَافَ مِنْهُ الْقَدْحَ فِي دَوْلَتِهِ
مُشَايَعًا مَنْ رَامَ مِنْهُمْ أَنْ يَلِي
بِأَسْمَرٍ أَذْلَقَ كَالصَّلِّ نَهَشَ
فِي عَسْكَرٍ نَجَّرَ لَهُ عَجَاجُ
يَبْغُونَ مِنْ إِنَارَةِ الثَّارَاتِ
بِطَاعَةِ السَّفَاحِ لَا مَرْوَانَا ^(٢)
فَسَجَدَ السَّفَاحُ لِلْقَدِيرِ
فِي طَبَقٍ بَيْنَ يَدَيْهِ قَدْ وُضِعَ
مُجَانِبًا لِلشِّمِّ الدَّمِيمَةِ
مُقْتَدِيًا بِآلِهِ الْهُدَاةِ ^(٣)
وَصَارَ حَتَّى الْحَشْرِ فِيهِ يَلْبَثُ
فَأَحْكَمَ التَّيْدِيرَ لِلْأُمُورِ
مُسَدِّدَ الرَّأْيِ قَوِيَّ الْعَزْمِ
طَالِبُ بَلَاءِ آلِ أَبِي طَالِبٍ ^(٤)
مَعَ أَبِي مُسْلِمٍ السَّرَّاجِ
لَمَّا أَتَاهُ الْقَدْرُ الْمَقْدُورُ
مَهْنَةً مِنْ غَيْرِ مَا تَكْدُرُ ^(٦)

(١) ت ، لب : الهيئات

(٢) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب (٣) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب

(٤) لم يرد هذا البيت إلا في نسختي ت ، لب

(٦) ت ، لب : مكدر

(٥) ت ، لب : الحال

- حَقَّى تَوْفَى فِي طَرِيقِ مَكَّةَ
فَوَلَّى الْأَمْرَ ابْنُ مَهْدِيٍّ
وَهُوَ مَمْدُوحُ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ
مُسَبِّحًا بِمُتَبِعَةِ مَحْبُوبَتِيهِ
لَابْنَتِهِ عَلِيَّةٍ شِعْرُ فَشَا
وَكَاثٍ يَشْتَدُّ عَلَى الزَّادِقَةِ
إِذْ كَانَ فِي الْعَدْلِ إِمَامًا مُقْسِطًا
فَوَلَّى الْهَادِي ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ
عَدْلًا إِلَى أَنْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ
فَصَارَ هَارُونُ الرَّشِيدُ تَالِيًا
فَشَيْدَ الْمُلْكَ وَأَعْلَى كَعْبِهِ
وَاسْتَوَزَرَ الْبَرَامِكَ الْأَمْجَادَا
حَتَّى دَهَامَ حَادِثُ الْأَيَّامِ
ثُمَّ دَهَى الْحَيْنُ الرَّشِيدَ فَاخْتَرِمَ
ثُمَّ وَلَّى مُحَمَّدُ الْأَمِينُ
فَلَمْ يَزَلْ مُسْتَفِلًّا بِاللَّهِوِ
يُنَشِّدُهُ أَبُو نُوَّاسٍ الْحَسَنُ
أَشْعَارَهُ فِي الْحَمْرِ وَالْغِلْمَانِ
- وَبَزَّتْ ^(١) الْأَيَّامُ عَنْهُ مُلْكُهُ
ذُو السَّيْرَةِ الْحُسْنَى الرِّضَا السَّرِيُّ
فِي غَيْرِ مَا قَصِيدَةٍ وَقَافِيَةٍ
فِي كُتُبِ التَّارِيخِ ذِكْرُ قِصَّتِهِ
وَقِصَّةٌ فِي شَأْنِ طَلِّ وَرَشَا
وَمَنْ غَلَا يُرْضَى بِذَلِكَ خَالِقُهُ
حَقَّى أَنَاهُ حَيْنُهُ فَاعْتِطَا ^(٢)
فَسَارَ فِي سَيْرَتِهِ وَقَصْدِهِ
فَعَاقَ عَنْ مَأْمُولِهِ حَامُهُ
لِلْمَلِكِ الْهَادِي إِمَامًا وَآلِيَا
حَزْمًا وَعَزْمًا وَأَذَلَّ صَعْبَهُ ^(٣)
فَاسْتَوْسَقَ الْأَمْرُ ^(٤) بِهِمْ وَزَادَا
وَكُلُّ عَيْشٍ فَإِلَى انْصِرَامِ
وَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي الْعِبَادِ قَدْ حُتِمَ
فِي طَالِعِ حُلٍّ بِهِ التَّنِينِ
فِي غِرَّةٍ وَمَهْمَلَةٍ ^(٥) وَزَهْوِ
وَكَانَ يَمْنَنُ شَأْنُهُ التَّمَجُّنُ
فِيحْتَذِي مَقَالَهُ ^(٦) ابْنُ هَانِي

(٢) هذا البيت لم يرد إلا في ت ، لب

(٤) ه ، ت ، لب : الملك

(٦) ه : مقالة

(١) ر : قرت

(٣) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب

(٥) ه ، ت ، لب : مهملة

حَتَّى أَتَاهُ الْحَتَفُ بِالْمَأْمُونِ
 أَنْحَى^(١) عَلَيْهِ طَاهِرٌ فَاغْتَالَه
 وَدَارَتْ الْحُرُوبُ فِي بَغْدَادِ
 فُجَاءَهَا الْمَأْمُونُ عَبْدُ اللَّهِ
 حَتَّى اغْتَدَتْ فِي زِينَةِ الْقُرُوسِ
 إِذْ بَايَعَ النَّاسُ لَهُ فَسَلَمُوا
 وَكَانَ فِي سَيْرَتِهِ الْمَأْمُونُ
 ذَا بَصِيرٍ بِالْعِلْمِ وَالْكَلَامِ
 وَكَانَ فِي أَيَّامِهِ ابْنُ أَكْثَمَ
 لَهُ حَدِيثٌ مَعَهُ مُسْتَظَرَفٌ^(٢)
 وَثَارَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ
 فَعَاثَهُ عَمَّا أَرَادَ الْقَدَرُ
 وَاسْتَوَزَرَ الْحَسَنَ نَجَلَ سَهْلٍ
 مُصَاهِرًا لَهُ بِبُورَانَ ابْنَتِهِ
 فَصَدَّ عَمَّا يَنْتَحِيهِ^(٣) الْحَسَنُ
 فَأَصْبَحَ الْمَأْمُونُ بَعْدَ الْحَسَنِ
 مُوَرِّيًا إِذْ كَانَ قَدْ سَقَاهُ
 وَبَايَعَ الْمَأْمُونُ مُوسَى^(٤) الرِّضَا
 فَصَارَ رَهْنًا فِي يَدِ الْمَنُونِ
 قَتْلًا وَعَنْ سُلْطَانِهِ أَزَالَهُ
 وَآلَ أَمْرُهَا إِلَى الْفَسَادِ
 فَزَاحَ^(٥) عَنْهَا كُلَّ أَمْرِ دَاهٍ
 وَغَابَ عَنْهَا كَوْكَبُ النُّجُوسِ
 وَأَشْرَقَ الدَّهْرُ وَكَادَ يُطْلِمُ
 عَذْلًا رِضًا لَهُ تَقَى وَدِينُ
 مُفَوَّهَاً بِالنَّشْرِ وَالنِّظَامِ
 قَاضِيهِ يَحْيَى اللُّوْذَعِيُّ الْمَفْهِمُ
 وَكَانَ ذَا فَتْوَى لَهُ تَصَرَّفُ
 عَلَيْهِ وَالطَّالِعُ غَيْرُ سَعْدٍ
 فُجَاءَهُ مُنْهَزِمًا يَعْتَذِرُ
 إِذْ نَاهَزَ الْحَسَنُ سِنَّ الْكَهْلِ
 مُنَوَّهَاً مِنْ جَاهِهِ وَحُرْمَتِهِ
 وَشَكَّ حِمَامٍ بِدِفَاعٍ قَدْ دَنَا
 مُرْزًى يَلْبَسُ ثَوْبَ الْحَزَنِ
 سُمًّا وَحَيًّا قَاطِعًا حَشَاهُ
 ثُمَّ قَضَى اللَّهُ لِمُوسَى مَا قَضَى

٥

١٠

١٥

(٢) وه ، ت ، ب : فأتاح

(١) وه : عدا

(٣) وه ، ت ، ب : مستطرف ... نظرف (٤) ر : ينتهيه

(٦) كذا في الأصول . وصوابها :

(٥) وه ، ت ، ب : إذ

على الرضا . وبلاحظ أن الناظم خلط كذلك بين الحسن والفضل ابني سهل

فَدُفِنَ الرِّضَا مَعَ الرَّشِيدِ ثُمَّ ثَوَى الْمُأْمُونُ فِي جِهَادِهِ
 رَهْنًا بِمَا قَدَّمَهُ مِنْ زَادِهِ وَصَيَّرَ الْمَلِكُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ
 فَأَسْتَفْتَحَ الْمُعْتَصِمُ الْأُمُورَ فَعَاقَهُ عَنْ ذَلِكَ أَمْرٌ مُزْعِجُ
 وَأَنَّ الْأَفْشِينَ بَدَأَ مِنْ كُفْرِهِ وَقَتَلَ الْمُعْتَصِمُ الْأَفْشِينَ
 أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ لَمَّا أَنْ بَغَى ثُمَّ دَهَى بَعْدُ الْإِمَامَ الْمُعْتَصِمَ
 فَبَوَّيَعَ الْوَائِقُ بِالْإِمَامَةِ وَإِنَّهُ كَانَ مُحِبًّا لِلنَّظَرِ
 ثُمَّ عَادَ الْوَائِقُ حِينَ نَزَلَا فَبَايَعُوا لَجَعْفَرِ التَّوَكُّلِ (٣)
 حَتَّى دَهَاهُ حَادِثٌ كَبِيرُ مَا لَا عَلَيْهِ إِبْنُهُ الْمُنْتَصِرُ
 فَبَايَعُوا مُحَمَّدَ الْمُنْتَصِرِ (٤) ثُمَّ سَقَاهُ الدَّهْرُ كَأْسَ الْحَتْفِ
 فَبَايَعُوا الْمُسْتَعِينَ أَحْمَدَ بَطَالِعَ النَّحْسِ بَغِيرَ أَسْعَدِ

(١) هـ : لا (٢) هـ : بالنق (٣) هـ ، ت ، ب : التوكل

(٤) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، ب

(٥-٥) هـ : هـ : مع ابنه الدعوى بالمستنصر (٦) هـ ، ر : هـ : غير

فاضطربت أحواله بالترك ولم يزل في نكد وضنك
جرعه المعتز من بغي^(١) جرع قتم المعتز ما قد أمـه
فلم يكن يحسن^(٢) في الأتراك من ضغطهم فبايعوا للمهتدي
ومات^(٣) في المجلس^(٤) بعد خلعه فقرضت للمهتدي أعراض
أظهر زهدا لم يوافق جنده فوجؤوه بشبا الخناجر
فولي المقتد الخليفة ١٠ وكان في حرب مع الصفار
حتى دهاه ما دهم البرية فولي الخلافة المعتضد
فخرجت في ملكه القرامطة ١٥ وكان بيدر^(٦) غلامه كلف
ووصلت قطر الندى إليه ولم يزل في نكد وضنك
فسلم الأمر إليه وانخلع والدهر يفرى^(٢) لو درى أجله
سيرته فحل في أشراك فانخلع المعتز يلقى باليد
فقمن يندبن نعاة ربه كان بها في ملكه انتقاض
وكف عنهم سببه ورفده فلم يكن للمهتدي من ناصر
فأثر اللذات والسلافه وغيره من سائر الثوار
فسلبته ملكه المنية وكان في حروبه يؤيد
بغيا^(٥) فأبدى فيهم مساحطة وكان بيدر^(٦) من غير كلف
بنت ابن طولون ثمارويه

(٢) م، ت، لب: يدي

(١) ر: نقي

(٤) ر: وبات

(٣-٣) م في ت، لب

(٥) ر: نغيا — ت: لب: قوم — والكلمة غير واضحة في م: ولعل الصواب

ما أثبتناه

(٦) م: البدر

- فكان منها في سرور وطرب
فصار في الأمر على المكتني
لكنه أذاق بذرا حثفه
ثم أتى المكتني الحمام
فصير الأمر إلى المقتدر
وابن المعتز قد غدا إماما
ولم يسع مراد عبد الله
وأذكرته حرقه الآداب
فدام في الأمر سنين جعفر
فشبت العروب في أيامه
فولى القاهر نجل المعتضد
يعيث^(٤) حتى سملت عيناه
فاستخلف الراضي أبو العباس
ذا أدب وذا قريض حسن
ثم تولى بعد ذلك المتقي
وباعوا من بعده المستكفي
فأخلصوا الطاعة للمطيع
- حتى دنا الحمام منه فذهب
فكان في السيرة عين المنصف^(١)
إذ كان على ملكه قد خافه^(٢)
وكان قد ساوره السقام^(٣)
بالله فجل المعتضد جعفر
فسامه المقتدر الحماما
لما دهاه بالنون دام
بالقدر السابق في الكتاب
حتى أتاه القدر المقتدر
فجرعته المر من حمامه
وكان فظ النفس ذا خلق نكد
إذ كان سهما يتقى شباه
فكان مشغوقا بشرب الكاس
وكان في العلوم ذا تفنن^(٥)
فما بقوا من بعده ولا بقي
ثم انزوى عن أمرهم مستعفيا
فأحسن السيرة في الجميع

(١) وه : منصف — ر : غير المنصف

(٢) لم يرد هذا البيت إلا في ت ، لب

(٣) الشطر الثاني مقدم على الأول في

(٤) ه ، ت ، لب : يعيث — شهيا

(٥) ه ، ت ، لب : يتقن

ثُمَّ رَحَىٰ بِنَفْسِهِ كَالْخَالِعِ ^(١) إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الْكَرِيمِ ^(٢) الطَّائِعِ
 طَاعُوا لَهُ ثُمَّ عَدَوْا عَلَيْهِ وَفَطَعُوا حَاجِزَ مَنَعَرِيهِ
 وَخَلَعُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ صَافِرًا وَبَايَعُوا ابْنَ الْمُتَّقِي الْقَادِرَا
 فَاسْتَوْسَقَ الْمَلِكُ لَهُ سِنِينَ ثَلَاثَةً — قَالُوا — وَأَرْبَعِينَ
 حَتَّى سَقَتْهُ ^(٣) أَكْوُسُ الْحَمَامِ وَكُلُّ مُلْكٍ فَلَئِي انْصِرَامِ
 ثُمَّ ابْنُهُ الْقَائِمُ بَعْدُ قَامَا وَسَارَ فِي سِيرَتِهِ ^(٤) أَعْوَامَا
 ثُمَّ انْتَهَى مُلْكُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَدَبَّرَ الْأَتْرَاكُ أَمْرَ النَّاسِ
 وَبَعْدَ حِينَ قَامَ فِي بَغْدَادِ مُقَدَّمٌ يُدْعَى بِأَرْسِلَانِ ^(٥)
 فَاسْرَ الْخَلِيفَةَ الْمَذْكُورَا وَكَانَ مَرَّةً بِالْثَّقَلَيْنِ مَشْهُورَا
 وَجَدَ فِي الْخَلْعِ بِكُلِّ جِهَةٍ وَصَرَفَ الدَّعْوَةَ لِلْعُبَيْدِي
 ١٠ فَخَرَّكَ الرَّحْمَنُ ذُو الْجَلَالِ لِنَصْرِهِ الْمَلِكَ الْمِهْكَالِي
 الثَّغْرُ لَبِكِي ^(٦) مَلِكَ الْأَغْزَاذِ فَقَتَلَ التُّرْكِيَّ بِالْأَهْـوَازِ
 وَنَصَرَ الْقَائِمَ خَيْرَ نَصْرِ وَأَنْفَرَدَ الْغَزَا بِضَبْطِ الْأَمْرِ
 ثُمَّ قَوَّى الْقَائِمُ بَعْدَ مُدَّةٍ وَبَايَعُوا لِمُقْتَدِيهِمْ بَعْدَهُ
 ١٥ ابْنُ ابْنِهِ أَحْمَدَ عَبْدَ اللَّهِ وَالْأَمْرُ لِلْعَادِلِ شَاهِنْشَاهِ ^(٧)
 وَبَايَعُوا مِنْ بَعْدِهِ إِذْ قُبِرَا وَسَلِيلَهُ أَحْمَدًا الْمُسْتَظْهِرَا
 ثُمَّ تَوَلَّاهُ ابْنُهُ الْمُسْتَرْشِدُ الْقَضَلُ فَاغْتَلَوْا بِهِ وَسَعَدُوا

(١) وه : بالنفس كالخالع (٢) ر : عبد الملك (٣) ت ، لب : سقى بأكوس

(٤) وه ، ت ، لب : سيرته

(٥) من هنا إلى أول دولة بني أمية لم يرد في وه ، ت ، لب

(٦) رسم الكلمة في الأصل : العلكي (٧) رسم الكلمة في الأصل : شاه شاه

وَشَدَّ أَرْزَ الْمُلْكِ وَالْخِلَافَةِ وَهَابَهُ عَدُوَّهُ وَخَافَهُ
فَهَوَّ إِلَى الْآنَ إِمَامُ الْخَلْقِ وَالْمُلْكُ لِلَّهِ الْإِلَهِ الْحَقِّ

دولة بني أمية بالأندلس

- وزمن الوليد كان فتحتها
وبعدكم حرب وكمن هول
استوسق الملك بهذي الناحية
ثم تولاه ابنه هشام
فبايعوا ابنه المسمى حكما (١)
فاعرض الملك (٢) له من اعترض
ثم تولي عابد الرحمن
ثم تولاه ابنه محمد
ذا بصير بالشعر والآداب
ثم ابنه المنذر وهو الأكبر (٣)
وبعد الناصر ذو البناء
وبعد المستنصر ابن الناصر
ذاك الذي مات مرارا ودفن
- بحسب ما تقدم قبل شرحها
ليوسف الفهري والضميل
لعابد الرحمن بن معاوية
حتى أتاه بعده الحما
فأبرم الملك له وأحكاما
فأوقع الصلب على أهل الربض
سليله أسخى بن مروان
وكان في السيرة ممن يحمده
وراسخا في العلم بالحساب
ثمت عبدا لله وهو الأصغر
خسین عاما صاحب الزهراء
وبعد هشام آل عامر
فانتفض التراب ومزق الكفن
- ١٠
١٥

(٢) و، ت، لب : الأمر

(١) و، ت، لب : الحكماء

(٣) هنا ينقطع القسم الأول من نسخة و : وبعد فراغ يتسع لنحو ستة أسطر (أي

نحو تسعة أبيات) تأتي ديباجة الانتهاء .

ذِكْرُ الْفِتْنَةِ الْأُولَى بِقُرْطَبَةِ

لَمَّا انْقَضَتْ دَوْلَةُ آلِ عَامِرٍ قَامَ بِهَا الْمَهْدِيُّ مِنْ آلِ النَّاصِرِ
 وَقَالَ عَنْ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ بَأَنَّهُ قَدْ صَارَ رَهْنُ الْمَلْحَدِ
 وَإِنَّمَا أَخْبَرَهُمْ بِبَاطِلِهِ وَالْمَرْءُ لَا يَسْطِيعُ قَتْلَ قَاتِلِهِ
 فِجَاءُهُ الْبَرْبَرُ فِي حَقْلِ الْجَنُودِ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ الْمُسَمَّى بِالرَّشِيدِ
 فَظَفِرَ الْمَهْدِيُّ بِابْنِ عَمِّهِ وَكَانَ ذَلِكَ زَائِدًا فِي غَمِّهِ
 فِي طَالِعٍ يَنْظُرُ مِنْهُ كَيَوَانُ فِجَاءُهُ الْبَرْبَرُ مَعَ سُلَيْمَانَ
 فَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ لَاحَ لَهُ مِنْ بَيْنِهَا الْهُرُوبُ
 فَأُظْلِمَتْ فِي عَصْرِهِ الْآفَاقُ وَعَمَّهَا الشَّقَاقُ وَالنَّفَاقُ
 فَاَنْصَرَفَ الْمَلِكُ إِلَى يَدَيْهِ فَهَجَمُوا مِنْ بَعْدِ ذَا عَلَيْهِ
 وَطَوَّقُوهُ بِسَبَا الْمُهَنْدِ بَيْنَ يَدَيِ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ
 فَسَلَّمَ الْأَمْرَ لِسُلَيْمَانِهِ وَهَشَمُوا هِشَامَ فِي أَكْفَانِهِ
 فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ سُلَيْمَانُ يَلِي حَتَّى انْبَرَى لَهُ ابْنُ حَمُودٍ عَلَى
 فَاسْتَوْسَقَ الْأَمْرُ لَهُ وَالطَّاعَةُ وَكَانَ فِيهَا زَعَمُوا تَلْقَاءَهُ
 فَاغْتَالَهُ الصَّقَلَبُ فِي الْحَمَامِ وَجَرَّعُوهُ أَكُوسَ الْحَمَامِ
 ثُمَّ انْقَضَى عَصْرُ بَنِي حَمُودِ وَالْحَرْبُ وَالْفِتْنَةُ فِي مَزِيدِ
 وَظَهَرَ الْمُسْتَظْهِرُ الْمَرْوَانِيُّ وَشِعْرُهُ مِنْ أَحْسَنِ الْمَعَانِي
 وَقَتَلُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ صَبْرًا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ قَلَدُوهُ الْأَمْرًا
 فَبَايَعُوا لِلنَّاصِرِ الْمُسْتَكْفِيِّ بَعْدَ خُطُوبِ طَالٍ فِيهَا وَصَفِي

فَفَرَّ عَنْهَا تَمَّ عَادَ الْمُعْتَلَى بِاللَّهِ يَحْيَى نَجْلُ حَمُودٍ عَلَى
تَمَّ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ الْمُعْتَدُ وَالْحَرْبُ فِي أَفْطَارِهَا تَشْتَدُّ
فَنَقَمُوا اسْتِخْلَاصَهُ لِلْحَائِكِ وَزِيرَهُ فَخَرَّ أَيْ هَالِكِ
وخلَعُوا مُعْتَدَهُمْ هِشَامًا وَسَجَنُوهُ عِنْدَهُمْ أَعْوَامًا

ذِكْرُ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ الثَّوَارِ بِالْأَنْدَلُسِ

بَعْدَ ذَهَابِ دَوْلَةِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَمْرَاءِ الْجَمَاعَةِ بِقُرْطَبَةِ

- | | |
|---|--|
| لَمَّا رَأَى أَعْلَامُ مِصْرِ قُرْطَبَةَ | أَنَّ الْأُمُورَ عِنْدَهُمْ مُضْطَرِبَةٌ |
| وَعُدَّتْ شَاكِلَةً لِلطَّاعَةِ | اسْتَعْمَلَتْ آرَاءَهَا الْجَمَاعَةُ |
| فَقَدَّمُوا الشَّيْخَ مِنْ آلِ جَهْوَرٍ | الْمُكْتَنَى ^(١) بِالْحَزْمِ وَالتَّسَدُّرِ |
| ثُمَّ ابْنَهُ أَبَا الْوَلِيدِ بَعْدَهُ | وَكَانَ يَحْدُو فِي السَّدَادِ قَصْدَهُ |
| فَجَاهَدَتْ ^(٢) فِي فَضْلِهَا الْجَهَاوِرَةَ | وَكُلُّ قُطْرٍ حَلَّ فِيهِ الْفَاقِرَةَ |
| مِنْ كُلِّ مُنْتَزِعٍ بِهَا وَثَائِرُ | وَعَادِلٍ عَنْ كُلِّ عَدْلٍ جَائِرٍ ^(٣) |
| فَالْتَفَرُّ الْأَعْلَى ثَارَ فِيهِ مُنْذِرُ | ثُمَّ ابْنُ هُوْدٍ بَعْدُ فِيمَا يُذَكِّرُ |
| وَابْنُ يَعْيشِ ثَارَ فِي طُلَيْطَلَةَ | ثُمَّ ابْنُ ذِي الثَّنُونِ تَصَفَّى الْمُلْكُ لَهُ |
| وَفِي بَطْلَيْوَسَ انْتَزَى سَابُورُ | وَبَعْدَهُ ابْنُ الْأَفْطُسِ الْمَنْصُورُ |
| وَنَارَ فِي حِمَصٍ بَنُو عِمَادٍ | وَالْحَرْبُ وَالْفُتُونُ فِي ازْدِيَادٍ |
| وَشَاعَ عَنْ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ | بِأَنَّهُ حَيٌّ وَلَمَّا يُلْحَدِ |
| وَأَنَّهُ جَاءَ مِنَ الْحِجَازِ | وَاحْتَلَّ فِي حِمَصٍ عَلَى الْمَجَازِ |
| وَقَالَ عَبَادُ بِهِ فَضْلًا دَقُّوا | بِأَنَّهُ حَيٌّ لَدَيْهِ يَرْزُقُ |
| فَنَصَبُوا دَعْوَتَهُ طِلَسْمَا | وَقَدْ مَحَا الْمَمَاتُ مِنْهُ الرِّسْمَا |

(١) ر : نائر

(٢) ت : لب : فجاهرت

(٣) ر : المعنى

فَعَبَدُوهُ مُـدَّةَ أَهْوَامَا إِذْ عَدَمُوا الْأَبَابَ^(١) وَالْأَحْلَامَا
ثُمَّ نَعَاهُ بِعَدَدِ ذَا عِبَادُ مِنْ بَعْدِ مَا طَاعَتْ لَهُ الْبِلَادُ
وَنَارَ فِي غُرْنَاظَةٍ حَبُوسُ ثُمَّ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ بَادِيسُ
وَأَلْ مَعْنِ مَلَكُوا الْمَرِيَّةَ بِسِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ مَرْضِيَّةَ
ذِكْرَهُمْ فِي غَيْرِ مَا قَصِيدِ يُشْرِقُ مِثْلَ النَّخْرِ بِالْفَرِيدِ
وَنَارَ فِي شَرْقِ^(٢) الْبِلَادِ الْفَتِيَانِ الْعَامِرِيُونَ وَمِنْهُمْ خَيْرَانِ
ثُمَّ زُهَيْرٌ وَالْفَقُّ لَيْبُ وَمِنْهُمْ مُجَاهِدُ اللَّيْبِ
سُلْطَانُهُ رَسَا بِمَرْسَى دَانِيَةِ ثُمَّ غَزَا حَتَّى إِلَى سَرْدَانِيَةِ
ثُمَّ أَقَامَتْ هَذِهِ الصَّقَالِيَّةُ لِابْنِ أَبِي عَامِرِهِمْ بِشَاطِئَةِ
وَجُلَّ مَا مَلَكَه بَلَدُ سِيَةِ وَنَارَ آلِ طَاهِرٍ بِمَرْسِيَةِ
وَبَلَدُ الْبُنْتِ^(٣) لَالٍ قَاسِمِ وَهُوَ حَتَّى الْآنَ فِيهِ حَاكِمِ
وَابْنُ رَزِينٍ جَارُهُ بِالسَّهْلَةِ أَهْلٌ أَيْضًا ثُمَّ كُلُّ الْمُهَلَّةِ
ثُمَّ تَمَادَتْ هَذِهِ الطَّوَائِفُ تَخْلُفُهُمْ مِنْ آلِهِمْ خَوَالِفُ^(٤)
دَانَتْ بِدِينِ الْجَوْرِ وَالْعُدُولِ إِذْ سُلِّبَتْ عَقَائِلَ الْعُقُولِ
فَأَهْمَلُوا الْبِلَادَ وَالْعِبَادَا وَهَطَّلُوا الثُّغُورَ وَالْجِهَادَا
وَاشْتَغَلَتْ أَذْهَانُهُمْ بِالْخَرِ وَبِالْأَغَانِي وَسَمَاعِ الزَّمْرِ^(٥)
وَزَادَهُمْ فِي الْجَهْلِ وَالْغِذْلَانِ أَنْ ظَاهَرُوا عِصَابَةَ الصُّلْبَانِ
لِمَا طَوَتْ صُدُورَهُمْ مِنْ غِلٍّ وَلاَخْتِبَارِ الْبَعْضِ حَالَ الْكُلِّ

(١) ت ، لب : شرق

(١) ت ، لب : العقول

(٢) رسم الكلمة في ت ، لب : الفت

(٤) ت ، لب : خلايف

(٥) هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية لم ترد إلا في ت ، لب

نَحَسَفَتْ [. . .] ^(١) بِالْأَرْضِ وَضَيَّقُوا مِنْ طُولِهَا وَالْعَرْضِ
فَاسْتَوْلَتْ الرُّومُ عَلَى الْبِلَادِ وَاسْتَعْبَدُوا حَرَائِرَ الْعِبَادِ
وَقَتَلُوا الرِّجَالَ كَيْفَ شَاءُوا وَضَاعَ دَلْوُ الدِّينِ وَالرِّشَاءِ
وَإِذَا أَطَالَ الْقَوْمُ أَسْرَى الْقَدَرُ نَحْوَهُمْ خَسَفًا وَمَا إِنْ شَعَرُوا

دولة المرابطين بالأندلس

فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَصْرَ الدِّينِ اسْتَصْرَحَ النَّاسُ ابْنَ تَاشِفِينَ
فَجَاءَهُمْ كَالْعُثَيْجِ فِي إِثْرِ غَسَقٍ مُسْتَدْرِكًا لِمَا تَبَقِيَ مِنْ رَمَقٍ
وَأَفَى أَبُو يَعْقُوبَ كَالْعُقَابِ فِجْرَدَ السِّيفِ عَنْ ^(٢) الْقِرَابِ
وَوَصَلَ السَّيْرَ إِلَى الزَّلَاقَةِ وَسَاقَهُ لِيَوْمِهَا مَا سَاقَهُ
لِلَّهِ دَرٌّ مِثْلُهَا مِنْ وَقَعَةٍ قَامَتْ بِنَصْرِ الدِّينِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
وَتَلَّ لِلشُّرْكِ هُنَاكَ عَرْشُهُ لَمْ يُغْنِ عَنْهُ يَوْمَهُ أَذُنُشُهُ
فَوَجَبَ الْخَلْعُ لِذِي الْخِلَاعَةِ وَصَرَّحُوا لِيُوسُفَ بِالطَّاعَةِ
وَاتَّصَلَ الْأَمْرُ عَلَى نِظَامٍ وَامْتَدَّ ظِلُّ اللَّهِ لِلْإِسْلَامِ
وَانصَرَفَتْ عَلَى الْعَدُوِّ الْكَرَّةُ وَرَجَعَ ^(٣) الْجَمْعُ كَأُولَى مَرَّةٍ
فَتَلَّكَ خَيْلُ اللَّهِ فِي الْعَدُوِّ تَعَيْثُ فِي الرُّوَّاحِ وَالْقُدُو ^(٤)
ثُمَّ وَلَّى عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ مُهْتَدِيًا حُكْمَ أَبِيهِ يَقْتَنِي
تَمَّتِ الْأَرْجُوزَةُ وَبَتَامَاهَا تَمَّ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) بياض بالأصليين (٢) ت ، لب : من (٢) ت ، لب : وأمن

(*) تنقطع هنا نسختات « لب : ويعقب هذه الأبيات فيهما تراجم موجود بعضها
بنصه في المطبع وبعضها أجزاء من القسم الثاني من الذخيرة وهي تقع في ثمان لوحات ونصف
من نسخة لب تنقطع بعدها النسختان دون دياجة انتهاء



ملحق

نثبت فيما يلي :

(أ) رسائل ابن برد الثلاث التي أشرنا إليها في هامش ص ٥٢ من هذا المجلد .

(ب) فصول البزلياني الزائدة التي ذكرنا مقدماتها في هامش ص ١٥١ من هذا المجلد أيضا .



« أ »

رسائل ابن برد

— ١ —

رسالة السيف والقلم — لابن برد^(١)

رسالة في السيف والقلم وكتبها إلى الموفق أبي الجيش مجاهد
يقول فيها :

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ بِجَمِيعِ حَمْدِهِ وَآلَائِهِ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ،
فَإِنَّ التَّسَابُقَ مِنْ جَوَادِينَ سَبَقًا فِي حَلْبَةِ ، وَقَضِيئِينَ نُسِقًا فِي ثُرْبَةٍ ؛ وَالتَّحَاوُدَ مِنْ
نَجْمِينَ أَنْارًا^(٢) فِي أَفْقٍ ، وَسَهْمِينَ صَارًا عَلَى نَسَقٍ ؛ وَالتَّفَاخُرَ مِنْ زَهْرَتَيْنِ تَفْتَحَتَا
مِنْ كَلَامَةٍ ، وَبَارِقَتَيْنِ تَوَضَّحَتَا مِنْ غَمَامَةٍ ، لِأَحْمَدُ وَجْهَ الْحَسَدِ ، وَإِنْ كَانَ
مَذْمُومًا مَعَ الْأَبَدِ . وَرَبَّمَا امْتَدَّ أَحَدُ الْجَوَادِينَ بِخُطْوَةٍ ، أَوْ خُصَّ أَحَدُ الْقَضِيئِينَ
بِرَبْوَةٍ ، أَوْ كَانَ أَحَدُ السَّهْمِينَ أَنْفَذَ مَصِيرًا ، أَوْ رَاحَ أَحَدُ النَّجْمِينَ أَضْوَاءً تَنْوِيرًا ،
أَوْ غَدَتِ إِحْدَى الزَّهْرَتَيْنِ أَنْدَى غَضَارَةٍ ، أَوْ أَمَسَتْ إِحْدَى الْبَارِقَتَيْنِ أَسْنَى
إِنَارَةٍ ؛ فَالْمَقْصَرُ يَرْتَقِبُ^(٣) تَقْدُّمًا ، وَتَقَارُبُ الْحَالَتَيْنِ فِي الْمَجَانَسَةِ ، يَشُبُّ نَارَ
الْمُنَافَسَةِ ، وَإِنْ حَالَ بَيْنَهُمَا قَدَحُ التُّفْقَادِ ، وَقُبُحُ تَحَاوُدِ الْأَضْدَادِ .

(١) قدم من أورد هذه الرسائل الثلاث لابن برد مستدركا على المؤلف بقوله : ومن
بدائع العجم المستنزلة للعصم ، وما أرى أبا الحسن تجافى عنها ، غاضا منها ، لكن قدر أعجبه .
أو زمن لم يسمح له ؛ ولأمر ما عطل هذا الورق . وأحال على الأيام أن تستطيق ؛ فالحمد لله
الذي لم يشكنا بها ، ويسرنا لا كتبنا بها .

(٢) كأنها في ت : يترى

(٣) الأصلين : أنارا

وإنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ لَمَّا كَانَا مُضْبَاحَيْنِ يَهْدِيَانِ إِلَى الْقَصْدِ ، مَنْ بَاتَ يَسْرِي
إِلَى الْمَجْدِ ، وَسُئِمَ يُلْحِقَانِ بِالْكَوَاكِبِ ، مَنْ ارْتَقَى لِسَامِيَّاتِ الْمَرَاتِبِ ، وَطَرِيقُنِ
يَشْرَعَانِ نَهْجَ الشَّرَفِ لِمَنْ تَقَرَّى إِلَيْهِ ، وَيَجْمَعَانِ شَمْلَ الْفَخْرِ لِمَنْ تَأَشَّبَ عَلَيْهِ ،
وَوَسِيلَتَيْنِ يُرْشِفَانِ الْعُلَى فَمَ عَاشِقِهَا ، وَيَبْسُطَانِ فِي وَصَالِ الْمُنَى يَدَوَاقِعِهَا ؛
وَشَفِيعَيْنِ لَا يُؤَخِّرُ تَشْفِيعُهُمَا ، وَمُجْمَعَيْنِ لَا يَفْرُقُ تَجْمِيعُهُمَا ؛ جَرَّارَا أَذْيَالِ الْخَيْلِ ٥
تَفَاخُرَا ، وَأَشْمَا بَأْنَفِ الْكِبْرِيَاءِ تَنَافُرَا ؛ وَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَّ الْفُوزَ لِقَدْحِهِ
وَأَنَّ الْوَرَى لِقَدْحِهِ ۥ وَأَنَّ الدَّرَّ مِنْ أَصْدَافِهِ ، وَأَنَّ الْبَكْرَ مِنْ زِفَافِهِ ۥ وَأَنَّ الْبِنَاءَ
مِنْ تَشْيِيدِهِ ، وَأَنَّ الْمَلَأَ مِنْ تَعْضِيدِهِ ، وَأَنَّ كِبَاءَ الثَّنَاءِ مَوْقُوفٌ عَلَى مَجَاهِرِهِ ۥ
وَأَنَّ خَطِيبَ الْفَخْرِ مَحْبُوسٌ عَلَى مَنَابِرِهِ ۥ وَأَنَّ حُلَّ الْمَآثِرِ مِنْ نَسِيجِهِ ۥ وَأَنَّ
أَفْرَادَ الْمَفَاخِرِ مِنْ تَرْوِيحِهِ ۥ وَحِينَ كَشَفَ الْجِدَالَ قِنَاعَهُ ۥ وَمَدَّ الْخِصَامُ ذِرَاعَهُ ۥ
وَهَزَّ الْإِبَاهُ مِنْ عِطْفِهِ ، وَأَشَمَّ الْأَنْفُ مِنْ أَنْفِهِ ، قَامَا يَتَبَارَيَانِ فِي الْمَقَالِ ،
وَيَتَسَاجِلَانِ فِي الْخِصَالِ ، وَيَصِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جَلَالَ نَفْسِهِ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ
مَا اجْتَنَى مِنْ غَرْسِهِ ، وَيُبَايِ بِمَنْقَبَةٍ نَافَرَتِ السُّهَى ۥ وَمَرْتَبَةٍ رَيْضَةٍ خَيَّسَهَا ۥ
وَرِيَاسَةٍ مِنْ ذَوَائِبِ الْجُوزَاءِ صَادَهَا ، وَنَبَاهَةٍ فِي صَهْوَةِ الْعَيُوقِ ^(١) أَفَادَهَا ۥ
فَقَالَ [الْقَلَمُ] : هَا ! اللَّهُ أَكْبَرُ ! أَيُّهَا الْمَسَائِلُ بَدْءُا يَعْقِلُ لِسَانَكَ وَيُخَيِّرُ ^(٢)
جَنَانَكَ ، وَبَدِيهَةٌ تَمَلُّا سَمْعَكَ ، وَتُضَيِّقُ ذَرْعَكَ ۥ خَيْرُ الْأَقْوَالِ الْحَقُّ ، وَأَحْمَدُ
السَّجَايَا الصِّدْقُ ۥ وَالْأَفْضَلُ مَنْ فَضَّلَهُ اللَّهُ غَرْوًا وَجَلَّ فِي تَنْزِيلِهِ ، مُقْسِمًا بِهِ لِرَسُولِهِ ،
فَقَالَ : « ن . وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ » ، وَقَالَ : « اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : الْعَيُونِ

(٢) فِي لَبٍ : بِعَقْلِ لِسَانَكَ وَنَحَرَ ... وَفِي ت : وَلَحَزَ

عَلَّمَ بِالْقَلَمِ « خَلَّ مِنْ مُقْسِمٍ ، وَعَزَّ مِنْ قَسَمٍ ! فَمَا تَرَانِي وَتَدَّ حَلَّتْ بَيْنَ جَفْنِي
الْإِيمَانِ وَنَظَرِهِ ، وَجَأْتُ بَيْنَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ وَخَاطِرِهِ ؟ ! نَقْدٌ أَخَذْتُ الْفَضْلَ
بِرُمَّتِهِ ، وَقُدْتُ الْفَخْرَ بِأَزْمَتِهِ .

فَقَالَ السَّيْفُ : عَدْنَا ^(١) مِنْ ذِكْرِ الشَّرِيعَةِ ، إِلَى ذِكْرِ الطَّبِيعَةِ ، وَمِنْ وَصْفِ
الْمِلَّةِ إِلَى وَصْفِ الْخَصْلَةِ ^(٢) ، لَا أُسِرُّ وَلَكِنْ أُعَانِ ، قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ .
إِنَّ عَانِقًا حَمَلَ نِجَادِي لَسَعِيدٍ ، وَإِنَّ عَضُدًا بَاتَ وَسَادِي لَسَدِيدٍ ، وَإِنْ فَتَى
اتَّخَذَنِي دَلِيلَهُ لَمْهَدِي ، وَإِنَّ امْرَأً صَيَّرَنِي رَسِيلَهُ لَمْقَدِي ؛ يَشُقُّ مِنِّي الدُّجَى
بِمَصْبَاحٍ ، وَيُقَابِلُ كُلَّ بَابٍ بِمِفْتَاحٍ . أَفْصَحُ وَالْبَطْلُ قَدْ خَرَسَ ، وَأَبْتَسِمُ
وَالْأَجَلُ قَدْ عَبَسَ . أَقْضَى فَلَا أَنْصِفُ ، وَأَمْضِي فَلَا أُصْرَفُ . أَزْرِي بِالْوَفَاءِ ،
وَأُهْتِكُ اللَّامَةَ هَتَكَ الرِّدَاءِ !

١٠

فَقَالَ الْقَلَمُ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَوَرِ بَعْدَ الْكَوَرِ ، وَقُبْحًا لِلتَّحَلِّيِ بِالْجَوَرِ !
^(٢) تُسَوِّدُ مَا بَيَّضَ الصَّفَاءُ ؛ وَتُسَكِّدُ مَا أَخْلَصَ الْإِخَاءُ ، وَتَوَكَّدُ أَسْبَابَ
الْفِتَنِ ، وَتَضْرِبُ بِقِدَاحِ الْفِتَنِ . الْحَقُّ أَبْلَجُ ، وَالْبَاطِلُ لَجَاجُ إِنَّ ^(٣) فَإِنْ
فِي ^(٤) قَدْ حَمَاهَا لِمَأْمُونَةُ الطَّائِرِ ، مَحْمُودَةُ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ . أَخْكُمُ فَأَعْدِلُ ، وَأَشْهَدُ
فَأُقْبِلُ ؛ وَتَرْحَلُ عَزْمَاتِي شَرْقًا وَغَرْبًا وَلَا أَرْحَلُ ؛ أَعِدْ فَأُفِي ، وَأُسْتَكْفِي فَأُكْفِي ،
أَحْلُبُ الْغَنَى مِنْ ضُرُوعِهِ ، وَاجْتَنِي النَّدَى مِنْ فُرُوعِهِ . وَهَلْ أَنَا إِلَّا قُطْبٌ تَدُورُ
عَلَيْهِ الدُّوَلُ . وَجَوَادٌ شَاوُهُ يُدْرِكُ الْأَمَلَ . شَفِيعُ كُلِّ مَلِكٍ إِلَى مَطَالِبِهِ ،
وَوَسِيلَتُهُ إِلَى مَكَاسِبِهِ ؛ وَشَاهِدُ نَجْوَاهُ قَبْلَ كُلِّ شَاهِدٍ ، وَوَارِدُ مَعْنَاهُ قَبْلَ
كُلِّ وَارِدٍ

١٥

(١ - ١) في الأصلين : من ذكر الطبيعة إلى ذكر الشريعة ، ومن وصف الخصلة إلى وصف الملة
(٢) بياض بقدر كلة (٣) بياض بقدر كلة
(٤) كذا بالأصلين وربما كانت : فإن نارا أقدحها للمأْمُونَةُ ...

فَقَالَ السَّيْفُ : يَا اللَّهَ ! اسْتَنْتِ الْفِصَالُ حَتَّى الْقَرَعَى ! وَرُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ
الرَّاعِدَةِ ! لَقَدْ تُحَاوِلُ امْتِدَادًا بِبَاعٍ قَصِيرَةٍ ، وَانْتِفَاضًا بِجَنَاحٍ كَسِيرَةٍ . اُمْسُتَعْرِبُ
وَالْفَلَسُ ثَمْنُكَ ؛ وَمُسْتَجَلِبُ وَكُلُّ بُقْعَةٍ وَطْنُكَ ؟ ! جِسْمٌ وَدَمْعُ بَارٍ ^(١) ، تَحْفَى
فَتُنْعَلُ بَرِيًّا ، حَتَّى يَعُودَ جِسْمُكَ قَيْمًا . إِنَّ الْمُلُوكَ لَتُبَادِرُ إِلَى دَرْكِى وَلَتَتَحَاسَدُ
فِي مِلْكِي . وَلَتَتَوَارِثُنِي عَلَى النَّسَبِ ، وَلَتُغَالِي فِي عَلَى الْحَسَبِ ؛ فَتُكَلِّلْنِي الْمَرْجَانُ
وَتُنْعَلُنِي الْعَقِيَانِ ^(٢) ؛ وَتُلْجِفُنِي بِخِلَلِ كُحْلَلٍ ، وَحَمَائِلِ كَخَائِلٍ ، حَتَّى أُبْرَزَ بِرَازِ
الْهِنْدِيِّ يَوْمَ الْجِلَادِ ^(٣) وَالرُّوضِ غِيبِ السَّمَاءِ .

فَقَالَ الْقَلَمُ : مَنْ سَاءَ سَمْعًا سَاءَ إِجَابَةً . اُسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ خَطَلٍ أُرْعِيتَ فِيهِ
سَوَامَكَ ، وَزَلَلٍ افْتَحَتْ بِهِ كَلَامَكَ ! إِنَّ اَزْدِرَاءَكَ بِتَمَكُّنٍ وَجِدَانِي . وَبِخُسِ
أُثْمَانِي ، لَنَقُصُّ فِي طِبَاعِكَ . وَقَصْرٌ فِي بَاعِكَ ، أَلَا وَإِنَّ الذَّهَبَ مَعْدَنُهُ فِي الْعَفْرِ .
وَهُوَ أَنْفُسُ الْجَوَاهِرِ ، [وَالنَّارُ] مَكْنَهَا فِي الْحَجَرِ ، وَهِيَ إِحْدَى الْعَنَاصِرِ ، وَإِنَّ
المَاءَ وَهُوَ الْحَيَاةُ . أَكْثَرُ الْمَعَاشِ وَجِدَانًا ، وَأَقْلَاهُ أُثْمَانًا . وَقَلَمًا تُلْفَى الْأَعْلَاقُ
النَّفِيسَةِ . إِلَّا فِي الْأُمُكْنَةِ الْخَسِيسَةِ . وَأَمَّا التَّعَرَّى ، فَغَنِينَا بِالْجَمَالِ عَنْ جَرِّ
الْأَذْيَالِ ؛ وَهَلْ يَصْلُحُ الدُّرُّ حَتَّى يُطْرَحَ صَدْفُهُ . أَوْ يَنْتَهِيَجُ الْإِفْرِيسُ حَتَّى
يُشَدَّبَ سَعْفُهُ . أَمْ يَتَلَأَلُ الصُّبْحُ حَتَّى تَنْجَلِيَ سُدْفُهُ ؟ ! إِنَّ الضَّحَا لِلرِّجَالِ ^(٤)
مَعْرُوفٌ ، وَإِنَّ الْخَفَرَ عَلَى النَّسَاءِ مَوْقُوفٌ . وَلَوْ لَا جِلَاءُ الصِّيَاقِلِ صَدَّاكَ
لَأَسْرَعْتَ ذَهَابًا . وَعُدْتَ مَعَ التُّرَابِ تُرَابًا .

فَقَالَ السَّيْفُ : جَعَجَعُهُ رَحَى لَا يَتَّبِعُهَا طِخْنُ ، وَجَلَّجَلُهُ رَعْدٌ لَا يَلِيهَا

(١) كَذَا بِالْأَصْلَيْنِ وَلَعَلَهَا : جِسْمٌ عَارٍ وَدَمْعٌ جَارٍ

(٢) فِي الْأَصْلَيْنِ (الْعَيْنَانِ)

(٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : الْجِلَادُ

(٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : الضُّحَا لَكَ جَالٌ ... وَلَعَلَّ الصُّوَابَ مَا أُنْهِنَاهُ

مُزْنٌ . في وجهه مالِكٌ تعرِفُ أمرَته ^(١) ؛ وجهه لثيمٌ ، وجسمه سقيمٌ ، وغربٌ يُفَلُّ
ودمٌ يُطَلُّ . ودموعٌ سِجَامٌ ، كأنهن سُخَامٌ . ورأسٌ لم يَتَقَلَّقْ فيه لُبٌ ، وجوفٌ
لم يَتَخَضَّضْ فيه قَلْبٌ ، أو حشٌّ من جَوَفِ العَيْرِ ، يشهد عليه كثرةُ الجورِ
بقلةِ الخيرِ . فُوبٌ من نومِكَ ، وأفطرٌ من صومِكَ ، وتحكُّمٌ بطرفِ نظارِ ،
في جسمِ ماءٍ وحلَّةٍ نارِ . إن انتضاني جاهِلٌ ، أو همتُهُ أني سائلٌ ، فقرَّ خوفًا أن
يَغْرَقَ ، ووَلَّى حَذَرًا أن يَحْتَرِقَ ؛ في بحرِ زَبَدَةِ الشَّلِّ ^(٢) ، وبرقِ سَحَابِهِ
الْجَلَلِ ^(٣) . لو انتَضَيْتُ وَالشَّمْسُ كاسِفَةٌ لم يَنْظُرْ وقتُ تَجَلِّيها ، أو السَّنُونُ
مُجَدِّبُهُ أَيْقَنَ بِالحَيَا رَاعِيها . قد خَطَّ الفِرْنَدُ في صَفْحَتِي أمثالَ صِغارِ الخِيَلانِ ،
في البَيْضِ من صَفَحَاتِ الحِسانِ . أكرَعُ يومَ الوَعَى في لَبَّةِ البَطَلِ . فأعودُ
كالخَدِّ كَيْسَى صَبْغِ الخَجَلِ ، كأنما اشْتَمَلْتُ بِالشَّقِيقِ ، أو شَرَبْتُ ماءَ العَقِيقِ .
فَقَالَ القَلَمُ : إن كُنْتُ رِيحًا فَقَدْ لَاقَيْتُ إِعْصَارًا . ما كُلُّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةٌ ،
ولا كُلُّ سَوْدَاءٍ تَمْرَةٌ ! إن ماءَكَ السَّائِلَ لَجَامِدٌ . وإن جِرْمَكَ المُلْتَهَبَ لِبَارِدٌ ،
ولن يُغْرَقَ فيه حتى تَكْرَعَ في السَّبَاسِبِ العِطَاشُ . ولن يُحْتَرَقَ به حتى يَقَعَ
في نارِ الحُبَابِيبِ الفَرَّاشِ . فأَقْصِرْ عن جَفْنِكَ مِنَ العَمَى رِوَاقًا ، واحلُلْ من
خَصْرِكَ لِلجَهْلِ نِطَاقًا ، يُسْفِرُ البَلَاءُ لَكَ عَنْ قَضِيبِ عَاجٍ . ولسانِ سِرَاجٍ .
وقَدَحِ وَرِقٍ جُلُّ بالعُقَيَانِ ، وحُلَّةِ رُجْسٍ فوقَ جِسْمِ أَفْحَوَانٍ ؛ لِلَّيْلِ في
فَوْدِيهِ لَطَخٌ ، وَلِلْمِسْكِ في صُدْغِيهِ نَضْحٌ ، أَنْجَلِي عَنِ المَهَارِقِ ، انْجَلَاءَ القِيَامِ عَنِ
الْحَدَائِقِ ، وَأَرْقُمِي بِطُورِ الشَّحُفِ ، ما لَا يَرْقُمُ الرَّبِيعُ في الرِّوَضَةِ الأنْفِ ، مِنْ
مُنَمْنَمٍ يَخْتَالُ بَيْنَ مُسَهَّمٍ ، وَمُعَضَّدٍ فوقَ مُسَرَّرٍ ^(٤) .

(١) في الأصلين : ملك . والتصحيح عن اللسان .

(٢) في الأصلين : الشَّلِّ (٣) في الأصلين : الجَلَلِ

(٤) رسم الكلمة في الأصلين : مسهد ، ولعل الصواب ما أثبتنا

ولما كثر تعارضهما ، وطال تراوُضهما ، وقابل كل واحدٍ منهما بجمعه
 جمعا وقرع بنبعه نبعا ، ولم يثن أحد الصارمين كهما ، ولا ارتد أحد العارضين
 جهاما ، تبادرا إلى السلم يعقدان لواءها ، وإلى المؤلفة يردان ماءها ؛ وقالا :
 إن من القبيح أن تتشتت أهواؤنا ، وتتفرق آراؤنا ، وقد جمعنا الله في المألف
 الكريم ، وأحلنا بمحل غير ذميم ، بأعلى يد نالت آمالها ، ووافيت المطالب
 في أوطانها ، ولم تقابل بابا مغلقا إلا قرعته ، ولا حجابا مضلعا إلا رفعته ،
 ولا جدّا عاترا إلا أقالته ، ولا أملا غائرا ^(١) إلا أسالته . تلك يد الموفق
 أبي الجيش مولى المعالي ومُسترقّها ، ومُستوجب الكارم ومُستحقّها ، العاقد
 لواء المجد بذوائب السماك ، والمطل بفخّره على الأفلاك ، والمُقدم إذا أُحجّمت
 الأبطال ، والضاحك إذا بكّت الأجال ؛ والسّارى إلى العلّيا إذا أدلج الكرام .
 والمُسهّد في الآراء إذا هجد الأنام ، والطالب ثار العديم بجوده ، والمُشفع النّيل
 بمزيده ، والمُسعف لمعاده ، والمُخلف لإيعاده . والمُجرى في ذوايات الهيم ماء ،
 والمُطلّع في ظلمات الآمال سناء . فإذ قد عدل بيننا بحكمه ، يوم وغاه ويوم
 سلمه ، فجاوز بك حدّ المسألة ، وجاوز بي حدّ المُشارسة ، ولم يثنك حتى بلغ
 مناه . ولم يثنني حتى وافق [هواه] ^(٢) ، ولم يقصّر بي عن غاية بلّغك إليها .
 ولم يقدّمك إلى مرتبةٍ آخرنى عنها ، فأجل رداء نرتديه ، وأفضل حذاء نحتديه .
 وأهدى سبيل نقصده . وأضفى منهل نردّه ، مؤلفة نُجرّر ذيلها ، ونميل ميلها ،
 ومعاشرة نتجانى ثمارها ، ونتعاطى عقارها . وذُنوب نُخلى أوطانها ، ونهدم
 بُنيانها . ودمن نغني ديمها ، ونرد في أجفانها وسنها .

ثم قال القلم : إنّ مما نُبرّم به عقْدنا وننظم عقْدنا ، ويستظهر به بعضنا

(٢) بياض بالأصل بقدر كلمة أو كلمتين

(١) في الأصلين : عابرا

على بعض ، إن حالت حال ، وكان للذهر انتقال ، أن نخط كتاباً مُصيباً .
يكون لنا مناباً وعلينارقيبا . فقد يدبُّ الدهرُ بمقاربه ، بين المرء وأقاربه ، ويسعى
بالتميمة ، بين الفرعين من الأرومة .

فقال السيف : أنت والبيان ، وحرّاً^(١) والميدان . فقال القلم : إن النثر
في ذلك مثل يسير . وإن الشعر في ذلك ذكرٌ خطير . وإنه لشدو الحادي ،
وزاد الرايح والغادي . واختاره على النثر ، تنوياً بالذكور ، فقال :

قد أن للسيف ألا يفضل القلما	مُدَّ سُخْرًا لِقَتَى حَارَ الْعُلَى بِهِمَا
إن يُجْتَنَى الجُدُّ غَضًّا مِنْ كَائِمِهِ	فإنما يُجْتَنَى مِنْ بَعْضِ غَرَسِهِمَا
ما جَارِيَا أَمَلًا أَوْ وَفِيًّا أَمَدًا ^(٢)	إِلَّا وَكَانَتْ خِصَالُ السَّبْقِ بَيْنَهُمَا
سَقَاهُمَا الدَّهْرُ مِنْ تَشْتِيَتِهِ جُرْعًا	وَلَا يَلِي إِلَى صُرُوفٍ تَقْطَعُ الرَّحْمَا
حَتَّى إِذَا نَامَ طَرْفُ الْجَهْلِ وَانْتَبَهَتْ	عَيْنُ النَّهْيِ قَرَعَا سِنِّيهِمَا نَدْمًا
رَاحًا بِكَفِّ أَبِي الْجَيْشِ الَّتِي خُلِقَتْ	غَمَامَةً كُلَّ حِينٍ تُمْطِرُ النِّعْمَا
فَعَادَ حَبْلُهُمَا الْمُنْبَتُّ مُنْعَقِدًا	وَرَاخَ شَمْلُهُمَا الْمَنْفُضُ مُلْتَمًا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّامِيُّ بِهِمَّتِهِ	إِلَى سَمَاءٍ عَلَا قَدْ أُعْيِتِ الْهِمَمَا
لَوْ لَا طِلَابِي غَرِيبَ الْمَدْحِ فَيْكُ كَمَا	وَصَفْتُ قَبْلَ عِلَاكِ السَّيْفِ وَالْقَلَمَا
وإنما كان تعريضاً كشفته به	مِنْ الْبَلَاغَةِ وَجْهًا كَانَ مُلْتَمًا

— ٢ —

[رسالته في النخلة]

أما بعد : جعلك الله من المؤثرين على أنفسهم والموقنين شحها ، والمنجزين
لمواعيدهم والمُعْطِينَ صِدْقَهَا . فقد علمت ما سلف لنا في العام الفارط من عتابك ،

(٢) في الأصلين : أملا فوافيا أمدًا .

(١) كذا بالأصلين

وَلَيْسِنَا شِكَّتَهُ مِنْ مَلَامِكَ ، لَمَّا كَتَمْتَنَا صِرَامَ النَّخْلَةِ الَّتِي هِيَ بِأَرْضِنَا إِحْدَى
 الْغَرَائِبِ ، وَفَرِيدَةُ الْعَجَائِبِ ، هَرَبًا مِنْ أَنْ تُنْزِمَكَ الْإِسْهَامَ فِي رُطْبِهَا ، وَحِرْصًا
 عَلَى تَمَامِ لَذَّةِ الْإِسْتِبْدَادِ بِهَا ، وَقُلْتَ : « وَقَدْ سَأَلْنَاكَ مِنْ جَنَافِهَا قَلِيلًا ، وَرَجَوْنَا أَنْ
 تُنِيلَنَا مِنْهَا وَلَوْ فَتِيلًا : » « لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لَكُمْ بِهِ هَذَا الْكَافَ ، وَإِلَيْهِ هَذَا النَّزَاعُ »
 ٥ لَأَمْسَكْتُهُ عَلَيْكُمْ ، وَجَعَلْتُ حُكْمَ جَذَاذِهِ إِلَيْكُمْ ؛ وَلَكِنَّهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْعَامِ
 الْآخِرِ غَلَّتْكُمْ « عَتَادُ نَفِيسٍ لَكُمْ » وَذُخْرُ حَمِيسٍ عَلَيْكُمْ . فَأَمَّا نَحْنُ فَرَسَمْنَا
 تِلْكَ الْعِدَّةَ فِي سُوَيْدَاوَاتِ قُلُوبِنَا ، وَوَكَّلْنَا بِهَا حَفَظَةَ خَوَاطِرِنَا ؛ وَأَمَّا أَنْتَ
 فَهَلَمْتَ عَلَيْهَا التُّرَابَ ، وَأَسْلَمْتَهَا إِلَى يَدِ الْبَلَى . حَتَّى إِذَا (١) أَخَذْتَ الْأَرْضَ زُخْرُفَهَا ،
 وَازَيَّنْتَ زِينَتَهَا (٢) ، وَبَلَغْتَ غَايَتَهَا ، وَأَشْبَعْتَ الْقَمَرَ صَبْغَهَا ، وَأَحْكَمْتَ الشَّمْسُ
 ١٠ نُضْجَهَا ، دَبَبْتَ إِلَيْهَا الضَّرَاءَ بِصِرَامِكَ ، وَمَشَيْتَ نَحْوَهَا الْجَهْرَ بِحِرَابِكَ . عَلَى
 حِينِ نَامِ السُّمَارِ ، وَغَفَلْتَ الْجَارَةَ وَالْجَارَ ؛ وَأَبْتَ بِهَا إِيَابَةَ الْأَسَدِ بِفَرِيستِهِ ،
 وَتَحَكَّمْتَ فِيهَا تَحَكُّمَهُ فِي عُزَيْرَتِهِ . وَلَمَّا رَأَيْنَا عَلَى ذَلِكَ طَلَائِعَ الرُّطْبِ
 فِي الْأَسْوَاقِ ، وَالْجَنَى مِنَ بَكْرِ النَّخِيلِ عَلَى الْأَطْبَاقِ ، هَزَّتْ جَوَانِحُنَا ذِكْرُ
 الْعِدَّةِ ، وَقَلْقَلَتْ أَحْشَاءَنَا حَذَرُ الْخَيْبَةِ ، فَرَكَضْنَا الْمَهْلِكِ إِلَى حُرْمَتِكَ ، وَجَعَلْنَا
 ١٥ نَسْتَدُّ طَمَعًا فِي لِقَائِكَ ؛ فَلَمَّا غَشِينَا الْجَهَّةَ تَلَقَّانَا فَتًى وَضَاحُ الْجَبِينِ ، أَخَذَ
 بِالْعُمُومِ . فِي وَجْهِهِ الْأَدَبُ شَاهِدٌ . وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ مِنَ الظَّرْفِ رَائِدٌ . فَقَالَ
 « يَا بَنِي أَتُمُّ ، وَعَيْنُ اللَّهِ تَكَلُّوْا كَمْ حَيْثُ كُنْتُمْ ! أَرَأَيْكُمْ نَاشِدَى ضَالَّةً أَوْ مُسْتَدْرَكِي
 سَبَبٍ فَاتَتْ ؛ فَاسْأَلُوا فَرُبَّمَا سَقَطْتُمْ عَلَى الْخَبِيرِ ، وَشَاوَرُوا فَاَلْمُسَوْرَةُ تَفْتَحُ غَلَقَ
 الْأُمُورِ » . فَقُلْنَا لَهُ : « يَا بَائِنَا أَنْتَ ! إِنَّا لَنَرْجُو بَيْعِنَ لُقْيَاكَ ظَفَرًا بِالْمَطْلَبِ »
 ٢٠ وَنُجْعَالُ الْمَذْهَبِ . جَارُكَ وَصَدِيقُنَا الَّذِي نَحْنُ تِلْقَاءُ مَنَزِلِهِ ، وَفِي حَاشِيَةِ مَحَلِّهِ ،

(١) رَه فِي تَب (٢) عَمَارَةٌ لَب : حَتَّى إِذَا أَخَذْتَ الْأَرْضَ زِينَتَهَا وَبَلَغْتَ ...

وَعَدْنَا مُنْذُ عَامٍ بَأَنْ يُسَهِّمَ لَنَا فِي جَنَى نَخْلَةٍ لَدَيْهِ ، لَمْ تَتَفَقَّأْ تُرْبَهُ هَجَرَ عَنْ مِثْلِهَا . وَلَا أَوْتُ قَمَارِيَّ بُصْرَى إِلَى شَكْلِهَا ؛ فَجُئْنَاهُ لِنَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا ، وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ .

قال الفتي : « يَا لِإِخْوَانِي فِي الْخَيْبَةِ ، وَشُرْكَائِي فِي فَوْتِ الْأَمَلِ ! أَنَا سَاكِنُ الْمَحِلَّةِ الَّتِي مَنَبَتْ هَذِهِ النَخْلَةَ فِي سَاحَتِهَا ، وَقَدْ صَرَمَهَا مِنْذُ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا ؛ وَلَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ صِرَامِهَا أَمْنَحُهَا نَظَرَ الْعَاشِقِ إِلَى الْمَعشُوقِ ؛ فَإِذَا رَأَتْ^(١) الطَّيْرُ وَهِيَ عَلَى سَعْفِهَا مَا أُوَصِلُ إِلَيْهَا مِنْ لَحْظَاتِي ، وَأَتَابِعُ عَلَيْهَا مِنْ زَفَرَاتِي . رَمَتْهُ بِأَفْرَادٍ مِنْ رُطْبِهَا أَحْلَى مِنْ شِفَاهِ الْعَذَارَى . وَأَنَا الْيَوْمَ أَبْكِي مِنْهَا رَبْعًا خَالِيًا ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَغْدُو عَنْهَا جَالِيًا^(٢) . »

فَمَا هَذَا الْخَيْسُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِعَهْدِكَ ، وَمَا هَذِهِ الرُّبْدَةُ فِي وَجْهِ عَدُوِّكَ ، وَمَا هَذَا الِاسْتِثْنَاءُ عَلَى إِخْوَانِكَ الْمُؤَثِّرِينَ لَكَ ؟ ! إِنْ كُنْتُ لَمْ تُحْضِرْنَا يَوْمَ صِرَامِهَا لَنَحْتَكِمَ عَلَى قَوْلِكَ فِيهَا ، وَنَأْخُذَ مَعَكَ بِأَجْزَلِ الْأَقْسَامِ مِنْهَا ، فَالْعَذْرُ لَا يَصْبِقُ عَنْكَ ، وَاللَّوْمُ لَا يَنْبَسِطُ إِلَيْكَ . هَاتِ مِمَّا ذَخَرْتَهُ لِسَاعَاتِ تَفَكُّهِكَ ، أَسْهَمِ لَنَا فِيمَا أَعْتَدْتَهُ لِيَوْمِ نَوْرُوزِكَ . لَمْ يَكُنْ جَنَاهَا بَنْزَرٍ فَيَتَقَسَّمَهُ الْإِهْدَاءُ ، وَلَا يَدُونِ فَتَطْلُبَ عَنْهُ النَّفْسُ . وَلَا تَحْشَ مِنْمَا أَفْسَدَ بِهِ [ابْنُ الزَّيْبِرِ جَنْدَهُ^(٣)] حِينَ قَالَ ١٥
لَهُمْ : « أَكَلْتُمْ تَمَرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي » . إِذَا نَحْنُ أَكَلْنَا مِنْهَا فَمُرُّنَا نَنَاصِبُ عَنْكَ أَعْدَاءَكَ بَرًّا وَبَحْرًا ، وَلَا نَعُصِيكَ لَكَ أَمْرًا . جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاكَ ! نَحْنُ عِصَابَةٌ نَتَحَلَّى بِأَدَبٍ . وَنَنْتَمِي إِلَى حِفْظِ غَرِيبٍ وَصِيَاغَةِ قَرِيضٍ . وَرَبَّمَا لَمْ تَصَدِّقْ فِي هَذَا الطَّرِيقِ مَضَاءَنَا ، وَلَا قَبِلْتَ يَقِينًا غَنَاءَنَا^(٤) ؛ فَأَرَدْنَا أَنْ نَصِفَ لَكَ

(١) فِي الْأَصْلِينَ : رَأَيْتَ

(٢) فِي الْأَصْلِينَ : حَالِيًا

(٣) مَكَانَ لَفْظِ الزَّيْبِرِ بَيَاضٌ بِالْأَصْلِ وَالتَّصْحِيحُ عَنْ يَجْمَعُ الْأَمْثَالَ ص ١٠

(٤) فِي الْأَصْلِينَ : غَنَاءُونَا

شيئاً من كلام العرب في النخل وبدء نباته ، والتعمر وتلون حالاته ، فإن سرّك ما جئنا به ، وراقك ما أفضنا فيه ، جعلت جوائزنا تمراً ، وكان ذلك لنا أجراً !

نعم ، تقول العرب لصغار النخل : الجثيث ، والودّي ، والهراء ، والفسيل .
والأشياء ، والكافور ، والضمد ، والإغريض^(١) . فإذا انعقد سمته السياب ، فإذا اخضرّ قبل أن يشتدّ سمته الجدال . فإذا عظم فهو البسر ، فإذا صارت فيه طرائق فهو المخطم . فإذا تغيّرت البسرة إلى الحمرة فهي شقحة ، فإذا ظهرت الحمرة فهي الزهو وقد أزهى ، فإذا بدت فيه نقطة من الإرتاب قيل قد وكت ، وهي بسرة موكّنة ، فإذا أدرك حمل النخلة فهو الإناض^(٢) ، فإذا أتاه التوكيت من قبل ذنبها فهي مذنبية ، فإذا بلغ الإرتاب نصفها فهو المخرّع والمجزّع لغتان ، فإذا بلغ ثلثها^(٣) فهي حلقانة ، فإذا جرى الإرتاب فيها كلها فهي منسبّنة .

فيا أبا عبد الله أحمّداً رطباً . نحمّذك خطباً . هذا قليل من كثير ، وثماد من بحور ، وليس يطيب وصفنا نظماً ونثراً لمناب هذه النخلة إلا بعد اختيارنا منها ، وفوز قداحنا بها . إذا أنت فعات فكافنا فيها خاصة ما تكلفه عمرو بن بحر الجاحظ في نخل الدنيا عامة نأثك به . وربّي فيه عليه . ولعلّك تحب أن تسمع شيئاً من منظوم الكلام في النخل يذيب من جودك . ويولد عقيم جودك ، فالمنظوم خداع بحسنه ، مستميل بطنه . أنشد الأصمعي لأبي الغفار الرياحي^(٤) :

(١) في لب : والضمد الإغريض (بدون واو)

(٢) في الأصلين : الأباض (٣) في الأصلين : نلثا

(٤) راجع النويري ج ١١ ص ١١٩

- غَدَتْ سَلَمَى تَعَاثُنِي ^(١) وَقَالَتْ رَأَيْتُكَ لَا تُرِيغُ ^(٢) لَنَا مَعَاشًا
فَقُلْتُ لَهَا أَمَا تَكْفِيكَ دُهُمٌ إِذَا انْجَلَتْ كُنَّ لَنَا رِيَاشًا
بَوَارِكُ مَا يُبَايِنُ اللَّيَالِي ضَرَبْنَ لَهَا وَلِلْأَيَّامِ جَاشًا
إِذَا مَا الْقَارِيَاتُ طُلِبْنَ مَدَّتْ بِأَسْبَابٍ نَنَالُ ^(٣) بِهَا انْتِعَاشًا
تَرَى أَمْطَاءَهَا بِالْبُسْرِ هُذَلًا مِنْ الْأَلْوَانِ تَرَعِشُ ارْتِعَاشًا •
- هذا وإننا لنخشى أنك أزيدُ تماديًا في أمرِك ، وأعظمُ شُحًا على تمرِّك .
إِزَاغَةٌ ^(٤) المعاشِ ومُعَالَجَةُ الْاِقْتِيَاتِ . فقال لها : في النخل التي رزقنا الله
كَفَافٌ مِنَ الْعَيْشِ كَافٌ ، وَبَقَاةٌ مِنَ الْقُوَّةِ مُقْنَعَةٌ . ثُمَّ أَعْظَمَ مِنْ أَمْرِهَا
بَدُونُ ^(٥) طعامها في الجدوب ، وصبرها لتصرفِ الليالي والأيام . وما ترى
أرسل هذه الأبيات على ألسنتنا إلا شيطانٌ قد شكا إليك عُسْرَةَ ، فأَنْلَقَهُ
بُسْرَةَ • فهو يحبُّ البقاء ^(٦) عندك • ودفعَ مُتَطَفِلِي الْإِخْوَانِ عَنْكَ ! فلعنَ الله
الشيطانَ وأَعَاذَنَا مِنْهُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَلَا صَدَقْنَا عَنْهُ • فَإِنَّهُ يَقُولُ : « نِعِمَّتِ
الْعَمَّةُ لَكُمْ النَّخْلَةُ » ، وَالْخَطَابُ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ . وَأَنْتَ قَدْ اسْتَوْلَيْتَ عَلَى عَمَّةٍ مِنْ
عَمَاتِهِمْ ، تَسْتَبِيدُ بِخَيْرِهَا دُونَهُمْ ، وَتُمْسِكُ مَعْرُوفَهَا عَنْهُمْ . وَنَحْنُ رِجَالٌ مِنْ بَنِي أَخِيهَا
أَتَيْنَا نَعْتَفِيهَا • فَإِنْ أَنْتَ سَوَيْتَنَا مَعَ نَفْسِكَ فِيمَا تَدْرُ بِهِ عَلَيْكَ ، وَتَمْلَأُ مِنْهُ يَدَيْكَ •
وإِلَّا نَافِرْنَاكَ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَالْبَيْتِ عَلَيْكَ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ . وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَنَسْأَلُهُ
أَنْ يُبَدِّلَنَا مِنْ بُحْلِكَ نَوَالًا ، وَبِمَطْلِكَ إِعْجَالًا !

(٢) في الأصلين : تريغ

(١) ت : تعاقني

(٤) في الأصلين : إزاجة

(٣) في الأصلين : تنال

(٥) لب : بدني — ت : بك

(٦) في ت : إبقانا — وفي لب نصف الكلمة الأخير مطموس

— ٣ —

ورسالة سَمَّاها بالبديعة في تفضيل أَهْبِ الشَّاءِ

على ما يُفترش من الوطاء

يقول فيها :

• أَلْهَمَكَ اللَّهُ إِلَى مَرَّاشِدِ الْأُمُورِ ، وَمَنْحَكَ صَوَابَ التَّدْيِيرِ ، وَعَرَّفَكَ مِنْ
بَرَكَاتِ التَّوَاضُّعِ مَا يُدْخِلُكَ فِي أَهْلِهِ ، وَفَتَحَ إِلَيْكَ مِنْ نَقِیْصَةِ ^(١) الْكِبَرِ مَا يَعْدِلُ
بِكَ عَنْ سُبُلِهِ ، وَجَعَلَ أَحَبَّ أَسْبَابِ مَعَايِشِكَ إِلَيْكَ ، مَا عَادَ قَلِيلُهُ بِكَثِيرِ الْمُنْفَعَةِ
عَلَيْكَ . وَمَا دُعَايَ هَذَا بِحَقٍّ اسْتَوْجَبْتَهُ بِالتَّسْلِيمِ لِمَنْ إِلَى الدُّنْيَا سَبَقَكَ ، وَإِلَى
بَاكُورَةِ التَّجَارِبِ مَدَّ يَدَهُ قَبْلَكَ ، وَلَكِنَّهُ عَرَضُ لِحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ عَلَيْكَ .
١٠ وَإِضْرَابٌ عَنْ وَجْهِ الْمُعَاتِبَةِ لَكَ ، فِي الْمَفْوَةِ الَّتِي كَانَتْ مِنْكَ . وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ
شَأْوُ سِنِّي أَمَدًا ، وَسَاعِدُ زَمَنِي أَشَدَّ ، وَكُنْتُ بِالْأَيَّامِ أَفْطَنَ ، وَلِمَسَائِلِ تِجَارِيهَا
أَفْطَنَ ، فَمَا أَحِبُّ أَنْ أَقْتَنِيَ الْحَرَّ بِالرِّبَا ، وَلَا أَنْ أَجْزَعَ ^(٢) عَنْ أَحْمَدِ أَخْلَاقِ
أَهْلِ الْفَتَا ، فَأَحْتَجَّ عَلَيْكَ مُعِنَتًا ، وَأُرَادَكَ الْقَوْلَ مَجْمَلًا ، اسْتَطَالَةً بِأَهْمِيَةِ الْكِبَرِ
عَلَيْكَ ، وَأُنْسًا إِلَى مُسَاعَدَةِ الْجَاهِلِينَ فِيكَ ، عَلَى مَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ أَقْوَامٌ أَسَاءُوا
١٥ تَدْبِيرَهُمْ ، وَجَهِلُوا مَقَادِيرَهُمْ ، وَرَأَوْا لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْحَقِّ مَا لَمْ يَجْعَلْهُمُ اللَّهُ لَهُ
أَهْلًا . وَلَا أَسْأَلُكُمْ مِنْهُ حَزَنًا وَلَا سَهْلًا . وَإِنْ طَالَتْ مُنَاقَلَتُنَا الْكَلَامَ ، وَامْتَدَّ
لَنَا مَيِّدَانُ الْخِصَامِ . فَلَا تَحْسَبْنِي مِنْهُمْ ، وَلَا تَنْظُمْنِي فِي سِلَكِهِمْ . وَانْتَبِهْ مِنْ
دَوْحَةِ كَلَامِكَ عَلَى أَيْ غُصْنٍ شِئْتُ ، وَانْعَظْ مِنْ جَدَاوِلِ مَعَانِيكَ فِي أَيْ
جِزَعٍ أَحْبَبْتُ .

(١) فِي الْأَصْلِينَ : نَقِیْصَةُ (٢) كَذَا فِي الْأَصْلِينَ وَلَعَلَّهَا : أَنْزَعَ

عِبْتَنِي — أَعَزَّكَ اللَّهُ — بارتخاص الأشياء ومُقَا [رَعَة الآء] وَاِم^(١) فِي الشَّرَاءِ
 وَقُلْتَ لَمْ تُؤَثِّرْ ذَلِكَ إِلَّا لِلُّومِ الْخَلِيقَةِ ، وَالْهَمَّةِ الدَّقِيقَةِ ، وَإِلَّا فَالشَّيْءُ رِبْمًا غُولِي
 فِي تَمَنِّهِ لِطُولِ الْاسْتِمْتَاعِ بِهِ ، وَتَعَرُّفِ نَمَاءِ فَائِدَتِهِ ، وَرِبْمًا مَالَتْ نَفْسُ الْحَرِيصِ
 إِلَى الرَّخِيصِ ، فَطَالَ بَقَاؤُهُ مَعَهُ ، وَبَلَغَ فِي التَّعَوُّضِ مِنْهُ أَضْعَافَ الَّذِي كَانَ
 اسْتَشْنَعَهُ ، وَنَامَتْ هُنَاكَ عَيْنُ الرَّأْيِ ، وَاحْتَجَبَ دُونُكَ وَجْهُ النَّظَرِ . وَسَأْفَسِحُ
 لِلْكَلَامِ مَيْدَانًا ، وَأُنْثِرُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَرْجَانًا ، وَأُعَاطِيكَ مِنْ سُلَافِ الْمَعَانِي
 أَكْوَاسًا ، وَأَشِثُّكَ مِنْ رَوْضِ الْبَيَانِ آسَا ، وَأُرِيكَ صُورَةَ الْحَسَنَةِ فِي جَمَالِهَا ،
 وَأُعْطِيكَ الْحَلِيَّةَ بِزِمَامِهَا ، فَلَمَّا لَكَ أَنْ تَكُونَ سَلِسَ الرُّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ ، مَلَوَى ثَنِي
 الْعِنَانِ عَنِ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ ، فَتَرَوْحَ مَشْكَورَيْنِ : أَنْتَ عَلَى الْاسْتِمَاعِ وَأَنَا
 عَلَى الْإِفْهَامِ .

١٠

جَلَّ مَا لَهُ عِبْتُ ، وَفِيهِ قُلْتُ وَرَدَدْتُ ، وَبِهِ أَبْدَأْتُ وَأَعَدْتُ [مِنْ] إِشَارِي
 فِي^(٢) الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ ، أَهْبَ الشَّاءُ ، وَمُرَاوَحَتِي مِنْهَا فِي الْبَرْدِ وَالْحَرِّ ، بَيْنَ الْبَطْنِ
 وَالظَّهْرِ . وَأَيُّ بَسَاطَةٍ مِنْهَا أَذِلُّ عَلَى التَّوَاضِعِ وَأَعْرَبُ عَنِ الْقَنَاعَةِ ، وَأَذْفَا فِي
 السَّبَرَةِ ، وَالْيَنُّ فِي الْمَسِّ ، وَأَخْفُ فِي الْمَحْمَلِ ، وَأَمْكَنُ لِلنَّقْلَةِ ، وَأَوْفَقُ لِمَقْدَارِ
 الْحَاجَةِ ، وَأَجْدَرُ بِطُولِ الْمُتَعَةِ^(٣) . وَأَبْقَى عَلَى حَدَثِ الدَّهْرِ ، وَأَغْنَى عَنْ تَكَلُّفِ
 التَّجَبُّطِ وَمُرَاعَاةِ أَوْقَاتِ التَّرْقِيعِ ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الطَّيِّ وَالنَّشْرِ ؟ تَجِدُّ عَلَى
 الْإِبْتِدَالِ . وَتَعْتَقُ مَعَ الْإِمْتِهَانِ ، وَلَا تُحَوِّجُكَ إِلَى خَتِيمَاتٍ يُنَازِلُكَ فِي السَّوْمِ ،
 وَيُخْجَلُّكَ أَمَامَ الْقَوْمِ ، تَنْتَحِ^(٤) جَبِينَكَ بِعَرَقِ الْإِخْتِلَافِ إِلَيْهِ . وَذُلُّ التَّكْرُّرِ

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ بَيَاضٌ بِالْأَصْلَيْنِ وَمَا أُنْبِتْنَاهُ احْتِمَالٌ

(٢) عِبَارَةٌ ت : لِإِثَارِ الصَّيْفِ ... (٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : وَأَحْذَرُ لَطُولِ النَّمَةِ

(٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : تَنْتَجِ

عليه ، وهو قد تبخّج في دُكانه ، واشتغل^(١) عن سوء مقامك باستطابة مُحادثة صبيانه . ثم لعلَّ شقَّ القمل الذي يكونُ لم يحضرك ، فتشمت العدو بنفسك ، وتبدى ما كان مستوراً من مالك . وهذه بأنفسنا مكتفية . وعن سواها مُستغنية^(٢) ، مع صيانة المروءة ووقاية ماء الوجنة . إن قلبتها ليطونها شتوت على وثارة ، أو صرفتها لظهورها صفت في لدونة . للعيال فيها — فضلاً عنك — على تقادُم العهد ووقوع الاستبدال ، أكبر عونٍ وأكمل انتفاع ، في التمهيد للطفل الصغير . واستعمالها في الخمر^(٣) في سُخرة الليلة القرة . فإن دعّتك حاجة نفسك إلى البكور بالغداة ، فقد وجدت من ذلك نعم المعين . وإن أدلج إليك ضيفٌ يكرّم عليك ، لم يكن بحضوره لوقتِه عندك مُنفسٌ تقيسه به . وتقرّنه معه . ١٠

وبعد . فإنك لا تتكلفُ شراءها إلا في وقتٍ تتقربُ إلى ربك به ، وتستجزلُ من كريم ثوابه عليه ، لأنك تستعملها في أضحيتك التي ترجو بركتها ، وتأخذُ نسيئةً إليها فيها^(٤) . فتتفلك أجرَ أخراك ، وتُعجلُ لك منفعة دُنياك . ثم إن جرّدتها مع الأعوام فتجرّد آخر استئفاف^(٥) منفعة ، فهي أيمَن قعيدٍ لك ، وأغبطُ كائنٍ معك . ١٥

وبابُ الارتخاص الذي نعت على هاهنا ، بابٌ قد قامت الدلائلُ على فضله . وكان له ظهير^(٦) من نفسه . فقال ولو في درانك عبقر . ورَفَرَفِ تُسْتَر ، فلن تبلغ من هذه الفضيلة ، ولن تحظى بمثل هذه المزية ، مع قلة المؤنة ونزارة الكلفة .

(١) في الأصلين : استغل

(٢) ت : مفتية

(٣) في الأصلين : أبي الخمر

(٤) كذا في الأصلين

(٥) كذا في الأصلين ويحتمل أن تقرأ : جدّتها ... فتجدد

(٦) في الأصلين : ظهري

ثم اعلم أنها من معاهد صالحى السلف ورؤساء الحكمة ، الذين كانوا بالذخيرة
أعرف ، وعن زخارفها أعرف ، جاءت بذلك الأخبار ، ونقله الخيار . ولم
يجعل الله عز وجل من هذا الجنس أقرب قربان فدى به ابن خليفه ، وسماه
ذبحاً عظيماً فى تنزيله ، إلا لیسر من فضله سبق فى علمه .

- فإن قلت : لا ترى صنفاً من الناس أكثر افتراءً لها من المعلمين . ٥
وقد قيل إن العقل لا يرضى عندهم ، فكيف تسلم فى حسن الاختيار لهم ،
واختيار المرء قطعة من عقله . وعيار على نقصه أو فضله ؟ قلت لك : الصوف
تجمع أنت وكل ذى معرفة على أنه زى النساك ، ولباس المنقطعين للتعبّد ،
وعنده الطراز الأول من السلف . فإن قلت : وها هو فى جزيرتك زى رهبان
البيع وأرباب الخانات ، وهم أضعف الناس أحلاماً وأدناهم طيعة ، والقائلون ١٠
بأن الله ثلاثة — تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . فجملة (١)
فى هذا المعنى أنه لم يحجب الله تعالى وجوه المعاش (٢) ، التى يصحبها جميل
النظر ، ويلوح عليها سيما البركة عن جنس من خلقه دون جنس ، ولا أبداءها
إلى صنف وحجبها عن صنف ، بل ألهم الكل إلى رشدّه ، وعرفته نهج معرفته ،
[وإن (٣) تباينت الأشكال والمراتب ، واختلقت النحل والمذاهب . كما جعلها ١٥
لقدّرتة فى سائر الحيوان من الطائر والداخر بين الانس والشارد فى صحصح
القفير . كل يختلف مسعاه لنفسه ، ووجه تدبيره لشأنه . على ما يسر له وألهم
إليه . والمعلمون نظروا إلى ضعف سبب اكتسابهم ، وفكروا فى تيسر (٤)
ما تعود عليهم صناعتهم ، فأخذوا بالأقوى والأرقق . واعتمدوا على الأرخص

(١) فى الأصلين : وبجملة (٢) فى الأصلين يجوز أن تقرأ المعاش

(٣) ليست بالأصلين وأثبتناها ليستقيم الكلام

(٤) لعلها : يسير

والأوفى ، ثم عَلِمُوا أَنَّهُمْ إِنْ تَحَامَلُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَافْتَرَشُوا مَا يَزِينُهُمْ ^(١) ،
لَمْ يَلْبَثْ أَحَدُهُمْ أَنْ يَقُومَ عَنْ مَجْلِسِهِ لِبَعْضِ الْأَمْرِ أَوْ لِقِضَاءِ الْفَرَضِ ، فَتَقُومَ
حَرْبُ لَعِبِ الصَّبْيَانِ عَلَى سَاقٍ ، وَتَبْلُغَ بِتَمْزِيقِ ذَلِكَ الَّذِي افْتَرَشَهُ وَغَالَى فِيهِ ،
بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ ، وَالتَّرَائِي وَالْأَزْدِحَامِ ، مَا لَا تَبْلُغُ أَنْيَابُ كِلَابِ الْقَنْصِ فِي
إِهَابِ الْعَقِيرَةِ ، فَيَعُودَ [فِيرى ^(٢)] مَا يُسَخِّنُ الْعَيْنَ ، وَيُوجِبُ الرِّينَ ! وَهَذَا النُّوعُ
الَّذِي أُنْسُوا إِلَى خَيْرِهِ ، وَآثَرُوهُ عَلَى غَيْرِهِ ، لَوْ أَقَامَهُ الصَّبْيَانُ مُقَامَ الطَّبْلِ ،
وَجَعَلُوهُ هَدَفًا لِلنَّبْلِ ، لَمْ يَكُنْ أَثَرُهُمْ فِيهِ إِلَّا أَثَرُ النَّدَى فِي صُمِّ الصَّفَا .

١٠ وفى اختلاف ألوانه تَذَكُّرٌ لِلنَّظَرِ إِلَيْهِ ، وَعِظَةٌ لِلْمُجِيلِ بِصَرِّهِ فِيهِ ،
فَمَا كَانَ مِنْهُ أَسْوَدَ ذَكَرٍ بِسَوَادِ الشَّبَابِ ، وَقَمِيصِ الْفُتُوَّةِ ، وَطِيبِ زَمَنِ الْحَدَاثَةِ ،
فَأَبْكَى لِفِرَاقِهِ ، وَقِلَّةِ الْمُتَمَتُّعِ بِهِ . وَمَا كَانَ مِنْهُ أَبْيَضَ ذَكَرٍ بِبَيَاضِ الْمَشِيبِ ،
وَنَذِيرِ الرَّحْلةِ وَرَائِدِ الْأَجْلِ ، فَجَرَّ إِلَى الْعِبَادَةِ وَبَعَثَ عَلَى صَالِحِ الْعَمَلِ .

١٥ هذه — أَبْقَاكَ اللَّهُ — خِصَالٌ لَوْ قُسِمَتْ عَلَى كُلِّ مُسْتَعْمِلٍ لِهَذَا الشَّأْنِ مِنْ
رَخِيصٍ وَغَالٍ ، وَدُونٍ وَعَالٍ ، لَأُرْبَتْ عَلَى الْكِفَايَةِ ، وَجَازَتْ مَدَى الْغَايَةِ ،
فَعِيهَا مِنْ مُمْلِيهَا ، وَدَعِ الْقَوْسَ لِبَارِيهَا ، وَأَسْلِمِ أَعِنَّةَ الْجِيَادِ إِلَى مُجْرِيهَا . لَمْ آتِ
فِي مَعْنَاهَا بَظْلَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى صَبَاحِكَ ، وَلَا جِئْتُ بِلَفْظِ ذِي تَهْمَةٍ يَضْطَرُّ إِلَى
إِيضَاحِكَ . فَإِنْ كُنْتَ قَدْ لَبِسْتَ شِكَّةَ الْمَعَارِضَةِ ، وَأَوْتَرْتَ قِسىَّ الْمُنَاقَظَةِ ،
وَرَشْتَ سِهَامَ الْمُنَاقَلَةِ ، فإلى غَيْرِي فَاكْشِفْ صَفْحَتَكَ ، وَفِي سِوَى هَذَا الْفَنِّ
فَشْمَرٌ عَنْ سَاعِدَيْكَ ، فَقَدْ قَامَ بِنَفْسِهِ وَأَعْرَبَ عَنْ ذَاتِهِ ، وَلَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ
وَلَا سَجَالًا لِحَائِلٍ .

(١) فى الأصلين : ما يزِينُهُم

(٢) بياض فى الأصلين بقدر كلمة ولعلها « فيجد » أو « فيرى »

وأخافُ عليك — شُجَّابَكَ^(١) — أن تستقيلَ بدمِّ هذه الأُهبِ كلَّ مُفترشٍ لها ، مُغتَبِطٍ بها ، فلا تجِدُهُ إِلَّا شيخاً رائعَ الوَسَامَةِ « أبيضَ الشعَرَةِ » أنسَ إخوانِهِ ، وحِلَّسَ أسطوانِهِ^(٢) ، قد حَفِظَ المسائلَ « وملاً من إجازاتِ الشيوخِ الخزائنَ » تقصِدهُ الفتَيَاتُ والفتيانُ ، وتُفدِّيهِ الجاراتُ والجيرانُ « وتتناوَسُ في حُضورِهِ أيامَ الزَّفَافِ ، ويختَصُّ بِصدُورِ الجالِسِ وطَيِّياتِ الصَّحَافِ ٥ أو مُعَلِّماً ذا سَبَلَةٍ طوَلَى ، وجَمِينٍ أَخْلَى ، قد ائْتَمَنَتْهُ المُلُوكُ على ثَمَارِ قلوبِها ، وعمادِ ظُهورِها ، وقَطَعَ أكَبادَها ، يَتَوَسَّطُ من صِيبَتِهِ قلبَ جَيْشٍ ، وَيَعِيشُ بِالطَّافِ أُمَّهَاتِهِمْ أَخْصَبَ عَيْشٍ ! يَتَعَدُّ عِنْدَهُ الْوَرَّاقُونَ ، وَيَتَحَاكِمُ إِلَيْهِ فِي الْخُطُوطِ النَّاسِخُونَ ، فَإِذَا كَانَتْ أَيَّامُ الْأَخْمِيسَةِ وَالْجُمُعَاتِ أَطَالَ قَلَنْسَاتُهُ ، وَوَلَّى الزِّيَارَةَ مَنَسَاتُهُ ؛ وَسَارَ مُهَيِّمًا بِتَسْبِيحِهِ وَتَقْدِيرِهِ ، وَتَهْلِيلِهِ وَتَحْمِيدِهِ ؛ يَزُورُ الْإِخْوَانَ ١٠ وَيَتَعَاهَدُ الْمَعَارِفَ ، وَالسَّكْلُ هَشٌّ إِلَيْهِ ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِ .

فَإِنْ عَارَضَتْ هَذَا الْجِنْسَ ، وَنَاقَضَتْ هَذَا الصَّنْفَ ، دُونَ^(٣) اتِّقَاءِ مَنْ وَرَاءَهُمَا مِنَ الْأَصَاغِرِ وَالْأَكْبَرِ ، وَالْمُلُوكِ وَالشُّوْقَةِ ، ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْأَرْضُ وَكَثُرَ عَدَدُ الْحَصَى ، وَلَمْ يُسْتَنْبَتْ فِي شَأْنِكَ ، وَلَا رَقَّتْ كَيْدُ لِرْقَةٍ بَيَانِكَ . وَأَخُوكَ مَنِ صَدَقَكَ ، وَمُحِبُّكَ مَنْ نَصَحَكَ ؛ وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلٍ ١٥ أَوْعَمَلُ وَالسَّلَامُ .

(١) في الأصلين : سحابك (٢) في الأصلين : اصطوانه

(٣) غير واضحة تماماً بالأصلين وما أثبتناه أقرب الاحتمالات

« ب »

[نَبَذَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَزْلِيَانِي^(١)]

— ١ —

.....^(٢) أَفَارَ اللَّهُ يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى قِدْحَكَ ، وَجَعَلَ لِمَرْضَاتِهِ كَذْحَكَ ٥
وَسَدَّدَ إِلَى أَغْرَاضِ الصَّوَابِ سِهَامَكَ ، وَأَوْرَدَ عَلَى حِيَاضِ السَّحَابِ أَعْلَامَكَ ؛
وَفَتَحَ الْمُهِمَّاتِ بَعْرَ مِكَ ، وَأَوْضَحَ الظُّلُمَاتِ بِنَجْمِكَ ، وَأَبْقَى الْحَاسِنَ بَبْقِيَاكَ ،
وَسَقَى مَوَاطِنَ الْعَلِيَاءِ بِسُقْيَاكَ .

كِتَابِي يَا سَيِّدِي ، وَأَجَلَ عُدْدِي ٥ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ السَّلَامَةَ ٥ وَوَهَبَ لَكَ
الْكَرَامَةَ ، وَلَوْ تَقَدَّمَنِي فِي الْإِعْرَافِ بِمَا تَرِكَ مُطْنَبَ ، أَوْ أَفْحَمَنِي فِي أَوْصَافِ
مَفَاخِرِكَ مُسْتَهَبَ ، مَا شَقَّ غُبَارِي فِي وِدَادِكَ مُجَارَ ، وَلَا تَعَاقَبَ بَأَثَارِي فِي اعْتِقَادِكَ ١٠
مُبَارَ . وَكَيْفَ وَقَدْ حُزْتُ الْغَايَتَيْنِ مِنْ تَفْضِيلِكَ [وإِعْرَازِكَ] ، وَأَحْرَزْتُ
الْفَضِيلَتَيْنِ مِنْ تَبْجِيلِكَ وَإِحْرَازِكَ ؛ وَمَا انْفَرَدْتُ مِنْ زَمَانِكَ^(٣) بِفَائِدَةٍ تُوَازِيكَ ،
وَلَا اسْتَبَدَدْتُ مِنْ إِخْوَانِي بِفَائِدَةٍ تُسَاوِيكَ ؛ وَبِحَسَبِ ذَلِكَ ضَنِّي بِكَ وَشُحِّي ،
وَحِجَّتِي لَكَ وَنُصْحِي ؛ وَمَا أَذْكَرُّكَ مَا لَا تَذْكَرُ ، وَلَا أَبْصُرُّكَ مَا لَا تُبْصِرُ ؛
فَأَيُّ عِلْمٍ إِلَّا سَلَكَتَ شِعَابَهُ ، وَأَيُّ حِلْمٍ إِلَّا مَلَكَتَ رِقَابَهُ ؛ وَإِنْ كُنْتُ ١٥
لَا أَوْرِدُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا يُؤْتِرُ عَنْكَ ، وَلَا أُوَفِّدُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا يَظْهَرُ مِنْكَ ، فَلَسَّاعِي
مُرَادِهِ ، وَلِلدَّاعِي اعْتِقَادُهُ ٥ وَلِلْمُجْتَهِدِ أَجْرُهُ ، وَلِلْمُقْتَصِدِ عُدْرُهُ ؛ فَمَا أَسْتَصِيحُ

(١) ذكرنا مقدمة من أورد هذه الفصول في هامش ص ١٥١ من هذا المجلد

(٢) هذا الفصل يبتدىء ببياض يتسع لنحو ثلاث كلمات في الأصلين

(٣) كذا في الأصلين ولعلها : زماني

إِلَّا مِنْ قَرِكَ ، وَلَا أُسْتَوْضِحُ إِلَّا بِغُرِّكَ ، وَلَا أُعْشَى ^(١) إِلَّا بِنَارِكَ ، وَلَا أَمْشَى
إِلَّا بِأَنْوَارِكَ . وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لِلْأَفْصَايْنِ أَسْوَةً ، وَيُحْيِيكَ ^(٢) لِلْأَكْرَمَيْنِ قُدْوَةً .

وَاتَّصَلَ بِي يَا سَيِّدِي مَا وَسَّوسَ بِهِ الشَّيْطَانُ ، مِنْ الْأَمْرِ حَتَّى ^(٣) لَهُ

الْبَيَانُ ، فِي الْفَتْقِ لِأَثَرِ مَسْحُوبٍ وَقَدَرِ مَكْتُوبٍ . وَأَنْتَ الَّذِي نَجَّدْتَهُ التَّجَارِبُ ۝

وَشَحَّدَتْهُ النَّوَائِبُ ، وَارْتَضَعَ أَخْلَافَ الْحُرُوبِ . وَامْتَضَعَ ^(٤) أَصْنَافَ الْخَطُوبِ ، ٥

وَعَجَمَ قَنَاطَةَ الزَّمَنِ ، وَاقْتَحَمَ غَمَرَاتِ الْمِحْنِ ، بِقَلْبٍ غَيْرِ مَنْخُوبٍ وَلَا وَهْلٍ ،

وَعَقْلٍ غَيْرِ مَسْلُوبٍ وَلَا وَكَلٍ ، وَذَكَاءٍ تَنْكَسِفُ لَهُ ذُكَاةٌ ، وَأَرَاءٍ يَنْكَسِفُ

لَهَا الْغَطَاءُ ۝ وَعَلِمَ بِمَا تَأْتِي وَتَذَرُ ، وَفَهِمَ بِمَا تُورِدُ وَتُصَدِّرُ ، وَمَذَاهِبَ مَثَلِهَا لَكَ

التَّحْقِيقِ ، وَمَطَالِبَ شَرْحِهَا التَّوْفِيقِ ؛ فَهِيَ بِعِصْمَةِ اللَّهِ مُحْفَوَةٌ ، وَبِنِعْمَتِهِ

مَكْفُوفَةٌ ۝ وَعَلَى إِرَادَتِهِ مُتَوَقِّفَةٌ ، وَفِي طَاعَتِهِ مُتَصَرِّفَةٌ ؛ فَكَمْ لَكَ فِي الْمُسْرِكِينَ ١٠

مِنْ الْبَلَاءِ الْجَمِيلِ ، وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْغَنَاءِ الْجَزِيلِ ؛ فَكَمْ عِلْمٌ خَلَّدَتْ ۝ وَحَزَمٌ

أَبَدَتْ ، وَكَمْ فَضْلٌ أَبَدَتْ وَأَعَدَتْ ، وَكَمْ طَوْلٌ بَنَيْتَ وَشَيْدَتْ ۝ وَكَمْ رَايَةً

لِلَّذِينَ رَفَعْتَ ، وَغِيَابَةً عَنِ الْمُسْلِمِينَ قَشَعْتَ . أَفَلَا أَنْ يُدْعَى لِلْهَوَادَةِ ، وَيُسْعَى

لِغَيْرِ الْعَادَةِ ، حِينَ أُثْمِلَتْ لِلزِّيَادَةِ ، وَاسْتَهْلَتْ فِي السِّيَادَةِ ، وَأُرْجِحَ بِفَخْرِكَ

كُلُّ نَادٍ ، وَلَهْجَ بَذْكَرِكَ كُلُّ حَادٍ ؛ عَدِيمٌ أَثْرَابٍ وَأَقْرَانٍ ، وَنَدِيمٌ آدَابٍ ١٥

وَقُرْآنٍ ؛ لَمْ تَفْقُتْكَ مِنَ الْفَعَالِ فَضِيلَةٌ ، وَلَا شَانَكَ إِلَى السَّكَّالِ وَسِيلَةٌ . وَلَا

أَعْرَفُكَ مِنَ الْمَعَالِي مَا لَا تَعْرِفُ ؛ وَلَا أَصِفُكَ مِنَ الْمَفَاخِرِ بِمَا لَا تُوصَفُ ؛

الْأَلْسِنَةُ عَنْ وَاجِبِكَ حَسِيرَةٌ ، وَالْأَمْكَنَةُ بِمَنَاقِبِكَ مَعْمُورَةٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُكَ

عُلُوءًا وَمَجْدًا ، وَيُفِيدُكَ سُمُوءًا وَجَدًّا . وَأَنْتَ لَا تَأَلُو الْمُسْلِمِينَ نَصْحًا ، وَلَا

(١) لعلها : أعشو (٢) ت : يحميك (٣) في الأصلين كلمة غير مفهومة

رسمها في لب « عمنو » وفي ت « عمند » (٤) ت : امتصم

يُعَدُّهُمْ سَعِيكَ نَجَحًا ۖ وَلَا يُفَقِّدُهُمْ هَدْيُكَ صَفْحًا . فَعِيَاذًا بِاللَّهِ أَنْ يُسْفِكَ بِكَ دَمَ ،
وَيُهَيِّتَكَ ^(١) بِسَبَبِكَ مُحَرَّم ، أَوْ يَهْلِكَ بِطَلَبِكَ ^(٢) مُسْلِم ؛ وَأَنْتَ الْعَالِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ ،
وَالْقَائِمُ بِسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَالْحَاكِمُ بِمَا يَرْضَاهُ ۖ وَالْعَاصِمُ بِتَنْزِيلِهِ ، وَالْمُقْتَدِي بِسَبِيلِهِ ،
وَالْمُهْتَدِي بِدَلِيلِهِ . فَلَا أَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ آدَابِهِ إِلَّا مَا أَحْكَمْتَ تَأْوِيلَهُ ، وَلَا أَجْلُو
لَكَ مِنْ تَبَيَّانِهِ إِلَّا مَا تَدَمَّتْ تَحْصِيلُهُ . فَمَا مِثْلَكَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ [يَذْكُرُ] بِقَوْلِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ؛ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » ^(٣) .

- ٢ -

وَلَهُ عَنْهُ إِلَى صَاحِبِي شَاطِبَةٌ :

١٠ كَتَبْتُ يَا سَيِّدِي ، وَمَشَارِبُ الْأَمَالِ قَدْ تَسَكَّدَرْتُ ، وَوُجُوهُ الْحَاسِنِ قَدْ
تَغَيَّرَتْ ۖ وَأَيْدِي التَّوَازُرِ قَدْ قَصُرَتْ ۖ وَسَبِيلُ التَّنَاصُرِ قَدْ تَوَعَّرَتْ ، إِلَّا أَنْ
يَتَلَاقَى اللَّهُ الْخَلَلَ بِتَسْدِيدِ نَظَرٍ كَمَا ، وَيُنْعِشَ الْأَمَلَ بِحَمِيدِ أَثَرٍ كَمَا ؛ فَيَنْظُمَ
الشَّمْلَ ، وَيَصِلَ الْحَبْلَ ، وَيَسُدَّ الثُّلَمَ ، وَيَشُدَّ الْحُزْمَ ۖ وَيَرْقَعَ الْمُنْخَرِقَ ۖ وَيَجْمَعَ
الْمَفْتَرِقَ ۖ وَيَضَعُ الْإِصْرَ ، وَيَرْفَعُ الْوِزْرَ ۖ وَيُعِيدُ الْكَلِمَةَ مُتَّفِقَةً ۖ وَالْأُمَّةَ
١٥ مُتَّسِقَةً ، وَالْأَيْدِيَّ مُتَّابِدَةً ۖ وَالنَّفُوسَ مُتَوَدِّدَةً ، وَالْأَهْوَاءَ مُتَعَاذِدَةً ۖ وَالْأَنْحَاءَ
وَاحِدَةً ، وَالذَّمَاءَ مُحْتَمُونَ ، وَالْعَاقِبَةَ مَأْمُونَةً ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُ كُلَّ عَلَى الصَّلَاحِ ،
وَيُفْضِي بِنَا إِلَى النَّجَاحِ ۖ بِعَزَّتِهِ .

وَاتَّصَلَ بِي مَا وَقَعَ بَيْنَكَا وَبَيْنَ الْمُظْفَرِ أَبِي مُحَمَّدٍ مِنَ التَّنَازُعِ ۖ الَّذِي أَخَافُ

(٢) فِي الْأَصْلَيْنِ : يَطْلُبُ

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : يَنْهَكُ

(٣) سُورَةُ التَّوْبَةِ آيَةُ ٧٠

أَنْ يُفْضِيَ بَكُمْ إِلَى التَّقَاطُعِ ، وَوَرَدَ عَلَى كِتَابِكَا الْكَرِيمِ فِي ذَلِكَ بِمَا تَرَقَّبْتُ
 انْصِرَامَ أَجَلِهِ ، وَتَنْظَرْتُ انْجِسَامَ عِلَّاهُ ، حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يَتِمَّادَى بِكُمْ اللَّجْاجُ .
 وَيَتَعَاصَى فِي أُمُورِكُمُ الْعِلَاجُ ، وَأَشْفَقْتُ مِنْ إِذْلالِ الشَّيْطَانِ بِمَخَاتِلِهِ ، وَإِطْلالِ
 الْخِذْلَانِ بِمَحَبَّائِهِ ؛ فَيَقْرَعُ التَّكْلَانُ^(١) سِنَّهُ مِنَ النَّدَمِ ، وَيَنْطَوِي الْحَرَّانُ عَلَى
 يَدِهِ^(٢) مِنَ الْأَلَمِ . وَحَالِي يَا سَيِّدِي فِي الْأَخْذِ مِنْ أَحْوالِكَا بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ ،
 وَالنَّزْعِ فِي أُمُورِكَا بِأَكْبَرِ ذَنْوبٍ ، حَالُ مَنْ أَعْدَّ كَمَا لِحَوَادِثِ الزَّمَنِ ، وَكَوَارِثِ
 الْمِحَنِ ، وَاعْتَقَدَ كَمَا الْعُدَّةَ الْكَافِيَةَ . وَالْعِصْمَةَ الْوَاقِيَةَ ، فِيمَا اسْتَمَرَّ وَعَانَ ،
 وَظَهَرَ وَبَطَنَ ؛ فَلَمْ أَرْ نَفْسِي فِي سَعَةٍ مِنْ إِهْمَالِ التَّدْكَرَةِ . وَاغْفَالِ التَّنْبَهَةِ .
 وَاللَّهُ يُعِيدُ الْكُلَّ مِنَ الشَّمَاتِ وَالشَّمَاتِ ، وَيُعِيدُكُمْ إِلَى الْمُوَاسَاةِ وَالْمُؤَاتَاةِ .

- وَلَمْ يَخْفَ عَلَيَّ كَمَا مَا فِي صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيِّنِ . مِنَ الْفَوْزِ بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ . وَأَمِنْ
 الْعِبَادِ ، وَخِصْبِ الْبِلَادِ . وَإِعْزَازِ الدِّينِ ، وَإِذْلالِ الْقَاسِطِينَ ، وَتَوْهِينِ الْمُشْرِكِينَ .
 وَقُوَّةِ الْعِصْدِ . وَوُفُورِ الْعِدَدِ ، وَدَعَةِ الْأَجْسَامِ ، وَالرَّعَّةِ عَنِ الْأَنَامِ . وَسِتْرِ
 الْعَوْرَاتِ ، وَحِفْظِ الْحُرُمَاتِ ، وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْإِزْدِجَارِ بِزَجْرِهِ .
 وَالتَّأْدِبِ بِأَدَبِهِ . وَالْإِثْمَارِ بِأَمْرِهِ ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : (فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)^(٣)
 ١٥ وقال : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا)^(٤) الْآيَةِ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 (لَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَعَلَى طَاعَتِهِ
 أَعْوَانًا) . وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَمْ يَهْلِكْ مَنْ هَلَكَ مِنَ الْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْقُرُونِ
 الْخَالِيَةِ . إِلَّا بِتَقَاطُعِهِمْ وَتَحَاسُدِهِمْ وَتَدَابُرِهِمْ وَتَحَاضُلِهِمْ ؛ وَأَنَّ اللَّجْاجَ مَطْيَةُ الْجَهْلِ ،

(٢) فِي الْأَصْلَيْنِ : يَدُهُ

(١) لَب : التَّكْلَانِ

(٤) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ آيَةُ ١٠٣

(٣) سُورَةُ الْأَنْفَالِ آيَةُ ١

والهوى آفة العقل ، والحمية من أسباب الجاهلية ، والعصبية من العنصرية ،
والحرب مشتقة المعنى من الحرب ؛ مع ظنك المتغلب وكأنه المتغلب . تؤتم
الأطفال ، وتلتهم الرجال ، سوق^(١) لا ينفق حاضروها غير النفوس والأزواح ،
وشرب يتعاطون المنايا بظبا السيوف وأطراف الرماح ؛ مضروغهم دائر^(٢) .
وصارغهم خاسر . وماضيهم ناديم ، وباقيهم واجم .

والذى يحملون من أوزارهم وأوزار مع أوزارهم . ويحتقبون من آصارهم ،
تسليط النصارى على المسلمين ، وعيشهم في بلادهم يقتلون ويأسرون ؛ فالأموال
مستهلكة ، والخرمات منتهكة . والدماء مہرقة ، والنساء مستأقاة ، وعقد
الدين مفسوخ ، وعهد الإسلام منسوخ ، والكفر عال على الإيمان ، والشوء
غالب على الإحسان . فقد بلغنى أن مذهبيكم الاستجاشة بالنصارى إلى بلاد
المسلمين ، يطؤون ديارهم . ويعفون آثارهم ، ويجتاحون أموالهم ، ويسفكون
دماءهم . ويستعبدون أبناءهم . ويستخذمون نساءهم . وإن نفذ هذا — وأعود
بالله — فهى حال مؤذنة بالذهاب ، وجريرة تؤذن بالخراب ؛ ولم نأمن أن يظهر
لهم من الخلل فى بلادنا ، والقلّة فى أعدادنا ، ما يجربهم علينا ، ويجرحهم إلينا ،
بما لا نقدر على مكافئتهم فيه . ولا نقوى على مصابرتهم به ، فتلك الوقعة التى
لا يذتئش عثورها ، والقارعة التى لا يتجبر كسورها . ولم أجد ياسيدى وعدتى
دواء أنجع ، ولا سعيًا أنفع ، من صلة يدي بيد الفتى الكبير فلان ، فى توسطه
هذه الأحوال بينكم ، والتأنى لإصلاح ما فسد منها عليكم ، ولم نلف سببا إلى
كشف هذه الغيابات ، وفتح هذه المهمات ، أقوى فى النجاح ، وأهدى إلى
الصلاح ، من بعث أعلام بلدنا . ووجوه رجالنا .

(٢) فى الأصلين : دابر

(١) فى الأصلين : سوق

- ٣ -

وكتب إلى ابن الناصر^(١)

سَيِّدِي وَأَعْظَمَ عُذْرِي ! بَقِيتَ لِمَجْدِ تَوْسُّسِهِ ، وَحَمْدِ تَلَبُّسِهِ ! كَتَبْتُ —
 كَتَبَ اللَّهُ لَكَ مَا يَمُوتُ أَمْلَكَ — عَنْ نَفْسٍ تَعُدُّكَ أَكْرَمَ نَفَائِسِهَا ، فَلَا يُسَاوِيكَ
 مُعْظَمُ فِي هَاجِسِهَا ، وَضَمِيرٍ صَفَا لَكَ مِنْهُلَهُ ، فَلَا أَحَدَ قَبْلَكَ يَنْزِلُهُ^(٢) ، وَوَدَّ
 أَحْكَمْتُ لَكَ عَقْدَهُ ، وَنَظَّمْتُ بِكَ عِقْدَهُ ؛ حَقِيقَةُ أُذُنِي نَظَرُهَا إِلَيْكَ ، وَخَاطِيقَةُ
 وَفَقِ سِرُّهَا عَلَيْكَ ؛ فَطَرَفُ اهْتِبَالِي إِلَيْكَ شَاخِصٌ ، وَضَمِيرُ إِدْلَالِي عَلَيْكَ
 خَالِصٌ ؛ وَالْعَهْدُ الَّذِي أَنْتَ لِحُرْمَاتِهِ لَاحِظٌ ، وَالْأَمَانَاتُ حَافِظٌ ۖ يُنَجِّدُ لِسَانِي فِي
 الْمَقَالِ ۖ وَيَمُدُّ عِنَانِي فِي الْأَسْتِرْسَالِ ، وَيُوفِّدُ إِلَيْكَ النُّصْحَ مُحَضًّا ، وَيُورِدُ عَلَيْكَ
 الصَّدَقَ فَرَضًا ؛ مُوَازَرَةٌ لَا أَرَى التَّخَلُّفَ عَنْهَا دِيَانَةً ، وَمُظَاهَرَةٌ لَا أَعُدُّ التَّبَرُّيَ ١٠
 مِنْهَا أَمَانَةً ؛ وَأُخَوِّكَ مَنْ صَدَقَكَ ، وَعَدُّوكَ مَنْ مَذَقَكَ .

وَاتَّصَلَ بِي ۖ مَا جَزَعْتُ لَهُ ، مِنْ لُزُومِكَ مَعَ الْمُوَفَّقِ أَبِي الْجَيْشِ ، وَمَنْ
 تَبِعَكَ مِنْ مُعَاقِدِيكَ ، لِفَقَاتِنَةِ الْمُظْفَرِ أَبِي مُحَمَّدٍ وَمُنَازَلَتِهِ وَمُقَارَعَتِهِ ۖ وَاسْتِجَاشَةِ
 كُلِّ حَزْبٍ مِنْكُمْ بِالنَّصَارَى ، وَطَمَعِكُمْ أَنْ تَمْنَعُوا بِهِمْ ذِمَّارًا ، وَتَقْضُوا بِإِخْرَاجِهِمْ
 أَوْطَارًا ، وَتَنْدِرِكُوا بِأَيْدِيهِمْ أَوْتَارًا ؛ وَلَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ مَا يَتَسَبَّبُ بِالْفِتَنِ ، مِنْ ١٥
 الْبُلُوَى وَالْمِحَنِ ، وَمَا يُكْتَسَبُ فِيهَا مِنَ الْخُوبِ ، وَيُحْتَقَبُ بِهَا مِنَ الذُّنُوبِ ،
 وَمَا يَنْوِبُ الظَّالِمَ وَالْمُنْصَفَ مِنْ مَعَرَّتِهَا ۖ وَيُصِيبُ الْبَرِيءَ وَالنَّظِيفَ مِنْ
 مَضَرَّتِهَا ، وَمَا يَعْمُ مِنْ بَأْسَائِهَا ، وَيَطْمُ مِنْ دَهْيَائِهَا ۖ بِاخْتِرَامِ الرِّجَالِ ، وَإِيتَامِ
 الْأَطْفَالِ ۖ وَإِزْمَالِ النِّسَاءِ ، وَإِحْلَالِ الدِّمَاءِ ، وَانْتِهَابِ الْأَمْوَالِ ، وَاعْتِسَافِ

(١) ت : ابن الناصر

(٢) في الأصلين : نزاله

الأهوال ، وإخلاء الأوطان ، وجلاء السكان ، وانقطاع السبل ، واتساع
الخلل . هذا إذا كانت الدعوة واحدة ، والشرعة معاضدة ، فأمّا إذا انسلق
العدو إلينا ، وتطرق علينا ، وضرى على أموال المسلمين ودمائهم ، وجرو^(١)
على قتل رجالهم وسبي نساءهم ، وبانت له العورات ، وتحققت عندهم
الاختلافات ، وأخذوا رءسهم ، واستمدوا من وراهم ، لم يكن للمسلمين بهم بعد
يد ، ولا عن إخلاء هذه الجزيرة بد ، والله يحميها من الغير ، ويكفيها
سوء القدر .

وإن أحق من لم شعث المسلمين ، وصم منتكث الدين ، من أيد الله
أولهم بأولييه . وزرع خللهم بمساعيهم ومساغيه ؛ وكانت وقائعه في المشركين
مشهورة ، وصنائه بالكافرين مذكورة ، ومن لا تؤرخ الأيام إلا بغزواته
ولا تحلى الأيام إلا بفعلاته . وأنت قاض من تلك القواضب ، وثاقب من
تلك الكواكب ، وغرة من تلك الأوضاح ، وشعلة من ذلك المصباح ،
ومعل من تلك القداح ، وعامل من تلك الرماح ، خقيق عليك أن تجرى
إلى غاياتهم ، وتعلي راياتهم ، وتحمي ذكركم ، وتحبي مجدهم . وقد علمت ألا
عدة أعد ، ولا نجدة أنجد ، من نوازر القلوب ، وتناصر العيون ، وتضامن
الأيادي ، وتظاهر المساعي ؛ حينئذ يحسن الجانب ، ويهن المجانب ، ويضحب
الأبي . ويطيع العصى . ومن خلا من صالح الأعوان . وضيع الاستظهار
بأحباء الإخوان ، كان أجزم الرماح . كهام السلاح ، مقصود الجناح .
خائب القداح ، مفلول الحد ، مضلذ الزند ؛ والمرء كثير بأخيه ، والجناح
بقوامه وخوافيه ، والانفراد في الوطن غربة ، والانقياد للآخر كربة ؛ مع

(١) رسم الكلمة في الأصلين : وحروب

أَنَّ الغَلَبَةَ بالتَغْرِيرِ والإِخْطَارِ ، لَيْسَتْ مِنْ شَيْمٍ أُولَى الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ .
وَمَنْ الَّذِي دَعَاكَ يَا سَيِّدِي إِلَى فِتْنَةٍ تَخُوضُ غِمَارَهَا ، وَتَحْمِلُ أَوْزَارَهَا ،
وَلَا تَغْتَمِطُ بِعُقْبَاهَا غَالِبًا وَلَا مَغْلُوبًا ، وَلَا تَنْتَشِطُ مِنْ بُوسَاهَا حَارِبًا وَلَا مَحْرُوبًا
فَإِنْ كَانَ وَفَاءً لِمَنْ عَاهَدْتَ ، وَغَنَاءً عَمَّنْ عَاقَدْتَ ، فَأَدْنَى الْمَسَاعِي إِلَى النُّجْحِ •
وَأَوْلَى الْمَطَالِبِ بِالْكَدْحِ ، وَأَبْعَدُ الْمَذَاهِبِ مِنَ الْعَيْبِ وَالْقَدْحِ ، مَا بُدِئَ
بِالْمُتَارَكَةِ ^(١) وَخَتِمَ بِالصُّلْحِ ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « وَالصُّلْحُ خَيْرٌ » « وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ » .

وَالاتِّفَاقُ يَا سَيِّدِي أَصَمُّ لِلشُّمْلِ ، وَأَوْصَلُ لِلْحَبْلِ ، وَأَحْمَدُ فَاتِحَةً وَخَاتِمَةً ،
وَأَرْضَى بِادِّئَةٍ وَعَاقِبَةٍ ، وَأَسْلَمُ دُنْيَا وَآخِرَةَ . وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَزِلَّ بِكَ قَدَمٌ •
أَوْ يَحُلَّ بِكَ نَدَمٌ • أَوْ تُزْعَجَكَ إِلَى الْمَجَاهِلِ لِحَاجَةٍ • وَتُرْهَجَ لَكَ فِي ١٠
الْبَاطِلِ كَحَاجَةٍ .

— ٤ —

وَلَهُ عَنْ تَأْيِيدِ الدَّوْلَةِ أَبِي جَعْفَرٍ :

كَتَبْتُ — كَتَبَ اللَّهُ فِي قَلْبِكَ ذِكْرًا لَا يَمْحُوهُ نَسْيَانٌ ، وَأَعَذَبَ لِي مِنْ
شَرِّكَ مَا يُنْسَى مَرَارَةً كُلَّ خُطْبَانٍ — وَلَوْ أُعْطِيَتِ الْأَجْسَامُ لَطَافَةَ الْأَرْوَاحِ • ١٠
لَطَرْتُ إِلَيْكَ بِلا جَنَاحٍ ؛ وَإِلَّا يَمَثُلُ الْجِسْمُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَالْقَلْبُ مَائِلٌ لَدَيْكَ •
وَالنَّفْسُ حَامِيَةٌ عَلَيْكَ ، وَالْأَمَلُ نَزَاعٌ إِلَيْكَ . فَهَلْ لِمَوْلَايَ عَطْفَةٌ ، تُمِيلُ إِلَى
عَبْدِهِ عَطْفَةً • فَتُقْبَلُ الثَّرِيًّا كَفَّهُ ، أَمْ هَلْ لَهُ إِلَيْهِ لِحْظَةٌ ، تُنِيلُهُ الدُّنْيَا بِهَا
حَظَّهُ ؛ فَقَدْ طَالَ إِبْعَادُ اللَّيَالِي بِالْإِحَالَةِ ، وَأَوْعَادُ آمَالِي بِالْإِدَالَةِ ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : الْمَشَارِكَةُ

كالظفر يوم صقّين ، والخلافة يوم تحسّيم المسلمين . وقد أطلت من عنان
أملّى ما قصّر خطا العوائق ، ونسخت من ميدان رجائي ما ضيق مسارح
المواقف ، فلا عذري ولم أفصل به ^(١) الجوزاء عقوداً ، وأنل السماء قعوداً ،
فالواعد حري بالوفاء ، والله مليّ بالعطاء .

— ٥ —

وله :

الحسب — أعزك الله — في مواطنه ، كالذهب في معادنه ، والشرف
في الأشراف ، كالدرّ في الأصداق ، والجُد في أهله ، كالفرع في أصله ؛ ومن
حازت له آفاق المعالي نجيب ؛ ورث السيادة نجيباً عن نجيب . وكان
الكرم فيه كالفرند في القواضب ، والضيء في الكواكب ، والصفاء في الماء ،
والروح في الأحياء ^(١) . وإن لم يحظ بك العيان ، ولا أسعد بك الزمان ؛
فالروية بالقلب لا بالعين ، والقرب بالنفس على الدنو والتبين ؛ ومن كان
مثالك نور ناظره . وخيالك سمير خاطره ، فقد قاربك مقاربة الارتياح
للأرواح . بل مازجك ممزجة الماء للراح . وإذا كان المعتقد من الإخوان
أوفاهم ذمة . والمعتمد عليه في الحدّثان أعلاهم همّة ، وأحقّ الناس بالوفاء
وارثوه ، وأشبّه الأتباع لتبع بنوه ، وقد أغلقت ودّي منك من يزكو
ودّه ، وأوتقت عقدي بمن لا ينحلّ على الأيام عقده . فشاري ودك بنفسه
راجح التجارة ، ومضيع عهدك في أمسه فاحش الخسارة . وأنا أحمّد يوماً وصلني
بمعرفتك ، وأدّم دهرأ قطعني عن صلتك . واعتقدك أكرم العقد ، وأعدك

(١) في الأصلين : ولم أنصل بي وتنازل

(٢) رسم الكلمة في الأصلين : الحيا — ولعل الصواب ما أئبنتاه .

لِلْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، وَلَا وَسِيلَةَ إِلَّا فَهْمُكَ ، وَلَا وَسِيلَةَ إِلَّا هَمُّكَ ؛ فَمَا أَزُورُ الرِّيَاضَ
إِلَّا تَشَوُّقًا إِلَى شَيْمِكَ ، وَلَا أَلْظُ السَّحَابَ إِلَّا تَخَيُّلًا لِكِرَمِكَ .

وَفِيهَا يَحْكِيهِ فُلَانٌ [مُرَدِّدٌ] شُكْرِكَ ، وَمُطِيبٌ ذِكْرِكَ ، مِنْ مَا ثَرِكَ
الرَّاهِرَةِ ، وَمَفَاخِرِكَ الْبَاهِرَةِ ، شَائِقٌ يُحَوِّمُ طَيْرَ الْقُلُوبِ عَلَيْكَ ، وَسَائِقٌ يَحْدُو
بِالنَّفُوسِ إِلَيْكَ ؛ وَأَنْتَ أَرْقُ نَفْسًا وَطَبْعًا ، وَأَكْرَمُ أَصْلًا وَفِرْعًا ، مِنْ أَنْ
يُجْمَعَ عَلَى بُعْدِكَ وَبُعْدُ كِتَابِكَ . وَفَقْدُكَ وَفَقْدُ خِطَابِكَ .

- ٦ -

وَكُتِبَ إِلَى صَدِيقٍ وَقَدْ بَعَثَ تَفَاحًا :

لَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي لَكَ ، لِأَهْدِيَتْهَا إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ حَقُّكَ أُثْبِتُهُ لَدَيْكَ ،
لَجَلَوْتُ وَجْهَ مَوَدَّتِي عَلَيْكَ ، مُتَوَجِّجًا بِطَيْبِ الذِّكْرِ . يَرِفُلُ فِي حُلُلِ الشُّكْرِ ؛
وَمَا عَسَى أَنْ يَهْدِيَ الْغَرِيقُ فِي بَحَارِ بَرِّكَ ، وَالْمُنْقَطِعُ فِي مِضْمَارِ شُكْرِكَ ؛
لَكِنَّ لَكَ الْإِبْدَاءَ بِالْفَضْلِ وَالْإِعَادَةَ ، وَلِيَ الْاِقْتِدَاءَ وَالْجُرْئِيَّ عَلَى الْعَادَةِ . فِي
إِهْدَاءِ الْحَقِيرِ إِلَى الْخَطِيرِ ، وَمُقَابَلَةِ الْجَلِيلِ بِالْقَلِيلِ ؛ فَمَا قَصُرَتْ مَقْدَرَتُهُ ، مِنْ
أَطَالَتِ مَكَارِمِكَ مَعْدَرَتُهُ .

وَلِكَلْفِي بِشِمَائِلِكَ الشَّمُولَةَ ، وَشَغْفِي بِخَلَائِقِكَ الْمَعْسُولَةَ ، بَعَثْتُ بِمَا يَحْكِيهَا
وَلَا يَدَارِيهَا ، وَيُخْبِرُ بِرِيَاءِ وَطَعْمِهِ عَنْ بَعْضِ مَا فِيهَا ، تَفَاحٌ قُطِعَتْ حَمْرَتُهُ وَصَفَرَتُهُ
مِنْ خَبَلَاتِ الْخُدُودِ . وَنُزِعَتْ صُورَتُهُ شِبْهَ فَوَالِكَ النَّهْدِ . وَخُتِمَ عَلَى الذِّ
مِنْ سَلَوَى النَّخْلِ ، وَأَعَذَبَ مِنْ جَنَى النَّخْلِ ؛ نَاسَبَ الرِّيَاضَ وَأَفْنَى عُمْرَهُ
عُمْرَهَا ، فَوَرَّثَتْهُ زَهْرَهَا ، تَذَكَّرُكَ أَيْفَلَهُ سُرَرِ الْبُطُونِ الْغُلْبِ ، وَطَعْمَهُ لَذَاذَةِ
الشُّغُورِ الشُّدْبِ .

فهرس

صفحة

أبو بكر عبادة بن ماء السماء	١
كلام في الموشحات وأوليئها	١
جملة من شعره في أوصاف شتى	٢
ذكر الخبر عن ولاية الفاسم بن محمود قرطبة الى انقضاء الأمر	
بانقطاع دولته وتقلب الفاضى ابن عباد عليها	١٢
أبو حفص ابن برد الأصغر	١٨
فصول من كتابه «سر الأدب وسبك الذهب»	١٩
فصول له في التجميعات	٢٣
فقر في وصف القلم والمداد والكتاب	٢٨
فصول له تنخرط في سلك الأمان	٢٩
أمان غريب الصنعة	٣٢
وفي العتاب	٣٣
فصول في الاستزارة	٣٤
فصول قصار في مدح الاخاء	٣٦
وله في ضد ذلك	٣٦
جملة من شعره في النسيب	٣٧
أبيات لاخليفة الأمين في غلامه كوثر	٤٤
من شعر ابن برد في سائر الأوصاف	٤٦

صفحة

أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبى	٥٢
مقتله	٥٣
مقتل الخليفة المتوكل وشعر البحترى	٥٨
جملة من أشعار بنى الطنبى	٦٠
شعر الهجاء وانقسامه إلى قسمين وأمثلة له	٦١
من شعر أبى الحسن على بن عبد العزيز بن زيادة الله الطنبى	٦٤
أبو عبد الله محمد بن مسعود	٦٦
فصل من رقعة خاطب بها ابنه إذ توجه إلى الغرب	٦٦
أرجوزة مزدوجة على لسان جاريته خاطب بها ابن بقنة	٦٩
مقطعات اندرجت فى رسائله الهزلية	٧٣
قصيدة له فى سليمان بن الحكم المستعين	٧٥
وله يصف اللص الذى أخذه فى طريق قرطبة	٧٥
محمد بن مسعود آخر	٧٩
قصيدتان للطليق القرشى	٨١
أبو مروان بن حيان	٨٤
فصل جعله مفتتح تاريخه الكبير	٨٥
وله من رقعة خاطب بها ابن عباد بظهوره على ابن ذى النون	٨٩
وله يعاتب صاحب الصلاة ابن زياد	٩١
وله يخاطب ذا الوزارتين أبا القاسم ابن عبد الغفور	٩٣
رقعة لأبى بكر ابن زيدون وجواب ابن حيان	٩٣
وله يهنئ بعض العمال بخلاصه من نكبة	٩٥

صفحة

فصول من كلامه	٩٧
له إلى ابن عبد الغفور وقد أعاره سفرأ من تاريخه	٩٧
فصول له في نعي بعض معاصريه وفي أغراض أخرى	٩٧
فصل عن ابن باشة وهدم قصور بني أمية	١١١
فصول من كلامه في أولية دولة بني جهور	١١٤
أبو الحزم ابن جهور	١١٥
ابنه أبو الوليد ابن جهور	١١٧
الأشراف الأمويون وابن المرتضى	١١٩
عبد الرحمن وعبد الملك ابنا جهور وابن السقاء	١٢١
استيلاء ابن عباد على قرطبة وطرده جيش ابن ذى النون	١٢٣
فصل له في ذكر رحيل ابن ذى النون عن قرطبة	١٢٦
أبو الوليد ابن الفرضي	١٣٠
مقتله	١٣٠
مقطوعة كتبها إلى أهله	١٣٠
أبو جعفر ابن اللماثي	١٣٢
رقعة خاطب بها أبا جعفر ابن عباس	١٣٣
وله إلى القاضي ابن عباد	١٣٤
وله من أخرى	١٣٥
بعض أشعاره	١٣٦

صفحة

أبو عبد الله البزلياني	١٣٩
فصل من رقعة عن حبوس إلى ابن عبد الله	١٤٠
وله عنه إلى ابن منذر	١٤٢
وله عن حبوس إلى صاحبي شاطبة	١٤٥
وله إلى ابن عبد الرحيم	١٤٨
وله إلى أبي جعفر بن عباس	١٤٩
أبو جعفر أحمد بن عباس	١٥١
رقعة له يخاطب بها أبا المغيرة ابن حزم	١٥٤
جواب أبي المغيرة عليها	١٥٦
رقعة من ابن عباس إلى أهل غرناطة	١٥٨
وله إلى أهل قرطبة عن زهير اللقي	١٦٠
وله إلى أبي المغيرة ابن حزم	١٦٣
أبجاذ الخبر عن مقتل أحممر بن عباس وزهير فقي بني عامر	١٦٦
وكتب إليه أبو عامر ابن التاكر في	١٧٩
أبو حفص عمر بن الشهيد	١٨٠
رقعه خاطب بها بعض إخوانه	١٨١
وله من مقامة	١٨٤
أشعار له في مدح المعتصم بن صمادخ	١٩٥
ومن شعره في الأوصاف	١٩٩
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد	٢٠١
فصل له من جواب عن كتاب عتاب	٢٠٢

صفحة

وله من أخرى إلى ابن الحديد بطيطة	٢١٠
وله إلى أبي بكر الخولاني المنجم	٢١٢
جملة من شعره	٢١٣
من ملحه في نونية	٢١٣
من مدائحه في ابن صمادح مع تعليقات للمؤلف	٢١٨
قصة القارظين	٢٢٣
وله يصف مجلس لهو لابن صمادح	٢٢٨
ومن شعره في بني هود	٢٣١
وله يهنئ المؤمن بن المقتدر بن هود بمولود	٢٣٤
ومن شعره في النسيب وما يتصل به من الأوصاف	٢٣٥
لمع منه أنباء الأمير ابن صمادح المذكور	٢٣٦
شعر لأبي يحيى بن صمادح	٢٤١
أبو يحيى رفيع الدولة بن صمادح	٢٤٢
أبو محمد ابن مالك القرطبي	٢٤٥
قصيدة له في مدح ابن صمادح	٢٤٥
فصول من مقامة تعرب عن حفظ كثير خاطب بها ابن صمادح	٢٤٦
قصيدة له في يوسف بن هود	٢٥٧
المنفقل (أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة القرطبي)	٢٥٩
فصل له من رقعة وقد بعث بآترجة	٢٥٩
جملة من شعره في أوصاف شتى	٢٦٠
وله من رقعة خاطب بها ابن النغريلي الإمبراطوري	٢٦٥

صفحة

٢٦٦ وله فيه من قصيدة
٢٦٨ فصل في تلخيص التعريف بمقتل ابن النعماني اليهودي
٢٧٣ أبو المطرف عبد الرحمن بن فتوح
٢٧٤ جملة من شعره في النسيب
٢٧٥ بعض أشعار في وصف الليل بالقصر
٢٧٧ بعض التشبيهات التي تداولها الشعراء
٢٧٩ قصته مع غلام معذر
٢٨١ وله يصف الشمع مع ذكر أشعار أخرى في الشمع
٢٨٦ آراء لابن فتوح في بعض الشعراء
٢٨٨ أبو بكر بن ظهار
٢٨٩ بعض أشعار له
٢٩٠ الأسعد بن بليطة
٢٩١ أشعار له في النسيب
٢٩٣ بعض أقوال الشعراء في وصف الخيلان والجدرى
٢٩٧ ومن شعر الأسعد في المديح وما يتصل به
٢٩٩ ابن القزاز (أبو عبد الله محمد بن عبادة)
٣٠٠ فصل من رقعة إلى أبي بكر الخولاني المنجم
٣٠١ بعض أشعاره
٣٠٣ أبو عبد الله بن مالك الطغترى
٣٠٤ من رقعة يصف فيها السوط
٣٠٥ من رقعة إلى والد غلام تناول يده في الحمام

صفحة

٣٠٦	قصيدة لابن عبد الرازق
٣٠٧	فصل في مرثي أبي مزوان بن سراج
٣٠٧	فصل من كتاب أبي الوليد ابن طريف عن ابن سراج
٣١١	أبيات لأبي بكر ابن خازم في رثاء ابن سراج
٣١١	من قصيدة ابن شاذبه في رثائه
٣١٢	من قصيدة أبي عبد الله بن مكي فيه
٣١٣	قصيدة عبد الجليل بن وهبون فيه
٣١٦	رثاء أبي الوليد ابن طريف له
٣١٦	رثاء أبي بكر محمد بن أبي مروان بن عبد العزيز لابن سراج
٣١٧	رثاء أبي عبد الله القرشي المرواني الناصري له
٣١٨	رثاء أبي العباس أحمد بن محمد الكنتاني
٣١٩	التعريف بالوزير أبي الحسين ابن سراج
٣٢٠	شعر له مرتجل
٣٢١	أشعار العلماء وظهور التكلف فيها
٣٢٣	أبو مروان عبد الملك بن شماخ
٣٢٣	رقعة له إلى القاضي أبي عبد الله بن حمدان مع تعليقات للمؤلف
٣٢٦	جواب القاضي ابن حمدان
٣٣٣	التعريف بالقاضي بن محمد بن
٣٣٤	جملة من شعر ابن شماخ مع تعليقات للمؤلف
٣٤٠	أبو عمر أحمد بن عيسى الإلبيري
٣٤٠	رقعة له إلى الوزير أبي العباس ابن العريف

صفحة

وله من أخرى إلى بعض إخوانه	٣٤١
من شعره	٣٤٢
رسالة من أحد زهاد سرقسطة إلى صديق له	٣٤٣
أبو محمد غانم	٣٤٥
رقعة له إلى بعض إخوانه بغرناطة	٣٤٦
وله إلى أبي الحسن الحصرى	٣٤٨
جملة من شعره	٣٥٠
نثر له في العالى إدريس بن يحيى	٣٥٣
جملة من مرثيته	٣٥٧
من أشعاره في صباه	٣٦٠
أبو عبد الله بن السرّاج المالحى	٣٦٢
شعر له في الإخوانيات والغزل ومجالس الشراب	٣٦٢
النسيمير (أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيرى)	٣٧٢
شعر له في أغراض شتى مع تعليقات للمؤلف	٣٧٣
شعر له في الزهد والحكم	٣٧٧
من شعره في الأطباء والشعراء والأوصاف	٣٨٠
شعره في الإخوانيات والنسيب مع تعليقات للمؤلف	٣٨٤
أبو العباس أحمد بن قاسم المحدث	٣٩١
رسالة منه إلى ابن بسام	٣٩١
رسائل له في بعض إخوانه	٣٩٥
وله رسالة يعزى بعض الأعيان	٣٩٧

صفحة

٣٩٩	وله من فصل في صفة وراق
٣٩٩	جملة من شعره في النسيب مع تعليقات المؤلف
٤٠١	أبو طالب عبد الجبار
٤٠٢	جملة من أشعاره في أوصاف شتى
٤٠٤	أرجوزته التاريخية
٤٠٥	في التخميد
٤٠٧	في أدلة المعرفة والاستدلال على الصانع
٤٠٩	في بيان العلم والنظر
٤١٠	التفكر في الملكوت
٤١٢	بدء الخليفة وذراء البرية
٤١٣	الأنبياء المنصوص على قصصهم في القرآن
٤١٤	الخلفاء الأربعة وبنو أمية
٤١٩	الدولة العباسية
٤٢٧	دولة بني أمية بالأندلس
٤٢٨	ذكر الفتنة الأولى بقرطبة
٤٢٩	ذكر ملوك الطوائف
٤٣١	دولة المرابطين بالأندلس

ملحق بالرسائل الزائدة في نسختي ت ، ب

٤٣٥	رسائل ابن برد
٤٣٥	رسالة السيف والقلم

صفحة

٤٤١	رسالته في النخلة
٤٤٦	البدیعة فی تفضیل أهب الشاء
٤٥٢	نبذ لأبي عبد الله البرلياني
٤٥٢	رسالة في الحوض على الخير
٤٥٤	رسالة إلى صاحبي شاطبة
٤٥٧	رسالة إلى ابن الناصر
٤٥٩	وله عن تأييد الدولة أبي جعفر
٤٦٠	فصل يمدح فيه ويتشوق
٤٦١	وله إلى صديق بعث تفاحا

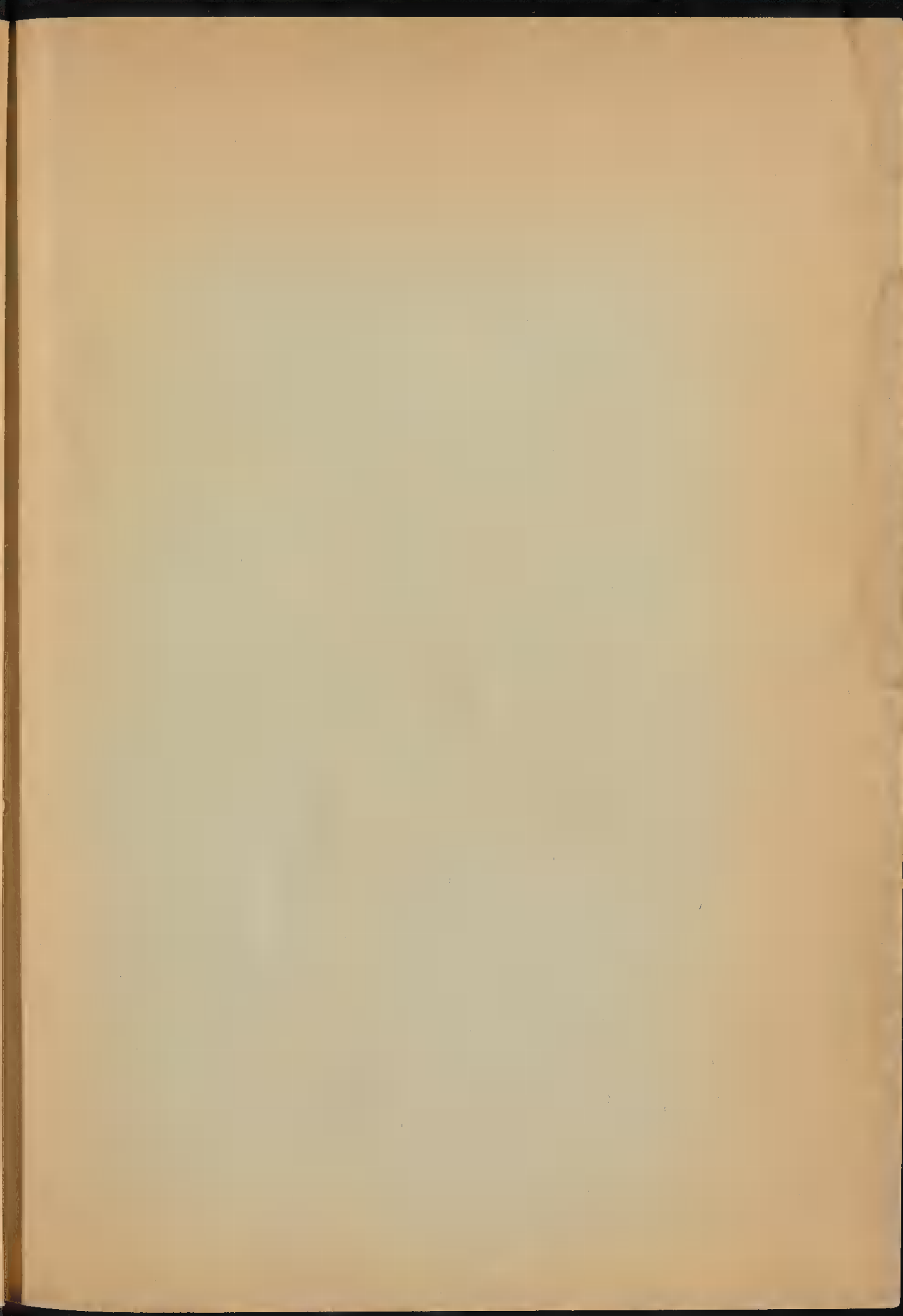
الخطأ والصواب

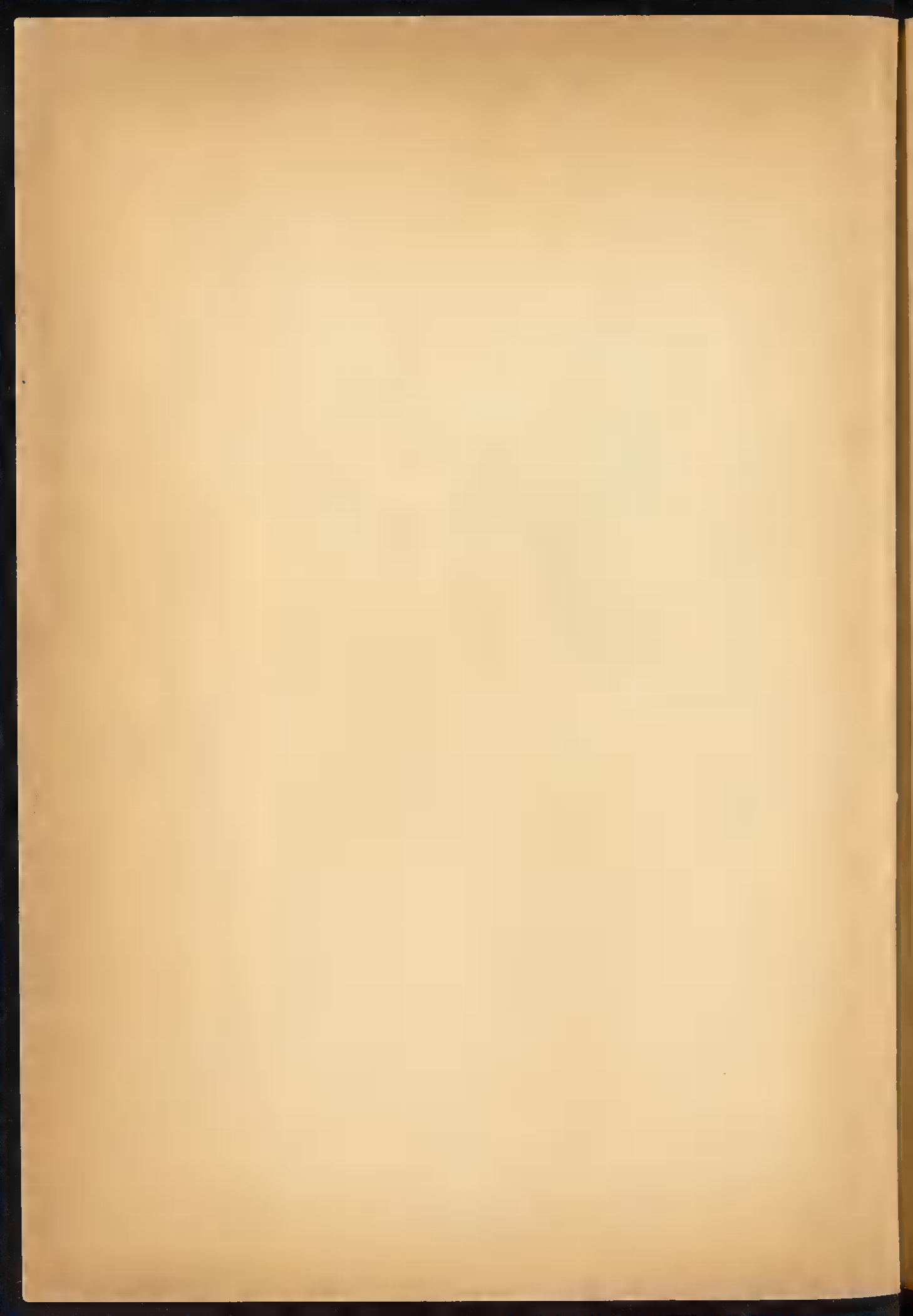
الخطأ	الصواب	الخطأ	الصواب	الخطأ	الصواب	الخطأ	الصواب
يعلق	يعلق	ب	لب	١٦	٥		
وجد	وجد	الأشادة	الأشارة	٧	١٠		
هموم	هموم	برائة	برائة	١٩	١٢		
بالنجوم	بالنجوم	بقنون	بعشون	١٥	١٤		
زورق	زورق	فعاقدوه	فعاقدوه	٢١	١٦		
السبقي	السبقي	فعاقدوه	فعاقدوه	٨	١٧		
ولا	ولا	يحذف الرقم وتدمج في التعليقة (١)		١٤	١٨		
البابهن	البابهن	برد	برد	٣	٢٠		
وللاصمعي	وللاصمعي	وفنون	وفنون	٨	٢١		
خبث	خبث	وتلذني	وتلذني	٣	٢٢		
يلفظن	يلفظن	تحذف النقطتان	:	١٥	٢٥		
الرخصاء	الرخصاء	أمة	أمة	٩	٢٦		
الجيرة	الجيرة	المواد	المواد	١٤	٢٦		
فيخبرهم	فيخبرهم	وأثرت	وأثرت	١٥	٤٠		
بقربه	بقربه	يسحر	يسحر	١٣	٤١		
مولية	ولية	مثل	مثل	١٤	٨٠		
(١) و :	(١) :	في التقييد	في التقييد	١١	٨٧		
تحذف	(م)	غداة	غداة	١٢	٩٤		
النون تنقل إلى الشطر الأول		شعنها	شعنها	٨	١١٦		
شادن	شادن	معهود	معهود	٦	١١٩		
الفقار	الفقار	يحسد	يحسد	١٥	١٤٤		
مقدار	مقدار	كالحدود	كالحدود	٦	١٩٦		
فصير	فصير	لتسوغ	لتسوغ	٢	٢٠٣		
نخط	نخط	زخرف	زخرف	٦	٢٠٣		
عبد الله	عبد الله	صبو	صبو	٢	٢١١		
فأنلته	فأنلته	سنيات	سنيات	٩	٢١٤		
وجدًا	وجدًا	مقاصر	مقاصر	١٢	٢١٨		
أثر كما	أثر كما	مناها	مناها	١	٢٢٢		
		تنقل السين والنون والتاء إلى الشطر الأول		٧٠٥ ١٤٤	٢٢٩		

تصحيح أخطاء في المجلد الأول

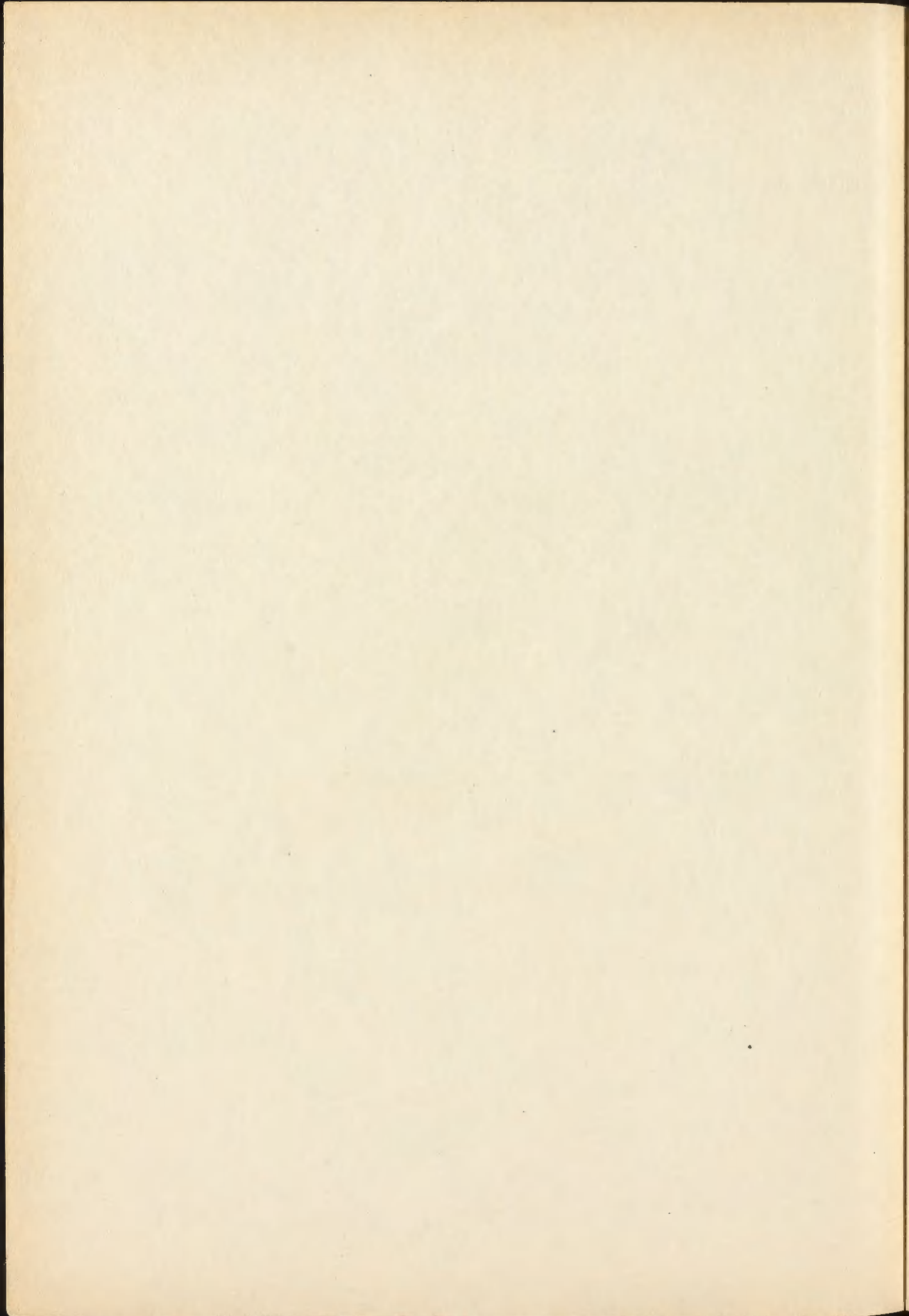
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ز	..	في الحديث عن أصول الكتاب ذكرنا أن نسخة الأستاذ ليثى بروفتسال (لب) تشتمل على النصف الأول من القسم الأول والحقيقة أنها تشتمل على القسم الأول كاملاً بنصفيه .	
١٢	١٩	بكر	أبو بكر
١٦	٢	النخلى	النخلى
١٩	٢٠	الرضى	المرتضى
٢٧	٣	فسد	فسد
٦٠	الهامش ٤	قدر ملزمة	قدر سبع ملازم
٦٢	١٤	أثنى	أثنى
٦٤	٥	خلائها حياص	خلائها جياى
٦٧	١٣	بئر	بيد
٧١	٩	مريضه	مريضه
٧٢	١٤	مهارى	مهارى
١٢٦	١	المزاج	المزاج
٢٣٩	٥	جنود	جنود
٢٦٩	٤	المغربى	المغربى (سقط الزندج ١ ص ٩٣)
٢٧٩	٧	أكلتى	أكلتا











Library of



Princeton University.

THE CARNEGIE FOUNDATION

